

رسالة ماجستير

١٢

بمَنْ وَان

صورة الصليبيين في الأدب العربي

إعداد

عبد القادر شريف عبد الله أبو شريف

١٩٧٧ / ١٩٧٨

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية.

١٠٠٣٠٧٩



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(مقدمة)

قسم الأدب العربي تقسيماً تاريخياً إلى عصور مختلفة ، كل قسم يُدرّس من خلاله فترة قائمة بنفسها ، لها مميزات وخصائصها الفنية ، بدءاً بالمصر الجاهلي وانتهاءً بالمصر الحديث .

وقد كان لهذا التقسيم أثر غير محمود في فهم الأدب العربي ، إذ جُمّد نصي إطار تاريخية مفصلة ، تبدأ بسنة كذا وتنتهي بسنة كذا . . .

وفي إطار هذا التقسيم التاريخي للأدب ، وصفت بعض العصور بالقوة والازدهار ، ووصفت عصور أخرى بالجمود والانحطاط ، ولو حاولنا معرفة السبب في هذه الأحكام ، لكان في تصور من قالوا بها - مرتبطاً في الغالب بالأوضاع السياسية للدولة الإسلامية .

هذا الربط بين السياسة والأدب هو الذي كان من وراء بعض التفسيرات الخاطئة وهو الذي أبعد أدب الحروب الصليبية عن مناقشة الضوء ، علماً بأن أدب هذه الفترة أدب خصب ، ذو أهمية خاصة نظراً لما يرتبط به من صراع طويل مريب بين أميين وحضارتين .

وهنا نقسمال ، حتى لو سلمنا بأن هذا العصر عصر تمزق سياسي ، هل كل ضعف سياسي ينتج عنه ضعف في الانتاج الأدبي ؟ والجواب - بالطبع - لا ، ويمكن تقديم الشواهد على ذلك من أدب الشرق وأدب الغرب على السواء .

والحقيقة ، أن الذين وصفوا هذا العصر بالجمود ، إنما أطلقوا أحكامهم بناءً على تصور خاطئ ، ولم يعنوا أنفسهم بأحتمال مشاق البحث والتثبت ، حتى كأن الظاهرة أشهر من أن تحلل أو يبين لها سبب ، ولو رجعوا الى ما وصلنا من أدب هذه الفترة لتبينوا ما في أحكامهم من خطأ ، وذلك لأنهم أصدروا حكماً دون التثبت من صحتها . مخالفين أصول المنهج العلمي السليم ، مما نتج عنه تصور بقي مقبولاً حتى وقت قريب .

وقد كان للجامعة الأردنية الفضل في طرح مساقات يُدرّس فيها أدب هذه الفترة وذلك منذ عام ١٩٧٣ ، حين أعتد قسم اللغة العربية تدريس مادة : أدب الحروب الصليبية . ضمن المواد الأدبية التي يدرسها . وقد لاقت هذه المادة اقبالاً جيداً من الطلاب وذلك لأنها مادة جديدة ، ومرتبطة بأوضاع قائمة في زماننا هذا . وتبين من دراسة هذه المادة خصب الانتاج الأدبي في هذه الفترة ما جعل الطلاب يعتقدون أن تضاعف جوانب الحياة فيها ، لتتال من العناية ما نالته الفترات الأخرى .

ومعد دراسة تاريخ القرنين السادس والسابع الهجريين ، وما دار فيهما من صراع مريع ، وجدت رغبة ملحة في نفسي - لا سيما بعد نصيحة أستاذي :

الدكتور عبد الكريم خليفة * والدكتور محمود إبراهيم - بأن استقصي صوره هذا المصراع *
 وصورة المحتلين * فكانت هذه الدراسة بعنوان : " صورة الصليبيين في الادب العربي " .

ومما قوى هذه الرغبة في نفسي * هذا التشابه بين الاوضاع القاسية التي مرت بها
 أمنا * والاضاع التي تمر بها حاليا * فقد تعرضت الامة فيما مضى لنزوة استعماري استيطاني
 استهدف الارض والانسان * وحاول بكل ما أوتي من قوة وجبروت * أن يخلق جذور هذه
 الامة من الارض المقدسة * وقد أحرز فعلا نجاحا كبيرا فيما حاوله * فاحتل أجزاء كبيرة
 من أرض المشرق الاسلامي * وبقي خطره يتفاقم الى أن بدأت ردة الفصل الاسلامي للغزو
 التي أنهت بخروج الصليبيين نهائيا من ديار الاسلام .

وفي الزمن الحاضر * غرس في مشرقنا الاسلامي * كذلك * جسم غريب * أبتلع
 أرض فلسطين * ثم تجاوزها الى أرض عربية أخرى * وما زالت أطماع التوسعية تهدد في
 كل تصرف من تصرفاته .

على أن عاملا آخر قد شجعتني على دراسة هذه الفترة أيضا * ذلك هو أنها لم
 تحظ بدراسات كافية شاملة في وقتنا الحاضر * وقد يكون من المفيد أن أقدم استعراضا
 سريعا لهذه الدراسات لكي يبين موقع هذه الدراسة منها :

الدراسة الأولى * هي دراسة الدكتور عبد اللطيف حمزة بعنوان " أدب الحروب
 الصليبية " وقد بين المؤلف في مقدمته أن الكتاب جاء استجابة لرغبة المجمع الملكي
 للغة العربية في مصر سنة ١٩٤٨ " إن دعا الكتاب والمؤرخين الى الكتابة في هذا
 الموضوع الجليل " . وقد احتوى هذا الكتاب عرضا تاريخيا لمراحل الحروب الصليبية *
 ثم ركز على دور مصر في هذه الحروب * وقد أثبت المؤلف عددا من القوائد قيلت فسي
 الممارك المشهورة * وهذا يعني أن المؤلف قد سار على النهج التقليدي في كتابة التاريخ
 الأدبي * وقد قام المؤلف نفسه * كذلك * بدراسة أخرى أسماها " الادب المصري من
 قيام الدولة الأيوبية الى مجي الحملة الفرنسية " (٢) وجاء هذا الكتاب ملخصا للكتاب
 الأول * ولكنه تجاوز الفترة الى ما بعد الحروب الصليبية حتى الحملة الفرنسية على مصر .

والدراسة الثانية * هي : كتاب محمد سيد كياني " الحروب الصليبية وأثرها
 في الادب العربي في مصر والشام " (٣) * وقد احتوى الكتاب عرضا تاريخيا موجزا *
 ودراسة مبسطة عن الحالة الاجتماعية المتولدة عن هذه الحروب في مصر والشام * نسسم
 تعريفا موجزا بأشهر شعراء هذه الفترة وكتابتها .

- (١) د . عبد اللطيف حمزة * أدب الحروب الصليبية * مطبعة الاعتماد * نشر دار الفكر
 المصري * مصر * سنة ١٩٤٩
- (٢) د . عبد اللطيف حمزة * الادب المصري من قيام الدولة الأيوبية الى مجي الحملة
 الفرنسية * مكتبته مصر * مصر * ؟
- (٣) محمد سيد كياني * الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي في مصر والشام
 دار الكتاب العربي * مصر * سنة ١٩٤٩

وفي هذا الكتاب استنتاجات لا تستند الى دليل ، ومنها ما هو مغالطات تحتاج الى برهان (١) ، ولكنه مع هذا ينقل مادة أدبية غزيرة ولو أنه لا يذكر مصادرها .

والدراسة الثالثة ، قدمها د . محمد كامل حسين ضمن كتابه " أدب عصر الفاطمية " (٢) وقد أشار إشارة سريعة الى دور الفاطميين في هذه الحروب .

والدراسة الرابعة ، قدمها د . أحمد أحمد بدوي بعنوان : " الحياة الأدبية بمصر والشام " (٣) وفيها عرض للحياة الأدبية والسياسة والاجتماعية في مصر والشام ، وإلمامة بسيطة بحياة الصليبيين جاء تحت عنوان : " تصوير الفرنج " وقد أهتم على كتاب الاعتبار لأسامقن مقلد ، فذكر الصفات التي أوردتها أسامة باختصار شديد .

والدراسة الخامسة ، قام بها ، أيضا د . محمد كامل حسين بعنوان " دراسات في الشعر في عصر الايوبيين " (٤) وفيها تركيز على الأدب في مصر زمن الايوبيين ، ودور مصر في الحرب ، مع إثبات نصوص شعرية ونثرية عن الممارك التي جرت مع الصليبيين .

والدراسة السادسة قام بها د . عبد العزيز الأهواني بعنوان " ابن سناء الملك ومشكلة الحقم والابتكار في الشعر " (٥) ، وقد وصف هذا العصر بالجمود ، معللا أياه بأسباب عامة قد لا تنطبق كلها على العصر ، ومنها ما لا ينطبق حتى على شعرا ابن سناء الملك نفسه .

والدراسة السابعة ، قام بها ، محمود مصطفى ، بعنوان " الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي " (٦) وفيها ميل عاطفي يتشمل بالإعجاب المفرط بالأدب في هذه الفترة ، وإبراز دور مصر فيه .

-
- (١) الحروب الصليبية في الأدب العربي في مصر والشام ١٩٦١ ، ٣٩٦ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٠ .
- (٢) د . محمد كامل حسين ، أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٥٠ .
- (٣) د . أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية بمصر والشام ، مكتبة نهضة مصر ، مصر ، ١٩٥٤ .
- (٤) د . محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الايوبيين ، دار الكتاب العربي ، مصر سنة ١٩٥٧ .
- (٥) د . عبد العزيز الأهواني ، ابن سناء الملك ومشكلة الحقم والابتكار في الشعر ، مكتبة الانجلو مصرية ، مصر ، سنة ١٩٦٢ .
- (٦) محمود مصطفى ، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، مصر ، سنة ١٩٦٧ .

والدراسات الثامنة والخامسة قام بهما د . محمد زغلول سائيم ، بعنوان " الأدب في العصر الأيوبي " (١) و " الأدب في العصر المملوكي " (٢) وقد تحدث فيها عن النواحي السياسية والاجتماعية ، وحالة الأدب والأدباء ، وأورد تعريفات سريعة ببعض الأدباء والشعراء .

والدراسة العاشرة قام بها د . عمر موسى باشا ، بعنوان " الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك " (٣) وهي دراسة مسطحة شاملة لفترة الحروب الصليبية وما اكبتها من شعراء أو نثر مع تقويم فني لهذا الأدب .

والدراسة الحادية عشرة قام بها فاروق جرار ، بعنوان " محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره " (٤) وفيها ترجمة للشاعر ودراسة لقصائده .

والدراسة الثانية عشرة قام بها د . محمود ابراهيم ، بعنوان : " صدى الفخزوي الصليبي في شعر ابن القيسراني " (٥) وفيها تحليل لشعره ، ونظر مستفيض في فنه الادبي .

والدراسة الثالثة عشرة قام بها هادي نهر ، بعنوان : " صارك نور الدين في شعر الحروب الصليبية " (٦) وهي رسالة ماجستير لم تلجأ بعد ، وفيها دراسة للشعر الذي مزج نور الدين محمود في حروبه من الفرنج مع نثر سريع في السمات الفنية لهذا الشعر .

مما مضي يتبين أن مجموع الدراسات التي تناولت الفترة بلغ ، فيما أعلم ، ثلاث عشرة دراسة ، كان معظمها يركز على دور مصر في الأحداث ، في حين عرّض بعضها للمادة الأدبية في إطار الأحداث التاريخية . وقد ركزت هذه الدراسات على تصوير الجانب الاسلامي ، أما الفرنج فلم تفرد لهم دراسات خاصة ، باستثناء اشارات غير مستقصية .

وقد يتبادر الى الذهن أن أدب هذه الفترة قد رسم صورة قاتمة للصليبيين ، لأن العلاقات التي كانت قائمة بين المجتمعين هي علاقات دمية ، يسودها الخد والكراهة والام .

- (١) د . محمد زغلول سائيم ، الأدب في العصر الايوبي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٢ .
- (٢) د . محمد زغلول سائيم ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٧٠ .
- (٣) د . عمر موسى باشا ، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، دار الفكر الحديث ، دمشق ، سنة ١٩٦٧ .
- (٤) فاروق جرار ، محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره ، المطبعة التعاونية ، عمان سنة ١٩٧٤ .
- (٥) د . محمود ابراهيم ، صدى الفخزوي الصليبي في شعر ابن القيسراني ، المكنسب الاسلامي وكتبة الاقصى ، دمشق ، عمان سنة ١٩٧١ .
- (٦) هادي نهر ، صارك نور الدين في شعر الحروب الصليبية ، جامعة القاهرة ، قسم ١٩٧٥ سنة ١٩٧٥ .

ولكن ، بعد دراسة المادة ، ظهر لي أن هذا الصراع الديني ، الذي صورته أدب هذه الفترة قد قدّم في صور متعددة ، منها ما يتعلق بمظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للفترة ، ومنها ما يتعلق بالعلاقات بينهم وبين المسلمين خلال فترات الهدوء الموقّعة التي كانت تعقد بين الطرفين .

وبعد جمع المادة الشعرية والنثرية من المصادر الأساسية تمت دراستها وتحليلها ثم تصنيفها إلى فروع تشكل الإطار القلي لصورة الصليبيين في الأدب العربي .

ولما كانت المادة واسعة والشواهد كثيرة ، فقد أوردت بعض الشواهد وأحسنت القارئ إلى مصادر الشواهد الأخرى بحسبة الإشارة .

وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة أبواب وخاتمة ، أما الباب الأول فقد تحدثت فيه عن الشرق الإسلامي قبيل الغزو الصليبي وأوضحت فيه الحالة السياسية في العراق وسلاسل الخلفاء ومصر . . . ودور كل منها في الحروب الصليبية ، كما أوجزت أوضاع الغرب الأروبي قبيل الغزو ، والأسباب التي دفعتهم إلى مهاجمة الشرق الإسلامي . . . وحددت في هذا الفصل المضائق التي تعرضت للغزو ، وما نتج عن هذا الغزو من آثار . . . وأما الباب الثاني فقد بينت فيه نظرة الإسلام للصراع ، ووجدت أنها نظرة دينية لصراع حربي ، أسهب الأدب في توضيح عناصره ، فوصف الجيش الصليبي وقوته وأعداداته ، وأسلحته ومعداته ، وتاريخه وتخصياته ، ومعاركه وخطاه . . . كما أوضح خدائهم هؤلاء الغزاة على الإسلام والمسلمين والبلاد الإسلامية جميعها .

وقد صور الأدب كذلك ، حياة الصليبيين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكانت صورة الحياة الاجتماعية فيه أوضح من صورة الحياتين السياسية والاقتصادية .

وأما الباب الثالث فقد اشتمل على دراسة غنية للشعر والنثر ، وما احتواه من خصائص ثم مقارنة بين أسلوب الشعر والنثر في تقديم صورة الفترة . وأما الخاتمة فقد اشتملت فيها على نتائج البحث ، وما توصلت إليه من حقائق ، ثم انتهت بمقدمة ملحق .

١ . ملحق شعري : وقد رتبته حسب رتبات الشعراء ، ما أمكن ، وأن تبذرت بمرقة سنسة الوفاء كنت أدري الشعر حسب السنن التي قيلت فيها القصيدة أو القصائد . وفي الملحق هذا النظام أوردت القصائد مرتبة حسب القوافي ترتيباً أبجدياً .

٢ . ملحق بحضاني المصطلحات الحربية المستعملة آنذاك .

٣ . قوائم بحكام المسلمين والصليبيين في فترة الصراع .

٤ . جدول بتحويل السنوات الهجرية إلى ميلادية .

٥. الشرائط وهي أربع : توضح الأولى منها الحروب الصليبية بشكل عام ، وتوضح الثانية الإمارات الصليبية الأربع ، وتوضح الثالثة مشاكلات الصليبيين بعد معركة حطين ، وتوضح الرابعة أسماء الأماكن التي جرت فيها المصارك أو التي ورد ذكرها في الشعر أو النثر .

أما المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة فهي كثيرة ، بسبب طول الفترة واتساع ميدان الصراع ، . . . ولذلك سأقتصر على أهم منها ، والباقي يجده القارئ في فهرس المصادر والمراجع :

١. الدواوين الشعرية :

١. **ديوان ابن الخياط** : - ٥١٧ هـ وفيه قصيدة تسجل الأحداث الأولى للحروب الصليبية .

٢. **ديوان ابن القيسراني** : - ٥٤٨ هـ وفيه عدد من القصائد التي تصف المعركة الاجتماعية وما زان الديوان به في دولها .

٣. **ديوان طلائع بن رزيق** : - ٥٥٦ هـ وفيه قصائد عن غزوه مع الفرنج ، واستحثاث لنور الدين محمود على تعاون مصر والقائم في الصراع القائم ضد الفرنج .

٤. **ديوان أسامة بن منقذ** : - ٥٨٤ هـ وفيه مراسلات بينه وبين طلائع بن رزيق حول الحروب والمحت على القسام بين مصر والشام .

٥. **ديوان ابن الساطي** : - ٦٠٤ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين

٦. **ديوان ابن سناء الملك** : - ٦٠٨ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين .

٧. **ديوان غنيان الشاغوري** : - ٦١٥ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين .

٨. **ديوان ابن النبيه** : - ٦٢٠ هـ وفيه قصائد عن معركة دمياط زمن الملك الكامل بن المنصور .

٩. **ديوان ابن مطروح** : - ٦٤٩ هـ وفيه قصيدة عن حصار دمياط سنة ٦٤٧

١٠. **ديوان ابن دنيير** : - ٦٥٠ هـ وفيه عدة قصائد عن حصار دمياط سنة ٦١٤ وما زال الديوان مخطوطا في المكتبة الظاهرية بدمشق .

١١. **ديوان البهاء زهير** : - ٦٥٦ هـ .

١٢. **ديوان البوصيري** : - ٦٩٦ هـ وفيه قصائد طويلة تحمل طابعا دينيا وأصحا هذا بالاشارة الى ثمانية دواوين أخرى أحبر إليها في قائمة المصادر والمراجع .

المصادر الأدبية والتاريخية مرتبة حسب وفيات أصحابها :

ب.

١. **الإيجسار** لأمامة بن منقذ - ٥٨٤ هـ وقد صور فيه بعض النواحي الاجتماعية غسي حياة الصليبيين والمسلمين في عصره ، وتحتاز كتابته بالصدق والواقعية ، نظراً لمعاشرته للفرنج مدة طويلة .
٢. **التقسيم** القدي في الفتح القدسي للمصطفى الأصفهاني - ٥٩٧ هـ وقد حسوى تاريخ سبعة أعوام ابتداء من عام ٥٨٣ هـ وفيه وصف دقيق لبعض عادات الفرنج بلغة بدوية مزخرفسة .
٣. **شمسة** النشر وجريدة العصر للمصطفى الأصفهاني - ٥٩٧ هـ وتقع في خمسة مجلدات مقسمة على بيئات مختلفة منها الشام ، مصر والعراق ، وتحتوى هذه المجلدات تراجم أدباء القرن السادس عشر من عاصرو المؤلف ، ومنتخبات من إنتاجهم .
٤. **رحل** ابن جبير - ٦١٤ هـ وقد وصف فيها حال بعض بلدان الشام زمن صلاح الدين ، ما كان منها في حكم المسلمين ، وما كان منها تحت الاحتلال الصليبي وأورد وصفاً حياً لبعض عادات الصليبيين كما شهد لها في الأرض المحتلة .
٥. **الكامل** لابن الأثير - ٦٣٠ هـ ويحتوى تاريخاً لأحداث الحروب الصليبية ، وبعض القصائد التي قيلت في الحروب .
٦. **النسب** واد السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ليهاء الدين بن شداد - ٦٣٢ هـ وقد ألفه عن صالح الدين ، وقسمه الى قسمين : الاول : في مولده ومنتشئه وخصائصه والثاني : في تقلبات الاحوال به ووقائعهم ، وفيه وصف للصليبيين وأدواتهم القتالية وخططهم الحربية .
٧. **رسم** حلب بن تاريخ حلب لابن المديم - ٦٦٠ هـ ويحتوى تاريخاً لأحداث الحروب الصليبية .
٨. **كتاب** الروضتين في أخبار الدولتين وكتاب الذيل على الروضتين لابي شامة المقدسي - ٦٦٥ هـ ويحتويان مادة شعرية ونثرية ضخمة جداً . ويستند المؤلف في أخباره على المؤرخين الذين سبقوه وعلى دواوين السرا ، وقد حُفَّت كثيراً من النصوص من الضياع .
٩. **الفوائد** الجليلة في الفرائد الفاصرية للملك الامجد الحسن بن داود - ٦٧٠ هـ وهو مخطوط في دار الكتب المصرية ، ويحتوى عدة رسائل لوالده ، ومنها تلك التي بعثها الى الملك الصالح أيوب يحرضه على قتال الفرنج .

١٠. تشريف الايام والمصور لابن عبد الناصر - ٦٩٢ هـ وهو في حيرة الملك
المصور وفيه توضيح للسنوات الاخيرة من الحروب الصليبية .
١١. مفرج الكرب في اخبار بني أيوب لابن واصل - ٦٩٢ هـ ويقع في أربعة
مجلدات ، يتحدث فيها عن الملوك من بني أيوب ، وفيه شعر مرتبط
بالاحداث المهمة .
١٢. نهاية الارب للنويري - ٧٣٢ هـ وهو في ثلاثين مجلدا وقد اعتمدت على
الاجزاء التالية : الثامن ، والسابع ، والثامن ، وهي مطبوعة والجزء
السابع والعشرين وهو مخطوط ، وفي هذه الاجزاء بعض الرسائل
والمصاحفات المرتبطة بالحروب الصليبية .
١٣. تاريخ ابن الفرات - ٨٠٧ هـ وهو في عدة مجلدات ، وفيه تاريخ
للحوادث وذكر للاشعار التي ترتبها ببعض هذه الحوادث .
١٤. عقد الجمان للمبضي - ٨٥٥ هـ وهي أجزاء كثيرة ما زالت مخطوطة
بمدار الكتب وفيها ، بعض القصائد التي لا توجد في المؤلفات الاخرى
هذه بعض المصادر الاساسية التي اعتمدت عليها ، ويجد القارئ مجموعة كبيرة
في قائمة المراجع والمصادر ، وهناك مصدران فرنسيان معاصران للحروب الصليبية ، لا بد
من الاشارة اليهما وهما كتاب مؤرخ مجهول حقيقته د . حسن حبشي وفيه وصف لبعض
الاحداث والكتاب الثاني هو مذكرات كتبها جوفانفيل أحد مرافقي الملك لويس التاسع
الفرنسي في حملته على مصر .
- ومما يجدر ذكره أن المصادر العربية تتميز بدقتها ودقتها وقد نوه كل مسر
ها ملتون جب وقلب حتي بدقة هذه المصادر .
- هذا وقد اعترضني بعض الصحوات في هذه الدراسة ، أهمها : أنها
تشتمل الشعر والنثر معا ، وتستغرق فترة الحروب الصليبية كلها في بلاد الشام ومصر
مع أن اللام المحدد يضيّق عن الوفاء بما تتطلبه دراسة واسعة كنهذه ، لا سيما أن بعض
المخطوطات لم يتيسر لي الحصول عليها في الأردن ، مما اضطرني الى السفر الى سوريا
ولبنان ومصر ، وكان من فضل الله علي أن اقترن السعي بالتوفيق فله الحمد على ذلك .
- ولا يفوتني أن أشكر أستاذي الفاضل د . محمود ابراهيم الذي أشرف على
هذه الرسالة ، فأبدي توجيهاته وأرشاداته وأضني الصغار والزلل ، وقدّم لي بعض
المصادر التي تمدر الحصول عليها لولاه .

وأخيرا ، أقول ما قال المصنف : " إنني رأيت أنه لا يكتب لنفسه كتابا في يومه إلا قال في غيبه ، لو غير هذا الكتاب أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن ، ولو قسم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذه أعظم المبر ، وهو دليل على استيلاء النفس على جملة البشر . "

فأحمد الله إن أصبت ، وأعذر للقاري إن أخطأت ، وط توفيقسي ، إلا لله
عليه توكلت وإليه أنسب ...

عبد القادر أبو شريف

الجامعة للأردن

١٩٧٧ / ١٩٧٨ م

المصباح الأول

توثيق تاريخية

- الفصل الأول : المشتري الإسلامي قبيل النزول الصليبي
الفصل الثاني : الغرب الأوروبي قبيل النزول الصليبي
الفصل الثالث : الصراع : ميدان وزبانية
-

المشرق الاسلامي قبيل الفسوز الصليبي

شهد القرن الرابع الهجري / الماخر الميلادي ، صراعا عنيفا بين الروم والمسلمين تمكن الروم خلاله من السيطرة على أجزاء من بلاد الشام ، ولم تكد الدولة الفاطمية في وجهه الغزو البيزنطي لاحتلوا بلاد الشام حتى القدس (١) ، وقد ساعد على ذلك هذا الغزو كذلك انشغال الامبراطور البيزنطي باسل الثاني بشؤون أرمينية ، إذ كانت تمر بمحلة ضعف أخرى الامبراطور بها ، فضمها الى مملكاته ، وأقام فيها الحاميات وأنفق عليها الاموال الطائلة لئلا تليجبنها مخاطر القوى الاسلاميه ، ولكن مساهمتها الفاسدة ، وضعفها الذي ساعد على تمكن الروم من احتلالها ، جعل هذه الخطوة غير مضمونة العواقب بالنسبة الى الدولة البيزنطية ، فقد ظهرت مخاطر تهدد كيان الدولة البيزنطية من الشطال بسبب الغارات المتكررة التي قام بها الهلغار ، مما سبب هجرة المواطنين في البلقان ، وترك الأراضي الزراعية ، فحسرت الامبراطور عد حملات أيوتف هجمات تلك القبائل (٢) ، وفي الوقت نفسه ظهرت قوة أخرى غربي المشرق من أخلاط القبائل التركية ، كانت تعتمد في مسيحتها على الاغارة والنهب ، حتى دخلت ديار الاسلام فأسلم زعيمهم سلجوق بن دقاق * ، وأقام بنواحي بخاري حتى مات ، فخلفه ابنه ميكائيل * ، وبعد موته تولى الأمر ابنه طغرل بك (٣) .

انتبهز طغرل بك تصاريح القوى في فارس وال عراق ، غطى نحو الخزنويين لقرتهم إليه ، ضد الهويين ، وقد حقق الخزنويون انتصارات وسعت مملكتهم ، لكن طغرل بك لم ينله منها شيئا ، فعمد الى استمالة التركمان في نواحي خراسان مما زاد من قوته ، وحدته نفسه بالانفصال عن الخزنويين ، فأحس السلطان مسعود الخزنوي - خليفة السلطان مسعود الخزنوي - خطره النوايا ، وجهز جيشا ليقاوم الاعتداءات السلجوقية على مملكته ، فالتقى مع السلاجقة في سمرقند دانهانقان ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م ، وكانت الدائرة عليه ، فاستولى السلاجقة على مملكتهم أملاكهم (٤) ، وأحصر نفوذ الخزنويين في أفغانستان (٥) .

(١) سعيد عبدالفتاح طهور ، الحركة الصليبية ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية

القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ٦٥ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ، ص ٦٨ ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

(٣) كان له من الابناء : أرساذن ، وميكائيل ، ويوسى ، أنظر السلوك لمرتنة دون المسموع ج ١ ، ص ٣٠ .

* كان له من الابناء : بيغو ، طغرل ، ينان ، جفري ، بيا ، داود ، أنظر المصدر السابق ج ١ ، ص ٣٠ .

(٤) ابن الجا طبا ، الفخرى في الاداب السلطانية ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩٣ .

(٥) التسيهي ، أخبار الدولة السلجوقية تحقيق محمد آتبال ، لاسور سنة ١٩٧٧ ، ص ١٩٤ .

(٦) سعيد فاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ٧٦ .

اندفع السلاجقة حينئذ بزعامه طغرل بك يتوسمون على حساب دولتي المسلمين والبيزنطيين ، اللتين كانتا تعيشان مرحلة تفكك وصراع داخلي ، بينما اجتمع للسلاجقة عدة محركات منها القيادة الطموح ، والقوة الضاربة ونشوة الانتصارات القتالية .

وحدث أن تجبر البوسنيون وأرضوا أهل السنة على الاشتراك في أعياد الشيعة مما أدى الى الفتنة في العراق (١) ، فأسس طغرل الى بغداد وأزال دولة بني بويه ، وقدم الولا الرمزي للخليفة الذي أنصم عليه بلقب أمير المسلمين ونائب وصي أمير المؤمنين (٢) وحدث أن أستقر الأمر في بغداد توجه الى نصيبين " وديار بكر " ، فضمها الى ملكه ، واستولى على الموصل وولى عليها أخاه (ينال أبراهيم) (٣) ، وكان قد سيطر على أجزاء واسعة من فارس وشمال العراق ، وأتخذ أصفهان عاصمة له (٤) .

لكن أنصار بني بويه في بغداد لم يقفوا مكتوفي الأيدي بعد تدمير دولتهم ، إذ قام أحد قادتهم ويدعى " البساسيري " بتكوين جماعة تدعو الى الثورة على الخليفة العباسي واتصل مع الخليفة الفاطمي كي يساعده في إعلان الحكم الفاطمي في بغداد . وحسين أنصم في نفسه القدرة عزل الخليفة العباسي ودعا للخليفة الفاطمي ، فعادت الفتنة الى بغداد (٥) .

وحين علم طغرل بك بفتنة البساسيري ، قدم ثانية الى بغداد وقضى عليه سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وأعاد الخليفة العباسي الى كرسي الخلافة ، مما جعل الخليفة ينعم عليه بلقب ملك الشرق والغرب ، كما دعا به السلطان مكافأة له على ما أسداه من مصروف (٦) لكن طغرل بك كان بعيد النظار ، فأراد أن يسبغ على حكمه شرعية أكثر ، فطالب من الخليفة أن يزوجه ابنته ، وما كان الخليفة ليستطيع أن يرد طلب الحاكم الفعلي لبغداد حتى نسي المسائل الشخصية ولكن موت طغرل أنهى أخراج الخليفة وعادت ابنته من " الرمي " بعهد وفاة طغرل سنة ٤٥٥ هـ (٧) .

محمد موت طغرل بك بالزوي خلفه ابن أخيه - محمد الدولة أبو شجاع محمد السب أرسلان* وقد سار على نهج عمه طغرل بك في التنظيم الداخلي والفتوحات الخارجية .

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، دار صادر ، ودار بيروت سنة ١٩٦٦ ج ٩ ص ٥٩٣ .
 - (٢) عهد القادر يوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، بين القرنين الحادي عشر والثامن عشر ، المكتبة المصرية ، صيدا سنة ١٩٦٩ ص ١٧ .
 - (٣) العقري ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ت محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٣٤ ج ١ ق ١ ص ٣٦ .
 - (٤) المصدر السابق ص ٣٦ (٥) الكامل ١٠ / ٦٤٠ - ٦٤٢ .
 - (٦) علاقات بين الشرق والغرب ص ١٨ .
 - (٧) السلوك ج ١ ق ١ ص ٣٣ ، وانظر ستيفن رتسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله السيد الباز المصري ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٦٢ ج ١ ص ١١٥ .
- * الب أرسلان هو ابن جفري بن داود بن ميخائيل من سلجوق ، وسبب توليته هو أنجب طغرل ورثا .

مستفيدا من قوته التي ازدادت بسبب الفتوحات السابقة وضعف البلدان المجاورة . كما تابع فتوحاته في أرض أرمينية فأحتل "آني" و"قارس" وهما الساممتان التديمتان لأرمينية مما جعل الطريق مفتوحة الى الأناضول ، كل ذلك وأمبراطور بيزنطة قسطنطين الخامس دوقاس لا يحاول صد الهجمات (١) مما أتاح الفرصة للسلطان ألب أرسلان لأن يوطد قدميه في المناطق التي ياحتلها مخالفا بذلك ما كان يحدث في عهد سلفه من الأباطرة .

وفي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م تولى العرش البيزنطي أمبراطور جديد عمل على تقوية الجيش وإعداده بالمرتزقة من التركمان والنورمان أملا في أن يستطيع درء الخطر السلجوقي الذي أضخى يهدد عاصمة بلاده ، وقد تمكن الأمبراطور رومانوس ديوجين الرابع من ذلك فصد الهجمات السلجوقية ، بل وتمكن من استرجاع بعض المدن (٢) مما شجعه على الاستمرار والمضي قدما لاسترجاع أرمينية ، فخرج بجيش قوامه مئة ألف مقاتل (٣) وفي تلك الاثناء كان الأمير ألب أرسلان منهكاً في مواصلة ضم الاراضي في بلاد الشام حيث أخضع حلب ، وأمر عليها صاحبها محمود بن نصر المرداسي ، ثم بحث جيوشه بقيادة "اتمز" فأستولت على القدس والرملة وأنتزعتها من أيدي الفاطميين (٤) ، كما واصلت زحفها لتستولي على مكة والمدينة بينما قام بحاصرة دمشق بنفسه (٥) ، وفرض عليها محيضة اقتصادية سيئة ، فخلع عنها الحيرة ورعى الزرع وازداد غلاء الاسعار فيها ونزع أكثر سكانها عنها (٦) ، ولكنه حينما سمع بتحركات الأمبراطور البيزنطي كز راجعا الى أرمينية ، والتقى الجيشان السلجوقي والبيزنطي في "ملاذكرد" ، وكان أن انسحبت الفرق التركمانية من الجيش البيزنطي ، مما نتج عنه ضعف روح البيزنطيين المعنوية ، لكن ذلك لم يوهن من عزيمة الأمبراطور بل بقسي مصحبا على القتال الى أن دارت الدائرة عليه ، وقتل معظم جنده وتمكن أرسلان من القبض عليه أسيرا (٧) .

وقد كان لهذه الموقعة آثار متعددة : منها تردي الروح المعنوية ضد الروم ممسا اضطرهم الى الاستجداد باللاتينيين (الفرنج) رغم ما بينهما من عدا ، وهذا كانت سببها مباشرا من أسباب الحروب الصليبية (٨) ، ومنها ، تدخل السلاجقة في شؤون الدولة البيزنطية ، ومنها ، ازدهار دولة السلاجقة واتساعها ، وقد نتج عن هذا الاتساع فيما بعد انقسامها الى ثلاث دول هي : دولة سلاجقة الروم ، ودولة سلاجقة الشام ، ودولة سلاجقة فارس

(١) الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٢ (٢) الكامل ج ١ ص ٦٠

(٣) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٥

(٤) الفارقي ، تاريخ الفارقي ، ت بدرى عبد اللطيف ، بولاق ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٤٢٢

وانظر ابو الفداء ، مختصر في تاريخ البشر ، المطبعة الحسينية مصر ، ٩٠ ج ٢ ص ١٨٧

(٥) تمارا تالوت رايس ، السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري وابراهيم

الداقوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٨ ص ٢٣

(٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الالباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ ص ٩٨-٩٩

(٧) الكامل ٦٦/١٠

(٨) The Ency. of Islam , Malazgerd

وقد ازدهرت الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه بن ألب أرسلان حتى بلغت الذروة بفضل هذا الملك، ويُنسب وزيره نظام الملك الذي عرف بحسن إدارته وصحة أفكاره، فعمل على إيجاد نهضة علمية وعمرانية أم تشهد لها المنطقة منذ مدة طويلة.

أما ملكشاه فقد نذر نفسه لاستكمال الفتوحات، حتى بلغ به الطموح أن ينكر بنفسه أقاليم الدنيا (١)، ولذلك اعتمد على قادة أقوياء أوكل لكل منهم منطقة معينة، فجعل الأمير برسق المنطقة الروم، فغزاها وأقر على قسطنطينية جزية بلغت "ثلاثمائة ألف دينار للملطان وثلاثين ألف دينار يؤديها الرومي بالصغار والهرمان" (٢) كما جعل أخاه تاج الدولة تنكش مسؤولاً عن أقاليم الشام يساعده في ذلك أمير الرها "بوزان"، وأمير حلب "أق سنقر"، حتى إذا استكملوا أقاليم الشام توجهوا نحو ديار مصر ثم بلاد المغرب (٣).

ولعله فضل ذلك بناءً على تصور لماضي العالم الإسلامي زمن طرون الرشيد، فأراد أن يسيد مجد الدولة الإسلامية من الناحية السياسية على يد قاداته النظام، ومن الناحية العمرانية على يده وزيره نظام الملك (٤).

أما عن توسعات السلطنة في الجهات الغربية من أرض الروم (٥)، فقد تولاها سليمان بن قتلش بن إسرائيل بن سلجوق "أحد أقاليمه بحيث أصبحت الدولة السلجوقية تضم ما يقرب من ثلاثة أرباع آسيا الصغرى وأمدت دولة السلطنة بذلك في منطقة تقع ما بين حدود الصين شرقاً إلى بحر مرمرة غرباً (٦).

وأخذ سليمان بن قتلش مدينة نيقية مركزاً له، وضم إليها ولاية نيقوبديا، ومنها راح يهاجم أرض الروم، يساعده في ذلك أمير أزمير، وقد استطاع بعد أن أنشأ أسطولاً أن يهدد القسطنطينية وأن يحتل بعض الجزر القريبة من شواطئ آسيا الصغرى، وما سهل على سليمان هذا التوسع التدرجي السياسي الذي كانت تمر به الدولة البيزنطية، حتى بلغ الأمر ببعض الأباطرة أن يستنجدوا بالسلطنة مقابل السكوت عن ضم بعض الأراضي البيزنطية (٧).

(١) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر ١٩٠٠ ص ٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٦٥ و ٦٦

(٣) المصدر السابق ص ٦٦

(٤) رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عباد الدين زنكي، دار النهضة / بيروت ١٩٧٠ (ص ٣١٣)

(٥) سعيد عبد الفتاح، آشور، الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٧

(٦) ابن المبرق، تاريخ مختصر الدول، مطبعة الأنوار، طبعاني، المطبعة الكاثوليكية / بيروت ١٩٥٨ ص ١٨٦، أنظر حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧١ ج ١ ص ٩٥

(٧) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٩ و ٩٠

إلا أن هذا التوسع حمل معه بذور التطور السياسي ، فقد تشكل من البيزنطية السلجوقي ثلاث دول هي : دولة سلاجقة الروم بقيادة سليمان بن قتلش ، ودولة سلاجقة الشام بقيادة قتلش بن ألب أرسلان ، ودولة سلاجقة فارس بقيادة ملكشاه بن ألب أرسلان .

وفضلاً عن هذا الانقسام فقد دب الخلاف بين أمراء السلاجقة ، إذ اتجه سليمان بن قتلش إلى التوسع على حساب أبناء عروته في الشام ، فأصدام من قتلش قرب حلب ، حين أراد سليمان ضمها إلى ممتلكاته ، فأستنجد صانعها بقتش ، فأجده وتمكن من قتل سليمان سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م (١) ، وقد كان مقتل سليمان بداية اضطراب سلاجقة الروم ، إذ إن ابنه ترك طفلاً صغيراً اسمه قلق أرسلان ، لا يقدّر على أعباء الحكم ، وحين قدم ملكشاه ليتسلم حلب من أهلها أخذ معه هذا الطفل وطاف إلى فارس ، ليقيم تحت رقابته ، مما أفسح الفرجة لبعض أمراء التركمان للظهور (٢) .

ومن الامارات التي ظهرت : إمارة نيقية ، وإمارة أزمير ، وإمارة كبادوكيا وقد حاول أمير نيقية التوسع على حساب سلاجقة فارس ، فوجد له ملكشاه خطة تديبية فأستنجد بالمهاطوري الروم " ألكسيوس كومنين " الذي أختم الفرصة ليزيد الفتنة اشتعالاً وبالتالي يغزو له الجيوش المنتقم منهم جميعاً مستفيداً بلاذ ، حتى بلغ به الأمر أن رفض عرضاً من سلاجقة فارس يقضي بأن ترد له بعض الأراضي على أن يتخلى عن مساعدة أبي القاسم أمير نيقية (٣) ، وما لبثت النزاع أن نشب بين سلاجقة فارس والشام ، وسبب ذلك أن أهل حلب أعتصموا عن تسليم بلد لهم لتتشر بعد انتصاره على سليمان بن قتلش ، وأنها أرسلوا إلى ملكشاه ، فتسلمها منهم جميعاً ، وضحها لتواجهه قسيم الدولة آتسغر ، ثم تابع سيره إلى أنطاكية وتسلمها من الحصن بن طاهر وزير سليمان بن قتلش ، وولى عليها مؤيد الدولة ياغوسيان وبعث إليها تحت أبرة تايغس القاشد بوزان ، وبذلك لم يبق لقتش سوى دمشق وفلسطين التي كان يحكمها الأمهارة ، ثم أبنسه ملكمان الأول (٤)

ولما أدرك قتلش أن الصدام المسلح لن يجدي ، ذهب إلى أخيه ملكشاه في بغداد سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، وسأله التوسع في بلاد الشام على حساب الفاطميين فافهمه بأمره فطلب وأنطاكية والرها (٤) ، ولم يتوقف الخلافات عند هذا الحد ، إذ إن وجود السلطان ملكشاه شغف من حديثها ليس إلا ، إذ أنه عمل على أرضاء أخيه قتلش ، كما عمل على استئطاب أبناء عروته فسي الاناضول ، ولكن تلك الدولة السلجوقية تهدد للامسيان ، بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م

(١) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ الأيوبيين ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ٩٠

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٣

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٥

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

وخلف ملكه أخته أمية هم محمود وبركساروق وصعد وسنجر ، وقد تمكن بركساروق من الاستيلاء على معظم أجزاء الدولة (١) .

وعندما علمتش بحوت أخيه ملكها طعن في أن يكون له نصيب في تركته ، فتجهز نحو حلب ، وفيها الأمير آقسنقر ، فسلمها إليه ، وحذا عذوه كل من أمير أنطاكية ياغوسيان وأمير الرها بوزان ، ثم جهز جيشا وسار به شرقا يريد أرض فارس التي يحكمها ابن أخيه ، وفي طريقه أخضع بعض المدن ، ثم دخل أرض فارس ، وهناك تعرض له بركساروق ، وكان أن انحاز كل من أمير حلب والرها إلى جيش بركساروق ، مما اضطر تنش إلى العودة إلى الشام لمعاينة الأميرين ، وتناول بركساروق أن يبعد الأميرين ، فبشر كان على رأسه كبريائه ، لكن تنش تمكن من إيقاع الهزيمة بهم (٢) .

وبعد أن أخذ تنش هذا المعركة الانشغالية ، أعاد الكرة إلى فارس ، واستولى غربي طورق على الجزيرة ، وديار بكر خلافاً لحوالي الخطبة في بغداد (٣) ، ثم تابع زحفه إلى فارس فأحاط هذان والسوي ، فتصدى له بركساروق ، وقد انضم إليه جيش أخيه محسن بن محمود ، واستطاع أن ينزل بجيش تنش هزيمة ساحقة ، تمكن من قتله هو ونواصب (٤) ، وبعد مقتله ترددت الأحوال في الشام ، فوجد أن تنش خلف ولدين هما رضوان ودقاق ، فأخذ الأول حلب (١٠٦٥ / ٤٨٨ - ١١١٣ / ٥٠٧) وأخذ الثاني دمشق (١٠٦٥ / ٤٨٨ - ١١١٤ / ٥٠٨) لكن رضوان حاول أخذ دمشق أيضاً ، فحصل على ثكنين حلبين ، فمحققت حشدته ونجح في هذه المنازعات ، فأنقسم الشام إلى مت دويلات هي : حلب وأميرها رضوان ، دمشق وأميرها دقاق ، القدس وأميرها سكان بن الأرق ، وأنطاكية وأميرها ياغوسيان ، وهذه الإمارات سلجوقية ، وعزل أميرها القاضي ابن عطر الذي استقل عن الفاطميين ، وشيخز وأميرها علي بن منقذ ، وقد أسسها سنة ٤٧٤ / ١٠٨١ م .

وتشكل من هذا الملامات نتيجة الصراع بين الأخوين حلفان متصارعان ، تزعم الحليف الأول حلب بقيادة رضوان ، وألف حوله أراقة وباريكر وقبائل بني كذاب ، وأمارة شيرز ، وتزعم الحلف الثاني دمشق بقيادة دقاق ، وألف حوله أراقة القدس ، وياغوسيان أمير أنطاكية وبينما هم على وشك الالتقاء عند شيرز كانت طلائع الحملة الصليبية الأولى قد شارفت الشام ، فأنصح رضوان إلى حلب وياغوسيان إلى أنطاكية ليحرف على السلطات العسكرية ، أما دقاق فلم يكتف باللقوات الدنازية ، بل راح يهاجم ديار بكر كما انتهز الفاطميون انشغال السلجوقية بعضهم بعضاً فاجتولوا القدس ، وقد خطب رضوان للمستقلي بأمر اللما لفاطمي أربع جموع ، ثم غشي طاقبة ذلك فقطعها ، وأعاد الخطبة الصليبية (٥) .

- (١) الكامل ج ١٠ سنة ٤٨٥ ص ٦١٤
(٢) ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٧ وأنظر الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص ٧٥ ، أبو الفداء ، المختصر ج ٢ ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ابن الوردي ج ٢ ص ٨ ، ٩
(٣) ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٠ ، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٠
(٤) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، المظلمة الوشيبة ، القاهرة ١٨٦٨ ، ج ٢ ص ٩

وهكذا نجد أن السلاجقة أبدوا الدولة العباسية بفترة نشأت بلغت نصف قرن تقريباً لكن تقسيم الدولة على الورثة وما تبعه من منازعات أغتنتها الامراء طور الكيسوس كونهين جـمـسـلـ الاوضاع تنردى ، وتنتهي الظروف المواتية للفرز الخارجي .

ولم يكن التمزق الذي أصاب بلاد الشام بأقل من التمزق الذي أصاب الدولة العباسية والدولة الفاطمية . .

أوضاع الدولة العباسية :

خضعت الدولة العباسية للبهيمية مدة قرن تقريباً (١) ، عملوا خلالها على إضعاف سيطرة الخليفة حتى أصبح أسماً لا مضمون له ، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل تهاجوا المذهب الشيعي ، وقهروا الزعمية ، وبذلك عمت المسيحية ، فلا قيمة للخليفة ولا للزعمية ، مما أدى إلى أعمال نار الفتنة ، لجرت أحداث جسام كان ابتداءها أو آخر سنة ٤٤٤ هـ ، فلما كانت سنة ٤٤٥ هـ هزم الشير (٢) ، وكان قد ظهر في فارس قوة تركية ، تمكن زعيمها محمود الفزنوي (٤١١ / ١٠٣٠) من احتلال إقليم خراسان كما أنتزع من البهيميين جزءاً من عراق المجمع ، حتى شملت رقعة مملكته المساحات الممتدة من آسيا الوسطى مرورا حتى العراق غربا ومن بلاد فارس شمالا حتى الهند جنوبا (٣) .

لكن السلاجقة تمكنوا بقيادة طغرل بك من السيطرة على معظم مملكة الفزنويين ونظموا إلى الأحداث الدائرة في العراق ، إذ كان أمير الأمراء البهيمي الملك الرحيم خسرو خسرو (٤٤٠ / ١٠٤٨ - ٤٤٧ / ١٠٥٥) قد أرغى لقادته السنان ، نجاسوا خاندان الديار ، حتى فكر البساسيري بأن يقضي على الخلافة العباسية ويعلن الخلافة الفاطمية في بغداد لتكسبون تابعة الفاطميين في مصر (٤) ، كما سبق أن أوردنا ، وحينئذ ، تدخل طغرل بك رسمياً ، وقضى على ثورة البساسيري ، وأعاد الخلافة ثانية إلى كرسي خلفائه ، فأعده عليه الخليفة الانقلاب التي لا يملك غيرها ، مما أتاح الفرصة لانتشور أن يتمكن جذوره في بغداد لا سيما بعد ما أحزره من نصر مهنوي ، إذ ازدادت ثقة الزعامة به لأعده الخليفة لما للخليفة من احترام ديني ، فأعلن اسمه في الخطابة ، وقدم أبنة أبيه البساسيري زوجة للخليفة ثم طلب يد ابنة الخليفة لتكون زوجة له (٥) ، لكن موته أوقف نفوذه وخطاه فأكملها ألب أرسلان (٤٥٥ / ١٠٦٢ - ٤٦٥ / ١٠٧١) الذي سار على نهج أبيه فعمل على ترسيخ السلطة في يده بحيث لم يصعد للخليفة حكم (٦) .

- (١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٧٧
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ سنة ٤٥٥ ص ٥٩٣
- (٣) تاج الدين تالوت رايح ، السلاجقة ص ٦٣
- (٤) ابن بطاينة ، المعنى في الآداب السلطانية ص ٣٩٣
- (٥) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٢١٦
- (٦) المقارقي ، تاريخ الفارقي ص ١٥٥ وانظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢١٦

وفي عهد ملكشاه قوى سلطان السلجوقية وتنفذوا في بغداد وغيرها ، حتى أن الخليفة شكاه عبيد العراق الى السلطان ملكشاه (١) ، وقد أخذ السلطان المذكور ببغداد مقرا شتويا له ، بينما جعل مقره الصيفي في أصفهان ، ومن خلال هاتين العاصمتين أدار ملكه ، واتصل باتباعه وقواد في الشمال والشرق ، حتى اتسعت دولته وقويت شوكتها وعززت مملكتها وأستولت في الواقع على الشاه (٢) ، وبذلك حظ هذا أن ملكشاه قد طور نفوذ السلجوقية ، فلم يسهل عمن سلطان من قبل أنه أخذ طاعة له ، بل فعل ملكشاه أكثر من ذلك ، إذ حاول نقل الخلافة الى واحد من نسله (٣) .

وموت ملكشاه فتكثرت الدولة السلجوقية ، كما بينا ، وظهرت مخاطر جديدة ، وتوى قبلية ، نخرت جسم الدولة السياسية ، وحالت دون اضطاعتها بدورها في الحياة الإسلامية . أما المخاطر الجديدة ، فهي ما حصل بين السلطان بركياروق وأخيه السلطان محمد ، فبعد أن هدأت الفتنة بموت تثن في الري ، سيطر بركياروق على فارس والعراق ثانية ، لكن أخاه محمدا لم يحجبه ما ناله من أرض أذربيجان وأرمينية وديار بكر والموصل (٤) ، غشار على أخيه وتكهن من الانتصار عليه في سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ولكن بركياروق ، جمع جموعا عظيمة وأوقع بأخيه محمد هزيمة قاسية ، مما أضطره الى الصلح سنة ٤٩٨ / ١١٠٤ .

وكان العراق وفارس مسرحا لهذه العمليات ، مما أدى الى انتشار الفساد والأوبئة والخراب وزاد في فقر الناس وعدم تحصيلهم للمطالب التي جابهتهم مع قدوم الحملة الصليبية الاولى التي وصلت الى الريا . وأما القوى القبلية ، فقد ظهرت منها توتان ، اولاهما قوة بني مزيد وهي قبيلة عربية عاشت على الضفة الشرقية لنهر الفرات ، وقد تزعمها صدقة بن منصور ابن ديبس بن مزيد الأسدي ، وأتشد من منزلة الحلة التي بناها سنيسة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م قرا له ، وفيها أعلن انفصاله عن الدولة السلجوقية التابعة لبركياروق وأخذ يتوسع في غمرة الأحداث على حساب الدولة السياسية والدولة السلجوقية ، حسنتي أمتدت دولته من هيت الى الكوفة وواسط (٥) .

وكثيرا ما وقعت الفتن في العراق ، حتى وصل بهم الأمر فيما بعد الى أن استنجدوا بالصليبيين للمحاربة على أيانهم .

-
- (١) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج ٦ ص ١٦٤
 - (٢) ابن طباطبا ، الفخر في الآداب السلطانية ص ٢٩٨
 - (٣) ابن طباطبا ، الفخر في الآداب السلطانية ص ٢٩٦
 - (٤) ابن الجبري ، تاريخ مختصر الدول ص ١٢٧
 - (٥) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٦

والقوة الثانية هي قوة الاسماعيلية* ، وزعيمها الحسن بن صباح ، وقد تفاقم خطرنا في عهد المستظهر فأستولت على الحصون والمسلق بغراسان ، وأتصل زعيمها بالفاطميين في مصر ، وعطمت على تهينة الناس للثورة في بغداد ، وقد أستفاد الاسماعيليون من حالة الفوضى التي تمر بها الدولة العباسية والدولة السلجوقية وأخذوا يهاجمون الضياع ويثبون الخوف في نفوس الناس ، يقول الحنبلي (١) في أحداث سنة ٤٩٤ : " كثرت الباطنية بالمصرق والجبل ، وملكوا القلاع وقطعوا السبيل وأهزم الناس من شأنهم واستفحل أمرهم لاشتغال أولاد ملكشاه بنفوسهم " ، ويقول في موضع آخر (٢) : " وعظم الخطب بهؤلاء الملاحين ، وشاغهم كل عالم وأمر لهجومهم على الناس " ، وهذا يدل على أنهم لم يقتصروا بأعمالهم الإجرامية المحكام فحسب ، بل هددوا كل من خالف دعوتهم ، ولذلك كانوا عوناً لم يكن مثله للصليبيين في تهينة الأوضاع وهذا ما عبر عنه : ستيفن رنسيان . بآوله (٣) : " أنهم أغسوا طامة في السياسة الإسلامية ليهنح المسيحيين أنفسهم لا تقديره " وبهين أنهم تعدوا لكل محاولة إسلامية من شأنها جرح شتات الأمة ، وذلك بسدة طرق أهلها أعتيان القادة وهو من أشم أسلحتهم .

هذا مجمل لما كان عليه الوضع في العراق والشام ، خيلاف مستمر ، وحروب ونسار ، وخوف الولاة بعضهم من بعض ، مما نشع عنه أعمال الرعية ، وزيادة تجزؤ بلاد الشام حتى ليخيل للمسافر أن كل بلدة منها تشكل دولة .

وفي هذه الأوضاع المتردية قدمت الحملة الصليبية الأولى ، ولكن كيف كانت الحالة في مصر ؟ ، وما هو دورها في التصدي للحملة الأولى ؟ ، هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الصفحات القادمة .

- (*) الاسماعيلية : فرقة تدين بعبادتي الشيعة المتطرفة ، وتنصب إلى مؤسسها الحسن بن صباح ، وكانت تنادي بأمامة أسماعيل بن . بحفر السادات ، فغرفوا بالإسماعيلية ، وكذلك أطلق عليهم أسماء الجعشيشية لاستعانتهم بالحشيش ، في حوادث القتل ونشر بذخهم سمم . أستولوا على قلعة الموت وهي من أحصن قلاعهم ثم ظهروا في مناطق مختلفة من بلاد الشام مثل حلب ، دمشق ، حرابلس ، بانياس ، . . . وقد تعرضوا لعدة عمليات إبادة لسوء أعمالهم (أنظر : المختصر في تاريخ البشر ج ٤ ص ١١٢ ، ودولة الاتاكية في الموصل لرؤيد الجعيلي ص ٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١ ص ٤٧٢ و ٢٧٥)
- (١) الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، بيروت ٢ / ٤٠٠
 - (٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٤
 - (٣) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١٦٤
 - (٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٠
 - (٥) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٠

بسط الفاطميون نفوذهم في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على مناطق واسعة من بلاد الشام ، تمتد من دمشق الى جنوب فلسطين ، وحاولوا احتلال حلب التي كانت تحت إمرة الحمدانيين فأصل أميرها سعد الدولة بالدولة البيزنطية وبين لهم خطر الفاطميين عليهم اذا احتلوا حلب ، مما جعلهم يتشعرون لمساعدته ضد أية محاولة من جانب الفاطميين لاحتلال حلب (١) . وقد كان اسمع الدولة الفاطمية وضمف السلطنة المركزية وظهور قوة جديدة في الشرق الاسلامي ، أثر كبير في توجيه الاحداث واضعاف الدولة الفاطمية ، إذ من المعروف أن السلاجقة قد سيطروا على فارس والعراق ثم تعركوا نحو بلاد الشام وأملكوا معظمها ، وقد خضعت حلب بسند الحمدانيين لسيطرة بني مرداس الذين حافظوا على استقلالهم مدة نصف قرن ، وسعد أن استولى عليها السلاجقة استطاع صاحبها " أنسرين أوق " أن يستولي على الرملة والقدر ومعظم فلسطين . وما جاء عام ١٢٠٥ / ٤٦٧ حتى استولى على دمشق (٢) ، لكن الفاطميين لم يستكنوا عن أعماله ، لأنها أقتلعت الحكم الفاطمي من فلسطين وهددت كيانتهم في مصر ، فوقف بدر الجمالي أمير الجيوش في وجه هذه القوة الجديدة ، وقد نجح فعلا في إقصاء صاحب حلب عن فلسطين ، كما حاول ضربه في دمشق ، لكن صاحب حلب ، وقد كان من اتباع السلطان ألب أرسلان ، استنجد بالحاكم السلجوقي تتش فقدم الى دمشق في الوقت الذي كان بدر الجمالي يحاصرهما ، فأثر بدر الرجوع عنهما ، وتسلمها تتش من صاحب حلب ، ثم ما لبثت حلب نفسها أن وقعت في يد الأمير مسلم ابن قريش صاحب البوصل وأنطاكية ، وحين حاول سليمان بن قتلمش احتلال أنطاكية ، هرب الأمير مسلم ابن قريش لانجاده لانها له ، فوقع صدام بينهما ١٠٨٤ / ٤٧٨ كانت نتيجة قتله مقتل الأمير مسلم وسقوط أنطاكية بيد سليمان ، ومنها تابن سيره نحو حلب التي كان فيها نائب الأمير مسلم الشريف حسن بن هبة اللطالهاشمي المعروف بالحميتي (٣) ، فاستنجد بتمسش ، فأنجده وقض على محاولة سليمان ، وبذا قويت شوكت تتش وتوسع على حساب الفاطميين في الجنوب ، وولى على القدر راتق التركاني ، هبتت بيد الارائقة حتى سنة ١٠٩٨ / ٤٩١ م حيث قام الفاطميون بانزعابها منهم ، بعد أن أقتل السلاجقة فيها بينهم .

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٦٥

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ ، ٩٩ وأنظر ،

Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages.
Frank Cass and Co. LTD. 1968. p. 161

(٣) ابن المديم ، زبدة الحلب ، من تاريخ حلب ، ص ١٠١ ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٥ ، ج ٢ ص ١٩١

ولم يكن الخليفة الفاطمي بأحسن حالا من الخليفة المباسي ، فكلاهما لا كان حول له ولا قوة ، وكلاهما أحسرت نفوذه ، فاز يستطعن التصرف حتى في الشؤون البسيطة ، وسبب ذلك تنفذ الوزراء ، وما يدل على ذلك أن الخليفة الفاطمي المستنصر أوصى لابنه نزار ، لكن الأفضل بن بدر الجمالي لم يحجبه ذلك فأوصى للمستعلي بالله بدل أخيه ، مما أدى بالتالي إلى فتنة عامة سنة ١٠٩٥/٤٨٨ أنهت بمصر نزار (١)

وقد عمد الوزراء إلى تولية الخلفاء الأحداث ، حتى تكون السيطرة لهم تامة ، وقسمت ظهرت آثار هذه السياسة على الديار المصرية والشامية معا : أما بالنسبة إلى الديار الشامية فقد انقطعت دعوتهم فيها ، وتعددت أطرافها حتى بلغت ستا ، فصار عن القوى الأخرى ، وأما بالنسبة إلى الديار المصرية ، فقد اختلف دولتهم وضعف أمرهم (٢) .

وبعد ما تبين من الحال الذي كانوا عليه ، ليس من الغريب أن يكون دورهم بسيطا في التصدي للحملة الصليبية الأولى ، وأن تكون عملياتهم تجريدة ساكنا يسميها ابن تيمزي " لا يتجاوز عدد رجالها ثلاثمائة إلى أربعمائة " (٣) .

وليس هذا فحسب ، بل تذكر بعض المصادر أن الفاطميين في مصر أرسلوا المسلمين الصليبيين يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكونه ، ويكونوا بينهم وبين المسلمين ، ويذكرهم رعيان أنهم أرسلوا سفارة إليهم بتقسيم أملاك الدولة السلجوقية فيما بينهم (٤) .

ومن هنا لا نستغرب الحملة الشواء التي شنّها بعض الشراء على الفاطميين (٥) .

-
- (١) الكامل ، ج ١ ص ٢٣٧
 (٢) مجير الدين الحنبلي ، الأئمة الجليلين بتاريخ التدوين والخيال ، دار الجيل بيروت ١٩٧٣ ، ج ١ ص ٣٠٧
 (٣) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٤٤
 (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٧٣ ، وأنظر الحروب الصليبية ، ج ١ ص ٣٦٦
 (٥) أبو شامة المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، محمد علي أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ ، ج ١ ق ١ ص ٤٩٦

الفصل الثاني

الحرب الأوروبية قبل النزوح الصليبي

تبين لنا فيما مضى وكيف أن معركة ملاذكرد قد دفعت أباطرة الدولة البيزنطية إلى التوجه نحو أوروبا رغم العداء المذهبي والتاريخي بين الجانبين (١) ، إذ جرت مفاوضات في عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (١٠٧١/٤٦٤ - ١٠٧٦/٤٧٢) مع البابا جريجوري السابع والإمبراطور هنري الرابع الإمبراطورية المقدسة ، وكانت المفاوضات تنجح لولا اختلاف البيزنطيين واللاتينيين حول اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية (٢) ، إلا أن البابا نيه الرأي العام الأوروبي إلى ضرورة أنجاد الإمبراطورية البيزنطية التي تقف وحيدة أمام خطر السلاجقة .

بقي الخلاف مستحكماً زمن ميخائيل السابع وخليفته الإمبراطور ثيوفيلوس الثالث ولكن بعد أن خلع الأخير ، وتولى السرش الكسيوس كومنين * ١٠٨١/٤٧٤ - ١١١٨/٥١٢ * اتخذت المفاوضات طابعاً حماسياً ، لما عرف عن الكسيوس من حنكة سياسية حاز بسببها على رفق قرار الحرمان الذي كان البابا ، أوربان * قد أصدره بحقه ، مما أدى إلى تقارب بين الكنيستين ، تبعه مفاوضات بين الطرفين ، كان أهمها سفارة أرسلها الكسيوس ١٠٩٥/٤٨٩ إلى البابا أوربان يحثه فيها على أنجاد الدولة البيزنطية ضد أعداء المسيحية ، الذين باشروا بهدم دون روما فضلاً عن القسطنطينية (٣) ، فأستجاب البابا إلى طلبه وحث على العمل لإنجاده .

وتد جاءت هذا الدعوة أنقاداً لما تصانته أوروبا من مشاكل وتحققاً لما ترجوه من آمال أما المشاكل التي كانت تصانها أوروبا فمنها أنها كانت تعيش وفق نظام أقطاعي * دمر الحياة الاجتماعية والسياسية مما ، فعندما نجح الأمراء الاقطاعيون في حماية رعاياهم من الهجمات الخارجية ، تحكم هؤلاء الأمراء بالناس فجسروهم خدماً وأقناناً ..

- (١) فهدر ، تاريخ أوروبا المصور الوسطى ، نقله محمد مصطفى زيادة والهاز الصريستي ط ٥ دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ ، ج ١ ص ٤٧٩
 - (٢) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٥
 - (٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٧٨
 - (٤) خدم نظام الاقطاع أوروبا خدمة جليلة في أول عهده ، إذ لم يستطع نظام الإباطرة الوقوف أمام غارات الفرنجة الذين أوغلوا في وسط القارة حتى شرق ألمانيا ، فكان نظام الاقطاع الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذه التنازلات ، إذ أعطى كبار الفرمان أقطاعاً يدافعون عنه .. وكان الرجل السادي إما أن يصبح جندياً يدافع مع غيره عن الاقطاع ، وإما أن يصبح قنصاً يحمل في الأرض .
- انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٢٠ وسعيد عاشور ، حضارة ونظم أوروبا ، دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٧٤ ص ٣٨١

ولم يلبث رجال الدين أن أنجزوا مع التيار الاقطاعي ، فأعتمدوا على الفرسان وجعلوا لهم قدرا عظيما يظهر في طقوس تأهيل الفارس ، إذ يجري تطهيره في الكنيسة بـ "مارك" ، ثم يتناول العشاء الرباني ، ويترك ليحيى ليلته بالصلاة ، فما ينتهي منها حتى تغفر له ذنوبه (١) .

وقد أنقسم المجتمع في ظل هذا النظام الى ثلاث طبقات : طبقة رجال الدين ، وطبقة النبلاء الفرسان ، وطبقة الفلاحين ، وعلى الطبقة الأخيرة كانت تقع أعباء هذا النظام ، أما طبقة رجال الدين ، فقد أنغمس أفرادها في ملاذ الحياة ، وأنخرطوا فيها ، مما نتج عنه مشكلات جديدة ، اتخذت مظهرين : مظهر صراع داخلي في الكنيسة بين رجال الدين أنفسهم ، ومظهر صراع خارجي بين الكنيسة والسلطة الزمنية ، وأما طبقة الفرسان والنبلاء فقد دفعتهم حياة الترف والهدوء الى البحث عن مصادر للدخل تضمن الصيغة التي يتوقنون اليها ، مما أدى الى الصدام بين الاقطاعيات ، فأهمل الأمراء بيضاء الحصون والقلاع ، وحشدوا فيها الصبيد والأتباع ، تحسبا لأي هجوم أو استعدادا للهجوم .

وقد استنزفت هذه الحروب الداخلية طاقة الأمراء والاباطرة ، وكذلك طاقة رجال الكنيسة مما جعل غوستاف لوبون يصف هذه الفترة بأنها أشد أدوار تاريخ أوروبا ظلاما (٢) ، وخشيعة الكنيسة أن تتفاقم الأمور وتخرج من يدها ، ولذا حرمت الحروب الداخلية في أوقات معينة أطلقت عليها اسم "هدنة الله" (٣) ، لكن ذلك لم يكن ليحل المشكلة ، فأغتم البابا أوربان الثاني دعوة الدولة البيزنطية لحرب المسلمين ، وراح يخطط لتشكيل حملة واسعة تستهدف القضاء على المسلمين في المشرق ، وتنتهي كما اعتقد ، مشكلات أوروبا ، ولذا فقد سلك كل الطرق لانجاحها أما الطرق التي سلكها فهي : استغلال الدعايات التي نشرها الحجاج المسيحيون الشرقيون عن معاملة المسلمين القاسية لهم ، إذ قيل إن الفاطميين منسوا قسما منهم من الدخول الى كنيسة القيامة ، وطردوا عددا آخر من البيت المقدس ، فأخذ البابا من هذه الأقوال ذريعة لهب روح العداء والانقام ، ووعده بالمشغرة كن من سافر الى فلسطين ليقاتل المسلمين ، علما بأن قوانين التوبة كانت صارمة وثقيلة ، وقد خاطبهم بقوله ".... إن القدس تناسدكم الآن المساعسة" ، فأقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الشلود (٤) ، كما استغل حكام الفرسان وراح يحرضهم على النار ، ويسود قلوبهم بالحق ، يقول ".... يا أمة الفرنج ، يا أبناء المسألة التي أحبها الله وأصطفىها ، وصلنا من جهات القدس والقسطنطينية أنها مفعمة ، فإدعها أن أمة من الأمم اشتطت عن السبيل فصارت في الديار المسيحية سلبا وعرفا وقتلا على من فتح ثغرة في النار واستعادة الديار ؟ ألا تنهضوا أنتم بهذا الأمر (٥) ؟" .

- (١) فيشر تاريخ أوروبا ، ج ١ ص ١٨١
- (٢) غوستاف لوبون ، حضارة الغرب ، نقل عادل زعيتر ط ٣ دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٣٢
- (٣) سعيد طشور حضارة ونظم أوروبا ص ٣٦٦
- (٤) مكسيموس مورند ، من تاريخ الحروب المقدسة ، ترجمة مكسيموس مظلوم ، مطبعة ديمر الرهبان الفرنسيون ، القدس ١٨٦٥ ، ص ١٧ وأنظر علاقات بين الشرق والغرب ص ٤٥
- (٥) هذات بين الشرق والغرب ص ٤٥

إلا أن الضيق الذي اقتضيه عامة الناس لم يكن ليفلج كثيراً في إقناع الخاصة ، لذلك طلب منهم بهذبة وقوة الفاظه أن يوجهوا السلاح ضد المسلمين ، فذلك خير من استخدام بعضهم السلاح ضد بعض وقال لهم : " أربأوا بأنفسكم عن الضغائن ، وانتزعوا الحقد من قلوبكم واسلكوا صيل الله (١) " .

وإذا كان قد استولى على عقول السامة والفرسان ، فلا بد أن يفتح الباب ليكونوا قادة لهذه الحملة ، وط يعيدها من حملات ، فاستغل الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها أوروبا (٢) ، ووعدهم بالأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ، قال : " خلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المستعصبين ، وأنتم ما لكونها لذواتكم ، فخذ ما لأرض حسب الفاظ الثوراة ، تفيض لبناً وعسلاً ، فإذا أنتم انتصروم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسماً ومهراتاً (٣) " .

ومن الآمال الكبار التي كانت تراود الكنيسة الغربية ، أخضاع الكنيسة الشرقية ، فلا بد أن كان من ذلك في نفس البابا أي شيء ، ويحق ، فيه رسالته ، ويرضى حب التسالي المشهور في نفوس اللاتينيين تجاه البيزنطيين (٤) ، لذلك تحرك رجال الدين ، بل عرضوا أبناء ملتهم في أنحاء أوروبا على المشاركة وقد أفلح البابا في تكوين رأي عام ، اشتراك فيه الأعداء والنصارى والفرسان ورجال الدين ، وعامة الناس من الصبيد والأتباع الذين راجوا يهتفون " ... إنها إرادة السرب ... (٥) " وهذا حيل للصبيد ، أنهم سيغلبون من ظلم الأشراف ، في حين طمع الأشراف في أراض جديدة يمتلكونها ، وأمل البابا أن يحقق مدعاه في ضم الكنيسة الشرقية إلى الكنيسة الغربية . ولكن المسافة بين الشرق والغرب بعيدة ، وتفصل ما بينها مياه البحار ، فلا بد للفسزاة من سفن ثقلهم ، ولذا اقترح أمير تولوز على البابا أن يستعين بسفن مدينة جنوا ، فلبس الجنويون الدعوة مسرعين ، وأملين أن تفتح لهم أسواق الشرق فتنبسط حركتهم التجارية ... ثم شاركهم في حملاتهم وأملهم تجار مدينتي بيزا والبندقية .

وبذلك تهيأت الظروف المادية والمعنوية ، لا نطال الحملة الصليبية الأولى ...

- (١) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٥
- (٢) من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ ص ١٨
- (٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٣ ، ١٤ ، ٧١
- (٤) فيشر ، تاريخ أوروبا ص ١٧٩
- (٥) سعيد عاشور ، المعركة الصليبية ج ١ ص ١٣١

الفصل الثالث

الصراع : مبدائه وزمأنه

لم يحالج المؤرخون القدماء من المسلمين ظاهرة الحروب الصليبية معالجة شمولية تتناول جميع عناصرها ، ولم يربطوها بالأحداث في الشرق الإسلامي ، وإنما جعلها أبسن الاثير ، أمثداً للحروب بين المسلمين والمترنج في الأندلس (١) ، ولكنه لا يجيب عن سبب تركهم للمغرب القريب على أسبانيا ، وهو الذي شكل الخطر على دولتهم هناك بعد انهيار الحكم الاسلامي لها ، وقد ظهر هذا الخطر غير مرة ، زمن المرابطين والموحدين ، لهذا فإن من المفيد أن نورد هنا أسباب أعمق من الأسباب التي أوردتها ابن الاثير للحروب الصليبية ، فالخطر الذي تهدد الدولة البيزنطية هو السبب الأول ، ورغبة البابا في السيطرة على الاراضي المقدسة وتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية هو السبب الثاني ، يضاف الى ذلك الاطمحاح الاقتصادي وأشباع النفس لاقطاعية في أوروبا .

وإذا كانت الحروب نابذة من أوروبا النصرانية ، وإذا أخذ الصليب شعاراً لها فقد سميت بالحروب الصليبية * ، بينما لم يطلق على حروب الأندلس مثل هذا التسمية رغم أنها مقدمة لهذه الحروب * * .

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ / ١٤٦ ، وانظر صفحات ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٧٦ .
 يهزأ محمد سيد كيخاني برأي ابن الاثير في كتابة الحروب الصليبية ص ٨ ، مع أنه رأي له ما يبرره ، أنار الحركة الصليبية ، سعيد عاشور ١ / ٦٩ - ٧٣ .
 * لم تكن هذا التسمية معروفة عند المؤرخين المسلمين آنذاك ، وإنما هي ترجمة لكلمة *Crusades* الانجليزية (حامد غنيم أبو سعيد ، البجعة الاسلمية / ١١٥)
 * * اختلف المحدثون في تحديد الحروب الصليبية ، فقد اعتبرها بعضهم حالة من حالات الصراع بين الاسلام والمسيحية (سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ص ٨ وانظر حامد غنيم البجعة الاسلمية ص ١١٣ - ١١٧ وانظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ١ / ٦٩ - ٧٦) واعتبرها كمال توفيق ، وزكي المحاسني استمراراً لأعمال الامبراطورية البيزنطية قبل مائة عام (عمر كمال ، قدمات الحدوان السليبي ، زكي المحاسني ، شعر الحرب في أدب العرب ١٦٨ - ٢١٥) بينما ظلي زكي النقاش (المذاقات الاجتماعية ص ٨) فارجعها الى العلاقات بين الشرق والغرب منذ أيام التاريخ الأولي أي في الألف الأولى قبل الميلاد . واعتبرها شاكر أحمد أبو بدر (الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ص ١٤ - ١٦) حرباً دينية لأنهم وضوا شارة صليب على أمتعتهم وتصدوا فلسطيين بالذات واعتبرها باؤنر (أنار كتاب في) عنها إلى ألف جزء (أدب العرب الصليبية ص ٢٥) بمثابة حج كبير يحجب الصالح .

ذكرنا فيما مضى أن نداء الكيسوس قد أحدث صدى واسعا في أوروبا خاصة بعد أن
 تبنى البابا "أرمان" مشروع إنقاذ الدولة البيزنطية ، فعقد عدة اجتماعات كان آخرها
 مجمع كبير تمت في أواخر صيف ١٠٩٥ / ٤٩٠ هـ وقد حضره ثمانية من رجال الديكسن ،
 وجنح حاشده من عامة الناس . وقد بين البابا المفاوض التي تترعرع سبيل الحجاج ، كما
 بين ضعف أوضاعهم في الشرق أمام السلاجقة الأقوياء (١) ، فانتهب جنود البجائير ، ودوى
 النفير " هكذا أراد الله " وقد كانت المباشرة صيطرة على القول العامة فصدمت أتوال المحرضين
 وراحت تحتشد من كل أصقاع أوروبا (٢) يفودها القوطي بطرس الناسك ، ثم أخرجت هتسده
 الجوع في قوة حمار ، فقد إلى الشرق عن طريق قسطنطينية ، والأراضي البيزنطية ، وعند ما
 دخلت أرض السلاجقة ، واجهها السلطان تلج أرسلان وكانت قد أشرفت على مدينة نيقية
 بعد صير أيام ، فقصى على رجالها قضاء طوق معه أن لن تقوم لهم بعده قائمة ، إذ لم يستطع
 الهرب إلا ثلاثة آلاف من أصل خمسة وعشرين ألفا (٣) ، ولكن لما لبثت الحملة المنظمة (حملة
 الأبراء) أن وصلت بعد ذلك إلى نيقية ، بعد أن تخلصت من مصاعب حجة في القسطنطينية ،
 وفي الطريق (٤) ، ثم حاصرت الجيوش الصليبية نيقية حصارا شديدا ، فصدمت في وجوعهم
 ولكن هذا الصمود أصبح متعذرا بعد أن حاصر الكيسوس من البحر والجيوش الصليبية من البر
 فاستسلمت المدينة ، وسيفت زوجة السلطان ومئات أسيرات إلى القسطنطينية .

أحدث سقوط نيقية أسداء واسعة في أوروبا بما قام به الحائدون من دطيات أطماعهم
 فذكروا " أن الشرق بحاجة إلى حارمين ومستعمرين ليواغلا على الله ، وأن في الشرق من الثروة
 والضماح الكثيرة ما ينتظر قدوم النصارى " "وكانت حملة مكونة من الفرنسيين والألمان يرأسها
 ريموند (٥) .

وقد تابع الصليبيون سيرهم بحشقة بالغة ، بسبب تعرضهم لهجمات السلاجقة ، ولكنهم
 نجحوا في السيطرة على منطقة واسعة من الأناضول وأرمينية ، كما نجح بلدوين ، أحد قادتهم
 في تأسيس أول إمارة للصليبيين في الجزيرة القراية سنة ١٠٩٣ / ١٠٩٨ هـ وهي إمارة الرها ، وبعد
 ذلك ، أخرجت الجيوش الصليبية إلى أنطاكية ، وظال حصارهم لها وقد حاول سابعها ياغسي
 سيان اغتنام الفرصة ليدفعهم عنها ، ولكنه لم ينجح ، وبعد حصار مائة أشهر دخلها الفرنسيون
 سنة ١٠٩٨ / ٤٩١ هـ وفعلوا بالمسلمين الأعاجيب (٦) ، " أن هجروا على البيوت والأزقة يقتلسون
 المسلمين خلوا من استثناء " (٧) .

- (١) رسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ / ١٦٦
- (٢) مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ / ٦٤
- (٣) سعيد عبدالفتاح ، عاشر ، الحركة الصليبية ١٣٦ / ١
- (٤) ابن الأثير ، الكامل ١٠٤ / ٢٧٤ (٥) رسيطان ، الحروب الصليبية ج ٢ / ٣٧
- (٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ / ١٣٥ وانظر أبو الفداء المختصر ٢١٠ / ٢
- وتاريخ ابن الوردي ١٠ / ٢
- (٧) نيسيموس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ / ١٦٦

وسقوط أنطاكية أنفتح الطريق لأطم الصليبيين إلى بلاد الشام ، فاتجهوا إلى معسرة النسطان ، فاستنجد أهلها بالملك رضوان وجناح الدولة صاحب حصن فلم ينجدها هم فدخلها الفرنج وأعملوا فيها السيف فقتلوا ما يزيد على مائة ألف (١) ، وأحدثت هذا لأعمال الوحشية حالة ذعر عند المسلمين ، ولكن هذا الذعر لم ينتج عنه اتحاد ومقاومة ، ولذلك لم يكن من الصعب على النزاة متابعة سيرهم إلى أن وصلوا شمال طرابلس ، وفيها جاءتهم رسل صاحب طرابلس ، ثم احتلوا طرطوس (٢) ، بما سهل عليهم مهجة الامدادات الخارجية من أوروبا ، بالإضافة إلى ما تحويه المنطقة من خيرات (٣) ، وعلى أثر ذلك ، تدهر موقف المدن الإسلامية وأسرت كل مدينة تعلن استسلامها ، ومن تخلفت عن ذلك أثقلت مزارعها ، وقتلت أنعامها ، ومن وجدوه من أهلها فكفوا به كما حدث مع صور ، وهكذا تابع الصليبيون سيرهم إلى قيسارية ثم أرسوف والرملة واللد واحتلوا بيت لحم (٤) .

وأحاطت الجيوش الصليبية بالقدس ، وجاءتهم امدادات من أوروبا عن طريق موناياغا فأصبحت القدس منقطعة عن امدادات الدولة الفاطمية التي كانت قد سيطرت عليها سنة ٤٩٨ . ونصب الفرنج عليها برجين ، وتدنوا منها ، ولو لم ينشب خلاف بينهم حول ملكية القدس لاحتلوها في مدة تقل كثيرا عن المدة التي استغرقها الحصار وهي (١٠٠) ، اثنان وأربعون يوما (٥) ، وبعد الاستيلاء عليها قام النزاة بمذبحة رهيبة لم تغرق بين زاهد وطالم ، فقد قتلوا ما يزيد على سبعين ألف نفر ، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم (٦) ، كما قاموا بعملية سطو على الصخرة فأخذوا نيفا وأربعين قنديلا فضة ، ونيفا وعشرين قنديلا من ذهب (٧) .

ويذكر مونرو نقلا عن تقرير رايوندد ه أجيئلدس ، أحد المراقبين للحملة ، أن الجامع قد طاف بالدماء حتى أحترق من الدم تحت القنطرة عند بابه ، وعاد إلى حد الركب بد إلى حد الحرم الخيل (٨) .

-
- (١) تاريخ ابن الوردي ١١/٢ ، تاريخ الأثير ١٠/٢٧٨ ، الأثر الجليل ١/٣٠٧
 - (٢) المختصر ٢/٢١٦
 - (٣) مرآة الجنان ٣٠/١٧٢ ، الأثير ١٠/٤٧٥ ، النجوم الزاهرة ٥/٧٩
 - (٤) ابن الأثير ، الكامل ١٠/٣٦٥ ، المختصر ٢/٢١٤ ، رنسيما ، الحروب الصليبية ١/٣٩١
 - (٥) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٦ ، تاريخ مختصر الدول ١٩٧
 - (٦) الكامل ١٠/٢٨٣ ، ٢٨٤ ، الأثر الجليل ١/٣٠٧
 - (٧) الشذرات ٣/٣٩٧
 - (٨) من تاريخ الحروب المقدسة ، ص ١٧٩

ويقول غوستاف لوبون * ولم يبدأ سلوك الصليبيين في الحملة الثانية بأحسن من سلوك رجال الحملة الصليبية الأولى * ويؤكد قوله بما يرويه عن الكاهن " انكتيل " قلما يوجد صليبي يسير بوحى ديني * فلم يترك أولئك الصليبيون جرائم وحشية وخربا من قطع الطرق * وغضاض مزية الا أقتربوها " (١) .

وهام المسلمون على وجودهم يهكون ويهكون * ويستعرضون الخلفاء في بغداد * فاجتمع أهلها في البوامع ، ويكوا * حتى أنهم أنفروا من عظم ما جرى لهم ، وقال أبو المظفر البيهقي :

مرجنا دماء بالدموع السواحســـــــــــــــــم	فلم يبق لنا عروضة للمراجـــــــــــــــــم
وشر سائح الموت من يفيضـــــــــــــــــه	إذا العرب هبت نارها بالصـــــــــــــــــوارم
وكيف تنام العين مل جفونـــــــــــــــــهـــــــــــــــــا	على هفوات أيقظت كل نائـــــــــــــــــم (٢)

وفي هذا الجو المكفهر استقرت أمور الفزاة في بيت المقدس ، وأقيمت الصلوات والأيدي ملطخة بالدماء البريئة . . . وانتخب جود غري حاكما للقدس ، بعد أن حاز على ثقة الكنيسة والامراء معا لما يتسم به من قبول دينية * ولم يرض أن يصفى علما وإنما أمسى نفسه حامي القبر المقدس (٣) * ولكن انتخاب جود غري وفقد البطارقة كان يعني انتصار السلطانية على الكنيسة * وقد كان هذا لصالح المملكة الجديدة * وأوكان الامر غير ذلك لما استطاعت الكنيسة حماية هذه المملكة من الهجمات الاسلمية (٤) .

وبدأت الدولة الجديدة - وهي الامارة الصليبية الثالثة - تدار بحياتها السياسية فتكون في القدس فرقتان دينيتان عسكريتان اسمونا *Templars* أي فرسان الهيكل وعرفت عند المسلمين بالداوية * وأخرى اسمونا *Hospitallars* أي فرسان المستشفيات وعرفت عند المسلمين بالاسبتارية (٥) * ثم اشذت هذه الدولة بالتوسع حتى استطاعت في سنوات قليلة أن تنعم معظم أجزاء فلسطين (٦) * وكان بإمكانها السيطرة على فلسطين جميعها لسولا المناغسة بين ريجوند الصنجيلي وجود غري (٧) .

- (١) حضارة العرب ، ص ٣١٦ * وأنظر رنسيطان ، الحروب الصليبية ٤٠٤/١
- * أخطاء عبدالقادر اليوسف في اسم الشاعر * أنظر علاقات بين الشرق والغرب ص ٧٢
- (٢) المختصر ٢١١/٢ تاريخ ابن الوردي ١١/٨ ، الهجوم الزاخرة ١٥٢/٥ ، الكائنات ص ٤٩٧ و ٢٨٥/١٠
- (٣) رنسيطان ، الحروب الصليبية ٤١٧/١
- (٤) عبدالقادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ص ٧٢ ، والحياة السياسية الاجتماعية عند الصليبيين ، رسالة جستير ، أعداد عبدالخفيظ محمد علي سنة ٩٧٥ هـ ص ٨٠ و ١٠٤
- (٥) طارف العارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ١٩٥١ ص ٧٥
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ٣٦٥/١٠
- (٧) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ٢٤٩/١

ويحمد أن توفي جود غري ، تولى أخوه بلدوين حاكم الرها القدس ، وقد استطاع أن يتغلب على كثير من المشكلات والصعاب ، كما فرض احترامه على أمراء الحملة الصليبية ، وأخذ يواصل عملية ضم المناطق الساحلية ، حتى إذا علم أن الأفضل يمد حملة لاسترجاع القدس ، التقى معه في الرملة ، وهزمه هزيمة منكرة واستولى على غنائم كثيرة وقتل ما يزيد على عشرة آلاف نفس (١) وقد مدحه أحد الشعراء بقوله (٢) :

نصرت مسيفك دين المسيحية
وما سمع الناس فيهم روي
غله دراك من صنع
بأقيم من كسرة الأفضل

ولم يلبث الأفضل أن تمكن من هذا الشاعر الخائن وقتله ، وفي سنة ٥١٤ قعد الفرنج الديار المصرية بقيادة بلدوين (بروديل) ووصلوا إلى غزة وخرّبوها وأحرقوا مآبدها ، لكن موت ملكهم في الطريق ثأهم عن قصدهم (٣) .

أما ردود الفعل الإسلامية فلم تزد عن البكاء والتحريض ، وتجريد الحملات التي كان يسيطر عليها الخلاف ، فترجع مهزومة أو ناشلة ، وبأمكننا أن نتصور الاوضاع في العالم الإسلامي كما يلي :

حاول الأفضل الانتقام من الفرنج ، فجهز جيشا كبيرا ، وأرسله إلى الرملة مرة ثانية حيث استطاع أنزال الهزيمة ببلدوين ، وأستولى على الرملة وحاصر يافا ، ولكن بلدوين أعاد ترتيب الجيش ، وأستغل فرصة مرور الحجاج القادمين من أوروبا ، والتقى مع الجيش الفاطمي وكسره ، وحين علم الأفضل بذلك أرسل نجدتين : أحدهما بحرية والأخرى برية وأمرهما بالتعاون ، ولكنهما تنازعا فعادتا فاشلتين (٤) ، وهذا ما دعا ابن تغري بردي لأن يستشرب من سلوك الفاطميين وتقاعسهم فيقول عن الأفضل " وما أدري ما كان السبب في عدم خروجه مع قدرته على المال والرجال " (٥) ويقول عن الخليفة الأمر بأحكام الله : وكان فيه تهاون عن أمر الخزو والجهاد حتى أستولت الفرنج على غالب السواحل وحصنوها في أيامه (٦) .

أما في بغداد فقد عمت الثورة فيها وكسر الناصر شهر مسجد السلطان ، ثم رأى الخليفة استرقاء التائرين ، فأوعز إلى السلطان محمد أن يعطي على دفع الفرنج ، فأرسل السلطان إلى تابعه أمير الموصل أن يشققتهم (٧) .

- (١) ذيل تاريخ دمشق ١٧٧ ص ١٧٧
- (٢) الانص الجليل ٣٠٨/١ ج ١
- (٣) الانص الجليل ٣٠٩/١ ج ١
- (٤) الكامل ، أحداث سنة ٤٦٦ وانظر ذيل تاريخ دمشق ص ٣٨
- (٥) النجوم الزاهرة ١٤٧/٥
- (٦) النجوم الزاهرة ١٨٨/٥
- (٧) اليافعي ، برآة الجنان وعبقرية لفظان ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدرآباد ١٣٣٨ هـ ١٧٣/٣

ويصور ابن الاثير قوة الفرنج حين تولى عباد الدين زنكي البلاد فيقول " وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية طاردين وسجستان الى عرش مصر ، ولم يتخلله من ولايسة المسلمين غير حلب وحماة ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ ديار بكر الى آق ، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين وراس السين ، ثم يصف البلاد الاسلامية فيقول " وأما الرقة وحران فقد كان أهلها معهم في ذل وصغار واستضعاف وانتشار ثم يبين خطورة قوتهم " . . . وأنقطعت الطرق إلا على الرحبة والبحر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب الصرامة تعباً ونصباً . . . وأما حلب فإنهم أخذوا مضائقاً على أنفسهم حتى في الرعي التي على بابها الجبان وبينها وبين المدينة عشرون خلوّة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين البلدين (١) .

إلا أن هذا الظالم أنفق منه الفجر ، منذ أن ظهر على صرح الأحداث عماد الدين زنكي صاحب الموصل ، وهو حاكم أجمعت له صفات حميدة ، فقد عرف عنه حبه للجهاد (٢) وأخلاصه وحماسه ، فبدأ عملية توحيد القوى الاسلامية ، فانتزع جزيرة ابن عمر من مالهيك البرسقي ، ثم استولى على مدينة أربل سنة ٥٢٦ هـ ، ثم سار الى نصيبين فتسلمها مسجس صاحبها حسام الدين تمرناش ابن ايلغازي واستولى على الثابور وسنجار وحران ثم استولى على الاثارب ثم على حلب (٣) ، فأصبح المريد مفتوحاً أمامه الى الشام (٤) .

لقد كان هذا العمل أعجاباً من السلطان السلجوقي محمود فمنحه تفويضاً بحكم الموصل والجزيرة والشام (٥) ، مما شجعه على الاستمرار في عملية ضم البلاد الاسلامية وتوحيد هسما فبعد أن استولى على حلب سنة ٥٢٦ (٦) ، أعلن أمير شيزر سلطان بن منقذ وأمير حمص تهيئتها له ، وفي سنة ٥٢٣ ضم حماة الى ملكه (٧) ، وبذلك تم له ملك الشام تقريباً ، ولم يبق أمامه الا دمشق التي كان يحكمها بوري بن طغتكين (٨) ، فأتصل معه بشأن الخروج للجهاد .

وقد أثارت انتصارات زنكي الروم فتحالفوا لكسر شوكته ، وأرادوا الاستيلاء على حلب سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م ، فساروا اليها ولكنهم أنشغلوا بمحصر بزازة ، بين حلب ونسيف (٩) ، مما جعل زنكي يأخذ المحيطة ويفشل حصار الروم والفرنج فتوجه هو لاء الى شيزر (١٠) ، فأنجدها زنكي بقواته القليلة ، وبحث السلطان مسعود السلجوقي وقدأ يحته على إرسال المدد .

- (١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، عه القادر والبركات ، دار الكتب الحديثه ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٩ - ٣٤ ، وانظر ابن قاضي شهبة ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ تاريخ ورقه ٦١
- (٢) ابن واصل ، فتح الكروب في أخبار بني ايوب ، جمال الدين الشيباني ، الاميرية ١٩٥٣ ، ٢٢٦ / ١ ، ٢٢٩ ، زبدة المقلب ٢ / ٣
- (٣) شفي الكروب ٢٦٩ / ١ ، ٢٧٩ ، زبدة المقلب ٢ / ٢ ، الباهر ٣٩ ، الكامل ١٠ / ٦٥٨
- (٤) ابن الاثير ، الباهر ٣٦ ، المختصر في أخبار البصر ٢ / ٢٢٨ ، الكامل ١٠ / ٦٥٨
- (٥) ابن المديم ، زبدة المقلب من تاريخ حلب ٢٤٤ / ٢
- (٦) القريزي السلوك ج ١ ق ١ ص ٣٦ ، الباهر ٣٧ - ٣٨
- (٧) المختصر في أخبار البصر ج ٣ ص ٤ (٨) المختصر ١٤٠ / ٢ (فيه توري بدل بوري)
- (٩) ذيل تاريخ دمشق ٢٦٠ (١٠) الاختبار ١١٣ - ١١٤

ولكنه تقاعس عن ذلك ، فأغتم الوفد وقت اجتمع الناس لصائفة الجمعة واستغاثوا " واسأله " وادين محمدا " ، فتمسك السلطان بأرسال حملة عاجلة ، كما أرسل الأمير داود الأرمني خمسين ألفا من التركمان (١) ، ثم نجح زنكي في التفرغ بين الروم والفرنج ، بأن شكك كسل فريق بنواليا الآخر (٢) ، فانسحب الفرنج وتركوا ملك الروم وحده ، واستغل زنكي النزاع بين الروم والفرنج فهان عليه أمر الفرنج ، إذ صاروا يطمنون أن يحفظوا ما بأيديهم بسد أن كانوا قد طمعوا في البلاد (٣) ، فاستولى على عدد من الحصون المهمة مثل حصن باريق ، كما استولى على مصر النصارى وكفر طاب وأعمالها ، وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة (٤) ، وفي ذلك يقول ابن القيسراني (٥) :

حذار منا وأنى ينشئ الحصن
وهي الصوارح لا تبقي ولا تسد

وبعد أن قويت شوكت زنكي حاول مرة أخرى أن يستولي على دمشق ، وبسطي حاكمها جمال الدين محمد بن بوري حمدي بوسليمان فرفض (٦) ، وهذا لم يبق أمام زنكي سوى استخدام القوة ، فحاصر دمشق لكن معين الدين أنز الذي زاد نفوذه بعد وفاة جمال الدين استنجد بالفرنج في القدس (٧) ، فهيناهم بخدعة البووقف إذا سقطت دمشق بيد زنكي " فسلمنا ملكها لم يبق لهم معه بالشام مقام (٨) " ثم أغراهم بأن يقدم لهم نفقات الجيش الصليبي (٩) وتقدم الجيش الصليبي بين القدس وطرابلس وأشرف على دمشق ، فانسحب زنكي ، بينما قام الفرنج بأحتلال بانياس التابعة لزنكي وأخذوا فيها مذبحة عنيفة (١٠) ، ولم يكتف معين الدين بهذا الفصل بل ذهب إلى القدس ومعه أسامة بن منقذ (١١) ليقدّم الشكر للفرنج ويقوى أواصر الصداقة بينه وبينهم ، وبذلك يقضي على نشاط زنكي في المنطقة بل جميع لهم ببناء قلعة صدد ، وغيرها من الساعات في جنوب فلسطين مثل الكرك والحموك ،

- (١) المطر ٧٩١/١ - ٨٠
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ٥٧/١١
- (٣) ابن الأثير ، الكامل ٦٦٣/١٠
- (٤) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
- (٥) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
- (٦) ابن الأثير ، الباهر ٥٩
- (٧) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ١٣٦
- (٨) ابن الأثير ، الكامل ٧٤/١١
- (٩) ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ٢٢٨
- (١٠) المصدر السابق ٢٢٨
- (١١) الاعتبار ١٣٥
- (١٢) الحركة الصليبية ٦٠١/١

لكن ملك بيت المقدس توفي سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م بعد أن ثبت أقدام الفرنج في فلسطين فأنصح المجال لزنكي كي يسترد الرها ، وقد استولى عليها فعلا سنة ٥٣٩ / ١١٤٤ م دون أن يستخدم الأسلوب التخريبي الذي استخدمه الفرنج بل أعاد ما غنمه الجيش ، ولم يفتد إلا الشاذ النادر (١) .

وتابع زنكي فتوحاته في شمال الرها . . . ثم اتجه إلى قلعة جعبر التي يحكمها بنو عقيل ليصفي الجزيرة من هذا ملاطرات المتناثرة ويتجه نحو دمشق ويجهد الفرنسي (٢) ولكنه وقع فريسة الاغتيال عام ٥٤١ هـ وبعد مقتله ، اتصل الأرمن من أهل الرها بجوسلوسين الثاني ، وطلبوا منه القدوم لتسليم المدينة ، إذ أن الحامية السلجوقية فيها قليلة ، وعصاة الدين زنكي ، قتل ، فأصرح جوسلوسين اليهم وتسلم المدينة ، وبقي يسألج الحامية المستحكمة في القلعة ، ولكن نور الدين تمكن من الوصول إليها قبل أن تياس حامية المدينة ، فأصبح جيش جوسلوسين محاصرا من الداخل والخارج ، بفضل الانسحاب بجيشه على البقاء في الشطر ، فدخلها نور الدين ، وطارده جيش جوسلوسين وقتل معظمه وبقي حاكم دمشق ، أما جوسلوسين نفسه فقد جرح (٣) .

من ذلك يتبين لنا قدرة نور الدين الصاعدة على الاضطلاح بالحكم ، إذ يعتبر عمله استمرارا طيبا لمسيرة والده ، فإذا كان خطه الدين زنكي " جبارا عسوقا بنكباء النكبات عسوقا نمرى المخلق ، أمدي الحق ، لا ينكر العرف ولا يصرغ العرف (٤) " فإن نور الدين أخذ الجانب الضعيف من صفاته ، واستبدل بالجانب الحسن القوي فهو كما وصفنا لشاعر :

جميع الشجاعة والشهوة لربنا

ما أحسن المحراب في المحراب

وقد عمل نور الدين على إرضاء أخيه سيف الدين غازي حاكم الموصل (٥) ، كما ضد أثنافا مع معين الدين أنرو وتزوج بابنته (٦) ، وتفرغ لمهاجمة إمارة أنطاكية ، واستلح أن يحرق منظم الأراشي الواقعة شرقي نهر العاصي (٧) .

- (١) ابن الأثير ، الكامل ٤٠ / ١١
- (٢) ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق ٢٨٧
- (٣) فتح الكروب ١١١ / ١ ، ابن القلائسي ١٨٧ ، ابن الأثير ، الباهر ٨٧
- (٤) الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ١٣١٨ هـ ص ١٨٦
- (٥) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤٩ ، مزارق ، نامه ج ٢٥ ورقة ٨٠ ، فتح الكروب ١١١ / ١ - ١١٢ ، البروضتين ج ١ ص ١٢٢
- (٦) حسن جوشي ، نور الدين والسليبيون القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٣
- (٧) أنار صفاته في تاريخ الحروب المقدسة ، ص ٦٥ / ١
- سميد عاشور ، الحركة السلجوقية ٦١٤ / ٢

ومما يدل على عظمته ، تصديه للحملة الصليبية الثانية التي جاءت لتستعيد الرضا ، ولكنها انحرفت عن هدفها الى دمشق ، فتوجه نور الدين نحو صرخد ولم يشاهد أحسن من عسكره وحيثته ووفور عدته (١) " ثم سار الى بصرى فأنهزم الفرنج ، وحين طادت الجيوش الفرنجية ومعهما الامدادات الكثيرة ، استنجد صاحبها معين الدين بنوابه ، كما أرسل الى سيف الدين غازي وأخيه نور الدين ، في حين حين يستندى للقوات الصليبية التي احتلست الحزة والريوة (٢) ، مفتنما كثرة الأشجار فأوقع فيهم خسائر كبيرة ، مما جعلهم ينتقلون الى الجهة الشرقية (٣) ، فصادفوا الماء فملطوا (٤) ، في حين وصلت النجدات الاساطمة من الموصل وحلب ، فأتوا الانسحاب على البقاء ، لا سيما بعد أن أفراهم معين الدين بخصن بانياس (٥) .

وتكدأ فشلت الحملة الصليبية الثانية ولم تحقق لها أي هدف ، وإنما رفعت معنويات المسلمين الذين كانوا يمشون قدوم مثل هذه الحملة ، واستنزل نور الدين حالسنة الضحك التي تربها الاطارات الصليبية ، على أن يعود في وقت مناسب ، فأوقع بالفرنج كسرة قبيحة في بصرى (شمال شرق بحيرة الصق) ، وأرسل الى الدليلين العباسي والي أخيه بعض النمائ ، ثم أثار سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ على حسن حارم رصاص قلعة " أنب " وتشمل رجوند ، ثم تفرغ نور الدين لدمشق ، وحكامها الذين لم يجاهدوا ، ولم يسمحوا لنجودهم بالجهاد ، وقد كان حرس نور الدين على الاستيلاء على دمشق ناشئا عن كونها تقع بمسعين أراشيه وبين الفرنج ، فكان كلما حاول التصدي للفرنج وجد من الصعب السيطرة على الموقف لتعاون معين الدين أئمن من الفرنج ، وقد بقي الامرك ذلك حتى توفي أئمن سنة ٥٤٩ ، وتولاه مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن شنكين ، وكان أن ملك الفرنج صقلان سنة ٥٤٧ ، وفي مدينة فلسطين حسنا وعسانة ٥٠ ، ولما كانوا يحاصرونها ، كان يتلف على أنجادها ولا يقدر على أزعاجهم لأن دمشق في طريقه (٦) .

ولم يرتدع أبق عن أعماله المشينة فلم يترك الفرنج في دمشق وتابعوا النارات عليهم مما وأكثروا القتل والنهب والسبي ، وبصلوا على أهلها ثلثية سنوية ، يأخذونها بأنفسهم ، فدخل الناس طائفة وأصلوا مع نور الدين (٧) .

- (١) أبو هامة الرواسيين ج ١ ق ١ ص ١٢٠ .
- (٢) ولاية دمشق في العهد المملوكي ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق ، حققها د ٠ صالح الدين الضجد ج ١١ وأنظر الباهر ٦٧ .
- (٣) الحركة الصليبية ٦٣٦/٨ .
- (٤) الحركة الصليبية ٦٣٤/٦ .
- (٥) زبد القلوب من تاريخ حلب ٧٧٣/٨ .
- (٦) السيفي ضد الجبان من تاريخ أهل الزطان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٧.٤ تاريخ ج ١٢ ق ١ ورقه ٢٥٠ .
- (٧) المصدر السابق ج ٢٢ ق ١ ورقه ١٨٠ ١٩٦٤ .

وحين أبلى نور الدين من مرضه هاجم منطقة سيدا والجليل ، فوقعت معركة بين الطرفين قرب بحيرة طبرية رجعها الفرنج ، فقتلوا نحو مئتين ، فقتل لهم نور الدين وقتل منهم مائتا كثيرا وأسروا منهم جماعة قتل فيهم :

كامل الحسن طاية في البهسنة
فدلة الأسر والاهل والفتنة (١)

ما رأينا غيما تقدم يوما
مثل يوم الفرنج حين عليهم

وحين لم يفلح الفرنج في حروبهم من نور الدين أتجهوا نحو الدولة القاطمية التي أصبحت تعاني الضعف والخرق بسد مقتل وزيرها طلائع بن رزيق ، ثم أبته السادل ، إذ تولى الأمر شاوور سنة ٥٥٩ / ١١٦٣ لكن سرطام ناعسه وانتصر عليه (٢) .

وفي هذا لاثناء قام عموري (مصري) بشنق مصر سنة ٥٥٩ / ١١٦٣ ، فوصل إلى بلبيس وحاصرها ولكن فيضان النيل لم يمكنه من احتلال مصر ، فساد ليهزم في حملة كبيرة ، يحتل بها مصر بعد أن رأى كثرة خيراتها (٣) .

وتقدم شاوور إلى الشام مستنجدا بنور الدين بأذنه لثبته أحوال مصر إن فقه ضرتها ، فأرسل معه أسيد الدين شيركوه وصالح الدين سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ فغضى على سرطام الذي استنجد بالفرنج ، وسيدار على البوكة قبل وصول الفرنج ، ولكن باليه شاوور أن تنكر لأسد الدين ، فاحتل أسد الدين بلبيس والفرقة ، فاستنجد شاوور بالفرنج ، فقدم جيش عموري واشترك من جيش شاوور في محاصرة أسد الدين في بلبيس ، وأذ ذاته قام نور الدين بفتح بلبيس على جهنمات الصليبيين في الشام (٤) ، فآثر عموري الرجوع عن مصر ، حيث جثم جيشا عليهما من الفرنج والروم والأرمن لقتال نور الدين ، ولكن نور الدين أوقف بالمسيبيين هزيمة ساحقة سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ (٥) ، وأحمر عدة من أمرائهم وأستولى على حارم وباتيسا ، ثم على شقيف تيرون وعصرها لفيحولة فهدم حصنه الضعفاء ومنهم ابن التيسراني بقصيدة صلاحها :

وذي الدكارم لا بما قالت القيسب (٦)

هذي العزائم لا ما تدعي القيسب

(١) عهد الجطان في ٦ ج ١٢ ص ٢٨٣

(٢) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ٤١/٣

• حاتم أحوال الدولة القاطمية في حين سيطر الوزير عمار الصنهاجي على دار الخلافة وقتل الخليفة الطاهر وأخويه ، فحدثت غنمه عظيمة بالقاهرة ، ثم أفاض طلائع بن رزيق وقام بهشمة بسدة ظارات طاعنة كما طلب من نور الدين أن يشهر الفرنج ، لكن اختلاف مذاهبهم لكون الأول شيعة والثاني جنبا حال دون اتفاقهما على ذلك .

(الدويان ج ١ ص ٦٥ ، ودويان أسامة بن منقذ ص ١٧٧)

(٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ٢٨٢

(٤) تاريخ ابن الوردي ٦٧/٢

(٥) مخبر الكرب ١٤٤/١ ، عهد الجطان في ٢ ج ١٢ ص ٣٦٦

(٦) الروضتين ج ١ في ١ ص ١٥٢ ، وأنظر ابن الأثير ، الكامل ٢٠٨/١١

والباهر ١٠٩

لم ينصر نور الدين مصر وطمع الفرنج فيها وضعف شاور ، ولكنه تحين الفرص ، فحسين دعه المتأيد لم يشلعه من أمتداد شاور لم يتأخر في طلبية دعوته ، فأرسل شيركوه وصالح الدين للمرة الثانية (١) ، فاستنجد شاور بالفرنج ثانية ، فلبوا دعوته وعقدوا معه اتفاقا يخولهم سبيل الدخول إلى القاهرة ويضمن لهم الأموال الكافية ، ثم سار الجيشان الفرنجي والحصري لمهاجمة شيركوه ، فانسحب إلى جهة الصعيد في الصحراء ، وهناك تمكن من هزيمة الفرنج وشاور (٢) ، فعاد الفرنج إلى القضاة بينما سار شيركوه وصالح الدين إلى الاسكندرية ، فغضب بسببه أهلها (٣) ، وأبقى شيركوه فيها صالح الدين ، ثم عاد إلى الصعيد (٤) .

استعد كل من شاور والفرنج بقيادة عسوري لمهاجمة الاسكندرية ، فصر أهلها وذاق صلاح الدين الأمن في هذا الحصار (٥) ، فاستنجد بعه سنة ١١٦٢/٥٦٣ ، بينما قسام نور الدين بمهاجمة مملكة طرابلس وبيت المقدس (٦) ، ولما علم الفرنج ذلك خافوا على ممتلكاتهم في بلاد الشام ، وأثروا المهادنة بعد أن عقد شاور معهم اتفاقا مزمنا يدفع بموجبيه مالا سنويا لهم ، لكن شاور تناقل عن دفع المال وكان نتيجة ذلك أن طمع الفرنج في ملك مصر ، وقد وجدوا الفرصة ملائمة لتحقيق أهدافهم ، فهم يحرفون ضعف مصر ، من جهة وأنشغال نور الدين في حلب من جهة أخرى ، وعلموا أن تأخر ذلك يعني وقوع مصر في يد نور الدين وقاعد مأسد الدين شيركوه ، وأن صار فيها مثل أسد الدين فهو هاتك الفرنج ونهايتهم من أراضي الشام (٧) ، فقدم الفرنج سنة ٥٦٤ بأعداد دافعة واحتلوا مدينة بلبيس ، وجاءوا القاهرة من باب الشرقية ، بينما قام بعض الأعراب بالمهجوم على البر الغربي وساقوا المواشي والابتكار وحاصروا البلاد أحد حصار ، وكما جاء في كتاب القاضي القاضى " فلا نهضتم المسى المنصرة ولا قصدتم عن المنصرة " (٨) ، فأمر شاور بخروج مدينة بلبيس ، ثم سار إلى القاهرة (٩) ، فأرسل العاضد يستنجد بنور الدين ويضمن الكتاب شرط نسائه ، فأنجده على وجه السرعة خوفا على مصر (١٠) ، فعاد الفرنج إلى بلادهم فاشلين (١١) .

- (١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٣٤٨/٥٥
- (٢) ابن قاضي شهبة ، الدر الثمين ١٢٠
- (٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٦٦ ، النجوم الزاهرة ٣٤٩/٥
- (٤) السهوتي ، حسن المعاصرة في أخبار مصر والقاهرة ط ٠ ادارة لوطن مصر ١٢٩٩ هـ ج ٢ ص ٢٣
- (٥) ابن الأثير ، الكامل سنة ٥٦٤
- (٦) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٧٤ والنوادر السلطانية ٢٨
- (٧) تاريخ ابن الفرات ط حسن القطاط مطبعة حدا د البصرة ١٩٦٢ هـ مج ٤ ج ١ ص ١٩-٢٠
- (٨) محي الدين بن عبد الظاهر ، الدر النظيم ط ٠ أسعد بدوى مطبعة الرسالة ، مصر ١٩٥٩ ص ٣٤
- (٩) تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ١ ص ٢٤
- (١٠) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٩١ خط الطبريزي ج ١ ط ١ بولاق لم ٦٣
- (١١) تاريخ ابن الفرات ج ١ ص ٣٣

وقد أثار تلاعب شاور بأسد الدين شيركوه وصالح الدين الجند فأثقف صلاح الدين مع الجند على قتله ، وكان ذلك سنة ٥٦٤ / ١١٦٨ ، فخلع الماضد على شيركوه خلع الوزارة ولقبه بالمقصور . ونظم مصر عطيا الى دولة نور الدين ، أصبح أمل المسلمين كبيرا بفتحهم القدس (١) ، وما لبث شيركوه أن توفي بعد شهرين من وزارته خلفه صلاح الدين (٢) ، وقد عظم مركز نور الدين بفتوحاته ، وعمله الموحدة (٣) ، حتى كان ذلك بداية انهيار الامارات الصليبية ، وقد طلب من صلاح الدين أن يعلن عودة مصر الى الخلافة العباسية ، لكن صلاح الدين رأى أن ينظم الأمور في مصر أولا ، ففرض على ثورة الجند السودان سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ (٤) ، وسد نظامه على مصر ، فأقر هذا العمل مضجع الفرنج في بيت المقدس ، وعلموا أن وحدة مصر والشام تعني القضاء عليهم ، فاستنجدوا بمقومهم في أوروبا وعرفوهم ما تجدون من ملك مصر وأنهم خائفون على البيت المقدس (٥) ، ثم طالبوا الصون من الدولة البيزنطية ، فاجتمع الجيش الفرنجي والبيزنطي وحاصروا دمياط ، لكن صلاح الدين سحقها بالسلاح والبال والدخان ، فساد البيزنطيون وتبعهم الفرنج دون أن يحققوا نجاحا (٦) ، ومعهذا أعاد نور الدين الطلب من صلاح الدين إعلان الخلافة العباسية ، وألزمه بذلك الزاما لا فسحة فيه (٧) ، فأعلنها سنة ٥٦٧ هـ ، وكان الماضد على فراش الموت ولم يحاربه أحد ، ولم ينتطح فيه عزاز (٨) .

وبذلك أصبحت مملكة نور الدين تشكل "تكي كاشة" على الفرنج ، وما لبث نور الدين أن توفي ، فأختم الفرنج موت نور الدين وحاولوا احتلال بانباريه ، لكن ابن المقدم وصي الملك اسماعيل بن نور الدين خلع اليهم وراسلهم ولاطفهم وقدم لهم غروضا مشرية ، وسين لهم خطورة استعانتهم بصالح الدين فتركوها (٩) ، وعندما علم صلاح الدين بهذا العمل ساء سلوك ابن المقدم وأرسل الى الملك الصالح وأمرائه يتبع لهم ما فعلوه (١٠) . ثم قدم الاسطول الصقلي الى الاسكندرية في ستمائة قذاعة ما بين شينى وطرادية وحلقة وغير ذلك ، وكانوا في ثلاثين الفا (١١) ، وضائقوا الثغر وأتلفوا السفن التجارية ولكن أهلها قاوموا النازين ، حتى جاءهم مدد صلاح الدين ، فانسحب الفرنج وخرب أسهل البلد يحرقون خيامهم ويقتلون من نافروا به فسادوا غائبين (١٢) .

- (١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٤
- (٢) ابن الاثير ، الباهر ١٤١ ، الأنس الجليل ١٠ / ٣١٣ (٣) الباهر ١٦٠
- (٤) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٩٢ ، المغن ١ / ١٧٦ - ١٧٧ (٥) ابن الاثير ، الباهر ١٤٣
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ١١ / ٣٥١ ، (٧) مغن الكروب ١ / ٢٠٠
- (٨) ابن الاثير ، الباهر ١٥٦ ، الأنس الجليل ١ / ٣١٣
- (٩) مغن الكروب ٢ / ٧ ، ابن الصديم ، زبدة العلب من تاريخ حلب ج ٣ ص ١٢
- (١٠) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥٨٩
- (١١) النوادر السلطانية والمحاسن الهوسنية ، جمال الدين الشمال ، مطبعة الدار المصرية للترجمة والتأليف والنشر ، ١٩٦٤ ص ٤٨ - ٤٩ ، مغن الكروب ٢ / ١٢٠
- (١٢) النويري ، كتاب الالمام بالاعلام ، د . د . آئين كوص وعزيز عطية ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ١٩٦٨ ج ١ ص ٢٩٣

وبعد ذلك تفرغ السلطان لأموال الشام ، فعين عدداً من الأوصياء على الملك الصالح ، اتصل أحدهم وهو ابن المتقدم بصلاح الدين ، حتى يضيئ على الظالمين من الفرنج ، فرصة ضعف الشام (١) ، فلبى صلاح الدين الدعوة ، ورحبت به دمشق أجمل ترحيب ، تسال وحيث الأسدي :

رأيت جلد ثورا لا نظير لـه
ناداه بالذل لما قل تاعرهم

فجئتها طامرا منها الذي عرسها
وأزعم الشلق من أوطانها هرسها (٢)

أزال صلاح الدين ما كان فيها من البدع والمنكرات ، والشرائب التي ظهرت بعد موت نور الدين كما أصلح من أحوالها ، وأعاد الحقوق إلى أصحابها (٣) ، ثم أتته إلى حلب ، فاستنجد الممغذون فيها بالفرنج ، لأنجدهم صاحب طرابلس (ريموند الثالث) ، وهاجم حمص وخميس ، فأضطر صلاح الدين إلى الرحيل (٤) ، ثم وقع صاف بينه وبين الزنكيين من الموصل وحلب ، عند ثرون حمص سنة ١١٢٥/٥٧١ ، انتصر فيه صلاح الدين ، وضم بعض بلادهم (٥) ، وقد حاولت الباطنية قتله أكثر من مرة ، كانت أولها أثناء حصار حلب سنة ١١٢٥/٥٧١ والثانية أثناء حصار حصن عزاز التابع لحلب سنة ١١٢٦/٥٧٢ ، والثالثة أثناء حملته على ديارهم في الشام نفسه (٦) ، لكنه نجا فخر ديارهم وأخيرة بلادهم (٧) ، ووجه صلاح الدين بصره إلى الجناح الثاني من دولته ليقيم بالتحسينات اللازمة ، فبنى حول القاهرة ومصر صورا عظيمة (٨) ، وكذلك أهتم بالامتنادية (٩) ، ثم قام بأعمال تربية شجوية على جنوب مملكة بيت المقدس ، وتمكن من حصار ملكها بلديون الرابع وجيشه في غزة ، ثم انتشر في رقعة واسعة من فلسطين ، هاجم خلالها الرملة واللد ، ووصل إلى جهات نابلس ، ثم أتته صوب الساحل ، فأعرضه نهر عليه تل الصافية ، فلم يتمكن من اجتيازه إلا بصعوبة لتزاحم الجنود ، وأثناء ذلك فوجيء بجيش مجهز من الفرنج (١٠) ، تمكنوا به من المسلمين فقتلوا منهم جماعة كبيرة ، ثم طرد إلى القاهرة وقد حاول الشيعاء أن يمهقوا أمر هذا المكسرة عليه .

- (١) أنظر الخزينة ، قسم الشام ص ١٢ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٣٩٢ ،
الشدراة ٢٣٦/٤ ، أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك في مصر والشام ٨٥٨-٨٥٠
- (٢) عند الجنان ج ١٣ ق ٣ رتبة ٥٧٠
- (٣) المسود الاصفهاني ، الخزينة ، بداية قسم شعراء الشام والامراء من بني أيوب ص ١٢
- (٤) ابن الوردي ، تاريخه ٨٢/٨ ، الكامل ٤١٧/١١
- (٥) تاريخ ابن الوردي ٨٦/١٠
- (٦) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ١٣٨
- (٧) تاريخ ابن الوردي : ٨٧/٧
- (٨) تاريخ ابن الوردي ٨٧/١٠ ، مرآة الجنان ٣٢٧/٢ ، الشدراة ٢٤١/٤٠
- (٩) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٨٧
- (١٠) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٧٠٠

اغتم الفرنج هذا النصر ، فقاموا ببناء قلعة عظيمة قرب بانياس شرف بيوت
 الاحزان * ، لترقب التحركات الاسلامية وتمقبها ، فساد السلطان الى الشام لتدارك أمر
 الاسلام ، ثم قام بهجوم على بانياس وكان يضرب به المثل في الشجاعة والرأي في الحرب (١)
 فقتل عددا من الفرنج ومنهم صاحب بانياس (٢) ، ثم هاجم حصن بيت الاحزان سنة ٥٧٥ هـ
 ونجح جميع ما فيه اذ كان فيه مقدار كبير من السلاح بلغ مائة الف قطعة ، كما كان فيه مؤن
 كثيرة ، وأسرب سبعمائة مقاتل ، فأثنى الشجراء والكتاب عليه لما قام به من حفظ الديار
 الشامية (٣) ، كما كتب اليه الخليفة تقليدا بالبلاد المصرية واليمنيه ، سهلا وجبلا ،
 مع ما تحتويه من جند ورعية ، وأضاف اليها بلاد الشام باستثناء ما كان بيد ابن نور الدين
 اسماعيل (٥٧٧ هـ) الذي كان يحكم حلب وأعمالها (٤) ، وقد كتب ابن القماوند الى
 قصيدة أرسلها من بغداد مدحها :

إن كان دينك في الصباية ديمني فقف الصلي برمستي يبرين **
 وضها :
 أضحى دمشق وقد حلت بجوها مأوى الباري وموئل المسكين

- * جاء في معجم البلدان ، مادة بيت * بلد بين دمشق والساحل . . وكان الإفرنج
 عمروها ، ونوا به حصنا حصينا ، قال النشوبن نقادة فيه .
 هلاك الفرنج أتى عاجلا وقد آن تكسير صلبانهم
 ولو لم يكن قد أتى حينها لما عمرت بيت أحزانهم
 (١) محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق
 دار البناء ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ هـ ، تحسين حبشي . ص ٢٠
 (٢) الروضتين ١١/٢ ، ٧/٢ ، ١٠/٢
 (٣) الروضتين ١١/٢ ، ١٣-١١ ، ابن الوردي ٨٩/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية
 ٣٠٣/١٢
 (٤) السيوطي ، حسن الصحابة ٢٧/٢
 (٥) الروضتين ١٠/٢ ، مضمار الحقائق ٢٦
 * في الروضتين (١٠/٢) بيزين ، ولم يذكر هذا الموضع في معجم البلدان ، وفي
 المضمار (بيزين) ولسل الصحيح (بيزين) لأن الشاعر قصد الأرض الكثيرة
 الرمل وهذا المكان هو بيزين وليحربيزين ، وهو من أشتات البعيرين ، (معجم
 البلدان مادة بيزين ، بيزين)

وأما هذا ما انتصارات الصليبية ، طلب بلدوين الرابع عقد هدنة ، توافق صلاح الدين سنة ٥٧٦ / ١١٨٠ وذلك تفرغ لمهاجمة طرابلس ، فأضطر صاحبها (ريموند الثالث) الذي عقد هدنة في العام نفسه ، بما أتاح له فرصة طيبة لتوحيد العالم الإسلامي ، إذ بدأ اشتغاله وأضعا بحلب لأنها مركز الحكم وقاعدته (١) ، لكن مختاراً جديداً أخذ يهدد قلب مملكته ، إذ اتخذ أرنات (زينودي هاشيون) حصني الترك والشوك مركزين لمهاجمة توافل الحجاج والتجار بين مصر والقام والحجاز ، وكان أرنات قد تولى الأردن بعد غكاه من أسر مكث فيه مدة طويلة تغيرت فيها أحوال المسلمين نحو الأفضل ، ولكنه بقي على لؤه وغدره ، فخرق هدنة صلاح الدين مع ملك بيت المقدس ، وقام بالهجوم على قاعة ذابية إلى مكة سنة ٥٧٧ / ١١٨١ . فأرسل صلاح الدين إلى ملك بيت المقدس يطلب منه أمادة لم نجب ولكن أرنات تطدى في غمه ولم يذعن لأحد (٢) ، وقد حاول صلاح الدين أن يضبط عليه بالأسرى الحجاج الذين تذهبهم البحر عند دمياط ، رغم كثرتهم ، فلم يرتدع (٣) ، وفي هذا لاثنا ، صاح الخبر بخارة الفرنج أنحاكية على حارم ، إذ نهجوا وسبوا عدداً كبيراً ، بينما رحول حلب يقوم بالتفاوض مع الفرنج ويستنجد بهم ويخبرهم (٤) ، وما كان المواعلة بأحسن حالاً منهم ، وأما الخليفة فمشغول بأن لا تكون السفينة المعروفة (بالزيب) بدجلة أزا ، التاج الشريف لترقب مسن يموت . . . لأنه كلما رآها تذكرت عليه الحياة (٥) .

وأستغل صلاح الدين الهدنة المفقودة بينه وبين الفرنج في استكمال الوحش منه الإسلامية ، فعاد لمهاجمة حلب ، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها ، فذهب إلى الموصل ، وحاصرها أياماً ، لكن لم يفلح في فتحها ، إذ كانت محصنة ومحصلة بقلع لا سبيل إليها إلا بأخذ هذه القلاع وما حولها من البلاد (٦) ، فعاد إلى حلب حيث أرسل الخليفة بأمره بترك أمر الموصل وحلب ، فرد عليه صلاح الدين بأنه لا يمكنه الجهاد والتفرغ للسدود دون خطيئة وطائفة ، إلا فالأولى أن يتنازل عن أملاكه لهؤلاء ، على أن يقوموا بواجب الجهاد ، ثم حاول أن يقتضيه ويخبره بأن حكام حلب والموصل أطلقوا مطابعتهم للجهاد ، وبين له أن الهدنة مسما عنها من الفرنج إلا بسببهم (٧) .

(١) ابن الحديد ، زبدة الحلب ٢ / ٦٠ - ٢٥ ، القاطل ١١ / ٤٩٦

(٢) Stanley Lane Poole, A History of Egypt in the Middle Ages p. 207

(٣) ابن واصل ، فخر الكروب ٢٥ / ٢٤ ، ويذكر أن عدد هم ألف وستمئة وتسعون .

(٤) الروضتين ٢ / ٢٣

(٥) الأيوبي ، مشيخار الحقائق وصر الفقائق ، ت حسن حبشي ، دار الهنا ، القاهرة ، ١٩٦٨ هـ

(٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ٥٧

(٧) الروضتين ٢ / ٢٢

وعاد السلطان الى الجزيرة الفراتية ، وعمل على ضم كثير من البلاد اليه (١) ثم عسكر
الفرات سنة ٥٢٩ هـ وسير العسكر الى حلب هـ ففاجزها ، وحين علم صاحبها (عماد الدين زنكي)
أن لا قبل له به هـ اتصل به على أن يسلمه البلد مقابل أعطائه سنطار وذلك قضى على معظم
الممالك الضعيفتوا لملوك الذين يقول فيهم ابن اسعد الموصلي :

ملوك جلهم مفرى بمثلهم
ومشغول بملهو أو مـسـسـزاج

أو ما قاله فيهم ابن سناء الملك :

ممالك لم يدبرها مدبرها
حتى أتاه صالح الدين فأنصلحت
الآن برأي غصي أو بمقل صبي
من الفساد كما صحت من الوصب (٢)

وبذلك أيضا ضمن قوة كبيرة يقف بها أمام الفرنج ، فكان فتح حلب بداية فتح القدس
كما أشار الى ذلك ابن الزكي قاضي دمشق قبل فتح القدس :

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر
بفتح يفتح القدس في رجب (٣)

* * *

وكان أن اقدم أرناط على مشروح عظيم - دون أن يفكر بالسواقب - وشوأنه جهز
أسطولا وأوكل له مهمتين : الأولى : نهب السفن الاسلامية التجارية ، والثانية : احتساب
المدينة المنورة ونقل جسد الرسول الكريم الى بلادهم ليدفنوه عندهم ، ولا يكتفوا المسلمين
من زيارته الا بجمل (٤) .

ولذا عبر الحادل أخو صالح الدين أسطولا أرسله مع حسام الدين لؤلؤ ، وأوقع
ببحا صري أيلة هزيمة نكراء ، ثم داهى الفرقة الثانية وقد عزوا على دمشق المدينة وبكة ، فأدركهم
بمأجل حوراء ، فقتل أكثرهم وأسر الباقين (٥) ، ولم يكتف أرناط بهذا بل غدر بالمسلمين ،
بعد أن أمضهم ، فهاجم قافلة قادمة من مصر الى الشام ، وحين ذكره صالح الدين بالعهده ،
وطلب منه إطلاق الاسرى والقافلة رد بقوله " قولوا لمحمد يغلصكم " (٦) .

زالت الحوائق التي أغترفت صالح الدين في تأديبه لارناط على أعماله ، وبالأضافة
الى ذلك تدهورت أوضاع مملكة بيت المقدس ، إذ توفي بلدوين الرابع ، وخلفه " جياي لوزجنان " .
فراسل صالح الدين وطلب منه المساعدة على أهل مملكته (٧) .

(١) أنظر مضمار الحقائق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ١١٠ - ١١١ ، والكامل ١١ / ١١ - ٤٨٨ - ٤٨٨ هـ ، وزبدة

الحلب ٢٠ / ٢٥

(٢) البروضتين ٢ / ص ١٧ هـ ٤٣ هـ ٤٤

(٣) الانس الجليل ٢١٧ هـ ، وأنظر مضمار الحقائق ٩٢ هـ ، تاريخ ابن الوردي ٩٣ / ٢٠

(٤) ابن الاثير ، الكامل ١١ / ٤٩١ هـ - ١٩١ هـ ، الانس الجليل ٣١٦

(٥) تاريخ ابن الوردي ٩٢ / ٢

(٦) مقياس القروب ١٢٤ / ٢ هـ ، ابن شداد ٧٨

(٧) البروضتين ٢ / ٧٤

وهنا أمر صالح الدين بتعبئة المساكين من حلب ومصر والجزيرة ، ووكل أبنة الأفضل باستقبالها في مدائن دمشق ، بينما قام بشارة على الكرك والشوبك ، ثم عاد إلى الشام فوجد أمورها مهتأة ومنظمة فتميز البيوت وسيرها يرسد دخول الساحل ، وعند ما سمع الفرنج بأجتماع كلمة المسلمين ، اجتمعوا وتسلخوا ثم أقاموا في صفورية بجبل طبرية ، فاستشهد صالح الدين أراحته عن مراكزهم حتى يصلوا إليه ، فغدا عن أنه بهذا العمل يحرمهم من الماء بأحاطته ببحيرة طبرية ، ولكنهم بقوا حيث هم ، فاحتل طبرية لعلهم لن يهدأوا لذلك ، فلما وصلهم الخبر ثارت ثائرتهم ، فغلب السلطان ، وقال : جاءنا ما نريد ، ونحن لهم بالمرصاد ، فلا قبل لهم بنا ، فإذا نظرناهم مناخذ طبرية وجميع الساحل (٢) .

عسكر الفرنج على سطح جبل طبرية بعيدين عن الماء ، فاشتد بهم العطش وأندفعوا إلى ماء طبرية غير مرة ، ولكن المسلمين كانوا يردونهم ، ولم تزل الحرب تستمر فاشتد أوارسها حتى دارت الدائرة على أهل الشرك ، إذ ان المسلمين قد أشعلوا النيران في الأعشاب فازدادت عليهم الحرارة اللاهبة ، حرارة النور وحرارة النار ، والحديد الذي به يتخوذون ويدعون إناغة إلى العطش الشديد ، فكانت الخيبة للمسلمين ، فغلب النصارى ، فقادهم صالح الدين ، ولما رأى صاحب طرابلس أمارات النشلال قد نزلت بأهل دينه بأمر إلى الهرب ، ثم أصابه ذات الجنب ، فكانت سببا في هلاكه بمشيئة الله (٣) .

أما بقية الجيش فقد اشتد قتالهم حين أيقنوا بالهلاك ، لكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فقتل منهم عدد كبير ، كما أسر الكثير ، وقد طامع المسلمون الأسرى معاملة كريمة ، وأحضر السلطان الماء الخالص لمالكهم ، أما أرناط فقد تم قتله وفاء بنذر السلطان (٤) .

تابع صالح الدين فتوحاته ، فتوجه نحو عكا ، بغية القضاء على قواعدهم البحرية ، بينما قامت بعض الفرق بأحتلال الناصرة ، وتيسارية وحيفا و صفورية . . . وغيرها كما استعمل بيروت وجبيل ، ثم سار نحو عسقلان ، وفي طريقه إلى القدس تسلم مواضع كثيرة كالرملة ، وبينها والمداروم ، كما تسلم أصحابه غزة وبيت جبيل والمداروم بتبرقتان (٥) ، ثم توجه إلى بيت المقدس ولم يلبث من ثمت أن استسلموا ، وسمح لهم بمغادرة القدس ، بمقتضى مقابل فدية مسمومة بصيغة (٦) وهنا نلاحظ الفرق الشاسع بين معاملة المسلمين ومعاملة الفرنج .

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٧٤ ، ٧٥ ، الروضتين ٢ / ٧٥
- (٢) المصدر السابق ٧٦ ، ٧٧ ، وابن الأثير ، الكامل ١١ / ٣٥
- (٣) النوادر السلطانية ٧٨
- (٤) طعن الخروب ١ / ٢٠٧ ، حسن الحاضرة ١١ / ٣٤ ، النوادر السلطانية ٨٠
- (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٨٠ ، الكامل ١١ / ٥٤٠ ، ٥٤١
- (٦) ابن الأثير ، رسائل ابن الأثير ، أنيس المقدسي ، دار السلام للناشرين ، بيروت

سنة ١٩٥٩ ص ١٥٤

بهذا الفتح العظيم تحسنت أحوال المسلمين ، بينما انحصر ظل الصليبيين وقد مجتهد الثمراء ، والفتاب هذه الفتوحات ، وظالبوا بأستكاث الفتح ، كما عملوا على تحريك الهمم لطرد الغزاة ، ولم يبق أمام المسلمين إلا صور ، وليرابلس ، وأنطاكية ، وبيناء السويدية ، وحصن المرتب ، وقد حاول صلاح الدين احتلال صور ولكنها أفضت عليه لضعفاتها الطبيعية ، وكثرة من فيها من الفرنج الذين جاءوا من المناطق التي احتلها المسلمون (١) .

* * *

أحدث سقوط القدس في أواخر القرن الثاني عشر في أوروبا ، لا سيما بعد أن وصل بعض الرهبان يحملون صورة المسيح ، وقد أداما الحرب ، فخرج الفرنج إلى فلسطين بأعداد شائلة ، إذ خرج ملك الألمان بطائفي البواتيل طائفتين وستين ألفا (٢) ، وقد وصلت هذه الجموع العظيمة إلى القسطنطينية ، تريد البناد الإسلامية ، فأمرهم من جاء عن طريق قبرص أو من صور .

وإن ذلك أرسل صلاح الدين ابن هداد إلى خليفة بغداد ، وصاحب سنجار ، وصاحب الجزيرة ، وصاحب الموصل ، وصاحب أربل يطلب منهم الخروج إلى الجهاد (٣) ، فوعده كل منهم خيرا ، كما قام بطالب الجند من مصر والشام للوقوف في وجه الهجوم العاتي .

وقد كان لتحسن العلاقات بين المسلمين والروم أثر مهم في توقف صلاح الدين على أخيار الحملة الألمانية ، فقد بحث ملك القسطنطينية له برسالة أخبره فيها عن اقترابهم من القسطنطينية ووعده بأن لا يتركهم من الصبور (٤) ، وحين وصلت الحملة أرض القسطنطينية وضع العراقي مسل أمامها ، لكن كثرتهم أرغمتهم على التراجع ، فقبلهم أمام قبرهم المجهول عبر الأناضول ، كما أرسل إلى صلاح الدين يخبره عن خيائهم (٥) ، وقد تابع الألمان زحفهم عبر آسيا الصغرى يخربون وينهبون الرعب ، فغاضهم السلطان السلجوقي (قلج أرسلان) ، فقدم لهم الأدلة حتى وصلوا أرض الأرمن ، فاستقبلهم ابن لاكون (لاون) وزودهم بالمواد والأدلاء حتى وصلوا إلى طرسوس ، فأقاموا على نهر ، أصيب ملكهم عنده بمرض ، بعد أن سب فيه فكانت نهايته (٦) .

ضاق الشناق على المسلمين ، إذ أصبحت الحملة الألمانية على مشارف الشام . والحملة الفرنسية والانجليز ترابط في حقله تنتشر بدور البحر ، تحفزاً للمجوع ، وترسيع صور يهاجمون عكا والمسلمون يقتلون منهم العدد الكثير ، لكن ما إن يقضي على مجموعة خستى تظهر مجموعات آتية من البحر (٧) .

(١) الأندلس إلى ٧٤٢ هـ ، الجزء السلطانية ١٣٧ / ٢ ، الثاني ١١ / ٢١

(٢) ابن هداد ، النوادر السلطانية ١١٥

(٣) لاحظ قول د . بدرى محمد غهد ، أنه لم يطلب الخروج من الخليفة ، وأنظر

ابن هداد ١١٥

(٤) الروضتين ١٥١ / ٢

(٥) النوادر السلطانية ١٣٢

(٦) النوادر السلطانية ١٤٤ ، ابن العديم ١١٤ / ٣

(٧) الروضتين ١٥٢ / ٢

لكن الاخبار وصلت بموت ملك اللاتان ومعه جيشه بسبب الامراض التي نكت بهم (١)
ولذلك طالب السلطان من اراء الجند فمنهم من وصول عكا ، ولم ينتظر وصول امدادات
القوات الاسلاميه ، وانما قام بهجوم على الجيش الصليبي قتل فيه عددا كبيرا منه ، فانتشر الوسا
بينهم مما اضطر صالح الدين الى الرحيل عنهم ، بينما اتبع لهم المجال لمزيد من
الاستعدادات ، وفي هذه الاثناء وصلت الحملة الفرنسية والانجليزية ، واحكم الفرنج الحصار
على عكا ولم تخلج محاولات صالح الدين لاعدادهم بالميرة والسلاح (٢) ، فخرج حامي المدينة
الى الفرنج ، وفاوض معهم بالتسليم ، ولكن الفرنج سكتهم بعدادهم بالغدر ، وقتلوا
الاسرى البالغ عددهم ثلثة آلاف مسلم ، سبوا ، ثم اختلوا حيفا وتيسارية بعد ان اشلتها
الحامية الاسلامية ، ثم ساروا نحو ارسوف ، وهزموا المسلمين فيها ، فاسرع صالح الدين الى
عكا لان وخبرها وسك جو غامر بالحزن والبكاء (٣) .

لكن الفرنج توتفوا بسبب ما نشب بينهم من نزاع على ملكية الاراضي المفتوحة والقسم من
بعد احتلالها ، مما اثار صالح الدين ان يضمن القدس ، وان يحسم الابرار على الطوائف
وحين وصلت الحملة مضائق القدس ، ورأت ما فعله صالح الدين فغضب ريشارد التوفند
صهاجمة القدس ، والدخول معه في مفاوضات ، لا سيما بعد ما علمه من ثورة اخيه غده غسبي
انجلترا (٤) فاقترح على صالح الدين تزويج ابنته بالسادس اخي صالح الدين ، وقد دامت
المحادثات طويلا ولكن دون جدوى ، واستمر عقد صلح الرطة سنة ٥٨٧ / ١١٩٢ . ونسودى
في الناس : " ان الصلح قد انتظم ، من يشاء " (هكذا) من بلادهم يدخل بلادنا فليقتل
وهن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليقتل (٥) .

وتوفي المجاهد الكبير صالح الدين سنة ١١٩٣ / ٥٨٩ تاركا ملكة واسعة وابنة
ثقيلة تحملها ابناؤه من بعده ، بالإضافة الى اخيه " الحادل " ، وقد تولى ابنه الاقل علي
دمشق والساحل وبيت المقدس . واشد " المنير عثمان " مصر ثم اخذ " الظاهر غازي " حلب
اما اخوه الحادل فقد تولى اماره الاردن والكرام ، ولم يلبث الخلاف ان دب بين ورثة صالح
الدين الايوبي واستمر فترة من الزمن (٦) .

-
- (١) شيخ الكروب ٢ / ٣٢٦ ، النوادر السلطانية ١١٨
 - (٢) النوادر السلطانية ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦١
 - (٣) الروشدين ٢ / ١٩٢
 - (٤) شيخ الكروب ٢ / ٣٧٥ ، الروشدين ١ / ١٢٩ ، وانظر سعيد طاشكسور
المسيرة الصليبية ٧ / ٨٨٥
 - (٥) تاريخ ابن الفرات ، مجاد ٤ ، ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ٨٦ ، الروشدين ٢ / ٢٠٤
 - (٦) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ٢ / ٨٧ ، الروشدين ٢ / ٢٢٨

وبعد أن هدأت الأمور في البيت الأبيض وانتهت مدة الهدنة ، أرسل الفرنج حملة جديدة ، فانتشروا في الساحل وكثروا فيه واعتدوا على بعض المسلمين في منطقة القدس وأسروا وغنموا (١) ، فقتل لهم السادل من أمراء بني أيوب وكسرهم بمنع عكا ثم احتل ياغا بالسيف ، لكن الفرنج احتلوا بيروت بعد أن هرب عنها واليهما عز الدين أحماد ، ثم عقد صلح بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات ، عزل السادل مخالفا على توحيد الدولة الأيوبية تحت زعامته ، وقد تمكن من بسط سيطرته على مصر فأصبح سلطان المسلمين في مصر والشام ، واعتمد في تصريف أمور الولايات على أبنائه بينما يتنقل هو بين هذه الولايات (٢) .

* * *

وبعد أن فشلت الحملة الصليبية السابعة في استرداد بيت المقدس ، رأت البابوية أن تشرب مصر أولا ، باعتبارها السبب الأكبر في سقوط مملكة بيت المقدس (٣) ، وقد تقرر ذلك فعلا ، وبقي أمر نقل الجند إليها ، فغسقت الفرنج مع أسطول البندقية لنقلهم ، ولكنهم استجدوا الكسوف الثاني البيزنطي بهم لاختطاف التورتالداغية ، أنظمتهم في السيطرة على الطريق الذي عانى منه الفرنج قديما ، كما أنظمتهم في استنحاح الكنيسة الشرقية للبابوية (٤) . ولذا فقد استولى الفرنج على القسطنطينية سنة ١٢٠٤ / ١٢٠٤ ، وأعلموا السيف في أهلها ثلاثة أيام ، وتتلوا الأساقفة والرهبان الذين خرجوا إليهم وبأيديهم الأناجيل والصلبان ، يتوصلون بها ليقتلوا على حياتهم ، فلم يلتفتوا إليهم وتناولهم أحصين ونهبوا الكنيسة (٥) .

ثم وصلت بعض جموع الفرنج إلى الشام ، وقاموا بسدة عمليات لم تكن حاسمة كسكان منها هجومهم على حماة ، وقد نزلوا فيها ، يقول عنها الدين أسعد بن يحيى النجاشي في ذلك (٦) .

تترك لهم أجزا يبقى إلى أجسم
وأرضي ليجدك أعظم على جيسم

عاجلتهم بالمايا والحتوف فلسم
فأكسر صلبهم عن صلب حشمتهم

(١) مفتح الكرب ٧٤ / ٣

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر مفتح الكرب ٧٨ / ٣ ، وأروستين ٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٣ وتاريخ

ابن الوردي ١١٣ / ٧ وابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ٢٢٥ ، وسعيد شامور

السرقة الصليبية ١ / ١٧٦ .

(٣) Stanley Lane Poole, *History of Egypt in the Middle Ages* p. 218, 241

(٤) فخر ، تاريخ أوروبا المصور الوسطى ١ : ٢٤١

(٥) ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ٢١٨ ، ابن الساعي ، التاريخ المختصر لشمس مصطفى

جواد ، المحلصة السريانة الكاثوليكية ، بغداد سنة ١٩٣٤ ، ٤٧ - ٥٠

(٦) تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥٧ وأنظر ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ومجلد ج ١ ص ١٢٤

وأزاح هذا الفضل ، وأجبر عتاقهم وأغاروا بنصد مصر أيضا ، ولما وصلت الحصلة الى عكا ، وانتشر أفرادها في الساحل يقتلون وينهبون حتى اذا استراحوا ، أنشأوا الى مصر مخالفين وزاء هم العرب والتدمير (١) .

وأخيرا وصلت الحملة الى دمياط سنة ١٤٤٤ بعد مشقة بالغة بسبب ما اتخذها الكامل من احتياطات في مدخل النيل ولكنهم حللوا تلك السلاسل ، وصنعوا مركبا عظيما شحنوه بالرجال والسلاح وأجروه في البحر ، ومنه وشبوا الى سور دمياط (٢) ، وتوفي الصادق ، وبقي ابنه الكامل يرقب الموقف ، ولكن أحد قادته حاول الثورة وأحدث الفوضى ، مما اضطر الكامل أن يتراجع عن المدينة ، وبذا انفتحت أمامهم (٣) ، وأرسل الملك الكامل الى أخيه يحثه على سرعة الحضور ، وصدر المكاتبة بقوله :

يا محمدي إن كنت حقا مصفيا
وأحسث قلوبا موتلا أو موجسا

فأنهض بشير تلبيك وتوقس
بتجشم في سيرها وتحتسب

وقبل أن ينجده أحد من أخوته تمكن الفرنج من الاستيلاء على دمياط ، وأرتكبوا فيها الجرائم ، إذ غدروا بأهلها بعد أن أخذوا من بقي منهم (٤) ، ثم أتبعوها مع النيل داخل مصر ، والمسلمون لا يفلتون على شيء ، فأخذ الكامل المنصورة مركزا للدفاع ، وعرض عليهم كل ما فتحه صالح الدين بط في ذلك القدس ، على أن يشادروا الأراضي المصرية ، فلم يقبلوا بذلك وطلبوا أموالا طائلة لبناء أسوار القدس .

ثم تجمع لدى الكامل جيش عظيم ، وأخذت الأعدادات تطله تباطا من أخوته الأشرف موسى والمصطفى عيسى ، وشكلت البحرية الاسلحة من قطع النيل عنهم ، وأغرقت سفنا فرنسية متسلحة بالسلاح والميرة ، وكان أن غاص النيل ، ففتح المسلمون السدود والقنوات ، وأصبح الفرنج محاصرين ، يفقد الطين حركتهم ، وبالإضافة الى مناصرة الجند المسلمين لهم . . . فوقعوا بين أسير وقتيل بعد أن وصلوا الى المنصورة (٥) .

وأجتمع الكامل معده وأخواه بعد هزيمة الفرنج في ليلة سمر ، قال فيها الشجعراء شعرا وعنفوا فيها لخطاة وأعمالها ثم مزجتها ومن مهمل مشروم تول الشاعر راجع الخابي :

أعباد عيسى أن عيسى وشريفة
ودوس ، جميعا ينصران محمدا *

-
- (١) العذرات ٦٥/٥ - ٦٦
(٢) القزويني ، آثار البلاد وأشجار البلاد ، دار صادر ، دار بيروت سنة ١٩٦٠ ص ١٩٤
(٣) تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٥ ، ج ١ ص ١٤٦ - ٢٤٩ ، المختصر في أخبار البشر ١١٢/٣
(٤) العذرات ٦٦/٥
(٥) المختصر في أخبار البشر ١٢٥/٢ ، ابن الفرات مجلد ٥ ، ج ١ ص ٢٤٩ تاريخ
ابن الوردي ١٤٦/٢
- * في البيت ثورية باسم عيسى وهو المصطفى أخو الملك الكامل ودوس هو الأشرف وصحف
هو الكامل للجهاد من النفاصيل انشأ القيد على الوثائق ١٢٦ - ١٣٠

ونشب النزاع ثانية بين الأخوة من البيت الأيوبي ، بل وصلت الأمور إلى حد استنجد بهم بعضهم بأعداء المسلمين ضد بعض ، إذ استنجد بعضهم بالنوادر من بينهم وبينهم الأكثر بالملك غردوريك ملك صليبية (١) وقد قدم الجيوش الفرنجية بالتوالي إلى عكا سنة ٦٦٥ / ١١٦٨ ، وأخذ يعني التحصينات في عكا وغيرها ، استعدادا للمحجم ، ريثما يصل الامبراطور ، وكان أن وصلت الملك المعظم فاحتل القامل القدسي ونابلس ، وأتفق من أخيه الأشرف على أخذ دمشق من الناصر داود بن المعظم الذي كان مقيما بنابلس ثم رحل إلى دمشق سنة ٦٦٦ / ١١٦٩ (٢)

ووصل غردوريك إلى الشام في وقت لم يجد فيها القامل الذي كان قد استنجد به في حاجة إليه ، فغلب الامبراطور من القامل أن يسلمه ما كان وعد به من الثنازل عن كل ما احتله من بلاد الدين مقابل القضاء على المعظم ، فراسله القامل ولاطفه ، فلبى غردوريك إلى الحكمة والدشاة ، وأنشئ الأمر بتسليمه القدسي وبيت لحم ، والناصره وغيرها على أن تضع الحرب أوزارها مدة عشرين ابتداء من ٦٦٦ / ١١٦٩ (٣) .

وقد استاء المسلمون لهذه الهدنة ، فأخذت البكاء وتظم الصراخ والصويل ، وكان نتيجة ذلك أن ازداد تمزق البيت الأيوبي ، إذ اتجه القامل والأشرف إلى دمشق لأخذها من الناصر ، فكرهسها الناس وأوغرت عليهم الصدور ، وقد تولى القامل حصار دمشق ، وقيل عنها الانهيار ونهب البساتين (٤) ، ثم أخذها صلحا .

وحين أوشكت الهدنة التي عقدت بين القامل وغردوريك على الانتهاء شحيت البابوية على بيت المقدس ، فعدت إلى حملة صليبية جديدة ، وعد فيها حماية القدسي ، وترميم الاسوار ، وبذلك تكون قد خرفت الهدنة التي عقدت بسدم تجديد البناء ، فاستنزل الناصر داود الفرصة وشجع على الفرنج وطردهم منها ، وردا على ذلك ، نظم الفرنج حملة بقيادة ملك فرنسا (لويس التاسع) الذي أرسى بئسا وأنهت أصحابه في بلاد الساحل ، فساد الذعر وثاف النساء ، على القدس والاماكن الأخرى ، وقد قال الناصر داود في ذلك * :

أيا ليت أمي أيم طول عمرهم فلم يقنصها ربي لدولي ولا بحسب
ويا ليتني لما ولدت وأصبح تهد إلى القد قممات بالوعب
لحقت بأحاديثي فكنت ضجيجهم ولم أر في الاساقم ما فيه من خسل (٥)

- (١) للمزيد من التفاصيل أنظر الحركة الصليبية ٦٦٨ / ١
 - (٢) تاريخ ابن الوردي ١٥٠ / ٧ ، مخزن الكروب ٢٣١ / ٤ ، الفرائد ١١٨ / ٥
 - (٣) السلوك في ١ ج ١ ص ٢٢٨ تاريخ ابن الوردي ١٥٠ / ٦
 - (٤) ابن الأثير ٤٨٣ / ١٢ وأنظر :
مخزن الكروب ٢٥٩ / ٤
 - (٥) ذكر ابن الوردي في تاريخه أن هذا ما لا يثبت للمعز بن عبد الصائم ، وهي للملك الناصر داود وقد رواها ابن الملك الامجد في كتابه " الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية " (أو رسائل الملك الناصر ورقة ٢٠٤ ، ٢٠٥) .
- الملك الامجد ، الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية مخط ، ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥

الا أن الحملة اتجهت الى مصر ، لانها القاعدة الحربية المهمة للمسلمين ، فأرسل لويس التاسع الى ملك مصر يشهدده بكثرة جيشه وقوة فتكه ، فرد عليه الملك الصالح نجم الدين طاهر مصر بأنه لا يخاف الكثرة ولا القوة ، لان المسلمين هم أرباب السيوف ، وهم أصحاب الارض وليسوا طارئين وقد أخذ يتوعد بقوله " . . . فلورأت عينك أيها الضعيف - حد سيوفنا وعظم حروبنا . . . لكان لك أن تحضر على أناملك بالندم ولا بد أن تنزل بك القدم ، في يوم أولئك لنا وآخره عليك ، فهناك تسوء المثلون ، وميعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون (١) " .

وأشرف الملك الصالح رغم مرضه ساعلي تحسین دمایط ، وعززها بالمقاتلين من قبيلة كنانة لكن الحملة كانت في غاية القوة والاستعداد فصطمت النواثق التي تترقل مرور السفن في نهر النيل ، مما أثار الخوف في نفوس بعض أمراء دمایط ، فولوا الأدبار وتبعهم كثير من الناس ، فقبض الصالح عليهم ، وأعدم منهم خمسين أميراً شقاً (٢) ، ولكنه توفي ، فقامت زوجته " شجرة الدر " مقامه ، وأرسلت الى ولده تورانشاه ليتولى أمر مصر ، في حين وقع الفرنج في الخطأ الذي وقع فيه أسلافهم ، وقد استطاع تورانشاه أن يأسر الملك الفرنسي وأخاه ، كما أستولى على عساكر الفرنج ، وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف فارس ، وأسر من النخيلة والرجال ما يناهز مائة ألف ثم جيء بالملك الفرنسي وأخيه الى المنصورة وأعتقوا في دار فخر الدين بن لقمان (٣) ، وقد قال الشاعر بن المبروري من بغداد يصف كثرة قتلائهم :

تركنا من الأعداء بالسيف مطعنا
ومنهم الوقت أربعون بأمرنا

ثلاثين ألفا للقشاع والأشع
فكم ملك في قبضنا صار كالصبيد (٤)

وقد أطلق سراح ملكهم وباقي الجند على شرط أن لا يعودوا الى مصر ، وأن يدفعوا غدية كبيرة وحين غزم لويس على مهاجمة مصر مرة ثانية ، قال ابن مطير :

قل للفرنسيين إذا جئتكم
أجركم الله على ما جئتم

مقال صدق عن قول نصير
من قتل عباد يوح السبي

أتمت مصر تبتغي ملكها
وأشهرها :

دار ابن لقمان على حاله

(١) ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٨ ، المقريزي ، الملوك المصرية دول الملوك

ج ٢ ، ص ١٤٧

(٢) نهاية الأرب ج ٢٧ ورته ١٠٠

(٣) تاريخ ابن الوردي ١٨٧١٠ ، القديس لويس جوفانيل ، ترجمة حسن حبشي ، ١٤٠-١٤١

(٤) نهاية الأرب ج ٢٧ ، ١٠١ ، ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ٢٥٩ ، ربيعان ٤٦٥/٢

(٥) حسن الحاضرة ٣٩/٢

في البيت الأول " مطعنا " لملها " مطعنا " والثاني ورد مكسورا " قبضتنا "

(٥) النويري ، اللام بالاعلام في جرت به الاغتيا والاور التقنية في وقعة الاسكندرية ج ١ ص ١٧

وهكذا فشلت جميع محاولات الفرنج لاستيلاء على مصر ، فوجهوا أنظارهم نحو
التتار ، لعلهم يجدون فيهم سندا لهم في تحقيق أهدافهم ، وقد كان من الممكن لهم ضرب
المسلمين لولا القتال فيما بينهم بحروب داخلية كان أشدها ما حدث بين الهنادقة والجنوية (١)
وأستغل المسلمون فرصة هذا النزاع الموقوت أيام الشزوا المنولي الذي أكتسح العراق ومصر بلاد
الشام وهدد مصر (٢) ، إذ أرسل هولاكو إلى قطز يطلب منه الاستسلام ، فجن قطز
جيشا قويا ، والتقى مع المنول في عين جالوت وهزمهم سنة ١٢٥٦/٦٥٦ هـ ، ثم تبع الظاهر
بيبرس قتلهم بينما سار قطز إلى دمشق ، فاستقبله أهلها استقبالا مخلصا من أعمال التتار
الوحشية .

* * *

وبعد ذلك تولى بيبرس حكم مصر والشام ، فهما الأمة للجهاد ، ثم انتقل من مصر إلى
الشام ، وقام بهجوم على أنطاكية لضعف حكامها للمنول ، ثم هاجم مملكة بيت المقدس ، فاستولى
على قيصرية وأرسوف ، وتلحمة صفد قاعدة الفرسان الداوية ، مما أغضب من شوكتهم وخطتهم
مخبريهم ، فمقدروا منه هدمه (٤) ، وفي سنة ١٢٢٢/٦٢٢ استولى على يافا ، وحصن
الأكراد ، ونازل حصن عكا وملكه بالامان ، وقد حثا القسراء على القضاء على غاصصة الصليبيين
(عكا) ، فقال أحدهم (٥) :

يا فلانة الأرض بشيئنا
هو عكا وزيننا

يا فلانة الأرض بشيئنا
إن عكا ريتنا

وبعد وفاة بيبرس تابع قلاوون عمله في القضاء على المنول والفرنج ، فبعد أن أنزل
بالمنول هزيمة حاسمة رغم كثرتهم في عام ١٢٨٠/٦٨٠ هـ بدأ يوجه اهتمامه نحو الترسين
فاحتل حصن المرقب سنة ١٢٨٤/٦٨٥ هـ وهو حصن منيع ، ولم يبق للفرنج سون عكسا
وطرابلس وصيدا وصور وعسقلان وما حولها (٦) .

- (١) الحركة الصليبية ١١٠٧/٢ - ١١٠٨ هـ رنسيان ٤٨٧/٢ هـ أحمد مختار العبادي ،
قيام دولة المماليك ٧٦٠ هـ عبد القادر اليوسفي ، عراقات بين الشرق والغرب ٢١٦
- (٢) المختصر في أخبار البشر ١٠٢/٢ هـ ١٠٥٠ هـ ، وتاريخ ابن الوردي ٢٠٧/٢ هـ
يزعم رنسيان (الحروب الصليبية ٥٢٨/٢) أن قطز تحالف مع الفرنج لقاتلة العسود
المشرك ، والحقيقة أنهم عرضوا عليه المساعدة ، غرضها لأنه لا يستعين بكافر على كافر
وسبب العرض هو أن المنول قربوا النصاري الشرقيين ، وتاملوهم بشغاف معاملة الفرنج
النريين مما أثار تخوفهم (الحركة الصليبية ١١١٢/٢) .
- (٣) بدائع الزهور ١٠٥/٢ هـ
- (٤) مذكرات الذهب ٣١٢/٥ هـ وأثر أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك ١١٣
- (٥) تاريخ ابن الوردي ٢١٥/٢ هـ
- (٦) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٢٢٢ هـ ٧٦٠ تاريخ ابن الترات مجلد ٨ ص ١٢ هـ تشریف
الأيام والمصور ٤٣

في سنة ٦٨٨ / ١١٨٩ هـ احتل قشرون طرابلس ، وبذلك لم يبق وجود الفرنج في الساحل
فأستجدوا بأوروبا ، فجاءت حملة أيطالية ، أنتهت بالفشل وانقلبت عليهم بالويل ، فقد هاجم
رجالها المسلمين ، المتجار منهم والمزارعين في منطقة عكا ، دون أن يقيموا للهدنة المحقودة بسين
قوسهم وبين المسلمين وزنا ، فطالب السلطان قشرون بتسليمه للمجرمون ، فأعذروا له عن أعمالهم
وأنهم ليسوا من رعايا المملكة ، فلم يبعد عذرهم قبولاً ، وجهز جيشاً لمهاجمة عكا (١) ، ولم يكمد
السلطان يفرغ من أعداد الجيش حتى واثته المنية ، فتولى الأمر من بعده ما يئمه الأشرف خليل
وأمر أن يستمدد القاتلون في دمشق ليلتقوا مع أخوانهم من مصر للتوجه نحو عكا ، فخرج أهل
دمشق بمدون الجيش بما يستطيعون ، وقد أشتبك في ذلك كل فئات لاهالي إذ خرج الناس من
فقهاء ومدرسين وعلماء وصالحاء يعملون ويجرون الآلات والمجانيث ٠٠٠ وحاصر السلطان عكا ،
ورغم ثغاني الفرنج الذين بلغوا ما بين ثلاثين وأربعين ألفاً في الدفاع عنها إلا أن الأشرف خليل
تمكن من احتلال المدينة ، غفر الفرنج وقتل منهم خلق كثير ، والسعيد منهم من أتاحت له فرصة
الوصول إلى الدراكب للهرب (٢) .

وقد جاء سقوط عكا زلزالاً دمر الكيان الصليبي في بلاد الشام ، فاستسلمت صاقلهم
الواحدة بعد الأخرى صور ، وصيدا ، وأنطراطوس ، وعسقلان (٣) ، وبذلك تكاملت فتوحات جنود
البلدان الساحلية للإسلام ، وقد وصف الصراة هذا الفتح العظيم ، وقال القاضي شمس
الدين محمود (٤) :

الحمد لله زالت دولة الصليبيين	وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت	روياه في النوم لاستحييت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدهم	في البحر للمرك عند البر سنن أرب

* * * *

وهكذا أنتهى الوجود الصليبي في ديار الإسلام بعد صراع مرير دام قرابة قرنين من
الزمان ، أحرزت في بدايته جيوش الفرنج نصراً مؤقتاً ، في ظروف مؤقتة لها ، ولكن تبسّط
الظروف في بلاد الإسلام ، ثم نشوب الامدادات التي كانت تأتي من أوروبا للإبقاء على الجسم
الغريب في المنطقة ألا بهذا الجسم الغريب إلى الموت المقدور المحتوم .

- (١) تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١٦٠ ، رنسيان ٦٩١ / ٣ ، تشرنك الأيام والصور ١٢٧
- (٢) محمد إبراهيم الجزري ، جواهر السلوك في الشقاء والملك ، ورته ٤٠ ٤٦ ، مشطوط
وانظر وصفهم في حصن النوسل إلى صناعة الرسل ص ٤٦ وانظر الحركة الصليبية ١١٨١ / ٢
- (٣) الديشيري في أخبار البشر ٥ / ٤ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١٦٠ ، تاريخ ابن الوردي ١٢٦ / ٢
- (٤) المختصر في أخبار البشر ٥ / ٤ ، تاريخ ابن الفرات ١٥ / ٨ ، تاريخ الراية ٣١٣ / ١٣ ،
المسارعة ص ٣ ، ص ٧٦٧
- (٥) فوستاف لوبون ، حشارة العرب ٣١٩ - ٣٢٠

الباب الثاني

الفصل الاول : المثرة الاسلامية للمصراع

القسم الاول : صراع بين عقيدتين

القسم الثاني : صراع بين حضارتين

القسم الثالث : الصراع العسكري

أولا : الجيش الصليبي

ثانيا : الأسلحة والمعدات العسكرية

ثالثا : التحصينات

رابعا : التخطيط العسكري

خامسا : التدريب النفسي

سادسا : المعارك البرية والبحرية

القسم الرابع : الخطر الصليبي

أولا : على الأرض الإسلامية

ثانيا : على المسلمين

ثالثا : على الإسلام والتراث الإسلامي

الفصل الثاني : أضواء على حياة الصليبيين

أولا : الحياة الاجتماعية

ثانيا : الحياة الاقتصادية

ثالثا : الحياة السياسية

الفصل الأول

المنظرة الإسلامية للصراع في الأدب العربي

القسم الأول : صراع بين عقيدتين :

أخذ الصراع بين المسلمين والصليبيين طيلة القرنين اللذين دارت خلالهما الحروب الصليبية أشكالا مختلفة ، منها الصراع العسكري ، وذلك أمر طبيعي منتظر ، لأن أحد الجانبين كان غازيا ، في حين كان الجانب الآخر مغزوا في بلاده ، مهددا في كيانه ، ومنها صراع العقائد الذي يعتبر المحرك المعلن للصراع كله ، ولذا فإنه يستحق من الباحث اهتماما خاصا ، ويستوجب القاء الأنواء عليه ، والجدير بالذكر أن صراع العقائد بين دولة الاسلام والدول النصرانية تسدد ابتداء منذ معركة موته ، ثم بعد أن افتتح المسلمون بلاد الشام ، وقد مرت فترات كان الصراع فيها على نطاق واسع ، ولكنه كان أحيانا يتخذ طابعا محليا ، كما كانت الحال زمن الحمدانيين ، فالحمدانيون يهاجمون الثغور البيزنطية ، والبيزنطيون يردون على الهجوم ، ويهاجمون الثغور الاسلامية ببلاد الشام من وراءها .

أما في هذه الفترة ، فقد اختلفت طبيعة الصراع ، وندف ، إذ اشتبك فيه من جانب مجرمة من الدول الأوروبية بالإضافة الى الدولة البيزنطية ، ومن جانب آخر مجرمة من الامارات الاسلامية قبل أن تتوحد هذه الامارات زمن نور الدين ، ثم زمن صلاح الدين .

وقد هدفت الجيوش الفرنجية والبيزنطية الى احتلال القدس وطرد المسلمين من المنطقة وهذا ما أدركه ابن الاثير في معرض حديثه عن مقابلة الفرنج لحرب المسلمين في أرمينيا ، إذ قال لهم ملك صقلية " إذا عزمتم على جهاد المسلمين ، فأقبل ذلك فتح بيت المقدس ، وتخلصونه من أيديهم ، ويكون لكم الشكر " (١) .

وهذا ما أشار اليه لادباء في شعرهم ونثرهم ، فهم كانوا يرون أن الحرب دينية هدفها احتلال الأرض المقدسة وما حولها من بلاد ، ولذلك نهبوا الى شطوط الوطن وحشوا على الوثنيين في وجع المحتلين ، وتقبلوا الرسول مستصرخ كل مسلم وتربي لكي يدافع عن الدين لأنه يمشي الأرض المقدسة ، أصبح الدين واهي الدعائم ، يقول ابو المظفر الابيوردى في ذلك :
ينادي بأعلى الصوت يا ل شاشم
رباحهم ، والدين واشي الدعائم (٢)

يكاد لمن المستجن بطلانية
أرى أمشي لا يشرعون الى المدى

(١) الكامل ١٤٧/١٠

(٢) نهاية الارب ٢٦٦/٥ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٨٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥
الاستجن بديعة : أن المدفون في المدينة ، وهو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام

كما وقف ابن منير في دمشق يمدح نور الدين ويفخر بأعماله ضد الفرنج مرات كثيرة ، ومن هذا المواقف قوله :

أغلى ديار الشرك من أوثانهم
حتى غدا ثالوثهم فكسبهم

وفي بغداد أمدح ابن الله أوذي صالح الدين الذي هب، ينافي عن الدين حتى غادر الأعداء ما بين قتيل وجريح وخائف يترقب الموت يقول :

وغضبت للدين المنية ولم تزل
ظادرت أهل البني بين مجسدا

وترددت هذه الأصوات على مر السنين معلنة أن الشام للأشام وهم يطأ ظهر للباطل من سطوة وغلبة ، فإن الحق يدفعهم ، يقول ابن سناء الملك :

الشام للأشام دار القسار
فيا أمان الثر لا تأمنسوا

وفي الفترة الأخيرة من ثنائي الفرنج حين تم النصر البوذر للمسلمين ، يقول شمعون الدين محمد بن الحسن الخزاري مخاطبا الأشرف خليل بن قنبرون في فتح عكا :

وأعدتها للمسلمين ولم يكن
وفي طرد آخر جندي سلمي من ديار الشام يقول شهاب الدين محمود :

الحمد لله زالت دولة الصليب
ومز بالنرا دين المصطفى السرمي (٦)

هذه مجرد أمثلة توضيحية ، تدل على أن الصراع كان دينيا لدى الطرفين ، وإن شكك بعض الأدباء والدورشين في ادعاءات الفرنج فيمت يتعلق بأهدافهم الدينية في المنطقة ، لأنهم باسم المسيح دمروا البلاد وخربوها ، وباسم الصليب ذبحوا الآلاف في كل بلدة دخلوها ، كما أثار الشكوك حول تمثيلهم لهادي دينهم ، يقول ابن القيسراني :

سروا لينتهبوا الأعداء فأنتهبوا
فقال ، ويشتموا الأموال فأنتمسوا (٧)

ويذكر ابن الأثير (٨) أنهم أجمعوا قصد مدينة حماة طمعا في النهب والغارة ، فخرّبوا القصر ونهبوها وأحرقوها وأسروا . . .

- | | |
|---|----------------------------------|
| (١) ديوان طلائع بن رزيق ص ١٤١ | (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٠٦ |
| (٣) ديوان سبط بن التعاويضي ص ٢٤ | (٤) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٨٣ |
| (٥) جواهر السلوك في السلطنة والملوك ، ورقة ٤٨ مشطوط | |
| (٦) المصدر السابق ورقة ٥٩ | |
| (٧) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٤١ | |
| (٨) ابن الأثير ، الكامل ١٠ / ٤٥٠ | |

هذه الاعمال وغيرها لو قُدِّر للمسيح عليها السلام أن يراها لما رضي عنها ، كما يقول
 طلائع بن رزيق في أعمالهم في المسجد الأقصى :

نزلت وسطه الخنازير والخميس (م) ويأري القاتوم فيها الصليب
 لوراء المسيح لم يرض فمسلا زعموا أنه له منسوب

ويقول جوافيل أحد مرافقي الملك لويس التاسع الذي غزا مصر سنة ٦٤٧ عن بعض رجاله بأنهم
 ذهبوا إلى أرمينية للمشاركة في الأسلاب والاسبياء في القتال (٧)

إلا أن ذلك كله لا يحني غياب الروح الدينية بين الصليبيين وقد أبرز الأدباء معتقدات
 هؤلاء الفزاة وأحاطوا بها لطول الفترة التي استغرقتها الحروب وما تخللها من مهادنات
 أفاضت للمسلمين غرعة لتعرف على أحوالهم وممارساتهم (٣) يقول الملك الأمجد :
 " ورفع الكفار الصليب على رؤوس الأشهاد والمشاهد ، وأعلنوا بما يفترونه من التخليث السذي
 تنزه عنه الملأ الأحد الواحد (٤) " .

وقد تعرض الأدباء لفكرة الاقانيم الثلاثة لاسيما الاقنوم الثاني وهو الابن ، لأنه سبب
 الخلاف ، فالمسلمون يعتقدون أن المسيح عبد لله ، بينما يعتقد النصارى أنه ابن لله ، ومن ذلك
 ما رواه أسامة بن منقذ حين كان مع الأمير صعين الدين أنر (وصي دمشق) عند المصخرة نجسها
 فنجس وسأله : " تريد تبصر الله صغيرا " (هكذا) ؟ قال نعم ، فمشى بين أيدينا حتى
 أرانا صورة مريم والمسيح عليها السلام صغير في حجرها ، فقال : " هذا الله صغير (هكذا) (٥) " .

ويقول السباد في معرض حديثه عن صفد : " وطالما مكث فيها المشركون ، وقالوا
 اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات يتفطرون وتنفق الأرض وتفسر
 الجبال هدا " (٦) .

وهم يعتقدون أن عيسى عليها السلام قد صلب في كنيسة القيامة ، ودفن بعد الصلب ، ثم
 قام بعد ثلاث من القبر ، وصعد إلى السماء ، وقد مثله على خشبة صلبة ، وأخذوا يعبدونه
 ويتقربون به إلى الله ، يقول ابن الأثير في رسائله " ولطالما أبتهلوا عنده أيام الحصار ، واحتنصروه
 فلم يحظوا منه في معرفة الانتصار (٧) " وفي معركة حطين ، وقع الصليب الذي كان الفرنسيون

- (١) ديوان طلائع بن رزيق ٦٣
- (٢) جوافيل ، القديس لويس ، حياته وحمالاته على مصر والشام ص ٨٩ ، ترجمة حسن عيسى
- (٣) صبح الاعشى ٣١٢/١٣ ، وابن الفرات ٢٧١/٧
- (٤) الفوائد الجلية في الفرائد الفاصية ورقة ٩٦ مخطوط
- (٥) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ١٣٥
- (٦) الصمد ، الفتح القدسي ص ٢٦٩ ، وانظر المكي ٢١١/٦ ، الصمد في الفتح ١١٨-١١٩
- وعقد الجمان ق ١ ج ١٧ ص ٩٣
- (٧) ابن الأثير ، رسائله ص ١٥٢

وتد وردت بهذا التسمية في القصر - أيما - يقول فتوان الماوري في دعوات مدحه
الصالح الدين :

لله يوسفكم أفاض وظائفا
وأباد من عبد الصليب وظائفا (١)

وتد مدحهم أيضا عباد الأصنام ، ومن ذلك ما جاء في تقليد المادل أشي صالح الدين حكم
صبر والشام وحثه على قتال المشركين " إذ في ذلك حسم لمادة لا طاع في بلاد الاسـ
ورد لكيد الماندين من عبدة الاصنام (١) .

وتد أبرز الادباء الممانون تعظيم الفرنج لكل ما يتصلق بالمسيد المسيح كما ينتقدون
فيه حسب رأيهم ، وكذلك تعظيمهم للصليب ، والأماكن التي ترتبط بتقديدهم .

أما تعظيم للصليب ، فقد أطلال الأدباء الممانون عنده ، لأنه مرتبط بمقيدة النصارى
عامة ، فهو رمز للخشية التي صلب عليها السيد المسيح ، كما يرون ، وله عندهم قيمة كيميـ
فإذا كانوا في معركة ، التجأوا إليه يستظلون النصر من عنده ويرجعون منه الفرج .

يقول الفاضل في معرض حديثه عن أسرار تلك القدس " . . ويده أوثق وثاقه ، وأكد وعيلة بالدين
وعائلته ، وهو صليب الصلبوت ، وقائد أشي الجيوش (٢) " . ثم يذكر أنسبته لديهم تسمى
المسركة فيقول " . . فيقاتلون تحت ذلك الصليب أسلح تان وأندته ويرونه هياكلا يبنون عليه
أشد عقد وأوثقه ، وبعدونه سورا تحضر عواقر الشيل شندقة " (٣) .

وتد أورد الصناد هذا المعنى في معرض حديثه عن معركة غلا وذلك حين يقول
" وأصبح الفرنج . . . وتد رؤسوا الصليان ، وزحف أسودهم في ثاب الدوان ، والدان شيرالهم
عقبانا على عقبان " . فيقول عن الصليب " . . ويذلون درنه السبي ، ويصلبون به الثرى " (٤)
ولذا فإذ فرابة في انتنائهم به ، وأطاعهم لحامله ، وتأنه الملك ، بل إن منابهم به أشـ
يقول الصناد : " ودوا الذي إذا نصب وأقيم ورش ، سجد له كن نمراني ، وهم يزعمون أنه
من الخشية التي يزعمون أنه صلب عليها محبوبهم ، فهو محبوبهم ومحبودهم ، وقد شـ
بالذهب الأسر ، وكللوه بالدر والجوهر . . . فإذا أشـ
وأثابوا عليه ، ولا يسع لأحد منهم غنا لتخلف ، ولا يسع للتخلف عن أتباعه في نفسه التـ
وأخذة أعظم عندهم من أسرار الملك ، وهو أهد مناب لهم في ذلك المسترا (٥) .

(١) ديوان فتوان الماوري ٦٦

(٢) صبح الاعشى ١١١/١٠

(٣) صبح الاعشى ٤٩٩/٦ - ٥٠٠ و ٦٨٤/٨ وأنظر الروضتين ٧٩/٢ و ٨٩ و ١٢٩

وأنظر الانس الجليل ٤٦٤/١

(٤) الفتح القمي ٣٠٨ و ٣١٣ و ٨٤

(٥) الفتح القمي ٣٨٨ و ٣٩٧ و ٨٤ ، وأنظر حطيم الصليب في الروضتين

جان ١٥١ و ١١٠ وأنظر الكامل ٥٣٥/١١

وأما رفعه على الأماكن ، فقد كانوا يختارون المكان المشرف ليشاهد فيه ، وفي هذا
تصريح له ، وقد ذكر ابن شداد في فتح القدس أنهم وجدوا الصليب على تبة الصخرة وكان شكك
عليها (١) ، وهذا ما حدث فعلاً حين دخلوا مدينة الجسر ، فسلم كل واحد منهم عليه على
دار ، وركز عليها رايته ، والراية عندهم قطعة قماش بيضاء ملونة بالصباغ الحمراء ، ومسمى
دلائل تعظيمهم للصليب ، أيضاً ، أنهم يخالفون به بعد الله والمسيح ، ثم يكررون المثلثة بعد
الاقانيم الثلاثة ، وقد جاء ما يثبت ذلك في نسخة يمين حلفت عليها الفرنج وهي : **والله ، والله ، والله**
وحق الصليب ، وحق الصليب ، وحق الاقانيم الثلاثة من جوهر واحد ، (٢) ، المكني بها عن
الاب والابن والروح القدس ، اله واحد ، وحق الصليب المكرم الخال في الناسوب . . .

وقد أشار الشعراء الى هذا التعظيم ، ومنهم ابن التيسراني الذي عاش بينهم
فترة من الزمن ، خبرهم خلالها ، وتبين بحضر عاداتهم ، ومنها تعظيم الصليب ، يقول (٣) :
أَمْحَطَّة الصليب ودَّتْ أَنْتَسِي
إذا أَتَيْتُ قِبْلَتِي حَبِيسِي

وقد عذبوا كذلك المكان الذي اعتقدوا الصليبه ، وهو كنيسة القيامة ، لأنهم يعتقدون
ان المسيح صلب فيها ، وحل اللاهوت بالاناسوت فيها أيضاً ، يقول الحاد نقاز لكانوا
يعتقدونه في تلك الكنيسة " وفيها صلب المسيح ، وقرب الذهب ، وتجدد اللاهوت ، وتأله
الاناسوت ، واستقام التركيب ، وقام الصليب ، ونزل النور ، وزل الديتور ، وأزد ربهت المايهية
بالأقنوم ، وأمنج الوجود بالمدوم (٤)

ومن الأسباب التي جعلتهم يصفونها ، اعتقادهم بان النور ينزل من السماء فيها ، وقد
روى ابن واصل أنه شاهد هذه " الشهادة " في كنيسة القيامة بعد يوم النسخ ، ويقول " ويؤمنون
أنها تقع في كل سنة في هذا المكان ، وفي كل سنة في اليوم الذي يليه يوم فصحهم (٥) " ،
وكذلك اعتقادهم أنها مكان النور ، يقول الحاد علي المنتقم " . . . فهذه قطعتنا غير مسما
مقامنا ، ومنها تقوم قياتنا ، وتصين مقامنا . . . " (٦)

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ٨٢
- (٢) الاثبات ١٨٤
- (٣) صبح الاعشى ٣١٢/١٣ ، وانظر الفتح ٥٥٦
- (٤) ديوان ابن التيسراني ، ورقه ٦٤ بخطوط
- (٥) الفتح القسبي ١١٨
- (٦) مثنى الكروب ٢٣١/٢
- (٧) الفتح القسبي ١١٨

وما جعلهم يحلمونها أيضا ، احتوارا لها على الدعوة من الصور الدينية " فليها صور
 الحواريين في حوارهم ، والأخبار في أخبارهم ، والرتابين في حوارهم ، والاتصاف في حوارهم " .
 ، وقد أضافوا إليها بعض التماثيل ، وطلاؤها بصور ومنها صور النعام المرسومة في المزارع .
 لذا لم يكن مستغربا أن يبذل الفرنج ما بذلوه للمحافظة عليها ، والدفاع عنها ،
 لأنهم يعتقدون أن كرامتهم من كرامتها ، وسائرهم من سائرهم ، وإذا ما تشلوا عنها " لمزمت
 لأننا هوجيت ما لنا " بل لم تطلب نفوسهم بغيرها حين استبدادنا ببلاد الدين وتالسمسوا
 " دون بقية رينا نوت وعلى خوف فونها منا ثقت (٣) " .
 ومن البليبي بعد هذا التصليح أن يتدسوا ترابها ويستنسروها في أوقات الربيع
 يقول ابن الأثير " فساى حب ذلك التراب قوت قياهم ، وتشيل نسايمهم ، ولطالما ابتهلوا
 عنده أيام الحصار ، واستنسروها فلم يحطوا منه بحقيقة الانتصار (٤) " .
 وقد أغلق الفرنج هذه القدسية على بيت المقدس ، لأنه " بيت عبودهم ، وحل
 تجسد ناموسهم كما زعموا باليهود (٥) " ، وفيه كنيسة القيامة التي يعتقدون أن المسيح قد
 فيها بعد سلبه . .
 ولم يكن تفديدهم الفرنج للقدس وفقا على من قدم منهم ، بل لقد عظمها الفرنج في عقلية
 وفي أوروبا ، واشتروا قتلها من صخرتها بوزنها ذهبيا كما قيل (٦) .
 وقد استنصر الفرنج بالقدس ، وكنيسة القيامة ، واشتروا بها بعد أن كسروا صانع الدين
 في بوقصة حطين ، فأجتاح إليها " كل شريد منهم وعريد ، واعتصم بصلبتها كل قريب منهم وشيد
 وظنوا أنها من الله مانعتهم ، وأن كنيسة من الله شافعتهم (٧) " .
 وهم لم يذموا يقدونها بأنفسهم ، بل يرون أن الموت أيسر عليهم من أن تقع في قبضة
 المسلمين ، مما جعل صانع الدين يدور حول المدينة خمسة أيام لاستيثاره المكان المناسب
 للمهجوم ، ولكنه لم يجد شجرة يدخل من خلالها ، وأخيرا جاءه وفد من الفرنج يطلب منه
 السماح لهم ببناء دبرتها بسلام ، وهددوه أن لم يجب دعوتهم ، وقالوا كل واحد منا بعشرين
 وكل عشرة بمئتين " (٨) " .

-
- (١) الفتح القسي ١١٩
 (٢) الفتح القسي ١١٨ ، الروضتين ١١٨ / ١
 (٣) الفتح القسي ١١٩
 (٤) ابن الأثير ، رسائله ، ج ١ ، القسي ١٥١
 (٥) مغن الكروب ١١١ / ٢ ، الكامل ٥٤٧ / ١١
 (٦) الانصار الجليل ٣٣٩ / ١ ، الروضتين ١١٣ / ٢
 (٧) صبح الاعشى ٥١ / ٦ ، ٧٨٤ / ٨ ، وأنظر الانصار الجليل ٣٤٦ / ١
 (٨) الروضتين ٩٤ / ٢ ، وأنظر مغن الكروب ١١١ / ٢ ، الكامل ٥٤٧ / ١١ ،
 الانصار الجليل ٣٣٩ / ١

ويلتقي دور البطارقة مع دور القساوسة في التحريض على القتال والسير أمام المسلمين ، وقد ظهر هذا الدور بجلاله في حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ ، إذ قام المصورون برسم صورة قبر المسيح وعليه فارس مسلم يخلوه ، وعند رجال الدين إلى أظهار هذه الصورة " وراء البحر في الاسواق والجامع ورووسهم مكشوفة وعليهم المصحح " (١) وقد أثرت هذه الصورة في نفوس الناس تأثيرا كبيرا ، فهاج بذلك خلائق كثيرة ، وتجهزوا في جميع مناطقهم بالمراكب والكتائب ، وخرج الاساقفة طاعة لتسييسهم ، وأمثالا لأمر مركيسهم ، وغيره لمتعبدتهم ، وحمية لمعتقدتهم وتمالكا على مقبرتهم وتحرقا على قمامتهم " (٢) .

ومما قدمه رجال الدين للحركة السليبية ، ما قام به أحدتهم في أنطاكية سنة ٤٩٢ هـ والمسلمون محدقون بهم ، إذ اخفى حرية وأخبرهم أن الحرية المقدسة مدفونة قرب أنطاكية وأنهم ان وجدوها فسيكون للمصر لهم ، وحين وجدوا تلك الحرية ، عادت الهمم ثقتهم ، وحاربوا المسلمين وهزموهم . (٣) .

وحين أسر صاحب شقيف أرزون مع من أسر من الملوك في معركة حطين ، قام صلاح الدين بمحاصرة بلدته ، وأصلح به معه ليأمر من بها فيسلمها إلى صلاح الدين مقابل إطلاق سراحه " فخرج إليه من قدامه بأسر عن يمينه ، فحادثه بلفظه ، وناقشه في كارهه بفلسفه وتجاوزا في السر ، وتجاوزا في الشر ، وكانما أمره بالتجلد ، وصبره على التشدد " (٤) .

وأما الرهبان فقد قام بعضهم بدور عسكري ، وانقطع آخرون إلى الرهبنة ، ويصف ابن الاثير في رسائله جماعة منهم فيقول " ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها . - وخصصت الشعر عن أوساط رؤوسها ، وتوحشت بالرهبة انية حتى ارتاعت من أشكالها ولبوسها (٥) هكذا وظف الأدب العربي معتقداتهم ، فهم يعتقدون بالأقانيم الثلاثة

ويحذرون ما يقتل بها من أشياء وأماكن وأشخاص ، ولهذا وصفهم الأدباء العرب بالشرك في مواطن كثيرة جدا حتى لا يكاد يوجد ديوان يخلو من هذا الوصف تصريحا أو تلميحيا ، يقول ابن الغياث في معرض مدحه أحد مقدمي دمشق .

بسيل يهال له السيل مسددا (٦)

إلى م وقد زخر المشركسون .

ويقول ظافر الحداد في مدح الامام الأمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)

فيه سيوفك فصل الريح في عاد (٧)

لا بد للشرك من يوم تعيد له

(٢) المصدر السابق ١٦١/٢

(١) الروضتين ١٢٢/٢

(٣) الكامل ٢٧٧/١٠ من تاريخ الحروب المقدسة ١٢٢/١

(٤) الفتح القسي ٢٨٨

(٥) رسائل ابن الاثير ، جمع انيس المقدسي ص ١٥٤

(٦) ديوان ابن الغياث ١٨٤ وانظر ٢٢٩

(٧) ديوان ظافر الحداد ١١٣

يقول ابن القيسراني :

كالليل يلتهم الدنيا له ظلم
يوءد حاسبه الاعياء والسأم (١)

حتى اذا ما احاط المشركون بنا
وأقبلوا لا من الأقبال في عدد

ويطول المقام لو توقفتنا عند كل مثل * وكما وصفوهم بالشرك ومنغسوهم بالكفر
وقد جاء هذا الوصف في مواطن كثيرة أيضا * منها قول ابن دنينير :

منهم يحزم في الأمور رشيد (٢)

بددت جمع الكفر وهو مؤنث

وقوله :

والأرض قد آذنت منه بالحصار (٣)

وأشعق الكفر حتى ذل جانبسه

وقول ابن سناء الملك مادحا صلاح الدين :

وتودى له القتل وتسبى له الجنى (٤)

أقام بدار الكفر تجبى له الجزا

وقوله :

بنيت لذاركتا هدمت لذاركتا (٥)

لقد أصبح الاسلام والكفر كلمسا

ويقول أسامة مخاطبا طلائع على لسان نور الدين * ذاكرا فتوحاته * وأنتصاراته على الفرنج :

ولم يبق في أقطارها لهم أثر

فلما استمدناها من الكفر ضوة

وأملأكمهم فأنزاج عنهم بها الفقر (٦)

رددنا على أهل الشام رباعهم

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

* وأنظر ما يلي عقد الجمان ج ٢٢ ق ١ ص ١١٦ وديوان ابن القيسراني ورقة ٧١

مخلوط * والروشتين ١١٦/٢ * والخريدة قسم مصر ج ٢ ص ١٧١ وديوان ابن دنينير

ص ٢٠ ١٥٤ ١٧٤ وأنظر ديوان ابن التعاويذي ٢٤ * وديوان علم الدين ايدمر

المحتوي ص ١٥ وديوان الصاحب شرف الدين الانصاري ص ٣٩٦ وديوان ابن

فتيان الشافري ٦٩ ص ٣١٨ ٤٦٨ * وديوان ابن الدشان ٢٢ * وأنظر

الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٤١ ١٨٠ ٢١٦ * ج ١ ق ٢ ص ٣٥٧ ٣٧٢ ٤٠٤

٥٢٩ ٦٤٣ ٦٩١ ٧٠٣ ١١٠ ١١٦ ١٢٦ وأنظر الخريدة قسم

شمره دمشق ٢٨ : ٤٠ ٥٩٤ * شمراء الشام ج ١ ص ١٧٩ ٢٧٧ * ج ٢ ص ٢٨٣

وأنظر قسم مصر ٢٣٢/٢ * وأنظر ابن القرات * مجلد ٤ ج ١ ص ٣٩٢ ٤٥٠

مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥٧ وأنظر الفتح ٢٥٣ ٢٦٩ * ابن الاثير ٤٥٥/١١

(٢) ديوان ابن دنينير ورقة ٢٠ (٣) المصدر السابق ورقة ٨ وأنظر ١٧٦٥

(٤) ديوان ابن سناء الملك ٧٥٨

(٥) المصدر السابق ص ٧٥٩ * أنظر ٢٨٣ ٢٥ ٥٤٦

(٦) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٥ وأنظر ٢٠٣

وما دام شأنهم كذلك ، فقد تبرأ الادب من عقيدتهم هذه بألفاظ التنزيه لله عز وجل
(١) ، واستخف آراءهم ، وبين أخطأهم بالحجة الدامغة والأدلة المقنعة ، وطالبهم بأثبات
الأدلة على أقوالهم ، لأنه بالمكان كل فرد أن يقول ما يشاء ، ولكن هذا القول لا يصدق إلا
بدليل قنح ، يقول البوصيري :

والدعوى ما لم تقموا عليها
ليت شعري ذكر الثلاثة والسوا
كيف وجدتم إليها نفي التوحيد
أإله مركب ما سمعنا
بينات ربناؤها أدعياء
حد نقتر في عدكم أم نصيب
يد منه الآباء والابن
بإله لذاته أجسزاء

فهو يستند الى تاريخ عقيدتهم حيث كان آباءهم يؤمنون بأن الله تعالى - مكون من اجسزاء
بينما هم يوحدون هذه الاجزاء ، ثم يستند الى دليل من ادق في اثبات خطئهم ، وهو ان
الله لا يجزأ ، ولا يجوز عليا لتقسيمه ، وبذلك لا يكون إلهاً ، ثم يجادلهم في قولهم ، ليس
الى أي حد ينتهون ، فيسألهم بأسلوب شعري سهل ، عن توزيع الملك بين أصحابه ، ان
كانوا صادقين ، يقول :

ألكل منهم نصيب من الملك
أم هم حللوا بها شركسمة الأبد
أتراهم لحاجة وأضطرار
أم هو ابن لله ما شاركتهم
فهم تميز الأنصباء
وان أم هم ليس منهم كسب
خللوا وما بقي الخلل
في معاني النبوة الانبياء

ثم يبين تناقضهم بين أمرين ، فهم يقولون إن السيد المسيح إله ويقولون في الوقت نفسه إنهم
قتل ، فكيف يجوز هذا ؟

تخلص اليهود غيما زعمتم
ولا مواتكم به أعياء

وأنظر ديوان ابن الساعاتي (١/١٤٥) ، وعقد الجبان ج ٢٠ ق ٤ ، ورتة ٧٧٦ مخط
الخريدة : (شعراء دمشق ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦٤٢ ١٦٤٣ ١٦٤٤ ١٦٤٥ ١٦٤٦ ١٦٤٧ ١٦٤٨ ١٦٤٩ ١٦٥٠ ١٦٥١ ١٦٥٢ ١٦٥٣ ١٦٥٤ ١٦٥٥ ١٦٥٦ ١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣ ١٦٦٤ ١٦٦٥ ١٦٦٦ ١٦٦٧ ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ ١٦٧٢ ١٦٧٣ ١٦٧٤ ١٦٧٥ ١٦٧٦ ١٦٧٧ ١٦٧٨ ١٦٧٩ ١٦٨٠ ١٦٨١ ١٦٨٢ ١٦٨٣ ١٦٨٤ ١٦٨٥ ١٦٨٦ ١٦٨٧ ١٦٨٨ ١٦٨٩ ١٦٩٠ ١٦٩١ ١٦٩٢ ١٦٩٣ ١٦٩٤ ١٦٩٥ ١٦٩٦ ١٦٩٧ ١٦٩٨ ١٦٩٩ ١٧٠٠ ١٧٠١ ١٧٠٢ ١٧٠٣ ١٧٠٤ ١٧٠٥ ١٧٠٦ ١٧٠٧ ١٧٠٨ ١٧٠٩ ١٧١٠ ١٧١١ ١٧١٢ ١٧١٣ ١٧١٤ ١٧١٥ ١٧١٦ ١٧١٧ ١٧١٨ ١٧١٩ ١٧٢٠ ١٧٢١ ١٧٢٢ ١٧٢٣ ١٧٢٤ ١٧٢٥ ١٧٢٦ ١٧٢٧ ١٧٢٨ ١٧٢٩ ١٧٣٠ ١٧٣١ ١٧٣٢ ١٧٣٣ ١٧٣٤ ١٧٣٥ ١٧٣٦ ١٧٣٧ ١٧٣٨ ١٧٣٩ ١٧٤٠ ١٧٤١ ١٧٤٢ ١٧٤٣ ١٧٤٤ ١٧٤٥ ١٧٤٦ ١٧٤٧ ١٧٤٨ ١٧٤٩ ١٧٥٠ ١٧٥١ ١٧٥٢ ١٧٥٣ ١٧٥٤ ١٧٥٥ ١٧٥٦ ١٧٥٧ ١٧٥٨ ١٧٥٩ ١٧٦٠ ١٧٦١ ١٧٦٢ ١٧٦٣ ١٧٦٤ ١٧٦٥ ١٧٦٦ ١٧٦٧ ١٧٦٨ ١٧٦٩ ١٧٧٠ ١٧٧١ ١٧٧٢ ١٧٧٣ ١٧٧٤ ١٧٧٥ ١٧٧٦ ١٧٧٧ ١٧٧٨ ١٧٧٩ ١٧٨٠ ١٧٨١ ١٧٨٢ ١٧٨٣ ١٧٨٤ ١٧٨٥ ١٧٨٦ ١٧٨٧ ١٧٨٨ ١٧٨٩ ١٧٩٠ ١٧٩١ ١٧٩٢ ١٧٩٣ ١٧٩٤ ١٧٩٥ ١٧٩٦ ١٧٩٧ ١٧٩٨ ١٧٩٩ ١٨٠٠ ١٨٠١ ١٨٠٢ ١٨٠٣ ١٨٠٤ ١٨٠٥ ١٨٠٦ ١٨٠٧ ١٨٠٨ ١٨٠٩ ١٨١٠ ١٨١١ ١٨١٢ ١٨١٣ ١٨١٤ ١٨١٥ ١٨١٦ ١٨١٧ ١٨١٨ ١٨١٩ ١٨٢٠ ١٨٢١ ١٨٢٢ ١٨٢٣ ١٨٢٤ ١٨٢٥ ١٨٢٦ ١٨٢٧ ١٨٢٨ ١٨٢٩ ١٨٣٠ ١٨٣١ ١٨٣٢ ١٨٣٣ ١٨٣٤ ١٨٣٥ ١٨٣٦ ١٨٣٧ ١٨٣٨ ١٨٣٩ ١٨٤٠ ١٨٤١ ١٨٤٢ ١٨٤٣ ١٨٤٤ ١٨٤٥ ١٨٤٦ ١٨٤٧ ١٨٤٨ ١٨٤٩ ١٨٥٠ ١٨٥١ ١٨٥٢ ١٨٥٣ ١٨٥٤ ١٨٥٥ ١٨٥٦ ١٨٥٧ ١٨٥٨ ١٨٥٩ ١٨٦٠ ١٨٦١ ١٨٦٢ ١٨٦٣ ١٨٦٤ ١٨٦٥ ١٨٦٦ ١٨٦٧ ١٨٦٨ ١٨٦

ويتابع البوصيري حجاجهم فيسأل إن كان المسيح قد قتل حقاً ، فمن ذا الذي يدبر الوجود ؟
يا ليت شمري حين مات بزعمهم
هل كان هذا الكون دبر نفسه . من بعده أم أثر التمثيل ؟

والملاحظ أن البوصيري قد استند إلى أدلة عقلية وتاريخية ودينية في جدله ومحاوراته . وفي المقابل أنهم الفرنج المسلمون بأنهم وشيون ، وبالملاحظ ذلك من قصة التاجر نور الدين عيسى ومريم الزنارية (١) ومع ذلك فقد وردت أوصاف لهم بأنهم يستترون بالدين قبل يتلاعبون بالنصرانية ، ومن ذلك ما يورده الميني عن الملك غوردريك بأنه كان دهرانيا يتلاعب بالانصرانية (٢) ، ويؤكد هذا القول وصف فيشر له بأنه شخصية ملوها بالتقلب والحيلة ، إذ كان يصطنع المسلم واليهودي وكان يظهر بمظهر الرجل الشرقي ، علما بأنه ألف كتاباً اسمه : الأدعية الثلاثة (٣) ، وقصد بهم الأنبياء موسى وعيسى ومحمدا صلوات الله عليهم . ولم يتوقف أدب هذه الفترة الخاص بصراع العقائد عن الوصف المجرد ، بل تعدى ذلك إلى السخرية والاستهزاء ، لا سيما بعد أن توالى الهزائم على الفرنج ، كما وصفهم الأدباء بالحق والكذب في تعاملهم مع الناصر في شؤون العقيدة ، وقد عقب ابن واصل على اعتقادهم بنزول النور من السماء بقوله " ولقد كذبوا وافتروا " وإنما هو تدليس وتلبيس مع بطركهم ، يخفي به ضعاف العقول ، ويستدرجهم إلى ضلالتهم ونفهم " (٤) ، ومن هذا القبيل تحليل العماد لاستجاباتهم للرعبان والقساوسة الذين يحملون صورة قبر المسيح عليه فارس عربي يقول " وللصور عمل في قلوبهم ، فأنها أصل دينهم (٥) " على أن النظرة إلى معتقداتهم تبرز بشكل واضح حين تقارن مع العقيدة الاسلامية ، وهذا ما حرص عليه الأدباء في شمرهم ونشرهم ، فقد علل العماد سبب فتاظمتهم وشاعتهم بأن الشيطان تولاهاهم " فلا ينزع الحديد لوضو ولا مسح ، وأستشعروا لبوس البوس ، فاسم يلبسوا وجها الا مزود الشفاء على القطوب بلا بشر ولا فرج . . قد نزع الله الرقة من قلوبهم ونقلها إلى غروهم (٦) "

- (١) ألف ليلة وليلة ج ٦ ، ص ٦٣٣ ، والقصة في ج ٦ / ١٩٩ ، ص ٢٥٣ ، ج ٧ ص ١٣٥
- (٢) عقد الجمان ج ١٨ ق ١ ورقه ٨٣ (٣) فيشر ، تاريخ أوروبا ج ١ ص ٢٥٠
- (٤) مفتي الكروب ٢ / ٢٣١ ، ص ٢١١
- * لمزيد من الأمثلة أنظر الخريدة (شعراء مصر) ١٧١٤ ، ديوان ابن سناء الملك ٢٥ الكامل ١١ / ٤٤٧ ، ١٢ / ٣٣٠ ، الروضتين ٢ / ٧٢ ، ١٠٣٦ ، ١١١٦ ، ١١٦ ، ١٣٢
- ١٣٧ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ج ١ ق ١ / ١٤١ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، الفتح ٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٥٨٠ ، مفتي الكروب ٤ / ٩٧
- (٥) الروضتين ٢ / ١٦٠
- (٦) الفتح القسي ٥١

هنا نلاحظ علاقة مشابهة أخرى وهي المكان ه فالصوف أن فرعون هو حاكم مصر الذي يسمى على توبه وأعلمهم ه وحارب نبي الله موسى عليه السلام ه فجسده الله عبرة للناس، إذ أغرقه وتوصفه ثم قدغه البحر وحده .

وتشير الأبيات السابقة الى هذا المعنى تقريبا ه فقد شن الفرنج من عكا الى ديار
وقاتلوا المسلمين وحوالوا المساجد كنائس ه ثم عرض عليهم الكاظم تنازلات كثيرة فأبى فرعونهم
تبول تلك التنازلات فكانت نتيجة الهزيمة الساحقة .

وهناك علاقة أخرى وهي التشابه في الاسماء ه فالمنتصر زمن فرعون هو النبي موسى
عليه السلام ه والمنتصر زمن فرعون عكا هو الملك الأشرف موسى ه ولعل هذا التشابه
سوخ للشعراء المصريين ذكر كلمة فرعون ه في حين لم أجد في شعر الشام من يشير الى فرعون ه
وأنا شبهوا الفرنج بشود ه وشبهوا قائدهم بالرجل الذي عقر الناقة ه ومن ذلك قول ابن ميسر
في مدح نور الدين بعد انتشاره على جنوسلين :

ما زلت تنعم وهو يكفر عاتيسا
ما زلت تنعم وهو يكفر عاتيسا
حتى أتاح لقوبه ما جسر

وبعد أن وصف الادباء الفرنج بالشرك والكفر وشبهوهم بالأمم الطاغية ه بيتوا جزاءهم
في الآخرة ه فهم مطرودون من رحمة الله ه مستحقون لعذابه ه ويستفهم الخطأ بأنهم ما نصين
يقول : " وهو لا " - يشير الى الفرنج الذين احتلوا عكا سنة ٥٨٧ ه ثم ساروا الى القدس ه
الطائعين قد أغدوا لقصده ه وأعدوا لورود ورده (٢) واللجنة تعني النرد من رحمة الله ه والصدور
من رحمة الله مصيرها النار ه وقد تحدث الشعراء واكتتاب عن مصير الفرنج الى النار ه ومن ذلك
قول السطاد غبط فصله نور الدين بالفرنج :

وما كنت بالنيران أرى أهلهم
فتمجلوا الاخرى بالنسيان (٣)

ورد في شعرا بن ميسر تشبيه نور الدين بموسى عليه السلام ه وذلك في معرض مدحه

حنة ٥٤٧ ه حيث فتح انطاكية يقول :

ان الالى آمنوا وقاعك بعد هذا
القيصا غيب اذ لاخ وبن عسى
لا يلهمهم ان قد هفت وفتها
فالقنود هنا القاء موسى عصاه على حيات السحرة ه ودلالة ذلك ان الفرنج على باطل
كما ان السحرة على باطل ويشتركون في الهزيمة (الروضتين ج ١ ص ١١٧) .

(١) الروضتين ج ١ ص ١١٧ / ١٨٦ ه ٦١٢ ج ١ ص ١١٦ ه الخريدة ٤٩

لزيد بن الأمله أنظر الروضتين ج ١ ص ١٨٦ ه ٦١٢ ج ١ ص ١١٦ ه الخريدة ٤٩

(٢) الفتح القسي ٥٢٨ وأنظر أيضا ص ٣٩٠ ه ٥٢٨

(٣) الخريدة (شعراء الشام) ٥٩

وتوله أيضا في وصف ملك الالمان " فانه عام في الماء البارد " وتورط منه في اصعب الموارد ،
 وخرج وفي مريضا الى ان خرج من ثوب البقاء ، وتحول الى ثناء القناء ، وتلقاه طالك بالزيانية ،
 وحملوه الى ناز الملك الحاشية (١) . ويقول في ابنته " وأدراك اياه في الدرك الأسفل من النار ،
 وأبصر في جهنم مصاير أمثاله من الكفار (٢) " .

وبنه أيضا قول عازء الدين علي بن القاضي حي الدين الزكي في فتح صفد سنة ٦٦٤ هـ
 على يد الناصر بيبرس " وواظها والمصن وقد عززت أركانها ، والكفر قد أنهدم بنيانه ، وشمر
 عن ساق الهزيمة شيطانه . . والمجانية تزور خطاهم ، وتلك الزيارة لمقائهم ، وتدمر بحجارتها
 عليهم تدويرا ، وترهبهم من بأسها يوما عبوسا قمطيرا ، وتصير بهم الى الهلاك ، وتعد شمس
 جهنم سماء مصيرا (٣) .

كما وصفوهم بالرجس لأنهم مشركون ، والمشرک نجس ، كما جاء في قوله تعالى :
 " إنما المشركون نجس " (٤) .

وتد جاءت هذه البيعة في الشعر والنثر * ومن ذلك ما وجد بكتوبا على عضادة محراب
 في مسجد بعد فتح الرضا :

أصبحت صفرا من بني الأفسر	أشتال بالأعالم والمنيسر
دان من المبرور حال بسيفه	نأ عن الفحشاء والمنكر
ملهم الرحب على أنسني	لولا جمال الدين لم أظمُسر (٥)

وجمال الدين هذا هو رئيس خزان ، وقد حث عباد الدين زنكي على فتح الرضا ، وتم له ذلك سنة
 ٥٣٩ هـ وصفه أيضا وصف ابن جبير لعلها بأنها " تستمر كثيرا ولطيفانا ، وتكون شنازير وسابانا ،
 زهرة قدرة ، ملوكة تكلمها رجسا وفسدة " (٦)

ومثلك ذلك وصف الصلاد للفرنج القادمين من أوروبا عن طريق البحر . . وألقى على تياره
 بسط البطس ، وحملوا على البحر أوزار النجس ، وتبأ لهم ونحسا ، نأ عنهم زادوا على رجسهم
 رجسا " (٧) .

(١) النسخ العشي ٣٩٠ (٢) النسخ القسي ٤٦٠

(٣) ابن جبير ، رحلة ٢٧٦ (٤) سورة التوبة ٢٨٠

* لمزيد من الأمثلة أنظر تاريخ ابن الوردي ١١٧/٢٠ ، الناقل من كتبه القاضي القاضي الناقل
 مخط ورقة ٢٦ - سيج الأعشى ٢٦/٧ - النسخ القسي ١٥٤ ، ١٥٤ ، ٣٩٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٣

٤٦٠ ، ٥٠٠ ، ٥٨٩ ، ٦٠٨ - الروضتين ٨٧/٨ - نهاية الارب ١٥١/٥ ومن ان جهنم مصير

الكفار والمشركين كما جاء في آيات كثيرة ومنها " إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين نفس
 نار جهنم خالدين فيها " إلا أنهم دعوا الله أن يجعل عظامهم وقودا لها ، يقول القاضي الناقل
 " وكان الكفر مقودا والاسلام مولودا وجعل الله ضلوع الكافرين لنار جهنم وقودا " . سيج الأعشى ٢٦

(٥) زبدة الحلب ج ٢ / ٢٧٥ (٦) رحلة ابن جبير ٢٧٦

(٧) النسخ القسي ٢٩٨ ، وأنظر ٥٨٠

من أجل ذلك طالب الادباء بتطهير المطابق من رجس المحتلين ، منذ أن بدأت ردة الفصل
الاسلامية ، يقول ابن منير محرراً نور الدين على تطهير القدس :

آثارهم نجسها ذآل المسجد الا (م) قصى فضمن ما دنسوه وطهرهم (١)
وقال الحافظ ابن عساكر مهتماً نور الدين سنة ٥٦٤ وحرراً أياه على فتح القدس :

فطهر المسجد الأقصى وحوزته
وقد رأى بعض الشعراء أن تطهير القدس من رجس الفسقة لا يكون الا بدماء الأعداء أنفسهم
يقول الخطيب :

فصروا فتح القدس وأسفك بسفك
ودم أن تم ذلك فعدت نفس الملاحون السعداء ، وكأنه حلم تحقق ، يقول الشريف النجاشي
البواني :

أخرى بناط ما بصيني أبصر
وقدامة تمت من الرجس السدي

ويقول القاضي القائل : وأضحت الأرض القدس الطاهرة ، وكانت الظلمة والرب الممجد
الواحد ، وكان الثالث (٥) ، ويقول ابن الفقيه في مدح صلاح الدين :

طهرت بيت القدس من رجسهم
وفي فتح دمياط يقول ابن عنين ما دحا المحطم عيسى :

وطهرها من رجسهم بحسابهم
ولما أخذ الملك الناصر داود القدس من الفرنج قال ابن مطر :

فناصر طهرهم بدمه أولاً
وفي طرد آخر جندي عليلي من غلا قال شاعر الدين الخزازي :

وأعدتها للمسلمين ولم يكسب
منهم ثرى التطهير الا بالسيف (٦)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ١٩٦٥ وانظر ج ١ ق ١ ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥ ، الخريدة / قسم شراء الشام ٢٢٧ / ١ ولزبد من الامثلة

انظر الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٤ ، ٤٥٣ ديوان نتيان الشافري ١٤١ مفتح الكروب ٢ / ٢٢٧

(٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٩١ (٤) مفتح الكروب ٢ / ٢٢٣

(٥) سبع الاعشى ٤٤٩ / ٦

(٦) تاريخ ابن الفرات ج ٥ ج ١ ١٢٥٥ مفتح الكروب ٢ / ٢١٧ وانظر ديوان ابن النبه ٦٦

(٧) ديوان ابن عنين ٣١

(٨) ديوان ابن مطر ٤٨ (٩) جواهر السلوك ، ورقة ٤٨

لزيد من الامثلة انظر ديوان ابن سناء الملك ٣٥٨ ، ٥٦٢ ، جواهر السلوك ٦١

ديوان البهاء زهير ١٢١ ، الروضتين ج ٢ ص ٤٩٥ ، ٧٦٥ ، ٨٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٥٠

القسم الثاني : صراع بين حضارتين :

أدى الاختلاف بين الحضارتين : الإسلامية والأوروبية إلى تناقض ظاهري بين السلوكيين الإسلاميين والفرنسيين ، وسنسلط فيما يلي أضواء الأدب العربي في هذه الفترة على المرأة القادمين من أوروبا ، لنرى تصويره لاختلافهم وقيمتهم وسلوكهم .

أما اختلافهم فقد كانت تختلف عن أخلاق المسلمين في طبيعتها ، لاختلاف الثقافة والتمسك في كل من المجتمعين ، وما استقرى أنظار الأدباء المسلمين في هذه الفترة ، المرأة الفرنسية ، باعتبارها عنصرًا مهمًا في حياة المجتمع .

فالمرأة الفرنسية كانت سافرة فاتنة ، بخلاف المرأة المسلمة المتقبة التي تخفي محاسنها إلا ما ظهر منها ، والتي تعتمد عن مواطن الفتنة ، بينما كانت المرأة الفرنسية تبرز محاسنها للرجال سواء أكانوا من قومها أم من غيرهم ، يقول ابن القيسراني ، وقد خالطهم وعرف ذماعتهم :

سمعت من مكس بيوت شعور
وأمرجن النواظر في وجوه
تريخ الحسن غير مرقصات

فهم - بفخر النثر عن إعجابه بالفرنسيات يسجل انطلاق المرأة الفرنسية وعدم تعززها في أظهار محاسنها ، فإن كانت العربية تسكن بيت الشعر ، وتحتجب عن الرجال متقبة بالبرقع ، فالفرنسية تفتخر بأظهار شعرها وجمال وجهها ، وتنتهي إلى حيث الرجال ، بل تعتمد أن تشج إليهم ، دون أن تخفي شيئًا من جمالها ، مما جعل الشاعر يفتن بها ويظهر إعجابه بهذا الجلال ، وحين تبرز الفرنسية الجميلة مبشرة ، يقول ابن القيسراني فيها :

لقد فتنتني فرنسية
ففي ثوبها غصن ناعسة

ومثل هذا المعاني وردت في النثر ، ففي حكاية الصيادي وزوجته الفرنسية ، وصف الفرنسيات بأن من عادت من الخروج والحضي في الأسواق بلا نقاب (٣) ، وأما السباد فقد أفرد للمرأة الفرنسية فصلاً تحدث فيه عن جوانب متعددة لجمالها ، ومنها تبرجها ، يقول : " وترأدن على الأرصاد والارتاد وتلبهن على ٠٠٠ من كل ٠٠٠ صنية متفجرة ، متبرزة متبرجة ، نارية ملتبهة ، متفحمة متفحمة ، نائمة شايمة فائقة رائحة " (٤) ، ويقول مهينا لباسها وتأنقها " تسحب غنارتها وتسحر بنفارتها وتفتن كأنها غصن وتجل كأنها حصن ، وتظهر كأنها قضيب " (٥)

- (١) ديوان ابن القيسراني ، مخط. ورقه ٦٦
- (٢) ديوان ابن القيسراني ، مخط. ورقه ٦٦
- (٣) ألف ليلة وليلة ج ٧ ص ٤ وأنظر رحلة ابن جبير ص ١٧٨
- (٤) الفتح القسي ، الباب من ص ٣٤٧ - ٣٤٩ ، والاقتباس من ص ٣٤٧
- (٥) الفتح القسي ص ٣٤٧ ، وأنظر الجيوب الصليبية ص ٩٠ ص ٥٩

وإذا كانت الفتاة الفرنجية تخرج سافرة فائنة من بلاد إلى بلاد دون إذن وأستئذان ، فإن نظام الأسرة سيختل ويهتزل ، ويؤذن بالنهاية . . . كما يتضح من حكاية الصعيدي وزوجته الفرنجية (١) . وإذا كان هذا السلوك غريباً ، فإن الأغرب منه أن تخرج المرأة الفرنجية من بلادها إلى الشرق الإسلامي لتقدم نفسها للفرنج ، معتقدة أن هذا العمل هو عبادة لله ، يقول العماد " وتسامح أهل عسكرنا بهذه القضية ، وعجبوا كيف تحبوا بترك النخوة والحمية " (٢) .

وبمثل هذا السلوك ، جعل أسامة بن منقذ (من قبل) يحكم أن ليس للفرنج غيرة جنسية ، يقول " يكون الرجل منهم يمشي هو وأمراته ، يلتاقه رجل آخر ، يأخذ المرأة ويستزل بها ويتحدث معها ، والنزوح واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث " (٣) ، ثم يروي مشاهدات عديدة عن مثل هذا السلوك (٤) . ولم يكن هذا الوضع إلا لاختلاف أنماط الحياة بين المجتمعين الإسلامي والفرنجي ، وقد كان التحلل في العلاقات الأسرية في المجتمع الفرنجي من أسباب شياع مملكة الفرنج في الشرق الإسلامي ، وهذا ما قرره أحد الكتاب المحدثين حين قال " أن رذائل المسيحيين (يقصد الفرنج) في الأراضي المقدسة لها أثر كبير في شياع ملكتهم في فلسطين إن لم يكن السبب بعينه (٥) ، وهذا ما لاحظته أبا ن الخروب السليبية نفسها أحد مراقبي الحملة الفرنسية على دمياط وهو جرافيل في مذكراته عن القديس لوي ، التاسع يقول " أما العامة فراحوا يراقصون النسوة الخليعات حتى لقد حدث بعد عودتنا من الأمان عزل الدلة الكثير من رجاله " (٦) .

ويصف هذا الرأي ما ذكره أمبرواز (Ambroise) عن المرأة الفرنجية " ورحن يجرون أذيال الفجور في تصرفهن الشائث ، ثم يقول " رحمة الله عليهم ، أبشئ هذا المصالح يسترد ميراث الرب " (٧) .

وأما تصوير الأدب لسقليتهم ، فقد أبرز تخلصهم الحضاري عن المسلمين وذلك بالحديث عن سداجتهم إلى الأمور ، أو عن غباثتهم وحقهم ، أو عن غشونتهم وغلظ طسوة سلوكهم .

فمن مظاهر سداجتهم إحراقهم كنيسة أنخذوها من خيش ، حين عسكروا على بائيسنا ، وغرهبوها بالحلناء والحشيش ، فلما كثرت فيها البراغيت ، فكر الشطار ، بحرق الحشيش ليتخلصوا من البراضيت ، فأرقت السنة الالهب ، وعلفت بالشمعة غركتها رطاد (٨) .

(١) ألف ليلة وليلة ج ٧ ص ٤

(٢) الفتوح القسري ص ٣٤٨

(٣) الاعتبار ص ١٣٥

(٤) لمزيد من التفاصيل أنظر الاعتبار ص ١٣٦

(٥) أحمد بيلي المصري ، حياة صالح الدين ص ١٦ ،

(٦) جوافيل ، القديس لوي ، التاسع ص ٢٩ ، وأنظر ٢٤٤

(٧) أنظر ركي النقاش ، العلاقات الاجتماعية ص ١٥٧

(٨) الاعتبار ص ٨٦

ومنها ما حدث من أسامة حين طلب فرنجي منه أن يأخذ ابنه معه إلى أوروبا ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، كي يتعلم " العقل والفروسية " ويعقب أسامة على ذلك بقوله " ما يغنيني (أي ذلك الكلام) من رأس عاقل ، إذ لو أمرنا بلع بالأمرا أكثر من أن يذهب إلى بلاد الفرنج (١) " .

وأما غياؤه هو عظمهم فيتمثلان في تأخر عنهم ، وعدم الاقتناع بطب العرب من أنه كسار يستند على التشخيص والعلاج ، ودليل ذلك ما يذكره أسامة من أن صاحب المنيطرة الفرنجسي طلب من صاحب شيرز طبيباً يداوى مرضى من أصحابه ، . . . فلما ظاب الطبيب العربي عند قسم غير عشرين يوماً ثم عاد ، فسأله أهلها عن سبب عودته مبكراً ، فقال : " أحضروا فارساً قد طلعت في رجله دملة ، وامرأة قد لحقها نفاق ، فحملت للفارس لبيخة ، ففتحت الدملة وخلصت ، وخيمت المرأة ورثت مزاجها . . . " ، ولكن طبيبتهم الفرنجي خير صاحب الدملة بين أن يموت برجلين أو يشفى على أن تقطع رجله ، ففضل المريض أن يشفى ويعيش برجل واحدة . . . فاحضره وأحضر فارساً وحط ساقه على قرصة خشب ، وقال للفارس : أخيراً ضرب رجله بالفارس ، غربة واحدة ، فغرسها فما أنقطعت ، فغرسها ثانية فسأل من الساق ، ومات من ساقه ، وأما المرأة فقال إن في رأسها شيطاناً قد عشيها ، ثم أمر بحلق شعرها ، وسمح لها أن تاكل ما تشاء كالثوم والخردل ، فزاد بها المرض ، فاحضر موسى ، وشق رأسها علياً ، وحلج وسطه حتى ظهر عظم الرأس ، وشكته بالملح ، فخطت في رقتها (٢) .

ويعقب الطبيب العربي على هذا ما لزيارة بقوله " وقد تعلمت من طبيبتهم ما لم أكن أعرفه " ومن ذلك ما رواه أسامة عن صاحب طبرية ، أن قساً كبيراً أحضر ليداوى فارساً كبيراً القسندر ، فلما رآه طلب شمعاً ثم أذابه و صنع منه مثل عقد الإصبع ، ووضعها في جيوب أنفه ، فتمسكت الفارس ، فقال له الحضور ، قد مات ، قال : نعم ، كان يتعذب ، سددت أنفه حتى يموت ويستريح (٣) .

وأما خشونتهم وجفاء خلقهم ، فيبدو أن في كثير من أعمالهم ، منذ أن دخلوا أرض الشام وفعلوا بأهلها ما فعلوه من ذبح وتشريد ، وأنتهاك للحرمة ، وتدنيس لدور العبادة فمن ذلك ما أقدم عليه الفرنج الذين هاجموا حلب سنة ٥١٨ هـ ، إذ نبشوا قبور موتسسي المسلمين ، وسلبوهم أكنافهم ، وسدوا إلى البوحي الذين لم تنقطع أوصالهم بمد ، ورسطوساً بالحبال وجعلوا يصيحون " هذا نبيكم محمد ، وهذا عليكم " ، وأخذوا مصحفاً من بعض المشاهد بظاهر المدينة وقالوا ، وقد جعلوه ثغراً للبرذون : " يا مسلم أبصر كتابكم " ثم جعلوا يتناحكون (٤) .

-
- (١) الاعتبار ١٣٢
 (٢) الاعتبار ١٣٧
 (٣) الاعتبار ١٣٧
 (٤) زبدة الحلب ٢٢٤/٢ وانظر تاريخ ابن الوردي ٢٥/٢ وابن كثير، البداية والنهاية ١٨٤/١٢

ومن مظاهر خشونتهم وتقصوتهم وسفاهتهم ، تلك المآثر التي كانت تتكون من عدة
أشخاص ، لكن أحدا منهم لم يكن يمتدح إلى أبسط قواعد القضاء ، إذ اعتدوا في أدانة
المتهم على أشياء لا تمت بصلة إلى التهمة ، ومن ذلك ما حاكموا به متهما بقتل الفرنج نسي
القدماء ، فأحضروا بشيئة عظيمة ومائة وها مائة ، وعرضوا عليها دفعا شديدا وربطوه على سبي
الخشب ورموه في البتية لأبواب الدجيم عليه ، فإن كان بريئا فامر في الماء ، وإلا فلن يغمر
فيه ، وقد حاول المتهم أن يغوص في الماء غما قدره فوجب عليه حكمهم وقتلوا عينيه (١)
ومن هذا الماحكات تلك المهارزة بين الشيخ المتهم والشاب الحداد ، وقصد
اعتدوا أن الشيخ سينتصر على الشاب إن كان بريئا ، وإلا غسقت جزياءه ، وشهر الصوت ،
ومات الشيخ في هذا المهارزة فعلا .

وقد سجل الادب هذا السلوك الفظ لا سيما عند الذين خرجوا حديثا من بلادهم
كما يقول أسامة " فهم أبغى أخلاقا من الذين قد تبلدوا (صاروا بلديين) وما سمعوا
المسلمين (٢) .

وقد جاء ما يثبت ذلك في تسجيل التاريخ لسلاوكمهم ، ومن ذلك ما جاء في التامل
والأنس الجليل ، وزبدة الحلب ، وذيل تاريخ دمشق ، وزبدة كشف الممالك وغيرها . فمن
الإجرام الديموي في إنطاكية ومصر النعمان والقدر ، وكما وسقلا (٣) .

ويؤكد ذلك أيضا ما رواه مؤرخ مجهول عن أعمال الفرنج في القدس يقول " واشتد
سرور رجالنا حتى بكوا من فرحتهم ثم سجدوا أمام قبر مخلصنا يسوع . . . وفي اليوم التالي ،
تسلق رجالنا سطح الهيكل وهجموا على الشرقيين رجالا ونساء ، واستلوا سيوفهم وراحوا
يصلون فيهم القتل . . . وطرحوا جثثهم أمام الأبواب وتمالت أكوابهم حتى حاذت اليمسوت
ارتفاعا (٤) " .

كما أكد ذلك بعض المؤرخين الأوروبيين بما اعتدوه من أخبار البوكرخين الفرنسيين
أنفسهم ومنهم غوستاف لوبون ، الذي يقول " ويدل سلوك الصليبيين في جميع المماراة على
أنهم من أشد الوحوش حماقة ، فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء والأهلين الممسزل
والسحارين والنساء والشيوخ والأطفال (٥) " . ثم يستند في حكمه هذا على أنوال البوكرخين
الحاصرين للحروب الصليبية مثل الراهب روبرت الذي يقول " كان قوما يجوبون الشوارع والميادين
وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التثنية ، وذلك كاللبوات التي خطفت صفارنا ، وكانوا يذبحون
الأولاد والشبان والشيوخ ، ويقطعونهم إربا إربا ، وكانوا لا يستبقون أناسا ، ويشتون أناسا
كثيرين بحبل واحد بشية السرعة . . . وكان قوما يقبضون على كل شيء يجدونه غيبقرون بلسون
البوتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية " ثم يعقب على ذلك بقوله : " نيا للمحبوبيا للخرابة . . .
نيا للشره وحب الذهب (٥) " .

(٢) الاعتبار ١٣٤

(١) الاعتبار : ١٣٩ ، ١٣٨

(٣) أنظر الكامل ٣٧٣/١٠ ، الأنس الجليل ٣٠٧/١ ، زبدة كشف الممالك ١٩٠

ذيل تاريخ دمشق ١٣٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ٣٥٠/١ (تاريخ مختصر لشرك) ١١٧

(٥) حضارة العرب ٣٧٥ وأنثار ٣٧٧

(٤) أعمال الفرنجة ١١٩

ولم تبعد هذه الأقوال عما قرره الأدباء العرب في شعرهم ونثرهم ، ونذكر نبط يلمس
ما كتبه الملك الأمجد عن أبيه الملك الناصر حين هاجم الفرنج مدينة نابلس " تلت فيها المشايخ
والشبان ، وسببت الحلالل والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرا من الأموال والأقال
وما جمعه المسلمون لأزمتهم في السنين الطوال (١) .

وسا يرتبط بذلك معاملة الأسرى من المسلمين ، والسكان الذين كانوا يقصون تحت قهر
الاحتلال ، وقد لاحظ هذه المعاملة الخسنة ابن جبير في رحلته وهو في عكا ، يقول :
" ومن الفجائع التي يمانئها من حلة بلادهم ، أسرى المسلمين يرسفون في القيود ، ويصرخون
في الخدمة الشاقة تصريف السبيد ، والأسيرات المسلمات كذلك ، في أسواقهم غلام خيسل
الحديد (٢) .

ويوضح الأدب جانب آخر من هذه الفجائع التي يمانئها الأسير ، وهو أن الفرنج يتيدون
الأسير ثم يردونه في غياهب السجون التي تكون إما منارة أو جُبًا عميقا ، فهذا أسامة ابن منقذ
يستملك ابن عمه الأمير تاج الدولة ليفدي ابن عمه أسامة ، فيبين تلك الحالة المهيضة المستي
يحيشها في الأسر ، يقول :
هذا ابن عمك في أسر الفرنج لــــه

حول تهم في الاغلال والظلم

وتد تثنى الفرنج في ايقاع العذاب بالأسرى ، ومن ذلك ما يذكره أسامة بن منقذ عن أحد الأسرى
المسلمين يقول " وعذبوه أنواع العذاب ، وأرادوا قلع عينه اليسرى ، فقال لهم دنكروا لعند الله
أتلعوا عينه اليمنى ، حتى إذا حمل الترس ، استقرت عينه اليسار ، فلا يبقى يبصر شيئا ،
فقلعوها (٤) .

ومن أنواع التعذيب عندهم ما فعلوه مع ابن والي الطور الذي خرج للصيد حيث حبسوه
في جب وحده ، وظالبوه بالقي ديار غدية ، دون أن يسمحوا له بالاتصال مع أحد حتى مر عليه
طام كامل ، يقول " غانا في بعض الأيام في الدب ، وإذا قد رفع عنه (الجب) الضياء ، ودلني
التي رجل بدوي ، فقلت من أين أخذوك ، قال : من الطريق ، علما بأن للمسلمين والتجار حقا
تقارنا عليه آنذاك ، ومن ذلك أسر البدوي مع ابن والي الطور ، وقد طلب الأسير من الفرنج أن
يخلوا سبيل البدوي ليخبر أهله فيدفعوا غدية للفرنج (٥) .

هذا وقد تميزت معاملة الأسرى المتباعدة بشدة أكثر من أسرى المشاركة لأنهم تركوا أوطانهم
وجاءوا يحاربون مع المسلمين في الشرق كما يبين ذلك ابن جبير (٦) .

وأما معاملة السكان المسلمين ، فقد تمثلت بها القسوة والإهانة ، ويقول ابن جبير عن
معاملة الفرنج لأهل عكا " إن المسلمين يمانون أموالا ومثقات منها الذلة والسكنة ، ومنهم
سطح ما يفجع الأئمة من ذكر من قدس الله ذكره ، وأعلن شطره ، لا سيما من أراد لهم وأمانتهم
ومنها عدم النظارة ، والتعريف بين الخنازير (٦) .

(١) الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ورقة ١٥

(٢) رحلة ابن جبير ٢٨٠ (٣) ديوان أسامة بن منقذ ١٤٩

(٤) الاعتبار ٦٦ (٥) الاعتبار ٨٠ ، ٨١

(٦) رحلة ابن جبير ٢٨٠ ، ٢٧٤

ويضع الفرق في الحمايلة ، حين تقف على مصالحة المسلمين للفرنج سواء الأسرى منهم أو السكان في المدن التي استعادت ، ولا يسمح المرء حين يرى سلوك المسلمين وترفعهم عن القتل أو النار ، أو ضياعهم لأنفسهم في جو نشوة النصر ، إلا أن ينجب بمساكنهم ، ويبتدى هذا الأمر في كثير من المواقف ، منها يوم فتح الرها ، إذ أمر زكي المساكين برد ما غنوه من أمتعة ومن وقع في أيديهم من نساء وأطفال ، فردرها عن آخرها (١) ، ومنها يوم فتح القدس ، إذ أمرهم صلاح الدين على أنفسهم ، وغيرهم بين الأمانة والظن (٢) ، أما مصالحة المسلمين للأسرى ، فقد كانت تدل على رقي حضاري ، فأين شداد يذكر أن مجنونة مسن النمرسان المسلمين أمرت مجنونة من الفرنج ، وكان منهم يقدم العسكر ، فبذل عليه صلاح الدين غزوة خاسرة ، وأمر لكل واحد من الباقين بغزوة خرجية ، لأن البرد كان شديدا ، وأحضر لهم طعاما أكلوه ، وأمر لهم بخيصة نصبت قريبا من خيمته واذن لهم أن يرسلوا أصحابهم ، وأن يحضروا لهم من عسكرهم ما يحتاجون إليه . (٣)

ومن هذه الحمايلة ، مصالحة أسير فرنجي طالع في السن لهيق في فوه ضمر فرق له السلطان وأطلقه إلى معسكره (٤)

وقد شعر الفرنج أنفسهم بهذه الحمايلة ، فاستأمن خلقا عظيم منهم بسبب الذبح زمن حصار عكا ، فأمنهم وأعانهم كما سمعوا برحمة صلاح الدين ، ففصحوا المرأة التي فقدت أبنيتها ، انتدب إليه في معسكر المسلمين ، غرق لها وأمر برد أبنيتها وعيناه ندمان (٥) ، ويخشب أين شداد على القصة بقوله " فأنظر إلى شهادة الأعداء له بالبرقة والكرم والرأفة والرحمة " .

ومليحة شهدت لها شراتهم والتمسن إليه لخته ناكس (٦)

هذا الفرق الواضح بين الحمايلة الانسانية والحمايلة الوحشية لم يكن خافيا على الفرنج ، كما أسلفنا ، ولم يكن أيضا خافيا على المسلمين ولا على أرباب المسلمين ، يقول الشاعر ابن عني :

لَقُوا الموت من رزق الأمّة أحسرا
وما برح الأحسان ظا سجيصة
فألقوا بأيديهم إلينا فأحسننا
نورنا عن صيد آبائنا الأبنسنا

(١) الكامل ١٠ / ٩٩ ، النجوم الزاهرة ٥ سنة ٥٣٩

(٢) الكامل ١١ / ٥٣٦ ، وأنظر ١١ / ٥٥٠ - ٥٥١

(٣) أين شداد ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ٣٩ على الترتيب

ورد في النوادر ١٥٩ أن المفقود دخل ذكر بينما ورد في صفحة ٣١ منه أنهم
طالع بنت ()

(٤) النوادر ١٥٩ ، ١٥٦

منحنا بقاياهم حياة جديدة
ولو ملكوا لم يأتوا في دمائنا

هذا وقد لجأ الفرنج إلى المكر والفدر ليشفوا غيلهم من الدماء البريئة ويرووا حقدتهم بالسدم الصفيح ، ولهذا أكثر الأدباء عن التحدث عن غدر الفرنج ، وبينوا أنهم مغلوبون عليهم ، قال الأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نيهان السراق في انتصار صلاح الدين سنة ٥٢٥ هـ وتحطيم حصن بيت الاحزان :

فلا ترضى منهم بعدها بذل طاعنة
فما خلقوا إلا على شجرة الشندر (١)

وقال ابن منير في مدح نور الدين سنة ٥٤٧ هـ حين فتح أنطوطوس وهزم جوسلين :

ما زال يفدر ثم يفدر رقبادرا
حتى أتاه بجراح أصحابه (٢)

وقد لاحظ السباد ذلك بقوله " . . . فان الفدر في طباعهم مركز ، والسوء في غرائزهم مشروز " (٤) هـ ووصفهم بأنهم أناس لا يقون بسيدتهم ولا يكرهون بيعهم .

وحين حاول صلاح الدين اقتحام القدر هذه وبقتل الأسرى ، وثان الصرف يقضيه بالمحافظة على الأسير ، فأضطر صلاح الدين إلى الدخول في مفاوضات معهم انتهت بتسليمهم المدينة ، وخروجهم منها ، وفي هذا الوقت يقول السباد " وعرف أن جهلهم يحملهم على كمل مكر شنيع ، وأنهم تدعوهم فظاظتهم إلى كل أمر غثيل " (٥) هـ كما يتحدث عن أعمالهم في موضع (٥) آخر فيقول " غرروا بقتل أسارى المسلمين وهم الألوف ، وعرفنا أنهم لا يقصرون في الشرفان جهلهم مشروز " (٥)

ولم تكن ملاحظات السباد هذه من باب التريد ، وتكليم الضعفاء ، إذ أن الحديث عن غدرهم حديث متواتر ، و قد ذكره كتاب المسلمين وشيخائهم على السراء ، ومن ذلك قول طلائع بن رزق :

فقولوا لنور الدين : أيسر لجاءك الجراحات إلا الكمي في الطب والبيسط
نأبل فكم شربت عليهم قديما وكم غدر به نقض الشمس شرب (٦)

وقول العماد في ملك الألمان " ولما وصل إلى بلاد الأرمن غدر بالرومانيين وساقهم بحدولين مع الملحان (٧) هـ وفي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ ضمت البلد ، وشن أهلها للمقاومة من الفرنسيين فأبوه ، ولكنهم حين تسلطوا لم يلتزموا بها تعبدوا به من شروط ، بل اختلطوا عليهم وعلموا أموالهم وجسوسهم في المختلات ، ولم يكتفوا بذلك الفدر وإنما أوثقوا أسرى المسلمين بالسيان وتتلوهم بأجمعهم (٨) هـ

(١) ديوان ابن عني ٣٠ - ٣١

(٢) الروضتين ١٢/١

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٩

(٤) الفتح القسي ٦٠٨

(٥) الروضتين ٩٧/٢ ٩٨

(٦) ديوان أسامة بن منقذ ١٧٧

(٧) الفتح القسي ٣٩٠

(٨) الروضتين ١٨٨/٢

بالروح مما قد جنت غدا تفسده
تفقدت بملوكها قد غاتسده

وصلى البرنق وقد تبرن ذل لفسده
وطأت أطراف السناك داسده

ويقول الصادق في مدح نور الدين وقد هزم الفرنج في حوران سنة ٥١٨ هـ :

وترنت رأس برنقهم بفسده
بالذل في الاتياد والاسجده
وكبيتهم بكونا على الاف قسده (١)

تمت تومضهم رداء مفسده
وملكت ربي ملوكهم وتركتهم
وجعلت في أعناقهم اغلالهم

ثم سخر منهم هـ ويبين ان ظنهم قد باء بالفشل لانهم وانهموا قائداً متيقظاً (١) هـ يقول :

في حيرة وأتوا الى حفسده
فأعدتهم بالفرز والخسده
للمرعب بالاشفاق والخشده
لما صرعت بواضع البرطده
والرأى قبل شجاعته لشجعده
وشربت منهم قوة كل بنسده *

يا خيبة الافرنج حين تبهمفسده
جاءوا وظنهم يهمل ربحهمفسده
وظنهم وتلوهم قد أيقنفسده
وجلوت نور الدين طلبة كثرهمفسده
وعزضهم بالرأى قبل لقاءهمفسده
راخوا فباتوا تحت كل مد لفسده

* * * *

ومن المجالس التي سجلها الادب عن الصليبيين طرائف تحريضهم للقتال هـ وثالها ما يكون
ذالك في وقت الملمات هـ كستوث مدينة هـ أو التسور لمهزبة ساحقة هـ ويمكن حصر طرق التحريض
عندهم بأربع أنواع :

١. الصور : فقد رسموا صورة القديس في ورقة عظيمة هـ وأظهروا فيها صورة القيامة وتبر
المسيح بزعمهم هـ وصوروا فارساً مسلحاً يمسك سيفاً هـ وفسده وقد بال الفرنج على التبر (١)
كما صوروا المسيح عليه السلام هـ وجعلوا منه صورة ترمي يديه بالخصا هـ والدباء تنزاه منه (٢)
وقد كان لهذا الصور أثر بالغ في نفوس الفرنج لان الصور مرتبطة بدينهم هـ ويبين ابن مسعود
انه هاج لذلك خلافاً لاخص هـ وأرسلوا الانبذات المتواليه الى عكا ٥٠٠ (٤) هـ

٢. الرومي والاجلام : وكان لها أثر في نفوسهم هـ كما حصل خلال حاصرتهم انطاكية
بعد أن أشرنوا على المهالك المحقق جوعاً وقتلاً بسبب حصار المسلمين لهم هـ كما كان لهم
أثرها في تسير الحملة الاولى هـ فمن المصروف ان بطرس الناس كان طاملاً أساساً في تحريض
الفرنج هـ وكان هذا العمل من بطرس هـ بناء على رؤيا ادعى انه سمع خلالها صوتاً سماوياً

- (١) الخريدة هـ فسراء دمشق والفسراء الامراء بن بني أيوب ص ٥٥
* لمزيد من الأسئلة أنظر الروضتين ج ١ ق ١ هـ ٧٠٦ هـ ٧٥٥ هـ ٧٧٢ هـ ٨٨ هـ ٩٨ هـ ٩٩
١٥٤ هـ ١٤٦ هـ ١٤٧ هـ ١٨٦ هـ ١٨٨ هـ ١٨٩ هـ الكامل ١٦ / ٣٣٠ هـ رسائل ابن الاثير ١٥٤
(٢) النوادر السلطانية ١٣٦ هـ الروضتين ٦ / ١٦٠ هـ من الكروب ١ / ٣٣٦
(٣) من الكروب ٢ / ٨٨ هـ الكامل ١٦ / ٣٦
(٤) النوادر السلطانية ١٣٦

يناطبه بقوله " أنهض يا بطرس وأسرع منذرا عن غشاء شعبي " فقد آن الحين الذي يؤسس فيه
خدماي يحصلون على الأماكن المقدسة (١) .

وأما أثرها في معركة أنطاكية سنة ٤٩١ م فقد أدعى بعضهم أنه رأى كتيبة من السماء
وعليها هالات قدسية من النور تقدم صفوفهم . وتسلبت السلاسل والأسوار المحيطة بعد خمسة
أنطاكية ورمت المسلمين (٢) .

ولئن كان لهذا الروءيا المدعاة أثر في تقوية معنويات الجند ، فإن الحرية المقدسة
التي أدها أحد الرهبان ، كان لها هي الأثر الأكبر في تحقيق النصر لهم يومئذ ،
وتدعيمها أن رايها داهية مطلقا رأى حصار المسلمين الشديد لأنطاكية ، وط نزع عنه من أعداد
الأتوات وتحطم قوتهم المعنوية ، فلبأ إلى حيلة دينية ، إذ بشرهم بأن المسيح لن يتخل عنهم
أن وجدوا الحرية المقدسة المدفونة بالقيسان (وهو بناء ديني عظيم) ، ثم أمرهم أن يصوموا
ويكون بذلك قد جعل الجوع الذي يتضورون منه صوما يؤجرون عليه ، بينما قام بعضهم بالبحث عن
الحرية ، فوجدوها فعلا ، لأنه كان قد دفن خربة صدقة في المبنى المذكور (٣) ، وتصادف أنه في
هذا الوقت ، دب النزاع بين الفرق الاسكانية ، التي تواجدت للقتال ، بينما قام الفرنج بهجوم
ياكس ، انتصروا فيه على المسلمين .

٣ . قرارات الحرمان وصكوك الفخران : وقد لبأ إليها البابا في روما بعد سقوط القسطنطينية
كل الامدادات التي تقدمها أوروبا للمحافظة على ممتلكات الصليبيين ، وقد قصد البابا بهزيمة
القرارات أميين : الأول أخذ الأموال لتحويل الجيش الصليبي والثاني ، دعم الجيش الصليبي
بالبقائين ، يقول القاضي القاضي : " وقد حرم باباؤهم كل مباح ، واستخرج منهم كل مذخور
وأغلق دونهم التناكس ، ولبسوا لبسهم السداد ، وسكنهم عليهم أن لا يزالوا كذلك أو يستأجروا
المقبرة (٤) " ويقول الصناد من كتاب إلى بنداد : أن البابا الذي برومية تد حرم عليهم
مخاطبتهم ومشاركتهم ، وقال " من لا يتوجه إلى القدس ، مستغلبا فهو عندى محرم ولا يمكن له
ولا مطلق " .

والحرمان عندهم كاللعنة عند المسلمين ، يعني الطرد من مغفرة الله وكل عمل يصطلح
المحرم لا يقبل منه ، ولذلك غنم يقسمون على الورد ويمنع الكون على يومهم الموعود (٥) .

-
- (١) مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ٣/١
 - (٢) حسن جبشي ، الحرب الصليبية الأولى ١٥٠
 - (٣) القائل ١٠/٧٧٢ ومونروند ١٢٧/١
 - (٤) الرومانيين ، ١٥٧/١ ، صبح الأعشى ١١٨/٧
 - (٥) الرومانيين ١٢٧/٢

وأما الفخران فهو دافعهم للحروب ، لأنه بقتضاه تُغفر الذنوب مهما كانت ، وقد اعتدت عليه البابوية في إرسال الحملة الأولى ، ولم تبسبها من محلات ، وسين ، محمد هذا الدافع في نفوس الفرنج ، وعرفوا أن صكوك الفخران لا تسمن ولا تنفي من جوع ، غشلت الحملات لقلّة المشتركين فيها ، رغم النداء المستمر الذي كان يرسله أنطوني عكا ، يقول الحجاج عن تعريض الأجائفة ، بأنهم نادوا في نواديهم أنه من مخرج من بيته مهاجرا لحرب الإسالم ، وهديت له ذنوبه وذنبت عنه عيوبه ، ومن عجز عن السفر ، سفر بصدته وتروته إن قدر ، فجاءوا لابسين الحديد ، وقد كانوا لابسين الحديد (١) ، وجاء منهم الحديد للحرب ، وهذا الحديد إذا كان يند مستوط القدس ، وأما بعد أن سينار المسلمون على منظم الساحل وتوضوا على البصم الواعدة ، ولم تنجح البابوية في يد الفرنج الذين بسكا بدمهم كبيرة فقد سقطت في أيدي المسلمين .

٥ . الاتّاحة الماظمية : لجأت البابوية إلى كل الوسائل التي من شأنها أن تلهي عن الحركات والحكام والناس إلى الكيان الفرنسي في الفترة الأسلمية بما يحتفل من الذوات في المجتمع المسلم ، فأثارت عاطفة الآبوة عند الأبناء ، كما أثارت تحريزة حب المال والناموس ويتجلى ذلك مما حدث مع ملكة الألمان حين أنحصر الوجود الصليبي في صور ، فكانت أشبه بأن عظم أبيه التي الآن في صور في ثابوت ككل بالدنياج ، وكأنه أسير ينتظر أن يفر عنه ، فإنه لا يقبض إلا بالبيت المقدس إذا استخلص ، والآن ما كان غلامه مسترخي ، فإن المسلمين قد أشتغل بعضهم ببعض ، والتهبوا عن كل واجب (٢) ، وفي هذا إشارة إلى أنشراط قد الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين ، وكيف أن الطمع حركهم للاستيلاء على البلاد المقدسة صبرة أخرى .

كما أثاروا عواطف الجماهير بلبس الحديد الحزننا على سقوط القدس ، يقول القاضى القاضي عن البابا بأنه قد لبس الحديد وطلب منهم لبس الحديد وحكم عليهم أن يمشوا كذالك أو يستخلصوا القبرة (٣) .

ومن وسائل إثارة الجماهير أيضا ، تنوير الشمس والرياحان يحصلون عورة قبر المسيح .

ورؤوسهم بكشفة ، وعلبهم المسوح ، وينادون بالويل والثبور .

ويقول الحجاج بأنهم قد نادوا في نواديهم بأن البلاد هي بلادهم ، وأن أهلها منهم ، بالقدس بأمرهم الاسالم وأبادهم (٥) ، وفعلوا ذلك في غير بلد أوروبي .

(١) الروضتين ١٤٩/٦ والفتح القسي ٣٢٨

(٢) الروضتين ١٣٣/٦ وانظر ص ١٦

(٣) المصدر السابق وصحح الاعشى ١٢٨/٧

(٤) الروضتين ١٦٠/٦ وابن شداد ١٣٦ هـ المظن ٢٣٦/١

(٥) الكامل ٣٦/١٦ مفرج الكروب ٢٨٨/٦

ومن وسائل إثارة المقاتلين عندهم رفع الصليب الذي يرمز عندهم إلى التضحية فربما يظنهم ذلك في مواقف عديدة منها حين نزلوا على دمشق سنة ٥٤٢ هـ ، إذ بشرح أماتهم تسعين كيميير طويل اللحية ، يعتقدون به ، وركب حماره ، وجعل في يدهم صليبين وفي عنقه ثلاث ، وحلق نفسه عنق حماره عليا رابعا ، وحمل الاناجيل والصلبان ، فلم يتخلف عنه أحد (١) ، كما ان الصراخ تمديد دور التحريض في الحركة بما كن ينفذه من أشعار ، وبما كن ينشون بما لرجال (٢) .

هذه طرق التحريض عندهم ، وهي تختلف عن طرق التحريض عند المسلمين في مناسمها لأن التحريض مرتبط بنوع المفيدة ، فبينما كان الفرنج يعتقدون بالمسيح والصليب ، اعتقد المسلمون بالله إلهيا واحدا ، طالبتهم بالجهاد والدفاع عن الأرض والنساء والأطفال ، ومن هنا نجد حركات الأدباء على وضع الاستنهاض في قالب ديني ، فمن ذلك قول الأمير جمال الدين الثاني مخاطبا الملك الكامل حين حاصر الفرنج دمياط :

وأذخر ليوم البعث فعلا صا الحسنا
الله ضامن أجره وكفيل حسنه (٣)

ويقول طلائع مخاطبا نور الدين :

فاغتنمها بالجهاد أبجرك كسي قلبي رغبنا له ونعم الرغبى (٤)

ويقول ابن سناء الملك في مدح الملك العزيز :

أرضيت ربك في حراسة دينك
وسررت عيسى إذ سررت محمدا (٥)

وقد بين الصراخ أن الله يمد المجاهدين بموته وسرته ، إذ إن النصر من عند الله يؤتاه من يشاء ، يقول طلائع بن رزيق ، مخاطبا نور الدين قلع أرساذن صاحب الروم :

أما عنكم من يتقي الله وحسبه
أما لي رطياكم من الناس مسلم
تعالوا لصل الله ينصر دينك
إذا ما نسرنا الدين ندين وأنتم
وننهض نحو الكافرين بنصر
بأمثالها شعوى البلاد وتشمس (٦)

ويقول ابن دنيير في حث الأمراء والأجناد على القتال حين نزل الفرنج على دمياط سنة ٦١٥ :

اتبعوا عبود الدين لله تحسبوا
نقد بقاءكم عيسى وذا محمدا

فريق الهدى ، والله يظهر دينه
على دين من قد أشركوا وتمسكوا (٧)

ونلاحظ أن هذا المعاني قد وردت في القرآن الكريم " وإذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا " (٨) .

(١) تاريخ ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق) ٣٠٠

(٢) الأندلس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١/ ٣٦٦

(٣) السلوك لصخره دول الطول ج ١ ق ١ ١٢٦٤

(٤) ديوان طلائع بن رزيق ١٠٣

(٥) ديوان ابن سناء الملك ١٥٦ وانظر نقد الجوان ج ١ ق ١ ورقه ٥٨ مخط

(٦) جواهر السلوك ورقه ٦٠ مخط ديوان طلائع بن رزيق ١٣٣ وانظر المزيد من الأمثلة المروغين ١٩٠/ ٢ ٢٣٣

* المقصود بعيسى ومحمد أبناء الملك العادل أبي صالح الدين

(٧) ديوان ابن دنيير ورقه ٤ (٨) سورة الأنفال ١٢٠

ومن طرق التحريض عند المسلمين تهوين أمر الفرنج ، وبيان ضعفهم ، وقد كان ذلك بعد بدء الانتصارات عليهم ، وبعد الاتجاه نحو الوحدة الإسلامية ، يقول ابن القيسراني محرضاً نور الدين زنكي :

فسروا ذلك الدنيا غيماً وهججته
كأنني بهذا العزم لأفعل حسنة
وقد أصبح البيت المقدس طائفة
ويقول ابن منير محرضاً نور الدين أيضاً :

وذا الكناك كنسا للهدى فخبست
ونصها ما كتبه القاضي الفاضل إلى صلاح الدين " فشمع من ساق من القنا ، وخمس فيه بحراً من الظلم ، وأحبل عقدة كلمات الله سبحانه وثيقات الحبيب ، وأسل الوناد بد صماء الصدا (٢) .

وفيه قول ابن التماون ذي محرضاً صلاح الدين سنة ٥٨٠ :

ورج الهدى فيها بأدهم رائج
وبراية سودا ثقل الشوك مسند
وقول القاضي رشيد الدين بن النابلسي محرضاً صلاح الدين بعد فتح القدس :

يا ملك الأرض مهدها فما أحسن
أضحى بنو الأشرار الكناس موعظة

وقول شهاب الدين محمود في فتح عكا ودارد آخر عليبي :

ما بعد عكا وقد لانت عن كشم
فأنهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها

وهكذا استمر الأدب محرضاً على قتال النزاة ، منذ أن وطئت أقدامهم أرض المسلمين في المشرق الإسلامي حتى طرد آخر جندي صليبي ، لا كما يقول محمد سيد كيائلي من أن التحريض كان مرتبطاً بالقدس فقط ، حتى إذا ما سقطت القدس فتر التحريض (٧) ، والصحيح أن أدباء الحرب قد نظروا إلى الفرنج على أنهم طارئون مختصون يجب طردهم وأمتصاصهم حتى تم ذلك فعلاً .

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ١٤٦ ٥ ١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ٢٣٠ ٥
- (٣) صبح الأعشى ٩٧/١٠ وانظر ١٤٦/١٠ ونهاية الأرباب ٤/٨
- (٤) ديوان ابن التماون ذي ٢٤
- (٥) الروضتين ١٠٢/١ ، عقد الجمان ج ١٧ ق ١ ورقة ١٨ مخط
- (٦) جواهر السلوك ، ورقة ٦١ ، ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٧ - ١١٨
- (٧) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ص ٢٣٥ ٥ ٢١٦ وانظر صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٥٠

وفي كل خطوة نحو الوحدة الإسلامية كان الأدباء يحرضون على طرد الفرنج ، ويقسمون
الصلاد في تهنئة أسد الدين شيركوه :

فتحت مصر وأرجو أن تسير بهيئتها
قد أكنت أسد الدين الفريسة من
أنت الذي هو غرد في بهائمها
ويقول ابن الزكي محرراً صالح الدين على فتح القدس حين فتح حلب :

وفتحكم صلباً بالسيف في عفسهم
بهشربتنو القدس في رجسهم
ونلاحظ أن كل فتح قبل استعادة القدس كان يذكر الصنراء بفتح القدس ، سواء كان الفتح
في صورة توحيد للبلاد الإسلامية كما يظهر ما سبقه في صورة استعادة المدن التي وقعت
تحت الاحتلال الصليبي ، يقول التيسراني :

فإن يك فتح المرها لجبيسة
فهل علمت علم تليستك الديا
عساخنها القدس والاساخمن
رأن المقيم بها راحسهم * (٣)

وقد استغل الأدباء المناسبات الخاصة والسامة أفضل استغلال ، فنفذوا إلى قلوب
الحكام ، وحرضوهم على تحرير الأرض وتنظيمها من دنس النزاة ، ومن ذلك قول طلائع بن رزيك
في رسائله التي بعثها إلى الشاعر أسامة بن منقذ ، ومنها يطلب منه أن يبحث نور الدين على
قتال الفرنج :

الفرحنا رسالة عند سوز السند
فصل له دام ملكه وعليه
أيها العادل الذي هو للسند
والذي لم يزل قدما عن الاسند
وفدا منه للفرنج اذا لاقى
إن يرم نزلت قد هم فلا حلا
ين ما في القاشها ما يرم
من لبنا الاقيال برد قشيم
يسن شهاب وللحروب شبيهم * (٤)
لا يالهزم منه تجلى الكسرو
ه يوم من الزمان صبر
ن قناه في كل قلب قليس * (٥)

- (١) الروضتين ج ١ ق ٢ ، ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ابن الفرات ، تاريخه مجلد ٤ ج ١ ، ٤٥٤
- (٢) الروضتين ٤٦/٢ ، وانظر الروضتين ١٧٠/٢ ، وديوان عرقلة الكلبي ٣٠ ، وديوان طلائع ١٣٧
- (٣) الروضتين ج ١ ق ١ ، ١٢٧
- * لمزيد من الأمثلة انظر الروضتين ج ١ ، ٢٤٧ - ٢٥٧
- (٤) ديوان طلائع ٦٤ - ٦٥
- (٥) ديوان طلائع بن رزيك ٦٤ - ٦٥

وبنه قول المصاحف في تهنئة نور الدين بالعهد وظهر أبنه معرضا أياه على ثقلهم أظافر الفرنج :

يا أعظم الناس قسدا
ما أعدت الاوفياء
وفعلك الدهر غمزا
وفعل غيرك ظلمة
يفتر من كل شمس
يوم بسمه وفرنس
حرب عوان وقتس
بنو الاصفى من خشي
لم يبق لكفر ظفر

وغير لشرك تندر
وعادة القوم غمزا
للمشركين وقهر
للمسلمين وقس
الى ابتسامة شمس
في شفهم لك وتندر
علمي مرادك بكسر
ة انتفاك صف
لا كان للكفر ظفر (١)

وقول الحافظ أبي القاسم ابن عساكر حين أغنى نور الدين أهل دمشق من المطالبة بالخشيب :

لما صحت لأهل الشام بالخشب
وإن بذات لفتح القدس محتسبا
والأجر لي ذاك عند الله مرتسبا
فالجند والجند قرونان في تسرن
ولست تشذر في ترك الجهاد وقد
فقطر المسجد الأقصى وحوزتسه

عوت صرابط غيها من النشيب
للأجر و جوزيت أجرا غير محتسب
فيما يشهب عليه خير مرتسب
والعزم في العزم والإدراك بالخشيب
أصبحت تحلك من مصر الى حلسب
من النجاسات والأشراك والمصلب (٢)

ونلاحظ أن الأدباء قد استعملوا المديح الشخصية بالاشارة الى المناسبات للمطالبة بتنظيم سير
المقدسات من دنس الفساة ، كما شغصوا الأماكن المحتلة وأنتقوها ونشوا فيها الحياة في مثل
قول أحد الشعراء على لسان المسجد الأقصى :

يا أيها الملك المسمى
جاءت اليك ظلامسة
كل المساجد طهرت
ومن ذلك قول عمارة اليميني معرضا على فتح القدس :

وهيجت للبيت المقدس لوعمة
وشرك هذا مسلم نعو فتحمسه
هو البيت أن تفتحته والله فاعسل

لما لم الصلحان تكسب
تسعى من البيت المقدس
وأنا على شرفي بدنسب (٣)

يناول بها منه اليك التمسب
قربا والآ رائد ومطسب
فما ينده باب من الشام مثلسق (٤)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥٧٨

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥

(٣) الاندرالجليل ١/٣١٨ وانظر نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٩

(٤) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦٩

وتقول ابن النبيه محرضا الأشراف موسى :

عنا وسور الى رؤياك غاشية
واستخير الريح عنها اذ تسيير

وتقول الأمير جمال الدين الكناني في حصار دمياط :

والثغر ناظره اليك محسد
واثن قعدت عن التيسام بنصيره

ومن مظاهر التحرير والاستعانة
المستفي وبیان أن حسبه لا يكون إلا بالقوة *

فأنهم فقد أمكت منهم غلبات
إليك فهو سائهم أو تخييلات (١)

ما إن يمل من الدموع هول
جفت نشارته وبان ذبوله (٢)

وشع الصراع بين المسلمين والفرنج في حصاره

يقول ابن النبيه محرضا السلطان الأشرف موسى على قتال الفرنج حين اتحدوا مع
الروم وهاجموا المسلمين في حلب ومصر :

التي الصا تتألف كلها سنحسوا
طأنهم بجيشك لا تحفل بكثرتهم
أنت السباع غمز، ليد كثرهم
زلزلزل بنارهم الشواء دارهم
يواد روتنوا من من عدتهم
ثق يا أبا الفتح بالفتح البين فليس

ولا نشف ما حبال القوم خييلات
فأنهم لينات الطير أقتسوا
وأعير وراية غلاظها نيسات
غشيمة الشهاب الذر الاغصارات
تكيف لو قد أتت بها النبايات
تنسب لشير أبيهم الفتوحات (٣)

ويقول ابن دنيير مخاطبا الجند والامراء في حصار دمياط :

فما تجزعوا من حاد جاء فاحسنا
غشوا لدين الكثر غارات
وهبوا لهم نار الجناد فأنكسروا
لذا الدين ما أرمى قواعد حشيه
فمنكم حزب الإله وأنهم

لذا الدين للمؤمن في نصره يسند
لهم في الهدى نور زكي ومعتسدا
مى نتركسوها أن للنار تنمست
لدى الناس إلا ذابل ومنهم
ثم الفايون الشراء والقود أصد (٤)

(١) ديوان ابن النبيه ٦٧
(٢) الساوة لمصرقة دول الخلاء ج ١ ق ١ ١١٦/١ وأنظر الروضتين ٨٥/٢

ج ١ ق ١ ١١٦/١

(٣) ديوان ابن النبيه ٦٦

(٤) ديوان ابن دنيير ورقه ٤

وتد تراوحت دعوات الاستشارة هذه بين الشدة والشمور بالثقة حين يكون المسلمون غمسي مركز القوة ، وبين التمهيد والتألم حين يكونون في حالة ضعف ، ولكن الأدباء حتى في الحالة الأخيرة ، لم تضعف ثقتهم وأيمانهم بأن النصر النهائي سيكون للمسلمين ، وبإمكاننا ملاحظة نوعي الاستشارة في كثير من الأدلة الشعرية السالفة ولا بأس من أن نذكر مثلاً واحداً هنا على كل مضطرب يقول ابن دنيير في مدح الحاكم قلع أرساذن بن الحاكم المنصور بن شاهنشاه أيوب

فأنهض إلى نصر دين الله في جذل في جحل شرق بالخييل ذري زبيل
جيش يجهز بأبطال إذا بسـرزوا قاتل الردى للعدى موتوا على عبيل
من كل أغلب في عر نينة سـسـم نهم الد سبعة مرد غير معتسل (١)

ويقول جمال الدين الكنائي في حصار الفرنج دماط مخاطباً القائل :

ولئن قعدت عن القيام بنصـرة جئت لشارتته وبان ذبولـه
ووهت قوى القرآن فيه ورقـسـت صلبانه وتلي به أنجـبـه
وعلا صدى الناقور في أرجاءـه وشغى على سمن الورى تهليلـه (٢)

وقد تبين بوضوح ما سبق أن التحريض عند المسلمين أخذ طابعاً مرتبطاً بتقيدتهم مثلما كان للتحريض الفرنجي طابع مرتبط بتقيدتهم .

ومن الصور التي قدمها الأدب العربي للوجود الفرنجي في المشرق الإسلامي صورة المدن المدمرة بعد الاحتلال . يقول دحية بن عبد الله بن نصر في المصرة حين خرجها الفرنج :

بذره صباغ بلدة قد قضى اللـسـه عليها كرا توى بالخشـراب قنـسـا الـيسـر وأبـى مـسـسـن كا
ن بها من شيوخها والشـباب فـهـي كانت منازل الأحمـساب (٣)

ويؤكد قول دحية هذا قول أبي بشر بن الخوارزمي وقد وقف على دماره بالمصرة بعد شهر من الفرنج عاينها فقال :

أهذه بين أنكاري وعغانـسـي صارب الوشـر أمداري وأوطانـسـي
جهاتـها ولقد أبدت مـلـهمـسـا عـهـد الصبا بين أخوانـي وشـخـلـسـي
فـجـسـت أـمـالـها والد مـنـسـكـسـب والقلب في لونة من وجدده صـسـسـان
يا دار مالي أرى الأيام قد حـكـمـسـت فـهـي كانت منازل الأحمـساب (٤)

ومثله قول أبي سنانة محمود بن عيسى :

أنا من بلدة قبلى اللـسـه يا صا ج عليها كرا توى بالخشـراب
قتلوا أهلها وبادوا جمـيـسـا من شيوخ وشـباب (٥)

(١) ديوان ابن دنيير ورقه ٦٣ (٢) السلوك ج ١ ق ١٤٢

(٤) الخريدة ، قسم الشام ٨٧/٧ (٥) الخريدة ، قسم الشام ١٠١/١

ولم تكن المحنة بالطبع البلد الوحيد الذي تعرض لهذا التخريب والإغصاء بل إن بلدانا أخرى في الشام قد تعرضت لما تعرضت له المحنة ، يقول السطاد في تدمير الفرنج للآذ تيمسة " ولقد كثر أسقي على تلك السمات كيف زالت ، وعلى تلك الحالات الحالات كيف حالت " (١) ويقول أبو المصافي بن المذهب في وصف العدو والوباء الذي انتشر في الشام نتيجة القتل في وأنصراف الناس عن شؤهم الخاصة :

ولقد حلت من الشام بقمسة
وبثت وجاوزها العدو فأهلها

أعذر ساكن ريسها المسكنين
شهداء بين الطعن والماعنون (٢)

وكيف بعد ذلك ينصرف الناس إلى أعمالهم بسلامة في الفرنج يهددونهم في مدينتهم وممتلكاتهم يقول أبو الحكم الجلياني :

أنا صائنا السيف
فبعضهم من أندلس
ومن عكا ومن صور
إذا أبصرتهم أبصر
ولكن حرقوا عيسى عسا

تديدا أو يزيد ونمسا
ومن من فلسطين
ومن صيدا وتبني
ت أتوا من مجانبين
جل الحال البساتين (٣)

وبعد وفاة صلاح الدين عاد النزاع بين الحكام المسلمين من جديد ، وعادت بعض المناطق للسيطرة للأعداء ، فغاثوا في الديار وشربوا القدس بعد أصحابها (٤) ، وخربوا بعض المناطق الأخرى القريبة من حصونهم ، إذ قام الاسطاريون من حصن المرتب بأغصان المناطق المحيطة وتهديد أصحابها ، حتى فاقمت على أهلها فأصيبوا كأنهم يعيشون داخل قبور أو مجسسون ، كما يقول صاحب تشرى الأيام والمصور (٥) .

ولو قارنا بين المدن قبل أن يدخلها الفرنج وبينها بعد أن خرجوا منها ، لوثقنا على حقيقة أفسادهم ، فبعد الرحلة الفارسي (نهر خسرو) زار بلاد الشام قبل تسعة قرون مسمن النهر السليبي ، ووصف عدة مدن زارها ، منها طرابلس ، وقد قال في وصفها " .. وشول المدينة المزاج والبساتين ، وكثير من تسب المنكر وأهجار النارج والفرنج ، والموز والليمون ، وشواربها وأسواقها جميلة ، ونظيفة حتى أنظر كل سوق قصر مزين ، وفي وسط المدينة جناح عظيم نظيف جميل النقش حصين ، وفي ساحته قبة كبيرة تحضنها حوض من الرشاقي وسطه تمسورة من النحاس الأصفر " (٦) وقد أحدث الفرنج في هذه المدن تدويرا غير محالها ، كما غير معالم غيرها من المدن ، فأصبحت الآثار تنبئ عما كانت عليه من عمران (٧) .

(١) الروستين ١٢٨/٨ الشريدة ، قسم الشام ١٢٩/٢

(٢) الروستين ج ١ ق ١ ١٢٩/١ ، عقد البهتان ج ١٢ ق ١ ورقة ١٨٠

(٣) القذرات ٦٥/٥

(٤) ابن عبد الظاهر ، تشرى الأيام والمصور ٦٧

(٥) سفرناة ، ترجمة يحيى الشهابي ج ١٣

(٦) أحمد بدوى ، الحياة الأدبية في عصر السورب السليبية ج ١٢ نقل عن

Barker , The Crusades p. 28 .

وقد فرض الفرنج إبان سيطرتهم المخرج على البلدان المجاورة ، غضاقت أحوال الناس حتى
أعجز القاضي القاضي أن من شين في هذا الأيام غدا واسى المؤمنين ، ومن نام ملء عينيه غدا من
من أخوة المؤمنين (١) .

ويقول الملك الناصر داود من كتاب إلى عز الدين بن عبد السلام حين هاجم الفرنسيين
مدينة نابلس وأستولوا على ما كان قد خزا من الأموال والنابل فيها ، وما جمعه المسلمون
لأرضهم في السنين الطوال " غيا لها من فجيرة أبكت العيون وأبكت الجفون وشجعت على القلوب
من أحماسها ، فودت لو أنها سبقت بالذنون ، غيا ليثني نبذت قبل سماعها فكانا قصيا ... أو
ليثني نت قبل هذا وكنت نسيا نسيا (٢) " .

وقد ران على المسلمين حزن عظيم بعد سقوط القدس الثانية في أيدي الفرنسيين ،
لأن سقوطه في المرة الأولى كان في وقت عسير حين كانت الأمة الإسلامية مجزأة ضعيفة ، أما في
المرة الثانية فإن العالم الإسلامي كان في وضع أفضل ، فكيف تسلم المدينة المقدسة بهزيمة
السهولة ؟ ، ولهذا أخرجت الدمع بالفتنة على الذين غرطوا في القدس ، يقول قاضي الطسور
الشيخ محمد الدين :

مرت على القدس الشريف	على ما تبقى من ربيع وأنجس
ففاضت دموع المؤمنين مني	على ما مضى من عصره المقتدر
وقد رام علي أن ينجس رسوله	وشمر عن كثر لثيم مذمير
فقلت له شئت يديك خلفهم	لحسب أو وسائل أو مسير
فاو كان يفدى بالنفوس قد يتهم	بنفسه وهذا المثل في كثر مسير

ويقول ابن الجساور :

أعني لا تترق من الميسرات	بيلي في البكا الأيمان باليسرات
لعل سيول الدم يطفئ فيهم	تولد ما في القلب من هم
لتبك على القدس بالبلاد بأسرها	وتعلن بالأحزان والفرصات
لتبك عليها كذا فهي أختهم	وتشكو الذي لأمت التي عرضت
لتبك على ما حل بالقدس بأطيبة	وتشرحه في أكرم الحجرات (٤)

* * * *

هذه صورة عن الصراع الحضاري بين الواعدين من الحرب ، وأهل هذا المنطقة من الشرق الإسلامي .

(١) الدر الثمين ، لابن قاضي شهبة ورقة ٦١ مخط وأنظر الروضتين ١٦٦/٢

(٢) التوائد الجليلة في الفوائد الناصرية ، ورقة ٩٥ مخط

* المقصود بالملع الملك المعظم عيسى بن النادل

(٣) المذرات ٣٦/٥ ، ذيل الروضتين ١١٦

(٤) الروضتين ٢٠٥/١ م ٢٠٦

القسم الثالث : الصراع العسكري :

فوجئت الدويلات الإسلامية بالحروب الصليبية ، فاستيقظت من سباتها العميق على
تهاوي المدن الواحدة تلو الأخرى بيد الفرنج ، وقد صور الأدب حزن المسلمين وتفجعهم ...
ولكنهم - كما قلنا - لم يياسوا وإنما قبلوا التحدي منذ أول لحظة وحرصوا القادة على صد الغزاة
وطردتهم ، وعلى الرغم من الانتصارات الكبيرة التي أحرزها الصليبيون إلا أن الشعراء بينوا أن
النصر ممكن إذا اتحدت الأمة ، فهذا ابن الخطيب يستهزئ بالفرنج ويحجل انتصارهم على
غفلة من الزمان ويبين أن غضب الدولة أمير دمشق سيوقفهم عند حد ثم يقول :

انزعركم أن الزمان أجركم
لا تأمنن صرمة عبيد
بشأن لنير داكم لم تمتق
ولا بنيتكم الوشيم المرتع
من أن تقيم الحق عند المقسط
وطني لنير بوارككم لم تلبس (١)

وقد بقي التحدي قائما بسبب استمرار الفنز الصليبي ، وبقي منه الصراع العربي مستمرا لستم
يتوقف حتى في وقت الهدن ، لأن الهدنة كانت تعني ترك الحرب مؤقتا بما يتيح المجال أمام
الفرقيين لأن يعملوا على تعزيز الجبهود للجولات المقبلة ، وقد ظهر هذا التحدي حتى بتسدد
المشارك التي هزم فيها المسلمون ، كما ظهر بداية الحال بعد الممراك التي هزم فيها
الفرنج ، وقد أتاح هذا الصراع الطويل للشعراء أن يسطروا صورة واضحة عن التجهيزات
العسكرية عند الفرنج ، وهي صورة تناولت الجيش وأسلحته وقادته وحصونه وتجهيزاته ومشاركه
وقد طارئة بينه وبين الجيش الإسلامي ، وستابع فيما يلي أجزاء هذه الصورة كما رسمها الأدباء
أولا : الجيش الصليبي :

كان هدف الفرنج احتلال أراضي واسعة في بلاد الشام منها القدس ، ولذلك تحركت
الجيوش الهائلة لتخطي عملية البد الواسعة ، كما تخطي عملية الانتشار في الأراضي المحتلة ،
وقد شاركت فيها دول أوروبا وأهمها فرنسا وألمانيا وإنجلترا كما شارك فيها الرجال والنساء حتى
الانفال (١) ، يقول ابن عسك :
فكم أورد خط الحسام عذاره
وكم أهيب كان النجيب خفا بسمه (٢)

وبعد أن استقرت لهم الأمور في مملكة بيت المقدس ، وجه الفرنج أنظارهم إلى البلاد المجاورة ،
كما دعاهم إلى طلب المزيد من النجدات وأنشاء فرق دينية عسكرية كان لها أثر فعال في الحروب
الصليبية وأشهرها كما أسلنا ، الاستبارية *Teutonic* وهم فرسان المستشفسي ،
والداوية *Templar* فرسان المصيد .

- (١) ديوان ابن الخطيب ص ١١٨
- (٢) النوادر ١٠٨ ، الفتح القمي ٣٠٦ ، الحركة الصليبية ١٥٤/١
- (٣) أحمد بدوي ، ما بين بني أيوب المعظم عيسى ٧٦٠
- انظر رفيق القمي ، الحروب الصليبية ٧٨ ، طارق السارف ، تاريخ القدس ٧٥٠

وقد قام فرسان المعبد بأعمال كثيرة أقضت حاجج المسلمين، حتى أصبح التفريغ منهم من الأعمال الصالحة التي يفتخريها . وقد كان لاعتداءاتها على المسلمين أثر في إثارة حفيظة السلطان الرحيم صالح الدين إذ جعل جائزة قيمة لكل من يسلمه فارساً من هؤلاء ليقته من أنه تحفظ كثيراً في قتل الأسرى . ولذلك علل سلوكه هذا بقوله على لسان ابن شداد " ٠٠٠ خط جرت عادتهما بالمفادات ولا يخلصان عن المفاداة . ولا يخدمان في الأسر . وسقط أخيت أهل الكفر " (١) . وقد كثرت الفرق الحاربة بسبب طول فترة الحروب وبسبب كثرة المشتركين فيها . ومنها غسبري اليازنة والجنوية وفرق أخرى ألمانية وفرنسية . والفرقتان الأولىان فرقان تجاريتان اتخذتا المظهر الحربي لحظية القوافل . ثم ما لبستا أن اشتركتا مع الفرق في قتالهم من المسلمين . يقول الصلاد في وصف سفن صالح الدين التي هاجمت صور : " فأنشقت مراثر الفرق . وأزاحت سفنها عن النهج . وقرنعت بزاة اليرزانية . وتقلعت جفاة الجنوية . وكثرت أدواء الداوية . وكثرت أسواء الاستيارية . وزادت آلام الألمانية . وعادت أسقام الأفرنسية " ٠٠٠ (٢) . وقد أنضاف إليهم عدد آخر في حصار نكا سنة ٥٨٧ هـ حيث جاءت الامدادات الكثيرة من أوروبا في كل ذهب أبيض . وسيد قد تورط ٠٠٠ وباروني طالب للبور . وأستباري راضع في التبار وداوي مضطرب الداء . وتركبولي غير تارك للبار . وسرجندي كزار . وفريزي غير فرار . وفساردي يغرب الرجال . وراجل يرحل الفرسان الإبطال " ٠٠٠ (٣) . ولكن كثرة هذه الفرق وتوقفتها على نفسها . وخروجها عن اليهود المحقودة من المسلمين . جعلها وبالا على الفرنج أنفسهم بعد أن كانت جمة لهم . ولم يفت مؤرخي هذا المصرد لك . فهذا ابن عبد الظاهر يصف الاستيارية وأعطاهم التخريبية من حصن المرقب فيقول : " وكان بيت الاستياري الذين فيه قد زاد بينهم وعدوانهم وكثر فسادهم . حتى بقيت أهل القناج المجاورة لهم كأنهم في حيس من نسميهم رعد " (٤) . ولم يحد بوسع المسلمين السكون من هذا التعدي . لا سيما أن المصاليك تسد سيطروا على الدواكر المهمة للفرنج . فقام المنصور قلاوون بتعديل هذه الحصون وتاقبهم لتكنبهم واعتدائهم ثم تالة إينه في يردهم نهائياً من يناد الشام (٥) .

هذا وقد دخلت المرأة الفرنجية المعركة . فشحصة الداتلين . وقاتلت منهم . وقد لاحظت الأدباء ثلاثة أنواع من النساء هي : المرأة الحاكمة . والمرأة الدقائلة . والمجنائـز . وقد تآم كل نوع منهم بدور فسي الحرب .

أما المرأة الحاكمة فقد أسطحت معها الفرسان وأمدتهم بالسلاح والبال . وقاتلت منهم في الميدان . يقول الصلاد الأصهباني : " ووصلت في البحر امرأة كبيرة القدر . وأثرة الوفير ونبي في بلد لها مائة الأمر . وفي جملتها مضمومة فارس . بخيولهم وأتباعهم وقلطانهم وأشباعهم ونبي كافلة بكل ما يحتاجون إليه من الحوونة . زائدة بط منقته فيهم على البهونة ومن يركبسون يركباتها ويحلون بحملاتها . ويثبون اوثباتها وتثبت ثباتها ليئاتهم " ٠٠٠ (٦) .

- | | | | |
|-----|--|-----|-------------------------|
| (١) | الروضتين ٢/٢٨٦ | (٢) | الفتح القسي ١٦١ |
| (٣) | الفتح القسي ٤٠٣ | (٤) | تشريف الايام والمصور ٧٧ |
| (٥) | أنظر القديس لويي . ترجمة حسن . ٢٧٦ - ٢٢٧ | | |
| (٦) | الفتح القسي ٣٤٩ . وأنظر الروضتين ٢/١٦٦ . ١٨٣/١ | | |

وأما البراة السادية القتالة فقد لفتت أنظار المسلمين بشجاعتها وقوة بأسها ، وكأنها رجل نفسي هيبتها ولياسها ، يقول السجاد في وصف هذا النوع " وفي الفرنج نساء غوارر ، لمهمن دروي وتوانن ، ولكن في زي الرجال ، ويبرزن في حومة القتال ، ويسلن عمل أرباب الحجا وهمن ربان جبال ... " (١) ، ويسف بمجموعة أخرى بهمن تكلن المسلمون من قتلهم في عمار عكا فيقول : وفي يوم الواقعة قتلن منهن نسوة لمهن بالفرسان أسوة ، ولهمن من لينهن نسوة ، ولمحتلهمن سوى السوابغ كسوة " (٢) ، ويقدم السجاد وصفاً آخر لهيئة البراة القتالة وهي صورة لا تختلف عن صورة القاتل الفرنجي يقول : وذوات القاتل من الفرنج مكنسات مقارعات يحلن إلى اللسان الطوارق والقنطاريات " (٣) ،

ويوضح ابن شداد هذه الصورة فيقول : " ورؤيت امرأة عليها ملوطة خضراء ، فصا زالت ترمي بقوس من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلت وحملت إلى السلطان فمجب من ذلك (٤) ، ويؤكد ابن الأثير ما ورد عند السجاد وابن شداد فيقول : فانهم (الفرنج) كان منهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأتراك " (٥) ، أما المجائز فقد تم بدور يناسب وضعهم ، فمن لا يقوين على القتال إلا إذا استدعى الأمر ذلك ، وغالباً ما كن يعرضن الفرسان على القتال ، يقول السجاد : وأما المجائز فقد امتلأت بهمن المراكز ، وهن يشدن تارة ويرخين ويعرضن وينخين ... " (٦) .

تلك هي أهم الجماعات الصليبية التي تحدث عنها الأدباء وكان الخوض فيها أظهر اندفاع جميع قطاعات المجتمع الفرنجي للمشاركة في الحروب ، ونحيط يلي صور تدعيمها الأدبي العربي عن الجيش الصليبي :

١ . وصف الإمدادات الكبيرة :

قاد بطريرك النصارى أعداداً ضخمة من المتحمسين في أول عملية للاستيلاء على بلاد الشام ، ولكن السلاجقة حصلوا بحيلته وأشعلوا بحشدها فيها ، ولم تكد غلول العائدين تصل إلى القسطنطينية حتى التفت بحيلة الأبرار التي تميزت بالنداء ، فأنضم هؤلاء القارزون إلى الحملة الجديدة ، وساروا جميعاً إلى بلاد الشام ليؤسسوا مملكة بيت المقدس ، وقد تهيأ لهم ذلك كما تهيأ لهم تأسيس الإمارات أخرى .

وما أن نجح الفرنج في تأسيس هذه الإمارات حتى ناد بعض الحجاج بمشروع أسلمهمهم وقومهم بالفتن العظيمة التي حققها الجيوش الفرنجية ، فتوالت الإمدادات بدافع المشاركة في الدننام والمشاركة في إعلاء راية الصليب على البلاد المقدسة ، على أن ما يلفت النظر في الأمر هذا ما لا إمدادات أرتبها لهم بأوضاع الصليبيين ، فإذا ما تعرض هؤلاء لضغوط من المسلمين فإن الإمدادات كانت تتوافد عليهم من كل جانب .

- | | |
|---|--|
| (١) الفتح القسي ٣٤٦ | (٢) الفتح القسي ٣٤٦ وأنظر الروشتين ١٦٦/٢ |
| (٣) الروشتين ١٦٦/٢ | (٤) الروشتين ١٨٨/٢ |
| (٦) الفتح القسي ٣٤٦ وأنظر الفتح القسي ٣٢٩ و ٤٠٦ ، والأنظر الجليسل ٣٦٦ | (٥) الكامل ٣٥/١٢ |
| والروشتين ١٥٨/٢ | |

أما وصف الادياء لهذه الاعدادات فيظهر جليا في عدد من الاحداث التاريخية الهامة : ففي سنة ٥٦٩ هـ اجتمع عدد من دعاة الدواة الفاطمية وكاتبوا الفرنج بالقدوم للقضاء على ضائع الدين ، فجاءوا بأسطول يحمل العدد العظيم للمتأمرين ، وكانت شيلهم النسيان وخمسائة رأس وكانت عدتهم ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ، وكان عدد المراكب مائة وثلاثين طريدة تحمل الخيل ، وكان معهم مائتا شيني * وفي كل شيني طائفة وخمسون راجل ، وكان عددا السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار وغيرها ست سفن ، وكان عمدة المراكب يرسم حمل الازواد والرجال أربعين مركبا ، وفيها من الرجال المنفرقة وغلطان الخيالة وصناع المراكب وأبراج الزحف وباباته ما يتم خمسين ألف راجل ٠٠٠ (١) ، وقد توقع المسلمون حين هزبوا الفرنج في حملين قدوم الاعدادات الكثيرة ، فهذا القاضي الفاضل يفسر كيف الانصاف اخا ضائع الدين في اليمن بالفتوحات وتوقعها عند ضروري يقول : ولهم في هذا الجانب الاصور ولولا أن البحر ينجدها والمراكب ترددها لكان قيادها قد أمكن وطماعها تسعد اذ عن ٠٠٠ فيقول : " وأنهم لم يسمهم الله - أم لا تحصى وجيوش لا تستقصى ٠٠٠ وقد كتب المستخدمون بالاسكندرية وساحب نسطراينية والشنور العربية يندرون بان العدو قد أبرم سرا وحاول نكرا ٠٠٠ (٢) ، وقد صدقت توقعات قادة المسلمين ، فقد جاءت أم لا تحصى من كل حذب وعوب :

لينصر القسبر والأتقيدار تغذ لسمه
الى الصوامع القاه ترغله لسمه
واستكثروا السمان واليهيمما تنقل لسمه
من غير ضرب ولا طعن يز لسمه
جيش العدو فيسبهم تغيل لسمه (٣)

فكم عليل لهم شوق البحار سرى
وكم ترغل منهم غيلت بنسلا
استخرجوا الأهل والعدوى تدرهم
كم تد أعدوا ، وكم قد غل جمهم
وأبنا اسم ضائع الدين يذكر في

ومع ذلك فقد تدفقوا الى عكا بأعداد وجفها السداد الاسفهانى والقاضي الفاضل ابلغ وصفه يقول السداد في وصف تدفقهم على عكا بالرغم من مشائدهم : " غدا أترد لك في نقصهم ، ولا أرت إلا نار حرصهم ، وليس هذا العدو بواسطه فيمنع نيمه التدبير ويأتى عليه التدبير ، وإنما هو كل من وراء البتر وجمهم من ديار الفخر ٠٠٠ (٤) ، ويقول القاضي الفاضل في وصف تدفقهم على عكا : " ومن خبر الكفار أنهم الى الآن على عكا ، يدغم البحر بمراكب أكثر عدة من أواجه ، ويخبر للمسلمين منهم أمر من أواجه ، وقد تعاضدت ملوك الكفر على أن ينهبوا اليمن من كل غرقة طائفة ، ويقلدوا لهم من كل تورن يصحز بالترقواصه ، فإذا قتل المسلمون واحد في البر بسبب البحر عوجه ألفا ، وإذا ذهب بالقتل صنف منهم أشلف بدله صنف ، فالزمن أكثر من البتراد ، والثمرة أنى من الحصان ٠٠٠ (٥) .

- * الماردة هي سفينة يرسم حمل الخيل * الشيني : السفينة العربية الكبيرة
- (١) طبع الكرب ١٢/١ ص ١٥٧/٧ والروضتين ١٣١/٢
- (٢) صبح الأعشى ١٥٧/٧ والروضتين ١٤٩/٢
- (٣) الروضتين ١٥١/٢
- (٤) صبح الأعشى ١٢٧/٧ - ١٢٨

ثم يقول في وصف الاجناس المختلفة التي اجتمعت في جيشهم " واجتمع في هذه الجموع من الجيوش
الشرية والالسة الاعجمية من لا يحصر معدوده ولا يصور في الدنيا وجوده فما احقهم بقول ابي
الطيب:

تجمع فيه كل لسن واسنة فما يفهم الحداث الا التراجيم
حتى انه اذا اسر الاسير واستأ من المستأمن أحتج في فهم لخته الى عدة تراجيم . ينقل أحد
عن آخر ويقول ثان ما يقول أول وثالث ما يقول ثان ... (١) وفي وصف الامدادات البحرية يقول
القاضي: " فلهم طاعة من طواعيتهم ولا أنفة من أضافهم الا الجم وأسرج ، وأجلب وأرسمج ،
وخرن وأخرج ، وجاد بنفسه أو بولده ومعدده ومعدده وذات صدره وذات يده ، ومكتائبه بمرأ
ومراكبه بحرا ... كل خرن متلوفا وأهبط مسرعا ، وأتى متبرعا ودعا نفسه قبل أن يستدعي ، وسمى
الى حلقها قبل أن تستمى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا يسا وحتى توقنا أن البحر قد
شلا وسلا ... (٢) ويقول: فانبرى ملكا افرنسيين وانجليتيره وملوك آخرون في مراكب بحرية وحملات
حملوا فيها الخيول والخيالة والمقاتلة والالة ، ووصلت كل سفينة تحمل كل مدينة ... (٣) هذه
أمثلة قليلة من شواهد كثيرة . نلاحظ من خلالها اعجاب الادباء بحماس الفرنج وجلدهم ورضم
بأحلبهم ، ومن هنا اتخذوا مواقفهم هذه أداة تحريض للمسلمين : القادة منهم والرعية . يقول
العماد : " تأين حمية المسلمين ونخوة أهل الدين ، وطيرة أهل اليقين ؟ وما ينقضي عجبنا من
تنافر المشرك على شركه ، وتظاهره في اتساح ملكه ، واتساق سلكه ، وقعود المسلمين عن المسلمين
وتقاعد هم ، وتمتثلهم في تصادهم ، وأحلال عقود تصادهم ، فاذ لم يسي فهم لضاد ولا مثقف
لضاد ولا موري ملهم في اجابة ادح لزناده ، فانظروا الى الفرنج أي مورد وردوا وأي حشد حشدوا ،
وأية ضالة نشدوا وأية تجدة أنجدوا ، وأية أموال هزموها وأنفقوها ، وجدات جمعوها ، وتوزعوها
فيما بينهم وفرقوها ... (٤) ولا يتبادر الى الذهن ان هذه دعوات يائسة ، وتسليم بالواقع
وانما هو نوع من الاثارة ، فمبارات الصناد تصني ، أن الفرنج مجتمعون بالرغم عن كونهم على باطل ،
وأن المسلمين متفرقون بالرغم عن كونهم أصحاب حق وكان الاجدر بهم أن يجتمعوا ، وهذا ما ذكره
القاضي الناضل بعد كسرة المسلمين في عكا : يقول : " وما وهنا لما أصابنا في سبيل الله ، وما
نسأنا ولا رجعنا ههنا ولا انصرفنا ، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبارزهم ويخرجون
ننتأجهم ... (٥) "

(١) الروضتين ١٨٥/٢ ، وانظر النوادر السلطانية ١٢٦

(٢) صبح الاعشى ٥٢٨/٦ (٣) الروضتين ١٨٨/٢ - ١٨٩

(٤) للمزيد من الأمثلة أنظر: الفتح القسي ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٤٧٨ ، ٥٩٣ ، صبح الاعشى ٣٦٨/٧ *

١٣/١٤٥٨٨/٦٠ ، النوادر السلطانية ١١٤ ، ١١٨ ، الانس الجليل ٣٥٩/١ ،

الروضتين ١/٢٤٢٣٤ ، ١١٢/١٤٣٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،

١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، مفرج الكروب ٢/٢٨٨ ، ٣/٢٤٥ ، زبدة الحلب ١/١١٣ ،

١٣٠ ، الكامل ١٠/٤٧٩ ، ١٢/٧٠٢ ، ٥٢ ، ابن القلاسي ذيل تاريخ دمشق ١٧١ ،

الاخبار ٣٣٠ ، ابن الفرات ١٤/٨٣ ، النوري الامام بالاعلام ١٦٣ ، موزون تاريخ

الحروب المقدسة ٦٧ ، مذكرات جوائيل ٨٣ ، ١٤٢ (٥) الروضتين ١/١٨٩

(٤) الفتح القسي ٣١٦

من النجيب أن يفكر الفرنج في طريقة تضمن بقاءهم في منطقة غريبة عنهم ، فأستغلوا الظروف المائدة في الدويلات الإسلامية وتحالفوا مع بعض قادتها ، وضعهم أتابك دمشق معين الدين أنر ووزير مصر شاور السعدي ، يضاف إليها بعض القبائل البدوية التي كانت تعيش في منطقة الحدود ، كما أنهم اتفقدوا على الأرض والتتار والروم من سكان المنطقة .

ومن الخريب أن أحد الشعراء وقف موقف المادح لهم ولائاً الفزاة وأتباعهم ، بالرغم عن كل الانفعال الوحشية التي ارتكبوها ، فقد قال هذا الشاعر في مدح القائد المصليبي حين كسر الأفضل بن بدر الجمالي : نسرت بسيفك دين المسيح غلله درك من صنجد
وما سمع الناس فيما روي باتهم من كسرة الأفضل (١)

ويأتي المرتلة الكلبى بمدح بخمسة عقود تقريباً فيمدح الفرنج حين استعان بهم الامير معين الدين أنر ضد صالح الدين الأيوبي صاحب حماة بقوله :

غدا تطلع الشام الفرنج بغير عيب
رجال اذا قام المصليبي نصابهم
لها الليل نفع والأسنة أنجسهم
مؤودة أبطاله المصائب
رطاحهم في كل طائر وراكسب
غدا غير أبطال وغير جنائسب (٢)

وفي مدح عترة اليميني شاور ويذكر الفرنج حين اتحدوا مع جيشه ضد أسد الدين شيركوه ، فيقول :

تولوا عن الأفرنج قاذح ثقلي
أقامت درون الجند تحمين ليلسمة
ودارت رخاها منهم بهضمصا
تياها لهم ما بدلت بثيصب (٣)

على أنه لم يمدح الفرنج الا قبل وحدة مصر مع الشام تحت حكم نور الدين ، هذا وقد لقي الشاعر الذي شمت بهزيمة الأفضل جزاءه الحق إذ قُصص الأفضل الى قتله ، وأما المرتلة فقد مدح أمير دمشق المتخاذل في زمن كانت الآفة تيه مكنكة ، ولكن ما لبث ان عاد الى الصفحين توحدت الامة ويشهد على ذلك موافقه الكثيرة التي يشيد فيها بأبطال القاد والمسلمين وجهادهم ضد الفرنج (٤) وأما عترة اليميني فإنه لم يمدح الفرنج في شعره بل وجه مدحه للجيش الفاطمي وعرج على تعاون الفرنج مع الفاطميين (٥) ، وقد عقد الشعراء مقارنة بين الحكام المخلصين الذين يعتمدون للفزاة والوفاء الذين اعتزلوا الى اللهو ، يقول الصهذب بن اسعد الوصلي في مدح سلطان الديلمين وقد ضم حلب سنة ٥٧٦ :

ملوا جلمهم مشرق بظلمهم
اذا ما جالت الأبطال ولتسبي
ومشول بلمهو أو مضمزج
وقدم نحو جائلة لوشمسب (٦)

- | | | | |
|-----|----------------------------|-----|---|
| (١) | الانسان الجليل ٢٠٨/١١ | (٢) | ديوان عرتلة الكلبى ص ٥٥ ، الروضتين ٩٥/١ |
| (٣) | الروضتين ١٣٦/١ ط دار الجبل | (٤) | أنر ديوان المرتلة ص ٢٦ ، ص ٣٠ |
| (٥) | الروضتين ١٣٦/١ | (٦) | مضمار الحقائق ٤٧ |

ويقول ابن سناء الملك في هذا المعنى :

الا براى غصي أو بنقل صبي
من الفساد كما صحت من الوصب (١)

ممالك لم يدهرها مدهرهما
حتى أتاها صالح الدين فأصلحت

ويقول العماد مادحا صالح الدين يوم حطين :

لا قينة صنيحاً للحن مطسّر (٢)

قرح الثلب بالظبي في الحرب يطرسه

وقد مدح بها الدين اسعد بن يحيى البطارى صاحب حمة بهذا المعنى فقال :

يستمتعون بذات الحلي والمثل (٣)

جاهدت في الله طوطا والملوك غسدا

هذا وقد تعاون الفرنج مع بعض الأشخاص الاعراب الذين أخذوهم أدوات يستخدونها للقيام بأعمال النهب والتخريب ، ومن ذلك مساعدتهم لمطارة اليماني حين حاول اطاعة الحكم الفاطمي في مصر ، يقول القاضي الفاضل في وصف جماعة عمارة : " وكان أكثر ما يتعللون به ويستريحون اليه المكاثبات المتواترة ، والدراسات المتقاطرة الى الفرنج - خذلهم الله - التي يوصعون لهم فيها سبل المنازع ويحولونهم فيها على الخطائم والفتائن ، ويزينون لهم الإفساد والقذوم ، ويخلعون فيها ربة الاسلام خلق المرتد المضموم ، ويد الفرنج بحمد الله تصيرة عمن إجابتهم ، الا انهم لا يقتلون جيل طمسهم على عادتهم " (٤) ، وقد لقي عمارة جزاءه وفي ذلك يقول تاج الدين الكندي :

وباب فيها بيعة وصليبه

عمارة في الاسلام أبدى جنائمه

فأصبح في حب الصليب رايب

وأبى شركه الشرك في يمينه أحمد

تجدد بنموذ في النفاق صليبه

وكان خبيث الملتقى ان حجتهم

ويستقى صديداً في لظى وصليبه (٥)

ميلقى غداً ما كان يمشى لاجلهم

وقد استمال الفرنج بدو الترك لأهمية المنطقة التي يعيشون فيها إذ تقع في طريق المواصلات بين مصر والشام ، وكذلك بين الديار المقدسة والشام ومصر ، ولذا فقد طالب القاضي الفاضل صالح الدين بتحويلهم ، وجعل ذلك من وسائل قهر أجنحة الأعداء فيقول : " علم الملوك بما يؤثره البولي بأن يقصد الكفار بما يقص أجنحتهم ويقلل أسلحتهم ويتطع موادهم ويخرب بلادهم ، وأكبر الأسباب المفسية على ما يزعمه من هذه المصلحة أن لا يبقى في بلادهم أحداً من الصبيان ، وأن ينقلوا من ذل الكفر الى عز الإيمان ، وما أجتهد فيه غاية الاجتهاد وعده

(٢) المروستين ١٠٢/٢

(١) المروستين ٤٤/٦

(٣) فنن الكرب ١٤٤/٣

* للمزيد من الامثلة انظر : ديوان أسامة بن منقذ ٢٠١ ، وفنن الكرب ٣٠٣/٤
المروستين ٤٤/٢ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، عقد الجمان ج ١٨ ق ١ ورقه ١١٦ ، ديوان

ابن عنين ص ٣٣

(٥) المروستين ٢٢١/١

(٤) المروستين ٢٠٢/١ - ٢٢١

من أعظم أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنفارهم ، والصوم في تبديل دارهم ، إلى أن صار
السدو اليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلاً ولا يستطيع سبيلاً ولا يهتدى سبيلاً (١) ٠٠٠

هذا غيظا يتصلق بتعاون الفرنج مع النصارى من المسلمين ، أما تعاونهم من سكان
المنطقة من غير العرب ، فقد أشرأت نفوسهم للتعامل أولاً مع الأرمن ، ثم غيظ بعد مع انتشار
حين غزا هؤلاء بلاد المسلمين ، وقد كاد الفرنج يؤمنون المسلمين بين فكي (كفاشة) باتحادهم
من التتار ، ولكن الوقفة الشجاعة التي وقفها قتلز هدمت هذه الآمال ، وقربت نهاية الطرفين ،

ومن الأدلة على تعاون الأرمن مع الفرنج ضد المسلمين ، ما أوردنا لمعاد بشأن ملك
الألمان الذي جاء بجيش عظيم لانتفاذ القدس وغيرها ، فما كان من الأرمن إلا أن اتصلوا بصالح
الدين يخبرونه بالجيش الجرار ، وكان قصدهم من ذلك إثارة الفرع في نفوس المسلمين ، يقول
المعاد : " ولا شك أنه إلى جنسه النجس ، مائل ومائلة أهل ملته قاتل ٠٠٠ " (٢) وهذا ما
جعل الشاعر الجمال الواسطي بن الخطاب المقرئ يهاجم في شعره ملك الأرمن " ابن لاون "
وذلك إذ يقول :

أزرت ابن لاون لاواه
ودان من السذل لا يرعى
فلا قدم عنده للشه
فأضحي به خبراً من عسك
حذارا من المراتع اللسان
ت وليس له بسطاًكم يسندان (٣)

وقد تعاون التتار مع الأرمن لنصرة الفرنج في النصف الثاني من القرن السابع الهجري
(الثالث عشر الهجري) ، واجتسدت قوات هذه الأحلاف بأعداد هائلة وهاجموا حمص ،
ويصف ابن عبد الظاهر تعاون تلك الأحلاف فيقول عن ملك الأرمن أنه " كان يحيي سرخهم ويمرد
صرخهم ، ويستنطق هتاف التتار ويسترجع مدحهم ، وتمتز طرابيل الشام بأنه شال ابنهم
الثامر ، ولسان مشورته الصغير ، ووجه تدبيره السافر ، وظالم غر وأغرى ، وجبر وأجرى ، وضرر
وأضرى ٠٠٠ " (٤)

وقد عبر عن ذلك شعراً بقوله :

وأستجمن الجمل والتكفور وأتفقوا
جاءت ثمانون ألفاً من بحوثهم
مع الفرنج ، ومن أردى به الكشسر
لأرض حمص فكان البنت والكشسر (٥)

ولكن اتحاد مصر والشام ثانية زمن المملوك مكن المنصور قلاوون من إيقاع الهزيمة بهم ، فكانت بداية
لطردهم من الشام كما يقول أحد شعراء دمشق .
هلك الكفر في الشام جميعاً
بالمليك المظفر المملك الار
وأستجد الاسلم بحد حوضه
وج سيف الاسلام عند نهوضه (٦)

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٧ - ٥٢٨ (٢) الروضتين ١٥٠/٢

(٣) الروضتين ١٦/٢

(٤) نهاية الارب ج ٥ ١٥٧/٥ وللمزيد من الامثلة انظر الروضتين ١ ق ٢ ، ٢٧١ وأحمد بدوي

في صالح الدين الايوبي بين شعراء عصره وكتابه ص ٥١

(٥) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقه ٦٧٨ مشطه وانظر عقد الجمان ٢٠/٣ ورقه ٤٨٥ ، ٤٩٢

والقدس لويس ص ٢١١

(٦) الروضتين ١/١ ١٣٩/١

أبرز الأدياء تكالب الفرنج على احتلال الشام وإعادة الوسائل لذلك ، ومن هذه الوسائل ضخامة الجيوش ، إذ لم يدخلوا مصركة كبيرة في عدد يسير قط منذ أن دخلوا بلاد المشرق الإسلامي ، يقول ابن الخطيب ، وقد طرأ الأحداث الأولى للحروب الصليبية :

إلا م وقد زخر المشركون
وقد جاش من أرض أفرنجية
وحين هاجموا دمشق زمن مجير الدين أبى كانت الخيل مثل السيل كما يصفها المرقلة الكلبي :
من قاتل الأفرنج دينا غصيره
ويقول أبو الحكم الأندلسي في ذلك :

أما ماقتى الف
فهمهم من أندلس
وحين حاصروا دمياط سنة ٥٦٥ جاءوا بالوفوة لفة لم يعرف للبحر ساحل لكثرتها ، ويقول فتيان الشافري في ذلك :

ولما أتوا دمياط كالحمر طامس
يزيد عن الإحصاء والعد جمهم
وأوا دونها أسدا بأيديهم القنص
وفي وقعة حطين الفاصلة ، زمن صلاح الدين يقول السامد : " وخرجوا عن العدد والاحصاء وكانوا عدد الرمل والنمسا ، وصاروا في زهاء خمسين ألفا أو يزيدون ، ويكيدون وما يكيدون ، قد توافوا على صعيد ووافوا من قريب ومعيد ، وهم هناك مقيمون ، لا يربون " (٥)
وفيهم يقول ابن سناء الملك :

جمعوا كيدهم وجاءوا أركس
لم تالق الجيوش منهم ولكنهم
كل من يجهل الحديد له توها وتاجهم
وأولما نأ ورد نسنا (٦)

- (١) ديوان ابن الخطيب ١٨٤
(٢) الروضتين ١٣٩ / ١ / ١ عقد الجسمان ١٢ ق ١ ورقه ١٨١
(٣) الروضتين ١٣٩ / ١ / ١
(٤) ديوان فتيان الشافري ٣١٨
(٥) الروضتين ٧٦ / ٢
(٦) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤

وحين فتح صلاح الدين القدس بعد ذلك " رأى ملكاً كهلاً وجملاً كيو الكناد ، وترائسم تسد
تألفت وتألقت على الموت فنزلت بمرصته ، وكان عليها مورد السيف وأن تنوت بمنصته . . . (١)
وفي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ جاء تالجيوش الفرنجية من كل صوب " فدبوا يواغي راجل كرجل الدها
وشيل أغت الوهاد والرتي . . . (٢) ويقول القاضي في وصفهم : " فإنهم - غنذ لهم الله -
أمر لا تسمى وحيوش لا تستنقى ، وراءهم من ملوك البحر من يأخذ كل سفينة غصبا ، ويطلق في كل
مدينة كسبا . . . (٣) ، وحينها جاءوا دميلا طرمن الملك الكامل بين القادل نجاءوا بأعداد
لا تقل عن الأعداد التي جاءوا بها في المرة الأولى ، يقول القاضي غرة هبة الله بن محاسن في
ذلك :

ولما طغى البحر الغضيم بأهله اللطيس (م) خاة وأضغى بالمراكب من ~~البحر~~
أقام لهذا الدين من سل عزمه
عقيداً كما سل الجسام مجسم ردا (٤)

ويقول ابن دنيشور في ذلك :
إلام التبادي والفرنج مجسمهم
على بيد دميلا كوط انتظام النقصد (٥)

ويقول ابن عنيق في وصف البحري الفرنجية :
تد أفتقوا رأيا وعزوا وهمتة
تداعوا بأنصار السلب فأتلبت
عليهم من الباذي كل مفاضنة
وديناً ولين كانوا قد اشتاقوا لسنسنا
بحق كان الموق كان لهم سنبسنا
دلاس كدرون الشمس تد أحكمت وفسنا (٦)

وحين هاجموا صخر في المرة الثالثة سنة ٦٤٧ زمن الملك الناصر نجم الدين أيوب وأبنة المصلح
تورانشاه كانوا في عدد عظيم ، ويشربهم أهلها وتلقوا أنهم قد أحيط بهم ، ولكن تورانشاه أستل
غيضان النيل وهاجمهم هجوما شديداً قد رتبهم وأوقف تقدمهم ، بل جعلهم يتراجعون ثم يستسلمون ،
فتول رسالة صدرت عن المصلح تورانشاه إلى نائبه في دمشق : " فإن كان قد أستل أمسره
(أمر لوبد التاسع) واستعظم شره ، ويشقى العباد من البلاد ، والأكل والأولاد ، فليجودوا
لا تياسوا من نبي الله . . . (٧) ، وفي معركة جند زمن المصور تلزون أنشد الفرنج والارمن
والتار فكرونا جيشا جزارا يذكر عدة ابن عبد الظاهر فيقول :

جاءت ثمانون ألفا فن بحوثهم
لأرضهم فكان البعث والنفس (٨)

- (١) صبح الأعشى ٦٠١/٦
- (٢) الروشتين ١٦١/٨
- (٣) صبح الأعشى ٢٤/٧
- (٤) القريزي ، السلوك المبرقة دول الملوك ٦٠٩/١/١
- (٥) ديوان ابن دنيشور ورقة ٤
- (٦) ديوان ابن عنيق ٣٠
- (٧) شهاب الأرب ٢٢ ورقة ١٠١ مخطوط
- (٨) عقد البهتان ج ٢ ق ٤ ورقة ٢٧٨

وأخيرا في معركة عكا سنة ٦٩٠ تجميع الفرنج من جميع المناطق ودافعوا الملك الأشرف عنها ولولا
تصفه لها وحضاره المستمر لما استطاع استعادتها (١) .

هذه أمثلة سريعة * تلمح من خلالها بيان الأدب لاستعدادهم وتشدد هم واحتياطهم
المشقات من أجل الوصول إلى الهدف ، وإذا كان أدباء العرب قد نوهوا بصير الفرنسيين
وشجاعتهم * فانطأ أرادوا بذلك استنهاض هم المسلمين ، وكان الأدباء أرادوا المقارنة بين
موقف الصليبيين الذي يثير الإعجاب وموقف المسلمين الذين لم يتذغوا بقوتهم كلها في الميدان ،
ولم يستنفذوا الطاقة في دفع العدو عن بلادهم ، على أن التمتع لعدد من لا يخلو من استعداد
آخر وهو تعظيم نصر المسلمين ، فكلما كان العدو قويا ، كانت قيمة النصر أعظم ، وهذا مما
أشار إليه الشاعر عمار الهماني حين خاطب شارر السعدي بقوله :

وما تعدت بنصطي عداك سسسسس
تعظيم شأنك ، فأعذرني ولا تلسم (٢)

صورة الجيش الصليبي ومعركته سسسسس :

استولى الجيش الصليبي المنظم أنظار الأدباء ، فوصفوه كلا متكاملا في حالة الثبات
والحركة والهجوم ، وهو في هذه الحالات كلها لا يخرج بعضه عن بعض ، ولا يتأخر فريق عن
فريق ، وبذلك يحسون أنفسهم من أي هجوم إسلامي على جزء منفصل منه .

- (١) أنظر جواهر السلوك ورقة ٤٠ وما بعدها
لمزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١/١ : ٥٢/١ ، ١١٧/٧ ، ١١٨ ، ديوان أماسية
بن مقفد ٢٠١ ديوان البهاء زهير ١٢٣ ، عقد الجمان ج ١ ق ٣ ورقة ٤٦١ ، ٤٥٧ ،
ج ١ ق ١ ورقة ١٨٠ ، الباهر ٣٣ ، ٥٦ ، الفتح القسي ٢٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٩٠ ،
٤٣٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٨ ، الكامل ١١/٥٩ ، ٤٥٦ ، ٢٩/١٢ ، مسنن
الكروب ٢/١٤٨ ، ٣٠٠ ، ١٤٥/٣
* أنظر الروضتين ١/١ : ٣٩/١ ، ١٤٩/٢ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٩٠ ، الاعتبار
٤٨ ، صبح الاعشى ٧/١٢٨ ، النوادر السلطانية ٩٧ ، ١٦٤ ، ١٩٩ ، مسنن
الكروب ٢/٢٨٣ ، الكامل ١٠/٢٢٦
(٢) الروضتين ١/١ : ٥٧٧/٢ ، وفيات الاعيان ١٥٩/٢

ونجد هذه الظاهرة عندهم منذ بداية الحروب الصليبية حتى منتهاها ، فحين حاصر عطا الدين زنجي حسن القارب * احتصوا بجمع الفرسان والابتناد واحضروا من اذارافا الهاند وجمعوا الدانسي والقاضي ، والمطالين والساحي ، واقبلوا في جموعهم المعشورة بمعاكرهم المجرورة واعندتهم المشورة ، وصلبا نهم وينودهم وكنودهم ، وجاء اليه وقد غر بهم من الارض جنوبها بمواقفهم شطالهمسا وجنوبها * (١) وشاهد مثل هذا التحرك البطاعي زمن نور الدين ، يقول ابن منير :

اجازوا الارضا لهم خميسا
مقوا متساندين الى صاييب

يسيد الشور ملتطم العيساب
يبرقع شهوة الصم الصلاب (٢)

وقد ظهرت هذه الصورة بشكل أوضح في معارك عكا لأن الفترة التي استغرقتها دامت سنتين ، فعرف المسلمون الفرنج عن كثب ، يقول العماد في وصف هجوم فرنجي على المسلمين :
" خرجوا يوما قبل العصر ، في عدة كالليل خارجة عن الحصر ، قد التاموا واستندوا وانضموا وانتظموا ، وتقدموا واقدوا للدوارق حاملين وللسيوف معبرين ، * (٣) ، ووصف وصول جيشهم الى أرض المعركة في " جمع شك ، وجمركه ، وقنطاريات طائرات ، وسابريكات ساينات * (٤) .

هكذا ركز الأدب على اظهار حركتهم بشكل جماعي إذ يخرج فارسهم وراجلهم بشكل جماعي ، ان يخرج فارسهم وراجلهم وملوكهم وقوامعتهم وكنودهم ، ويشكلون في أرض المعركة مقدمة وحملة وصخرة وقلبا ، وفي هذا الاطار نجد التنسيق الدقيق ، فالرجالة محدقون بالفرسان والفرسان يحيطون بالعلم المرتفع ، فان كانوا في حالة انتقال من مكان الى مكان ، سار الجيش دون أن يستجيب لاستغزازات المسلمين الا حين الضرورة ، بل إنه يتحمل السهام المنزيرة ولا يقدم على معركة لا تناسبه ، حتى اذا ما أحمر بجانب من الجيش بالارهاق جاء جنود ممن الجانب الآخر وحلوا محلّ الجنود المحاذين للمسلمين ، حتى يصلوا المكان المقصود ، يقول ابن شداد :
" وتم قسم آخر من الرجالة مستريح ، يمضون على جانب البحر ولا قتال عليهم ،
فاذا نصب هؤلاء القانية أو اثنتيهم الجراج ، قام مقامهم القسم المستريح واستراح القسم . السائل
هذا والخيالة في وسطهم لا يخرجون عن الرجالة الا في وقت الحملة لا غير * (٥) وفي وسط القوم برج على عجلق ، وعلتهم يسير ايضا في وسطهم كالنارة السطية ، وساروا على هذا المثل * (٥)

(١) الباهر ٤٠ وأنظر الكامل ٣٠٦/١١

(٢) البروقتين ٢٢٩/١/١

(٣) الفتح القسي ١٦٤

(٤) نفسه ٦٦

(٥) البروقتين ١٩٠/٢

وان كانوا في حالة هجوم فإنهم يهجمون بشكل منظم وأقصى قوة استطاعة ، يقول العماد :
 " ولداوي دوي ولاستباري دوي " والباروني يقدم على البوار ، والتركبوني يلقي نفسه على النار (١)
 وأما إن كانوا في حالة سكون فمن الصعب استشارتهم ، بل يبقى تركيبتهم كما هو : الرجالة تحمسي
 الخيالة ، والخيالة تحيد بالحلم ، يقول العماد : " ووقفوا على صهوات الخيول الى ضحوة
 النهار والراجل محدق بهم كالاسوار ، وأصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم ...
 ونعم ثابتون ثابتون ، وعلى مواطئهم ثابتون ، كالبنيان المرصوص ما فيه خلل والحلقة المرفقة بما
 اليها مدخل وكالاسور المحيط ما عليه متسلق ، وكالجبل الأشم ما فيه متعلق ... " (٢) ، ويقول أيضا
 فإنهم إذا نزلوا صعب نزالهم ، وأتعب قتالهم ، وإذا انبثوا تحذر حصدهم ، وإذا اثبتوا تنسر
 تصدهم ، وإذا التصقوا ببدن الأرض صاروا كالقراد ، وإذا حلقوا في جو الدؤ لاروا كالجراد ،
 فمعد الانتشار يمكن التقاطهم ، وعند الانحصار يمكن احتياطهم ... " (٣) .

هذه أمثلة عن صورة الجيش المتكامل ، أما الفارس الصليبي ، فهو يتصف بالشجاعة
 والإقدام ، ويحمي نفسه ليكون سورا للأخرين ، وما يدل على ذلك ما يروي ابن شداد عن شاعد
 عيان " أن فارسا وقع فيه زهاء خمسين سبطا وهجرا ونحو يتلقاها ولا يمنعه ذلك عما هو بصدد من
 الذب والقتال " (٤) وما يقوله العماد في وصفهم بأنهم " قد التأموا واستأنفوا وأنصموا وانتظموا
 وتقدموا وأقدموا ... " (٥) وما يقوله في وصف أفرنجي " كأنه جنى مستشيط ، للشيطان نجى ، ونحو
 يدافع ويمنع ويكافح عن تلك الثخرة ويقارع ... " (٦) .

ولم تقل شجاعة نساءهم عن شجاعتهم ، فقد وجدت عددا من نساء متولات وكأنهن فوارس نسي
 هيئتهن وشجاعتها ، ولم يكن بإمكان المسلمين تبين هويتهن إلا بعد تمريرهن من الدروع ، مما
 جعل العماد يقول : " وفي الفرنج فوارس لهن دروع وقوانين ، وكن في زى الرجال ، ويرزن نسي
 حومة القتال ، ويملن عمل أرباب الحبل ، ومن ربات حبال ... " (٧) * *
 ويظهر من الأدلة السابقة صفة أخرى هي الصبر وتحمل المصاعب ، يقول ابن عيين :

لقد صبروا صبرا جميلا ودافعوا	داويلا فما أبجدي دفاع ولا أغسني
لقوا الموت من زرق الاسنة أخمرا	فألقوا بأيديهم إلينا فأحسننا
أسود وغنى لولا قراع سيوفنا	لما ركبوا تهيدا ولا سكتوا سجننا (٨)

- (١) الفتح القسي ٦٢ (٧) نفسه ٢٩٩ (٣) نفسه ٢٩٦
 * للمزيد من الأمثلة أنظر : الفتح القسي ٢٩٨ ، ٢٩٥ ، الخريدة قسم الشام ١ / ٢٣٥
 ديوان طاهر الحداد ٣٧٥ ، الروضتين ١ / ١٧٩ ، ١٩٠ ، النوادر ١٠٧ ، ١٠٩ ،
 الكامل ١١ / ٥١١ ، ٥٠٣ ، ٤٨١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ١٢٦ ، ٣٢٣ / ٣٧٥
 (٤) النوادر السلطانية ١٦٧ ، وأنظر ١٦٦ ، والفتح القسي ٣١٢
 (٥) الفتح القسي ١٦٤ (٦) نفسه ٥٠٤ (٧) نفسه ٣٤٩
 * * للمزيد من الأمثلة عن الشجاعة أنظر : الاعتبار ٦٤ ، النوادر السلطانية ٢٢٣ ،
 عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورقه ١٩٩ ، الكامل ١١ / ٣٥٤ ، ٥٥٥ ، الباهر ٤١
 (٨) ديوان ابن عيين ٣٠٠

ومن الصفات الأخرى التي وصف بها الجيوش الفرنجية احتكام الفرنج ، سواء باستغلال التمسك بالسياسة عند المسلمين أو باستغلال الظروف الطارئة ، فحين استنجد بهم شاور من مصر ضد أحد الدين غير كونه ، أتوه على الصعب والذلول طمعا في ملكها (١) ويظهر هذا الطمع في قول مري لأصحابه : " ان نور الدين بحلب ، وصاكره متفرقة ، ومق وصلنا الى مصر لم يكن لنا من يصدنا عنها فاجابهم الى مراده " (٢) ، ويبدو من قوله هذا احتكام الفرنج بمصر عن العالم الاسلامي لاهميتها في تقديم الاموال والرجال ، ولانها تشكل مع الشام قوتي (كما فهمه) تحبب تطلعاتهم التوسعية .

هذا وقد وصف الادب لباستهم في المصركة وأشكالهم ، فبعد هذا العناد يصف ليار ، فارس بقوله : " قد أخذ طارقه لجسمه صدفا ، وصار لسهام المنيعة دندا ، وهو كانه ما نوب ، غيسه من النشاب القنفذ ، وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ (٣) " ، وقد أثقا الشاعر المصري ابن ساره الاشيلي على ، هذا الصورة في معرض وصفه لبركة فيها سالحف ، ان شبهها بالجيوش الفرنجية على رؤوس جنده الخوف وعلى أكتافهم الطوارق يقول :

لله مسجورة في شكل ناظم مسجورة
فيها سالحف ألهماني ثقاسهم
تنافر الشطالا حين يحضرهم
كانها حين يبديها تصرفهم

ويعقب الرشيد بن الزبير على قوله هذا بقوله : هذا معنى بديع لا يحطن لحسنه الا صبر ، رأى غرسان الفرنج في طوارقها ورؤوسهم أشبه الأشياء برؤوس السالحف لما عليها من الشانوق (٤) ويخفهم ابن شداد بقوله : " وعليهم الكبورة الشنيعة والزرديات السابضة المحكمة بحيث يقع فيها النشاب ولا يتأثرون " (٥) ، ثم يقول : " ولقد شاهدتهم وينشرون في ظهر الواحد منهم المشابة والعشرة وهو يسير على شيعته من غير أن تخرج " (٦) .

هذه هي هيئة الدقاتل الفرنجية ، الراجل منهم أو الفارس ، وقد وصف ابن شداد صورة الفرس التي يركبها الفارس وقدار ثاقبهم في تزيينها بالزرد حتى الحوافر يقول : " وكسان عليه لبس لم ير مثله (٧) " .

- (١) الكامل ١١ / ٣١٤ (٢) ابن الفرات مج ٤ ج ١ ص ١٩
- (٣) الفتح القسي ٥٠٤
- (٤) الخريدة / قسم شعراء مصر ج ٢ ق ٤ ص ٣٧٨ وأظن ابن القائسي ص ٣٣٨
- (٥) النوادر ١٧٩ ، ذيل تاريخ دمشق ٣٤٣
- (٦) النوادر ١٧٩
- (٧) نفسه ١٥٠

ومع أن تلك الصفات استأثرت بأعجاب الأدباء بهم إلا أنها كانت تنطمر أو تنكأ لاقتحام الفرنج إلى النزعة الانسانية إذ إن الشجاعة المصلية ترتبط عادة بسمات انسان كريم ، كالتسامح ونيل الاشتاق والتواضع عند النصر ، ولكن الفرنج لم يتخلوا بهذه الصفات ، بما جعل أسامة بن منقذ يقول فيهم : " إذا خبر الانسان أمور الفرنج سبى الله تعالى وقدسه ، ورأى بهائسهم فيهم غفيلة الشجاعة والقتال لا غير ، كما في البهائم غفيلة القوة والحمل " (١) ، غلا عجب إذ أن يُصدر أدباء العرب أحكاما قاسية عليهم ، حتى وإن أشادوا بشجاعتهم وحباسهم وعبرهم ، وما وسم به الفرنج على السنة أدباء العرب ، الخوذة والخدر ، والوحشية والعقد والجهل والتعدي على الآخرين وقد ذكرنا أدلة كثيرة مضت في معرض الحديث عن الصراع الحضاري ، لكن لا بأس أن نذكر مثالا جامعاً للصدام في وصف المركب ، صاحب صور يقول : " وكان المركب من أكبر طواغيت الكثر ، وأغوى شياطينه وأشرى مراحينه ، وأخبث ذنابه ، وأدبى كآبته ، وأعوى أعوانه ، وأخون أخوانه ، وأبغى بغاته ، وأجفى جفاته ، وأرعى حماته ، وأحصى رطاته ، وشر شراره ، وأنكر نكاره ، وأفجر فجاره ، وأروغ شماليه ، وأصب غاريه ، وأحنك معانديه ، وأنكسبت معانديه " (٢) ■

وقد قدم الأدباء في مقابل ذلك صورة للبطل المسلم بعيدا عن الطيش والسرور شجاعا تقيا عادلا متواضعا ، يقظا كريما ، مرعيا للظالمين ، تريبا إلى قلوب الناس الذي يمن يحكمهم ■ ■ ■

(١) الاعتبار ٦٤ ، ٦٧

(٢) الفتح القسي ١٠٦

■ لمزيد من الأمثلة : النوادر ١٦٩ ، الروضتين ١٨٣ / ١ / ٢ ، ١١٢ / ٢ ، الفتح ١٠٦ ،

١١٠ ، ديوان أسامة ٢٠٣ ، الكامل ١٢٩ / ١

■ ■ أنظر أمثلة على هذه الصفات : الروضتين ١ / ١ / ٢ ، ٤٣ / ١ ، ٥٠ ، ١٠٥

جانيق ١٣ / ٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

وبالإضافة إلى الترس والسيف فقد أستعملوا الدروع الحديدية الواقية لهم ولخيولهم * يقول ابن جرير
 شداد عن ابن ملك الألمان إنه " عرض عسكره في اثنين وأربعين مئة ألفاً " (١) وجاء نسبي
 المحجم الوسيط أن التجفاف آلة للحرب من حديد وفيه يلبسه الفرسان أو الإنسان ليقيه في الحرب *
 كما أستعملوا النشاب والجرن * وقد ذكر ذلك ابن الوردي الذي شارك في معركة عكا الشهيرة
 سنة ٦٩٠ هـ (٢) .

وأما الآلات الثقيلة * فقد أظهر الأدب أنواعها وصورها بشكل مفصل * وذلك لتصوير قوة
 الجيش الفرنجي وكثرة عدده * وقد كان بعض هذه الآلات يصنعها الفرنج في أرض الممركة مثل
 الأبراج والدبابات والمجانيق والجسور * وكان بعضها يأتي مشحوناً من بلادهم * وأخصها
 القطع البحرية .

وقد أستخدمت القطع البحرية * في نقل الجنود والسلاح والميرة من أوروبا إلى المشرق
 الإسلامي * كما كانت تستعمل أيضاً في عمليات الهجوم ضد المدن الساحلية * يقول ابن الفرات
 في تاريخه " إن الفرنج نزلوا على دمياط سنة ٥٦٥ هـ في عالم عظيم * وكان وصولهم في السف
 ومئة مركب ما بين شيني ومسطح وطريدة " (٣) * ويقول الصماد في حديثه عن ملك الانجليز
 " وكان معه من الشواني خمسمائة وخمسون قطعة كل واحدة منها تضاهي ثلثة وتوازي قلعة صلبة *
 وأحدث في القلوب روعاً وأثارت في النفوس لوعة " (٤) * وفي حصار دمياط سنة ٦١٥ هـ وصل
 للفرنج مركب عظيم يسمى " مركة " وحوله عدة حراقات يحصونه * والجنود ملؤا من المسمرة
 والسلاح وما يحتاجون اليه " (٥) * ولكن ذلك لا يعني أنهم لم يصنعوا مركب في الأرض التي
 احتلونها * فقد ذكر ابن الأثير أن البرنار ناظ على أسطولاً فأنزله في بحر إيل * وأغترقا غرقتين
 الأولى على حسن إيل وهو للمسلمين والثانية على عيذاب " (٦) .

والأمثلة على استعمال السفن في الهجوم على المدن المحصنة كثيرة * ومنها ما ذكره ابن
 الفرات أيضاً من " أن الفرنج أثبتوا مركباً يحلو سور دمياط ويحرقه من الرجال والسلاح والجزء
 في البحر إلى أن وصل سور دمياط فوثقوا منه إلى السور وثقوها " (٧) .

(١) النوادر ١٢٦ هـ وانظر الكامل ٤٦/١٢

- * الجرن : نوع من الأقواس الرامية التي يرمى عنها النشاب أو النقط .
- (٨) تاريخ ابن الوردي ٦٣٥/٧ هـ أبو الفداء / المستشرق في تاريخ البشر ٢٥/٤
- (٩) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٨ ص ٨٣ وانظر المركب في ابن التلاني ١٧١
- (٤) التلح القسي ٤٨٤٤
- (٥) مغني الكروب ٩٥/٤
- (٦) الكامل ٤٩٠/١١٠
- (٧) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٨ ص ٨٣ وانظر آثار البلاد للقريني ١٩٤ هـ ٢٢٢ وتاريخ
 ابن الفرات مج ٥ ج ٨ ص ٢٢٠

ومن المدن الساحلية التي تعرضت لهجوم المراكب مدينة عكا ، فقد ذكر ابن شداد أن الفرنج أعدوا في البحر بحملة هائلة وضموا فيها برجا بخرطوم اذا أرادوا قلبه على السور أنقلب بسبب بالحركات ، ويبقى طريقا الى المكان الذي ينقلب عليه فتحشي عليه المقاتلة " (١) ، كما وصف العماد أحد المراكب التي هاجمت عكا فقال : " وأخذ تلك المراكب قد ركب بها على رأس صارية لا يطاوله طول ولا يماريه ، وقد حشي بالنفط والحطب وضيق عطائه لسعة المحلب " (٢) ، وقد أخذ الفرنج على مثل هذه المراكب في حربهم للمسلمين في عكا سنة ٦٩٠ هـ ، فيروي ابن الوردي وقد أشترك في المعركة ، أنه شاهد " مراكب مهيبة بالخشب الملبس بجلود الجواميس ، ويرمى الفرنج منها بالنشاب والجروح والقتال من قدامهم من جهة المدينة ومن يديهم من ليحصر " وأحضروا بحملة فيها منجنيق يرمي على الحصون " (٣) .

ومن الآلات الثقيلة التي صنموها ، الأبراج ، ونلاحظ أنهم أخذوا حليها في وقت مبكر من الحروب الصليبية ، إذ استخدموها في حصار صيدا سنة ٥٠٤ هـ ، فعملوا برجا وزحفوا به على سورها ، ويذكر ابن القلانسي هيئته بأنه " ملبس بحطب الكرم والبصل وجلود البقر الطرية لينح من الحجارة والنفط ، وكانوا اذا أحكموه على هدف الصورة نقلوه على بكر تركب تحته في عدة أيام متفرقة " (٤) . وقد زاد اعتمادهم على الأبراج في حصار عكا ، وذلك حتى يصلوا السور سورها فينقبوه أو يرتقوه ، ولما احتاجوا الى المواد الأولية استوردوها من أوروبا ، وتحملوا غسي نقلها المصاعب الكثيرة ، يروي ابن واصل أن " الفرنج قد شرعوا في بناء ثلاثة أبراج طالية عظام ونقلوا في البحر الآتيا ، وأخشابها الجافية وقطع الحديد ، وتحملوا فيها سبعة أشهر ، فسلبت كأنها أطواد ، ونسبت في ثلاثة مواضع من أقطار البلد ، وملئت طبقاتها بالعدة والعدد وكل بين منها في أركانها أربع أسطوانات طالية تفلأظ ، طول كل واحدة خمسون ذراعا لتصرف على ارتفاع سور البلد وسطوها على دوائر المجل ، ثم كسوها بجلود البقر ، وسقوها بالخشب والشمع " (٥) ، ويصف ابن شداد مساحتها وسمتها فيقول : يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق " (٦) .

ويلاحظ العماد بليغته المؤنقة ما ذكره ابن شداد وغيره من أن البرج يتكون من عدة طبقات فيقول : " وركبوا من الأخشاب الطوال الأطوال ، والحد الثقيل ، ومثاقيلها ، وقد غوها ، ونصبوها وأحكموها ، وسقوها طباقا ، وسقوها بالحديد وجعلوا لها منه أطواقا ، ورتقوها شدا وشدوها وثاقا ، ولبسوها بالسلاح وملاءوها بالجروح ، وزحفوا بها السور السور وكشفوا بالبرص منها بعض سقوف الدور " (٧) .

- (١) النوادر ١٤١ (٢) الفتح القسي ٤٦٧
 (٣) تاريخ ابن الوردي ٢٣٥/٢ ، أبو الفداء تاريخ مختصر البشر ٢٥/٤
 (٤) ذيل تاريخ دمشق ١٧١ هـ وأنظر زبد المحلب ١٤٦/١
 (٥) مفتح الكرب ٣١٥/٢ (٦) النوادر السلطانية ١٢٠
 (٧) الفتح القسي ٣٦٢ هـ وأنظر ص ٣٧٠ هـ لوصف الدبابات ، أنظر تحقيق الشيال للنوادر السلطانية ص ٤٦

والآلات الثقيلة التي استخدمها الفرنج هي الدبابة ، وقد جعلها القاضي القاضى شبيهة للبرج . مع أن هناك فروقا بين الآتين يقول أنها " تشبه أبراج في بقاء أشغالها وارتفاعها ، وكثرة مقاتليها واتساعها " (١) ، والحققة أنها أتت من أفعالها ، وهدم الاسوار عن طريق دفعها بالكهش ولذلك يجب أن تكون أقصر من السور أو أعلى منه قليلا ، بينما يكون البرج كما ظهر من الأدلة السابقة أعلى من السور . أما أنها تشبه البرج في المصحة ، غرما كان ذلك صحيحا ، لأن البرج يتكون من طبقات يعلو بعضها بعضا ، وأما الدبابة فهي مقسمة ولا تتكون من طبقات مرتفعة ، على أن هناك فرقين آخرين بين الدبابة والبرج هما :

أولا : - أن الدبابة تتكون من عدة طبقات متداخلة مما يجعلها أقوى من البرج (٢) ،
ثانيا : - أن البرج يختلف عن الدبابة في الشكل وفي المحتويات كما سيتضح من وصف الدبابسة فيما يلي ، وقد تفنن الفرنج في صنع هذه الدبابات مع مرور الأيام ، لا سيما حين تمكن المسلمون من حرق بعضها في عكا ، فجعلوها " بأربع طبقات : الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تملو على السور ، وتتركب فيها المقاتلة " (٣)
ويصفها العماد بقوله : وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة ، قد أظهرت لها في الشر ظاعة ، ولها أربع طباق ، شدها على الارتباط باق ، ولها من الأحكام بأربوليات ، وشي من خشب ورصاص وحديد ونحاس " (٤) ثم يصف أثرها في إثارة الرعب لدى المسلمين يقول : " وبلي البلد منها بكل بلية ، ورزى بكل رزية ، وكانت هذه الدبابة على العجل ، ليقرسوا بتقرسها أسباب الاجل ، فباتت القلوب منها على الوجمل ، وكاد أصحابنا يطلبون الأسمان ، وخضع كل أبي وأستكان ، فقارعوا عندها أشد قراع وما صموا أشد صراع " (٥) .

ولما كان سور عكا مانعا ، والدفاع الاسلامي عنها شديدا ، فقد أضاف الفرنج إلى الدبابات إضافات أخرى ، مما جعل شاهد العيان ابن شداد يسميها " بالآلات العنبيسية والصنائع الفريرية " (٦) ، ومن هذه الإضافات رأس عظيم طويل مدبب لهدم الاسوار ، يقوم ابن شداد في ذلك : فأنفذ الفرنج من الآلات المحيية والصنائع الفريرية طائفة الناظر اليه من شدة الخوف على البلد (عكا) . . . فحما أحدثوه آلة عظيمة تسمى دبابة ، ويدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ، ملبسة بصنائع الحديد ، ولها من تحتها عجل تتحرك بها من داخل ، وفيها المقاتلة حتى ينطع بها السور ولها رأس عظيم ، برقية شديدة من حديد ، وهي تسمى كبشيسا ينطع بها السور بشدة عظيمة ، لأنه يجرها خلق عظيم فتهدمه بتكرار نطعها " (٦) .

- (١) - الاعلام بالاعلام ، ١٦٥ ، (٢) - أنظار الكامل ، ٤٥ / ١١ .
يعني هذا القول أن الأصل فيها أدنى من السور ولكن هذه الدبابة ركب عليها بسم
خشبى جعلوها تملو السور ، أنظر النوادر السلطانية ، ص ٤٥ ، هامش رقم (١)
(٣) - النوادر السلطانية ، ص ١١١ (٤) - الفتوح القسي ، ٤٨٧
(٥) - نفسه ، ٤٨٧ (٦) - النوادر السلطانية ، ١٤٠

ويصف الحصاد بهذا الكبر وهو قوله فيقول : " وأسنانها الذريع على دبابة دائلة ، والسكة للمواغل دائلة ، في شكلها رأس عظيم يتألف له الكبر ، وله قرنان في طول رمحين كالعود يسمون الخليطين ، أفعال الاسوار بها تفتر ، فكلم سور اذا نطحت حاجته ، وكلم معقل حافته الدشمر حصته وسحنته " (١) ، وحقى تفلح هذه الدبابة في أضعاف ضخم المسلمين من بهيمة وتقاوم الدور النخاية التي كانت تقذف عليها أشكوا بناء ، وألبسوا كبشها الحديد والنحاس ، يقول الحصاد : " وقد متفوها من كبشها بأعنة الحديد ، وكملا لها أصباب الأحكام الحديد ، وألبسوا رأسي الكبر ، بسد الحديد النحاس ، وكسونا حذرا عليها من النار سائسر لباس الباس ، فلم يبق للنار اليها سبيل ولا للصلب عليها دليل (٢) .

وقد أحدث الفرنج آلة أخرى تشبه الدبابة أو القوسماها ابن شداد بالنور ، إلا أن رأسها محدد على شكل السكة التي يحرك بها ، ورأس الكبر مدور وهذا يهدم بثقله ، وتلك تهدم بحدتها وثقلها " (٣) .

والآلة الرابعة الثقيلة هي المنجنيق ، وهو آلة من آلات الحصار والهجوم في ذلك العصر ، وقد أئنه من الحجارة جلبها الفرنج معهم مرة من صقلية وقد نوا بها الاسكندرية ، يقول القاضي الفاضل : ونصبوا ثلاث دبابات بكبابها وثلاثة دبابات كبار المقادير ، تفترس ببحجارة أستحبوها من صقلية ، وتصحب الناس من أثروا وعظم حبرها " (٤) .

وبما بلغت النظر في هذا الجانب أن الأدباء أمعنوا في وصف الدبابات والآلات الحربية ولكنهم لم يقدروا صورة دقيقة للمجانيق الفرنجية ، وإنما وصفوا المجانيق الإسلامية ، يتصور فيها الدين معبود : ونسبت المجانيق (الإسلامية) فلم نرجح حق فيها (الفرنجية) وسقطت عليها ، فأصبح هذا في التحامل أبعد من أسماء ، وأستعملتها البداء فأظهرت اسم أنها لا تحلق الدناج من غيرنا بعد أن عجزت عن نفسها ، وسقطت أنفها إمارة على الانحياز ورخت أسابها : إما إجابة أن تذل للشمس وإما إجابة إلى طالب الأمان " (٥) ويقول أيضا :

كأن المجانيق التي قن حولها رواد سخط ملها النار والصغر (٦)

(١) الفتح القسي ٤٣٧

(٢) المصدر السابق ٤٣٨

(٣) النوادر السلطانية ١٤١

* عن الضعيف أنظر النوادر السلطانية ١٤١ ص ٦٦ وصبح الأعشى ١٤٤/١

(٤) الإلهام بالأعظم ١٦٥ ، وأنظر تناسيل الحصار في الكامل ٤١٣/١ ، ابن شداد

النوادر السلطانية ٤١ ص ٤٦

(٥) صبح الأعشى ٣٩٦/٨ ، حسن التوسل ١٤٥

(٦) البداية والنهاية ٣٩٩/١٣

ومما يرتبط بالأسلحة الثقيلة بعض الأدوات المساعدة في الحروب في الجيوش الفرنجية والإسلامي مثل أدوات إطفاء الحريق، أو انقاء النفط، فقد كانوا يستعملون المستأثر السسمتي يتخذونها من البلود واللبود الملوثة بالفضل والخمر، يقول الصناد في وصف عملية إطفاء الحريق " وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا بالتهجمات (براميل صغيرة) يذلقون بالفضل والخمر تلك الشعل المستوليات " (١)

ومن هذه الأدوات المساعدة الجسور، ففي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ استعملوا السالمسم الكبيرة الهائلة، كما استعملوها في التسلق على قلعة الطور، لولا أن رماهم المسلمون بالنفط (٢)، وأما الجسور فقد ذكرها عطرة اليماني في معرض مدحه لأسد الدين شيركشوه :
لئن نصبوا في البر جسرا فأفكسهم عبرتم ببحر من حديد على الجسر (٣)

وفي سنة ٦٠٥ هـ أثار الفرنج على باب تدبر من جهة، بعد أن مدوا على نهر الناصمي جسرا خشبيا (٤)، ودفنوه من الأشجار القوية التي تتحمل مرور جيش كبير عليه، وقد أشار الأدباء إلى طول المدة التي يقضيها الفرنج في عمل هذه الآلات، كما ذكروا تكاليفها الباهظة يقول الصناد : " ولهم منذ تسعة أشهر يجمعون هذه الآلات ويستعملون عليها الفراصات، حتى أتوا أبرجا أعلى من أبراج السور بضعف سمكها، وقربوها ناكية في الشتر المصمروس بختكها " (٥)، كما يذكر أن الكندهرى أخذ على أسد المنجنيقات ألفا وخمسمائة دينار (٦) .

-
- (١) الفتح القسي ٤٣٣ هـ وأنظر النوادر ١٤١ هـ وفتح الكروب ٣٠٣/٢ هـ ٣١٥
(٢) الذيل على الروغتين ١٠٦
(٣) القابل ٣٠٠/١١
(٤) الذيل على الروغتين ٦٧
(٥) الفتح القسي ٣٧٣ هـ وأنظر ٣٧٧ هـ وابن القائسي ١٧٩
(٦) الفتح القسي ٤١٦

ثالثا : التحقيقات :

اتخذ السليبيون التحصينات الدفاعية ، بحسب ما لأي هجوم إسلامي عليهم لأنهم يعلمون أنهم طارئون على أرض المسلمين ، ولذلك اعتدوا في حياتهم على عاملين أساسيين : الأول : الأعداء الخارجية ، وقد مر ذكرها : والثاني : التحصينات .

وتعد صور الأدب ، ولا سيما الشعر ، أنواع هذه التصنيفات ، نذكر أربعة أنواع لها :

(١) القصص (٢) القلاع (٣) المثناة (٤) الأسنوار .

أما الحصون فهي كثيرة وممتدة في الأماكن ذات التجمعات السكانية أو ذات المواقع الاستراتيجية
ولذلك ذكر الأدباء نوعين من الحصون : بنية وبحرية ، ومن الحصون البرية حصن كوكب ويمت
الأحزان والكرام والشوك والمقرب وبرزية ، وأما الحصون البحرية فبعضها : مرقية والفاذ تيمسه ،
وبما يدعى في ذلك أيضا ، المدن الحصينة كالرسا والقند ، وشكا وسور .

وتشترك هذه الحصون سواء في ذلك البرية منها أو البحرية ، أو المدن الحصينة فهي
صفات القوة والبنية ، يقول السطاد في وصف كوكب : " ونبتنا الى كوكب فوجدنا في مناط
الكوكب ، كأنها وكرا العنقاء ، ومثل السوا ، وقد نزلتها كاذب غاوية ، ونزلت بها ذئب ساب
غاوية " (١) .

وفي بيتنا لأعزان تنبوع النورج لمراقبة تحركات صالح الدين ، فجهز جيشا لمحاربتهم فاحتدوا عليه لاعتقادهم أنه يمتهمهم ، لكن صالح الدين شيب ثلثهم ، ودمر حسنهم ، وفي ذلك يقول حمادة الخزيم الحمصي :

غنا شريف من جیش نهشت بنیشت
وزرت بکمال الحین الذي لو تحصن
تحصن به طلب الطیب ورفعت
هبت الیه هبت یوسفیة

فَأَقْصَيْتَ ۖ لَمَّا أَنَّ نَهْشَتِي ۖ الْعَمْدِي
نَوَاسِرُهُ بِالْجَنَمِ أَوْدَتْهُ السَّيْئَرُ
وَشَهَدَتْهُ لَمَّا غَفَا فَنَشِئْتُ
تَعْبِيدَ نَبِيٍّ كُلِّ مَا كَانَ بِجِلْدِي (آ)

وقد اتخذ الفرنج حصني الترك والشمون مركزا مهمما لمهاجمة التواغل الاسلامية ، ولحقن أي
اتصال بين الشام ومصر ، فشبوا عن تهديد الاطمان القدسية ، ولذلك ، وسفه القاضي القاضل
بأنه "هجا في الحناجر ، وتذري في الحناجر ، قد أخذ الأكل بصفحةها ، وقعد بأرضها
المزائم وارتد بها ، ورعد الطوائف المساوكة ، وحير في السبل المسكوكة ، وصار ذئبا للذئب نسي
ذلك الفج ، وفذرا للتارك ، غريضة الله من الخبيث وجله من هيام الاسلام فكان عايشه ،
وجهم على أنظار العجايز فلم يدع نفعا يتخذ من تنابته ، فواديه من مضائل الصائل بمهملتها
وثله من دهر الأسته بمظلمها ، ودنو والشمون ، يسر الله الأكر (فتحه) كبيت الواء
للدسين :

لشکرِ رجالِ اویولفسیان د ص ۷۱ (۳)

ما من يوم إلا وعند

(١) الروضتين ١٣٦/٢
(٢) الروضتين ١٣٧/٢
(٣) ابن نباتة المصري : الفاعل من كلام القاضي الفاضل ورقه ٢٥ ص ٢

وكفى إشارة إلى أنه كان الخزانة ومقرها ومستودع الثريضة ومستقرها
وقد قصد القاضي بهذا الوصف تحريض صانع الدين ، وبالفعل حرك صانع الدين جيشه لتأديب
صاحبه ، وقد تراءى له أن من اليسير عليه أمثاله ، لبعده عن أمدادات الفرنج ، ولكن موقعه
الحصين جعل صانع الدين يتريث ويحتال لامثاله ، يقول العماد : " ولولا الخندق المانع
من الإرادة ، وأنه ليس من الخنادق المعتادة ، بل هو واد من الأودية ، وأمن الأغنية ،
لسهل المشرح ، وهجم الموضح ، فلهيئ ، لا تدبير طم الخندق ، والاعوذ بعد ذلك من العدو
بالخندق " (١) ، وينقل القاضي القاضي سورة أمثاله ، ومن غائلها تلج منعة هذا الحصين
وتوته ، يقول : " وأما الترك لكفات المنجنقات عليه متظاهرة ، وحجارتها على من فيه حاضرة ،
وتد جدد أنوف الأبرجسة ، وأسليت قنار المتائر وجوشها التجبرجة " (٢) ، ونتيجة
لهذا القصف العنيف أنهدم الجزء المقابل للمنجنقات ، ما سهل السيطرة عليه ، يقول العماد :
" فالصور المقابل للمنجنقات قد أنهدم أبراجه وأبدانه ، وانهدت قواعد وأركانه " (٣)
إلا أن هذا السطن لا يقارن بحصن المرقب ، وقد قم شهاب الدين محمود صورتين شريعتين له ،
لخداعه شريعة والأخرى نثرية ، يقول في الأولى مدحا المنصور تالون :

ماء الهجرة في أرجائها نهـ
وشم مثله في طينها الكـ
منه مكان اللاكي الانجم الزـ
والقلب قلب ومعدن الدجى طـ
شبرا ، وتدنو وط في غمها شـ
إليه من فيه إلا ودنو منـ
من السيوف ، ومن نبل الموش شـ
تنير سقا ولا يبدو له أثـ
نار الهوى ، وفي في الاشياء تستمر (٤)

أوردتها المرقب الحالي وليس سوى
كانه وكان الجو يكتنفه
يختار كالغداة العذراء قد تلمست
لها الهندل حوار والسها شمس
تصاو الرياح إليه كي تحيد بسـ
وليس يروى بماء السحب مسعدة
وأشرفت حوله نازلها لمـ
وللقوب ديب في ماضـ
أضحى به مثل صب لا تبين بسـ

ويقول في الثانية : " وحوله من الجبال الشم كل شاخ ، تنهيب عذاب الهوى طلع مقابسه ،
وتقف السرج خدما دون التوقل في جنابه قد تفرط بالنجوم ، وتترطق بالغيوم ، وسما غرعه
إلى السماء ، ورما أسله في التخموم ، تغال الحصن إذا علت أنها تنتقل في أبراجـه ،

- (١) الروضتين ٥٦/٨
- (٢) المصدر السابق ٥٥/٨
- (٣) المصدر السابق ٥٥/٨
- (٤) النجوم الزاهرة ٣١٧/٧ و ٣١٨

هذا ما بناه الصليبيون ليحافظوا على أنفسهم ، ولكنهم حين احتلوا بعض المدن الإسلامية أضاعوا إليها التحصينات الكثيرة ، وأضافوا إلى حصانيتها السابقة مزيدا من الصيانة ، فيها هوذا ابن القيسراني يصف مدينة الرها بأنها مدينة أفك تحجز السيوف عن اقتحامها كما عجز الملوك عن اقتحامها ، حتى جاء عماد الدين زنكي ، يقول :

لقد كان في فتح الرها دلائل كثيرة
مدينة أفك منذ خمسين حجة
تفتت مدى الأبصار حتى لو أنهم
وجاحة عز الملوك قيادهم

على غير ما عند الملوك اعتقاده
يفل حديد الهند عنها حسده
ترقت إليه خان طرفا مسوده
إلى أن ثارها من يسمز قياده (١)

ويؤكد ابن نثير المراكشي ضاعة المدينة وابلها ، ويشبهها بالنجم البعيد الذي لا ينال منه إنسان ، ولكنها من ذلك هي نجم دان لعماد الدين زنكي ، كما أن النجم يبصره المصورون بسهولة يقول :

ولكم من ملك حاولهم
هي أخت النجوم إلا أنهم

فتحلى العيون وسمما في الجبين
منه كالنجم لراى المصورين (٢)

ومن هذه المدن أيضا طبرية ، التي بقيت بيد الفرنج حوالي تسعين عاما ، تمتنع على كل من يريد امتراجها ، حتى جاء صالح الدين فلاقت من بعد تسوة ، يقول ابن الساعاتي :

وط طبرية إلا همدى
حصان الذيل لم تقذف بسوء
تسست حتى رأت كفوا فلا تسست

ترفع عن أكف اللامسوسين
وسل عنها الليالي الممسي والسنين
وفاية كل قارئ أن يلينسنا (٣)

وقد أضاف الفرنج إلى المدن الساحلية تحصينات عظيمة ، بالإضافة إلى موقعها الطبيعي المحصن يقول شهاب الدين محمود في عكا :

كانت تخيلهمسا آملنا غنمستري
سوران : بزويحر حولي ساحتهمسا

أن التكر غنمها أعجبسب الفجسب
دارا وأدناها أناى من القاسب (٤)

ويقول بدر الدين محمد بن أحمد النجفي طابها الملك الأشراف :

وكم نمتحت حنونسا طالما رجست
حررت من عكة الشراء ساعجسرت
عميلة المدن أسست من حصانتمسا

لأبأ عندها الملوك الصيد في شجسب
عنه الملوك بضم فمير منتسب
وعونهم من ليالي الدفر في عسب (٥)

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٩

(٢) جواهر السلوك ورقة ٥٩

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ٩٧

(٣) الروشتين ٨٤ / ٢

(٥) تاريخ ابن الفرات ١١٤ / ٨

ومن هذه المدن البحرية مدينة صور ، ويقول السواد في وصفها " هذا بلد حصين ،
ومكانه في الارض مكين ، في البحر ثلاثة ارباعه ، وفي السماء ارتفاع يقاوه ، والبارق الساذن
يسلك من البر اليه ، قد احاط بها البحر من جانبيه ، وقد قطعوه بحدود في عرضه ، وعظموه
ونزلوا في أرضه " (١)

وصفها طرابلس التي يصفها ابن عبد الناصر بقوله : " لها خطر وليس لها من البر الا
بقدر مساحة الباب من الدار ، كأنها في سيفه ذلك البحر جبل قد انحط ، أو مهل استموا
قد شقي عن الفت ٠٠٠ " (٢)

ويلاحظ ان الادباء قد عدوا الى التماريع هذه الحصون بعد الهائلة في وصفها
أحيانا ، ونالها ما يصفون سيطرة المسلمين عليها ، أو طروب القرون فيها ، أو تهديمها بسبب
الزلازل التي كانت تشرب المنطقة ، يقول سيدي بن الصارفي مهتفا بآثاره على
القرون في بوقنة من عيون سنة ٥٧٥ هـ :

قد غدت أهلها الحصون المني بالـ
وأراهم رب الحصن بأسيسـ

سك حتى توشقهم بالـ
فلا ما لم يغل لهم في فـ

ويتون الأمير نجم الدين محمود بن نيهان الحراقي :

ظنوا بناء الحصن شونا لملكهمـ
فأصبح بالشمسوا فـ

وحين فتح الأشرف خليل قلعة الزوم مدحه شهاب الدين محمود بقوله :

فان رمت حصنا ما يقتلك كـ
فني كل قـ للـ وـ

من الرعب أو جيت فـ
من الخوف أسياك تبرد أو
ولا شـ الا لا رواهم قـ

- (١) الفتح القسي ١٥٧
 - (٢) الاعشى ٣٦٨/٧ ، نهاية الارب ١٥٨/٥ - ١٥٩
 - (٣) الروضتين ٩/٧
 - (٤) المصدر السابق ١٢/١
 - (٥) البداية والنهاية ٣٢٩/١٣
- * المزيد من الامثلة أنظر : الروضتين ١١٠/١/١ ، ١٢/١ ، ١٣١ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ،
صبح الاعشى ١٢٧/٧ ، الكامل ٤٥٥/١١ ، ٥٥٤ ، ٥٤٢ ، ٥٥٧ ، ٣٣١/١٢ ،
النوادر ٩٠ ، ديوان أمانة ابن هفد ١٠٣ ، ابن حبيب ، درة الاساك في دولمة
الامراك ١٢٥/٢ ، مشطوط ، عقد الجبلين ج ٢٠ ق ٧٢٢ ، ج ١٧ ق ١ ، ١٨٠
مذكرات جوائيل ١٠٦/١ ، ١١١ ، ١١٢

وهكذا يصور الأدب العربي هذه الحصون وقد تحولت إلى سجون ، ويصور الضمادات
وقد تحولت إلى قبور ، يقول البوصيري في مدح المنصور قلاوون :

وغيرتهم بالأسلميين فـمـرور
واج كـثـت فـيـهـا البـنـسـون نـسـور
عن العدو في أرض العدو دـعـور
من الترك نجم لا يعد غـمـير
لهـمـلـكـا لـحـصـنـا لـحـصـين حـصـير
نـشـي عنه نوـا لـقـلـتـين عـشـير
من الخيل سور واليوارم سـمـسـور (١)

لقد جعلت دابة الكفر بأسـه
فلا يوركسوا من أخوة هـا أنـهـم
يظنون خيل المسلمين يصد هـمـا
أما زلزلت بالعدا يـمـات وـجـاء هـمـا
غذاقوا به مر العصار فأـبـحـسـوا
يصيحون أعلى السور خولاً كـمـا فـسـن
وطاذا يرد السور عنهم وغـلـفـهـ

فاستقبلتهم ولم تطلق ولم تهـمـب (٢)

وفي فتح عكا يقول شهاب الدين محمود :

لا تجعل لها لهم أبدا شـمـا (٣)

ويقول فتيان الشاغوري صانعا صلاح الدين :

لم يخفوا تلك الضادات حولهم
هذه هي حصونهم . أما قلاعهم ، فهي أبنية عالية قد تكون داخل الحصن ، تعرف على
تبركات أسداعهم ، وقد بالغ ابن عبد الظاهر في وصف قلعة حصن المرقب ، فجعلها تستلسل
بمدررة المنتهى ليلوها ، فيقول : " وهذا ما قلعة لها بالنجم ناط ، وبها أصحاب ارتباط ، ولها
على الدبر اشتراط ، ولبروجها ببروج الساء اختلا ، واختلطت كمن يسهو إليها المنى ، ولو لا
المشاة ، واستغفر الله ما قلت تكاد تستنك بمدررة المنتهى ، كأذا الرياح لجيدنا مشقة
والنيوم لخسرها منطقة " . (٤) ، وليست هذه القلعة هي القلعة الوحيدة التي تتصنف
بمذايل صفات ، فهذا السواد يصف قلعة الشمر بأنها مرتفعة لا تصل إليها المشاة ولا يستلصق
الذرا أن يتسلقها لوعزتها ، فكانها قد امت من الجبل ، يقول : " وهي قلعة شاهقة ، مسن
أعلى الفناء ، على شذبة منقطعة ، عالية مرتفعة ، ومن نواحيها واد ، خاف من السور غير ياد
في أعناق ووداد ، وقد قامت من الجبل حتى أشعل بالوادى شندقها ، وأخذ من السوادى
موتقها ، غدا إليها طريق ، ولا عليها طارق ، ولا غيبها للطلوع علوق ، ولا للمهم إليها مسروق
ولا للزحف فيها ملحق ، ولا الذر نحوها صالح " . (٥) ، وقد ربطها منبرج الديـمـسـن
بالمنبيقات فلم يوترغيبها ، لولا أن دب الرعب في قلوب أهلها فجاءوه يطلبون الأمان .
ومثل هذا ما قلعة قلعة غزة ، التي هي كرسى " الديوية " ، ومهيكل رؤوسهم ، وصعد نفوسهم .

- (١) ديوان البوصيري ٩٧ ، وأنظر السعيدة من ج ٦ ص ٩٨
(٢) ديوان فتيان الشاغوري ٦٩
(٣) جواهر السواد ٦١
(٤) تشرى الأيام والصور ٨٥
(٥) الفتح القسي ٦٤٥

وقد جاء في وصفها أنها " قلعة أنشأها صاحب في الهواء ، وبنائها جامع عن صفوة اللواء ، قد أوغلت في الجو مرتفعة ، وأومضت في الليل ملتصقة ، وبرداء السحاب ملتصقة ، قد عافحتها أيدي الأنام بالسلامة من قوارعها ، وبنادقها حوادث الأيام من روائعها ، إلى أن أصبح لها من أمانها الكفين ، وقبض لها من أفضى منها الدين " (١) * .

وأما النوع الثالث من التحصينات فهو الأسوار والأبراج ، فقد اعتد السليبيون عليها أشد اعتقاد ، لأنها تحميهم من الهجوم المباغت ، وأما الأبراج المنتشرة في جهات مدينة من الأسوار فهي تلك الحفرات أنشأها لهم ، ولذلك فقد اعتدوا ببنائها ، وأنفقوا عليها الأموال الباهظة ، يقول القاضي القاضي في وصف سور حصن بيت الأحزان " وقد عُدَّ حائله إلى أن زاد على عشرة أذرع ، وقطعت له عظام الحجارة ، كل قدم منها من سبع أذرع إلى ما فوقها وطولها ، وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في مكانه ، ولا يشتغل في بنيانه ، إلا بأربعة دنانير عما فوقها ، وفيها بين الحائلين حشو من الحجارة الصلبة ، المرمم بها أنوف البهائم الشرس وتند جعلت سقيته بالكبد ، الذي إذا أساطت تبشقه بالحجر ما زجه بمثل جسمه ، وشار جسمه وصاحبه بأوتى وأغلب من حجره ، وأوعز إلى شعبة من الحديد بأن لا يتعرض لهند صممه " (٢) .

وتد استخدم الفرنج هذه الخبائر في بناء الأسوار حول المدن المنيعة ، رغم حصانتهما الطبيعية مثل عكا ، وأنشأوا سورا من الحجارة والسفيح ، بالإضافة إلى السور البحري الذي كانت تنعم به مدينة عكا ، ولذلك بقيت آخر مستد للفرنج في فلسطين ، ولم يستطع قاصيون ولا من قبله أن يفتتحوها ، حتى جاء الأتراك خليل بن قلاوون ، وجم من الجنود من مصر والشام ، وتجاوزوا حصارا حديدا وقصفا بالمدافع ، فاستسلمت المدينة ، واستسلم على أنزلها مدينة صور وسيدا ، وبذلك انتهى الوجود السليبي في المشرق الإسلامي ، يقول شهاب الدين محمود :

ما بعد عكا وقد دلت قواعد شمسها
في البحر للشرك عند البر من أسوار
لم يبق من بعد عكا للكفر أن يخرس
في البر والبحر ما ينجي سون البحر (٣)
وقد وصف شهاب الدين في قصيدته هذه سور عكا وصفا دقيقا مبينا بادة بنائه ، وتخلوه وأرناعه ، وقوته وثقة أسحابه فيقول :

- (١) سيج الأفضى ٢٢/٧
* لمزيد من الأمثلة عن القلاع أنظر ابن هداد ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، سيج
الأفضى ٤٠١/٨ ، ٤٠٢ ، الروضتين ١١٨/٢
(٢) الروضتين ١٢/٨
(٣) ابن الفرات ١١٦/٨ ، جواهر السلوك ورقة ٥٩ ، غوات الوفيات ١٥٢/١

أن التفكير فيهما أعجب المجسب
دارا وأدناها أناس من القطر
غلب الكفاة وأقواء على النسيب
من الرماح وأبراج من الليل
بالليل أضفاف ما تهدى من السحب
من المجانيق ه يرمي الأرض بالسحب
غضبان لله ه لا للملك والنسيب
جم الجيوش فلم ينظر ولم يصيب (١)

كانت تخيلنا أما لنسا غسرى
سوران : بر وجر طول ساحتها
خرقاء أضح سورينا وأحصن
صفيح بصفيح حولها أك
مثل الفضة تهدى من صواعق
كانا كن بن حوله فلم
غناجاتها جنود الله يقدم
كم راحها ورمادنا قبله ملك

ومما ساعد في أهمية الاسوار وسورها خاصة ه تلك الأبراج التي أشار إليها شهاب الدين محمود
والتي أضلعت بمحققين : الأولى قصف الجيوش الإسلامي ه والثانية الاشراف من خلال علمي
تحركات جند المسلمين ه وفي المحفة الثالثة للأبراج يقول ابن عيين في مسود رثائه للمظلم
عيسى بن الملك العادل :

ولقد شهدتك يوم قيساريس
والشمس قد نسج القتام لها ردا
والكفر محتشم بسور مشمس
أحكم بالسيف وشيئا (٢)

وأما النوع الرابع والآخر من هذه التعصينات ه في العتاد ه وقد استفاد الفرنج من
طبيعة المنطقة فحصنوها بالبناني العالية ثم حفرها حولها العتاد وحققوا الأودية ان كانت
محاطة بأودية .

وقد احتوى النثر الأدبي على وصف هذين النوعين من العتاد : الصناعية المحفورة
والطبيعية المحقة ه يقول المساد : " وفي الفرنج في حفر شند على محسكرهم حوالي عكا من
البحر إلى البحر ه وأخرجوا ما كان في دراكبهم من آلات الحصر ه وكان من قضاء الله أنا أضلناهم ه
وأهلناهم بل أضلناهم ه حتى عبقوا الشفور ه ووثقوا من ترابها السور ه وملكوه بالاستعسر ه
وقصوه من الطير الطائر ه ونموه أسسه ه وستره وترسوه ه ورثبوا عليه رجالا ه ولم يتركوا إليه لسو
أهل ه يتركوا فيه أبوابا وفروجا ه ليظهروا منها اذا أرادوا الخروجا ه ه (٣) ه وبعسول
شهاب الدين محمود في وصف العتاد المحفود بحسن المرب : وحوله عتاد لا تعلم منهم
الشهور إلا بأنسابها ه ولا تصرف فيها الأتلة إلا بأوصافها ه ه (٤) ه ونبحث أشتابهم
بالعتاد في الفترة المتأخرة أكثر من أشتابهم بها في الفترة الأولى من وجودهم في المنطقة
الاسلامية ه ولبحث ذلك من وصف شهاب الدين محمود السابق لسور عكا * .

(١) جواهر السلوك ص ٥٩ ه ابن الفرات ١١٦/٨ ه قوات الوفيات ١٥٢/١

(٢) ديوان ابن عيين ٦١ ه الفتح القسي ٣٦٥

(٣) صبح الاعشى ٣٩٤/٨ ه حسن التوصل ١٤٥

* لمزيد من الأمثلة انظر : الفتح القسي ١٥٢ ه الروشتين ٥٥/٢ ه ١٤٤ ه ١٢٠ ه

زبدة الخلب ١٣٢/٢ ه صبح الاعشى ٥٢٦/٦ ه شرح الكروب ١٨/٤

والمنشود بالتخطيط العسكري ، ونسج الخطط المدروسة قبل وقوع المشكلات ، ومواجهة المشكلات لدى وقوعها ، وقد صور الأدب تخطيط الفرنج من الناحية الحربية في سالتق النصيف والقوة عندهم ، والوسائل التي اعتدوها في التخطيط .

أما مواجهتهم للمواقف القتالية في حالة ضعفهم فهي تتسم بالحذر والتخوف من جهة ، والكر والبيادة من جهة أخرى ، فيها هو ذا أسامة بن منقذ يستسلم ويصف مفاخر لهم بأنهم " أكبر الناس اخترازا في الحرب " (١) ، وقد ذكر السواد ما يؤكد هذا المعنى حين قال : " وعرف الفرنج ميثاق شريهم ، واعتناق سعيهم ، فاحتجزوا من الهلكة ، وما عادوا إلى مثل نفسه الحركة ... " (٢) ، ويقول : " وأصبحنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم ، وأرادوا يباحلونهم ... وهم ثابتون ثابتون ، ساكنون ساكنون ، ونحن نقول لهم يخالطون ، ويضربون فيجربون ، فنتكهن من تعصيل جملتهم بحملتهم ، وتثريب جملتهم ... " (٣) ، ولبيد ابن شداد عن هذا المعنى حين قال : " وكانوا قد جعلوا راجلهم سورا لهم ، يضرب النصارى بالزنبوراك ، والنشاب حتى لا يترأ أحد يسل إليهم ... فإنه كان يسلر عليهم كالجسراد ، وخيالهم يسرون في وسطهم ولم يشهر منهم أحد ... " (٤) .

ومن المواقف التي تسترعي الانتباه موقف الملك عز الدين الذي طلب الملك الكامل بمساعدته ضد أخيه شاهر دمشق ، وحين جاء إلى الشرق وجد الوائ قد تغير إذ كان صاحب دمشق قد توفي ، فلبى الملك فردريك إلى الحياة والدواء ، وأقنع الكامل بأن يفي بوعدته ويستأيه القدر ، وكان من جملة ما كاتبه به قوله : " أنا عتيقك ، وتسلم أي أكبر ملوك الفرنج ، وأنست كاتبتني بالحب ، وقد علم البابا والملوك بأفطاسي ، فإن رجعت شائبا انكسرت خروقي ... " (٥) فتنازل له عنها .

هذه أمثلة تدل على تخطيطهم ومواجهتهم للمشاكل ، وكانوا دائما يستعدون للفرصة للارتقاء بالمسلمين ، لا سيما إذا علموا بفرق المسلمين أو ضعفهم ، فهذا ابن شداد يقول : " علم عدو الله أن العساكر تد تفرقت في أمارات البلاد ، وأن الميمنة قد خفت لأن معظم من كان بها يحكم قرب بلادهم من طريق السدو ، فأجمعوا رأيهم ، واشتقت كلمتهم على أنهم يمشون بنية ، ويمشون على طرق الميمنة فجأة ، فخرجهوا ... " (٦) ، ومن هذا الجانب تقرهم للجياح حين حصلت المجاعة سنة ٥٩٧ هـ ، يقول السواد : " وبراكب الفرنج على ساحل البحر على اللقسم ، تسترق الجياح باللقم ... " (٧) .

(١) الاعتبار ١٧ هـ وأنظر ٥٨ ، ٦٧ ، ١٥١ (٢) الروضتين ١٧٩/٢

(٣) المصدر السابق ١٧٩/٢

الزنبوراك هو : نوع من القسي ترمى عنها الصغار

(٤) نفسه ١٧٩/١ هـ ١٦٠ (٥) الشذرات ١١٨/٥

(٦) الروضتين ١٥٨/٢ هـ النوادر ١٤٨

(٧) الروضتين ٢٤٤/٢ هـ ولينزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١٢٨/٢ هـ ١٤٤ هـ ١٩٠ هـ

القسي القسي ٤٤٣ هـ ، وقد الجماع ١٨ هـ ، ١٢ هـ ، ابن الفرات مج ٤ ج ٢ ٢٥٥/٢

وحين يكون المسلمون أقوى ، كان الفرنج يسلكون طرائق الحيلة والحذر ، فحسبهم
 أن يجمع لديهم عدد ضخم سنة ٥٨٦ هـ في مكان " أتاموا " في وسط شياهم حائلا مستحيلا يشبه الصور من
 التراب ، وتادلا تشبها لبرجة مدورة ورغصودا بالاشعاب ، وتالوها بالمخارجة ، فلما كملت أخذوا
 التراب من ورائها ، ورؤوه تدامها ، وهم يتقدمون أول أول ، وترفع محالا بعد حال ، حتى
 صارت منه كنصف علوة منهم (١)

ومن مظاهر تخطيطهم البارح للقتال ما أخذوه من آلات تناسب ظروف المعركة ، كما
 فعلوا وهم محاصرون لاسكا إذ " عمدوا إلى أكبر بطسة وأخذوا فيها مصقلا كأنه سلم ، وبنوا
 مقدمها مركب مقدم ، وقد جعلوها بحيث إذا قرب إلى البرج ركب رأس السلم على شرايفه ، وصعد
 الرجال إليه في تجايفه ، وتنبوا في ذلك أياما ، وأعبوه وثيقا واحكاما ، حتى إذا التصق
 بالبرج التفت به قوارير النشك ، وتوالت أمطار البنايا من الجرنج والمنجنيقات على أولئك الرهط
 ثم عمل الفرنج برجا طليا في أكبر مركب ، وحشوه بالحطب ، وعملوا على رأسه بارية مكانا يقصد فيه
 المزارق ، وقدموه إلى برج الدبان ، وسلكوا على جوانبه النيران ، فأشبه الله من مهيب لشقه
 نكباء تكبت الناس عن البرج المحروس ، وكتب الفرنج على الوجوه والأرو ، (٢) ، وقصد
 عمدوا إلى الهجوم المفاجئ على المسلمين ، ما وسعهم ذلك ، فقد أنشأ البرج أرنات اسطولا في
 بحر أيلة ، ونهبوا ما وجدوه من الدراكب ، ومن غلبها من التجار ، وفتحوا النار ، لأنهم لم
 يعمدوا بهذا البحر غريبيا قط (٣) ، وعين مروا بنابلس زعمنا الناصر داود بن المصطفى
 عيسى " وجدها غيرة فأتتهزودا ، وجنوزوا إليها فيلهم ورجلهم عن كل أوب غابيزوشسا
 (٤)

ومن المصروف أن الحرب لا تنتظر الفرص السارعة ، ولذلك هيأوا هم الظروف المواتية
 لانهاج أعدائهم العسكرية ، أما بالكناش التي تمتدح جيشا صغيرا للمسلمين ، وأما بايمهسا
 المسلمين بأبشادهم عن الديدان ، وأما بكبهم في ساعة غفلة ونوم ، والامثلة على ذلك كثيرة .
 أما عن الكناش فيروي أسامة أن خدرا من الفرنج جاء على شيزر وسألوا البواب عن مثل البواب
 " ما اسم هذا البلد ؟ " فأخبرهم عنه ، فعادوا . . . وأراد أسامة اللحاق بهم فثبهاه فمسه
 وقال : " هذه بكيدة " وأثبت له وجود كمين لهم (٥)

- (١) الروشتين ١٨٥/١
- (٢) الروشتين ١٦٣/١ ، وأنظر الفتح ٤٧٧ ، والنوادر ١٣٩
- (٣) الكامل ٤٩٠/١١
- (٤) الفوائد البلية في الفوائد الناصرية ورقة ٦٦
- (٥) الاعتبار ٥٦ - ٥٧ .

ويصف سبط بن التعاويذي كفاءة الفرنج في محاولتهم إيفاح صالح الدين وبيته فسي
كئين ه ولكنهم فشلوا وخسروا حصنهم الذي كان مركزاً لهم ه يقول :

كاد الاطادي أن يصيبك كيمسدها
كفوا ه وكم لك من كئين سحابة
لو لم تكدا برأيها الماطسون
في النيب يظهر من وراءكمين
بأنفس طائر جوك الدوسون (١)

وقد ذكر الصناد أن الفرنج أوهوا المسلمين أنهم بعيدون عن طريقهم ه بل أشاعوا أنهم تحركوا
إلى منطقة بعيدة ه فركن البقية بالأساطير إلى الراحة ه ولما كان وقت الشروب تاجموا ونالوا
منهم ه يقول : رحل الفرنج على سمت عقلائ ه وأشاعوا أنهم بعيدون بها إلى حصون ه
وهم نازلون بظاهرها ه جائلون في مواردها وصادقنا ه فرائي الانكليزي دخانا على بفسد
تفسده ه وكان ثم جبات من الاسدية ٥٥٠ وجم غارون عا دهم ه فوصل اللعين اليهم وقت
المشرب فوق عليهم ٥٥٠ (٦) ه وفي صور ه كتب الفرنج سفن المسلمين القادمة من عكبا ه
وكان الفرنج يرقبونهم ه حتى اذا نادوا تاجموا وهزمهم ه يقول الصناد : " وأندرا أصحابنا
بسلوا الامروخلو البحر ه وأضوا من الخوف ه وأدفعوا على الطوف ه ٥٥٠ وسهروا إلى أن هاروا
المسلم ه وكل منهم لما استأنس نصد ه وطار في النوم وما تنفس ه فما أنشبهوا الا وسفن الفرنج
بهم صدقة ه ونيرانهم محترقة ٥٥٠ (٧) ه

وتد استقى الفرنج المصلوبات عن المسلمين بعدة طرق : منها عن طريق اليد والبنواصير
المندسين في العسكرية الإسلامية ه وقد سبق بيان ذلك ه أو عن طريق الرسل الذين كانوا
يرسلونهم للتفاوض مع المسلمين بشأن السلم أو غيره ه يقول ابن شداد : " وكان غرضهم
بتكرار الرسائل تصرف قوة النشر وضمها ه وكان غرضنا بقول الرسائل تصرف ما عندنا من ذلك
أيضا ٥٥٠ (٤) ه ويقول القاضي الفاضل عن مدعهم من الرسائل : " ونصدوا نظرة من شدة ه
وأنتشارا للجدة ٥٥٠ (٥) ه وهذا يدل على خيبتهم في شؤون الحرب وحسن رأيهم فيما
ولا عجب بعد ذلك أن نجد الادب يثني عليهم بهذه الصفة ه فيصف الهنفي بأنه " يشرب المثل
به في المشاطة والرأي في الحرب " (٦) ه وكذلك جوسلين (٧) وغيرهما ه

- (١) ديوان سبط بن التعاويذي ٤٧٦ (٦) الروشتين ١٩٦/٦
- (٢) الفتى ١٦١ ه وأنظر الفتى ١٧٨ ه والنوادر ٧١٤
- * أنظر جوافيل في مذكرات عن القديس لوي ١١٣ ه ١٢٩ ه وتاريخ مشنر
الدول ٢٠٢ - ٢٠٧
- (٤) النوادر السلطانية ١٦٦ ه ١١٨ ه ١١٩ ه
- (٥) صبح الاعشى ٥٠٧/٦
- * * * المزيد من الأمثلة أنظر : الروشتين ١٨٦/٧ ه ١٨٧ ه ١٩٣ ه ٢٠٢ ه ٢٠٣ ه
- ابن الفرات مج ٤ ج ٢ ٢٥٥/٢
- (٦) الكامل ٤٥٣/١١
- (٧) عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورته ٢٠٦ - ٢٠٧

ومما يدل على حسن رأيهم في الحرب ، أيضا ، تلك الخطط التي تسدوا بها فتح
عدة جيوش عسكرية لتحتيط عساكر المسلمين ، ومن ذلك ما ذكره الصمد عن " الانكسار " ^(١)
الذي تمذره علياً أخذ القديس ، ففكر في حصار بيروت " لان أخذ هذا البلد هين ، وقصده
مستعين ، واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبنا ، وشاء القديس من جهة كتابته
وجبهة مضاربه " (١) ، ومنها أيضا ، ذلك القصف المستمر للمدن التي يريدون فتحها ، وتسد
عدوا ، لتحقيق ذلك ، الى تقسيم البيروا الى فرق تعمل بالتناوب ، يقول ابن شمسداد :
" ولما احمرها العدو في نفسه بقوة بسبب توالي النجد عليهم ، اشدت عليهم ، وسلبوا عليهم
" سورعا " المنجنقات من كل جانب ، وتناوبوا عليها بحيث لا يطمس لها ولا تها " (٢)
ويقول : " وانقسموا اتساما وتناوبوا فرقا ، كلما نصب تسم استراح ، واقام غيره مقامه " (٣) ، ومن
هذا القصف المركز المستمر ، لجأوا الى خطة أخرى ، وهي أنهم ألقوا الحصار على البلد اطباق
الشاه على الثغور ، ففتحوا الداخل اليها والخارج ، حتى تسنى لهم السيطرة عليها . وهناك
أدلة تشير الى أن الفرنج لجأوا الى هذه الخطة منذ وقت مبكر ، ومنها ما جاء في وصف فتحيان
الشاغوري للفرنج الذين احاطوا بدماط سنة ٥١٥ هـ :

داروا بها في البحر من كل جانب سبب ومن دونها ستر من الموت حايصل (٤)
ويؤكد ابن شداد هذا المعنى في حصار الفرنج لبيكا سنة ٥٨٦ هـ يقول : أدار الفرنج مراكزهم
حول عكا حراسة لها عن أن يدخلها مركب للمسلمين ، وكانت تد أشد حراسة من غيرها الى
الحام والخيرة . . . (٥) ، ويشرح الصمد هذا القول بالفاظ مؤ نقه فيقول : " وأستعدازت
الفرنج بيكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التمرير والتخويز ، ومضوا من الدخول
والخروج والى أولئك السلوج في شبط طريق الولج " (٦) ، ويعد هذا التخطيط ، وهذه العمل
الدؤوب ، استخدما خطة مناسبة للهجوم ، فسلموا الشنادب المحيطة بالبلد ، واستعملوا من
أجن ذلك جيش موتاهم مع أنهم يحرسون على دغتهم ، بالاشافة الى جيش الخيوانات ، يتسول
السماد في حصارهم لبيكا : " وداموا يرمون فيه جيش الاموات ، ويضرب الشنازير والمسدواب
الناسات ، حتى صاروا يلقون فيه قتالهم ويحبسون اليه موتاهم " (٧) .

- (١) الفتح ٥١٧ هـ ، ٦٠١ هـ ، الطامل ١٨٥/١١ هـ ، ومضار العتائق ٢٤
- (٢) النوادر السلطانية ١٣٤ هـ ، ١٣٦
- (٣) المصدر السابق ١٦٧ ومطر ١٧٩
- (٤) ديوان فتحيان الشاغوري ٣١٨ هـ ، عقد البطان ١٢ هـ ، ٤٥٧/٣
- (٥) النوادر السلطانية ١٣٤
- (٦) الفتح القسي ٦٦٩ هـ ، ومطر المثل السائر ٤٠٧/١
- (٧) الفتح القسي ٤٨٣ هـ ، والنظر للمزيد ابن الوردي ٣٥/٦ هـ ، ابن الفرات مج ٥ ص ٢٢٨/١

أعتمد الصليبيون في حروبهم للمسلمين على الجيش والحصون ، كما أعتمدوا على الحرب النفسية التي من شأنها اخضاع عزيمة المسلمين ، وتشكيكهم بقوتهم بأنفسهم وقادتهم ، وتسبب اتبعوني ذلك سببا عدة نفسي :

١) التهديد بالكنزة : ويتضح ذلك بعد الانتصارات العظيمة التي حققها صلاح الدين في أرض فلسطين ، ان توجهه الى اللدقية واحتلتها ، فجاءتها نجدات من عقليسة ، فطالب مقدمهم من صلاح الدين ارجاع هذه المنطقة للفرنج ، ثم هدده قائلًا ما مؤداه : " والا جاءك من وراء البحار في عدد الامواج أفواج بعد أفواج ، وسار اليك ملبسوك ذوي الاقانيم من سائر الاقانيم ، وهؤلاء أهدون منهم ، فأتركهم وأصفح عنهم " (١) ويقول السطاد في ذلك على لسان قائد الفرنج : " وان أبيت غير الفيرة والابساء ، ودمت على ارضائك الدخلاء ، واهراق الدماء ، جاء من وراء المصبحة البحار من يمسد غشاء العين المطباق ، وأفاق للفتن على دفع هذا الخطب تشارى الافاق " (٢) وعلى أثر استعادة صلاح الدين للقدس وهرب الفرنج الاوروبي لنجدة قومهم في فلسطين ، وجاء ملك الالماني بأعداد هائلة ، ويصت قدم الارمن يعبر صلاح الدين بهمهم ، ولم يكن دافعه في ذلك الحروب على مصلحة المسلمين ، وانما اضحك نفوس المسلمين ، ويقرر السطاد هذا المعنى فيقول : " ولا شك أنه الى جنسه الدهر طائل ، وبمسارعة أهل ملته قائل ، ولما وصل هذا النبا ، وقيل انه عظيم ، وزرر هذا الخبر ، وشيمل أنه أليم ، كاد الناس يشكربون ، على انهم يمدتون ويكثبون ، ومن طرأ كل حبل من الرأي يجذبون " (٣) واستمر هذا الاسلوب في الحرب بعد وفاة صلاح الدين ، وبع صاحب حلب الملك المنصور ، ان جاءه رسول الداوية ، وأخبره بكثرة الفرنج المتجهين الى اللدقية وبهيلة ، ويمتدح الراوي على هذه السادثة بقوله : " وانما قدمت الداوية بهذه الاشهار الارذاب لصلاح الملك المنصور بيت الاستبار ، فانهم سألوا الداوية التوسط بينه وبينهم " (٤) وقد تكرر هذا السلوك زمن الكامل بن السادل (٥) ثم زمن الناصر نجم الدين أيوب (٦) ، ولكن ما مدى نجاح التوخي في هذه الحرب ؟ وهل أدت الى انقضاء هم المسلمين ؟ ، ان تلك الروايات نفسها تحمل الجواب ، فبعد كل حادثة يعقبها الكاتب موشحا نفسية المسلمين ، وهي في جميع الحالات نفسية مؤلفة بالفسر توية لا تخشى الكثرة ، ولا تناف الهزيمة ، فيها هوذا صلاح الدين يرد على

- (١) الرواضتين ١١٩/٧
- (٢) الفتح القسي ٢٤٠ ، وانظر الحادثة في الكامل ١٠/١٢
- (٣) الفتح القسي ٣٣١ والروضتين ١٥٠/٢
- (٤) فخر الكروب ١٤٦/٤ ، ابن الفرات مج ٤ ج ٢ ٢٥٥/٢
- (٥) فخر الكروب ٩٨/٤ - ٩٩
- (٦) السلوك لمصرقة دول السلوك ج ١ ق ١ ، ٢٤٧

مقدم جيش الفرنج بقوله : " قد أمرنا الله بشتم عيد الأرض ، ونحن ناثمون في طاعتهم بالفرض ، وطينا الاجتهاد في الجهاد ، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ، ولمسوا اجتمع علينا أهل الأرض ، ذات الطول والعرض ، لتوكلنا على الله في اللقاء ، ولم نبال بأعداد الاعداء " (١) .

أما جواب الملك المنصور الايوبي لرسول الداروية فهو : " انا لا نخرج بما تقول ولا نكسرتهم ولو أنهم اتفكروا ذلك لنا جزتهم " (٢) ، وأما جواب الكامل فكان رفض تهديدات الملك تودريك ، رغم ضعف الدولة الايوبية حينذاك ، وانقسامها " (٣) .

أثارة الثتن : وقصد الفرنج بذلك استنطاق الشائعات ، وإظهار ضعف القائد المسلم ، يقول السباد في مدح سنان الدين : وقد دهم الفرنج في الاسكندرية :

ولكم أروى الأعداء فقلنا ما لما تذكرونه تأشير
ورقنا كالقيد عوداً فاليسر به لانام عيد كبر ير (٤)

وقد قال ابن القائسي قبل هذا حين مرض نور الدين وأرجف بموته :

غروعت القلوب من البراي وصار يبتاعها مثل الجبس سان
وثارت فتنة يخشى أذا على الاسلام في قاع ودان (٥)

التهديد بالفتنة وسفك الدماء ، وإظهار القوة والالات : ويتجلى ذلك في رسالة الملك لويس التاسع للصالح نجم الدين أيوب التي يقول فيها ما معناه : أما بعد ، فإنه لم يخف أنني أمير الامة المسيحية ، كما أنني أتول أنك أمير الامة المحمدية ، وأنه غدر منافق أنك أن أهل جزاء رائد لم يحصلون البنا الاوال والهدايا ، ونحن نصوتهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء والبنات ، ونخلي منهم الديار وقد عرفتك وحددتك من عساكر تد حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل ، وعددتم كعدد البعس ، وهم يرسلون اليك (٦) وقد كان جواب الملك الصالح على الرسالة يتشبع بالثقة بالنفس إذ قال : " أما بعد ، فإنه وصل كتابك ، وأنت تهديد فيه بكثرة جيوشك ، ونحن أرباب السيوف ، وما قتل منا قرن الا جددناه ، ولا بنى علينا باغ الا دبرناه ، فلو رأت عينك ، أيها المنصور ، حد سيوفنا وعظم حروبنا كان لك أن تمنح على أناملك بالندم ، ولا بد أن تزل بأن تقدم في يوم أوله لنا ، وآخره عيسىك فبهنا لك تسوء بك الظنون ، وسيحلم الذين ظلموا أي شغل ينقلبون " (٧) .

أخفاء الغمائم : ومن سلاسل الحرب النفسية استناء الفرنج قناعاتهم عن المسلمين ، وحتى إذا رأى المساحون ما قتله الفرنج منهم استكثروا ذلك ، ولم يجدوا ما يحزنون به أنفسهم من قتل الفرنج ، يقول السباد : " وكلما سرح منهم قتيل حملوه وشدوه ، وطمحوا بدغشهم وطمروه ، وحتى يخفى أمرهم ، ولا يصح لدينا كسرهم " (٨)

- (١) البروضتين ٢٢/٨ (٢) ابن الفرات ج ٤ ج ٦ ٢٥٥ ، وأنظر في الكروب ١٤٦/٤
- (٣) السلوك لمصرقة دول الملوك ٢٢٨/١/٦ (٤) البروضتين ج ١ ق ٢٢٢/٢
- (٥) ذيل تاريخ دمشق ٣٥٠ ، البروضتين ١٤٦/١ ط دار الجيل وأنظر مثلاً آخر البانر ١٦
- (٦) السلوك لمصرقة دول الملوك ٢٢/٢٤٧ وأنظر أدب الحروب الصليبية لعبد اللطيف حمزة ١٥٤
- (٧) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٤٧ (٨) الشيخ التسي ٤٤٤ وأنظر النوادر السلطانية ٢٥

تجلى الصراع واضحا بين المسلمين والفرنج منذ أن احتل الصليبيون الاراضى
الاسلامية ، ولكن كانت ردود الفعل من جانب المسلمين ضعيفة أول الامر ، إلا أنهم لم
يياسوا من استرداد البلاد المحتلة في يوم من الايام ، وهذا يعني انتداد الحرب بين
الفرقتين ، إذ انه كلما استعاد المماليون مدينة ، كان الحرب الاربى ينجد الفرنج بالممال
والرجال حتى كانت وقعة حطين ، حين استعاد المسلمون معظم البلدان المحتلة ، وهددوا بـ
تبقي منها .

وقد تعرض الادب لوصف المماراة المتطاولة بين الطرفين ، وأظهر قوة الفرنج في سائر
النصر والمزينة ، ولكنه دون ندرتهم حين ينتصرون ، واستهزا بهم حين تكون الخيبة للمسلمين
ولهذا نجد الادب يركز على نتيجة المعركة لا على تفاصيل الاحداث الجارية فيها ، وان أراد
التفصيل ، فلا يكون في الاحداث ، وانما في توتل الجيش أو كثرته ، أو وصف الآلات أو وصف
القتلى والنصوص المرتبطة بالمماراة في هذه الفترة كثيرة ، وان كان ينقص محلها دقة
الوصف والواقعية ، ومن هذه النصوص : وصف الحاد لوتائى معركة حطين نثرا كما يلي :
* وسهر السلطان تلك الليلة ، حتى عين الجاليشية * (١) من كل طلب ، وطاء جبابهم
وكناثها بالنبال ، حتى اذا اسفر الصبح خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال أدفل النار
ورنت القمي وفت الاوتار ، ، ، ، واليوم ذاك ، والجيش شاه ، وللقط عليهم غيس
وما للفيظ منهم غيظ ، وقد وقد الحر ، واستشوى الشر ووقع الكر والفر ، والمراب بالفسح
والظلم لا فح ، والجو محرق ، والهوى مقلق ، ولاولئك الكلاب من اللهث لهث ، وبالصيحت
عيت ، ولهم ظنهم يردون الداء ، فاستقبلتهم جهنم بشرا ربها ، واستظهرت عليهم الظهيرة
بنارها ، ، ، ، وقد قطعت على الفرنج طريق الورود ، وبلوا من السطى ، بالنار ذات الوقسوت ،
فوفوا صابرين صابرين ، كاهرين صابرين ، فكلبوا على ضرراتهم ، وشربوا ما في أدواتهم ،
وشغفوا ما حولهم من موارد المصانع ، واسترفوا حتى ماء الحدام ، وأشرفوا على المصير السي
المصارع ، ودخل الليل وسكن السيل ، وباتسوا حيارى ، ومن الصطر سكارى ، وطم على شغف
البحيرة بحيرة ، وقوا أنفسهم على الشدة ، وامتعدا بالفرز المحدث ، وقالوا غدا نصيب
عليهم ماء البواضي ، ونقاشيهم الى القواضى القواضى ، فأجدوا غم البذاء وطلبوا البقمساء
بالتورث في الغناء ، وأما عساكرنا فانها اجتراء ، ومن كل ما يصولها برئت ، فهذا لعنانهم
شاحذ ، وهذا لعنانهم آخذ ، وهذا منهم مفع ، وهذا منهم مفع ، وهذا لكثير للتكبير ،
وهذا تاج للحمادة ، وهذا راج للحمادة ، فبالله تلك من ليلة حراسها الحذكة ، ومن سحر
أنفاسها الخاف الله المتدركة ، والسلطان قد وثق بنصر الله فهو يفتي بنفسه على المشوكة
ويخضهم ويعدهم من الله بنصره المألوف ، ويخزي المئين بالالوف ، ، ، ، وكان للسلطان مملوك
اسمه منكورس ، وحل في أول الناس ، وكان حصانه قوى الراى ، فأبعد عن اخوانه ، ولم
يتابعه أحد من أقرانه ، فانفرد به الفرنج ، فأثبت في مستنقع الموت رجله ، وقاثل الى أن
بلغوا قتله ، فلما أخذوا رأسه ظنوا انه أحد اولاد السلطان ، وانتقل الشهيد الى جوار

* الجاليش : مقدمة القلب في الجيش أو الناليفة منه

(١) ديوان فتیان الماغورى

الرحمن ه ولما شاهد المسلمون استشهادهم وجلده وجانده ه حيث حميتهم ه وخلعت للنسيم
 نيتهم ه وأصبح الجيش على تعبته ه والنصر على تلبيته ٠٠٠ وبين بالفرج المنطق وأبست
 عثرتها أن تنتفض ه وكان النسيم من أمامها ه والخشيش تحت أقدامها ه فرى بعض
 ملوكة المجاهدين النار في الخشيش ه فتأجج عليهم استعارها ه وتوهج أوارها ه فجلسوا
 وهم أهل التلث من نار الدنيا بثلاثة أقسام في الاصطاد والاصطاش في نار الضرام ونار الاوام
 ونار المهام ٠٠٠ (١) .

وتد عرض ضياء الدين بن الاثير وصف يفة المركة بصورة موزة فقال : " وبرزت خيل
 القوم ولها زي فرسانها ه وضي مشتبه الى طرادها ه كاستبائها الى ميدانها ه وما منهم الا
 تتأود القناة من يدهم ه ويشتمل الرمي منه ومن جواده بين مطمحين ه فجرت المشاور الى
 المشاور ه وتألفت الرياح بالأعاصير ه وكان المعلن منهم عناتا والليث وثاقا ه وسبق السم
 الموت الم الجراح ه ونفذت مقتنية لسرعتها أسنة الرماح ٠٠٠ (٢) .

ومن المصارك الاخرى التي وصفها الادب مسرعة دهاك سنة ٦١٩ ه حين رأى الفرنج
 ان خير سبيل لاسترجاع القدس هو فعل مصر عن بلاد الشام ه فوجهوا قواتهم الى دمياط
 واحتلوها ه ثم جاءت الامدادات الاسمية فاسترجعتها ه يقول ابن عيين في ذلك :

تداعوا بانصار السليب فأقبلت	جموع كان الموج كان لهم سمن
عليهم من الماذي كل فاضحة	دلاص كقرون الشمس قد أحكت وشم
وأطمعهم فينا غرور فأرقلسوا	الينا سراط بالحياد فأرقلسوا
فما يرحمت سدر الرماح تنوشهم	بأثرافها حتى استجاروا بنا منس
سقيناهم كأسا نكت عنهم الكسرى	وكيف ينال الليل من عدم الانس
لقد صبروا صبرا جديلا وداعسوا	طويلا فما أجدت دفاع ولا أغنى
لقوا الموت من زرق الاسنة أحسرا	فألقوا بأيديهم الينا فأحسننا (٣)

ونفها في وصف مسرعة زمن السلطان قانسون ه كانت نقيتها فتح حصن صافيا ه يقول ابن
 عبد الظاهر : " وأشد الامر على القار ه فقاتلوا قتالا أقسى مضاجع الاسلحة ه وأظار حجارة
 مجانيقهم بغير أجنحة ه وأهجن بشجوا النصول المترنة على نخس السهام المترنة ٠٠٠ هذا
 وأهل الايمان يتلقون ذلك كله بصبر يستطعمون منه شهدا ه وأقدام يتلقى الحديد بأكبار
 ما زالت الى موارده تمدا ٠٠٠ والباء الفرنجية قد غدت فيها الابصار ه وخضعت القلوب
 واعتقد كل منها في نفسه أنه بعد هذا الحصن المطلوب ه فمده تود لو أكتفها البحار تحصت
 جناح أمواجها ه وهذه لو أسبلت الريح العواصف عليها ذبول عجاجها ٠٠٠ (٤) .

(١) الروضتين ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧ وأكثر الناطل ٥٢٨/١١ - ٥٣٥

(٢) محمد زغلول سالم ه ضياء الدين بن الاثير ص ٢٥

(٣) ديوان ابن عيين ص ٣٠

(٤) صبح الاعشى ٣٥٥/٧

ويصف ابن عبد الظاهر معركة حمص ، شمرا ، ويقول :

جاءت ثمانون ألفا من بموتهم
وأي الشهبان في يوم النسيم ضحى
والسيف يركب والاعلام رافعة
والخيل لا تستدى الا على جيش
والبيش تخمد في الاجفان من مهب
لازاحه فكان البعث والنشور
وأمدت الحرب حتى أذن المصير
والروس تسجد لا فجب ولا كبر
والسهل من أروس القتل به وغش
والسمر ، ناهيك ، يا ما يفصل السمر (١)

ولدى الوقوف عند هذه النصوص يلحظ المرء أنها تصف المصارك البحرية وسفنا سريعا تظهر من مثاله الحركة ، اما سريعة فتسجل نتيجة المعركة ، واما بطيئة مثقلة بالزخرف اللفظي فتتلفح حرارة الجو وقد تمثلت هذه الحركة في اشكال مختلفة : اما بحركة الجيش في الكر والفر ، او باطلع مسار حركات الخيل ، او بالاحتيل والتشبيه والمقارنة ، كتشبيه انطلاق الريح بوض النجوم او تمثيل حركة الجيش بحركة موج البحر . . . وحدد بعض الادباء ، كابن عبد الظاهر مكان المعركة وزمانها بشكل تقريبي ، وانتهى الى وصف القتلى ، فجعل السهل وعرا من رؤوسهم .

ذلك وصف الادب للمعركة البحرية ، اما وصفه للمصارك البحرية ، فلا يختلف كتصويرا في الاطار العام من حيث الاهتمام بالنتائج . . . ولكن أدوات المعركة تختلف باختلاف طبيعة المعركة وظروفها ، يقول المصاح في وصف معركة بحرية بين الاسطول المصري والفرنسي " وصدت شوانية شواني الشناة ، غضدت مراكبهم وشي نواكس ، وطارق فرانا بين أحبة الكثر اعداء الاسلام ناعية ، وأطردت على طرائد الفرنج فطردتها غالبة لافية ، وظفرت أول يوم الورود بسفن للمعدو مصرة ، وألهبت في الماء على أهل النار كل نار للنكال مستعمرة ، وأتقطعت طرق الافرنج البحرية ، فأمتطالت اساطيلنا فذهبت وجاءت ، وعطت ما شمسات ، وتجمتت مرارا وبالنظام غات ، فضاقت بها المدادة ذرعا ، ولم تجد من بعدها ملأها ولا برى . . . " (٢) .

وبعد أن مثالا الجور للمسلمين بعد الانتصارات التي حققها صانع الدين ، انتصر الفرنج في صور ، فتحركت السفن المصرية لأمداد بيروت بعد أخذها من الفرنج ، ثقامت سفن الفرنج بالقصدى للمصريين ، ونشبت معركة بحرية بين الطرفين ، يقول المصاح في وصفها : فأبصر ملاحوها شواني الفرنج لمهازتها مهززة ، ولأجهاز ورائها مجهزة ، وكانوا رجالا مسمن بحرية نصر مجهزة ، وأصبحت قلوبهم بها جرى على أنظارهم مروعة ، فنواقموا الى السمسماء ، وشافوا على دمائهم في الدماء ، وخرجوا الى البر على وجوههم ، وشافوا بكرهم في بكرهم ، وفروا وفاروا وطاروا وتاروا . . . هذا والمنجنيقات ترددهم ، والمفوقات الموفقات تصعبهم وتصعبهم ، والقتال قائم ، والنزال دائم ، والصغور ثقلة ، والصدور ثقلة ، والاحجار ثقلة ، والامسوار تحلل ، والاداج شاحبة كالعيون البواكي ، والابحار دامية من الزهوركات والنوكسات النواكي . . . " (٣) .

(١) عقد الجبلان ج ٢٠ ق ٤ ورقه ٢٧٨ (٢) الفتح القسي ١٨١ - ١٨٢

(٣) المصدر السابق ١٦١ - ١٦٢

ومن وصف الشعراء المعركة بحرية لا قدمه أسامة بن منقذ في وصف المعركة بين المصريين وبني سادة طائفي بن رزيق والفرنج : يقول :

سأطيل فيه موجه القتال طويلاً
على الداء طير ما لهم قـمـمـوا
جرت ، حيث لم نوصل بهم الشكائـم
سروا بجياد ما لهم قوائـم
حمام ، وطير للفرنج أشائـم
ونظامهم في البر سمح جوائـم
ولم ينح في لـح من الطاء عائـم
نقاد ، كما قاد المهارى الشرائـم (١)

غزوتهم في البحر حتى كأنهم
بفرسان بحر ، فوق دهم كأنهم
يخترعها فرسانها بأعـنـم
إذا دفعوها قلت : فرسان غـنـم
يحق أساطيل الفرنج اليهـم
د ماؤهم في البحر حمر سوائـم
علم يخف في غي من الأرض هــم
وطاد الأسارى مردفين وشقـم

هذا المنصور. اختيرت من نصوص كثيرة لتكون شاهداً على وصف المعركة ، ولكن - من أنها مختارة - لم نجد فيها الوصف الدقيقة للمعركة ، من حيث تطور الأحداث وتفصيلها ، ولم نجدنا نصوصاً أخرى أوجدنا اشتاق كثير من الأدباء في نقل جو المعركة ، بل قد يجمع خيالهم بعضهم فيقدم المعركة في صور لا ترتبط عادة بالجو القتالي ، وذلك منسباً منهم وراء الزخرف البياني ، يقول ابن الساعاتي مثلاً :

شفيقاً نثنى رمحاً وهو نـشـمـوان
وكم مرد دهر دونه وهو غـنـمـسان (٢)

إذا ما تثنى السيف في الهام والخلل
تثنى القوة بعنقه رأساً لبائـم

ويقول الخطيب : " ورتبت قدود المعركة على غناء السواحل ، وحركت رباح السوايق ذوائـم
الذوابل " (٣) ، ويقول شهاب الدين محمود :

أبراجها لنبا مشهين بالـمـسـب (٤)

وننت البين في الاشتاق فأرتقصـم

وقد يقال أن بينها لأعراس والمصارك بعض مشابهة بما في كليهما من حركة واضطراب ، ربما . . .
ولكن وصف الحرب يشل كل ما يوحي بالقوة والهدوء والحنان ، يستوى في ذلك الإلحاح والاصوات
والأخيلة والمصور . وقد حدد من دقة وصف الأدباء للمصارك ، وأعطاه صورة واقعية عنها ، مما
انصرفوا إليه من زخرف لثني ولغوي قد يصل إلى حد التثقل ، ومثال ذلك قول النسيب المصري
الجبواني :

فالرج ينظم والمهند ينـشـمـر (٥)

نـشـرونـظـم طـنـنـة ونـشـرايـم

- (١) ديوان أسامة ٢١٦ وأنظر أيضاً ص ٢١٧
- (٢) ديوان ابن الساعاتي ١٢٩/١
- (٣) النقي النسي ٥٠٨
- (٤) تاريخ ابن القرات ج ٨ / ١١٧ - ١١٨ ، وأنظر جواهر السلوك ورقه ٦٠
- (٥) الروضتين ١٠٥/٦

وقول العماد :

تنشر الهام كالحروف فما ~~أشبه~~ به هذى السيوف بالاقصاف
في محارب حربة البيض صلبت
وركوح النبل سجد الهـ ~~هـ~~ (١)

وقول شهاب الدين محمود في فتح عكا :

وحطتها بالبحانيق التي وقفت
درنوعة نهبوا أضافها غصبا
ازاء جدرانها في جحفل لجسب
للكسر والخطم منها كل منتصب (٢)

ومن النثر قول شهاب الدين محمود يصف مجانيق الفرنج التي عجزت عن الضود أطام مجانيق
المسلمين : " فأعلمتهم أنها لا تلحق الدفاع عن غيرها بعد أن عجزت عن نفسها ، بسلمت
أنفها أمانة على الأذعان ، ورغبت أصابعها أمانة أن تذلل للشهد ، وأما أمانة إلى طلب
الامان " (٣) ، فهذه الأخيصة تدرك من الجوا الواقعي للقتال ، وإن استوت على أنصاف
جديدة غير ما لوفت من التشبيهات والاستعارات ، ومن عوامل الافتقار إلى الوصف الواقعي الدقيق
للمعركة ، التركيز كما أسلفنا على النتائج ، دون تتبع مجريات الأحداث ، ففي حديث القاضى
القاضى عن محاصر الفرنج لمكا ، يركز على انتصار المسلمين في مرحلة من مراحل المحصار ،
على النحو التالي : " فنزلت الفرنج شمر عكا في أسطول ملك بحره ، وحين سلك بوه ، فغلبنا
اليده ، ونزلنا عليهم وعليه ، فغرب معنا صائف قتلت فيه غرسانه وشججانه ، وغذلت صلبانه " (٤)

وقد يتبادر إلى الذهن أن الأدباء الذين تحدثوا عن المصارك كانوا بعيدين عن
ساحة القتال ، ولكن هذا الأمر لا يمكن تعميمه على أدباء العصر جميعهم ، لأن بعضهم
شاهد المصارك غير مرة ، ومن هؤلاء العماد الذي شاهد دجوم الفرنج على المسلمين في عكا ،
وأشهرهم من المصورين ، يقول : " وكنت في جماعة من أهل الفضل ، وقد ركبنا في ذلك المسوم ،
ورقنا على التل شاهد الوثقة ، وننتظر ما يكون من القوم ، وما ظننا أن القوة تهبي ، وأن الوثقة
الينا تنتهي ، فلما خالطونا في المخيم ، وباسطونا في المجمع ، وكنا على بنال بنغير أهبة قتال ،
أستدركنا أمرنا وأخذنا حذرنا ، ورأينا العسكر دوليا والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله مثليسا ،
فواغتنا في الدفاع والفيينا الاستسضرار في المال عين الانتفاع " (٥) ، على أنه يمكن فهم
رواية العماد هذه ، على أنها دليل على أن الأدباء ، أو معظمهم على الأقل ، لم يمارسوا
الجمانة الحقيقية التي مارسها المقاتل ، ولذلك وصفوا المعركة وصفا جزئيا ، وهذا ما يفهم
من قول العماد " وكنا على بنال بنغير أهبة قتال " فهم كالصحفيين الذين يرايون المعركة
ويصفونها وصفا ظاهريا ، ولكنهم يمتنعون عن وصف دقائقها ومساناة المقاتلين فيها ،

(١) الروشتين ١٢١/٢

(٢) جواهر السلوك ورقة ٦٠ وأنظر تاريخ ابن الفرات ١١٢/٨

(٣) صبح الاعشى ٣٩٦/٨ ، وأنظر حسن التوسل ١٤٥

(٤) صبح الاعشى ٥٢٩/٦

(٥) الفتح القسي ٣٠٦ وأنظر ص ٧٨ - ٨٣ ، ١٦٥

وبذلك يتغلب الوعي والسقل على الشعور والاحساس، فيكون وصف المعركة من الخارج ، لا من الداخل .

وتد يورد انصراف الادباء عن وصف تفاصيل الأحداث الى أنهم اهتموا بأغلب انبياء المعركة على الماء في وقت قامت فيه وسائل الأغم . ويضيف الدكتور محمود ابراهيم سبيبا آخر في مجال حديثه عن ابن القيسرائي ، يمكن تعميمه على أدب هذه الفترة ونواكسها المعمر في وصف مسارهم على التراث الشعري السابق (١) ، وخاصة تصائد أبي تمام وتصائد المتنبي المتريبة .

ومن ذلك ، فان الادباء لم يخلوا وصف المعركة كلية ، بل تناولوا أجزاء منها ، كوصف قوة الأعداء ، وقوة المسلمين ، وأدوات المعركة ، والجو العام لها ، ثم التركيز على النتيجة وفيما يلي تفصيل ذلك . . .

١ . وصف قوة الأعداء : اهتم الادباء بأشهر توة العدو ، وكثرة عدته ، قبل الدخول في المعركة ، لكي يفسحوا لخيال السامع حتى يكون صورة مشيخة عن توة العدو ، وكثرة عدده ، وبالتالي عن عظمة الانتصار عليه ، يقول القاضي الفاضل في حصار دمياط زمن صلاح الدين : " فانهم نازلونا بحرا في ألف مركب مقاتل وحامل ، وبرا في مائتي ألف فارس وراجل ، وحاصروها شهرين يباكونها وبرأوحونها ، ويماسونها ويصاحبونها القتال الذي يصليه الصليب ، والقراع الذي ينادى به من كان قريب " (٢) ، وفي ذلك يقول فتيان الشافري :

ولما أتوا دمياط كالبحر ظاهرياً
يزيد عن الإحصاء والمد جمهم
وفي زمن الكامل بن العادل ، حاصر الفرنج دمياط بقوات شائلة ، فقال علم الدين أيدمر المحيوى ، في ذلك :

وأنى بما ملأ البسيلة كشمرة
جيش إذا مسحت يداه بقصمة
كالسيل إلا أنه لا ينقص
والله ربك نادى ما شيمتموا
جف المياه بها وذاب الجلمد
والليل إلا أنه يتوقد (٤)

(١) صدى النزو الصليبي في مصر ابن القيسرائي ١٣٢

(٢) صبح الأعشى ٨٢/ ١٣

(٣) ديوان فتیان الشافري ٣١٩

(٤) ديوان علم الدين أيدمر المحيوى ص ١٥

وفي وصف قوتهم البحرية يقول الصادق : " فسمّر الفرنج اسطولا ، وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا ، وقدر أنه ياتقي الاسطول المنصور ، ويحظر بعد الطرق عليه وصدها ، السبور ٠٠٠ (١) ، ويقول ابن دنيير في وصف قوات الفرنج البحرية التي حاصرت دمياط :

فألبحر من تحتهم آذيه وعلميسي
وزعتهم بين بيض الهند مصلتسي
فللمرطاج قلوب منهم أبسدا
أموا الحبور الى دمياط تحتهم

روؤوسهم منك نار الحرب تستعسر
وبين سمر القنا ، والموت محتكسر
وللسيوف الدللي والهام والقصير
وما دروا أنه عز به الحبر (٢) *

وصف قوة المسلمين : وقد قصد الأدباء من ذلك اظهار قوة المسلمين أمام قوة الفرنج للدلالة على شدة المعركة ، ولرفع معنويات المتأملين ، فان كان النصر لهم أظهر وروثهم بجليل القوي الذي تشلب على يد قوي ، وأن كان النصر عليهم قد دوا بين أيديهم عذرا مقبولا ودوا أنهم أعدوا ما استلخوا ، فان خسروا محزنة فما خسروا المحساراء ، ولا خسروا الأمل بالنصر ، وأدلة ذلك كثيرة * فمن أمثلة انتشار المسلمين الاتواء على الفرنج الأنداد لهم ، ما جاء في الروضتين تحت باب القدسيات (٣) ومنها قول ابن دنيير في مدح الأشرف موسى يوم دمياط :

أنيت دمياط إذ أبيت رياضتهم
فكنت إذ رزتهم مفتاح مقلهم
صدقه بضمهم لو صدقت بسهم
من بعد ما كان في آملهم طمحول
أوردت أنفسهم ضوض الردي غنيدا

كل الأورى وتناءى البدو والخصم
فالحق منتصر والشرا مندثم
وجه البسيلة كادت منه تنفاسم
يوم الكفاح وفي أطار شم قصم
ورودهم بارتواء ما له صمد (٤)

- (١) الفتح القسي ٣٨٥ ديوان ابن دنيير ورثته ١٥٠
* لمزيد من الأمثلة أنظر : ديوان أسامة بن منقذ ٦٠٣ ، ٦١٧ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٢ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨١ ، ١٦٨٢ ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٨ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠ ، ١٦٩١ ، ١٦٩٢ ، ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٥ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠٠ ، ١٧٠١ ، ١٧٠٢ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٤ ، ١٧٠٥ ، ١٧٠٦ ، ١٧٠٧ ، ١٧٠٨ ، ١٧٠٩ ، ١٧١٠ ، ١٧١١ ، ١٧١٢ ، ١٧١٣ ، ١٧١٤ ، ١٧١٥ ، ١٧١٦ ، ١٧١٧ ، ١٧١٨ ، ١٧١٩ ، ١٧٢٠ ، ١٧٢١ ، ١٧٢٢ ، ١٧٢٣ ، ١٧٢٤ ، ١٧٢٥ ، ١٧٢٦ ، ١٧٢٧ ، ١٧٢٨ ، ١٧٢٩ ، ١٧٣٠ ، ١٧٣١ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٣ ، ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٨ ، ١٧٣٩ ، ١٧٤٠ ، ١٧٤١ ، ١٧٤٢ ، ١٧٤٣ ، ١٧٤٤ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٦ ، ١٧٤٧ ، ١٧٤٨ ، ١٧٤٩ ، ١٧٥٠ ، ١٧٥١ ، ١٧٥٢ ، ١٧٥٣ ، ١٧٥٤ ، ١٧٥٥ ، ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ ، ١٧٥٨ ، ١٧٥٩ ، ١٧٦٠ ، ١٧٦١ ، ١٧٦٢ ، ١٧٦٣ ، ١٧٦٤ ، ١٧٦٥ ، ١٧٦٦ ، ١٧٦٧ ، ١٧٦٨ ، ١٧٦٩ ، ١٧٧٠ ، ١٧٧١ ، ١٧٧٢ ، ١٧٧٣ ، ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ ، ١٧٧٦ ، ١٧٧٧ ، ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨١ ، ١٧٨٢ ، ١٧٨٣ ، ١٧٨٤ ، ١٧٨٥ ، ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩٠ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٢ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٤ ، ١٧٩٥ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٢ ، ١٨٠٣ ، ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٠ ، ١٨١١ ، ١٨١٢ ، ١٨١٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، ١٨١٧ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٠ ، ١٨٢١ ، ١٨٢٢ ، ١٨٢٣ ، ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٧ ، ١٨٢٨ ، ١٨٢٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٣١ ، ١٨٣٢ ، ١٨٣٣ ، ١٨٣٤ ، ١٨٣٥ ، ١٨٣٦ ، ١٨٣٧ ، ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ ، ١٨٤١ ، ١٨٤٢ ، ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ ، ١٨٥١ ، ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، ١٨٥٥ ، ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ ، ١٨٦٠ ، ١٨٦١ ، ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ ، ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ، ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧٠ ، ١٨٧١ ، ١٨٧٢ ، ١٨٧٣ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٨ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٣

ويقول ابن النبيه في مدح الاشرف موسى يوم دميّات :

لله من شرف دميّات وبرزخه	فتح له تثني السبع السموات
يوم على الرويشي ربحه	أما رهن مصيبات مصيبتات
أروا جيوش بني أيوب يقدهم	ليث له في جيوش الشرك هجمات
فللمراح كآلهم أوصد ورههم	وللصوارم أعتاق وهامسات (١)

ويقول الرشيد النابلسي ، في فتح الجهاد لحسن كوكب سنة ٦٠٩ هـ :

لقد رأى كوكب في نفسه عجباً	وكاد كوكبه الدرر ينكسر
أنعمت جذوة بأبي في جوانبسه	أنفاسه في نفوس الشرك تزدف
طوقته بسجانيق يلين لهم	قلب الحديد ولا يستمك الحجر
(هوت) عليه بمثل الشهب قاذفة	فشده بصعيد الأرض مئطس (٢)

ومن النثر قول الجهاد في وصف الجهاد يوم عكا : " .. وراعى الانجاد عسكر الشرق طغرى
النرب ، وصرفنا محاسرين للمحاصرين ، مكابرين للمكابرين ، قد أسطنا بالندو وشو بالبلد
محيط ، واستشكنا منه وهو مستشيط ، وأخذتنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلنا ،
ومننا الطوق من وراءهم في وعدها وسهلها .. وخيلنا عليهم فأنذوا الضربة ولمسم
يحتلوها ، وأنفنا لهم محالها الحنايا غيران عليهم أن يمشطوها .. " (٣) ،

والأمثلة على انتصار الفرنج على المسلمين أقل من أمثلة انتصار المسلمين على الفرنسي ،
وذالك لأن الأدب كان يسمت منتظرا النصر ، وإن كان لا بد من القول ، نالتحزيب
والتهديد بالثار وغزو الأمل في النفوس ، مع الاستمالة بالنسوة الدينية ، وأحداث
التاريخ الإسلامي ، هذا الجهاد يمزج ملاح الدين بمشروط عكا فيقول له : " بسند
بلدة ما فتحه الله ، قد استعادها أعداءه .. وإن ذهبت مدينة عما ذوب الدين ،
ولا شغل في نصر الباليقين " (٤) ، ويقول القاضي الفاضل : " فلا تعظم بسند
الفتوح على مولانا فتبهر صبره ، وتماء صدره ، فلا تمنوا وتدعوا الى السلم وأنتم
الأغلون والله مكسب ، وهذا الدين ما غلب بكنة ولا نصر بشوة ، إنما اشتار اللسم
تعالى له أرباب النيات ، وذوى قلوب معه وحالات ، فليكن المولى نعم الخليل
لذلك السلف ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، وأشددي أزمة تنفخهم .. " (٥)
والنبرات قد ذهب ثم لا تجي .. " (٥)

(١) ديوان ابن النبيه ص ٦٦

(٢) عقد الجمان ج ١٧ ق ٧ ورقة ٣٢٨

(٣) الفتح القسي ٢٩٩

(٤) الروشتين ١٨٨/١

(٥) المصدر السابق ١٦٧/٢

ويقول ابن دنيير غيب هزيمة دمياط ، وقد وصل المسلمون عيسى لنجدة أخيه الكامل
محمد :

أتيموا عمود الدين لله تسعدوا
أرى الآية الكبرى من النصر قد جرى
عسى الله أن يأتي بموس فانسي
ليظهر أن الحق حق محمد
فلا تجزعوا من حادث جاء قادم
فشنوا لدين الكفر غارات مشر
وشبوا لهم نار الجهاد فانكم
غذا الدين ما أرسى قواعد حقه
هل الدين ملبوس جميل وشبهه

فقد جاءكم عيسى وهذا محمد
بها الفأل فالأفراح فيها تحمد
أرى كبدى شوقا إليه توشح
وكل نبي بالذى قلت يشم
غذا الدين للرحمن في نصره يمد
لهم في الهدى فرج زكي ومحمد
مضى تتركوها آن للنار تشم
لدى النار إلا ذابل ومهين
ينيلكموها اليوم أو يسحق الفد ؟ (١) *

وصف الجوال العام للمعركة وذكر النتيجة : وقد أضحى الأدب في اظهار الجوال العام
للمعركة على تقديم صور خائفة لالتقاء الجيشين ، ثم ما تلبث المعركة أن تنتهي
باعلان هزيمة الفرنجة ، يقول عمارة اليمني في مدح الملك الناصر بن السالح :

نهدت الى الافرنج تزجي كتابها
غولوا وقد أبقت عليهم نفوسهم
وأبستهم ركشا على كل ما به
ويقول في مدح صالح الدين يوم دمياط :

لئن نصبوا في البر جسرا فانكم
طريق تقارعت عليها مع الصيدا
أخذتم على الافرنج كل تنيسة
وأزجه من مصر خوف يلسمه

عبثتم ببخر من حديد على الجسر
ففرتم بها والصخر يقرع بالصخر
وتلنر لأيدى الشيل موي على (مُـسـري)
كما كز مهزوم من الليل بالفتـسر (٢)

- (١) ديوان ابن دنيير ورقه ٤
* المزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١/ ٥٨ ، ١٥٧/ ٢ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ،
٢٠٤ ، ٢٢١ ، ديوان ابن مناة الملك ٥٦٦ ، صبح الاعشى ٧/ ٣٥٥ ، ديوان
علم الدين آيد مرص ١٥ ، وأنظر محمد كامل حسين في أدب مصر الفاطمية من ٢٣٠
الفريدة قسم الشام ٢٢١/ ٢ ، ديوان ابن الخياط ١٨٤ .

- (٢) النكت المحسنة ٣٠٢
* * موي هو ملك القدر الافرنجي
(٣) المصدر السابق ٢٦٦ ، الروضتين ١/ ١٢٢/ ١

وثمة أمثلة كثيرة تصور لقاء الجيشين بأعداد كثيرة وعدد متنوعة ، وقد اتكا الأديب
لاظهار هذا الجو على الجرس الموسيقى القوى المرتبط بجو العرب ، فكثرت الألفاظ
التي تشير الى الضرب والحركة ، واستعملت البحور الطويلة التي تتناسب مع جدية
الموقف .

وبما يتعلق بوصف الجو المدام وصف نتائج القصف ، وقد قدم القاضي القاضي وصفها
دقيقا لتحديد صور التدوير بعد قصفه بالمدفعية يقول : غاشى السور من السيارة ،
والحرب من النظارة ، وأكن النقاب أن يسفر للتراب النقاب ، وأن يعيد الحجر الى
سيرته من التراب ، فتقدم الى الصخر فتمسح سرده بأنياب محوله ، وحل عده بضربة
الاحراق الدال على ليلاته أنه موتياً بعض الحجارة من بعض ، وأشد الضراب
عليها موثقا فلن تبين الأرض . . . (١) ، كما وصف ابن دنيير شجار المدركمة
فلا يرى من شأنها سوى وجه المدحج (المعظم عيسى) أو لمع الأسنة والسيوف ،
يقول :

عاد النهار لهم ليلاً بقسط المسنة دحت ، ووجعها في ظلماتها قمر (٢)

وصور الأدب في معرزة وصف الجو المدام للحركة حالة الفرنج النفسية في وقتي الضيق
والقوة ، وقد سبقنا الإشارات الى مواطن القوة عندهم حين تصلهم الامدادات أو بعد
النصر ، وأما ضعف نفوسهم فيكون بعد الشروع من المعركة أو حين يشعرون بقسوة
المسلمين ، وأمثلة ذلك ، وأقرة ، ومنها ما حدث زمن عماد الدين زنكي حين حاصر حصن
الأثارب ، فاجتمع الفرنج من كل مكان ، ولكنهم مع كثرة عددهم أحسوا بقوة عماد الدين ،
فلم يقدروا على الهجوم بل زهقت نفوسهم وهم ينظرون ، يقول ابن الأثير : " هذا ،
والرب قد ألقاه الله في قلوبهم فهم منه ويعلون ، والخوف قد عم رئيسهم ومروءتهم فذهب
منه خائشون ، ويقدمون في سيرهم رجلاً ويؤخرون أخرى ، ويحشدون أن القادسيين
أولى وأجبر ، ولكن أجابهم تسوقهم الى مصارعهم ، فهم نعوها يبرزون ، وكأنهم
يساقون الى الموت وهم ينظرون . . . (٣) ، ويصف أسامة بن منقذ حالة الفرنج لا سيما
بندوين وقد انتصر عليهم نور الدين :

وقد ضاقت الدنيا عليهم برعبهم غام ينجه بر ولم يحصه بحسب (٤)

وينفي المذهب بن الزبير أن تكون الأرض قد زلزلت ، وإنما شعر الفرنج بحركة الأرض
نتيجة خوفهم فيقول :

ما زلزلت أرض المداء بل ذاك ما بقلوب أهلها من الخفقان (٥)

(١) الروضتين ١٠٠ / ٢

(٢) ديوان ابن دنيير ٢٢٢ ، وأنظر مثلاً آخر في الروضتين ٥٤ / ١

(٣) الباهر ٤٠

(٤) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٢

(٥) الروضتين ٣٧٦ / ٢ / ١ والخريد تقسم شعراء مصر ٢١٠ / ١

وقد أحلوا صورة واضحة لكل نوع من دعواته ، حسب نتيجة المصركة ، فهذا أبـــــــــــــــــس
القيصراني يتقدم صورة الهارمين أطام تاج الدولة بوري سنة ٥٢٣ هـ ، إذ لم يستطيعوا
التفريق بين نوع حبات المطر على أجسامهم ورقع السهام لشدة خوفاً منهم ، يقول :

حتى إذا ما أحاط المشركون بنسبنا
والنصر دان وخيل الله مقبلـــــــــــــــــة
صائب الشمام عليهم والسهام مصمـــــــــــــــــة
كما لليل يلتهم الدنيا ، له ظلمـــــــــــــــــم
ترجو القهقري الهيجا ، وتشتـــــــــــــــــم
غدا دوا أيتها المهللة الديـــــــــــــــــم (١)

ويقول ابن دنيـــــــــــــــــس :

خافوا بأنفسهم مما ألم بهمـــــــــــــــــا
فهم يظنون رعباً أنها رـــــــــــــــــمـــــــــــــــــد (٢)

ويلاحظ أن الأدباء رحلوا هزيمة الفرنج بحديثهم وشعائهم الدينية ، بالإضافة إلى
وصف بلادهم بأنها خراب ، يقول ابن عبد الظاهر في رسالة أرسلها إلى البولس بيضاء
ملك طرابلس وأنطاكية "..... فلو رأيت خيالاً لك وهي صرعى تحت أرجل الخيـــــــــــــــــم
وديارك والنهاية فيها تصول ، والكتابة فيها تجول ، وأموالك وهي توزن بالقسار ،
وألمالك وكل أربع منسها تباع وتشترى من مالك بدينار ، ولو شاهدت النيران
وهي في قصورك تشترق ، والقتلى بنار الدنيا قبل نار الأكره تحترق .. لكنت تقول :
يا ليتني كنت تراباً ، ويا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتاباً (٣) * .

أما الأسرى فقد قدم لهم الأدب صورة ممزجة الاطيان ، من خزن وخوف وحسرة واستهزاء
يقول ابن القيسراني في فتح الرها :

لا أين يا أسرى الممالك بعد هـــــــــــــــــما
ضاق الفضاء على نجمة الهـــــــــــــــــارب (٤)
ويقول :

الى أين يا أسرى الضلالة بعد هـــــــــــــــــما
لقد ذل ظؤلكم وعز رـــــــــــــــــمـــــــــــــــــد (٥)

- (١) الروضتين ١٤١/ ١/ ١
(٢) ديوان ابن دنيــــــــــــــــس ورثه ١٧ وأنظر ورثه ١٤
(٣) صبح الاعشى ٣٠١/ ٨ ، وأنظر ٥١٩/ ٦
* للمزيد من الأمثلة على التشفي أنظر : الروضتين ج ١/ ٣٨٨/ ٤٩ ١١/ ٦ ١٢/ ١٣ ١٣/ ٧٧
٧٨ ٨٠ ٨٢ ٨٤ ٨٦ ٨٨ ٩٠ ٩٢ ٩٤ ٩٦ ٩٨ ١٠٠ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٦ ١٠٨ ١١٠ ١١٢ ١١٤ ١١٦ ، وعن الأذلال والتحقير أنظر
الروضتين ١٢/ ١٢ ١٢/ ١٤ ١٢/ ١٦ ١٢/ ١٨ ١٢/ ٢٠ ١٢/ ٢٢ ١٢/ ٢٤ ١٢/ ٢٦ ١٢/ ٢٨ ١٢/ ٣٠ ١٢/ ٣٢ ١٢/ ٣٤ ١٢/ ٣٦ ١٢/ ٣٨ ١٢/ ٤٠ ١٢/ ٤٢ ١٢/ ٤٤ ١٢/ ٤٦ ١٢/ ٤٨ ١٢/ ٥٠ ١٢/ ٥٢ ١٢/ ٥٤ ١٢/ ٥٦ ١٢/ ٥٨ ١٢/ ٦٠ ١٢/ ٦٢ ١٢/ ٦٤ ١٢/ ٦٦ ١٢/ ٦٨ ١٢/ ٧٠ ١٢/ ٧٢ ١٢/ ٧٤ ١٢/ ٧٦ ١٢/ ٧٨ ١٢/ ٨٠ ١٢/ ٨٢ ١٢/ ٨٤ ١٢/ ٨٦ ١٢/ ٨٨ ١٢/ ٩٠ ١٢/ ٩٢ ١٢/ ٩٤ ١٢/ ٩٦ ١٢/ ٩٨ ١٢/ ١٠٠ ١٢/ ١٠٢ ١٢/ ١٠٤ ١٢/ ١٠٦ ١٢/ ١٠٨ ١٢/ ١١٠ ١٢/ ١١٢ ١٢/ ١١٤ ١٢/ ١١٦ ١٢/ ١١٨ ١٢/ ١٢٠ ١٢/ ١٢٢ ١٢/ ١٢٤ ١٢/ ١٢٦ ١٢/ ١٢٨ ١٢/ ١٣٠ ١٢/ ١٣٢ ١٢/ ١٣٤ ١٢/ ١٣٦ ١٢/ ١٣٨ ١٢/ ١٤٠ ١٢/ ١٤٢ ١٢/ ١٤٤ ١٢/ ١٤٦ ١٢/ ١٤٨ ١٢/ ١٥٠ ١٢/ ١٥٢ ١٢/ ١٥٤ ١٢/ ١٥٦ ١٢/ ١٥٨ ١٢/ ١٦٠ ١٢/ ١٦٢ ١٢/ ١٦٤ ١٢/ ١٦٦ ١٢/ ١٦٨ ١٢/ ١٧٠ ١٢/ ١٧٢ ١٢/ ١٧٤ ١٢/ ١٧٦ ١٢/ ١٧٨ ١٢/ ١٨٠ ١٢/ ١٨٢ ١٢/ ١٨٤ ١٢/ ١٨٦ ١٢/ ١٨٨ ١٢/ ١٩٠ ١٢/ ١٩٢ ١٢/ ١٩٤ ١٢/ ١٩٦ ١٢/ ١٩٨ ١٢/ ٢٠٠ ١٢/ ٢٠٢ ١٢/ ٢٠٤ ١٢/ ٢٠٦ ١٢/ ٢٠٨ ١٢/ ٢١٠ ١٢/ ٢١٢ ١٢/ ٢١٤ ١٢/ ٢١٦ ١٢/ ٢١٨ ١٢/ ٢٢٠ ١٢/ ٢٢٢ ١٢/ ٢٢٤ ١٢/ ٢٢٦ ١٢/ ٢٢٨ ١٢/ ٢٣٠ ١٢/ ٢٣٢ ١٢/ ٢٣٤ ١٢/ ٢٣٦ ١٢/ ٢٣٨ ١٢/ ٢٤٠ ١٢/ ٢٤٢ ١٢/ ٢٤٤ ١٢/ ٢٤٦ ١٢/ ٢٤٨ ١٢/ ٢٥٠ ١٢/ ٢٥٢ ١٢/ ٢٥٤ ١٢/ ٢٥٦ ١٢/ ٢٥٨ ١٢/ ٢٦٠ ١٢/ ٢٦٢ ١٢/ ٢٦٤ ١٢/ ٢٦٦ ١٢/ ٢٦٨ ١٢/ ٢٧٠ ١٢/ ٢٧٢ ١٢/ ٢٧٤ ١٢/ ٢٧٦ ١٢/ ٢٧٨ ١٢/ ٢٨٠ ١٢/ ٢٨٢ ١٢/ ٢٨٤ ١٢/ ٢٨٦ ١٢/ ٢٨٨ ١٢/ ٢٩٠ ١٢/ ٢٩٢ ١٢/ ٢٩٤ ١٢/ ٢٩٦ ١٢/ ٢٩٨ ١٢/ ٣٠٠ ١٢/ ٣٠٢ ١٢/ ٣٠٤ ١٢/ ٣٠٦ ١٢/ ٣٠٨ ١٢/ ٣١٠ ١٢/ ٣١٢ ١٢/ ٣١٤ ١٢/ ٣١٦ ١٢/ ٣١٨ ١٢/ ٣٢٠ ١٢/ ٣٢٢ ١٢/ ٣٢٤ ١٢/ ٣٢٦ ١٢/ ٣٢٨ ١٢/ ٣٣٠ ١٢/ ٣٣٢ ١٢/ ٣٣٤ ١٢/ ٣٣٦ ١٢/ ٣٣٨ ١٢/ ٣٤٠ ١٢/ ٣٤٢ ١٢/ ٣٤٤ ١٢/ ٣٤٦ ١٢/ ٣٤٨ ١٢/ ٣٥٠ ١٢/ ٣٥٢ ١٢/ ٣٥٤ ١٢/ ٣٥٦ ١٢/ ٣٥٨ ١٢/ ٣٦٠ ١٢/ ٣٦٢ ١٢/ ٣٦٤ ١٢/ ٣٦٦ ١٢/ ٣٦٨ ١٢/ ٣٧٠ ١٢/ ٣٧٢ ١٢/ ٣٧٤ ١٢/ ٣٧٦ ١٢/ ٣٧٨ ١٢/ ٣٨٠ ١٢/ ٣٨٢ ١٢/ ٣٨٤ ١٢/ ٣٨٦ ١٢/ ٣٨٨ ١٢/ ٣٩٠ ١٢/ ٣٩٢ ١٢/ ٣٩٤ ١٢/ ٣٩٦ ١٢/ ٣٩٨ ١٢/ ٤٠٠ ١٢/ ٤٠٢ ١٢/ ٤٠٤ ١٢/ ٤٠٦ ١٢/ ٤٠٨ ١٢/ ٤١٠ ١٢/ ٤١٢ ١٢/ ٤١٤ ١٢/ ٤١٦ ١٢/ ٤١٨ ١٢/ ٤٢٠ ١٢/ ٤٢٢ ١٢/ ٤٢٤ ١٢/ ٤٢٦ ١٢/ ٤٢٨ ١٢/ ٤٣٠ ١٢/ ٤٣٢ ١٢/ ٤٣٤ ١٢/ ٤٣٦ ١٢/ ٤٣٨ ١٢/ ٤٤٠ ١٢/ ٤٤٢ ١٢/ ٤٤٤ ١٢/ ٤٤٦ ١٢/ ٤٤٨ ١٢/ ٤٥٠ ١٢/ ٤٥٢ ١٢/ ٤٥٤ ١٢/ ٤٥٦ ١٢/ ٤٥٨ ١٢/ ٤٦٠ ١٢/ ٤٦٢ ١٢/ ٤٦٤ ١٢/ ٤٦٦ ١٢/ ٤٦٨ ١٢/ ٤٧٠ ١٢/ ٤٧٢ ١٢/ ٤٧٤ ١٢/ ٤٧٦ ١٢/ ٤٧٨ ١٢/ ٤٨٠ ١٢/ ٤٨٢ ١٢/ ٤٨٤ ١٢/ ٤٨٦ ١٢/ ٤٨٨ ١٢/ ٤٩٠ ١٢/ ٤٩٢ ١٢/ ٤٩٤ ١٢/ ٤٩٦ ١٢/ ٤٩٨ ١٢/ ٥٠٠ ١٢/ ٥٠٢ ١٢/ ٥٠٤ ١٢/ ٥٠٦ ١٢/ ٥٠٨ ١٢/ ٥١٠ ١٢/ ٥١٢ ١٢/ ٥١٤ ١٢/ ٥١٦ ١٢/ ٥١٨ ١٢/ ٥٢٠ ١٢/ ٥٢٢ ١٢/ ٥٢٤ ١٢/ ٥٢٦ ١٢/ ٥٢٨ ١٢/ ٥٣٠ ١٢/ ٥٣٢ ١٢/ ٥٣٤ ١٢/ ٥٣٦ ١٢/ ٥٣٨ ١٢/ ٥٤٠ ١٢/ ٥٤٢ ١٢/ ٥٤٤ ١٢/ ٥٤٦ ١٢/ ٥٤٨ ١٢/ ٥٥٠ ١٢/ ٥٥٢ ١٢/ ٥٥٤ ١٢/ ٥٥٦ ١٢/ ٥٥٨ ١٢/ ٥٦٠ ١٢/ ٥٦٢ ١٢/ ٥٦٤ ١٢/ ٥٦٦ ١٢/ ٥٦٨ ١٢/ ٥٧٠ ١٢/ ٥٧٢ ١٢/ ٥٧٤ ١٢/ ٥٧٦ ١٢/ ٥٧٨ ١٢/ ٥٨٠ ١٢/ ٥٨٢ ١٢/ ٥٨٤ ١٢/ ٥٨٦ ١٢/ ٥٨٨ ١٢/ ٥٩٠ ١٢/ ٥٩٢ ١٢/ ٥٩٤ ١٢/ ٥٩٦ ١٢/ ٥٩٨ ١٢/ ٦٠٠ ١٢/ ٦٠٢ ١٢/ ٦٠٤ ١٢/ ٦٠٦ ١٢/ ٦٠٨ ١٢/ ٦١٠ ١٢/ ٦١٢ ١٢/ ٦١٤ ١٢/ ٦١٦ ١٢/ ٦١٨ ١٢/ ٦٢٠ ١٢/ ٦٢٢ ١٢/ ٦٢٤ ١٢/ ٦٢٦ ١٢/ ٦٢٨ ١٢/ ٦٣٠ ١٢/ ٦٣٢ ١٢/ ٦٣٤ ١٢/ ٦٣٦ ١٢/ ٦٣٨ ١٢/ ٦٤٠ ١٢/ ٦٤٢ ١٢/ ٦٤٤ ١٢/ ٦٤٦ ١٢/ ٦٤٨ ١٢/ ٦٥٠ ١٢/ ٦٥٢ ١٢/ ٦٥٤ ١٢/ ٦٥٦ ١٢/ ٦٥٨ ١٢/ ٦٦٠ ١٢/ ٦٦٢ ١٢/ ٦٦٤ ١٢/ ٦٦٦ ١٢/ ٦٦٨ ١٢/ ٦٧٠ ١٢/ ٦٧٢ ١٢/ ٦٧٤ ١٢/ ٦٧٦ ١٢/ ٦٧٨ ١٢/ ٦٨٠ ١٢/ ٦٨٢ ١٢/ ٦٨٤ ١٢/ ٦٨٦ ١٢/ ٦٨٨ ١٢/ ٦٩٠ ١٢/ ٦٩٢ ١٢/ ٦٩٤ ١٢/ ٦٩٦ ١٢/ ٦٩٨ ١٢/ ٧٠٠ ١٢/ ٧٠٢ ١٢/ ٧٠٤ ١٢/ ٧٠٦ ١٢/ ٧٠٨ ١٢/ ٧١٠ ١٢/ ٧١٢ ١٢/ ٧١٤ ١٢/ ٧١٦ ١٢/ ٧١٨ ١٢/ ٧٢٠ ١٢/ ٧٢٢ ١٢/ ٧٢٤ ١٢/ ٧٢٦ ١٢/ ٧٢٨ ١٢/ ٧٣٠ ١٢/ ٧٣٢ ١٢/ ٧٣٤ ١٢/ ٧٣٦ ١٢/ ٧٣٨ ١٢/ ٧٤٠ ١٢/ ٧٤٢ ١٢/ ٧٤٤ ١٢/ ٧٤٦ ١٢/ ٧٤٨ ١٢/ ٧٥٠ ١٢/ ٧٥٢ ١٢/ ٧٥٤ ١٢/ ٧٥٦ ١٢/ ٧٥٨ ١٢/ ٧٦٠ ١٢/ ٧٦٢ ١٢/ ٧٦٤ ١٢/ ٧٦٦ ١٢/ ٧٦٨ ١٢/ ٧٧٠ ١٢/ ٧٧٢ ١٢/ ٧٧٤ ١٢/ ٧٧٦ ١٢/ ٧٧٨ ١٢/ ٧٨٠ ١٢/ ٧٨٢ ١٢/ ٧٨٤ ١٢/ ٧٨٦ ١٢/ ٧٨٨ ١٢/ ٧٩٠ ١٢/ ٧٩٢ ١٢/ ٧٩٤ ١٢/ ٧٩٦ ١٢/ ٧٩٨ ١٢/ ٨٠٠ ١٢/ ٨٠٢ ١٢/ ٨٠٤ ١٢/ ٨٠٦ ١٢/ ٨٠٨ ١٢/ ٨١٠ ١٢/ ٨١٢ ١٢/ ٨١٤ ١٢/ ٨١٦ ١٢/ ٨١٨ ١٢/ ٨٢٠ ١٢/ ٨٢٢ ١٢/ ٨٢٤ ١٢/ ٨٢٦ ١٢/ ٨٢٨ ١٢/ ٨٣٠ ١٢/ ٨٣٢ ١٢/ ٨٣٤ ١٢/ ٨٣٦ ١٢/ ٨٣٨ ١٢/ ٨٤٠ ١٢/ ٨٤٢ ١٢/ ٨٤٤ ١٢/ ٨٤٦ ١٢/ ٨٤٨ ١٢/ ٨٥٠ ١٢/ ٨٥٢ ١٢/ ٨٥٤ ١٢/ ٨٥٦ ١٢/ ٨٥٨ ١٢/ ٨٦٠ ١٢/ ٨٦٢ ١٢/ ٨٦٤ ١٢/ ٨٦٦ ١٢/ ٨٦٨ ١٢/ ٨٧٠ ١٢/ ٨٧٢ ١٢/ ٨٧٤ ١٢/ ٨٧٦ ١٢/ ٨٧٨ ١٢/ ٨٨٠ ١٢/ ٨٨٢ ١٢/ ٨٨٤ ١٢/ ٨٨٦ ١٢/ ٨٨٨ ١٢/ ٨٩٠ ١٢/ ٨٩٢ ١٢/ ٨٩٤ ١٢/ ٨٩٦ ١٢/ ٨٩٨ ١٢/ ٩٠٠ ١٢/ ٩٠٢ ١٢/ ٩٠٤ ١٢/ ٩٠٦ ١٢/ ٩٠٨ ١٢/ ٩١٠ ١٢/ ٩١٢ ١٢/ ٩١٤ ١٢/ ٩١٦ ١٢/ ٩١٨ ١٢/ ٩٢٠ ١٢/ ٩٢٢ ١٢/ ٩٢٤ ١٢/ ٩٢٦ ١٢/ ٩٢٨ ١٢/ ٩٣٠ ١٢/ ٩٣٢ ١٢/ ٩٣٤ ١٢/ ٩٣٦ ١٢/ ٩٣٨ ١٢/ ٩٤٠ ١٢/ ٩٤٢ ١٢/ ٩٤٤ ١٢/ ٩٤٦ ١٢/ ٩٤٨ ١٢/ ٩٥٠ ١٢/ ٩٥٢ ١٢/ ٩٥٤ ١٢/ ٩٥٦ ١٢/ ٩٥٨ ١٢/ ٩٦٠ ١٢/ ٩٦٢ ١٢/ ٩٦٤ ١٢/ ٩٦٦ ١٢/ ٩٦٨ ١٢/ ٩٧٠ ١٢/ ٩٧٢ ١٢/ ٩٧٤ ١٢/ ٩٧٦ ١٢/ ٩٧٨ ١٢/ ٩٨٠ ١٢/ ٩٨٢ ١٢/ ٩٨٤ ١٢/ ٩٨٦ ١٢/ ٩٨٨ ١٢/ ٩٩٠ ١٢/ ٩٩٢ ١٢/ ٩٩٤ ١٢/ ٩٩٦ ١٢/ ٩٩٨ ١٢/ ١٠٠٠
(٤) الروضتين ٩٩/ ١/ ١
(٥) الروضتين ج ١ ق ١/ ١

ويصف ابن القلانسي وصول الاسرى الى دمشق ، وقد رتبوا على كل جمل فارسان من ابدانهم ، ومعها راية من راياتهم منشورة ، ويذكر قول بعض الشعراء :

ما رأينا فيما تقدم يوما
مثل يوم الفرنج حين علتهم
مراياتهم على الحيين زفوا
بين ذل وحسرة وضياء (١)

ويقدم القاضي الفاضل والحمد والاصفهانى وابن الاثير مثل هذه الصورة يوم حطين إذ صعد الاسرى بهيكل الغيام ، وجيء بهم بين يدي السلطان ، يقول القاضي الفاضل : " فلو رأيت أتابك الخيم في أعناق الاسارى يخاقون بها مقرنين ، لحدث الذى صخر لنا هذا وما كنا لمقرنين " (٢) .

ويقول الحماد : " وجاءوا بالاسارى بين يديه مقرنين في الأصفاة ، مقودين في الاقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الاعناق والسوق " (٣) . ويقول شهاب الدين بن الاثير : " وجيء بالاسرى مقرنين في الاصفاة ، موقنين ان رؤوسهم عوارى عن تلك الاجساد ، ولو استطار رأس أحدهم أن ينكر عنقه لأنكره ، ولا يود وهو المعتزم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره " (٤) . ولم يكن هذا الحال للبنود فقال : وإنما شاركهم فيه ملوكهم ، يقول ابن سناء الملك :

وعوى الأمر كل ملك يدا من الد (م) هو يغنى وملكه ليس يغنى
والمليك العظيم فيهم أسير يتثنى في أدهم يتثنى
يحسب النوبة فتاة ويخلص الشخص طودا ويصير الشمس دجنا
كم تمنى اللقاء حتى رآه فتمنى لونه أنه ما تمنى (٥)
ومن الواضح أن ذكر الملوك الاسرى جاء ليظهر عظمة النصر ، وقدرة الاسر ، فصح أن الاسير ملوك عظيم إلا أنه وقع في أسر المسلمين ، ولولا قوة القائد المسلم لمسا تمكن من أسر هذا الملك العظيم ، يقول ابن القيسرائي في مدح نور الدين :
من باتت الأسد أسرى في سلاسله على يأسر الغلب إلا من له الغلب (٦)

(١) تاريخ ابن القلانسي ٣٤٣ هـ وانظر الروضتين ٢٧٢/١/١ هـ وفتح الكروب

١٤٩/٣ هـ ، وعقد الجمان ج ١٢ ق ٢ ورقة ٢٨٣

(٢) الفاضل من كلام القاضي الفاضل ورقة ١٠٠

(٣) الفتح القسي ٩٣

(٤) شهاب الدين بن الاثير ٧٥

(٥) ديوان ابن سناء الملك ٨١٩

(٦) الروضتين ١٥٤/١/١

وقد سلك أدباء العرب سياط السخرية والاستهزاء على قادة الفرنج الأسرى ، يقول
ابن دنيير :

يمشون همسا ، وإيماء حديثهم
نهابهم الرعب عن غود فمقصصة
فيها لشوقك إن قالوا وإن ذكروا
إن قيل عودوا ، نعد بالسيف ننقصر (١)

ويقول ابن مطروح :

قل للفرنسيين إذا جئتكم
آجرك الله على ما جسر
أنيت همرا تبغني ملكهم
وكرر عدد الأسرى حتى أصبح القيد غالبا لشدة حاجة المسلمين إليه ، يقول
الشافعي :

أغلى الأدهم من أسرته وأرخصت
بيض الصوارم من نسيب المعسكر (٢)

ويقول المحاد :

يباعون أسرابا شرائح أحمل
كشلة عصفور من الريش جردا (٤)

ويقول :

سهايا بلاد الله معلومة بهيها
يطاف بها الأسواق لا راغب لها
هذا ، وقد صور الأدب القتلى ودماهم ، ومسير تلك الجيوش المنتشرة هنا وهناك
لكثرتها ، كما رسم صورة رهينة لرأس الجندي الصليبي القليل وهو يعملو الرمح ،
وكأنه ثمرة من ثماره مع أن الرمح لا يثمر ، يقول ابن القيسراني :

عجبت للصعدة السمراء مشورة
سما عليها سمو الماء أرهقه
برأسه ، إن إثمار القنا عجمسيب
أنبوه في صمود أصلها صمسيب
بدا لثعلبها من نخره مسرب (٦)

(١) ديوان ابن دنيير ورقة ١٥

(٢) ديوان ابن مطروح ١٨١ ، والإلغام ١٦٩/١

(٣) ديوان فتيان الشافعي ١٦ ، والروشتين ٨٤/٢

(٤) الروشتين ١١٨/٢ (٥) المصدر السابق ٨٣/٢

للمزيد من الأمثلة عن الأسرى أنار : الروشتين ٢٠٦/١/١ ، ٤٤٤/٢/١ ، *

جدا ٤٨/٢ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، حسن المحاضرة ٣٩

تاريخ ابن الوردي ٥١/٢ ، قوات الوفيات ١٥٧/١ ، المواعظ والاعتبار

ط . بولاق ٢١٣

(٦) الروشتين ١٥٤/١/١

ولم يكن رأس القائد هو الرأس الوحيد الذي رفع على رمح ، وإنما استطالست رؤوس
الترنج كأنها هي ، نزع قد أعصب ، وحين شهد بها السيف الاسلامي أغرته بهتلافها ،
فنادى سيوف المسلمين لتشارك في حصاد الزرع البشري ، يقول ابن القيسرائي أيضا :

وطالت رؤوس الأعاج غصبا فنادى السيف تد وقع الحصاد
أحداث بهم فكان القتل صبرا ولا طعن هناك ولا طراد
ولابرنز فوق الرمح رأس توسد والسنان له وساد (١)

ويقول القاضي الفاضل في فتوح صالح الدين : " وعاد المسلمون برؤوس
عدوهم في رؤوس القنا ، وقد أجمتوا شراستها ، وأرواحهم في صدر الدابي ، وقد
أدافوا بمائها جحراثها . . . " (٢) ، وفي معركة ديماس سنة ٦١٥ يقسمول
ابن دنيير :

ما أنبت الغل طول الدهر من أسل غادرت له من هامهم ثمر (٣)
وقد فصل الشمر صرة أنفصال الرأس عن الجسد ، فجعلوه يركض نحو البطل
المسلم ليقدّم الدابة والتحية إليه ، أو يدير إلى السماء مع القنا ثم يهب إلى الأرض
لشدة الضربة ، يقول ابن القيسرائي :
أتى رأسه ركنا وغودر شمسوه وليس سوى غاني النسر له قبر (٤)

ويقول ابن خنير :

تحتي القنا برأسه وهو الذي نحات مدار النير من قناتسه
لو هانق الحيوة يوم رفعتسه لأراك شامد غفني إختاتيه (٥)
بل قد تبلغ الشرية لشدتها عدداً ترفق معها جثة القائد الصليبي فتلقيه مسبل العينين
لا من نحاس ، وغائرهما لا من سهاد ، يقول ابن القيسرائي :
ترجل للملأم ففرسوه وليس سوى القنا له جسمسواد
غضيف المقلتين ولا نحسان وغائرهما وليس به سهاد (٦)

-
- (١) الروشتين ١٤٦/١/١
(٢) الفاضل من كلام القاضي الفاضل ٩٨
(٣) ديوان ابن دنيير ورقة ٢٢
(٤) الروشتين ١٨٦/١/١
(٥) المصدر السابق ١٥٨
(٦) المصدر السابق ١٤٦

وقد تصل الذئبة الى رأسه فتخذه بهد أن تكون قد حطمت التاج الذي عليه ،
يقول ابن خنير :

حللت التاج عنه وعزل تاجها
وفي مقابل ارتفاع الرأس في الجو ، فان الضربة تنحرف في الجسم في الأرض / حيث
تجري وكأنها أشجار والرماح تحمل الثمر ، يقول الحاد :

لقد بنحت فكة الفرنج فأنتصفت
منها بأقدامك الهندية البتير
غرس في أرض مصر من جسمهم
أشجاراً خط لها من دماهم ثمر (٢)
وبالإضافة الى هذه الصورة ، فقد قدم الادب صوراً أخرى لجثة القتيل الفرنجي ،
فهي إما ملقاة على الأرض تحملوها الدماء كما يقول ابن الصياد في مدح طلائع بن
رزك حين تمكن من قتل مقدم غيل الفرنج :

هو ملق بجث العدا في الحرب من
فجيا به تشكو مزاحمة القسا
حلل النجيع مجاسدا وربا
وترد غرسان الرماح مياطاً (٣) *

وأما ملقاة بالمرء ، يقول ابن خنير في صاحب انداكيسة :
والآن ملقى بالمرء يقتات به
ما كان قبل بعيده يقتات به
أولأت أذراف المنابك دابة
فقدأفك بحنيفة قد فاته (٤)

ويقول ابن شداد في وصف قتل الفرنج يوم عكا : وقامت سوق الحرب ، فلم يكن
الا ساعة حتى رأينا القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وأمدوا مطرحين
على الثلال والوهاد ، وشربات السيوف من دماهم حتى رويت ، وأكلت أسد الوغى
بأسنان الذفر بهم حتى شبعت ٠٠٠ (٥) ، ويقول راجع الحلبي في قتلى
دمياط سنة ٦١٥ هـ :

فلم ينجح إلا كل شلو نجس بدم
ثوى منهم أو من تراه مقيماً (٦)

- | | |
|-----|---|
| (١) | الروشتين ٢٢٩/١/١ |
| (٢) | المصدر السابق ٣٧١ |
| (٣) | الخريدة / قسم شعراء مصر ٢٤٣/١ |
| * | الابيات منسوبة خطأ الى طاهر البعداد ، انظر ديوان طاهر ص ٣٧٥ |
| (٤) | والرباط الاثواب الرقيقة
الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٥٨ |
| (٥) | النوادر السلطانية ١٣٠ |
| (٦) | ابن كثير / البداية والنهاية ٩٥ |

وفي قتلى معركة حمص زمن قلاوون يقول بدر الدين المنجي :

أجريت فيها بخارا من نجيمهم فكل سابعة سبحا الى اللبسب
لم تطلع الشمس فيها بعد ذاك على غير الشاذيا من القتلى ولم تنب (١)

وهذه الجثث المتناثرة على الأرض كثيرة العدد ، لأن الجيش الفرنجي يضم أعدادا كبيرة ، يقول ابن الأثير في وصف قتلى حطين : " فكان من يرى القتلى لا يثنى أنهم (المسلمين) أسروا واحدا ، ومن يرى الأسرى لا يثنى أنهم قتلوا واحدا ٠٠٠ ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة ، فرأيت الأرض مألًى من عظامهم تبين على البعد ، منها المجتبى ومنها المفقود ، هذا سوى ما جرفته السيول وأكلته السباع ٠٠٠ " (٢) ، ويقول نتيان الشاغوري :

فالدخيل لا تشي بها إلا على هام منقذة وشمر أشقر (٣)

وقد أعطى الأدب صورة لأعداد القتلى ، ربما كان مبالغا فيها ، يقول العماد فسي قتلى الفرنج أثناء حصار عكا : " ولم يفلت من الأعداء إلا أعداد ، ولم ينسج من الآلاف إلا آحاد ، وأمسك (تلك الأجساد) لنار العرب قراشا ، ولأرض المعركة قراشا ٠٠٠ " (٤) ، ويقول ابن النبيه في مدح الملك العادل :

كم لك في يافا وفي الدج من عشرون ألفا غير أتباعهم
وثاني غر مشاهير ١. بين قتول وأسور (٥)

ويقول ابن مطروخ في وصف قتلى الفرنج في موقعة دمياط سنة ٦٤٧ هـ :

خمسون ألفا لا يرى منهم غير قتيل أو أسير جريسج (٦)

ويقدر الملك توران شاه عدد القتلى في الموقعة السابقة بثلاثين ألفا ، يقول فسي كتاب الى نائبه في دمشق : " ولما كان الليل ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، فسرنا في أثرهم طالبيين ، وما زال العيش يعمل فسي

(١) مقد الجمان ٢٠ ق ٤ / ٧٢٢

(٢) الكامل ٥٣٧/١١ - ٥٣٨

(٣) ديوان نتيان الشاغوري ١٤٥

(٤) الفتح القسي ٣١١

(٥) ديوان ابن النبيه ١٢

(٦) ديوان ابن مطروخ ١٨١ ، المختصر في أخبار البشر ١٨٦/٣

أديارهم عامة الليل ، ويحل فيهم الخزي والويل ، فلما أصبحنا نهار الأربعاء ،
قتلنا منهم ثلثين ألفاً غير من ألقى نفسه في الملحج ، وأما الأسرى فحدث عنن
البحر ولا حرج (١) * *

هذا وقد صرح الأديب ببال هذه الجثث ، وتشتوها بين بطون الوحوش وحواصل
الديور ، لا إكرايا لهم ، وإنما لان الأرض رفضت احتواء جيشهم لوجعهم ، يقول
العماد في وقعة حطين ما يطالع الدين :

كسرتهم إذ صبح عزلك فيهم جيشهم
وكنستهم إذ صار سبهم نكسها
بواقعة رجت بها الأرض جيشهم
دماراً كما يست جبالهم بسبها
بطون ذئاب الأرض صارت فيهم
ولم ترف أرض أن تكون لهم رصا (٢)

ولهذا أكثر الأدياء من وصف عيوش الطير فوق الجيش الإسلامي ، متوقفة سقوط
القتلى من الفرنج ، يقول فتیان الشاغري :

خيمت له الرايات ظل ، وفوقه
من الديور ظل يحجب الشمس سادل (٣)
ولكنرة الطير فوق الجيش الإسلامي أخذت بدنها يصطدم بهض ، يقول العماد في
مدح صلاح الدين :

ترك صانح للمشركين
يدأون القناع فيه قيسه
تراجم فرسانها الفارسيات
فتقدم فيها النسور النسور (٤)
وقد قاسمت الطير الجارحة في فرائضها الوحوش الضارية ، وأشرت جميعاً في
أكل تلك الجثث ، مع أن الديور تنفر عادة من الوحوش ، يقول فتیان الشاغري :

فالقوم نهب للسباح تنوشهم
من كل ذي ناب وصاحب مشر (٥) * *

- (١) نهاية الاربع ٢٧ ورقة ١٠١ ، النجوم الزاهرة ٣٦٧/٧
* لمزيد من الأمثلة عن القتل أنظر : الخريدة قسم شعراء مصر ٢١٢/١ ، صبح
الامشي ١٢٧/٧ ، من الكروب ١٥٠/٣ ، ديوان فتیان الشاغري ٤٥٧ ، ٥٠٩
ابن الاثير الكامل ٥٢ ، ١٢٢ ، ١٧٤ ، الروضتين ٤٦٦/٢/١ ، الروضتين
١٠/٢ ، ٢٨ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٢
(٢) الروضتين ٨٣/٧
(٣) ديوان فتیان الشاغري ٣١٢
(٤) الخريدة / قسم شعراء دمشق والشعراء الامراء من بني أيوب من ٢٨
(٥) ديوان فتیان الشاغري ١٤٤ ، وأنار ١٤٥
* * للمزيد عن مال الجثث للطير والسباع أنظر : ديوان طاهر الحداد ٢٥٤ ، ديوان
فتیان الشاغري ١٤٥ ، ٢٢٣ ، ديوان ابن النبيه ٧٦ ، أعلام النبلاء ١٦/٢ الفتح
٢٩٠ ، الخريدة قسم الشام ١٥٧/١ ، قسم العراق ١٤٧/٢ ، قسم مصر ١١/١ ،
الروضتين ١٨٦/١/١

هذه حالة جثث القتلى ، أما دماء القتلى فقد جاء وصفها في الأدب لتدل على ما دلت عليه متابعة الطير للجهش الإسلامي من كثرة قتلائهم سواء في البحر أو البر ، فيها هوذا شهاب الدين محمود يصف الخيل الإسلامية تخوض في دمائهم في البر ويصف الرماح تنثر دمهم على الاسوار ، وتمت البحر يبحر من الدماء ، يقول :

وخاضت البيض في بحر الدماء فما أبدت من البيض إلا ساق مختضب
وغاص رزق القنا في رزق أعينهم كأنما شطآن نهوى إلى قلب سب
أجرت إلى البحر بحرا من دمائهم فراج كالراج ، إذ غرقاه كالجب (١)

ويقال ابن القيسراني في كثرة قتلائهم ، إذ يجعل مياه نهر الماصي حمراء لكثرة الدماء التي أهرقت فيه يقول :

غداة كأنما الماصي أحمراراً من الدم عورة الجفن القريح (٢)

ويقول فتيان الشافري في مدح الملك الأشرف موسى الذي قتل من الفرنج يوم دمياط ما قتل :

فسيقه من الفرنج دماءهم في البحر حتى الماء منه أشكل (٣) *
وقد نثار الأدباء إلى هذا الدم على أنه ماء طهر للأرض التي دنسها الفرنج ، فدماؤهم الطاهر الوحيد لرجمهم ، يقول ابن القيسراني :

وقد أصبح البيت المقدس آمرا وليس سوى جاري الدماء له طهر (٤)
ويقول ابن سناء الملك :

وكانت بهم تلك البلاد تنجست فتاب دم منهم من الماء في الشسل (٥)
ويقول الحماد في نكوص الفرنج عن عكا والقدة سنة ٥٨٣ هـ " ٠٠٠ بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غسل عن بلاد الشام بدماء الشرك ما كان يشغلهم ، فلا شغل ولا خير " (٦) ، ويقول القاضي الفاضل في ذلك أيضا : " لله الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط ، وطهر ما طهر من دم الكفر وما كان لظهورها البحر المحيط " (٧) ، وحين تم طرد الفرنج نهائيا من بلاد الشام قال شمس الدين الغزاري :

وأعدتها للمسلمين ولم يكسسن منهم ترى الظهير إلا بالدم (٨) *

- (١) جواهر السلوك ٦٠ ، ابن الفرات ١٧/٨ - ١١٨ (٢) أعلام النبلاء ١٦/٢
(٣) ديوان فتیان الشافري ٣١٤ *
لمزيد من الأمثلة عن صورة الدماء أنظر : ديوان ابن سناء الملك ٨١٤ ، ٥٦٦ ، ديوان ابن النبه ٦٧ ، الروشتين ١٤٢/١ ، ٣٧١/٢/١ ، الشريدة قسم شعراء الشام ١٥٨/١ قسم شعراء مصر ٢١١/١ ، عقد الجمان ٢٠/٤/٢٢٢
(٤) الروشتين ١٨٦/١/١ (٥) ديوان ابن سناء الملك ٥٦٦ (٦) صبح الأضي ٥١٩/٦
(٧) المصدر السابق ٥٢٨/٦ (٨) جواهر السلوك ٤٨ *
ذكر محمود سليم هذا البيت من قصيدة ابن الصائغ في فتح عكا ونشر إلى المصدر وهي للغزاري / أنظر عصر سلاطين المماليك ج ٨/٥٢

والإضافة الى أنهم المطهر الوحيد فأنشئ ، فان لها فائدة أخرى وهي أنها تروى الأرض والباح والسيوف المحشى ، وقد تفنن الشعراء في تقديم هذه الصور للتشفي بالعدو المهزوم ...

* * *

تلك هي صورة الصراع العسكري الذي أنتهى بعد غناء مرير أستم مدة قرنين من الزمان ، ولكن ما الوظيفة التي أخطب بها الادب خلال هذا الصراع ، وما النهاية التي استهدفها الادب ؟

لقد أخطب الادب بمهمة جليلة كان لها الأثر البعيد في مسيرة الصراع ، وفي حفز قادة المسلمين على القتال ، والسير به الى أن انتهى الوجود الصليبي في المشرق الاسلامي وذلك أن الادب نثر الى الفرنج على أنهم غباء طارثون على البلاد الاسلامية وعلى أهلها ، ومن ثم فقد حرضوا على مقاومتهم والتصدي لهم ، مهما بلغت التضحيات ، ومهما طال الزمان ، ولم يخل ديوان من دواوين الشعراء الذين عاشوا خلال أحداث الحروب الصليبية من التحريض على قتال الخزاة ، ويستطيع الباحث أن يتبين ذلك بوضوح في الأحداث التي سجلها الادب ، وقد استغل الادباء لاسيما الشعراء انتصار القادة المسلمين ، وأوضحوا للناس أن الفرنج طارثون وهم ينتظرون أحد البصيرين : الرحيل أو القتل والتدمير ، كما استغلوا المدح الشخصية ، وأضافوا على المدوحين صفات ترتبط بحظهم من أجل طرد الخزاة ، ويتجلى هذا الموقف بصورة أكثر وضوحا في فتوح صلاح الدين ، إذ أجمع الادباء على أن القدس وغيرها من البلاد الاسلامية قد احتلت في حالة ضعف المسلمين ، وأن قادة المسلمين يحملون الآن لاسترجاعها لتعود الى سابق عهدها ، كما فيه من طهر وفخر وأمن ، يقول الحماد : " وكان الاسلام غريبا فرجع الى وطنه ، وسكن فيه الوطن فسي مسكنه ، وزالت مخاوفه ، وعاد الى مأمنه ... " (١) ويقول : " ورد الاسلام الغريب الى بيته المقدس ، ونفى الكافر عنه كاسف الهال راغم المخلص " (٢) ولم تغب فكرة الطرد عن أذهان القادة ، فهذا صلاح الدين يغلب في الجيش الاسلامي ويغزو قبالة العدو في عكا ، ويعلمهم أن هذا العدو اللدني قد ولى أرض الاسلام ، فيجيب قتاله ، يقول : " أعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد ولى أرض المسلمين ، وقد لاحت لوائج النصر عليه ، والرأي عندي مناجزته ، فليخبرنا كل منكم بما عنده " (٣) .

وحين حاول الملك رشارد قلب الأسد مفاوضة صلاح الدين رد عليه بقوله : القدس لنا ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فلا يتصور أن ننزل عليه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين ، وأما البلاد فهي أيضا لنا في الأصل ، واستيادكم كان طارثا عليها لضعف ما كان بها من المسلمين في ذلك الوقت " (٤) .

- (١) الروضتين ٩٨/٢
- (٢) الروضتين ١٠٠/٢ وأنظر أيضا ٨٩/٢ أو صبح الاعشى ١٢/٦ (٣) الروضتين ١٤٦/٢
- (٤) ابن شداد / النوادر السلطانية ١٩٤ ، وأنظر ديوان ابن مطروح ١٨٢ ومحمد زغلول سلام / ضياء الدين بن الاثير ٨٠ ، الغريدة / الشام ١٥٨/١

وهكذا نجد حرص الأدباء والقادة على إظهار الصدق بهذا المظهر غير تاريخي الصراع معه ، وحتى قضي عليه نهائيا ، وأخرج من ديار الإسلام .

* * *

وقد حاول الفرنج نيل الاعتراف بهم من المسلمين ، باللين تارة ، وبالشدّة تارة أخرى ، وعن طريق المفاوضات أو المهادنات ، ولكن ذلك كله لم ينته الى ما يريدون ، ويظهر ذلك من ردّ صالح الدين الأتقي الذكر ، ولذا فقد لجأوا الى القوة ، وهددوه كما روى الحطاب ما تضمنه " وأن أبيهم غير النجيرة والإباء ، ودمت على إرهاب الدهماء وأهواق الدماء ، جاء من وراء السببة البحار من يسد فتيل المسبح الدباقي ، وأفاق للتناصر على دفع هذا الغضب نصارى الآفاق ، وثار الروم لزوم الثأر ، وخرج الفرنج أنصارا للاستفار (١) ولكنه لم ياترث لهذا التهديد ، ورد عليهم بالعزم الذي لا يعرفون سواء ، فقال للترجمان " أمرنا الله بتمهيد الأرض ، ونحن قائلون في طاعة بالفرض ، وعلينا الاجتهاد فيسبي الجهاد ، وأمثال أمره فيه بالانقياد ، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ، ولا تكسر الآحاد بكثرة النقاد * (١) .

وقد لجأوا الى البديهة وحرف الناس عن العزب ، وذلك بالمراسلات المتكررة من أجل الصلح لتستمر نفوس المسلمين الراحة ، وتكره القتال ، فأرسل ملك الانجليز عدة رسائل يدالب في بعضها من السلطان الكف عن القتال ، وأنه لا يجوز أن يهلك المسلمين في القتال ، كما لا يجوز له أن يهلك الفرنج ، ثم تودد اليه بأن يتنازل السلطان عن القدس والساحل وعسقلان (٢) ، فرفض السلطان ، فأعيد الكرة ثانية بطريقة جديدة ، إذ طلب من السلطان أن يزور أخاه العادل بأخته ، ثم يتنازل كل منهما للزوجين عمن الساحل والقدس ، وطالبت السفارات ، ولم تسفر عن شيء ، ومع ذلك بقي السلطان وجنده مهيبين للقتال (٣) ، ولما شعر بالنتاج ملك الانجليز ، وقد زجر الحبيب كسر الإسلامي من ملازمة القتال عدة سنوات قبلي المهادنة ، لأنه خشى أن يستمر المصير الفرنجي في حين ازداد الضجر في البيوت الإسلامي ، فتكون المهادنة

(١) الذبح القسي ٢٤٠

(٢) النقاد جنس من النمل الصغيرة الأرجل

(٣) النوادر السلطانية ٢١٩ - ٢١١ وللمراسلات أنظر ابن شداد / النوادر ٢٠١ - ٢٠٣

٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٣

(٣) الروشتين ١٠١ / ٢ ، ٢٠٣

وهذا ما يؤكده ابن شداد حين قال : " إن الصلح لم يكن من إشارته " (١) ، وكأنه
أحد بيان الهدنة بالرغم عن مدتها القصيرة - تشكل خطرا على القضية ، فيصالح ابن شداد
بقوله : " أخاف أن يصلح " ، وما أدري أي شيء يكون طوي فيقوى هذا الصدو ، وتسد
بقي لهذه البلاد ، فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم ، وترى كل واحد من هؤلاء
الجماعة " المسلمين " قد قعد في رأس تلة ، وقال لا أنزل ، ويهلك المسلمون " (١)

وإن الناظر في بنود الصلح يدرك أنه كان لصالح المسلمين ، لأن سأم الجند
الاسلامي بلغ حدا كاد يصل الى حد التمرد على أوامر صلاح الدين ، فكان هذا الصلح
تجديدا لنشاطهم ، ومن ناحية أخرى فإن خوف صلاح الدين من المستقبل قد تحقق
فعلا ، إذ توفي بعد الصلح بفترة تقل عن السنة ، ولو أنه مات والقتال مستمر لحققت
مخاوفه من أن يكتسح الصدو البلاد وقادة المسلمين متفرقون ، كل في البلد الذي يعكمه ،
وهذا ما عبر عنه ابن شداد في تحقيقه على قول صلاح الدين بقوله : " وكان كما قال " (١)
ثم إن مدة الصلح تشجربان الحرب مستمرة ، إذ قد تجدد القتال سنة ٥٩٣ هـ أي بعد
انتهاء الصلح بستين (٢) .

ولوسرنا مع التاريخ الى مصر ببيروت وقانون لوجدنا الهدنة في صالح المسلمين
بشكل واضح ، إذ كان من شروطها مقاسمة الفرنج في انتاج الأرض ، ومنهم من استتبع
الامدادات كما منحهم من تعمير الأسوار والقلاع ، وهذا يدل على أن الهدنة لم
يصاحبها شعور بأنها حالة الحرب ، وقد ساعد هذا العامل النفسي المسلمين على
استرجاع الأراضي المحتلة (٣) .

والدارس لتاريخ هذه الفترة وأدبها يجد فيها تركيزا على غرس الكره في نفوس
المسلمين ضد الفرنج ، لأنهم يحتلون ، وقد أفلح هذا الكره في تصميم المسلمين على تحرير
الأرض ، ومن الأدلة التي تثبت شعور المسلمين الدائم بالكره للمحتلين ما سبقت الإشارة
اليه هذ الكلام عن تحريض المسلمين ضدهم ، وما ورد في النثر من دعاة بشمير المصدقين
التي يسكنونها واستنزال اللامعة والنخلان عليهم (٤) .

(١) النوادر السدائنية ٢٣٥

(٢) الذيل على الروضتين ١٠

(٣) صبح الاعشى ١٤/٣٣ - ٣٩ - ٤١ - ٤٢ - ٥١ - ٦٠

(٤) انظر الاعتبار : ١٠ - ١٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٨ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٨
٩١ - ٩٤ - ١١٤ - ١١٦ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٨ - ١٦٢

ابن شداد ٢٩ - ٣٣ - ٦٣ - ٧٥ - ٩٨ - الكامل ١٠/٣١٠ - ٣٦٤ - ٣٦٥

٣٧٣ - ٣٩٤ - ١٠٦/١١ - ١٥٤ - ٤٥٣ - ٦٦/١٢ - ٦٩ - ٧١ - ٧٨

١٢٦ - رحلة ابن جبير ٢٧٤ - ٢٧٦ - الروضتين ١٧٣/٢ - ١٠٠ الخ

وقد أبرز الأدباء هذا السمو بداريقة قوية مؤثرة حين يطأوا بين كراحتهم للفرقة ، وكسر الله
 لهم ، ورفض البلاد المحتلة لوجودهم ، يقول القاضي الفاضل في وصف فتوح صلاح الدين :
 " وقد أثار الله بالعدو الذي تشذت قناته شققا ، وطارت فرقه قرقا ، وكل سيفه فصار صلا ،
 وصعدت حصاته وكان الأكثر عددا وعصا ، فكلت حملاته ، وكانت قدرة الله تصرف فيه النسيان
 بالحيان ، عقوبة من الله ليس لصاحبها يد بها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليمة ،
 وغنت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة ، " (١) .

أما بالنسبة إلى الأرض فقد صورها الأدباء تتحمل تحت الأعداء ، بل صوروها
 تلذظهم وتذمهم ، يقول ابن خلدون في فتح قونية :

فاليوم أصبحت تستد م جبرها
 من جورها ، وغدت تذم جوارها (٢)
 ويقول أحد الشعراء على لسان المسجد الأقصى شاكيا إلى الم الذي يحيي فيه :

يا أيها الملك المسمى	لصالح الملوك نكس
جاءت إليك ظلامنة	تسمى من البيت المقدس
كل المساجد أهتت	وأنا على شرفي منجس (٣)

وقد صور الشعراء العوامل الطبيعية وكأنها تحمل على استئصال الترنج ، يقول الحماد في
 وصف زلزلة :

مداوة زلزلت بسكانهم الأرض	في وهدت قواعد الأطلس
أخذتهم بالحق رجفة نسيان	تركبتهم صرخ صروف المسواد
آية أثرت في الشوك بالهلع	لك وأهل الإيمان بالارشاد (٤)

(١) صحيح الأعمش ٤٩٩/٦

(٢) الروضتين ٦٣/١

(٣) الانس الجليل ٣١٨ ، وزبدة كشف المالك لابن شاهين الناهري ٢٠

(٤) الخريدة بمداية قسم الشام وشعراء دمشق ص ٤٩

في حين تعرض الأدب على تقديم الصورة المقلبة لهذه الصورة ، فصوروا الأرض تطيح
القادة المسلمين وتلقي بأيديهم حصون الأعداء ، يقول ابن القيسراني في مدح نور الدين
حين تمكن من قتل أمير أندلس :

وألق بأيديها إليك حصونك
ويتول شهاب الدين محمود مخاطباً الأشراف :

نسر حيث ما تغار فالأرض كلها
والحل الذي طارحه الأدباء دائماً لتحقيق النصر هو الوحدة الحقيقية : حين البلاد
الإسلامية ، والجهاد المستمر ، وقد أسهمت الحرب نفسها في إيجاد الوحدة وتقوية
عزائم المجاهدين ، يقول ابن القيسراني مخاطباً نور الدين حين حاول أن يوحد أمارة
دمشق مع البلاد التي كان يحكمها :

إذا ما دمشق ملكتك غنائمها
وفي هذا البيت إشارة واضحة إلى أن اتحاد الاقلام الأساسية يشفي عليم القضاء على الفرنج
الذين كانوا يحتلون القدس ، ويقول الصالح في مدح أسد الدين شيركوه وصلاح
الدين :

غداً يشبان في الكفار ناراً وغسبي
بملكك مصر ونهر الدومنين غسداً
بلشعها يصح الشبان كالشيب
تحمل النفوس بيتانين وشابيب (٤)

(١) الروشتين ١٨٦/١/١ ، العريدة قسم الشام ١٥٨/١

(٢) البداية والنهاية ٣٢٩/١٣

* صبح الاعشى ٣٥٤/٧ ، ٥١٨/٦ ، الروشتين ٨٩/٢ ، ١٠٠ ، ديوان ابن
طارح ١٨٢ ، ديوان بهاء الدين زهير ١٢١ ، النجوم الزاهرة ٢٢٠/٧

فيا الدين بن الاثير ٨١

(٣) الروشتين ١٨٠/١/١

(٤) الروشتين ٣٦٩/٢/١

ويقول في مدح أسد الدين شيركوه حين وزر في مصر :

فتحت مصر وأرجو أن تصير بهنسا ميسرا فتح بيت القدس من كتب (١)

حمد أن ضم صلاح الدين حلب والموصل قال العماد مهنسا إياه :

فكأنني بالساعل الأقصى وقسند ساءت ببيع دم الفرنجة ساحسه

فأعجز إلى القوم الفرات ليشربسوا الموت الإجاج فقد طما طامحه (٢) *

وهكذا انتهى الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي بسدد جهود ضئيلة تواصلة

دامت قرابة قرون من الزمن ، وقد شارك في هذا المجهود المقاتل بساحه ، والشاعر بشمره

والكاتب بنشره ، فكان الأدب في الحركة طيلة امتدادها يستغنى عن وثي ومصرف لا حصر

النصر ، ويترك أثره في نفوس تهتز للكلمة البليغة ، وتتوق المذكر الحسن ، وتخشى أن يقال

فيها ما يمسوه .

(١) الروشتين ٤٠٣/٢/١

(٢) مفرج الكروب ٤١/٢

* لمزيد من الأمثلة على أثر الوحدة أنظر ديوان ابن الساعاتي ٣٨٢/٢ ، ديوان

طلالغ ١٢٦ ، ديوان أسامة ٢١٧ ، الروشتين ٤٩/١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٠٧ ،

٢٥٧ ، ٦/٢ ، ١٣ ، ١٧٠ ، تاريخ ابن الزيات ١١٠/٨ ، تاريخ ابن العديم

٢٠/٢ ، ٢٥ ، الكامل ٣١٨/١١ ، مونروند ، تاريخ الحروب المقدسة ١٨١/١

أحمد بجلي المصري حياة صلاح الدين ، صابرة السعادة سنة ١٩٢٢ ص ٦٨ ،

لمزيد من الأمثلة على الاستقصاء ، أنظر ديوان الشافعي ٥٣ ، ابن النيسه ٦٦ ،

ابن سناء الملك ٢٨٣ ، ٧٥٨ ، ابن الساعاتي ١٧٢/١ ، ديوان طلالغ ١٠٣ ،

١٤٦ ، ١٧٢ ، ديوان البوصيري ٨٨ ، ديوان شرف الدين الأنصاري ٢٠٥

٤٠١ ، ديوان ظافر الحداد ٢٥٤ ، وأنظر الروشتين ١٥٦/١ ، ٣٩٦/٢/١

٢١٦ ، ١١/٢ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ١٩٩/١/١ ، ٢١٦ ،

جواهر السلوك ٤٩ ، ٥٩/٥١ ، ٤٣ ، نهاية الأرب ١٩٦/٥ ، ١٤/٨ ، صبح

الأعشى ٥١٨/٦ ، ٢٥٠/٨ ، ١٤٦/١٠ ، مفرج الكروب ٢٢٢

القسم الرابع : الخطر الصليبي :

شكل الصليبيون بنزولهم المشرق الاسلامي خطرا على البلاد الاسلامية وأهلها ومعتقداتها ، وقد أظهر الأدباء هذا الخطر ونتائجه القريبة والبعيدة ، ليكون ذلك استنهاضا للهمم من أجل الوقوف في وجه الخطر أولا ، ثم القضاء عليه في النهاية .

وقد تابع الأدب في مجالتي الشعر والنثر الاحداث الكبار التي شهدتها المشرق الإسلامي إبان الوجود الصليبي فيه ، وأحسن الأدباء العرب تصوير هذا الخطر وعرضه ، فلم يقدموا الى الناس بصورة تدعو الى تجاهله وعدم التفكير فيه ، وهذا يفسر تركيزهم على إظهار الخطر في مناسبات النصر أو الدخ أو قبيل المعركة ، حين تكون همم المقاتلين عالية ، وأن يتحفزوا للقتال باعتبار السبيل الوحيد لدفع الخطر عن الأمة والبلاد .

ولم يجد الباحث في أدب هذه الفترة - على ما ولها - سوى موقف واحد ظهر فيه اليأس وعدم الاكتراث ، وذلك حين قام الفرنج بالهجوم على دمياط سنة ٦١٥ وأعلن الملك الكامل النفير العام ، في القاهرة ومصر ، وبين مشاهد الخزو الصليبي لمصر ، وأن ملك الفرنج قد أقطع مصر لأصحابه فقال أحدهم :

يهددونا بأهل عكسنا أن يهلكونا وأهل يافسنا
ومن لنا أن يماوا علينا فالروم خير من الريافا (١) *

ويلاحظ أن سبب هذه الدعوة اليائسة هو عدم إظهار الخطر الصليبي إذ ذاك بالحكمة التي أظهرها الادب طيلة الحروب الصليبية ، مما نشأ عنه نتائج سيئة ، فقد أظهر
الافرنج بصورة لا قويا القادرين على الاستيلاء على مصر دون شك ، مما أوجع عزائم الناس

(١) السلوك ج ١ ق ٢٠٢/١

* في البيت الأول الاصل : يهددوننا حذفت النون خطأ لقواعد اللغوية ، وفي البيت الثاني الريافا : أهل الريث .

وَأَدْخَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَلَوْ قَابَلْنَاهُ هَذِهِ الصُّورَةَ مِنْ صُورَةِ حَصَارِ مَمْلُوكِنَا سَنَةَ ٥٨٦ لَوَجَدْنَاهَا أَنَّ قُوَّاتِ الدَّرَنْجِ كَانَتْ تَزِيدُ أَوْ تَقَارِبُ أَعْدَادِ الدَّرَنْجِ الَّذِينَ حَاصَرُوا دِمَاطَ ، وَلَكِنْ طَرِيقَةُ إِظْهَارِ الْخَطَرِ اخْتَلَفَتْ ، فَعِنْدَ حَصَارِ عَاكِ ارْتَبَدَ الْخَطَرُ بِاسْتِثَارَةِ عَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، بِالرَّغْمِ عَنْ كَثْرَةِ الدَّرَنْجِ وَالْمُحَاصِرِينَ لِاقْتِحَامِ عَاكِ ، يَقُولُ الْقَاضِي الْفَاخِلُ مِنْ كِتَابِ الْوَيْفِ الْأَسْلَامِ أَخِي صَالِحِ الدِّينِ فِي الْيَمَنِ : " ٠٠٠ فَالْبِدَارُ الْبِدَارُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ لَهُ بِدَارٌ فَصَالِحُ الْيَمَنِ لَهُ بِدَارٌ ، وَالْبَيْتَةُ الْبَيْتَةُ ، فَانْهَاجُهَا لَا تُنَازَلُ إِلَّا بِإِيقَادِ الْحَرْبِ عَلَى أَهْلِ النَّسَارِ ، وَالْهَيْكَةُ الْهَيْكَةُ فَإِنَّ الْبَعَارَ لَا تَلْقَى إِلَّا بِالْبَحَارِ ، وَالْمُلُوكُ الْكِبَارُ لَا يَتَّقُونَ فِي وَجْهِهَا إِلَّا الْمُلُوكَ الْكِبَارَ ٠٠٠ " (١) ، هَذَا وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ صُورَةِ الْخَطَرِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ :

- أ . الخطر على الأرض الإسلامية
- ب . الخطر على جماعة المسلمين
- ج . الخطر على الإسلام والتراث الإسلامي

* * *

الخطر على الأرض الإسلامية :

أقام الصليبيون إماراتهم على حساب البلاد الإسلامية ، فكانت الإمارات الأربع ، وأولها الرها ، وهي في الجزيرة الفراتية ، أي شرق شرق البلاد الإسلامية ، مما جعل لها أثراً كبيراً في إعاقة الوحدة الإسلامية ، وتهديد العراق والشام معاً ، وأما الإمارات الثلاث الأخرى فقد كانت ممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من شماله إلى جنوبه متوغلثة متوغلاً عميقاً في بعض المناطق الإسلامية ، حتى أصبح بوسطنها تهديد حلب ودمشق ومصر غير مرة .

وقد بسين الأدباء في مجال الحديث عن خطر الفرنج على الأرض الإسلامية نوعين من البلاد : تلك التي تعرضت للغزو وأثر الغزو عليها وعلى ما وراءها ، وتلك التي لم تتعرض للغزو ، ولكنها كانت مهددة به إن لم يهتف المسلمون جميعاً لصدّه .

وأما عن البلاد التي تعرضت للفتنة ، فيمكن تحديد بلاد الشام والجزيرة ومصر ، وقد أوضح الأدب خطورة الفرنج عليها عامة ، وعلى بعض البلدان المهمة خاصة ، كالقدس ودمياط والرها ، فهذا ابن الأثير يصف خراب الفرنج الذين في مناصرة الرها فيقول : " وكانت سراياهم تبلغ ديار بكر إلى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاعد ، ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين ورأس العين ، فاستأصلوا ما لأهلها من أثاث وعين ، وأما الرقة وحران فقد كان أهلها مذهبهم في ذل وصغار ، واستضاف واقتصر ، كل يوم قد أذاقوهم البوار . . . وانقطعت الدارق إلى دمشق إلا على الرحبة والبحر ، فكان التجار والسافرون يلقون من المخاوف وركوب الغارة تعباً وشقة ونصباً ، ثم زاد الأمر وعظم الشر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم غزاجاً واثاوه ، ثم لم يقتصروا بذلك حتى أرسلوا إلى دمشق واستمروا الرقيق من أخذ من الروم والأرمن ، وسائر بلاد النصرانية ، وخيروهم بين المقام عند أربابهم والعود إلى أوطانهم ، فمن اختار المقام تركوه ، ومن أثار العود إلى أهلته أخذوه . . . وناهيك بهذه الحال ذلة للمسلمين وأما أهل حلب فإنهم أخذوا مضافة أعمالهم حتى الرعي التي على باب الجنان ، ومنهم من سكن المدينة عشرون خدوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين . . .

البلدين " (١) .

ويبين طلائع بن رزيك في رسالة بعثها إلى أسامة بن منقذ حمرته لخلو القدس من أهلها فيقول :

لنفس نفسي على ديار من السكسا (م) ن أقوت فليس فيها عريب (٢)
ولم تقف الدخاورة عند هذا الحد ، بل وصل الأمر بالفرنج أن غيروا معالم المدينة ،
فبنوا على الصخرة كنيسة ومذبحاً وجعلوا فيها الصور والتماثيل (٣) ، ولذلك صور الصناد
القدس مائة طيبة حين خلصها صلاح الدين من هذه الدخاورة يقول :
الآن تاب إلى البيت المقدس كالبيت المحرم إحرام ومقتصر (٣)

(١) الباهر ٣٤ ، وانظر ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ورقة ٦١

(٢) ديوان طلائع بن رزيك ٦٣

(٣) الأنس الجليل ٣٣٩/١

ويؤيد ابن الساعاتي قول العماد ، لأن صيانة القدس تعني صيانة الحجج
ثم يبين عمل المحطم عيسى بن العادل في حماية القدس وأعلمها من خطر الفرنج فيقول :

حصى القدس من زرق الأعادي بسمرها
شكا أهلها دائي محول وخيفسة
سقى ربها ماء النجيج سيوفيسة
فلم يبق في ساحاتها غير مسلميسة
وما صانها دارا تعلى وأختميسة
فما تجد الخطي إلا تحطميسة
فأجرى على أطرافها الماء والدم
ففي غيرها لا يستجير التيميسة
ولولا له لم يبق الفرنجة مسلميسة
ولكنه صان العظيم وزممة (١)

واهتم الإلباء كذلك بدمياط ، وركزوا على أهميتها من جميع النواحي (٢) ، فهي
مفتاح مصر ، وقد احتلها الفرنج عدة مرات للعبور منها إلى داخل مصر ، ولكنهم كانوا
يغفلون في النهاية ، وفي حصار النجف لها سنة ٦١٥ كتب الأمير جمال الدين الكثاني إلى
الكاظم رسالة حمزية ، ورمها إليه في شباب ، وقد جاء في تلك الرسالة :

هذا كتاب موضح من حال المستفي
أشكو اليك عدو سوء أجد قسيسة
فالهر قد ضعت إليه دار يقسيسة
فخضوعه باد على أبراجيسة
ولو استطلاع لأب بابك لا تسيسة
ورسوله في أن تجيب دعسيسة
فقد انتهت أدواؤه وتحكميسة
ما ليس يمكنني لديك أقوليسة
بجميعه فرسانه وخيوليسة
والبحر عز لنصره أسلوليسة
وخنيته وكاؤه وعويليسة
لكنه سدت عليه سبيليسة
دين الإله وخلفه رسوليسة
عازته ونحما عليه دعوليسة (٣)

ولكنه مع هذه الحالة الحزينة لم ينقطع أمل ولا رجاءه بل هو يستثير همة الكامل
لتحقيق رجاء البلد العزيز فيقول :

وبقي له رمق يعير يرتجيسة
فأخرج حماك بعزم متشفي بهيسة
فالله أعطاك الكثير بفضليسة
فالعذر في نصر الإله ودينيسة
والثغر نأثره إليه محميسة
أو يشتش لما دفاك عليليسة
دء لملك يرتجى تملوليسة
ورجاء من هذا الكثير قليليسة
ما ساء ضد المسلمين قبوليسة
ما إن يمل من الدموع تحول (٤)

- (١) ديوان ابن الساعاتي ١٧٨/١
- (٢) انظر ابن دقاق ، الانتصار لؤاسدة عند الأصار ج ١ ص ٨٠ و ٧٨ عن تقي
- (٣) السلوك لمصرفة دول الطواك ١٩٩/١/١
- (٤) المصدر السابق ١٩٩/١/١

وحين جاءت الامدادات من الأشرف موسى والمعظم عيسى ، انتصرت القوى الإسلامية الموحدة على الفرنج ، فقال ابن دنيشير مخاطباً الأشرف موسى ومبيناً خطورة وجود الفرنج على عقيدة أهل دمياط :

وظريفة الاسلام أنت أعدتـهـمـسـا من بعد طول تشرد ونسود (١)

ومع أن الخطورة كانت بصورة خاصة على بعض المدن المهمة ، إلا إنها كانت تعني أن البلاد كلها كانت مهددة بالخطر ، وقد بين الشعراء بالفعل خطورة الفرنج على جميع أرض مصر والشام ، فيقول المعاد مثلاً في تلوارن شاور مع الفرنج مبيناً خطورة هذا الممل على مصر بلد الاسلام :

هو الذي أدامع الافرنج في بلد الا (٢) سلامتني سنوا للتصد والتالب (٢)

ولما تكررت هجمات الفرنج لاحتلال مصر ، والمسلمون في حالة لا تدبرهم على التصدي للفرنج ، تضرع الشاعر عمارة اليميني لله أن يحفظ مصر من المصير السيئ ، والثمن التي تنهض كالجر فقال :

يا رب اني أرى مصرا قد انتهت لها عيون الليالي بعد رقدتها
فاجعل بها ملة الاسلام باقيسة وأخرج عتود الهدي من حل عتدها
وهب لنا منك عوناً نستجير به من فتنة يتلظى بحر وقدتها (٣)

ويقول وحيش الأسدي مبيناً خطورة الفرنج على الشام لولا صلاح الدين :
والشام لو لم يدرك أهله اندرست آثاره وغت آياته حقبسـا (٤)

ويقول ابن عبد الله الأحرار في مدح تادورن بعد انتصاره في معركة حصن سنة ٦٨١ :

هذا المقام الذي لو لم تحل بسـه لم يبق والله لا شام ولا مصير (٥)

وقد وفق الأدباء في ربط هذه البلاد التي تعرضت للخطر السلبي بالهجمات الإسلامية البعيدة لاقتحام البعدين عن أرض المعركة بأن وقوع بلد من بلاد الاسلام في أيدي الأعداء يعني وجوب الجهاد على كل فرد وان يعتمد وطنه ، وإلا فإن تلك البلاد البعيدة معرضة للمصير نفسه ، ولذا حرص الأدباء على ربط البلاد المعرضة للخطر بالبلاد الأخرى ، وهذا يدل على بعد نزار وعق تنكير ، كان من أهم آثاره انجاح الفصل من أجل الوحدة والجهاد لدارد الفزاة .

- (١) ديوان ابن دنيشير ٢٠
- (٢) عقد الجمان ١٢/٢/٤٢٣
- (٣) خريدة القصر : قسم الشام ١٤٠/٣ والنكت المصرية ١٩٠
- (٤) الخريدة / قسم الشام ١/٢٤٣ وانظر مثلاً آخر في عقد الجمان ١٢/٢/٤٢٣
- (٥) عقد الجمان ٢٠/٤ ورقة ٦٧٧

وأول ما يلاحظه المرء في هذا الصدور ربط البلاد المحزونة بالأماكن الدينية في مكة والمدينة المنورة ، وقد كان هذا الارتباط ماثلاً في تنكير نور الدين محمود ، حتى تحلت له رؤيا في نومه أكثر من مرة واحدة ، فقد روى ابن قاضي شهابية ، أن نور الدين رأى النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٥٥٧ يقول له : " يا محمود أنت الذي من بني سنان الشخصين ، يشير إلى رجلين تجاوبه ، وقد تكررت هذه الرواية ثلاث مرات في ليلة واحدة " (١) .

ومجد سنة ٥٥٧ هـ بمحشرين عاماً بجي الزنج غلبهم ورجلهم وتصدوا لتيما السني يقول فيها الحماد : " وهي دليلاً المدينة " (٢) ثم قام أرباط في السنة التالية بتجهيز جيش بري وبحري لغزو العجاز وأيلة من الكرك ، يقول القاضي الفاضل : " وكان للفرنج مقصدان : أحدهما قلعة أيلة التي شي على فوهة بئر العجاز ومدخله ، والآخر : الدخول في هذا البحر الذي تجاوزه بلادهم من ساحله " (٣) . وقد نجحوا في الوصول إلى أعناق الجزيرة ، ولكن صلاح الدين علم بذلك فأرسل إلى أخيه العادل بتحريرك الأسطول المصري بقيادة حسام الدين لؤلؤ ، وتكن منهم وهم على بعد ليلة من المدينة فقتل من قتل وساق الأسرى إلى القاهرة ، فكتب صلاح الدين إلى العادل " بضرب رقابهم ، وقطع أسبابهم بحيث لا يبقى منهم تين تارف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يحرف " (٤) .

ومن المواقع التي اتخذها الفرنج لتهديد الأراضي المقدسة في العجاز حصن الكرك ، وقد سبق الحديث عنه ، وأما خطورته فقد تحدث عنها القاضي الفاضل بقوله : " وجعل (حصن الكرك) من تمام الإسلام مكان عمامته ، وجثم على أنفاس التجسس ، فلهدح نفعا يصعد من شهابته " (٥) ، ويقول عن قلعة الكرك : " وكانت طلسم الأسلام آية مبررة ، بل كانت لكعبة الله (زادها الله شرفاً) أيقونة " (٦) .

ومن هنا نجد إشارة الأدباء إلى الأمانات البيت الحرام بعد امتلاك المسلمين للكرك ، وحتى حين يهزمون الفرنج هزيمة تقوى أجنحتهم وتقل شوكتهم ، يقول الحماد : واشتد الكفر في أسلمه إلى الإسلام ، وتبهم محل هذا البيت (حصن الكرك) أسكن البيت الحرام " (٧) .

(١) ابن قاضي شهابية ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ٤٨ - ٤٩

(٢) الروشتين ٢٢/٢

(٣) المصدر السابق ٣٧/٢

(٤) المصدر السابق ٣٦/٢

(٥) ابن نباتة المصري ، التناضل من كلام القاضي الفاضل ورقة ٢٥

(٦) المصدر السابق ورقة ١٠١

(٧) التتج القسي ٢٢٦

ويقول أيضا في انتصارات صلاح الدين :

ونام من لم يزل حلفا له المهبر
بيت المحرم إحرام ومختصر (١)

الآن قرت جنوب في مضاجعها
الآن تاب الى البيت المقدس كالأ

ويقول أبو الحسن الذروي في حسام الدين لؤلؤ :

وذبت عن أحمد والكعبة (٢)

كفيت أهل النعمين السعدا

وحين جاء ملك الانجليز ، أراد احتلال القدس ، فقام صلاح الدين بتحصينها وتسميم الآبار التي في طريقها ، فعاد الفرنج عنها ، ولجأ ملكهم الى المفاوضات والترح على صلاح الدين ، حتى عقد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ ، ويقول ابن الساعاتي : «هنا خطورة الفرنج على البلاد المقدسة :

ولسال سول نداء في بطحائه
لترنم الناقوس في أنفائه (٣)

لولاك أم البيت غير مدافعي
مكت جفون القدس ثانية دمسما

ولئن كان للحجاز من القيمة الدينية ما جعل الأدياء يهرون خطو الفرنج عليها ، فان الأدب أبرز خطورة الفرنج على العالم الإسلامي كله ، فقد بعث الملك المظفر عمسى كتابا شتمه بهيتين من الشمر الى الخليفة المباسي يطلب منه التدخل النحلي في المعركة ضد الفرنج ، وبين له خطا الثن بأن أرض بغداد بعيدة عن ميدان المعركة ، فإن انقضاء الطريق من الشام يعني سقوط بغداد أو تهديدنا ، والبيتان للأمسير عبد المحسن الكاتب الحلبي وهما :

لها على الكثر ابراق وارسماد
لا تنفلن ، فأرض الطور بغداد (٤) x

قل للخليفة لا زالت عزائمه
إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا

وقد تنبه ابن مثير الى خطورة الترنم على البلاد الإسلامية قبل ذلك بكثير ففي سنة ٥٤٧ هـ افتتح نور الدين حصن انطرسوس ، فأشده ابن مثير قصيدة بحلب منها :
ولو لم تشرق وتشم لأمسسى
وأصبح لا عراق ولا شمسام (٥)

(١) عقد الجمان ١٧/١/١٨٠

(٢) الروضتين ٣٦/٢

(٣) تاريخ ابن الفرات ج ٤ ص ٨٦/٢

(٤) نهاية الارب ج ٢٧ ورقة ٦٦ والذيل على الروضتين ١٠٣

* في نهاية الارب :

إن الفرنج بأرض القدس قد نزلت لا تنفلن ، فأرض القدس شداد وهو غير متفق مع الأحداث التاريخية إذ ان القدس سنة ٦١٤ لم تكن قد أعطيت للفرنج
** في الأصل تعترف ، ولا معنى لها هنا ، فالمقصود الدخول في العراق والدخول في الشام
(٥) الروضتين ١/١/٢٢٠ وانظر ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ مط دار الجليل

كما تنبّه الى ذلك عمارة اليمني سنة ٥٦٤ هـ إذ يحصل حكم صالح الدين لمصر تأمينا
لقبر الرسول عليه الصلاة والسلام من خطر الفرنج ، يقول :

بكم آمن الرحمن أعظم يَسْتَرْثِرُ
ولم يَرْجِعْ مَصْرًا إِلَى الْكَفْرِ لَانْطَوَى
ولكن شددت أزره بِسُوءِ زَارَةٍ

يا ألف مولاي أين ألف دينسار
وما تفي جنة الفردوس بها النار (١)

قل للصالح محيني عند إصصاري
أخشى من الأشر إن حاولت أرضكم

ويقول في الثانية :

زمانا على البحر الكريم بهجـ
بها في يدى قبل الممات تصير
سياج ، قتيل دونه وأسير (٢)

إليك صلاح الدين مولاي أشتكسي
ترى أبصر الألف التي كنت وأعدى
وهيما والآن فرنج بيني وبينكم

ويصف سبط بن الجوزي حالة الذعر التي نشرها الفرنج ، وما نتج عنه تقطع
المواصلات بين المدن الإسلامية ، يقول : " وجئنا إلى عتبة أفيق ، والطير لا تقدر أن
تطير من خوف الفرنج " (٣) ، وقد ظهر هذا الخطر العام على المسلمين منذ أن وطئ
الصدو الفرنجي أرضهم ، إذ احتل البلاد وشتت العباد ، وأشاع الفساد ، وأهلك الحرث
والنسل ، وقتل الفتيات والأطفال ، دون أن يرضى حرمة أو يحفظ عهدا ، يقول ابن الخياط :

ولا يعرفون مع الجور قصدا
ولا يتركون من الفتك جهيدا
تدق من الخوف نحرا ونحدا (٤)

بنو الشرك لا ينكرون الفساد
ولا يردعون عن القتل نفسا
فكم من فتاة بهم أصبحت

وقد نشع عن هذا الإهلاك والتشتيت أن عاش الناس في ظروف قاسية ، كانت سببا في
تحرك نور الدين لانقاذ دمشق ، ولكن صاحبها مجير الدين استنجد بالفرنج ، فكتب إليه
نور الدين ملاملا سبب نزوله في صداقة دمشق ، وهددنا له الأخطار المحدقة بها من الفرنج ،
يقول : " انني ما قصدت بنزولي هنا طلبا لمحاربتكم ، وإنما دعاني إلى هذا الأمر كثرة
شكاية أهل حران بأن الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم بيد الفرنج ،
وعدم الناصر لهم ، ولا يسعني مع ما أعطاني الله من تعالى - أن أقعد عن نصرته المسلمين مع
مصرفتي بمجزمكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها " (٥) ، وقد تكرر هذا الخطر عندما
كان الصف الإسلامي يصاب بالضعف أو التصدع ، فهذا ابن عيين يرثي الممظام عيسى مشيدا
بأعماله التي كان منها حفظ البلاد والعباد من الفرنج ، يقول :

عن نصرته لتحكمت فيها العدا
فيها سبايا ، والموالي أجسدا
تجتاب ما بين الحق إلى كدى (٦) *

وديار مصر لو وشت عزما تسه
ولأست البيض الحرائر أسهما
ولأصبحت خيل الفرنج مفيرة

- (١) الخريدة / قسم شعراء الشام ١ / ١٧٨
(٢) الروشتين ١ / ٢ / ٤٤٩ الخريدة قسم الشام ١ / ٢٠٨ (وفيها : وأسير) وعقد الجمان ١٢ / ٢ / ١
(٣) الذيل على الروشتين ٧٠ (٤) ديوان ابن الخياط ١٨٤
(٥) الدر الثمين في سيرة نور الدين ٩٧ (٦) ديوان ابن عيين ٦١
* كدى / بلد قرب مكة

وينكر ابن دنيير على المسلمين أن يعيشوا في حياة مرفهة ، وهم لا يأمنون علمى حياتهم والموت يترسب بهم ، فيقول :

أيطمح أقوام بنعمة عيشية متى عطشوا فالموت دونهم ورد (١)

وسبب هذه الحياة القاسية عدم استقرار الناس في ديارهم ، لا في بدو ولا في حضر ، ولذلك يمدح ابن دنيير الملك الحارث الذي أعاد إلى ديار أهلها :

أثبت ديارك إذ أعيت رياستها كل الوري وتنامى البدو والحضر (٢)

ويذكر الملك لا مجد سببا آخر هو الذهب الذي يقوم به الفرنج على عين غيلة من أهلها ، يقول عن عمل جماعة من الفرنج في نابلس بأنها : قتلت فيها المشايخ والشهوان ، وسبيت الحلال والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرا من الأموال والفلال ، وصا جمعه المسلمون لأزمتهم في السنين الداوال (٣) ، وقد أشار ابن أسعد الموصلى إلى خطر آخر يتهدد الأعداء الإسلامية ، إذ إن الفرنج حاولوا تمزيق المسلمين أو زيادة شدة الخلاف بينهم ، ولذلك فإن من صفات القائد الإسلامي أن يقوم على نصرة أخلافه وإنجادهم مهما كانت مخاطر العون والإنجاد ، يقول في مدح صلاح الدين :

لهبته عن نصرة خلفائه عدد العدو ولا يحد الموضع

بجحافل مثل السيول تدافعت وإذا السيول تدافعت لم تدفع (٤) *

* * *

ثالثا : الخطر على الإسلام والتراث الإسلامي

كان من أهداف الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي القضاء على عقيدة الإسلام وهذا ما سبق ذكره في الصراع الحثائدي ، والجدير بالذكر هنا أن نشر مبادئ الفسادة شكل خطرا على الإسلام ، لا لأن هذه المبادئ تمثل فكرا يشكل خطرا على الفكر الإسلامي ، بل لأن القوة في بعض الفترات كانت إلى جانب الذنوة ، فتراهي لهم أن القوة العسكرية وقوة العقيدة الدينية صنوان ، يقول الملك لا مجد : فرغ الكفار الصليبي على رؤوس الأشهاد والمشاهد ، وأعلنوا بما يفترونه من التثليث الذي تنزه عنه الله الأحد الواحد ، فاستفحل الشر وأضل الداء ، وعز على اللديخ الشفاء ، وأقاموا بها (نابلس)

(١) ديوان ابن دنيير ورقة ٢٠٠ (٢) المصدر السابق ورقة ٢٢

(٣) النوائد الجلية في النرائد الناصرية ورقة ٩٥

(٤) منظر الحقائق ص ١٠٠

* للمزيد من الأمثلة أنظر : صبح الأعشى ٤/٧ ديوان ابن الساعاتي ١٧٨/١

ديوان ابن دنيير ١٧٤ ، عقد الجحان ٣/١٦ ٣٣٨ ، ٤٥٧ ، السلوك لمعرفة

دول الملوك ١/١ ١٩٩ ، الاعتبار ١٢ ، ٣٤ ، تاريخ ابن الوردي ٨٧/٢

ثلاثا لاكمال فتكهم وإظهار إنكهم . . . (١) " وقد أدرك الأدباء هذه الخطورة ،
وتجنبوا تخايق الاسلام وحرجه من اعلان شمائر الفرنج ، يقول بعضهم في مدح سيف
الدين غازي أخي نور الدين :

أثابك ان سميت في المهد غازيا
وقيت بها والدين قد مال روقسه
ويقول عبارة في مدح شاور :

أقسمت لولا حسن رأيك لاغدى ال
وكتب القاضي الفاضل الى السادل سنة ٩٣٥ هـ يخبره بوصول نجدات الفرنج الى بيروت ، وخطورة
ذلك على البلاد والدين يقول " . . . وللإسلام اليوم قدم ان زلت زل ، وهمة إن ملست
فان النصر منصل . . . (٢) " ويقول صاحب شرف الدين الأنصاري :

فكاد يقضي على الاسلام جاهليهم
وحين حاصر الفرنج دمياط كتب الأمير جمال الدين الكثاني الى الملك الكامل :
ولئن قعدت عن القيام بنصيره
جفت نضارته وان ذبوله (٣)

ويقول ابن عنين في المعظم :
لولا دفاعك بالصوارم والقنسا
ويقول في الأشرف موسى :

لولاك لانصمت عرى الاسلام فسي
وتحكمت منها الفرنج وغادرت
وفي زمن تورانشاه نزل الفرنج على دمياط وحاولوا تنيير صبغة المدينة لولا صمود تورانشاه ،
يقول علي بن عرام :

وقد كاد دين الله يخفت نسوره
فتمتتموه بالأسنة والخابسا
ويلاحظ من الأدلة السابقة تركيز الأدباء على أن الاسلام يواجه عدوا متسلحا بالقوة والعتاد ،
ويرى بتهديل وشيك وتقليب
وتصعيد آراء كنهه وتصويب (٤)

(١) الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ورقة ٩٣

(٢) عقد الجمان ١٢/١/١٩٢

(٣) النكتا المصرية ٣٦٩

(٤) الروضتين ٢/٢٣٢

(٥) ديوان صاحب شرف الدين الأنصاري ٢٨٣

(٦) السلوات لمصرقة دول الملوك ١/١/١٤٩

(٧) ديوان ابن عنين ٦١ ومفرج الكرب ٤/٢٢٠

(٨) ديوان ابن عنين ١١ ومفرج الكرب ٤/١٠٦ ، وعقد الجمان ١٢/٢/٤٢٠

(٩) خريدة القصر وجريدة العصر / قسم شمراء مصر ٢/١٧١

يريد أن يقتني عليه ، ولم يقل أحد منهم إن الاسلام يواجه ديناً أو نكراً يشكل خطراً عليه ،
ولذلك أحس الأدباء بمودة الحياة الى الاسلام ، بعد كسر الفرنج في عطين وغيرها ،
لأن القوة التي تشكل خطراً على الاسلام قد انقضت شوكتها ، يقول ابن سناء الطوك في
صلاح الدين :

أنت أحييته وقد كان ميتاً ثم اعتقته وقد كان قساً (١)

وعندما ما أدركه القادة المسلمون ، فهذا الكامل بن شاور يقول لأبيه الذي أراد الاستنجاد
بالفرنج حين جاء شيركوه ٥٥٠ " ولئن بُقِلَ ونحن مسلمون ، والبلاد بيد المسلمين خير من
أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسمموا بالقبض على
شيركوه ٥٥٠ " (٢) ، وهذا صلاح الدين يصارع ابن شداد بأنه ان ترك الجهاد بقيت
مع الكفر حصون ٥٥٠ " اغتال أمرنا الحصون لا سيما صفد وكوكب فانهما للدأوية والاستبارية
في وسط البلاد ، والنور الاسلامية بهما واسية السداد ٥٥٠ " (٣) ، وقد كثر الأدباء
عن خطورة الفرنج على الاسلام بخطورتهم على القرآن ، فهذا الأمير جمال الدين يصف
حالة القرآن لدى نهوض المسلمين في الدفاع عن ديار سنة ٦١٥ بينما يرتفع الصليب ويتلى
الإنجيل يقول :

وهدت قوى القرآن فيموت قصت
وعلا صدى الناقوس في أرجائه
صلبانه وتلي به إنجيله
وخفى على سمع الهوى تهليله (٤)

ويقول ابن النبيه في ذلك :

الله أكبر أن تسمى دزاعهم
تتلى وتمسى من القرآن آيات (٥)

كما بينوا خطورة الفرنج على الاسلام بانظهار خطرهم على الصلاة ، ولذا مدح الشعراء
القائد الاسلامي الذي خلص المدن من الفرنج وأقام الصلاة فيها ، يقول ابن دنينير نسي
مدح أسد الدين المهراني الذي فتح يافا سنة ٦٠٨ :

وأقامت الصلاة في ذلك الصدر
ب وقد كانت الصلاة مكساة (٦)

-
- (١) ديوان ابن سناء الطوك ٨١٤
(٢) الروضتين ١/٢٥٦ - ١٥٧ مطبعة دار الجيل
(٣) الروضتين ١/٢٣٦
(٤) السلوك لصرفة دول الطوك ١/١/١٩٩
(٥) ديوان ابن النبيه ٦٧
(٦) ديوان ابن دنينير ورقة ١٢٢

وقد تحدث الأدباء العرب بحرقته عن تحويل المساجد الى كنائس ، ومن ذلك ما ذكره الرحالة ابن جبير عن عكا بقوله : " فسادت مساجدنا كنائس وصوامعها مصارب للنواقيس . . . " (١) ويقول ابن عيين في جهنم الفرنج الذين اتخذوا المساجد بيما يعبدون فيها الصليب :

وشنر دميما فكم من بيعة
يقول في الاثر موسى الذي أبعد خطر الفرنج عن دميما :

وتحكمت فيها الفرنج وغادرت
أعاجبها بحراب عمرو هيكلها (٢)

ويقول فيه :

لو لم يقهوسى بنجر محمد
لصلا على درج الخطيب الأسقف (٤)

وقد مدح الأدب القائد الاسلامي في مناقحته عن المساجد حتى لا يذنبها الفزاة ، يقول ابن التيسراني في مدح تاج الطوك بوري :

وحاولوا المسجد الأدنى فاعبرت
عن مسجد القدامى الأقصى لهي قدم (٥)

كما أعلنوا فرحتهم وفرحة الاسلام بخلصه من الاعداء ، يقول ابن دنينير :

فثم ترى الاسلام يفر وجهه
سرورا ونجم الحق في أفقه يبدو (٦)

ويقول :

تهلل الدين والدنيا به فرحا
استبشرت مكة والعجزة والحجر
أبتخان يثرب ثريا لفادحة
من بعده إذ سرت في ذكره المسور (٧)

ويقول آخر :

بمذا الثغر للإسلام متمسما
بعد الأناجيل آيات القرآن به
يقول عرابه لو كان يسمنا
بمدح النبوة وفيه الله مذكس
تلقى وقد نصح الناقدون تكبيرا
محدث ناصر والشرع منسور (٨) *

- (١) رحلة ابن جبير ٢٢٦ (٢) ديوان ابن عيين ٦١
(٣) المصدر السابق ١١ (٤) المصدر السابق ١٥
* للمزيد أنظر : الروتين ٨٢/٦ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٣ : الكامل ٥٣٩/١١
رسائل ابن الاثير ١٥٥ ، الاعتبار ١٥٥ ، فتح الكروب ١٨/٤ ، القديس لوي
حياته وعملاته على الشام ومصر (مذكرات جبرائيل ص ١٠٢)
(٥) عقد الجمان ١٨٦/١/١١ (٦) ديوان ابن دنينير ورقة ٢
(٧) المصدر السابق ورقة ١٤ (٨) عقد الجمان ٤٦٠/٢/١٢
* للمزيد عن فرحة البلاد أنظر : ديوان البهاء زهير ١٢١ ، ديوان ابن دنينير ١٤٤
عقد الجمان ١٨٦/١/١٢ ، ديوان ابن النبيه ٧٦

وكما شكل الفرنج خطرا على الاسلام ، شكلوا خطارا على التراث الاسلامي والقيم
الاسلامية ، مما جعل الشعراء يتقدمون القائد الذي يحافظ على هذه الفضائل ، يقول
ابن دنينير في المصظم :

فَلْتَشْكُرْكَ بنو العباس بعمد هم
أَلْبَسْتَهُمْ عَزَّةً مَسَاءَ دَهْرٍ كُفُّهُمْ
لأبل قريش توذي الشكر بل مضر
من بعد ما قد طووا ما كان قد نشروا (١)

ومما اُمتدح به القادة المجاهدون ، معافاتهم على الخلافة باعتبارها الوعاء السياسي
الذي حوى الاسلام ، يقول عمارة اليمني في مدح صلاح الدين سنة ٥٦٤ هـ :

حميتهم الافرنج سرب خلافة
حصى الله فيكم عزمة أسديت
جريت لها مجرى الأملن من الدهر
بكم بين الاسلام من بين الامم (٢)
ويقول ابن دنينير في مدح الأشراف :

حفلات ملك بني السباس وانحفلات
بك الشريعة ان غيرت بك الفير (٣)

(١) ديوان ابن دنينير ورقة ١٥

(٢) الروايتين ٤١٦/٢/١

(٣) ديوان ابن دنينير ورقة ٢٣

الفصل الثاني

أشواء على حياة الصليبيين

أولا : الحياة الاجتماعية :

اطّلع المسلمون بسبب الاحتكاك على ألوان من حياة الصليبيين الاجتماعية ، ولمسوا بشكل عام تركيب المجتمع الصليبي ، فتحدثوا عن ذلك باعتباره الرئيس الأعلى ، ثم عسكـن الامراء وكبار الفرسان وطبقة التجار الاغنياء (١) ، وأخيرا طبقة الفلاحين (٢) ، وكذلك ميزوا بين ثلاث طبقات في الكيان الصليبي ، هي : طبقة النبلاء ، وطبقة التجار ، وطبقة الفلاحين .

وبالرغم من أن الأدباء المسلمين لم يفهموا لغة الفرنج " لأنهم لا يتكلمون الا بالفرنجي " (٣) ، الا أنهم سجلوا ما رأوه وما سمعوه عن طريق الترجمة ، أو عن طريق الاختلاط بالفرنج الذين تعلموا العربية ، يقول الصادق : " وأعرضنا الترجمان وأدى عنالبيان " (٤) .

وقد جاءت ملاحظاتهم عن المجتمع الصليبي متفقة مع ملاحظات المؤرخين المسلمين أو المؤرخين المحدثين من الأوروبيين ، ويمكننا مسايرة الحياة الاجتماعية الصليبية في إطار مجالات ثلاثة : ما يتعلق بالمعتقدات ، وما يتعلق بالحياة وقت الحرب ، وما يتعلق بالحياة العامة .

ما يتعلق بالمعتقدات :

وأول ما يسترعي النظر في عاداتهم الدينية العزم على بناء الكنائس والاعتماد بها ولو كان ذلك خارج المدن ، فحين خشي الفرنج لعصار بانياس نصبوا خيمة كبيرة ، وجعلوها كنيسة يصلون فيها ، ثم فرسوا أرضها بالحلفاء والحشيش (٥) ، أما الكنائس التي في المدن فقد تأنقوا في بنائها ، وأقاموا فيها التماثيل ، وعلقوا على جدرانها الصور ، فكانت مزار

(١) أنظر أسامة بن منقذ ، الاعتبار ١١٤

(٢) أنظر عبد الحفيظ محمد علي ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ٩٥-١١٣ (ستانسل) القاهرة ١٩٧٥

(٣) الاعتبار ٦٦ وأنظر ١٤٠ وديوان فتيان الشافعي ٣١٨

(٤) الفتح القسي ٢٣٩ ، وأنظر النوادر السلطانية ٣٦ ، ٣٣

(٥) الاعتبار ٨٦

اعجاب الادباء ، يقول العماد في وصف كنيسة بنوها على الصخرة : " وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا ، ولم يتركوا فيها للأيدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسا ولا مطمحا ، وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان ومحت الانجيل وكلوا بها أسباب التعظيم والتبجيل ، وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة ، بأعمدة الرخا منقبة ، وقالوا محل قدم المسيح ، وهو مقام التقديس والتسبيح ، وكانت فيها صور الأنعام مثبتة في الرخام ، ورأيت فيها التماثيل وأشياء الغنازير (١) . " ويرى الجسري عن الشهاب أحمد الحفيلي أنه رأى بعد خراب عكا على بعض أبواب كنائسها مكتوبا :

أدسى الكنائس ان يكن عبثت بكم أيدي الخواث أو تنير حـال
فلطال ما سجدت على أبوابكم شم الانوف ججاج أ بطال (٢)

ويصف النص عادة السجود بالانحناء حين دخول أبواب الكنائس ، وذلك تعظيما للصليب * وللقيسراني في تجلياته تجزية فريدة من نوعها ، وصف خاتمتها الكنائس وما يجري فيها من قداس ديني ، وهو بذلك يؤكد ما وصفه العماد وغيره ، ويضيف صورا جديدة عما يجري داخل الكنيسة ، أما حديثه عن الصور في الكنائس ، فيظهر في وصفه للراعية الساجدة لصورة مسلفة ، يقول :

كم بالكنائس من مبتلـة
من كل ساجدة لصورتها
مثل السها يزينها الخـنـر
لو الصقت سجدت لها الصـر (٣)
كما يظهر في مناجاته لأحدى الراهبات ، إذ يدالـب منها أن تعامله كالصورة المسلفة فسي الكنيسة ، يقول :

مبيني صورة يحني عليها
فلم يسمع بأدرك من فتـمة
أجيب إذا دعيت ولا تجيب
من الرهبان قوتتها أديـمـب (٤)

ويقول :

فيا ليتني عندي دميـسة
فأشملوا أني استطـيـس
تراني ولا ريب في ملمـسـي
تحولت صورة مخرجـسـس (٥)
وأما الصورة الجديدة التي قدمها من خلال تجربته الشخصية ، فهي ما رآه في كنيسة برسارة وهي للفرنج خاصة دون غيرهم ، إذ رأى القس فيها يتلو قداسا في الليل ، وحوله الراهبات الجحيلات يرتدين المايبر الثينة يقول :

بدنك يا قس برسـارة
وما بت تـلوه في الحنـسـس

- (١) النتح القسي ١٤١ ، وأنظر ص ٩٥ و ٦٢٨
- (٢) جواهر السلوك ورقة ٤٨ ، وأنظر ٤٩
- * تبين فيما مضى أنهم يعظمون الصليب ويعتقدون به ، ومن الأمثلة الأخرى قول ابن القيسراني في راعية :
- أعظم الصليب ودت أني ودين الله عندكم صليب (ديوانه ورقة ٦٤)
- (٣) مغاودة ديوان ابن القيسراني ورقة ٦٢ (٤) المصدر السابق ورقة ٦٤
- (٥) المصدر السابق ورقة ٧١

أجرني من الصور الناطقا
إذا من أقبلن وقت الصلا
وجالت مناطق أوساطها
وأجلسها ثقل أردافها
فلولا التخرج في طنستي
وقمت ألحن قداسهم من (م) غير بليد ولا أشمهم من (١)

فهو لولا تخرجه الديني لقام مقام الأسقف في تلاوة القداس ، وارتدى برنسا كبرئسه .
ومن المعلوم أن لباس الأسقف يختلف عن لباس الآخرين من الفرنج ، كما أن لباس الفرنج عامة
يختلف عن لباس المسلمين * ، ويظهر ذلك من الخطة التي اتبعتها المسلمون للدخول إلى
عكا وهي محاصرة ، إذ تزيوا بزى الفرنج (٢) . " وتصوروا رهبانا ومسحوا لحاهم ومسحوا
حلاهم ، وتلطوا وتكوفوا ، وتشبهوا بهم في كل بزة لكلا يشخونوا ، وشدوا زنانبسير ،
واستصحبوا خنازير " (٣) .

وفي هذا النص بيان لصادة أخرى غير اللباس ، وهي خلق اللحي ، ففي قول
المصاد السابق " ومسحوا لحاهم ، و... وتلطوا " ما يؤكد اختلاف الفرنج عن المسلمين
في هذا الجانب ، وشمة أدلة أخرى تثبت ذلك ، منها قول ابن شداد عن الهنغري : " إنه
شاب حسن ، إلا أنه مخلوق اللحية ، على ما هو شعارهم " (٤) .

ولكن توجد أوصاف لبعض ملوكهم تشير إلى أنهم أطلقوا لحاهم ، كما أن القساوسة
كانوا يذلقون لحاهم كذلك ، وليس في هذا من تناقض مع قول ابن شداد ، إذ أن عامسة
الفرنج يخلقون لحاهم ، وأما الطوك فقد أطلقها بعضهم ، كما جاء في وصف ملك الألمان بأنه
صاحب اللحية الغبراء " (٥) ، وخلقها آخرون كما جاء في وصف ملك الانكسار أنسبه
" قد أشفن من المرض ، وأشرف على المرض ، حتى خلق رأسه ، خلق لحيته ، واستلقى
لا انتظار منيته " (٦) . وأما القساوسة فلم يرد لهم يشير إلى أنهم خلقوا لحاهم (٧) .

(١) مخطوطات ديوان ابن القيسراني ورقة ٧١

* يقول ابن عسبن في وصف لباس المقاتلين :
عليهم من العادي كل مفاضة دلائل كثرن الشمس قد احكمت وضنا (ديوان ص ٣٠)

ويقول نجم الدين محمد بن الغفر بن اسرائيل بوصف لباس الملك فرنسيس الذي
سره تورنشا وأهدى لباسه إلى نائب دمشق :

ان غارة الفريس الذي جاء ت عبا لسيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

نهايتا لارب ٢٧ / ١٠١ وانذر الذيل على الروضتين ١٨٤ والبيت الأول فيها مكمور

زبدة الحلب ٣ / ١١٨ ، فخر الكروب ٢ / ٣٣١ (٢) الفتح القسي ٤١٧

(٤) النوادر السلطانية ١٨٢ (٥) الاقبار ٣٣٠ وأنظر ١٣٦ (٦) الفتح القسي ٤٩٧

(٧) تاريخ ابن القلانسي ٣٠٠

ومن عاداتهم الدينية اعتقادهم في رجال الدين ، كما اعتقدوا بنصرة الصليب لهم ، يقول ابن القلانسي في نزول الفرنج على دمشق سنة ٥٤٣ هـ " وكان معهم قميص كبير طويل السلاحة يمتدون به " (١) ويؤكد ذلك قول أسامة عن صاحب طبرية وجماعة : أنهم جاءوا بقميص ليطلب فارسا كبير القدر مع أنه لا يفقه بالكتاب شيئا ، ولكنهم كانوا يؤمنون بأنهم " إذا حط يده عليه عوفي " (٢) . ومحمد هذا ليس من الشريف أن يذكر ابن الأثير أن قول البابا عند حرق قول النبيين (٣) .

التصليب على الوجه :

ويعني ذلك أن يرسم الفرنجي علامة الصليب على وجهه ، حين يسمع أو يرى شيئا مروعا ، وإنما يفصل ذلك التماسا لمساعدة روح القدس ، يقول ابن القيسراني :
 فيها حسن ذاك الوجه إذ ربح روعة^١ فعوذ به فيها بتصلية اليه^٢ عدد (٤)
 ومن المواقف التي صلب فرنجي فيها على وجهه ، حين عقد شيركوه الصلح مع الفرنسيين والصوريين ، فجاءه أحد الفرنجة الغرباء فقال له : " أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المصريون ، والفرنج قد أحاطوا بك وأصحابك ، ولا يبقى لك هبة ، فقال شيركوه : يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله . كنت والله أضيق السيف فلا يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجال ... والله لو أطاعوني لخرجت إليكم من أول يوم ، ولكنهم امتنعوا " ، فصلب على وجهه وتساءل :
 " كما نوجب من فرنج هذه الهلاد ، وما لفتهم في صفتك ، وخوفهم منك ، والآن قد غدونا غم " (٥)
 وحين أظهر صلاح الدين القوة والاستعانة بقدم أسطول صقلية الذي هدده به جيش قواته بأن قال له : " وإنهم إن خرجوا أدقناهم ما أدقنا أصحابهم من القتل والأسر " ، فصلب^٣ مقدم الأسطول على وجهه (٦) .

وفي زمن الملك المظلم عيسى ، استمال نساء خيالة الفرنج بالهدايا ، وكان أن اكتشف أحداهم الأمر ، وسأل زوجته عن أرسلها ، فقالت : (الكريدي) ، فصلب على وجهه (٧) .

- | | | | |
|-----|---|-----|--------------|
| (١) | تاريخ ابن القلانسي ٣٠٠ | (٢) | الاعتبار ١٣٧ |
| (٣) | الكامل ٥٣/١١ | | |
| (٤) | ديوان ابن القيسراني ٧٥ ، وأنظر مذكرات جوائفيل ص ١٩٦ ، ٢٣٣ | | |
| (٥) | الكامل ٣٠٠/١١ | | |
| (٦) | الكامل ١٠/١٦ ، وأنظر الفتح القسي ص ٢٤٠ ، الروضتين ١٢٩/٢ | | |
| (٧) | نهاية الأرب ج ٢٧ ورقة ٣٨ | | |

عدم الاختتان :

ارتبط هذا الوصف بنوع من الشجاعة والاستهزاء ، لأن الوصف جاء في جو حربي
فيحمد انتصار المسلمين على أعدائهم الفرنج ، أظهر الأدباء ضماقتهم ، وتقليل أهميتهم
يقول ابن منير في فتح الرها :

يا لها من خنزير أنحككت
من بني القلندر ثنور الشائنين (١)
ويقدم ابن الجاور صورة دابة ، إذ إن رؤوس الفرنج تغطت بالسيف في حين إن نفوسهم
تزهق وهتلق غير مداهرين ، يقول :

سنت سيوفك في الرؤوس ختانة ذعت بمهجة كل علق ألقف (٢)

الأيام :

لم يتحدث الأدب عن أعيادهم ، أسمائها وأنواعها ، وإنما وصفوا أفراحهم في
بعضها ، وقد اشتهر من الأدباء في تسجيل ما شاهدوه من أعيادهم اثنان هما أسامة بن
منقذ وابن جبير ، وأما الأول فيصف عيداً في طبرية ، حيث أجريت مسابقة بين عجوزين في
ميدان كبير ، وفي نهاية الميدان خنزير جعلوه جائزة لمن تسبق أولاً (٣) بينما يصف ابن
جبير عيداً حل على الفرنج وهم مسافرون ، فاجتمعوا في المركب كصغيرا وكبيرا وصلوا الشمع
المضي (٤) .

الزواج :

ظهرت الدرة الفرنجية في الأدب العربي سافرة منالقة غير مضبطة ، تخرج دون
إذن زوجها ، وتتزوج دون إذن أوليها ، ومن ذلك أن زوجة ملك الفرنج بالشام أحببت رجلاً
من الفرنج الذين قدموا من أوربها فتزوجته ونقلت الملك إليه (٥) .
وقد كانت تجرى مراسيم الزواج بحضرة البدارك والقسوس ، وقد يحضرها جسم من
غير من الفرسان ، إن كان للزوجة مكانة خاصة ، كما يحضرها النساء ، وقد نقل ابن جبير
صورة حية لحرس أنرجي في صور ، يقول : " ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها
زفاف عروس شاهدناه بنهر في أحد الأيام عند مينائها ، وقد انتقل لذلك جميع النصارى
(يقصد الفرنج) رجالاً ونساء ، واصدافوا سماءين عند باب الصروس المهداة ، والبنقات
تضرب والمزامير ، وجميع الآلات الملهوية ، حتى غرقت تنهادي بين رجلين يسكنانها من
يمين وشمال ، كأنهما من ذوى أرحامها ، وفي في أبهى زي ، وأنكر لباس ،

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٠١
- (٢) الروضتين ١٠٤/٢ وانظر الروضتين ١٩٦/١/١ ، ومذكرات جوانفيل ١٤٥
- (٣) الاعتبار ١٣٨
- (٤) رحلة ابن جبير ٢٨٦
- (٥) الكامل ٤٩٠/١١

تسحب أذيال الحرير الذهب سحبا على الهيئة المسهودة من لباسهم ، وعلى رأسها
عصابة ذهب قد حُفَّتْ بشبكة ذهب منسوجة ، وعلى لبثها مثل ذلك منقلم ، وهي رافلسة
في حليها وحللها ، تشي فترا في فتر مشي الحماة وسير النمامة ، وأمامها جلة رجالها
من النصاري في آخر ملابسهم البهية ، تسحب أذيالها خلفهم ، وراءها أكتاؤها ونثاراؤها
من النصرانيات ، يتهادين في أنفس المائيس ، ويرفلن في أرفل الحل ، والالات اللهوية
قد تقد منهم ، والمسلمون وسائر النصاري من النذار قد عادوا في طريقهم سباطين يتطلعون
فيهم ، ولا ينكرون عليهم ذلك ، فساروا بها حتى أدخلوها دار بعلها . . . (١) .

ولا يملك ابن جبير إلا أن يستعيف بالله من فتنة المناظر ، ومن تلك الزخارف .

ومما أنكره الأدباء الحرب على المرأة الفرنجية استهانتها بالمشرة الزوجية ،
فهي لم تكن تعتد بعد وفاة زوجها ، وإنما تتزوج بعد وفاته بأيام قليلة حتى لو كانت حاملا
يقول الحماة عن الكندهرى بأنه " دخل بالملكة زوجة المكيين في ليلته ، وادعى انسه
أحق بزوجه ، وكانت حاملا ، فما منح العمل من نكاحها ، وذلك أفلح من سفاحها " (٢)
ويقول في أخرى : " وقيل إنها كانت حبلى ولم تخرج من حباله الحبل ، فما شغلهم حرمة
الرحم المشتغل " (٣) شهباق على ذلك بقوله : " فأنذار إلى استباحة هذه البطائفة
المشركة " (٤)

ولم يكن هذا الأمر افتراء عليهم ، فهذا المؤرخ الصليبي جوفانيلى يروى في
مذكراته ما يؤكد وجود هذه الظاهرة ، إذ يقول : " إن امرأة منهم قد تزوجت ولما يمض على
موت زوجها وقتطويل (٤) .

هذا فيما يتعلق بالزواج فيما بينهم ، وأما التزاوج مع المسلمين ، فقد كان ممنوعا
ومستهجنا إلا إذا تنصّر المسلم أو هربت هي من عندهم ، ويظهر ذلك مما جرى مسن
مفاوضات بين ملك الانكليز والصادل ، حين عرض الاول أخته على الثاني ، شريطة أن يتنازل
صلاح الدين لآخيه الصادل عن القدس وغيرها ، وهو يتنازل لاخته عن مناطق الساحل
وحين علمت بالخبر " تسخطت من ذلك وأنكرته انكارا عاليا وحلفت بدينها المنفذ مسن
يمنها أنها لا تفعل ذلك " (٥) ، ويصف الحماة الرأي الصام الفرنجي في ذلك فيقول :
فجبهوها بالعذل واللذع ، وأتجهوها بالقدح والقدح ، وقالوا لها كيف تفجئينا بأفجع مسلم
مؤلم ، وتسلمين بضمك لباضعة مسلم ، فان تنصرت تهصر ، وان تسن فما تفسر
وان أبى أبناؤه وان أتى أبنائه ، فرجبت من بعد ما رغبنا ، وطالت من بعد ما طالبت " (٦)

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٨ - ٢٧٩ (٢) النتج القسي ٥٩٠

(٣) المصدر السابق ٤٩٤ ، وأنذار الكامل ١٢٨ / ١٢

(٤) القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام ١٤٣

(٥) النوادر السلطانية ١٩٦

(٦) النتج القسي ٥٥٦ ، وأنذار الاعتبار ٩٦ ، والروضتين ١٩٣ / ٢ ، ١٩٦

ويؤكد هذا ما جاء في قصة مريم الزنارية التي تزوجت من مسلم في مصر ، فلما اختطفها الفرنج وعادوا بها الى اوروبا سألنها أمها عن زواجها ، فبينت لها أنها أجهرت على الزواج من المسلم (١) ، وأما اذا رغبت الفرنجية في الزواج من مسلم فإنها تهجر أهلها كما دلت على ذلك قصة الصبيدي وزوجته الافرنجية (٢)

دفن القتلى :

ليس المقصود بدفن الموتى المراسيم التي كانت تتبع عند دفنهم ، وإنما المقصود اهتمام الفرنج بدفن موتاهم حتى في أخرج الأوقات ، يقول ابن شداد : وكلما قتل منهم شخص دفنوه وكلما جرح رجل حملوه (٣) ، ويظهر أن هذا العمل كان يتم في المعركة أما إن كانوا في حالة هجوم وابتعدوا عن مواقعهم فإنهم يحملون قتلاهم ، أو يدفنونهم قبل أن يخادروا أما كنهم ومن ذلك ما رواه أسامة بن منقذ أن الفرنج كسروا على أبواب دمشق وقتل منهم خلق كثير ، فقطعوا رؤوسهم وحملوها في سموط النخيل (٤) ، وقد تم دفن القادة الأموات في القدس تكريما لهم ، ولو كان مكان موتهم بعيدا جدا عنها ، ولذلك عمدوا الى خطة يتم بها نقل الجثة أو المظلم الى القدس ، وتدل هذه الخطة على ما عهدناه عندهم من حشيق وغلظة . فحين مات الملك بلدوين ملك القدس في طريق غزوه الى مصر شق أصحابه بطنه ، ورموا حشوته في منطقة ما تزال تعمل اسمه حتى اليوم ، وحملوا جثته ودفنوها في قمامة (٥) ، وحين مات ملك الألمان في شمال الشام ودفن في طريقه الى القدس سلقوه في نخل ، وحسنت عظامه لتدفن في كنيسة القيامة ، يقول العماد : وقيل إنهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تغلق عظامه ، وتهوى لحمه ، ثم جمعوا في كيس عظامه ، ورموا بذلك أكرامه وأعضائه ، ليحملوه الى كنيسةهم بالقدس قمامة ، ويدفنوه على ما كان أوصى به أوراؤه (٦) .

- (١) ألف ليلة وليلة ٢٣٣/٦
- (٢) المصدر السابق ٤/٧
- (٣) النوادر السلطانية ٢٥ وأنصار ١٤٨ ، والروايتين ١٧٩/٦
- (٤) الاعتبار ١١٦
- (٥) تاريخ ابن الوردي ٢٠/٦ والأنس الجليل ٣٠٤/١
- (٦) الفتح القسي ٣٩٣ ، وأنصار الحادثة في النوادر ١٢٤ ، وزبدة الحلب ١١٤/٣ ، ويؤكد جواز قيل ما ذكره الأدباء العرب عن دفن موتاهم في مذكراته ص ١٤٥ .

زيارة الأماكن المقدسة :

رأينا حرص الفرنج على دفن قادتهم في بيت المقدس ، كما رأينا حرص القادة على زيارة القدس ، وإن لم يُنسأ في أجلبهم فأنهم يوصون بدفنهم فيها ، كما قال الصماد : " ويدفنوه على ما كان أوصى به أوراخه " . ولم يكن قادتهم بأكثر حرصا من عاصمتهم للزيارة ، فقد أرسل صاحب النكاية إلى أسامة كتابا يقول فيه : " هذا فارس محتشم من الفرنج وصل وحج ويريد الرجوع إلى بلاده ، وسألني أن أسيره إليكم بغير فرسانكم وقد نقدته فاستوصوا به " . (١) وذكر الصماد أن صلاح الدين أسر شيخا طاعنا في السن فسأله عن سبب جهته وهو في هذا السن فقال : أنا كان مجتهدا للحج إلى القيامة (٢) .

وقد كان لهم مواسم معينة يزورون خلالها الأماكن المقدسة في القدس وغيرها ، وقد استلزم ذلك تعيين فرقة للإشراف على هذه المواسم ، يقول الصماد في معرض حديثه عن زيارة الفرنج لشهد زكريا عليه السلام في سبسطية : " وهو متعبد لهم المعظم ، والمشهد الحكرم ، وقد حجبه بالامتار ، وعلوه بالقضة والنصار ، وتجنوا له مواسم الزوار ، وقوته من الرهابين فيمضيه ، ولا يؤذن في الزيارة إلا لمن معه هدية لها قيمة " . (٣) .

الحياة الاجتماعية خلال الحروب :

تقدير الناس :

لقد كان لتركيب المجتمع الصليبي أثر في إيثار الفارس والاحتكام به ، وقد لاحظنا ذلك أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار ، فأورد فصلا خاصا سماه " منزلة الفارس عندهم " وذكر أن الفرسان تميزوا بمنزلة عالية ويصفهم بأنهم " أصحاب الرأي وأصحاب القضاء والحكم " . (٤) وثبت ذلك بأدلة يوردها ، منها أن جماعة الفرسان حكموا في قنيسية جنائية فقهية بقتلهم ، شهق على ذلك بقوله : وهذا الحكم . . . ما يقدر الملك ولا أحد من مقدسي الفرنج بخيره ولا ينقضه . . . (٥) .

كما أن الأحداث التاريخية نفسها تثبت ما ذهب إليه أسامة ، فها من فارس له قبة أسر أو قتل في أرض المسركة إلا تجد التحقيق على مقتل أو أسره يوحى بأهميته ، ومن ذلك التحقيق على أسر جوسلين بأنه " كان من أعظم الفتوح على المسلمين " . وأصبحت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقدته ، وغلبت بلادهم من حاميتها ، ونشورهم من حافظها وسهل أمرهم على المسلمين بحده . . . (٥) .

(٢) الاتح القسني ١٥٦

(٤) الاعتبار ٦٤

(١) الاعتبار ٦٩

(٣) الروضتين ٨٨/٢

(٥) الروضتين ١٨٣/١/١

الحزن والحداد :

وهما من المظاهر الاجتماعية المرتبطة بالعروب ، ويمكن أجمال أسبابهما بموت كبير أو فقد عزيز أو سقوط بلد أو تحطيمهم شعار ديني أو التعرض لهزيمة ٠٠٠ وقد أضفى الأدباء صوراً عريضة على مظاهر حزنهم ، ومنها النوح والندب ولبس الحداد ، وحث التراب على وجوههم ، فهذا ابن الدهان يمدح الملائح بن رزيق ويسين ما أنزله بالفرنج من هزائم حتى خيم الحزن والنواح على كل صقع من ديارهم ، يقول :

مات في كل صقع من ديارهم نوح على بطل لولاك ما شيكا (١) *

بل ادعى الأدباء أن الحزن خيم على كل بيت فرنجي حين أفضل أسد الدين شيكوه مخاضات الفرنج في التساوم مع وزير مصر شاور ، يقول الحداد :

في كل دار من الافرنج نادبة بما دهاهم نقد باتوا على نسدب (٢)

وقد برح الحزن بهم ، حين عادوا الى بيوتهم فوجدوها غاوية من أهلها بسبب ما أحدثه صلاح الدين بهمن هزيمة وقتل في حصن الاعزان ، يقول الحداد :

عادوا ، وعين رأوا خراب بيوتهم يشوا من الأطار والأوطان
بأوا بأحزان وغاشوا هولها مما لقوا بمخافة الاحسزان (٣)

أما طارق تعبیرهم عن الحزن فهي البكاء ، وحث التراب ، ولبس السواد ، وتحريم الملاذ ، ومن ذلك وصف الحداد لصاحبة الكرك التي أسر ابنها فخرجت الى السلطان " متضرعة للخضوع ، متزينة بالخشوع ، وبرزت مسكينة مستكينة ، مستعطفة مراحم السلطان مستلينة ، رافضة عقيرتها بالابتهال ، شافدة في فك ولدها من الاعتقال ، محفورة خدأ شائسة المتصر ، سافرة عن وجه من عادته التخدر ، حاسرة جسرى ، باسرة لحزنها بأسرى " (٤) ومن وصف ابن شداد لحزنهم حين علموا بمقتل رجل كبير منهم ، يقول : " فغضبوا بنفوسهم الأرض ، وحثوا على وجوههم التراب ، ووقفت عليهم بسبب ذلك شدة نائمة ٠٠٠ " (٥)

- (١) ديوان ابن الدهان ٢٢٦
* شيكا : الشوكة : حمرة ترقى الجسد ، وقد شيك الرجل : أصابته هذه الحملة (اللسان : شوك)
- (٢) تاريخ ابن الزرات مج ٤ / ١ / ٤٦
- (٣) خريدة القصر وجريدة العصر / بداية قسم شعراء الشام ص ٥٩ ، وانتظار الروضتين ١٨٠ / ١ / ١
- (٤) الفتح القسي ٢٠٥ ، وانتظر ٢٠٦ ، والذيل على الروضتين ١٠٣
- (٥) النوادر السلطانية ١٣٤ ، وانتظر ١٤٣ والروضتين ١٥٩ / ٦

والطريقة الثانية للتعبير عن حزنهم هي لبس السواد ، ففي زمن نور الدين سنة ٥٦٥ هـ ضرب زلزال ضاراً في كثيرة في الشام ، فأثرت خسائر فادحة ، فقاتل الحماة في ذلك ؛

جل رزق الفرنج فاستبدلوا منسجهم بلبس العديد ليهو العباد (١) وفي سقوط القدس ليهو الرهبان والقديسين وشلق كثير من الفرسان المشهورين السواد وخرجوا الملاذ ، وقاطعوا كل من خرج عن هذا الصوف ، يقول ابن شداد : " قد حرموا الملاذ على أنفسهم حتى إن من بلغهم عنه بلوغ لذة هجره وعزوه ، كل ذلك حزناً على بيت القدس " (٢) وقد نهج جماعة منهم طريقة ثالثة وهي خلع الثياب ولبس العديد ، كناية عن الحزن ، وتلحقا للقتال لاسترجاع القدس ، يقول الحماة : " وقد لبسوا العديد للحداد على البيت المقدس وخرجوا الثياب ولزموا المصاب ودأبوا الاكتئاب ... " (٣) ومن طرقهم في التعبير عن حزنهم اغتيال النار الصليبية ، فحين مرض ابن ملك اللسان حزناً عليه حزناً شديداً " فأشعلوا نيراناً مائلة ، بحيث لم يبق خيمة الا اشتعل فيها الناران والثالثة ، بحيث بقي مسكروهم كله نارا متقد " (٤) *

المهادنات :

وتكون بعد اتفاق الدافين على وقف القتال ، لمدة تختلف حسب الواقع ، ولها مراسيم خاصة يحضرها ممثلون عن الدافين والأسقف ، وتؤدي فيها الايمان والمواثيق أما المسلمون فكانوا يقسمون باللمثلاث مرات ، وأما الفرنج فيقسمون بالله ثلاث مسمرات وبالصليب كذلك ، والمسيح ... والاقانيم الثلاثة ... ثم تروى خطوباتهم عليهم سماً بالفرنجي (٥) .

ويلاحظ أن المهادنات كانت في صالح المسلمين ، وقد اعتبر القلقشندي مصلحة المسلمين من شروط شريعتها (٦) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | الروشتين ٤٦٩/٢/١ |
| (٢) | النوادر السلطانية ١٢٦ |
| (٣) | الفتح القسي ٣٩٢ |
| (٤) | الروشتين ١٨١/٢ |
| * | انزهد من الأمثلة على حزنهم أنظار : الفتح ٢٠٥ ، ٤١٥ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ |
| | الروشتين ١٨٠/١/١ ، ١٨٦/٢ ، ديوان ابن عيين ٢٠١ ، ديوان ابن سناء الملك ٥٦٦ |
| (٥) | تشریف الايام والمصور ٩٢ ، صبح الاعشى ٣١٢/١٣ - ٣١٤ ، الفتح ٥٥٦ |
| (٦) | صبح الاعشى ٧/١٤ |

الرياضة والفرنج :

ان وجود الصليبيين في أرض بعيدة عن بلادهم ، وما تبع ذلك من صراع عنيف ، له جعلهم يقلعون عن عاداتهم في المرح واللهو بل لقد اتخذوا من بعض ألوان لهوهم تدريجاً على قتال خصومهم من المسلمين ، فلا يجب أن يتخذ هذا اللهو أحياناً المبالغة عسائراً عنيفاً ، فهذا ابن جبير يصف ميدان عكا بأنه لا يوجد شبهه في المنطقة ، وقسمه اتخذته الفرنج ملعباً يتدربون فيه على ركوب الخيل ، بما فيهم صاحب البلد الذي يركب كل بكرة وعشية (١) .

ويصف أسامة بن منقذ عيدا للفرنج حشره في طبرية ، وكانت وسائل الترفيه فيه لعبة قام بها الفرسان بالرمح وخرج معهم عجوزان فانيقان ، وسج كل واحدة منهما سرية من الخيالة يحشونها ، شوهنوا في نهاية الميدان خنزيراً فص وصله أولاً أشده ، فجرت المصابقة بينهما وهنحكون لانهما كانتا تقومان وثقبان كل خطوة (٢) .

وقد يدخل في لهوهم تلك المبارزة التي جرمت بين صليبيين مسلمين وآخرين فرنجيين ، وكان ذلك في وقت السلم ، فتطلب الصليبان المسلمان على الافرنجيين ، فأخذ اجازته (٣) من أناس الرياضة التي اتبعوها للترفيه عن أنفسهم الصيد ، وقد مارسوا هذه الهواية في أوقات السلم ، فكانوا يتبادلون الرخص للصيد في الاراضي المجاورة لكل منهم (٤) ، هذا وقد اتخذوا الهزة والمقور والشواشين والكاذب لتساعدهم في القبض على الصيد (٥) ، ومن الأدلة الشعرية التي تشير الى ممارستهم الصيد ، قول ابن خير متشرباً بمقتل صاحب اندلسية :

والآن ملق بالمرء يقتاتسه ما كان قبل بصيده يقتاتسه (٦)

المرأة الصليبية :

سبق الحديث عن مشاركة المرأة الفرنجية في الحرب ، ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي استرعى أنظار الأدباء بالنسبة اليها ، فقد لفتهم جمالها ومعض عاداتها .

- | | | | |
|-----|---|-----|--------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٨٣ | (٢) | الاعتبار ١٣٨ |
| (٣) | الروشتين ١٤٣/٢ | | |
| (٤) | زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية ١٤٨ - ١٤٩ | | |
| (٥) | انثار النوادر السلطانية ١٥٢ ، النتج ٤٧٤ ، الروشتين ١٨٣/٢ ، الاعتبار ٢١٠ ، ٢٢٣ | | |
| (٦) | اعلام النبلاء ١٩/٢ ، الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٥٩ | | |

وقد تميز ابن القيسراني عن غيره في تجسيد محاسن المرأة الفرنجية ، وكان فسي
تجسيده ينحو منحى الشاعر أبي نواس ، ولذا لك سنترك الكثير من الأمثلة التي تجرح الحياة ،
ونذكر مثلاً دالاً على جمالها ، يقول :

وفي ذلك الزنار تحال فضضة تنقش خديه العيون بحسب
وقد غلب الصباح فيه على الدجى منا قمر في جنح ليل مجسب
فيا لي من وجهك ندبل هيكل عليه من الصدفين حراب مسجب
لقد أسرني حيث لا ابتغي الفدا فقل في أسير لا يسربمقتسب (١)

ويصف السجاد المرأة الفرنجية بأنها : ... حمراء برحاء ، نجلاء كحلاء ، عجزاء شغلاء ،
غناء لفاء ، زرقاء ورقاء ... (٢) .

وقد تحدث الأدب عن انصراف بعضهم عن منافع الحياة إلى إقامة الصلوات ،
يقول ابن القيسراني :

كم بالكناش من مبتلسسة مثل المهابة يزينها الخفسر (٣)

ويقول :

يا هبل سمعتهدير سمسمسان وما به للديون من عيسسان
أموقتك للصلاة هيكلسمسمسم أم نبت من منابت البسمسان ؟ (٤)

ويقول :

إذا هن أقبلن وقت الصلأ في كل لون من الالسمسمسم
وجالت مناطق أوساطهمسم وناقت بها خلل السنسمسمسم
وأجلسها ثقل أردافهمسمسم فيالي من ذلك المجلسسمسمسم (٥)

عادات مستنكرة :

تحدث الأدب عن كثير من صفاتهم وعاداتهم السيئة ، وقد ورد بعضها في مجال
الحديث عن الصراح الحناري ، ويضاف إليها ما يلي :

الدعارة والنجور :

كان لتكوين المجتمع الصليبي العربي أثر في إشاعة الفاحشة بينهم ، فكثيرون
منهم تركوا أوطانهم وأولادهم وجاءوا تلبية لنداء الكنيسة ، مما جعلهم يعانون مرارة العزومية
فندبت أوروبا مجموعات من النساء لأشباح حاجات الفرسان ، ثم تطور الأمر إلى أن أنشئت
أسواق للنسوة الساقطات في بعض المدن (٦) .

(١) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٥ وانوار ورقة : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩

(٢) النتج القسي ٣٤٧ (٣) ديوان ابن القيسراني ورقة ٦٢ (٤) المصدر السابق ٧٣

(٥) المصدر السابق ورقة ٧٠ (٦) الفتج القسي ص ٣٤٥

وقد عقد الصناد فصلا خاصا ذكر فيه حال نساء الفرنج * وتحدث عن هذا الجانب حديثا مفصلا * وفيما يلي مقتطفات منه * يقول " ٠٠٠ قد اجتمع من الجزائر * وأندلس * وللجزائر * واغترن لاصداق الغرباء * وتأعين لاصداق الاشقياء * ترافدن على الارفاق والارفاق وتلهين على السفاح والسفاد * من كل زانية نازية * زانية نازية * عاطية متعطشة * عاذية خاطية * متفنية متفنجة * متبرجة ٠٠٠ فوصلن وقد سلبن أنفسهن * وقدمن للتبذل أنفسهن وأنفسهن ٠٠٠ وتفردن بما خربته من الخيم والقباب * وانضمت اليهن من أترابهن من الحسان الشواب * وفدن أبواب الملاذ * وسبلن ما بين ٠٠٠ وثقن سوق الفسوق * وثقن رتوق الفتوق ٠٠ وزعن أن هذه قرية ما فوقها قرية * لاسما فهن اجتمعت عند مفهة وعزة ٠٠٠ (١) *

وقد كان لانتشار هذه الفاحشة أن انغمس فيها القسوس * يقول الصناد : وما ضد الفرنج على النساء اذا أكلت من الاغزب حرج * وما أركاها ضد القسوس اذا كان للنساء المضيقين من ٠٠٠ فن * (٢) *

ولم يتوقف هذا الداء عند الغرباء * بل ان المتزوجات كن يخفن أزواجهن * (٣) ولو جاز لنا أن نتخذ حكايات ألف ليلة وليلة دليلا * متمد عليه لوجدنا في حكاية الصمدي * (٤) *

وقد استرعى انظار الادباء العرب عدم غيرة الفرنج على نساءهم * ومن ذلك ما رواه أسامة بن منقذ في الاعتبار عن فرنجي في نابلس كان يبيع الدخمر * وجد رجلا غريبا في حجرة نوم زوجته * فما زاد بعد حوار عجيب له مع ذلك الرجل على أن قال له : بحق ديني ان عدت فعلت كذا تفاسدت أنا وأنت * فكان هذا نكيره وبلغ غيظه (٥) وفي المصرة دخل فرنجي عند حمامي من أهل المصرة * ولم يشغل من أن يعرض زوجته لتجربة غريبة * تبس عن انعدام الشيرة والحياء معا * (٦) *

ويروى أسامة كذلك قصة وقعت في صور * يبين عدم غيرة الاباء على بناتهم (٧) * لا عجب ان أن يقول أسامة عن الفرنج انه " ليس عندهم شيء من الشعوة والشيرة * يكسون الرجل منهم يعني هو وأمراته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويحتول بها * ويتحدث منهمسا والزنى واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث * فإذا طوالت عليه خلاها مع المتحدث وعنى (٨) *

(١) الذخيرة القسمة ٣٤٧-٣٤٨ (٢) المصدر السابق ٣٤٩

(٣) انظار نهاية الارب ٢٧ ورقة ٣٨ وانظار المقري : نصح الدبيب ٢٩٧/١ والروشتين ١/٢

(٤) ألف ليلة وليلة ٤/٧ وانظار الفتح القسي ٥٩٠

(٥) الاعتبار ١٣٦ (٦) المصدر السابق ١٣٦

(٧) المصدر السابق ١٣٧ (٨) المصدر السابق ١٣٥

ولا غرامة والحالة هذه أن يتخذ القوم من الأماكن المقدسة مكانا لممارسة فجورهم
وفحشائهم ، فجعلوا من المسجد الأقصى المبارك موقعا يقتضون فيه أوطارهم (١) *
الخمير :

اتخذ الفرنج للخمير أسواقا ، واعوها بأثمان باهظة لأنها أصبحت سلعة تجارية
تستورد من وراء البحر ، وقد وصف أسامة عملية بيعها بالجملة في نابلس إذ يقول :
" ياخذ (السمسار) الخمير في قنينة من النبيذ وينادي عليه ، ويقول : فلان التاجر
فتح بنية من هذا الخمير ، من أراد منها شيئا فهو في موضع كذا وكذا " وأجرتة على
ندائه ، النبيذ الذي في تلك القنينة (٢) .

وقد انتشرت الخمرات في أماكن كثيرة ، ويصف ابن القيسراني أحدها وهي غمارة
جسر الحديد في منطقة انطاكية فيقول :
ان كان لا بد من السكر
غمارة تدلح من نجرها
فمن يدري غمارة الجسر
غمارة بيضاء من نجرها (٣)

وقد اشتركت المرأة الفرنجية في تقديم الخمير ، ولذا لك ربط العماد بين الخمير والنساء
الفرنجيات في حديثه السابق ، يقول : " وسقيين الخمير ، وطالبن بنين الوزر الأجر " (٤)
هذا ، وقد سجل الشاعر هذا المصور ، وسفر من خلالهما من الفرنج ومن ذلك قول الرشيد
بن النابلسي يمدح صلاح الدين بعد الفتوحات :

كم قد سقيتهم لا فلا عجب
إن عربدوا سفها ، فالثوق قد سكروا (٥)

بغايا أخائهم وقسوتهم :

سبق الحديث عن ونشيتهم وقتلهم للمسلمين السزل ، مما يدل على اعتيادهم
النظر الدمية ، حتى ولو كانت هناك الدبايح الانسانية ، نشين عاصر المسلمون كفر طاب
رفقوا التسليم ، وقتلوا أولادهم ونساءهم وأخرجوا أموالهم (٦) .

- (١) الزنج القسي ١٣٧ *
للتأكد من صدق المصادر العربية أنظر مذكرات جوانفيل ١٩٩ * ٢٤٤ وغوستاف
لهمون / غمارة السرب ٣٢٨ * وزكي النقا / العائقات الاجتماعية ١٥٢
- (٢) الاعتبار ١٣٦ * وأنظر جوانفيل في مذكراته ص ٨٢ * ١٤٢
- (٣) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٧
- (٤) الفتوح القسي ٣٤٨
- (٥) الروضتين ١٩٤ / ٢
- (٦) الكامل ٥١٠ / ١٠

وأخذوا أموالهم ، واستنفذوها بالمقومات وأنواع العذاب (١) ، وحد أن استقروا في بلاد الشام حملت نجداتهم لصوصا اعترفوا صهنة السلب ، ومن ذلك أن جماعة من "الحرامية" أخذوا قافلة للمسلمين وهم عند بحلبك " (٢) ، حين قادراً أسامة مصر عائداً إلى الشام عن طريق البحر ، نهب الفرنج مركبه والدراكب الاخرى بحجة أنها كسرت ، فكتب إلى طلائع ابنوزيك يشكو إليه :

أذهبت خالدى وطار مسنني الطاري فضاخ المهورث والمكسبوب
فهو شطران بين مصر ومخمسر ذا غريق ، في ذا منهوب (٣)

ويصف ابن جبير شجرة غليظة هي حد بين الامن والشوف لوجود حرامية للفرنسيج (٤) وكان من شروط الناصر قلاوون على الفرنج ، وقد رجحت كفة المسلمين ، أن لا يمكنوا "حرامية البحر من الزيادة من عند ولا من حمل الماء" (٥) .

صفات خلقية :

نذر المسلمون إلى صفات الفرنج الخلقية فآخذوا أنهم شقروا غريزون عن البلاد التي احتلوها ، نكس كالافاعي الغبيشة ، زرق أشداء ، ومع ذلك فبههم شراستهز ، يقول الحساد : " خرجوا إلى عكا من كل ٠٠٠ أزرة ، زرقة الموت الاحمر ، وأنمشي يعشي واليسوم أغبر ، وأشقر وهو أشقى ، وأبقع إذا غوى في الوغى ما ترك ولا أبقى " (٦) ويقول أيضاً " شقرا كأننا لدعت النار وبهوشهم " وهم فيها كالعن " زرقا كأننا عيونهم من حديد فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون " (٧) . ويقول في ملك الالمان : وأنه شق في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فمن كل سالب باسل ، وطالب الباطل ، وجههم جهنمي ، وأشقر سقري ، وأنمش أفسواني " (٨) . ومن مواطن استهزاء الادباء العرب بالفرنج وصفهم لملك الانجليز بأنه "أشقر أمحت ، في عينية ضحك ، لو كان عبدا ما يساوى مائتي درهم " (٩) .

- (١) الكامل ٣٧٢/١٠ ، وانظر : الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ١٢
- (٢) الاعتبار ١٤٠
- (٣) ديوان أسامة ١٦٢ ، وانظر ١٦٤ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٤٨
- (٤) رحلة ابن جبير ٢٧٣
- (٥) صبح الاعشى ٦٠/٦٢
- * للزبد أنار الخريدة / الشام ٦٩/١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢ ، والاعتبار ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٢٠ ، ٢٤٥ ، ومذكرات جوانفيل ١٨٦
- (٦) الفتح القسي ٤٠٣ (٧) المصدر السابق ٥١
- (٨) المصدر السابق ٣٢٩ (٩) عقد الجمان ١/١٨ ورقة ٨٣

وقد ركز الشعراء على وصف عيونهم الزرق ، التي يشتمل عليها العربي ، بل يتطير بها ، يقول المذهب بن الزبير في البرزخ صاحب انداكية :

وتعجبوا من زرقه في دارفسه وكأن فوق الرمح نصلا ثائسي (١)
ويصور فتيان الشاغوري الغيل تمشي على جثثهم ، والديور تنقر عيونهم الزرقاء ، ولا يخلو هذا الوصف من التشفي والاستهزاء ، يقول في مدح صلاح الدين سنة ٥٨٣ :

فالدخيل لا تمشي بها الا على هام مضدة وشعر أشقر
نهبت عفاة الطير من حدق بيها زرق قصوفا من ثقب الجوهسر (٢)

وقريب من هذا المعنى ما ذكره شهاب الدين محمود في فتح ككاسنة ٦٩٠ هـ يقول :

وغاص زرق القنا في زرق أعينهم كأنها شطن تهوى الى قلب (٣)

عادات أخرى :

ومن عاداتهم أنهم ينكرون على من يمشي في وسطه المشر في الحسم (٤)
ومنها كشف الرأس عند الفرج (٥) .

اقتباس واعجاب :

أدى استقرار السليبيين في المشرق الاسلامي الى تأثر بالثقافة الاسلامي بأنواعه
ومن ذلك الفن المعماري وقد وصف بعض الادباء أبنيتهم ، ومن هؤلاء القيسراني الذي
قال في وصف انداكية حين كانت تحت الاحتلال السليبي :

واحربا في الثغور من بلاد	ينحك حسنا كأنه شمس
به تصور كأنها بيمس	نادقة في خلا رلها الصم
هالات طاقا تهن آهلسمة	يسم عن كل هالة قصم (٦)

* قيل في دجاء خالد الفهري :

فألقيته يهوى فسترد
إذا الهقة نخوة عريسة

(ديوان ابن عيين ١٢٦)

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٦ ، وأنظر الخريدة قسم شعراء مصر ٣٨ / ١

(٢) ديوان فتیان الشاغوري ١٤٥ (٣) جواهر السلوك ورقة ٦٠

(٤) الاعتبار ١٣٦ (٥) تاريخ ابن الفرات ٢٥٥ / ٢ / ٤

(٦) ديوان ابن القيسراني ٦٣ ، وأنظر الخريدة / قسم الشام ١٠٠ / ١

ويصف ابن جبير عكا المعتلة بأنها "قاعدة مدن الفرنج بالشام" ومحيط
الجواري "وملتقى تجار المسلمين والفرنج من جميع الافاق" سلكها وشوارعها تشخص
بالزحام "وتنطق فيها مواطن الاقدام" (١) ولكن الاحتلال شوه المدينة في نظر ابن
جبير "اذ يقول فيها بعد ذلك: "زفرة تذر مطوأة كلها رجسا وذرة" (١) ولذلك
فقل عليها صور التي تنحصر بالهدوء "ويقل فيها التصب ضد المسلمين" (٢).

وقد اتخذ البناء في المدن المحتلة طابعا فنيا من الجمال ما يتفق مع تاريخ
المعمار الاسلامي قبل غزو بلاد الشام "كما يظهر من كتابة الرحالة الفارسي ناصر خسرو".
وقد اختلف الفرنج الى الاماكن الدينية زحفا لم يكن فيها من قبل "واستبثوا الاشجار
حولها" يقول السد في وصف اللاذقية: "رأيتها بلدة واسعة الافنية" جامعة الابنية
متناسبة المصاني "متناسقة المصاني" قرية المجاني "رحبة المواني" في كل دار بيتان
وفي كل قطر بيتان "أمكنها صخرة" وأروقها مرصعة "وعتودها محكمة" ومصالحها مسلمة
ودعائرها منظمة "ومساكنها مهندسة مهندمة" وأماكنها محكمة "ومعاسنها مهندسة"
ومراتبها مهيبة " (٣) ويقول في كنيستها: "بأجزاء الاجزاء مرصعة وألوان الرخام
مجزئة" (٤).

وقد أثنى الصليبيون جردهم في تزيين القدر، وكنائسها "حتى أصبحت مزارع عجب
لكل من رآها" يقول القاضي الفاضل "فأنهم - غذلهم الله - عموها بالأسل والصفاح"
ومنها بالعمد والصفاح "وأودعوا الكنائس بها ويوت الدمية والاستهارية" فيها كل غيبة
من الرخام "الذي يكرد ماؤه" ولا يطرد لآلؤه "قد لاف الحديد في تجزئته"
وتفنن في توشيمه "الى أن صار الحديد الذي فيه بأمر شديد" كالذهب الذي فيه نعيم
عديد "فما ترى الا مقاعد للرياض لها من بياض الترخيم رتاق" وعددا كالأشجار لها
من التثبيت أوراق " (٥).

ويتحدث شياء الدين بن الاثير عن مشاهداته في القدر بعد أن استعادها
صلاح الدين "كما شاهد ذلك القاضي الفاضل" ولكن ابن الاثير يسلط الضوء على
جوانب أخرى "فيذكر تفنن الفرنج في الابنية التي اتخذوها من الحجارة" بينما ذكر
القاضي تفننهم في زخرفة الحديد "يقول شياء الدين بن الاثير" ولا ينتهي الوصف الى
ما شوهه بالبلد من الآثار المبهية التي تعابت الصجلان "وتستجلب الازهار" وتستطلق
الأسنة بالتصبيح لله الذي فطر الانسان "ومن جملة ذلك" تنوه في حسنه من البومع

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٦ (٢) المصدر السابق ٢٧٢

(٣) الذخ القسي ٢٣٨

(٤) المصدر السابق ٢٣٨ "وأُنظر الفتح القسي ١٤١

(٥) صبح الاعشى ٥٠٢/٦ - ٥٠٣

والصوامع ، ذوات الأبنية الروائع ، التي رُوّضت بالزخارف ترويض الأبرار ، ورفعت مصاندها حتى كادت النجوم توحى اليها بالأسرار ، وما فيها إلا ما يقال إنه إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تحيروا في توشيمها بضروب الاختيار ، وجعلوها أعاجيب الأسماح والابصار ، وقيل فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار ... (١) .

التأثر بالحضارة الإسلامية :

لم تتسم العلاقات الإسلامية الفرنجية دائما بالجفاف ، بالرغم من الحروب الطويلة المستمرة ، فقد كانت العلاقات التجارية أحيانا طبيعية ، مما لفت نظر ابن جبير فقال : " ومن أعجب ما يحدث به في الدنيا ، أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الأفرنج وسبيلهم يدخل إلى بلاد المسلمين " (٢) ويقول في عكا : " مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق " (٣) ثم يقول : وناهيك من هذا الاعتدال في السياسة " (٤) .

هذا ما كان سوق الحرب قائمة ، أما حين ونسدت العرب أوزارها ، فقد نادى العنادى في أسواق المسكر أن الصلح قد أنتظم ، من يشاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل بلادهم فليفعل " (٥) .

وقد نتج عن هذا الاختلاط تعلم بعض الفرنج لغة العرب ، مما جعل التأثير بالحضارة الإسلامية أكبر ، ومن الأدلة التي تثبت معرفة بعضهم باللغة العربية ما ذكره ابن جبير من أنهم " يكتبون بالعربية ويتكلمون بها " (٦) . ولم يذكره ابن شداد عن صاحب شقيف أرنون بأنه عارف بالعربية ، وعنده إطلاق على شيء من التواريخ والاحاديث (٧) * وروى أسامة بن منقذ عدة مشاهدات في أماكن مختلفة يتكلم فيها الفرنج العربية ، منها أن

-
- (١) أنيس المقدسي ، رسائل ابن الأثير ص ١٥٥ ، دار العلم للطالبيين ط بيروت ١٩٥٩
 (٢) رحلة ابن جبير ٢٧١ (٣) المصدر السابق ٢٧٦
 (٤) المصدر السابق ٧٣ (٥) تاريخ ابن القرات ٨٦/٢/٤
 (٦) رحلة ابن جبير ٢٧٥
 (٧) النوادر السلطانية ٩٧ ومفج الكروب ٢/٢٨٢
 * انظر الاعتبار ٦٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٠

مجموعة منهم جاءت الى شيزر ، وسألوا البواب عن اسم البلد ، فقالوا : ايضاً اسم هذا البلد ؟ فقال شيزر (١) ٠٠٠ وحين دخل فردريك الى القدس زمن الكامل سأل قسّوام الصخرة عدة أسئلة بالعربية (٢) ٠٠ وفي حكاية الصعيدي وزوجته الفرنسية ما يؤكد معرفة المرأة الفرنسية للعربية ، فحين خيرها السلطان بين زوجها المسلم والفرنجي قالت : أنا قد أسلمت وتزوجت وحملت كما ترون (٣) ٠٠

ومن الأدلة الأخرى التي تثبت معرفتهم للعربية ، ما كان يجري من مناظرات بين بعض المسلمين والفرنج ، ومثال ذلك قول ابن القيسراني في التناظر بينه وبين فرنجي في تحريم الخمر :

هذا يناظرني بها عن دينه فقالت ليلاً بالجدال مكيشاً (٤)

ويقول ابن شداد في صاحب شقيف أرنون " وكان يناظرنا في دينه ، وننظره في بطلانه ، وكان حسن المحاوره متأدباً في كلامه " (٥)

ومن المبيضي الا يكون التناظر والتحاوُر الا باللغة العربية ، لأنه لم يعهد عن العرب آنذاك أنهم تعلموا اللغة الفرنسية ، بل كانوا ينشئون بأوصاف لا تخلو من الطعن مثل البربر (٦) . ومن المتوقع بعد هذا أن الجحافات العربية لم تستطع أن تعتقك بناداتها ومظاهر حياتها سليمة كما جاءت بها ، وإنما اضطارت بحكم انحطاط مستواها الحضاري الى أن تكسب الكثير من صفات المجتمع الاسامي وعاداته ، حتى بلغ الاكتساب حداً شكاً منسباً المؤرخون الصليبيون ، فهذا فوشيه Foucher كتب بعد انقضاء نصف قرن تقريباً يقول : " واحسرتاه ! بعد أن كنا غربيين ، رنا الآن شرقيين تماماً في هذه البلاد (الشام) وهذه الايطالي أو الفرنسي الذي يعيش في هذه البلاد جليليساً أو فلسطينياً لقد نسينا أوطاننا ، وصار معنا لا يعرف غمشيشاً (٧) .

أما مجالات التأثير فهي كثيرة منها :

١٠ الاسلام :

فالبرغم من تعصب الفرنج الشديد لمعتقداتهم ، إلا أن بعضهم افتتح بالدين الاسلامي وأسلم ، يقول الحماد مشيراً الى اسلام بعض الفرنج بعد حطين :

- (١) الاعتبار ٥٦ وأنذار ١٣٥ و ١٣٧
- (٢) عقد الجمان ١١٨ / ١ / ٨٢ ، وفتح الكروب ٢٤٤ / ٤
- (٣) ألف ليلة وليلة ٤ / ٧ وأنذار ألف ليلة وليلة ٢٢٧ / ٦
- (٤) ديوان ابن القيسراني ٧١ (٥) النوادر السلطانية ٩٧
- (٦) الاعتبار ١٤٠ وأنذار ١٠٤
- (٧) نقلاً عن المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام مقالة الدكتور سمير عاشور / غمشيشان سنة ١٩٧٤ ص ٢٤٠

" وما أسلم إلا آحاد حسن إسلامهم " وتأكد بالدين عزائمهم " (١) ويقول :
وعرب خادمان من عند الفرنج " وذكر أنهما لأخت ملك الانكثير " وأنهما كان
يكتمان الايمان في سر الضمير " (٢) .

وبلاحظ العز من حكاية المصمدي وزوجته الفرنجية اذا اعتبرناهما مصدرا يعتمد
عليه " أن هذه المرأة أسلمت عن قناعة كما يبدو من قولها : " وهذا سر دينك
الصحيح " وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " (٣)

اللباس :

٠٢

تأثرت المرأة الفرنجية بزي المرأة المسلمة " وراحت تقلدها في اتخاذ الحجاب لا
احتشاما " وإنما رغبة في التجميل " وفي محاكاة المرأة المسلمة التي تفوقها حضارة
فلبست الفرنجيات الحرير والسترات الشرقية الموشاة بخيوط الذهب والفضة " .
ومن ذلك وصف الصمد لصاحبة الكوك التي اتخذت الحجاب فيقول : وخرجت
محفرة خذا شأنه التصحر " مسفرة عن وجه من عادته التخدر " (٤)
ويقول ابن جبير في وصف عروس : تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على
الهيئة المصهودة من لباسهم " وعلى رأسها عصاية ذهب قد حفت بشبكة ذهب
منسوجة ووراءها أكفأؤها ونظارؤها من النيرانيات (الفرنجيات) يتهادين
في أنفس المانهن ويرتلن في أرقف الحلى (٥) .
وقد لبس الرجال اللباس العربي " وعو القباء والشربوش " فقد أرسل الكندي إلى
صالح الدين يقول : أنت تعلم أن لباس القباء والشربوش عندنا عيب " وأنا ألبسهما
ملك محبة لك " فأنفذ إليه السلطان خلعة فلبسها بمكنا " (٦) .
ولما أن نستد في تصديق ذلك على ما يذكره ستيفن رنسيطان عن ملابسات الرجال
والنساء فيقول : يرتدى الفارس في عدته وسلاحه بونسا من الحرير ويتخذ عمامة " .
وعند القتال يرتدى فوق درعه سترة من الكتان لوقاية الزرد من حرارة الشمس كما
يجعل شوذته كوفيه على نحو ما يفضل العرب : أما السيدات فانهن الزى
الشرقي التقليدي فيما اتخذنه من قميص طويل وسترة قصيرة أو رداء بكعسين " .
وكلها موشاة بخيوط الذهب وأحيانا بالجواهر " فإذا خرجن من بيوتهن اتخذن
الحجاب شأن النساء المسلمات " لا من قبيل الاعتشام " بل لوقاية الطلاء الذي
غلى وجوههن " (٧)

- | | | | |
|-----|---------------------------|-----|---------------------------------|
| (١) | الروستين ٨٠/٢ وانظر ١٦٥/٢ | (٢) | الفتح القسي ٤٩٣ وانظر ٤٤٠ و ٤٦١ |
| (٣) | ألك ليلة وليلة ٤/٢ | (٤) | الفتح القسي ٢٠٥ وانظر ٢٠٦ |
| (٥) | رحلة ابن جبير ٢٧٨ | (٦) | الكامل ٢٩/١٢ |
| (٧) | الحروب الصليبية ٥٠٩/٢ | | |

روى أسامة عن أحد الفرنج الذين بأنطاكية أنه " أحضر مائدة حسنة ، وطعاما نبي غاية النظافة والجودة ، ورآني متوقفا عن الأكل فقال : كل ، طيب النفس ، فأنا ما أكل من طعام الفرنج ، ولي طبابخات مصريات ، ما أكل إلا من طبيخهم ، ولا يدخل ذاري لحم خنزير " (١)

اتخاذ الموسيقى العربية وسيلة للتربية :

وقد استعملت في الشفاء والأفراح ، ومن ذلك ما جاء في ديوان ابن القيسراني من أن جارية من مولدات انطاكية تنغمي بالدف وتستميل قلوب المسلمين بقولها :

علقت بحبل من حبال محمد أمت به من طارئة الحدثان (٢)

وهناك أداة أخرى غير الدف ، وهي الدود استعملها الفرنج ، يقول ابن القيسراني :

إذا بدا أذنت له خندق وإن شدا ملكته أسمناس

يحن أوتار عود هـ يحد ايقاعها بالنفوس ايقناس (٣)

ويصف ابن جبير عرسا فرنجيا في سور ، استعملت فيه جميع الآلات اللطيفة يقول : " وقد اعتقل لذلك (العرس) جميع النصارى رجالا ونساء ، وأصنافا سباطين عند باب الخروس المهداة ، والبوقات المنرب والمزامير وجميع الآلات اللطيفة ، حتى خرجت تشهادي بين رجلين يمسكانها " (٤)

الأينية والفنادق والقلاع والحصون وأسيمان النار إيل والحمام الهادي نهيارا لنقل الأخبار (٥)

الاشياء الإدارية ، فقد اعتمدوا على المسلمين ، أو من تدرب عندهم لإدارة الديوان

والنظار في شؤون القوافل ، يقول ابن جبير " ورئيسها (ضيفة قرب عكا) النازل فيها من المسلمين مقدم من جهة الفرنج " " ويقول " .. وحملنا إلى الديسوان وهو خان محب لنزول القافلة ، وأمام بابها مصابف مفرشة فيها كتاب الديوان من النصارى بمخابر الابنوس المذهبة العلي ، وهم يكتبون بالعربية ، ويتكلمون بها " (٦)

(١) الاعتبار ١٤٠ ، وانظر رحلة ابن جبير ٢٧٥

(٢) ديوان ابن القيسراني ورقه ٧٤ (٤) المصدر السابق ورقه ٧٩

(٤) رحلة ابن جبير ٢٧٨

(٥) انظر رحلة ابن جبير ٢٧٥ ، التاج ٤٤٤ ، مفرج الكروب ٣٠٣ / ٢ ، وزكي

النقاش في العلاقات الاجتماعية ١٢٢ ، واحمد عبد الجواد الدوي : صلاح

الدين الايهي ١٠٧

(٦) انوار العلاقات الاجتماعية ١٥٧

ثانيا : الحياة الاقتصادية :

حالت حياة الافرنج الاجتماعية باستثمار أكبر عند الأدباء العرب من الحياة الاقتصادية ، وسبب ذلك يعود الى خسارة النواحي الاجتماعية على بناء المجتمع الاسلامي غيرت هذه النواحي في الأدب مرتبة بالتفكير والاستغراب . وثمة سبب آخر ، هو أن الحياة الاجتماعية ممارسات يوضحة مصروفة ، في حين ان الحياة الاقتصادية قد تغيب ملاحظتها عن غير المهتم بها ، ولذلك جاءت ملاحظات أدباء العرب عن الحياة الاقتصادية غسيرة وافية ، ومما لها مرتبة بالاشياء الباطنة ، وتنقصها سعة التعمق والاستقصاء .

موارد الفرنج :

تبين لنا فيما مضى أن الفرنج استعدوا مقومات وجودهم من دول وراء البحار ، وهذا يعني أنهم اعتمدوا في حياتهم الاقتصادية على الامدادات الخارجية ، فكانت كسل حملة تأتي الى المشرق الاسلامي تتخذ اجراءات تكفل لها الامداد الاقتصادي ، إما عن طريق ما تحمله سفن تابعة للحملة أو عن طريق امدادات متوالية من سنن المدن التجارية كالبندقية وجنوا وبيزا .

ويظهر هذا الامداد في مواقف كثيرة ، فعين غزا الفرنج الاسكندرية رافقهم استاول يحصل كل ما يحتاجه العسكر ، ومعد سقوا القدس بيد صلاح الدين جاء الجيش الالماني بتدته ومثاده ، وفي حصار عكا جاءت افرنجية متنفذة ، ومعهها ثلاثمائة فارس ، معهم كل ما يحتاجون اليه .

الا انه كان للفرنج مصادر دخل أخرى منها :

١ . الضرائب :

وتشمل ما يؤخذ من البلاد الاسلامية التي تشلب عليها الفرنج ، وما يدفعه من الافراد المسلمين للفرنج بسبب بقائهم في بلادهم ، وما تدفعه القوافل لقاء دخولها في الاراضي التي يحتلها الفرنج .

ويقتح من تنوع الضرائب أنها كانت تشكل دخلا كبيرا للفرنج ، فعلى سبيل المثال قرر الفرنج على أهل صيدا نفثا وشرين ألف دينار ، وكذلك على صقلان وصور (١) .

وهذه البلاد لم تكن وحدها التي تدفع النفقة مثل هذه الضرائب الكبيرة ، كما أن الضرائب النقدية لم تكن الضرائب الوحيدة التي تقدم لهم ، إذ كانوا يأخذون من المسلمين جمرائب عينية كذلك ، كما أوضح ابن جبير حين قال : " وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم " (٢)

(١) انار ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ١٧١

(٢) رحلة ابن جبير ٢٦٠

أما الضريبة التي كانت تدفع على القوافل ومن معها من مسافرين عدا التجار ، فقد كانت على أساس أن يدفع المسافر دينارا وقيراطا ، ويدفع التجار عن البضائع المشترى في مواضع معينة ، منها حصن تبنين الذي يقول ابن جبير فيه : " موضع تمكين القوافل ، والضريبة فيه دينار وقيراط . من الدنانير الصورية على الرأس ، ولا اعتراض على التجار فيه ، لأنهم يقصدون موضع الملك الملعون ، وهو محل التشهير والضريبة فيه قيراط من الدينار " (١) .

وقد فرض الفرنج ، في عصر قوتهم وسيادتهم ، على المناطق التي يسكنها المسلمون ضريبة على الانتاج ، مقدارها نصف الغلة ، مقابل السماح لهم بمزاولة أعمالهم بحلال ، وقد لاحظنا ذلك الرحالة ابن جبير ، حين اجتاز بطحاء بانياس ، وتبنين فيقول في بطحاء بانياس ان الفرنج " يتشاورون الغلة على السواء ، ومواشيهم مختلطة ، ولا حيف يجرى بينهم " (٢) ، ويقول في الثانية : " سكانها (وهم من المسلمين) مع الفرنج على حالة ترفيه - نعوذ بالله من الفتنة - وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الغلة ، عند أوان ضمها ، وجزية على كل رأس دينار وخمسة قرايط . ولهم على الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ، وكل ما بأيدي المسلمين على هذه السبيل " (٣) .

ثم فرضوا على المناطق الزراعية البعيدة عنهم فضلا عن القرية ضريبة المشاطرة بسبب مواقعها ، فيذكر ابن شداد أن طبرية شاطرات المناطق القريبة منها ، بل التي تبعد عنها ما يقارب مائة كيلو متر غلاتها الزراعية ، وهذا يؤكده ما ذكره ابن جبير سابقا ، ويقول ابن شداد : " وكانت طبرية في عهد الفرنج تقاسم نصف فصل البلاد من الصلت والبلقاء وجبل عوف والحياينة والسواد ، وتنافس الجولان وما يقربها إلى بلد حوران (٤) . وقد توقف هذا المصين حين رجعت الكفة الإسلامية .

التجارة :

ارتبطت الحركة الصليبية منذ توجهها إلى المشرق الإسلامي ، بالمدن التجارية الإيطالية ، وكان لهذا الأمر آثار خطيرة على الحركة الصليبية نفسها ، فقد غيرت اتجاه حملة كان من المقرر أن تتوجه إلى مصر باعتبارها الحامل المهم في هزيمة الفرنج في حطين ، ولكن العلاقات التجارية بين هذه المدن ومصر كانت طيبة ، فأقنع التجار الفرنج بأن يهاجموا القسطنطينية التي تخلت عن الفرنج في بعض معاركهم في مصر والشام ، ولكن الحملة فشلت ، وبدل هذا على تأثير المدن التجارية في سير الحملات الصليبية .

(٢) المصدر السابق ٢٢٣

(٤) الروضتين ٢٩٧/٢

(١) رحلة ابن جبير ٢٢٤

(٣) المصدر السابق ٢٢٥

على أن الصليبيين ومن خلفهم من الأوروبيين اتخذوا بعض المدن التجارية في الساحل الشامي مركزا لهم للبيع والشراء . ومن المدن التي اتخذوها لهذه الغاية مدينة عكا التي كانت محطة القوافل وملتقى التجار من المسلمين والفرنج . يقول ابن جبير فيها : " قاعدة مدن الفرنج بالشام ومحط الجوارى ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق ، سككها وشوارعها تخص بالزحام وتنهب فيها مواطنون الاقدام (١) ومثلها مدينة صور (٢) .

ولم تكن عكا أو غيرها لتفص بالزحام لولا كثرة التجار ، فقد اجتمعوا فيها من جميع الافاق ، وتوضح ذلك ، أن القوافل كانت تختلف من مصر الى دمشق ، ومنها الى بلاد الفرنج ، كل ذلك دون انقطاع (٣) وكذلك كان تجار الفرنج يدخلون البلاد الاسلامية ، لا يمنع أحد منهم ولا يحترض (٤) حتى في أوقات المعارك ، وهذا ما يتضح من حكاية الصميدى وزوجته الفرنجية ، حيث ذهب الى عكا لبيع الكتان فيها وهي مع الفرنج (٥) ويتضح كذلك ، اذا أخذنا بالرواية ، من حكاية مريم الزنارية أن الفرنج دخلوا الاسكندرية ، واشتروا ما يريدون ، ثم عادوا الى بلادهم ومعهم مريم الزنارية الفرنجية (٦) .

وفي عهد بيسرس عقدت هدنة بينه وبين بيت الاستيوار ، نصت على أن يكون التجار والسفار المترددون من جميع الجهات المذكورة آمنين من الجبهتين (٧) . ويظهر من النص الأخير أن التجار تميزوا بمعاملة خاصة من كلا الطرفين ، منذ وقت مبكر ، إذ يروى أسامة بن مقلد أنه اجتاز سوق عكا ، واذا امرأة فرنجية ، تملقت به ظنا منها أنه قاتل أخيها ، فأجتمع عليه رجال الفرنج ، ولم يتخلص أسامة منهم إلا حين جاء أحد منهم وقال : هذا رجل برجاسي (أي تاجر) لا يقاتل ولا يحضر القتال ، ففترقوا عنه (٨) .

وقد عين الفرنج نقاطا للحراسة على مداخل البلد التي تمر منها القافلة ، ونقاطا أخرى داخل المدينة ، وسبب هذه الحراسة فحص المواد المنقولة ومعرفة أصحاب السلع من غيرهم منعا للسرقات ، وكان يتم ذلك كله بالمعاملة الحسنة . يقول ابن جبير : " وطلب رجل من لا سلحة له لثالا يعتوى على سلعة مخبوءة فيه ، وأطاعه جيله حيث شاء ، وكل ذلك برفق وتؤدة ، دون تعنيف ولا حمل " (٩) .

- | | | | |
|-----|---|-----|-------------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٧٦ | (٢) | المصدر السابق ٢٧٧ |
| (٣) | المصدر السابق ٢٦٠ | | |
| (٤) | ألف ليلة وليلة ٤/٧ وأنظر الكامل ٥٣٩/١١ | | |
| (٥) | المصدر السابق ١٩٩/٦ | | |
| (٦) | صبح الاعشى ٣٧/١٤ ، وأنظر محمد زغلول سائيم / ضياء الدين بن الاثير ١٥ | | |
| (٧) | الاعتبار ١٤٠ | (٨) | رحلة ابن جبير ٢٧٦ |

أما ان حدثت سرقة أو أخيزة ، فتفرم الجهة التي سرقت عندها ، أو تحلف اليهين ، وقد جاء ذلك في الهدنة التي عقدت بين بيبوس وبين بيت الاستبصار اذ نصت على أنه ان تعدى أحد من أصحابه (الاستبصار) بأذية ، أو تعدى أحد من الفرنجة في بلاده بأذية ، كانت المهلة في ذلك خمسة عشر يوما ، فان تكشفت الاخيزة ، أعيدت ، والا تحلف الجهة المدعى عليها أنها ما علمت ومسا أحست (١) .

ويبدو أن التجار اتخذوا زيا خاصا بهم . ففي زمن الصالح أيوب تحرك ملك فرنسا يريد مصر ، فعلم ملك صقلية بذلك ، فأرسل ابنه يخبر الصالح بعمزم لويس التاسع على قصد مصر ، وكان ذهابه الى مصر في زى تاجر خوفا من الفرنج أن يعملوا مبالاة الانبراطور للمسلمين (٢) ، هذا ، وقد وردت اشارات عابرة عن المواد التي تاجر بها الفرنج ، وأهمها الفضة والاشياء الأثرية ، فقد ظفر المسلمون بمراكب لتجار المدو في حصار عكا ، يحمل معها فضة مصوغة وغير مصوغة (٣) ، وأما الاشياء الأثرية ، فقد أخذوها من القدس ، وأعوها في صقلية (٤) .

أما التجارة الداخلية ، فقد كانت تتعلق بحاجات الجيش من ميرة وسلاح ، كما حدث مع ملك الألمان الذي فنيت أقوات جيشه وأسلحتهم بسبب ما لاقوه من مصاعب وقاتل في طريقهم الطويل . فاتفق مع ملك التركمان أن يتزود عسكره من أسواق السلاجقة ، لينهضوا ما فقدوه ، يقول السجاد : وأقام لهم الاسواق ، وعرض عليهم الأمتعة والأعلاق ، فساروا في رفعة ورفق ، وتقوبلا ثوق (٥) . وكان أرنط يحصن حصنه في الكرك بما يشتريه من سوق الحسكر (٦) ، هذا ، وقد استعمل الفرنج العملة الذهبية للبيع والشراء ، وكانت الوحدة المستعملة التي تحدث عنها الادب ، هي الدينار الصوري ، والدينار أربعة وعشرون قيراطا (٧) ويصف الفلقشندي الدينار الصوري فيقول : " دنانير يوتى بها من البلاد الفرنجية والروم ، وهي معلومة الوزن ، على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وولس الدواريين (٨) . ومن الأدلة التي تثبت استعمالهم للدنانير الصورية ، ما ذكره ابن جبير عن التمكين حيث يقول : " والتمكين بالدنانير الصورية " (٩) وما جاء في مضمار الحقائق من أن ابن بارازان الفرنجي بذل في نفسه مائة وخمسين ألف دينار وابن القومصية افتكته أمه بخمسة وخمسين ألف دينار صورية (١٠) .

- | | | |
|--------|---|-------------------------|
| (١) | صبح الاعشى ٣٤/١٤ وأنار ٣٨ (٢) | مفرج الكروب ٢٤٧/٤ |
| (٢) | الروختين ١٨١/٢ (٤) | الفتح القسي ١٤٢ (٥) |
| (٦) | مفرج الكروب ٢٨٣/٢ (٧) | رحلة ابن جبير ٤٧٤ (٨) |
| (٩) | رحلتا ابن جبير ٢٧٤ | |
| (١٠) | مضمار الحقائق ١٧ ، والكامل ٤٥٦/١١ ، وصبح الاعشى ٣٤/١٤ | |

أشار الادباء الى بعض مزارع الصليبيين في مصر، حديثهم عن سيطرة المسلمين عليهم وتدمير زرعهم ، وقطف ثمار أشجارهم ، وهم لا يستطيعون دفعها ولا صدأه يقول صاحب مزار الحقائق في نزول صلاح الدين سنة ٥٧٨ على الكرك : " ووجد فيها جمعا عظيما من الفرنج ، فنزل قريبا منهم ، فأخذ للناهم وضايقتهم ، حتى لا ذوا بالجدار ، فاستولينا عليهم ، فقطعنا أشجارهم ورعيانا زرعهم ، وجعلنا نشتن الفارات عليهم مدة عشرة أيام " (١) . وكتب محيي الدين بن عبد الظاهر السلي ملك الفرنج في داربلن وأنطاكية : " قد علم القوم كيف فارقتنا بلادك ، ومسا بقيت فيها ماشية الا لدينا ماشية " . . . ولا زرع الا وهو محصود ، ولا موجود الا وهو منك مفقود . . . " (٢) ويقول سبط بن التعاويذي :

جهوشهم بالربع مخلولة وزرعهم بالسيف متصود (٣)

ولكن المزارعين - مع هذا - أعدوا حرية التثقل لتصرف منتوجاتهم ، وللمسلمين نالوا هذه الميزة لأنهم اشتركوا مع التجار في النشاط الاقتصادي ، بل أصبحت حرية التثقل اتفاقا محولا به زمن الظاهر بيبرس ، فقد نصت الهدنة التي عتدها مع بيت الاسطبار على " أن يكون فلاحوبيت الاستبار راضين وغادين ومتصرفين في بيهم وشرايتهم لا يتعدى عليهم أحد " ، وكذلك جميع فلاحبي بلاد الاسماعيلية (٤)

الحيوانات :

وقد اعتمد الفرنج عليها في غذائهم وتثقلهم ، فكانوا يستوردونها من الغرب ، أو يشترونها من المنطقة ، ثم يخافون عليها ، ويقدمون لها ما تحتاجه من أعلاف وقد ورد ذكر الأدب للحيوانات في مجال سيطرة المسلمين على الفرنج . يقول صاحب مزار الحقائق عن صلاح الدين : " وساق أغنامهم وأبقارهم ، وغسرب عليهم بل أحرقت ديارهم " (٥) . ويقول العماد : " وأنتهى اليها أن الفرنج ينتشرون في الأرض وينبسطون في موضع القبض ، ولا يعتزلون في الرقع والخفض ويحتلبون ولا يحتاطون ، ويحتشون ولا يختشون " (٦)

وقد اعتمد الفرنج على الإسماعيليين من مصادر الغذاء ، ولكن قوة المسلمين المتصاعدة جعلت الفرنج يقدمون نصف إنتاجها اليهم ، كما نصت على ذلك السك الاتفاقية التي عقدت بين الطرفين سنة ٦٦٥ هـ وقد جاء فيها " وتكون مصيدة السمك الرومية منها تحصل منها يكون النصف منها للملك الظاهر بيبرس والنصف الثاني لبيت الاستبار . . . " (٧)

- | | | | |
|-----|-------------------------|-----|--|
| (١) | مزار الحقائق ٩٢ | (٢) | صبح الاعشى ٢٩٦/٨ |
| (٣) | ديوان ابن التعاويذي ١١١ | (٤) | صبح الاعشى ٣٥/١٤ |
| (٥) | مزار الحقائق ٣٣ | (٦) | الفتح القسي ٢٩٢ وأنظر النوادر ٢٠٠ والبروغتين ١٤١/٢ |
| (٧) | صبح الاعشى ٣٣/١٤ | | |

هذا ، وقد ذكر الأدب بعض صناعتهم ، وهي صناعة حربية كصناعة الأبراج والأسلحة الخفيفة ، وقد سبقت الإشارة الى ذلك .

وبلا شك ، مما مضى أن دخل القود الفرنجي في بداية الحروب الصليبية كان عاليا لتوفر مصادر الدخل ، مما جعل أحد امراضهم يومئذ فرسانه لضعفهم أمام المسلمين ، مع أن دخل الفرنجي يعادل دخل مائة مسلم ، قال لهم : " انتم فرساني " وكل واحد منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم ، وهو لا سرجند (Sergeant) (يعني رجالة) ما تقدرتون ثقلهم من موضعهم ؟ (١) .

ولكن هذا الدخل تناقص تدريجا ، بل حدثت أزمات اقتصادية خانقة فيما بعد ، بسبب تدهور الأحوال السياسية ، إذ انحصر ملك الفرنج في صور وأنطاكية ، فاجتمع الفرنج كلهم في هذه المناطق ، وساءوا ما لا يمكنهم حمله بأرضهم ، ثمن كما قضى بذلك الاتفاق (٢) ، ثم قدمت الجيوش الفرنجية بأعداد هائلة عن طريق القسطنطينية ، وحين وصلوا أنطاكية استهلكوا بضاعتها ، فارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا حتى بلغ سعر غرارة القمح اثني عشر دينارا . يقول الحماد : " وكانت حينئذ أنطاكية قد أسمر غلتها غلاء سحر الخلة " ، وكل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة ، والغرارة تساوى اثني عشر دينارا ، والقوم قد شارفوا فيها تبارا وموارا " (٣) . بل إن ابن شداد يذكر أن سعر الغرارة بلغ ستا وتسعين دينارا صورة (٤) .

وأما في عكا حيث اجتمعت الجيوش الصليبية ، فقد ازدادت الأسعار أكثر مما كانت عليه في أنطاكية ، إذ بلغ ثمن الغرارة أكثر من مائة دينار . يقول الحماد : " وكانت الغرارة من الخلة قد بلغت أكثر من مائة دينار ، والسعر من الزيادة لديهم في استنار (٥) وسبب هذا الغلاء التجأت جماعة منهم الى المسلمين ، وماتت جماعات يقدرها ابن شداد بمائة ومئتين يوما (٦) ، ويصور الحماد حالتهم تلك فيقول : " وغلّت الأسعار ضد الفرنج ، واستمرت الخلل ، وأغلّتهم ما عراهم ، وترشهم الضلل ، وساءوا بالهاء ، ولوا من الهلاك ، وغلوا من الغلاء ، وتضرروا من الغراء ، وشقوا من الشقاء ، وعتت الجماعة الجماعة ، وعدموا الطاعة والاستماعة ، وزاد جوعهم ، وزال هجوعهم ، وقصرت عن الفرار بوعهم ، وأصلحت روعهم ، واستحال رتوعهم ، وعتت الرغب على الهرب ، أو القحط على الشغل ، لكنهم أقاموا على الموت ، واستنابوا الى القوت ، ولوا بأمور صعبة ، وهرب الينا منهم عيبة بعد عيبة " (٧) . ولم تكن حالهم من بيروم وتلاوون والاشرف بأحسن مما كانت زمن صلاح الدين ، بل إن حالتهم ازدادت سوءا ، لأنهم زمن صلاح الدين وجدوا الحماس الأروحي يمددهم بما يحتاجونه من ميرة وأموال وسلاح ، ولكن هذا الحماس تضاعف زمن بيروم حتى قضى عليهم نهائيا زمن الاشرف ، ولم يبق لهم بعد ذلك قائمة .

- | | | |
|---------------------------|---------------------|-------------------------------|
| (١) الاعتبار ٦٧ | (٢) الكامل ٥٥٣/١١ | (٣) الفتح القسي ٢٥٩ |
| (٤) النوادر السلطانية ١٤٦ | (٥) الفتح القسي ٤٤ | والروستين ١٦٥/٢ والكامل ٥٤/١٢ |
| (٦) النوادر السلطانية ١٥٤ | (٧) الفتح القسي ٤٣٩ | |

أقام الصليبيون كياناتهم السياسي في المشرق الاسلامي على شكل امارات منفصلة ، هي الرعا وانطاكية والقدس وطرابلس ، وتشكل منها الاطار العام للحكم السياسي ، اذ كان الاديبة يبرزون الفرنج كلاً متماسكاً ، في بداية تأسيس تلك الامارات ، وربما خلط بعضهم بين الروم والفرنج ، ثم اتضحت الرواية تدريجاً ، وصار الاديبة ينسبون الفرنج الى مناطق وجودهم ، فيقولون فرنج انداكية ، وفرنج الرها ، وهكذا ، ولكنهم مع هذا نزلوا الى امارة القدس نظراً خاصة ، لانهم أدركوا أن من اسباب الحروب الصليبية ، العامل الديني ، يضاف الى ذلك توجه كثير من الفرنج الى القدس للحج ، وتوسع الفرنج الذين فيها فسي أرض الشام ومصر .

ولكن هذه الامارات ، وعلى رأسها القدس ، لم تركز على أساس متين ، فهي كانت قائمة على أساس الانكاء على قوة الغرب الاوربي ، مع انهم جاهدوا في بناء كيان سياسي منفصل عن الغرب ، وقبول في المشرق الاسلامي ، فعملوا من أجل ذلك على التوسيع السريع لتكون البقعة الجغرافية صالحة لاقامة كيان مكثف متكامل ، يمدد انتاجا . يضمن لهم الاستغناء عن الجهات الاخرى ، كما أن الفرنج حاولوا الاستفادة من الاوضاع الداخلية للبلاد الاسلامية ، فتوسعوا في الارض الاسلامية ، وأمدوا أعداء الامة ، ولكن مسيرة الوحدة والجهاد كانت أسرع من عملياتهم ، فأوتشتغل انهم أولاً شهجرت فيما بعد الى مرحلة الهجوم ، مما اضار الفرنج الى الدماء بوقف القتال على أن يحترق المسلمون بهم بوصفهم جيوانا لهم . وراسلوا صلاح الدين في ذلك مرات ومرات (١) ، كما راسلوا قطز وميرس وقادرون وغيرهم (٢) وكان جوابهم أن الارض ليست لهم ، ولكنها للمسلمين ، فلا يستطيعون المفاوضات عليها ، حتى اكتملت التعبئة النفسية والعسكرية عند المسلمين ، مما مكّتهم في النهاية من اجتثاث الخزاة من المشرق الاسلامي .

ولقد كان للتكوين الاجتماعي في المجتمع الصليبي أثر في تذلّمهم السياسي ، فهم من طبقات شتى وأجناس مختلفة ، جمعتهم المصالح النارية والاستثارة الدينية ، فجاءوا مما من أجل أن يقاتلوا وينشأ كيانا لهم في المشرق ، فجاء هذا الكيان صورة عن الانظمة السياسية الغربية ، وانتخبوا في القدس ملكا على الطريقة الغربية .

وقد اتخذ ملك الفرنج القدس عاصمة لهم منذ احتلالهم لها والى حين استعادة المسلمين لها سنة ٥٨٣ هـ ، ثم اتخذوا عكا قاعدة لهم ، وقد تبصمهم في ذلك أمراء المناطق التابعة للقدس ، وتبع الامراء الفرسان والفلاحون وهذا كان النظام المتبع نظاما اقطاعيا ، يكون الملك بموجبه على رأس الحكومة (٣) ، وهو الذي يصدر القوانين والتشريعات

(١) انذار الروميتين ١/١٠٢٦ ١٠٣٦ ١١٥٦ ١١٩٦ ١١٩٦ ٢٠٣٦ ، والحركة

الصليبية ٤٦٥

(٢) انذار النجوم الزاهرة ٦/٣٦٧ ونهاية لأرب ٥/١٥٣

(٣) الحروب الصليبية ٢/٤٨٠

بمساعدة مجلس الفرسان والقساوسة . . . ويدل على ذلك ما فعله الملك فولك حين مرر في
الداوية أغنام المسلمين ، فأمر الملك أن تعقد محكمة من الفرسان ، وأصدر حكم التنفيذ بمسد
المشاور بالشرافة (١) ، دون الرجوع إلى سلطات أخرى .

ولكن الملك لم يكن دكتاتوريا ، يتفرد بإصدار القرارات أو التشريعات ، وإنما كان
يعالِب عقد مجلس شعوري ، وله حق الصداقة على القرار . وأما تشكيل المجلس فقد كان ينتخب
من موثق إلى آخر ، وقد كان أعضاؤه إما من الفرسان أو القسوس أو من ههنا وههنا ، وقد يكون من
الأمر . وعدد الأعضاء قد يزيد عن الثلاثة ليصل إلى عشرة ، ومن ذلك أن (مري) جمع
أمرائه واستشارهم بعد الذهاب إلى مصر لأنه يتيح المجال لنور الدين " يتفقد فيها لأن
أهلها يميلون إليه دون الفرنج (٢) .

وعين هاجم صاحب الدين الأبرية ، واجتمع أمراء الفرنج ، وأشار ملك طرابلس بعدم
التمرض له ، ولكنهم رفضوا اقتراحه وكان بينهم خلاف فاصلا حوا " وتأمروا فيما بينهم
وتشاوروا " (٣) ، ويقول ابن شداد في قصص الفرنج إلى القدس بعد سقوطها : " عكا سنة
٥٨٢ هـ : " وانهم قد نصوا على عشرة أنفس منهم وحكمهم ، فأبى شي ، أشاروا به
لا يخالفونهم (٤) . . . ويقول : " فاتفق المال على أنهم حكموا ثلاثمائة من أعيانهم ،
وحكم الثلاثمائة اثني عشر منهم ، وحكم الاثنا عشر ثمانية منهم ، وقد باتوا على حكم الثلاثة ،
فما يأمرهم به يفعل " (٥) .

ومع أن الملك مصدر السلطات القضائية والتشريعية ، إلا أن حكم الفرسان نهائي ولا
يرده الملك ، وهذا ما يفهم من تعقيب أسامة على الحادثة السابقة : " وهذا الحكم بمسد
أن تعقد الفرسان ما يقدر الملك ولا أحد من مقدمي الفرنج يغيره أو ينقضه " (٦) ويؤكد
ذلك ما ذكره ابن شداد من أن القسوس رفضوا بذبح أحد الجناة فتشفيح بعضهم لدى الملك
فلم يلتفت إلى ذلك وذبحه (٧) .

تقدير الحكم :

نذار الصليبيون إلى ملوكهم وأمرائهم نظرة تقدير وأعجاب لما كانوا يشيرون به من
فروسيته وتضحية ، ولما كانوا يبذلونه من أموال ، لا سيما أنهم الاقلاميون الكبار . يقول ابن
جبير في صاحب دارابلس وأبرية : " وهو ذو قدر ومغزلة عندهم ، وهو الموهل للملك ،
والمرشح له ، وهو موصوف بالدعاء والحكر " (٨) ، ويصف ابن شداد نظرته لملك فرنسا
فيقول : " وكان عظيما عندهم قدما معترفا ، من كبار ملوكهم يفتاد إليه الموجودون في
الحسكر بأسرهم ، بحيث إذا حضر حكم على علي الجيني . . . " (٩) ويقول الصلاد : " وما زال

- | | | | |
|-----|---|-----|---|
| (١) | الاختبار ٦٤ | (٢) | الكامل ٣٣٥/١١ - ٣٣٦ |
| (٣) | الفتح القسي ٦٥ ، وانظر ٦٦ ، والكامل ٥٣٤/١١ ، من تاريخ الحرب المقدسة | (٥) | المصدر السابق ٢١٨ ، وانظر مذكرات جوا : |
| (٤) | النوادر السلطانية ١٢ | (٧) | النوادر ١٢٦ |
| (٦) | الاختبار ٣٥ | (٩) | النوادر السلطانية ١٥٦ - ١٥٧ ، وانظر ١٣٤ |
| (٨) | رحلة ابن جبير ٢٨٢ | | |

الفرنج في وهن وضعف ، وتوزع وخلف ، حتى وصل في البحر كند يقال له هري ، ونمو عندهم عظيم القدر ، فأكمل بمن وصل معه نقصهم ، وأحيا بعد موت نفوسهم حرصهم ، وأفاض عليهم الأموال ، وحلى منهم عند عائلها الأحوال (١) .

ومن مذاكر تقديرهم للحاكم هذا لهم أرواحهم دونه ، ففي معركة حطين نصبوا لملكهم خيمة ، على ثل بناحية حطين ، وأحاط به نحو من مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجمان المذكورين (٢) ويقول المحاد في آخر : " وقاتل دونه جماعة من المقدمين فما قتل حتى قتلوا ، ولا بذل روحه حتى بذلوا " (٣) .

أما إن قتل أو أسر أو انهزم ، فإن ذلك يفت في أعقادهم ، ويشير حزنهم ، فحين أسر جوسلين " أصيبت النمرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وخلت بلادهم من حاميتها ، وثغورهم من حافظها ، وسهل أمرهم على المسلمين من بعده " (٤) . وحين قتل الكندي هري " أكثر الفرنج عليهم التدويل عويلا ، وابتاعوا يندبونه نوحا ، ويذيعون سر تقدمه بوحا (٥) وحين انهزم ملك دارا بلن في معركة حطين قبل انتهائها " سقط في أيديهم وكادوا يستلذون " (٦) .

ولكن تقديرهم للحاكم ، وطاعتهم له لم يكونا مطلقين بلا حدود ، ودون اعتبار للمصلحة العامة ، فحين أسر ابن صاحبة الكرك اشترط عليها صلاح الدين أن تسلمه الحصن مقابل إخلاء سبيل ابنها ، فمادت إلى سكان الحصن وتوسلت اليهم أن يرحلوا عن الحصن لتسلمه إلى صلاح الدين ، فكان موقفهم قاسيا معها ، لأنها تجاوزت ما اعتبروه مصلحتهم العامة ، وخرجت عن المصهور في البذل والتضحية ، ولذا لخصوها ونسبوها إلى موافقة الاسلام . يقول المحاد : " فلما وصلت قاطعوها ، ودافعوها عن حصونها ومانعوها ، وأخلقوا ذاتها وغالفوها ، حيث ما ألفوها كما ألفوها ، وجنحوا وجمحوا ، واعتبروا عليها واجترحوا ، وعصوها وأتصوها ، وعددوا عليها الذنوب وأحصوها ، وأنحشوا لها في فناء الخراب ، وأوحشوها بالتضي عن صوب الصواب ، وسبموها وسبوها ، وإلى موافقة الاسلام نسبوها " (٧) * .

-
- (١) الفتح القسي ٤١٣
 (٢) الكامل ٥٣٦/١١ ، وأنظر الروضتين ٨٧/٢ ، ١٩٢
 (٣) الروضتين ١٩١/٢
 (٤) الروضتين ١٨٣/١/١
 (٥) الفتح القسي ٤١٥
 (٦) الكامل ٥٣٥/١١
 (٧) الفتح القسي ٢٠٧
 * للمزيد من الأمثلة عن تقدير الحكام ، أنظر النتج ١١٠ ، الروضتين ١٦١/٢
 مذكرات جوفانفيل ١٩٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤

لاحظ الأدباء بعض مظاهر العياقة السياسية ، ومنها الحكم ، وقرروا أنه كان حكماً وراثياً ، لا فرق فيمن يتولاه بين ذكر وأنثى ، وفي هذا ينطالقون من النظام الاقطاعي ، فقد ولوا أمهم ولداً مجذوماً ، وما كانوا ليولوه لولا النظام الوراثي ، يقول الحماد : " لما هلك الملك أماري (سنة ٥٦٩) خلف ولداً مجذوماً ، وكان مع الوجود معدوماً ، قد أخذ داوود ، وأيسر شفاوود ، وسقطت أعناوود ، وطال داوود ، فوضع الفرنج التساج على رأسه ، وتمسكوا من أمراضه بأمراسه " (١) .

وما داموا قد ولوا أمهم ولداً مريضاً فلا غرو أن يولوا أمهم امرأة ، وقد أجاز قانونهم ذلك ، ومارسوه فعلياً بشكل لافت للنظر ، يقول الحماد : وعادتهم أنه إذا مات ملك ينتقل ملكه إلى ولده ، وسواء في هذا الميراث ، بين الذكور والإناث ، ويكون الملك بعد الابن ، إذا لم يخلف ابناً ، للكبرى ، فإن توفيت من غير عقب ، كانت للصغرى " (٢) وجاء في الرويتين أن صاحب انداكية خلف ابناً بعد مقتله ، فتزوجت أمه ببرنر آخر ليدير الجيش حتى يكبر بوهند الثالث (٣) .

وقد أحصى أحد الدارسين البيوت التي انتقل عن طريقها الملك ، فذكر أنه عندما تزوج فولك ميليند انتقل العرش إلى بيت انجو (١١٣١-١١٨٦) ثم انتقل العرش بزوج ايزابيلا للمرة الثالثة إلى بيت مونفرات (١١٩٠-١١٩٧) ودي شامبان (١١٩٢-١١٩٧) ثم عاد العرش إلى بيت لوزيجنان (١١٩٧-١٢٠٥) ثم انتقل بعد ذلك إلى بيت بريسن (١٢٠٥-١٢٢٥) ثم أخذ ينتقل العرش بواسطة الإناث إلى أن استقر في عام ١٢٦٩ في بيت لوزيجنان (٤) .

وقد كان هذا ماثراً انتقاد الإمبراطور فردريك الذي تأثر بالثقافة الإسلامية فيسرى ابن واصل أن الإمبراطور سأل الأمير فخر الدين عن الخليفة ، ما أصله ، فقال : هو ابن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أخذ الخاققة عن أبيه وأخذها أبوه عن أبيه وهكذا ، فقال ما أحسن هذا ، لكن هؤلاء القليلي الصقول - يعني الفرنج - يأخذون رجلاً من المنزل ليس بنموين الصبح نسبة ولا سبب ، جاهلاً قد ما يجعلونه خليفة عليهم ؟ (٥)

- (١) الفتح القسي ٦٧ ، وأنظر ابن جبير ٢٨٢
- (٢) الفتح القسي ٤٩٤
- (٣) الرويتين ١٥٢/١/١ - ١٥٣ وأنظر رسيمن ، الحروب الصليبية ٢/٦٦٨
- (٤) عهد الحفيظ محمد علي ، العناية السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ورقة ٣١ رسالهما جستير القاهرة ١٩٧٥
- (٥) مفرج الكروب ٢٥١/٤

أدى الصراع الى تماسك الصليبيين على اختلاف مشاربهم ، حتى تحققت لهم
الاستمرارية لعدائهم التي أقاموا بها كياناتهم السياسية . ولكن هذا الكيان حمل في طياته
بذرة فناءه ، ومن هذه النذور ، الحكم الوراثي الاقطاعي ، ومنها وجود عدة أجناس وشرق
مختلفة . واثبتت هذه الفرق جهدا عظيما في بناء الكيان السياسي للفرنج ، الا انها
لم تكن تتقسم على نفسها ، وأصبحت فيما بعد - دولا داخل دولة ، تحمل كل فرقة دون
الآخرى مع غيرها من سهل القضاء عليها فرقة فرقة (١) .

وقد رصد الادباء بعض الحالات التي وقع الخلاف فيها بين الفرنج أنفسهم ، ومنهم
جون شيرم . هذا عن الخلاف فيها بينهم ، فقد ظهر في أول حمله وصلت الى انطاكية ، اذ كان
يملكها مسيحية أمراء ، فأمره كل أمير أن تكون المدينة له ، فاختلوا (٢) . لكن هذا الخلاف
لم يدم ، والفرقة كان قابلا ، يتلافى بسرعة ، ولذلك يقول ابن القلانسي حين اختلفوا وهم على
الخلاف : " وشببت المحاربة وقتل منهم جماعة من غير عادة جارية لهم بذلك (٣) " .

واما استقرت الأمور ، وامتد النزو الى مناطق واسعة ، وصل الخلاف بهم الى حد
الاستجداء ، صاحب داربلوس بصلاح الدين . ويصف الصناديق هذا الخلاف بقوله : " وقد كان
بينهم خلاف شديد ، فحاربوا في ذلك ، ووقعوا قتلى بين الانصار ، ووقود شرار بين الشرار " (٤)
الجزء الذي لا امان ، خاف الفرنج على كبرهم منه ، فعملوا على اشتهار أنفسهم قبل وصوله
حتى لا يكون له الملك ، يقول الصناديق : " كان الفرنج لما صحّ عندهم وصول ملك الامان
الى انطاكية ، فأنهم بالاحياء اليها بالزعماء بالاعشاء ، فقلوا : انه اذا جاء لا يبقى لنا
شيء ، والصواب أن نشيخ لنا قبل شيخ اسمهم " (٥) ويقول : " وما زال الفرنج في
مخاوفهم بعضهم وخطبهم " (٦) .

بعد أن احتلوا مكة ، توجهوا الى القدس ، فسبقهم اليها صلاح الدين وحصنها
وشرب آبائها القوية منها ، فلما وصلوا المناقاة اشتدوا في الصعود الى القدس (٧) .
شهادة الامير زمن قلاوون وابنه حتى تباينت الاخبار بنزول الفرنج بعضهم بعضا ،
وأبجبا بحيث منهم أرضهم ، وأنهم تقاتلوا بذهابهم والملاحم ، وما بقي لهم من ارضهم (٨) .

- (١) : الفتح النقي ١٦١ ، وانظر تشريف الايام بالمصور ١٧٧ ، ومذكرات جوانفيل ٢٢٦/٢٢٧
- (٢) : رسالة الخب ١٣٢/٢ ، وانظر ص ٢١٥ ، ص ٢٤٢ ، ج ٢/٣
- (٣) : اويل تاريخ دمشق ٣٣٦
- (٤) : الفتح ٦٥ ، وانظر ص ٦٧ ، وانظر ٢٧/١١
- (٥) : الفتح النقي ٤٠٣ ، والروضتين ١٦٠/٢
- (٦) : الفتح النقي ٤١٣
- (٧) : انوار الدرر السلطانية ٢١٧ ، وانظر احمد بن علي المصري / حياة صلاح الدين ١٧٥ ،
وانظر انوار روضتين ١٩٦/٢ (٨) : تشريف الايام والمصور ٥٨

أما خلافتهم الروم ، فيظهر من رسالة كتبها القاضي الفاضل إلى الديـسـوان
 ببغداد سنة ٥٧٨ هـ يخبره بكتاب ورد من مصر بأن المسلمين كسبوا بطشاً فرنجية كانت قد
 خرجت من القسطنطينية "لفتنة وقعت بين روما وفرنجة" ، فقتل منهم خمسون ألف فرنجي
 وأفلت منهم بطش منها هذه البطشة ، وفيها رجال أكابر ومقدمون لهذكر سائر (١) .
 وقد حدث خلاف آخر بين الروم والفرنج حين حاصروا دمياط ، ثم ما لبست
 أن عاد الروم ، ففشلت الحملة على مصر ، مما قطع العلاقات بينهم .

وهذا لك أمن صلاح الدين من خطرين من جهة الروم : الأول أنه أنه حالتهم
 وحرف جهده لمقاومة الفرنج ، والثاني : أنهم كانوا يخبرونه بتحركات الفرنج التي كانت
 تنطلق من القسطنطينية إلى بلاد الشام (٢) .

ونلاحظ أن هذا الخلاف كان سبباً من أسباب نهايتهم في بلاد الشام ، وثمة
 أسباب سياسية أخرى للخلاف ، منها أن الفرق الكثيرة التي أنشأها الكيان السياسي
 جعل بعض الفرنج يميل إلى السلم دون أغلام الفرق الأخرى ، مما ساعد على التمهيد
 النفسي لتراء القتال ، بينما كان المسلمون يقبلون السلم ، ولكنهم يعدون العدة للجهاد
 والتخلص من النزاة .

(١) الروشتين ٣٢/٢

(٢) النوادر ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٣٢ - ١٣٣

الباب الثالث

التقويم الفلكي

الفصل الأول : الشمس

الفصل الثاني : النجوم

موازنة بينهما

الفصل الأول

أدب عساف :

يقتصر التقويم الفني للشعر ، على ذلك النوع من الشعر الذي تصدى للأحداث التي جرت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهذا يعني أن نسلط الأضواء على أدب التزم بالدفاع عن وجود الأمة الإسلامية ، خلال هجمة غاتية عليها ، وهو بذلك يمثل ظاهرة الشعر الجماعي في الأدب العربي ، على نحو ممتاز ، وذلك لأن الشاعر العربي فسي هذه الفترة ، نفذ من الدائرة الذاتية الضيقة ، إلى الدائرة الإسلامية ، عبر الدائرة الوطنية ، فهو في مقاومته للمحتلين المسلمين مؤز ما فعلوه في البلاد المحتلة من قتل وتشريد وتخريب وتدمير ، وناشد كل مسلم أن يهتب للذود عن المحارم ، يقول الأبيوردي :

<p>فأيها بني الإسلام إن وراءكم أتهويمة في ظل أمن وغبطة وأخوانكم بالشام يضحي بقلوبهم يسومهم الروم الهوان وأنتهم وكم من دماء قد أبيحت ومن دمي بحيث السيف البيض محمرة الثوب وبين اختلاس اللعن والنرب وثقة</p>	<p>وقائع يلحقن الذرى بالناسم وعيش كنواز الخيلة ناعم ظهور الذكوي أو يطلون القشاعم تجرون ذيل الخفض فعل الصالسم تواري حياء حسنبا بالخاصم وسر الحوالي دأيات اللهمكاذم تظل لها الوالدان شيب القسوام</p>
--	--

الى أن يقول :

<p>أتاضي صناديد الأعارب بالاذى فليتهم أن لم يذودوا حميسة ويقول آخر فيما أحدثه الفرنج من مجازر ، مناشدا ذوى البصائر أن يهبوا للتصدي لها :</p>	<p>أمور لو تأملين دافقسل أشبهى الصلوات بكل ثغر أما لله والإسلام حسس فقل لذوى البصائر حيث كانوا</p>
--	--

وهفي انتصارهم ، إنما يمثلون انتصار الحق على الباطل ، يقول ابن دنينير في استرداد دمياط سنة ٦١٨ هـ :

<p>الله أكبر جاء الحق يقدمه كم موقف لك ليس الله ناسيكه</p>	<p>نصر المليك قلاؤان ولا جحد والدين مهتضم والملك مضطهد</p>
--	--

(١) الكامل ٢٨٥/١٠ ، نهاية الارب ٢٢٦/٥ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥

(٢) النجوم الزاهرة ١٥١/٥

جلوت وجه الملى فيمذى شطاب ماء النية في متيمم السرد (١)
ويقول العماد في صلاح الدين :

بعمودك عاد الحق واتضح الهدى وهب نسيم النصر وانفج الضغط (٢)
وهو انتصار الكارم والناقب الحسنة ، يقول ابن القيسراني في عماد الدين زكي :
نشرت الفضائل بعد الخمسول ألا ريتا نبهة الخامل (٣)
ويقول ابن الدهان في صلاح الدين :

ولولاك مات الفضل حزلا وأصبحت رياض الاماني ذاويا عوطلا (٤)
وهو دلرد للخزاة عن أرض يملكها أصحابها ، يقول ابن سناء الملك في مدح المزيـر
عثمان سنة ٥٩٤ :

الشام الاسلام دار القسرار وكان من قبل طريق القسرار
وكان في ظلمة ليل دجست فجاء عثمان معا والنهـرار
وجاءه بالبر بعد الضنى وجاءه بالامن بعد الحسـذار
فيا امان الكفر لا تأمنوا بدار ما الشام لكـربـدار (٥)

وأخيرا ، هو انتصار التوحيد على من لا يؤمنون بالتوحيد ، يقول ابن سناء الملك في
صلاح الدين :

أقيمت بها التوحيد لله وحده وأنسيت فيها الروح والاب والابنا (٦)

تلك أمثلة سريعة نفذ الشاعر من خلالها الى الدائرة الواسعة في مقاومة الشـرة
للمشرق الاسلامي .

اما التعبير عن روح الجماعة ، فيظهر في اجتماع الشعراء بقضية الامة النصيرية ،
والتفافهم حول القادة المسلمين ، لا في مذاقة الصراع فقط ، بل حيثما كانوا في ديسـار
الاسلام (٧) ، اذ راح الشعراء يخفون من أثر الهزيمة حين تنجح ويشيرون أنبياء
الانتصار بطريقة مثيرة ، ويشيرون بالمزيد منها ، بل ، ويرسمون طريقة الخلاص من

(١) ديوان ابن دنيير ورقة ١٧ (٢) الخريدة ، قسم شعراء مصر ١/٢٩

(٣) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١/١٠٩ (٤) ديوان ابن الدهان ص ٤٥

(٥) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٨٣ (٦) المصدر السابق ص ٢٥٨

(٧) انظر كتاب د . عبد الكريم توفيق الحمود ، الشعر العربي في العراق من سقوط

السلالة حتى سقوط بغداد ص ١٣٥ - ١٣٩

الاحتلال الاجنبي ، فيدعون للوحدة والجهاد معا ، ويربطون بينهما وبين النصر .
وتظهر الروح الجماعية في استعمال الشراء لصير المتكلمين ، ولشغفهم بالقوة
الجماعية ، يبرزونها دون تفرق بين الافراد ، يقول ابن عنين :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا اذا جهلت آياتنا والقنا اللدننا
غداة لقينا دون دميال جحفا من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
قد اتفقوا رأيا وعزما وهمة ودينا ، وان كانوا قد اختلفوا لنا
تداعوا بأنصار السليب ، فأقبلت جحوق كأن النور كان لهم سفنا
وألمسهم فينا غرور ، فأرقلسوا البنا سراعا بالجهاد وأرقلسنا
فما برحت سر الرماح تنوشهم بأدراعها حتى استجاروا بنا منا (١)

ويقول ابن القيسراني حين كسر الفرنج على أبواب دمشق سنة ٥٢٣ هـ ، مهروا خطر الفرنج
على السكان جميعا ، ودفع صاحب دمشق لهذا الغار :

حتى اذا ما أحاط المشركون بنا كالليل يلتهم الدنيا له ذالهم
وأقبلوا لا من الاقبال في عسدد يؤود حاسبه الاعياء والسمام
أجريت بحرا من الماذي مستكرا أمواجه بأواصي اليأس تلتطم (٢)

وقد أنشئ هذا الشعر الجماعي على الشعر العربي في تلك الفترة قيمة فنية ، تجلت في
القوة اللفظية والحصنية ، الناتجة عن الانتماء الجماعي ، وذلك بالإضافة الى القيمة التاريخية
لما قدمه من تصوير للمجتمع الاسلامي وعلاقاته الداخلية والخارجية مع الفرنج خلال القرنين
السادس والسابع الهجريين ، كما أعطى صورة جيدة عن الحياة الاجتماعية والسياسية عند
الطرفين المتصارعين .

وهذه القيم لا تعني أن الشعر أو الادب وثيقة اجتماعية أو سياسية أو تاريخية ،
وإنما هو فن أو رؤية خاصة للأحداث ، يمكن للدارس من خلالها أن يستخلص استنتاجات
متعددة ، ويستفيد معلومات قيمة ، وان كانت هذه كلها ملونة بلون شعوري معسسين ،
يضيفه مؤلف الشاعر من الأحداث التي يواجهها ويتفاعل معها .

شكل القصيدة :

من نافلة القول أن نتحدث عن شكل القصيدة العربية التقليدي : من وتوف على
الاطلاق أو ذكر المرأة أو ما يتعلق بها من رحيل مكان ، ومن نافلة القول كذلك أن نحاول
تفسير هذه النافلة ، فقد تصدى لتفسيرها القدماء والمحدثون على السواء (٣) .

(١) ديوان ابن عنين ٢٩ - ٣٠ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب د . حسين علوان : مقدمة القصيدة العربية

وبالرغم من ثورة بعض الشعراء ، مثل أبي نواس ، من شار والتعجب ، على المقدمات التقليدية ، إلا أنهم لم يستدلوا الاستغناء عنها كلية ، وفي هذا البصر ، نجد ثلاثة أشكال لاستبدال المقائد : أولها : البدل بمقدمات تقليدية ، وثانيها : الاستغناء بمقدمات غير المقدمات التقليدية ، وثالثها : البدل دون المقدمات ، وسنفضل فيما يلي على الحديث عن كل منها ، ثم نتحدث عن أجزاء القصيدة وترتيبها :
أولا : المقدمات التقليدية :

لم يقتصر الشعر العربي خلال العصور الخليفة على وصف الحروب فقط ، وإنما قيلت قصائد في سائر أغراض الشعر المعروفة ، وبمهما من هذه القصائد ما تصدى لوصف الصراع بين المسلمين والفرنج ، أو الشعر العربي بشكل عام .
ولدى دراسة شعر العرب ، نجد قصائد مددودات استعملها قائلوها بمقدمات غزلية ، في حين نجد كثيرا من القصائد تدخل في النوع ماهرة دون مقدمات ، أو بمقدمات مرتبطة بجو الحرب .

وما أن القصائد التي تبدأ بمقدمات غزلية قليلة ، فلا بد أن يكون لذلك تفسير ما ، وخير ما نفصل في البحث عن هذا التفسير ، هو أن ندرس جو القصيدة العام والمناسبة التي قيلت فيها ، ولنبدا هنا بقصيدة لأسامة بن منقذ أرسلها من مصر إلى معين الدين أنرجاك دمشق ، بين له فيها خفاوة انتياده إلى وزراءه الذين يزينون له القرب من الفرنج ، يقول :

فليتهم حكوا لنا بط علموا	واوا ، فلما رجونا عدلهم ، الدوا
.....
والخير ، تعجز عما تدرك الهيم	يا راكبا تتأرجح البعد ، تتيسر
من نازح الدار ، لكن وده أمم *	بلغ أثيري مدبر الدين ، مأكلة
حيا ، والدين والاقدام والكبير	وقل له أنت غير الترك فملك ال
.....
عتم ، استوت عندك الانوار والثالم	لكن ثقاتك ما زالوا بنشمهم
لو أنهم عدوك ، الويل والندم	باعوك بالبخس يبنون الغنى ولهم
وكلم ، في الرأي منهم ، (١)	والله ما نصحو لنا استشرتهم

(١) مأكلة : رسالة ، أمم : قريب

(٢) ديوان أسامة بن منقذ ص ١٤٦

ويتضح من القصيدة أن الشاعر بعيد عن حسين الدين أنر ، فالأول في مصر والثاني في دمشق ، ولذلك جاء النداء التقليدي " ياراكبا " مرتبطاً مع نص القصيدة وجوهرها العام ، فهو يدالب من المسافرين إلى دمشق عبر الصحراء واسعة أن يبلغ صاحبها أمراً بالغ الخطورة ، وهو نصح حاكم دمشق بأن يستعد عن أولئك النفوس الذين يحسنون له التفويض مع الفرنج ، وقد جهر عن خسارة الفوضى وأهميته بعدة أمور منها ، الرحلة من مصر إلى دمشق عبر الصحراء الواسعة ، ثم المسافر الجلد ، والعيى القوية ومن هنا يحسن القارئ أن المقدمة لها دلالة خاصة ، تستثير القارئ إلى أهمية ما يأتي بعدها ، وهو :

بلغ أميري حسين الدين : مألوفة	من نازح الدار ، لكن وده أمسيهم
هنا أنفت حياء أو محافظـة	من فعل ما أنكرته العرب والعجم
أسلمتنا وسيوف الهند مضمدة	ولم يرو سنان السهري دم

فهو إخبار للأمير حسين الدين أن برسالة مهمة خلعت إليه من مكان بعيد ، وهذا الهند يستعد لمحاربة الخسد والبغض لأولئك المغيين بالآخر ، ولذا ، فالرسالة وستنقلنا ناصح ودود في نفسه تخنان إلى ولته العام ، وبودرة قريبة لملحهم .

ومجد هذا التقدير للوجز البليغ ، يمدح أسامة " حسين الدين أنر " ويثنى عليه صفات البهولة والدين والشجاعة والكرم ، ويحث بالانته بسوولية تزيين الاعمال السيئة له ، ويتمهم بأنهم باعوه بالبغض ، لينالوا الدنيا من الفرنج على حسابهم .

وهنا قصيدة أخرى تبدأ بمقدمة غزلية هي شهيد عرقلة الكلبي في مدح مجير الدين أبي صاحب دمشق أيضاً ، وهذا هو :

عن على نجد لمالك مدحسدي بنسيمها ، وذكر سعدى مسعودي (١)
ونلاحظ أن القصيدة في مدح صاحب دمشق ، والمدح تناسبت المقدمة الغزلية التقليدية ، وكأنها أمر متعارف عليه ، وهذا ما يؤكده أبو الريب المتنبى في ثورته على هذا النظام يقول :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل بليغ قال شعرا متبسيم ؟

ومجد أن يبدأ عرقلة بمقدمة يتغزل فيها بأمرأة بدوية في جنان الشام ينتقل في البيت الثاني عشر من القصيدة إلى الإشادة بالمدح ، ويثنى على أفضاله التي يحق لها الفخر حقاً ، فقد أبلى في حرب الفرنج ، الذين قعدوا دمشق بأعداء هائلة بلاء حسناً ، وأظهر من شجاعته وبره ومسالته ما لم يشاهد في غيره " (٢) ، يقول عرقلة الكلبي :

ما نشرت راياته يوم الوغى	إلا أنوار جيو العدى المستدي
من قاتل الافرنج دينا غصيره	والذين مثل السيف ضد المشهد

(١) ديوان عرقلة الكلبي ص ٦٥ - ٦٦

(٢) الروتين ج ١ ق ١ ص ١٢٨

رد الايمان بكل ندب باسسل ومن الجياد بكل نهيد أجسرد
ومن السيوف بكل غيب أبيسف حتى لوى الاسلام تحت لوائه
اللق الحيا ، واضح ، متهلل مثل العميا في الحى ، باللق اليد . . .

ويتضح مما مضى أن الشاعر لم يجعل موزون القصيدة عجوم الفرنج على دمشق ولا مجير الدين في صدهم ، وإنما كان موضوعها المدح ، ومن خلال المدح عرض شجاعته ودفاعه عن الاسلام ، وكرمه وشأسته وجهه . . .

ولو كان الموزون هو الحادثة نفسها لوجدنا الامر يختلف ، ولنا من ابن التيسراني مثل على ذلك ، فقد جعل موزون قصيدته بوقفة شبيهة بهذه ، فدخل ثبني الموزون دون مقدمة غزلية ، يقول :

الحق مبتهج ، والسيف مبتسم وما ل أعدا مجير الدين مقسم
قدت الجياد ، وحصنت البلاد وأمنت البلاد ، فأنت البطل والحرم
وجئت بالخيال من أقصى مراكبها معاهد الحرم في أساطيرها الحرم
حتى إذا ما أحاط المشركون بنا كالليل يلتهم الدنيا له ظلم
وأقبلوا لامن من الاقبال في عدد يؤرم حاشية الاعياء والسلام
أجريت بحرا من المادي مبتكرا أمواجه بأواصي اليأس تلتام (١)

ولدى قراءة القصيدتين نحسب الفرق بينهما ، فقد اختلفت في البناء والموسيقى لاختلاف طريقة التناول عند كل من الشاعرين .

ومن استقراءنا لعدد من القصائد التي قيلت في المدح ، نستطيع التمسك إن معظمها يبدأ بمقدمات غزلية .

ومن هذه القصائد المدحية التي ابتدئت بمقدمة غزلية كذلك القصيدة التالية التي مدح بها ابن التيسراني نور الدين ، فقال في أولها :

يا ليت أن الصد صبرود أول ، غليت النوم صبرود
الى متى تمرض عن مسرك في خدة للدع أخسودود
قالوا: عيون البيض بيض الثبي قلت ولكن هذه صبرودود
يخاف منها وهي في جفنها صبرودود وأل سيف يخشى وهو صبرودود (٢)

ومعد هذه المقدمة القصيرة ، يخرج الشاعر الى المدح ، فيصف نور الدين محسودا بالعدل والحفاظ على الاسلام ، والشجاعة في القتال ، ثم يذكر وقته مع الفرنج في يثري *

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٤١

* وهم أبو شامة أنها بصرى .

وكانت الدائرة فيها على الأثرين ، فيقول :

عاد وقد عاد لهم	وإنما الأثرين من بغيرها
في قلبه بأصك	قد حصص الحق لما جاحد
وكل شربك	فكل مصربك مستفتي

ويلاحظ القارئ لهذه الأبيات أن الوقعة جاءت دليلاً على شجاعة نور الدين ولم تكن موضوع القصيدة الأساسية .

أما قصائده الحربية التي تكون الوقعة فيها موضوع القصيدة ، فلم يبدأها بقدمات غزلية ، ولهذا جاءت خالية من المقدمات ، إلا هذه وقصيدة أخرى سنقف عندها بعد قليل ، وقد لاحظ الدكتور محمود إبراهيم ذلك ، وعد قصيدته السابقة خروجاً عن عادته في الاستغناء عن المقدمات الغزلية في قصائد القتال (١) .

وفي القصيدة التالية لابن القيسراني ، ورد ذكر الوقعة دليلاً على شجاعة نور الدين كذلك ، كما في قصيدته السابقة ، من ذكر المعارك في هذه القصيدة عشرة وقعات ، لا وقعة واحدة ، وقد جاء في مقدمة القصيدة قوله :

لقد حاج من ذكره مالا أغبسه	أما وغيايل زار من أحبسه
ذكرت نسيماً بالشهور مهبسه	إذا ما ضبا قلب المحب إلى الصبا
يحامي عليها مدنف القلب صبه	فيا نفحات الشام رقفاً بمهجة
فان فواد المرء مع من يحبسه	فلا تسألن الصب : أين فواده
غداة استطار البرق من طار لبه	وفي شجب الأكار من هو عالم
سنا بشر نور الدين تشهل سببه	يشيم شنور الحزن تهدي كأنها

شبهت خلعي إلى مدح نور الدين بالكرم وبموده الرأي ، والحنان على السلام ، ويشهد الأدلة على ذلك ، فيقول :

علي برعي الهند وأنني خصبته	كيوم الرما الورماء والها يانح
ثنا ، وليل العرب ينقض شهبته	وشهباء حاجتها وفي سر خديمة
كوادي شموذ اذ رغا فيه شقبته	وتارم يوماً بالبرية فاقسدت
دم الأفاء حتى انكم الفضل خطبته	وعاصي على العاصي بأرعن مخاطب
بصاحب انطاكية وهو كسيه (٢) الخ	بأنب لما اكسب المال وأنشئ

ويستدرك في ذكر الأدلة على شجاعته وما قبله بالانذار ، وكلها ترتبط بشخصية القائد نور الدين الذي يستحق الثناء فعلاً .

(١) صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٠٢

(٢) الرونتيين ج ١ ق ١ ص ١٨٨

ويحاول بنا النقام لو حللنا بقية القصائد التي تبدأ بمقدمات غزلية ، ولذلك نذكر
مطلبها وموضوعاتها ، للاحاطة بها ثم مقارنة عددها بصورة تقريبية بتعدد القصائد
الحرية التي يمكن أخذ صورة عامة عنها من مطالعة الملحق الشمرى .
يقول ابن رواحة العموى ، وهو من شعراء الشام في مدح صلاح الدين بقصد
أن رد الفرنج عن دمياط ثم الاسكندرية سنة ٥٧٢ :

أعنت الموت لي رصدا فأخشى زيارته وإن يك لهزني
كما رصد المدى في كل يوم صلاح الدين في سهل وحزن
يرون خياله كالدايف يسرى فلو جمعوا أتاهم بعدد ومن
أبادهم تخوفه فأسمى مناسم ، لو يبيتهم بأمن (١)

ونلاحظ من هذه الأبيات حسن تخلصه وسر انتقاله .

وارسل ابن التماون ذي قصيدة إلى صلاح الدين من بغداد يمدحه فيها ،
ويهنئه بانتصاره على الفرنج في وقعة مرج عيون مالمها :

إن كان دينك في العبابة ديني فقف الطلي برملي يبري
وقد مضى الخزلية طويلا ، ينتقل بعدها إلى الوقعة ، فيقول :

كنوا وكم لك من كمين رسادة في الغيب تدلهم من وراء كمين (٢)
ولعل بعد الشاعر عن العادة مكانيا وزمانيا جعله يسهج هذا المنهج .

ولما انتهى صلاح الدين من بعض الحملات العسكرية في منطقة انطاكية ، رجع
إلى حماة ومنها إلى حمص ، فأثابه الفقيه مذهب الدين عبيد الله بن أسعد البعلبي ،
وأشده :

أما وجفوتك المرض الصحاح وسكرت قلبيك وأنت صاحب
لقد أصبحت في المشاق فسردي كما أصبحت فردا في الملاح
تذكر إخضاعه للفرنج ، فيقول :

وما خضع الفرنج لديك حسنتي رأوا مالا يطاق من الكفاح (٣)
وقد مدح الحماد الأصفهاني الأمير ثقي الدين عمر سنة ٥٨٢ بقصيدة مالمها :

عفا الله عنك ، عن ذوى الشوق نفسوا فقد تلفت منا قلوب وأنفس (٤)
ثم يذكر تهابه إلى تونس ، ووقوفه في وجه الفرنج من هناك ، ثم يتعنى عليه أن يفتتح
القدس ويظهر البلاد من الرجس .

وتال في مدح حمام الدين عمر بن محمد بن لاجين (ابن أخت صلاح الدين) يوم فتح
القدس :

استوحش القلب مذ غيمت فما أنسا وأظلم اليوم مذ بنتم فما شمسنا (٥)

- | | | |
|-----|-------------------------------------|------------------------|
| (١) | الخريدة ، قسم شعراء الشام ١/٩٩٢ (٢) | الروستين ١٠/٢ |
| (٣) | المصدر السابق ١٦/٢ - ١٧ | (٤) المصدر السابق ٢١/٢ |
| (٥) | المصدر السابق ٨٨/٢ | |

وحنأ السلطان صلاح الدين يفتوحاته ، فقال :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفساً وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا (١)

ومن الأسراء الذين استهلوا قصائدهم العربية بمقدمات غزلية ابن دنينير ، ففي ديوانه عشر قصائد حربية ، ذكر بعشها فور انتهاء المعركة ، فتخلصت من المقدمات ، وقال ستة منها في مدح بعض الحكام والقادة بتابتات بمقدمات تقليدية .

أما الأولى فهي في السريز عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٤ هـ وهي من شعره فهي القبا ، ومالها :

إن كان أضمر قلبي عنك سلوانا لا كنت من مفروم صب ولا كانا (٢)
والثانية في الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله المهراني ، ومالها :

راج يخشى في حبه الرقبسـاء ويسر الفرام والبرعـاء (٣)
والثالثة في مظفر الدين كوكبرى بن علي بن مكتكين ، ومالها :

أشأقتك من أطلال ليلي مـالـمـ نأبت شؤن الدمع ما أنت كاتم (٤)
والرابعة في الملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ومالها :

بما بجفتك من غنج ومن كحسل صل مفروما ليس يصفي فيك للعدل (٥)
والخامسة في الملك الكامل بن المادل ، ومالها :

لهم حب قلبي أن تدانوا وأن صدوا وان قربوا أو حال دونهم البعد (٦)
والسادسة في الأشرف موسى عند منصرفه من الجزيرة إلى الشام ثم إلى مصر ، ومالها :

أرأيت ما صنبت لحاظا الشيسـد ما بين منصرج اللوى فزود ؟ (٧)
ومن هؤلاء الشعراء : ابن سناء الملك (٨) ، وفقيان الشاغوري (٩) ، ومهذب الديـن جالمين سمادة (١٠)

* * *

(١) الروضتين ١٠١/٢ (٢) ديوان ابن دنينير ورقة ٣٨

(٣) المصدر السابق ورقة ١٢٢ (٤) المصدر السابق ورقة ٥٦

(٥) المصدر السابق ورقة ٢٤ (٦) المصدر السابق ورقة ١

(٧) المصدر السابق ورقة ٢٠

(٨) انظر ديوانه ص : ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٥٦١ ، ٥٤٥ ، ٧٥٨

(٩) انظر ديوانه ص : ١٤٨ ، ٢٥٧

(١٠) انظر تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ١٥٧

ولم يكن هذا الحزن والبكاء مرتباً ببداية المد الصليبي فقط ، إذ إنه بعد أن انفرط عند الدولة الايمنية ، وتحارب الاخوة ، واستنجد بعضهم بالفرنح مقابل التنازل عن القدس ، فعادت رنة الحزن والالام ، كما كانت أو أشد ، لأن من الصعب على الانسان أن يتحمل الضياع والهزيمة بعد القوة والنصر ، ولذلك كانت قصيدة ابن الجوار في تسليم القدس زمن الملك الكامل الايوبي ، أشد وقعا وتأثيرا على النفس من القصائد التي قيلت بعد سقوط القدس بيد الفرنج للمرة الاولى ، يقول ابن الجوار :

أعينني لا ترقني من العبيــــــــــــــــرات	صلي في البكا الأصال بالهكــــــــــــــــرات
لحل سيل الدمع يداني فيضها	توقد ما في القلب من جمــــــــــــــــرات
ويا قلب أسر نار وجدك كلسا	خبت باوكار يبعث الحســــــــــــــــرات
ويا فم ببح بالشجو منك لعلمه	يروح ما ألقى من الكرــــــــــــــــرات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره	على موطن الاغيات والصلــــــــــــــــوات (١)

وتستمر القصيدة في هذا التدفق العادفي الحار ، الصادر عن نفس متألمة حزينة وفي غوة الاحزان والضياع ، في بداية الخروب ، وقف بعض الامراء في الثغور موقفا مشرفا ، ومنهم الامير مجد الدين عزب الدولة زعيم الجيوش في دمشق ، كما وقصف الادب مع هؤلاء يحضهم ، ويقوى من عزيمتهم ، فهذا ابن الغياط يحرض الامير المذكور على الجهاد ، فيقول في مالح قصيدته :

ندناك الصواهل قبا وجــــــــــــــــردا	وشم القبائل شيما ومــــــــــــــــردا
وذلت لاسياك البيض قضيبــــــــــــــــسا	ودانت لأرمالك السمر مــــــــــــــــردا
وقل لمن قام في ذا الزمــــــــــــــــان	مقامك أن بات بالخلق يفســــــــــــــــدي
ألمعت أبر البرايا يــــــــــــــــردا	وأندى من المزن كفا وأجــــــــــــــــدي
وأضى حساما وأوفى ذماــــــــــــــــسا	وأضى غاما اذا النيث أكــــــــــــــــدي (٢)

والمتمتع لنفس القصيدة يلاحظ أن مؤلفها واحد ، وغو في استعراض أحاسيس المسلمين على نحو الدمار الصليبي ، وتحريض البطل كي يقف في وجه الشزاء ، ولذا جاء مالح القصيدة حماسيا في مدائمه والناثله وموسيقاه ، ثم أخذت النبرات الحماسية تتحول الى تعداد صفات القائد ، وما لبثت أن عادت مرة ثانية حين نه الشاعر الى الاشتغال بالحدثين المسلمين ، واستحثهم على العمل ، وحثهم على الجهاد .

وقد وفق الشعراء باستهلال القصائد العربية بما يتفق والجو الحربي الحماسي ، وقد اختلفت التقديمات من قصيدة الى اخرى ، ومن شاعر الى آخر ، ولكن ذلك لا ينفي أن يكون لهذه التقديمات صفات مشتركة تلتقي عندها ، ومن هذه الصفات ابتدائها بنصير الشأن ، وهو من الضمائر التي تفيد التفخيم الذي يتناسب والجو الحماسي .

(١) الروشتين ٢٠٥/٢

(٢) ديوان ابن الغياط ١٨٢ - ١٨٤

ومن ذلك قول أمية بن أبي الصيث في الأفضل مقدم الجيش المصري :

هي المزامم من أنصارها القدر هي المزامم من أنصارها القدر
جرت لك الدين - والاسيا منممة جرت لك الدين - والاسيا منممة
وقدت إذ قعد الاملاك كلهم وقدت إذ قعد الاملاك كلهم
بالبيض يسقط فوق البيض أنجمها بالبيض يسقط فوق البيض أنجمها

ومنه أيضا عقيل ابن القيسراني في فتح الرعا سنة ٥٣٩ هـ :

هي السيف لا يخنيك الا جماله هي السيف لا يخنيك الا جماله
ومن ثغر هذا النصر فلتأخذ الطي ومن ثغر هذا النصر فلتأخذ الطي
سمي قبة الاسلام فخرا بداولته سمي قبة الاسلام فخرا بداولته
ومنها ابتداؤها بأسماء الاشارة : وهي تشيد جلب الاجرام لامر جليلة ، ومن ذلك قول
ابن القيسراني في انتصار نير الدين على الفرنج في مناقبة ابي الحكة :

هذه المزامم لا ما تدعي القصب هذه المزامم لا ما تدعي القصب
وهذه المزامم التي متى خطبت وهذه المزامم التي متى خطبت
وقيل الرشيد بن بدر النابلسي في فتح القدس :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر هذا الذي كانت الآمال تنتظر
بذل ذل الفتح ، لا والله ما حكيت بذل ذل الفتح ، لا والله ما حكيت
ومنها ابتداؤها بأدوات الإستفتاح والتنبية والتساؤل ، وهي تشيد ما تشيده أسماء الاشارة
من جلب الانتباه لادب ذات غدار ، يقول طلائع بن رزيق مفتخرا بأعماله عند الفرنج ومعرضا
لنير الدين على قتالهم :

ألا تكذبا في الاله تمضي المزامم ألا تكذبا في الاله تمضي المزامم
وتستنزى الأعداء من دلود عزهم وتستنزى الأعداء من دلود عزهم
وتنزي جيموش الكثر في مقر دارها وتنزي جيموش الكثر في مقر دارها
وهي الكرام المأذونين بغيرهم وهي الكرام المأذونين بغيرهم
وقول ابن القيسراني في فتح الرعا :

أما أن أن يزعم البادلسسل أما أن أن يزعم البادلسسل
أن كم يشب ماوك الضملا أن كم يشب ماوك الضملا
فلا تحفل بصوت الذملا فلا تحفل بصوت الذملا

(١) الخريدة ، قسم شعراء مصر ٢٦٥/١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٩٧

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٢ ، والهداية والنهاية ٢٢٦/١٦

(٤) " بزمين ١١٨/٢

(٥) ديوان طلائع بن رزيق ١٢٥ ، والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٩

(٦) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١٠٨/١ ، والروضتين ج ١ ق ١ ص ١٢٦

ويقول ابن دنينير في تغليص دمياط من الفرنج بعد اجتماع الجيوش الشامية والمصرية بميادين
الاخوة ابناء العادل ورئاسة الكامل :

ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر الله اكبر هذا النصر والظفر
قد صرح الخبر منك اليوم عن خبر قد كان أنظر فيه نفسه النظر (١)
وقد يكون التساؤل لعظم النصر ، الذي يسهل العقول ، ويأخذ النفوس ، ويحث الحيرة
في النفس ، حتى ليتغير الشاعر ، وهو يتلمس الشيء الذي ينبغي أن يهني به ، يقول
الجواني :

أترى منا ما بعيني أبصر القدر تفتح والفرجة تكسر
وقامة قبت من الرجب السدي يزواله وزوالها يتلهم
وطيكتهم في القيد مصفود ولسم ير قبل ذاك لهم ملوك يوم
قد جاء نصر الله والفتح السدي وعد الرسول فسيحوا واستغفروا
فتح الشام وطهر القدس الذي هو في القيامة للأثام المعشر (٢)

ويحسن المرء حين قراءة الابيات أنها تعبر عن فوعة غامرة استولت على المشاعر والالهام
فجاءت الخيرة مدزوبة بالفرجة ، ومدبرة عن هذا الشهور الدافق ، يقول ابن سناء الملك
مخاطبا صلاح الدين بعد الفتوحات الكبرى :

لست أدري بأي فتح تهسني يا خليل الاسلام ما قد تصبني
كل فتح يقول اني أولسي وهو أولى لانه كان أمسي
أنهنيك ان تملك شامسا أم نهنيك ان تملك عدنا ؟ (٣)

ونها ابتداوها بـ " كم " الخبرة ، وقد قصد بها التكنير ، وذلك للبالغة في عده
الضربات التي أنزلها القادة المسلمون بالفرنج ، يقول الحماد في عزيمة الفرنج على أبواب
دمشق على يد نور الدين :

كم وقعة لك في الفرنج حديشها قد سار في الافاق والبلدان
قصت قومهم رداه صمن ردى وقرنت رأس برنسهم بسنان
وملكت رق ملوكهم وتركتهم بالذل في الاقياد والاشجان (٤)

ويقول ابن عبد الظاهر في فتح حصن المرقب زمن المنصور قلاوون :
كم لك فتح غير هذا خبي فاستوح فتح الارض واستوعب

(١) ديوان ابن دنينير ورقة ١٤

(٢) الروضتين ١٠٥/٢

(٣) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤

(٤) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ص ٥٥

يا فاتح الحصن الذي فتحه
حصن عظيم القدر في سسيرة
ويقول شهاب الدين محمود في فتح الحصن المذكور :
كم رام قبلك هذا الحصن من ملك
غزو الاعادي حطم تحته دسسم
أوردتها الدرقب العالي وليس سوى
ومنها ابتداءوها بالاستهزاء والتشفي لا والمستهزى يكون عادة في مركز القوة ، حتى يستطيع
أن يهزأ بالمدو ويهزى بقوته ، وهذا من مستلزمات الحرب النفسية ، التي كانت وما تزال
ترافق حرب السلاح ، يقول ابن منير في انتصار نور الدين على الفرنج في حصن فامية :
خمس الثالبا حين زجر محاصر
تركوا مشاجرة الرماح لحاذق
لربيب حرب لم تزل فصلا تسسه
ويقول ابن مطروح في كسرة ملك فرنسا على دمياط :
قل للفرنسيين اذا جئتسسه
آجرك الله على ما مضى
قد جئت مصرًا تبتغي أخذ هسا
فساقاك الحين الى أدسسم
ومن التشفي قول الصناد في ملك الفرنج :
في بادين النيب ما لاتدرك الفكر
مالي أرى ملك الافرنج في ققص
ومنها ابتداءوها بذكر السلاح وأدوات القتال : وهي مرتبطة بجو المعركة أشد ارتباطا ،
لأنها عنصر أساسي من عناصر القوة في الحرب ، كما أنها تشير مكان القوة عند ظهورها ، وأدراك
بمفولها . يقول ابن القيسراني في هزيمة الفرنج امام نور الدين في يافا :
تفي بضمانها البيض الضسداد
وتدرك ثأرها من كل بسسساخ
فد والبصيرة في الأحداث يعتسسر
أين القواضب والمسالمة السمر ؟ (٥)
وتشفي دينها السمر الضسداد
فوارس من عزائمها الجسمسسلاد (٦)

- (١) تشریف الايام والعصور ٨٢
- (٢) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ورقه ١٢٥ ، وانظر مثالا آخر من ديوان علم الدين ابن محمد الصفي ص ١٥
- (٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٣
- (٤) ديوان ابن مطروح ١٨١
- (٥) الروضتين ١١٦/٢
- (٦) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٦

ويقول ابن مثير في هزيمة الفرنج في حصن قامية على يد نور الدين :

أسنى الممالك ما أطلت منارها - وجعلت مرهقة الشفار دسارها (١)
ويقول ابن أسعد الموصل في مباغطة الفرنج للمسلمين قرب حصن الكراد ، وسيطرتهم على
الموقف ، واصرار نور الدين على الأخذ بالثأر :

طاب المواشي وأطراف القنا الذبل ضوا من لك ما حازوه من ثفل
وكافل لك كاف ما تحاولسسه عز وعزم وأس غير متحسل (٢)

ونلاحظ أن هذه القصيدة في معركة غسرها المسلمون ، ومع ذلك فهي تتفجر
قوة ، لأن الشاعر يتهدد هؤلاء المنتصرين ويتوعدهم في يوم قريب ، فنور الدين لن ينام
عن ثأر ، وقد حقق ثأره من الفرنج فعلا ، إذ هاجمهم بعد وصول الامدادات اليه ،
وانتصر عليهم ، فعقب السداد على هذه القصيدة بقوله : " وهذا أحسن ما سمعته من
مدح من كسر وعذر ، ولقد وافق العذر ما ذكر ، وانتصف بعد ذلك وانتصر " (٣)
ويقول ابن عيين في هزيمة الفرنج على دمياط سنة ٦١٨ :

سلوا صهوات الغيل يوم الوغى عنا اذا جهلت آياتنا والفتا اللدننا
غداة لقينا دون دمياط جحشنا من الروم لا يحصى يقينا ولا دانا (٤)

ومنها ابتداءوها بالدعوة الى الوحدة والجهاد : ويتألب ذلك قوة في التعبير ، وقدرة
على التأثير ، إذ ان الصياغة الفنية هي التي تكسب الكلام سمات القوة والتأثير ، وعن ذلك
طالب المهذب بن الزبير من طلائع بن رزيق أن يحصل للجهاد بالتعاون مع نور الدين ،
يقول :

أعلمت حين تجاور الحيسان أن القلوب مواعد النسيان
يا كاسر الأصنام ، قم فانهض بنا حتى تصير مكسر الصليبيان
فالشام ملكك قد ورثت بيساذه عن قومك الماضين من غسان
واذا شككت بأنها أول المنهزم قدما ، فسل عن حارث الجسولان

الى أن يقول :

وأعدت رسل ابن القسم اليه فسي شعبان كي يتألام الشعبان
والقال يشهد في اسمه أبي سوف يخسرو الشام وهو عليكم تسمان (٥)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٠

(٢) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢٨٩/١ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٣٢٠

(٣) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢٨٩/٢

(٤) ديوان ابن عيين ص ٣٠

(٥) الروضتين ١٤٧/١

ومنه أيضا ، تحرير ابن دنيير لامراء الحسكر والجناد علي القتال عقيب هزيمتهم عن دمهات ، وقد وصل الملك المظلم عيسى من دمشق لجددة أشيه الكامل محمد ، يقول ابن دنيير :

أقيموا عمود الدين لله تسعديا
فريق الهدى ، والله يظهر دينه
ثم يقول :

فلا تجزعوا من حادث جاء قادحا
فشنوا لدين التفر غارات مشر
وشهوا لهم نار الجهاد فانكم
فذا الدين للرحمن في نصره يسد
لهم في الهدى فرح زكي ومحتسب
معي تتركوها أن النار تخمد (١)

وسا يدخل في هذا كذلك ، ابتداء القمائد بالتحذير والتهديد ، كقول ابن القيسراني :
حذار منا ، وأنى ينفع الحذر
وأين ينجو ملوك الشرك من ملك
من خيله النصر ، لا بل عنده القدر (٢)

وبلاحظ القارئ لهذه القصيدة الحرارة الوجدانية الشديدة ، وتزاحم الانفعالات فيها ، وامتزاج التحذير بالتهديد ، والامتعاش والفخر وضها ابتداءوها بهذا كسر نتيجة المعركة ، أو باستبشار الشعراء بالنتيجة التي يتمنونها بيان أن النصر لا يحقق بيسر وسهولة ، وإنما يحتاج إلى جهد كبير ، وإلى صبر وعمل ، إضافة إلى ارتقاب عون الله لمن يجاهدون في سبيله . يقول الحماد في أملاك أسد الدين شيركوه مصر ودارد الفرنج عنها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعن
بندى الصلى التي تزهى الملوك بها
فتحت مصر ، وأرجو أن تميز بهما
وفي زمن قلاوون ، قال بدر الدين المنبجي
أدركت بالجد أقصى غاية الدلب
أبنا الصافر لا زالت مظفيرة
فأله جارك أنى سرت من طمسك
كم راحة جنيت من دوحة التعسب
وفي الحائر لا الطأثر في الكتسب
ميسرا فتح بوم القدس عن كش (٣)
البراز في فتح طرابلس :
ونلت بالجد أعلى مفتي الرتب
منه العيوش على الأعداء بالرتب
وناء لك من ناء ومقسترب (٤)

- (١) ديوان ابن دنيير ورقة ٤
- (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
- (٣) الروضتين ١٥٩/١ ، تاريخ ابن القرات مجلد ٤ ج ١ ص ٤٥
- (٤) عقد البعثان ج ٢ ق ٢٠ ص ٢٢٦

وقد قرن الشمرء في شمرهم الجدل الانساني بالسور الالهى ، واقتحوا بحض قصائدهم بهذا المعنى ، يقول الجويني في فتح القدس :

لك رب العناء خير مصسين
فله الحمد أى نصر عزيز
وكفاه بما تحب مصسين
قد خباناه وفتح مبين (١)

ويقول أيضا :

جند السماء لهذا الحلك أعوان
ويقول ابن عبد الظاهر في معركة حمص التي دارت بين المسلمين بزيادة المنصور قلادون من جهة صين الفرنج والتتار من جهة أخرى :

الله أعلاك لا زيد ولا عمرو
هذا المقام الذى لو لم تحل به
هذا العناء وهذا الفتح والنصر
لم يسرق ، والله لا شام ولا مصر (٢)

وقد بدأ بحض الشمرء قصائدهم بالحديث عن النصر بلفظه المباشر ومن هو لا ابن دنيير
اذ يقول في استرداد دمياط :

نصر من الله وانانا به الخبير
فلتمنك العزة القصاء والظفر (٤)

ويقول علم الدين بن الشاتاني في صلاح الدين :

أرى النصر مصقودا برايتك الصفرا
يمنك في يمن ، ويسراك في اليسرى
نصر وملك الدنيا فأنت بها أحسرى
فبشرى لمن يرجو الندى بها بشرى (٥)

وقد حمد بحض الشمرء في مقدماتهم القادة ، وبينوا للناس أن طاعتهم واجبة ،
لأنهم دافعوا عنهم ، وعن معتقداتهم ، يقول شهاب الدين مصمود في المنصور قلادون حسين
فتح دارابلس :

علينا لمن أولاك نصمته الشكر
ومنا لك الاخلاص في صالح الدعا
ولله في اعلام ملكك في السورى
نهضت الى عليا دارابلس السمتي
لأنك للإسلام ياسيله ذخير
الى من له في أمر نصرتك الامير
مراد وفي التأيد يوم الوغى
أقل غناها أن غندقها البصر (٦)

- (١) الروضتين ج ٢ ص ٩
(٢) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٦٧٧
(٣) مرآة الجنان ٤٩٦/٣
(٤) ديوان ابن دنيير ورقة ٢١
(٥) مرآة الجنان ٤٩٦/٣
(٦) درة الاسلاك ورقة ١٤٥ ، النجوم الزاهرة ٣٢٣/٧ - ٣٢٤

ومنها المقارنة بين حالة المسلمين وحالة الفرنج ، ويكون ذلك عادة حين تكون كثة المسلمين هي الراجحة ، وهذا يجعل المقدمة مرتبطة بموضوع القصيدة .
يقول ابن القيسراني في كسرة الفرنج على أبواب دمشق :

الحق مبتهج والسيف مبتسم زمان أعدا مجير الدين مقتسم
قدت الجياد ، وحصنت البلاد وأمنست المهاد فأنت الحل والحرم
وجئت بالخيول من أقصى مرابها محاقد الحزم في أوساطها الحرم (١)
ويقول ابن مغير في انتصار نور الدين على صاحب انطاكية :
أقوى الضال وأقفر عرصاته وغلا الهدى وتبلجت قسماته
وانتاش دين محمد محسوده من بعد ما غلبت دما عبراته (٢)
ويقول ابن سناء الملك في صلاح الدين :
بدولة الترك عزت دولة العرب وما بين أيوب ذلت بيعة الملب (٣)

ومنها التهنية والدعاء : وهو نوع من أنواع المقدمات التي ترتبط بالموضوع ارتباطا وثيقا ، فكان الشعراء يقدمون التهنية بعد انجلاء الحرب عن النصر ، بأسلوب يختلف عن تقديمهم لقصيدة في ذكر الاحداث الحربية . ومع هذا الاختلاف ، نجد قوة التعبير ماثلة في القصيدة ، وهذا أمر طبيعي ، لان التهنية مرتبطة بالنصر ، والنصر يعمل معاني القوة ، يقول الامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان السراقي في تهنية صلاح الدين بالنصر على الفرنج في بيت الاحزان :

هيفا صلاح الدين بالفتح والنصر ونيل الاماني الخير والثكة البكر
وما حزت فيها من فخار ومن عملا وحسن ثناء يبقى الى آخر الدهر
سموت لها بالمشرفية والفتنة سمو أبي لا ينام على وتر (٤)

وقد افتتح راجح الحلبي قصيدته باللفظة نفسها ، والتي ابتدأ بها ابن نبهان السراقي ، وذلك حين انتصر الملك الاشرف موسى وأخوته على الفرنج في دمياط ، ولعل جو الفرنج ألقى عليه كما ألقى على سابقه هذه المقدمة ، يقول :

هفيا ، فان السعد راج مخلصدا وقد انجز الرحمن بالنصر موشدا
حيانا اله الخلق فتحا بدا لندا مينا ، وانحاما وعزا مويييدا
تهلل وجه الدهر بعد قطومه وأهيج وجه الشراك بالظلم أسودا (٥)

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١ (٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٦
(٣) الروضتين ٤٣/٢ (٤) المصدر السابق ١٢/٢
(٥) الذيل على الروضتين ١٣٠ ، الهداية والنهاية ٩٥/١٣ ، النجوم الزائرة ٢٤١/٦

وما يتصل بهذا الجانب البدني بالبشرى ، يقول شرف الدين الانصارى مشيراً الملك
المظفر تقي الدين بن المنصور صاحب حملة بانتصاره على الفرنج في منطقة حصن الاكراد :
أبهر بها شئت من نصر وتأيسد فسناك يروي حديث الهامس والوجود (١)
وهناك صور أخرى ابتدأ بها الشعراء قصائد لهم بمقدمات تتفق مع موضوع القصيدة
الحربي كأن تبدأ بالتكبير أو بالجمال الاخبارية القوية الالفاظ ، ومن ذلك قول العماد في
فتوح صلاح الدين :

أسباط يوسف من مصر أتوا ولهم من غير تيه بها سلوى وامسسان
لهم فلساين ، ان يخرج عداتهم عنها والا عدت بيض وخرسان (٢)
ومنه قول شهاب الدين محمود في فتح حصن المرقب :

الله أكبر ، هذا النصر والمفسر هذا هو الفتح لا ما تزعم السسير
هذا الذي كانت الامال ان طمعت الى الكواكب ترجوه وتنتظر
فأنهض ، وسر ، وملك الدنيا فقد نخلت شوقاً منابرها وارتاحت السسير (٣)
وأما الجمال الخبرية القوية ، التي بدأت بها القصائد الحربية فهي كثيرة منها قول ابن قسيم
الحوي في عماد الدين زنكي :

بحزمك أي الملك العادل السيم تذل لك الصحاب وتستقيم
اذا خيلت سيفوك في نفسهم فأول ما يفارقها الجسموم (٤)
ومنها قول أسامة بن منقذ الموجه الى رماح بن رزيق على لسان نور الدين :
أبي الله الا أن يكون لنا الامر لتعيا بنا الدنيا ويفخر المصير
وتخذنا الايام فيما ترومسه وينقاد طوعاً في أزمنا الدمر (٥)

وقد يقول قائل : إن هذه القصائد قد خلت من المقدمات الخزلية ، ومع ذلك فإن
فيها مدحاً للقائد ، وهذا صحيح ، ولكن المدح في موضوع القصيدة يجب أن موضوعها
يدور حول حادثة أو حوادث ، بل لها القائد المدح فهو عنصر عام فيها ، ولكن
الحادثة هي محور القصيدة ، بينما لا يحدثنا في القصائد ذات المقدمات التقليدية أن القائد
هو موضوع القصيدة ، والحادثة أو الحوادث فيها إنما أوردت باعتبارها أدلة على شجاعته .

-
- (١) ديوان صاحب شرف الدين الانصارى ص ١٧٨
(٢) الروضتين ١١٦/٢ النجوم الزاهرة ٢١٧/٧ ص ٣١٨
(٣) خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ٤٧٠/١ ، والروضتين ٣٢/١
(٤) ديوان أسامة بن منقذ ٦٠١

تدور المقطعات الشعرية حول حادثة واحدة ، وموضوع واحد ، وقد تستوعب عشرة أبيات أو أقل ، أو أكثر من ذلك بتأليل . ولهذه المقطوعات دلالات خاصة بها ، إذ أن الوقت الذي نطلمت فيه لا يسمح بأكثر من قصيدة واحدة ، فتكون المقطوعة الشعرية كالخاطرة أو كالدقيقة الشعرية الحارة ، لأن موضوعها واحد مشير ، والاستثارة تتباين أشكالها بتباين الموضوعات ، فالحزن غير الفرح ، والفرح غير المدح وهكذا .

وفيما يلي أمثلة منوعة على المقطعات الشعرية ، حسب نوع الانفعال المضمن فيها :
١ . سجلت المقطعات الشعرية الحزن ، الذي عاشه المسلمون ، لسقوط البلاد الإسلامية بيد الفرنج ، ومن ذلك القطعة التي نسبت إلى مجهول في سقوط القدس ، والتي مطلعها :

أحل الحرب بالاسلام ضروسنا يطول عليه للدين النحس (١)
والقاري لهذه المقطوعة يلاحظ أنها نثمة شعرية صادقة ، تتحدث من نفس حزينة لما أصاب المسلمين من ذل وخسارة وشوان ، وفي روح ناثرة تستصرخ المسلمين جميعا ، ولكي ينافسوا عن دينهم وأعراضهم .

ومن هذه الحواطر الشعرية قول العبد أبي بشر بن الحواري في غراب مصر العثمان ، وقد استوحى الصورة من غراب داره بعد هجوم الفرنج على مدينة مصر :

أهذي بين انكاري وعرفانسي	صارب الوعر أم داري وأوثاني ؟
جهاشها ولقد أبدت مآلجها	عهد الصبا بين أخواني وخلانسي
فصحت أسألي : ولقد مع منسكب	والقلب في لوحة من وجده عسان
يا دار مالي أرى الأيام قد حكمت	فيما وفيك بحكم الجائر الجانسي
فلو أجنبت لقلت هكذا فصاحت	قدما ببجيرة نعمان ونعمسان
وفي مءاتن نو مسرمان مستبر	للسائلين وفي سيف وضمدان
فأذهب لعمرك فالدنيا أيتها دول	تضي وتأتي وكل بينها فان (٢)

إن القارئ لهذه الأبيات ليحس وكأنها كتبت بدموع الشاعر لا بمداده ، وحسنا الحزن الذي تعبى عنه أبيات المقطوعة ، هو حزن جملة الناس من البلد المنكوب لا حزن شاعر فرد ، فحسب ، ويؤكد ذلك ما وجدناه من مقدمات أخرى لشعراء المعصرة ، ومنهم أبو سلامة محمود بن داود الذي يقول :

أنا من بادة قضي القليظ	ح عايبها كما ترى بالخسراب
قتلها أعابها وأنها بعيبة	من شيوخ وصبية وشباب (٣)

(٢) الشريدة ، قسم شعراء الشام ٨٧/٢

(٣) المصدر السابق ١٠١/٢

وضهم دحية بن عبد الله بن نصر الذي يقول :

هذه صاح بلدة قد قضى اللبس ه عليها كما عرى بالخسراب
وقد السيس وقفة وابك من كا ن بها من شيوخها والشباب
واعتران دخلت يوما اليها فهي كانت منازل الاحباب (١)
ولو تجاوزنا هذه الفترة التاريخية الى زمن الكامل بن الصادل لوجدنا النفحة
الحزينة تتبعث ثانية ، لتسقط القدري أيدي الفرنج ، وفي هذه الحادثة المولمة
يقول قاضي الداور :

مهرت على القدس الشريف مسلما على ما تيقن من ربح وأنجم
خففت دمع الدين على عباة على ما منى من عصرة المتقدم
وقد رام طلع أن يمضي رسومه وشمر عن كثر لثيم من مسم
فقلت له شلت يمينك بخلها لستير أو سائل أو مسلم
فلو كان يندى بالنفوس رنديته بنفسه ، وهذا الذان في كل مسلم (٢)

وقد شارك الشجراء بحطحاتهم المشعرة في تقريب وجهات النظر ، ورأب الصدع ،
فحين تأكدت الوحشة بين نور الدين وقلج أرسلان الملبجوقي ، أرسل قلج الى
نور الدين يقول :

نقول ولكن أين من يتفهم ويعلم وجه الرأي ، والرأي مبهم
وما كل من قاس الأمور وساسها يوفق للأمر الذي هو أحسن
وما أحد في الملك يتفهم مخلدا وما أحد مما قضى الله يستلهم
أمن بعد ما ذاق السدى طاحم حريكهم ، بغيهم ، وكانت وهم صاب وعلقم
يرجعهم الى حكم القناص بينكم وفيكم من الشعاء نار تشتملهم
أما عندكم من يتقي الله وحده أما في رعاياكم من الناس مسلم
تسالوا لعل الله ينصر دينه إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم
ونبههم نحو الكافرين بعزيمة بأثم لها تحوى البلاد وتقسم (٣)

وقد تطرق الشجراء في مقطوعاتهم الى الموضوعات العامة من فخر ومدح ووصف ،
ولكن الفرق بين القصائد والمقطوعات ، أن الاولى اأول من الثانية ، ولذا فقد
يتراوح الالتصال فيها بين القوة والضمور ، فمنها من أن القصائد قد تحتوى عية
موضوعات ، في حين أن المقطوعات تتبثق عادة عن انفصال شديد يصاغ فني
أبيات قليلة ، فلا تجد فيها الذبذبة المشعورية التي قد نجدها في القصيدة
الاولية .

(١) النجوم الزاهرة ٢٠٠/٥

(٢) شذرات الذهب ٦٦/٥

(٣) ديوان طلائع بن رزيك ١٣٣ ، والكامل ٣١٨/١١

وقد عبرت بعض المقامات عن الأمانى الكامنة في النفوس ، فقد احتوت كتب الأدب
عدة روايات تذكر أن بعضهم قد رأى في المنام قائلا يقول شعرا أو يشير بالفتوح
وانتهاء الحسر ، كذلك التي سمعها أحدهم في منامه تبين استرداد دمياط :

لا تيا من لمسة فواءك
كم كربة قلق الفتى لنزولها
يسران وعد ليس فيه خساف
لله في أعطافها الطساف (١)
وضها ما قيل عما سمعه البوصيري في منامه من نشيد قيل فتح عكا ، جاء ثوبه :
قد أخذ المسلمون عكسا
وأشبهوا الكافرين صكسا
وساق سدا لنا اليه سمس
خيلا تدك الجبال دكسا
وأقسم الترك منذ سسارت
لا تركوا للفرنج ملكسا (٢)

ومما يندرج تحت هذا ، تلك المقامات التي كانت تكتب على الجدران ، وضها ما
وجد مكتوبا على مضادة محراب المسجد في الرها :

أصحت صفرا من بني الأصفر
دان من المعروف حال بنه
أغثال بالأعلام والضمير
ناء عن النشاء والمكنس
مظهر الرجب على أنسني
لولا جمال الدين لم أظهر (٣)
وجمال الدين هذا هو الذي شجع عماد الدين زنكي على فتح الرها ، وشبهه بهذا
ما وجد مكتوبا على باب كنيسة في عكا :

أدنى الكناز إن تكن عشت بكم
فلطالما سجدت على أبوابكم
أيدي الحوادث أو تغير حال
شم الأنوف جحاحج أبلال
صبرا على هذا المصاب فإننه
يوم بيوم والحروب سجال (٤)

ولا بد أن القارئ لاحظ أن مصطلح هذه المقامات لم يعرف اسم قائلها ، وهذا
يعني أن الشاعر غير مشهور ، وأنه قد انفصل مع الأحداث التي عبرت به ، فمبسر
عنها بلفظ موجز ملتبس ، فحفظ القول ونسي القائل . . .
ولا بد كذلك أن يلاحظ في هذه المقامات سهولة الألفاظ ، وقرب المعاني
وخلوها من التقليد الذي قد يذهب بحرارة القول .

- (١) الذيل على الرواقين ١٢٩
- (٢) ديوان البوصيري ٢٢١
- (٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢٧٥
- (٤) درة الاسالك ورقة ١٦١ ، وجواهر السلوك ورقة ٤٨

بناء القصيدة :

اتضح من خلال الحديث عن مقدمة القصيدة أنها اتخذت ثلاثة أشكال عامة .
 فالقصيدة التي تبدأ بالانزلة يتحدث فيها قائلها عن المرأة ، ثم ينتقل الى المسدوح ،
 ويذكر صفاته ، ويدل على شجاعته بأمثلة علمية مرتبطة بالتصدي للفرنج ، ثم يختم قصيدته
 بالمدح ، وقد يبين للمدح قيمة قصيدته بأن يمجده فيه الشمري .

وغالباً ما تكون القصيدة التي من هذا النوع طويلة ، وقد تصل أحياناً الى مائتي بيت كما
 عند الحماد . . . ولناخذ مثلاً شعرياً واحداً على هذا النمط من القصائد ولتكن للشاعر
 ابن دنيير (١) ، يقول هذا الشاعر في مدح الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك
 الصادل ، وذكر نزول الفرنج على دمهات :

لهم حبّ قلبي إن تدانوا وإن صدوا	وإن قربوا أو حال دونهم البعد
صباية قلب قد تفرد بسسلاسي	بهم حين أقوى منهم الملم الفرد
أقم مأتم الأشواق إن كنت ذا هوى	يرنحه بان ويذكره رنم
فقد هب من أرض العراق نسيمسة	تضخ في أرجائها الطل والنس
ققوا بالعصى النجدي تزعجي طلائعها	من الشوق يحدوها من الوجد ما يحدو
وإن رمت ورداً فيها فيض عبرتي	لمينكم إن مسها ظمناً ورد
فلي بين هاتيك القباب غريسة	يطالبني في كل وقت بها الوجد
أحسن اليها ما تألق بسسارق	حينما يرى للنار من حره بسرد
ويطربني أن قام بالدوح نائسج	على عذبات الهان من شجوه يشدو
سقى الله نجداً ما حللتهم بأرضهم	فان غبت عنها فلا سقيت نجسد
جحدت الهوى خوف الوشاة فأعريت	دموعي بما ألقى ولم ينفع الجسد
وإني وإن قامت قيامة عذلسي	على كل حال ليه لي منكم بسد
أرى كبدي صدوة بحد بحد كسسم	وفي كل عضو من فرائكم كبسسد
وما أنا بالهاغي سواكم لخلسة	وان أسعدت سعدى وإن وصلت هند

فهو يبدأها بالانزلة التقليدي ، إذ يبيكي على فراق الأحبة كلما هب النسيم . أو لاج
 بارق من أرض العراق ، ثم يأتي بالصورة التقليدية : صورة الثعائن ، وما يكتنف الرحيل من
 حزن وحنين ، ثم ينتقل الى مدح الملك الكامل ، فيقول :

وركب تداعوا للمرى تحت انبصري	ليني القوي بعد الهدى ذلك الوفد
فقلت لهم والليل ملق جرانسه	وقد ستر الآفاق من جنحه بسرد
ققوا حيث أنوار الهدى كاطمسة	ونار الوغى والمشركون لها وقسد
فتم ترى الاسلام يسفر وجهه	سروا ونجم الحق في أنفه يسدو
فلولا سمّي المصطفى ووليته	وحى الدين بل كادت قوى الحق تشهد

ولا حملت ذاك المظلمة الباردة

فما صافحت بيض السفاح ككففة

ويستمر الشاعر في مدحه ، ثم يذكر ما قام به في الذود عن الاسلام . . . وقد يكون من المفيد أن نتلمس علاقة المقدمة بالمدح ، فابن دنيير كما يلحظ من قصيدته ترك المسراق وجاء الى أرض الشام ، ثم الى مصر ليجد حظوة يتغلص بها من الفقر الذي لا راحة له ، فهو لم يحرض في حديثه عن الحب والشوق إلا لالاسى والالم والدموع ، (الابيات : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) ثم ينتقل الى الممدوح فتشبه نبرة الحزن ، وتعمل صحتها نبرة للقسوة ، ويستبدل بالصوت العاطفي الشجي ، صوتا هادرا قويا ، ويتصاعد هذا الصوت حتى يبلغ الذروة في الابيات التالية :

عن الملك أو سدوا من الأمر ما سدوا
تصدت فيه للحدى حين ما صدوا
مضى عطشوا ، فالصوت دونهم ورد
على جيد دمياطر كما أنتظم العقيد
حشاها عشايا ملوها الفهك والعقد
بجنب النبي المصطفى ذلك اللحد

فقل لملوك الخافقين اليك
ملك الورى أين الملوك من السدى
أطمح أقوام بنعمة عيشة
إلام التمدى والفرنج بجمعهم
فوالله ثم الله حلقة صادق

ثم تلين النبرات عندما ينتقل الشاعر الى طلب الرعاية من الممدوح ، فيقول :

يتم بها بين الورى ضد السميد
قدونك فبلا حال عن جزره المد

ولست أرجي غير خدمتك السبي
تركت بلادى ، وارتحلت أريدكم

يد الدهر يرويه لرونقة الضميد

ثم يختم القصيدة بمدح شمره ، فيقول :

ويلاحظ أن القصيدة تدور حول محور واحد ، وإن تعددت جزئياتها ، فالبكاء والحزن ناشيان عن فقر الشاعر ، وذكر الظلمتين يمثل الارتحال الى الممدوح للتخلص من الفقر ، إذ أن الممدوح يتصف بالكرم الى جانب الشجاعة وصفات عظيمة أخرى من أعمال الجهاد ومقارعة العدو . . .

أما القصيدة التي تخلصت من المقدمات النزلية فتجد طابع القوة فيها من البداية حتى النهاية ، وهي تدور حول بطل المعركة وحوادثها ، فتجد القائد ، وتشفي عليه صفات القوة والعظمة ، أو تتحدث عن وقائع المعركة وجوها وأساليبها ، أو تشيد بالنصر وتعدد بهزيمة الفرنج .

ولنأخذ مثلاً غير متفق على هذا الجانب وهو قصيدة ابن الساعاتي في فتح طبرية ،

يقول :

نقد قرّت عيون المؤمنين
غدا عرف القضاء بها ضمونا
يقر على الصوالي أن يهوننا

جلت عزماتك الفتح الميننا
رددت أخيدة الاسلام لدمنا
وحان بك الصليب وكان قد مننا

وأنت تقاتل الأعداء ديننا
وفي جسد العلى عقدا ثمينا
ويا لله كم أبكت عيوننا . . . (١)

يقاتل كل ذي ملك ريا
عدت في وجنة الأيام خالا
فيا لله كم سررت قلوبنا

تبدأ القصيدة بذكر النتيجة وهي الفتح ، واستقرار نفوس المسلمين باسترداد ما سلب من حقهم ، فهم في تلهف لرؤية المدينة المستردة ، واستنشاق هوائها . إذ ان النصر عذوة خاصة ، لأن استرجاع المدينة لم يكن أمرا سهلا ، أو بلا ثمن ، فالمدينة حصينة ، ترد المهاجمين ، وكأنها المرأة الصفيقة المحصنة ، التي تتأبى على الرجال ، هل ترفع عن أكف اللامسين . ومع ذلك فان الإعداء السليم ، والتضحية ، جصلا هذه المدينة تلين ، وتفتح ذراعها للقائد المجاهد ، إعجابا به ، وتقديرا له :

وما طيرة إلا حسنة	ترفع عن أكف اللامسين
حصان الذيل لم تقذف بسوء	وسل عنها الليالي والسنين
ففضت ختامها قسرا ومن ذا	يعد الليث أن يلج الحرين
لقد انكحها صم النواصيبي	فكان نتاجها الحرب الزنون
هناك ندى أهل الأرض طورا	ومخل أعياء القرون
قست حتى رأت كفا فلانست	وظاية كل قاسر أن يلين

ثم ينتقل الشاعر الى ذكر أهمية الفتح للمسلمين ، وخطورته على الفرنج . فتستولي عليه الفرحة ، ويدلر من بلد مفتوح الى آخر ثم يغمضها بالثناء على هذا البطل القائد ، فيرى فيه أعظم الأبطال ، وان كان آخرهم زمنا ، مثلما ان محمدا عليه الصلاة والسلام أعظم الأنبياء وان كان خاتمهم :

وان تلك آخر وخسيسك ذم
وهي خاتمة رائحة لحادثة رائحة . . .

* * *

أما المقطعات الشعرية ، فهي ومضات سريعة تحمل قوة الانفصال ، وسرعة المرور ، فأبياتها أقل من النوعين السابقين عددا ، وحرارتها متأججة ، وصورها قليلة مركزة

المواطف :

تكتب المواطف التي تكتنف النص الأدبي مادة النص حرارة تتناسب مع درجة انفعال الأدب . فاذا لم ترتفع درجة الانفصال في النص الأدبي عن درجة الانفصال العادية التي يحس بها كل فرد ، فان هذا النص سيخفق كل الاخفاق (٢) .

(١) الروضتين ٨٤/٢

(٢) انظر حول هذا الموضوع كتاب سيد قطب ، النقد الأدبي ص ٦٥

ويرى د . أحمد الشايب أن المواطف نوعان : ذاتية تقع في دائرة ضيقة ، وإنسانية تستقطب مشاعر أبنائه اللغة أو من يفهمها ، لأنها تقدم الأفكار بطريقة مؤثرة تستعمل النفس وتسرب المعاني إلى الذهن (١) .

ومن المسلم به أن نوع الانفصال يرتبط بمادة النص ، فالقصيدة الحربية التي تتحدث عن موقعة فاصلة ، تثير انفعالا حماسيا شديدا ، بينما القصائد الغزلية أو المقطعات الشعرية كذلك التي نظمها ابن القيسراني في الفرنجيات ، تثير نوعا مختلفا من الانفصالات يشيب فيها الاندفاع والخف .

وبين قصائد العرب وقصائد الغزل أنماط من القصائد تثير أنماطا مختلفة من الانفصالات . . . ويصاحب هذه الانفصالات جرس موسيقي يتناسب عادة مع مادة النص كذلك ولناخذ أمثلة على أنواع المواطف والانفصالات في شعر هذه الفترة ، وبين ارتباطها بالبحر بالجرس الموسيقي المتمثل في الوزن الشعري ، والجرس الداخلي المتمثل في موسيقى الألفاظ والحروف . . .

١ . العاطفة الدينية :

تهرز هذه العاطفة في القصائد الحربية بشكل واضح . فما من قصيدة تخلو من رمز الحادثة أو يطلها بالشعور الديني ، وهذا أمر طبيعي ، لأن الحروب الصليبية اتخذت في كثير من جوانبها شكل صراع عقائدي ، وقد أكسبت هذه العاطفة الشعر عنصر إثارة ، وحرارة ، نحس لفتحها في قصائد كثيرة ، منها قصيدة ابن منير الطرابلسي ، التي نأخذ بعضها شاهدا على ما نذهب إليه ، يقول بهذا الشاعر :

أقوى الضلال وأقفر عرشاته	وعلا الهدى وتبلغت قسماتــــه
وانتاش دين محمد محدود	من بعد ما علت دما عرأتــــه
ردت على الاسلام بحر شبابه	وثباته من دونه ، وثباتــــه

ويبدو من المقدمة أنها تحمل انفصالا دينيا قويا ، يتخذ شكل المقارنة بين الفرنج والمسلمين ، فأولئك أهل ضلال اندثر ، ولم يبق منه سوى رسوم تدل عليه ، وهو لا أهل الهدى الذي أهل وابتنى . وفي هذا الاطار من الاضطراب المعنوي ، يوضح الشاعر عمل نور الدين في تعزيز هذا الدين ، ويحرص الشاعر على أن يقدم هذه العاطفة في ظلال التحنان إلى العاصي المجيد ، والمقابلة بين قوة في عهد نور الدين ، وخف في عهد الحكام المتعاقبين الذين سبقوه .

ولو تابعنا ابن منير في قصيدته الطويلة هذه ، لوجدناه يلج على فكرة المقابلة بين المسلمين والفرنج ، مستعينا بالعركات السريعة لمقاطع البحر الكامل لوضع القارئ في جو لشك متحرك :

(١) انظر كتاب د . أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي ، فصل المواطف .

حرب يصلصل في المثل صمقاته
فرس الفوارس ، والقنا غيلتسه
لله محترمة غزواته ...

حدّ القوام في فيه بعد قماصها
نبدوا السلاح لضيغ ، عاداته
لجرب عصة غيلتسه

ثم يقول

فتفرقت أيدي سبا خشباته (١)

صدم الصليب على صلبة عبوده

(٢) عاطفة الكراهية :

وهي عاطفة لا يكاد يخلو منها شمر قتل في العروب ، وذلك من أجل استتارة الجند
والناس ، للوقوف في وجه العدو ، ومحاولة القضاء عليه .
فلا عجب ، إذن أن نرى الشعراء العرب في هذه الفترة يحفزون بكرامية الغزاة
حين ينظمون شعرا يرتبط بالوجود الصليبي في البلاد . ومن خلال شعور
الكراهية يحفزون قادة المسلمين ضد العدو ، ويشتمون به حين تلحق به الهزائم .
يقول الحماد صرخا صلاح الدين على استرداد ما تبقى من الأرض المحتلة ، بعد
أن استرد القدس :

صور فإن فتحت فاقصد طرابلسا
وابعث الى ليل انطاكية الحماسا
من العداة ومن في دينه وكسا
فانهم يأخذون النفس والنفسا (٢)

من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى
أثر على يوم انظر سوس هذا الجنب
وأخل ساحل هذا الشام أجمع
ولا تدح منهم نفسا ولا نفسا

وقيل ذلك قال ابن مثير في تحريض نور الدين على الغزاة :

غروا ، وقد ركبوا الأفراسروا
منهم ، وودعوا أرضهم تدصيرا
شعواء تصلي الكافرين سميرا
والخيل صوريك تزيرك صورا
قصي مطهرة لها تطهيرها (٣)

أن الألى أمنوا وقاعك بعدد
ألقى الصفا فيمن أطلع ومن عصى
لا يلهمهم أن قد مننت ، وشنتها
باكر بركر قنالتنصف أسهمها
وتريك لامعة التريك بمأحسة الأ (٤)

وتظهر هذه العاطفة في مواضع أخرى بدرجة أكبر ، ومن غير ما يمثل هذا الجانب
قصيدة ابن عيين في فتح دمياط التي مالمها :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا إذا جهلت آياتنا والقنا اللدننا
فمن أول بيت نجس بالشدة والصالبة والاعتداد بالنفس ، ولعل تتابع الأصوات
المتشابهة في البيت يوحى بالتحدي والاعتداد منا .

(٢) المصدر السابق ١٠٢/٢

(١) الروتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦

(٣) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢١٢

وقد تجلت هذه العواطف في أوقات الضعف التي مر بها المشرق الاسلامي كفترة سقوط القدس والمعرة ودمياط وغيرها .
ومن القصائد التي تعجلت فيها هذه العواطف قصيدة ابن الجاور في تسليم القدس للفرنج سنة ٦١٠ هـ ، اذ يبدأها بالبكاء والنداء الحزين لعينيه ، بأن تذرف الدموع وتواصل البكاء ، لعل الدمع يكون سبيلا لان يطفئ ما في القلب من حرقه ، يقول :

أعيني لا ترقى من الحسرات	صلي في البكا الأصال بالبكرات
لعل سيل الدمع يطفى فيضها	توقد ما في القلب من جمرات
ويا قلب أسمر نار وجدك كلما	خبت بآركار يمت الحسرات
وما فربح بالشجونك لعلك	يروح ما ألقى من الكرات (١)

ان النداء المتكرر ليوحى بالحسرة والتلطف ، كما أن القافية المكسورة المبيوطة بالمد يتناسب وقصها مع الجو الحزين ، وليس من العجيب أن تشترك قصيدة العماد في رثاء صلاح الدين مع هذه القصيدة في كثير من أدوات الحزن فيها ، يقول العماد في رثائه للبطل المسلم الراحل :

شبل الهدى ، والملك عم شتاته	والدعوساء ، وأقلدت حسناته
أين الذي مذ لم يزل مغشية	مرجوة رهباته وهباته
أين الذي كانت له طاعاتنا	مذولة ، ولربه طاعاتنا
بالله ، أين الناصر الملك السدي	لله خالصة صفت نيائنه (٢)

أما الحزن والحسرة على سقوط المعرة فتعكس مقتضاه أبي بشر بن الخواري ، السبي يبدأها أيضا بالاستغناء والبكاء والنداء ، ويتكرر فيها حرف المد وتنتهي بروي مكسور أهذه بين إنكاري وعرفاني
جهلتها ، ولقد أبدت ملامحها
فمجت أسألها ، والدمع منكب
مسارب الوش أم داري وأوطاني
عهد الصبا بين إخواني وخلائي
والقلب في لوحة من وجده غان (٣)

أما الحزن على دمياط ، فقد امتزجت فيه الشكوى بالتحريض ، وجاءت أدوات الحزن متكررة متنوعة . يقول الأمير جمال الدين الكناني في رسالة شعرية بعث بها ممن داخل دمياط المحاصرة :

يا مالكي ! دمياط تفر هدمت	شرثاته ، كادت تجث أصوله
يقربك من أزكى السلام تخيمه	كالمنك ، طاب دقيقه وجليله

المصدر السابق ٢/ ٢١٥

(٢)

(١) الروضتين ٢/ ٢٠٥

(٣) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢/ ٨٧

حتى كأنك بجاره ونزيله
بين الملوك شبيهه وعديله
بجميعه فرسانه وخيوليه
والبحر عز لنصره أسطوله
وخيلته وكاؤه وعويله
ما إن يعل من الدموع هموله
لكنه سُدَّتْ عليه سبيله
دين الاله وخلقه ورسوله
علائه ونحاه عليه نحوله (١)

ويقول عن بعد ، وإنك سامع
يدأيها الملك الذي ما إن يرى
أشكو إليك عدو سوء أحد قسرت
فالبر قد منعت إليه دار يقسه
فغضوه به على إبراهيميه
والشرف نأذره إليك جدد
ولو استطاع لأم بابك لائيدا
ورسوله في أن تجيب دعائه
فقد انتهت ادواؤه وتحكمت

ففي الابيات الأولى تأخذ الشاعر النغمة ويتهدج صوته ، ثم ينتقل الى مخاطبة الملك
الكامل ، ويشكو اليه سوء الحال ، بسبب حصار الفرنج لدمياط ، ثم يعرض صورة مؤثرة
تعكس ما يعانيه الثائر من ضيق ، ويكرر هذه المواقف والمعاني لكي تحرك مشاعر الكامل
وتدفعه الى العمل ، وقد حصل ما توقعه فشلا ، إذ انه عندما وقف الكامل على هذه
الابيات ، أمر أهل القاهرة ومصر بالتغير للجيهاد ، وكان قد بعث الى أخيه الأشرف
يستحثه على سرعة الحضور بأبيات مشيرة ، قال فيها :

فانهض بنير تلث وتوقسف
بتجشهي سيرها وتبسف
الا على باب الخليك الأشرف
ما بين كل مهتد ومثسف
يوم القيامة في عراش الموقف (٢)

يا مسعدي إن كنت حقا مسعفي
واحث قلبك مرقلا أو موجفا
واطو المنازل ما استطعت ولا تخ
إن تأت بعدك عن قليل تلقسه
أو تبطر عن انجاده ، فلقبواوه

وقد سبق الحديث من خلال المقدمات من أنواع أخرى من المواطف الحافزة على قول
الشعر ، ومن هذه : الإعجاب بالقائد ، والاحساس بالنشوة حين النصر ، وشعور الانتصاء
الى الامة ... الى غير ذلك .

ومن خلال الامثلة التي تقدم تحليلها في هذا القسم يمكننا أن نقول :
إن عواطف الشعراء في قصائدهم الحربية عواطف صادقة ، لانها تنطلق من احساس
شديد بالاحداث ، وانتماء قوى الى المجتهد وعقيدته وعشارته ، وارتباط بالموطن ، واعجاب
بالبطل ، الى غير ذلك مما سبقت الاشارة اليه ، ولذا فاننا نحس في كثير من الاحيان
بتوهج الابيات ، بل اننا نحس بأننا نتفاعل مع الشاعر ، وكأننا ينقل الينا مشاعره بالمعدوى
واذا نحن وهو في وضع عاطفي واحد .

(١) الملوك لمصرقة دول الملوك ج ١ ق ١ ص ١٩٩

(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٧

وهذا الصدق في التعبير هو صدق شعوره ، ولا يستلزم الصدق الشعوري دقة
صدقا في نقل الوقائع ، إذ إن الشاعر ينقل لنا الوقائع والأحداث ملونة بمشاعره ، ومواقفه
الخاصة ، وكذلك بأحاسيس المجتمع الذي ينتمي إليه ، مما يجعل النص أكثر تأثيرا .

وقد عرضنا ألوانا مختلفة من عواطف الشعراء ، فوجدنا أشد تأثيرا وقوة مما
يرتبط بالتحدث والتجريد ، حتى ليجد الدارس النبرة الخطابية واضحة فيها .

ومن عوامل التأثير في الشعر ، العنصر الموسيقي ، المرتبط بالبحر والقافية
والموسيقى الداخلية ، وما أن الشعر العربي في غالبه يسير عن القوة ، فإن من المتروك
أن تكون موسيقى القصائد الحربية توحى بالقوة ، ولعل الجدولين التاليين ، المرتبطين
بموسيقى الشعر العربي الذي أخذته من الرونتيين ، يدلياننا فكرة عن أشيق بحر
الشعر والقوافي التي استعملت في القصائد ذات السمة الحربية :

البحر	مجموع القصائد
البحر	٢٧
البحر	٢٦
البحر	٢٥
البحر	١٠
البحر	٩
البحر	٨
البحر	٥
البحر	٤
البحر	٢
البحر	١
البحر	١
البحر	١
البحر	١

وكانت حروف الروي كما يلي :

حروف الروي	مجموع القصائد
ح	٢٤
ح	١٦
ح	١٤
ح	١٤
ح	١٢
ح	١٠
ح	٨
ح	٦
ح	٥
ح	٥
ح	٣
ح	٣
ح	٣
ح	٢
ح	٢
ح	١
ح	١
ح	١
ح	١

ويلاحظ أن البحر الكامل قد تكرر استعماله في هذه القصائد شيئا وثلاثين مرة ،
وهذا أمر طبيعي لأنه يحتوي على ثمانية عشر مقطعا صغيرا واثنى عشر مقطعا طويلا ، ولعل
ما يوحى به البحر من حركة مقبلة ، يتسق مع الانفصالات الشديدة التي ترافق الحروب
في الميدان ، كما يصور جو المعركة وما فيها من حركة أيضا . أما البحر الطويل ، فليس
عشرون مقطعا طويلا وثمانية مقاطع قصيرة ، فهو يتسع للموضوعات الجادة والمواقف الخطيرة
وقد استعمله قدامى الشعراء في شعر البطولة . (١) .

1-Mahmud Ibrahim , Martial Poetry under the Hamdanids
of Aleppo . p.p 461-463 (PH.D 1965)
وانظر كذلك كتاب د . أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ص ٣٢٢-٣٢٥

أما البحر البسيط الذي يأتي ثالثاً ، فهو قريب من البحر الطويل ، إذ إن عدد الحركات فيها يكاد يكون متساوياً ، وكثيراً ما استعمل هذا البحر في الموضوعات الرصينة الجادة كذلك . على أنه لا يحد من القوت ، أنه لا يوجد رابط حاسم متفق عليه ما بين موضوع القصيدة الشعرية ، ومخرجها ، وإنما هي استقرأت تعتمد على مدى شيوع استعمال بحر ما في موضوع من الموضوعات .

وكما أن موسيقى البحور تنضفي على الشعر جواً معيناً ، فإن حروف الروي تنضفي مثل هذا الأثر كذلك على الشعر ، وقد لاحظ أن حرف الراء قد تكرر في أربع وعشرين قصيدة من القصائد التي استقرت ، ثم يأتي حرف الدال في المرتبة الثانية ، وقد جاء في ست عشرة قصيدة ، ثم حرفا : الميم والنون في المرتبة الثالثة ، وقد تكرر في ثمان وعشرين قصيدة . ولعل هذه الأحرف الأربعة تمثل أصواتاً تتناسب في وقعها على الأذن مع أجواء العرب ، لا سيما أنها من الحروف التي كثر استعمالها في قوافي القصائد العربية .

التصوير :

يختلف الناس بعضهم عن بعض في نقل الأفكار ، فبعضهم من ينقل الفكرة مجسدة ووضوح من يخلقها بالصور الشائقة ، وبعضهم من يصب عليها من قلبه ما يشيع الدفء والحرارة فيها

ثم ، إن تميز الشاعر عن بقية الناس بشدة الاحساس بالحياة وما يجري فيها ، يجعله أقدر من غيره على التفاعل مع الأحداث وتصويرها تصويراً يحمل طابعه الذاتي ، وهذا التصوير يجعل كل كلمة في الفن الشعري تؤدي وظيفة معينة في نقل الفكرة ، ولذلك فإن للكلمة تأثيراً خاصاً

ولعل الصور التي تثيرها الكلمة هي التي تبحث الحياة في النص الأدبي ، وتكسبه القدرة الإيجابية ، وهي التي تجعل القارئ يتقبل على نحو من العمل الأدبي دون نوع آخر . ومن المسلم به أن الصور الشعرية مرتبطة بالفكرة أشد ارتباطاً ، لأنها تغير عنفسنا ولكن ذلك لا يعني أن تكون الصور في الشعر الحربي مشتقة من مناظر الحرب فقط ، بل أن مصادر الصور متنوعة ، يلجأ الشاعر في تكوينها إلى مصطلحات البيئة المحلية ، والمثاقفة ، والتجارب الشخصية .

وبطول الحديث لو حللنا عناصر هذه المصطلحات ، وشرينا لها الأمثلة ، ولذا ، فقد يكون من المجدي اختيار أمثلة معينة ، وتوضيح مصادر الصور من خلالها

١ . يقول ابن دنيير في سرقة دمياط :

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| ١ . يا يوم دمياط قد راحت صسودة | منك الطروس وقد سارت بك السير |
| ٢ . تهلل الدين والدنيا به فرحاً | واستبشرت مكة والجعر والحجر |
| ٣ . لم تخش يثرب تريباً لفادحة | من بعده إذ سرت في ذكره السور |
| ٤ . أنطقت خر من الأمانتي وهي صامته | ورضت صعب الصماني فهي تيسر |
| ٥ . أهبست أهل الهدى من نصرة حملا | والشرك قد حل منه الأزد والأزد |

يكاد منه فؤاد الدهر ينقطر
عن فخرها وهو طول الدهر يفتخر
فالشرك مخذل والحق منتصر
زورق الأُسنة فهي الأُتجم الزُّهر
لكنها بظلام النقع تستقر
بنصره ، وعليب الشرك متفجر
كسر مدى الدهر منك ليس ينحسر
ذرها ، فأنت لديه مهل له جزر
وفي السماء قضاء الله والقدر
رووسهم منك نار الحرب تستر
مين سمر القنا والموت محتكر
وللسيوف الطلق والبهاق والقصر
وما دروا أنه عجز به العبيد
وقد رأوا غارة هانت لها الفير
بأن سيفك لا يبقى ولا يسذر
ويل طويل وقد أفاهم الخبر
من يؤمن بأسك حصرا ليعر ينحصر
فيها لخوفك ، إن قالوا وإن ذكروا
إن قيل عودوا ، نعد بالسيف ننصر
ولا حنين ، وإن عدوا وإن شهروا (١)

- ٠٦ في يوم ذي ربح لا وصف يدركه
- ٠٧ يوتدين له الأيام إذ غرست
- ٠٨ في حالة جمع الشدين في قرن
- ٠٩ قد عاد صبحهم ليلا تضي به
- ١٠ والشخص طالعة فيه وغارسة
- ١١ والدين قد تليت آياته فرحيا
- ١٢ يا دين عيسى بعيسى قد خذلت وذا
- ١٣ وأفك في جحفل ضاق الفضاء به
- ١٤ أتى بجيش يوفي ، في الأرض عسكره
- ١٥ فالبحر من تحتهم أدية وعلبي
- ١٦ وزعتهم بين بيض الهند مصلته
- ١٧ فللرماح قلوب منهم أبدا
- ١٨ أموا الصبور إلى دمياط تحصنهم
- ١٩ راموا - بحيث اطلحوا لمرب سلمهم
- ٢٠ لم يطلبوا السلم إلا بعد علمهم
- ٢١ أضحى لرومية الكبرى بما شهدوا
- ٢٢ إن لم يكن حوصروا فيها فإن بها
- ٢٣ يمشون همما ، وإيما جديشهم
- ٢٤ نهاهم الربيع عن عود قنقصة
- ٢٥ ما يوم يذر بأعلى منه أو أحسد

ففي هذه القصيدة يرسم الشاعر صورة دمياط ، وقد تغلضت من الفرنج بعد معركة طويلة ، فقدم النتيجة على المعركة ، نظرا لأنها كانت مسروقة ، ثم أخذ يصف قوة الفرنج ، ولكن هذه القوة لم تغن عنهم شيئا ، ولم تدفع كثرتهم الهزيمة ، بسبل سقطوا موزعين بين النار والماء ، والسيوف والرماح .

أما مصادر الصور فهي إما مأخوذة من حياة الناس ، وأقوالهم وممارساتهم كالتهلل والاستبشار (بيت ٢) والنطاق (بيت ٤) والهصر ، والإشارة (بيت ٢٣) واللباس (بيت ٥) والتلاوة (بيت ١١) ، أو مستمدة من الجو الحربي كلمتان النصال ، والسيوف وغبار المعركة ، والجيش ، والمعركة البحرية ، والنار المحرقة . . .
(الآيات ٩ - ٢٣) ، أو من الحياة الدينية ، كمكة والججر والججر ، والمدينة المنورة (بيت ١ - ٢٠) والهدى والشرك (بيت ٥ ، ٨) صدر وأحد وحنين (بيت ٢٥) .

٠٢ ويقول فتیان الشاغوري في فتوح صلاح الدين :

أنشأت ملحمة تمل معاقيل الـ
أعرابها ضرب الحسام ونقطهـ
والجبر بحر دم تغلظت موجـهـ
والبيض تنشروهي غير خواطـبـ
والخيل ملزبة كأن صهيلهـ
نشوى تميد من السرور كأنهـ
فرسان بالعدو الذي لم يهـسر
وقع السهام وخطها بالسهمـري
إذ ليس ثم سوى الثرى من دفتـر
والسمر ناطمة وان لم تشمـسـر
شدو النخيلة في نسب البحتري
صبحت كوء وسا من شراب مسكر (١)

ومصادر الصور في هذه الأبيات متنوعة ، أبرزها الاعتماد على الثقافة اللغوية والأدبية
مثلة في : الإعراب والنقط والخط والنثر والنظم ، وأدوات الكتابة من حجر وورق .
وقد اشتق بعض الشعراء الصور البيانية من أسماء الفرج وقادتهم ، كما في أبيات
العماد التالية :

لما رأى الداوي راونداءهـ
طلب الفريي القرار بطالبهـ
والهافوي مذ هان فرموهـ
باروا فبارو نيهم بفنائسهـ
ولى بداعون بغير طعنهـ
متباعدة من هلكه المتدانسي
لسائمة ، والهون شأن الثاني
مود ، وسيرهم أسير عان (٢)

وهذا يمكن تلخيص مصادر الصور الشعرية في شعر الحروب الصليبية ، بما يلي :

- | | | | |
|----|-------------------|----|----------------|
| ٠١ | الحياة الاجتماعية | ٠٤ | جو الحسرب |
| ٠٢ | الحياة السياسية | ٠٥ | الهيئة المحلية |
| ٠٣ | الحياة الثقافية | ٠٦ | الحياة الدينية |

الصور التقليدية :

سادت الروح الاتباعية أدب هذا العصر ، فأتكا شعراء الحروب الصليبية على التراث
الأدبي السابق ، وأخذوا منه كثيرا من الصور ، بالإضافة الى التأثر بالجو العام للقضايا
الحربية في العصور السابقة .

وقد ناقش الدكتور محمود ابراهيم في كتابه : " صدى الفزو الصليبي في شعرا ابن
القيسراني " هذه الزكرة مناقشة وافية ، استعرض فيها أسباب هذه التبعية ، واستوعق
أمثلة كثيرة من شعرا ابن القيسراني في تأثره بالمقتبي وأبي تمام . (٣) .

- (١) ديوان فتیان الشاغوري ص ١٤٦
(٢) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٥٥ ، ٥٩ ، وانظر الروضتين ٥٢٩/٢/١ و ٥٢٩
(٣) صدى الفزو الصليبي في شعرا ابن القيسراني ص ١٧٢ - ١٩٦

وليس من الضروري ، في هذا المقام ، استعراض كل صورة اقتبسها شعراء هذه
الفترة من الشعراء الاقدمين ، فذلك يحتاج الى دراسة خاصة ، ولذلك فاننا سنعرض
بعض الصور التي تردت في شعر العرب الصليبية ، وأخذنا أصحابها من الشعراء السابقين
ويمكن عرضها كما يلي :

١. صورة الجيش الاسلامي يظلمه جيش من الطيور :

وقد تكررت هذه الصورة في الشعر العربي غير مرة ، منها قول فتیان الشاغوري
في وصف جيش صلاح الدين :

خميس له الرايات ظل وفوقه من الطير ظل يحجب الشمس سادل (١)
وقوله :

وجيش لها ، خلق الطير فوقه ستضحي لكم أحشاؤه من تواويسا (٢)
ويصف العماد تزاحم الطيور الجارحة في الجو وكأنها جيوش تتزاحم فرسانها ،
فيقح الصدام بينها ، يقول :

تزاحم فرسانها الضاربسات فتصدم فيها النصور النسور (٣)
ويقول ابن دنينير في مدح الملك كوكبري بن علي بن بكتكين :

وما زلت في جيشين : جيش مقاتل وجيش على القتلى من الطير حائم (٤)
وقد وردت هذه الصورة في شعر الجاهلي ، وردت اسامة بن منقذ إلى الأفسو
الأودي أن يقول :

وثرى الطير على آبارها رأي عين ثقة أن ستمسار
ثم أخذها التابضة فقال :

إذا ما غزا بالجيش خلق فوقهم عصائب طير تهتدي بحصائسهم
جوانح ، قد أيقن أن قبيلهم إذا ما التقى الجمعان ، أول غالب
ثم أخذها الحطيفة ، ثم حميد بن ثور ، ثم مسلم بن الوليد ، وأبو نواس ثم أبو تمام
والمتبي ، إذ يقول الأخير :

له عسكرا خيل وطير إذا رمسى بها عسكراً لم تهق إلا جماعه (٥)

(١) ديوان فتیان الشاغوري ٣١٢ (٢) المصدر السابق ٢٢٤

(٣) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ص ٢٩

(٤) ديوان ابن دنينير ورقه ٥٧

(٥) الهدى في نقد الشعراء ص ٦٦٤

٠٢ صورة الجيش الاسلامي الكثيف المدجج بالسلاح :

وقد جاءت هذه الصورة في شعر الحرب العربي ، فاستفاد شعراء هذه الفترة من الصور القديمة وأوردوا في شعرهم وصفًا للجيش الاسلامي ، فقالوا إنه يزحف كالجراد ، ويحمل من السلاح اللامع والسهم الكثيرة ما يشبه أغصان الشجر في الثبات ، كما وصفوا انقراض السهام والرمح بانقراض الشهب ، يقول معاذ الأعشى في وصف جيش صلاح الدين :

عمر كالدنّ الديار منتشـير
إذا نهضت إلى أرض الحدّوبه
تحمو عليه سماء من عجايبه
وفي ياجيه نار من صوارصه
تحصى الزمال ولا يحصى له عدد
لم يبق من مائها غمر ولا شمس
صبية من قناة تختها عـصـد
تكد تظفر ماءً وتعي تنقـد (١)
ويقول ابن أسعد الموصلي متعدياً الفرج بـتـيد انتصارهم على نهر الدين :
هالاً وقد ركب الأسد الصقور وقد
سلاوا الدابي تحت غابات من الأسـل (٢)

٠٣ صورة جيش المدو المنهزم :

وقد قدّم الشعر لهذه الصورة أريفة تحمل معنى الاستهزاء ، فهم لا يفرقون بين وخز السلاح ووقع حيات المار الشديد تنير أجسامهم ، وقد اعتمد ابن القيسراني في هذه الصورة حين قال :

صاب الفخام عليهم والسهم ما
على صورة العتبي التي يقول فيها :
ينشاهم منار السحاب مفضـلا
بشهبند ومثقف وسـبـان

٠٤ التأثر بقصائد الشعراء السابقين عامة :

فقد اعتمد الشعراء على قصيدة أبي تمام الهائي في وزنها ورويها وصورها ، ومن الشعراء الذين قلبوه ابن القيسراني في قصيدته التي مطلعها :
هذي المزامير لا ما تدعي القضب
وذي المفارم لا ما قالت الكتب (٤)

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١ / ٤١٤

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٨٩

(٣) الروختين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٤) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٢

وشهاب الدين محمود في قصيدته التي مطلعها :
 العمد لله زالت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي (١)
 وأخذ ابن دنيير من قصيدة أبي تمام البائية بعض الصور في قصيدته التي يصف
 فيها فتح دمياط ، ومطلعها :
 ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر الله أكبر هذا النصر والظفر
 وفيها يقول :

هذا هو الفتح فتح لا يقوم بهه نظم المديح ولا نشر فيستكبر
 فتح مبين وفي من كل مهقصة لم يبق من بعده ذنب فيشتكبر
 يا يوم دمياط قد راحت مسودة منك الداروس وقد سارت بك السير (٢)
 ومن الشعراء الذين استفادوا من قصائد أبي الريب المتبني ابن أحمد الموالي
 في قصيدته التي يعتذر فيها عن كسرة نور الدين ومطلعها :

طلبى المواضي وأطراف القنابل ضوامن لك ما حازوه من نفل (٣)
 فقد استفاد من قصيدة المتبني التي يعتذر فيها عن كسرة سيف الدولة ، ومطلعها :
 غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو عدثوا شجعوا

٥٥ مقارنة الفتح بالفتوح السابقة ، ومقارنة القادة بالأبطال السابقين في تاريخ الإسلام :
 وقد أصبحت هذه المقارنة ظاهرة من ذواهر شعر الحروب الصليبية ، ولعل ذلك
 يعود إلى طبيعة الصراع الديني بين المسلمين والفرنج .
 ومن الشعراء الذين أقرنت صورة الفتوح في أذهانهم بالفتوح الإسلامية السابقة ،
 أبو علي الحسن بن علي الجويني ، يقول :

هذي الفتوح فتوح الأنبياء وسابها سوى الشكر بالأفعال أثمان

 فأين مسلمة عنها وأخواتها من بل أين والدهم ، بل أين مروان (٤) ؟
 ومنهم الحماد الأصفهاني ، إذ يقول في مدح صالح الدين وتكسيه السلطان قسري
 القدس :
 نفى من القدس صلبانا كما نفيت من بيت مكة أزلام وأنصاب (٥)

(١) تاريخ ابن الفرات ١١٥/٨ ، درة الاسلاك ورقة ١٥٤

(٢)

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ عن ٣٢٠

(٤) المصدر السابق ٢٠٥/٢

(٥) المصدر السابق ١٠٣/٢

ويقول الهباء زهير في فتح دمياط :

فقله يوم الفتح ، يوم دخولها
لقد فاق أيام الزمان بأسرها

ويقول ابن دنينير في فتح دمياط :

ما يوم بدر بأعلى منه أو أحسن
أما مقارنة القادة بالابطال السابقين أو الانبياء فتظهر في قول ابن الساعاتسي
اذ انعام علاقة بين صلاح الدين يوسف والنبي يوسف عليه السلام بجامع الاسرار
والشهرة :

فكنت كيوست الصديق حقسا
له هوت الكواكب ساجدينسا (٣)

ويقول الجويني فيه أيضا :

حياه ذو العرش بالنصر العزيز فقا ل الناس : داود هذا أم سليمان ؟
ويقول الجواني النسيبة المصري في صلاح الدين بعد فتح القدس :
يا يوسف الصديق أنت لفتحها
ولأنت عثمان الشريفة بمحمد

فأروها عمر الإمام الاطهر
ولأنت في نصر النبوة حيدر (٥)

تشبه المدن والثغور بالنساء المتضحات :

فقد صور الشعراء فتح المدينة على الفتح بفتح الفتاة ، وقد سبق المتبني الى هذا
الباب في استعمال الفاظ الخزل والنسيب في وصف الحرب (٦) .
ومن الشعراء الذين جاءت هذه الصورة في شعرهم ابن القيسرائي ، اذ يقول فسر
مدح نور الدين :

ما زقت الحرب الحوان بسسه
ومنهم الملك المناظر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، اذ يقول في فتح صلاح
الدين للقدس :

جاءتاك أرض القدس تغطب ناكحا
يا كفاها ما المذر عن عذرائهسا
زقت الهك عروس خدر تجتلسمسا
ما بين أجدها وبين إمائهمسا
ايه صلاح الدين غزدها غادة
بكرا ، ملوك الارض من رقبائهمسا
كم خاطب لجمالها قسد رده
عن نيلها أن ليس من أكفائهمسا (٨)

- | | | | |
|-----|------------------------------------|-----|--------------------------|
| (١) | ديوان الهباء زهير ١٢٣ | (٢) | ديوان ابن دنينير ورقة ١٥ |
| (٣) | الروضتين ٨٥/٢ | (٤) | المصدر السابق ١٠٥/٢ |
| (٥) | المصدر السابق ١٠٥/٢ | (٦) | يتيمة الدهر ٢٠٩/١ |
| (٧) | الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٦ | | |
| (٨) | الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٨٦ | | |

نمى كثير من الدارسين لهذه الفترة على الشعراء والكتاب استعمالهم الزائد للبديع ، واستقصاءهم لصوره ، وقد غالى بعض الدارسين في نقد هذه الظاهرة حتى وصف العصر الذى ندرسه بالجمود والانحطاط بسببها ، وكأن الصنعة لم توجد الا في أدب هذه الفترة فقط ، أو كأنها قد تمثلت في كل نص من نصوص هذا الأدب . ولا شك أن بعض هذه الاحكام لا يستند الى دراسة مستقصية دقيقة ، وإنما عسي خطف سريع لأحكام متأثرة بأحكام سريعة سابقة .

ومن المسلم به أن البديع موجود في الأدب العربي قبل هذه الفترة ، ولكن درجات اهتمام الأدباء به تختلف من واحد الى آخر ، ومن نمط من أنماط الأدب الى نمط آخر .

ولسنا محنيين بدراسة تحكم البديع في الأدب العربي عامة ، وفي شعر هذه الفترة خاصة ، لان ذلك يحتاج الى دراسة مستقلة . وقد عالج د . زكي مبارك في كتابه النشر الفني في القرن الرابع الهجري هذه الظاهرة (١) ، كما عالجها د . محمود ابراهيم في الشعر من خلال دراسته لابن القيسراني الشاعر (٢) وما نريد تأكيد هذه هنا ، هو أن البديع ظهر في الأدب ، شعره ونثره ، بشكل بارز في هذه الفترة ، ولكن موادنا في البديع والوعف . . . أكثر منها في الموضوعات الأخرى .

ويمكننا التذليل على ذلك بملاحظة سريعة ، وهي أنه لو قارنا بين ما فسي الشعر الخريدة من شعر ، وبين ما في الرونيتين من شعر ، لوجدنا اختلافا ملموسا من حيث تحكم البديع ، والسبب في هذه الظاهرة هو أن شعر الرونيتين يكاد يكون مرتبطا بالأحداث السياسية في عهدي نور الدين زنكي وإصلاح الدين الأيوبي ، وهذا يعني أن الشعراء قد تحرروا بشكل عام من مقال البديع في موضوعات معينة ، فلم يطغ البديع على شعرهم ، بينما نجد شعر الخريدة تبرز فيه هذه الظاهرة بشكل يستدعي الانتباه ، لأن شعر الخريدة مغموج حسب المناطق الجغرافية ، إذ يصفى الحماد شعر الشعراء الذين اختارهم بغض النظر عن الموضوع ، وقد تحكم ذوقه بمختاراته الشعرية ، فجاءت مثلثة لولعه بالوان المحسنات اللفظية .

وسنذكر فيما يلي بغض القصائد العربية موزعة على فترات حقبة الحروب الصليبية ، ثم تعرض للبديع الذى ورد فيها ، لنرى الى أي مدى كثر استعماله في هذا اللون من الشعر ، فقصيد ابن الخياط التي مطلعها :

فد تك الصواهل قبا وجسر د
وشم القبائل شيئا ومردا (٣)

(١) انظر : النشر الفني في القرن الرابع الهجري ص ٦٤ وما بعدها

(٢) أنظر : صدى الشزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٩٨ - ٢٠٢

(٣) ديوان ابن الخياط ١٨٢ ، وانظرها في الملحق الشعري

لا يسيطر عليها البديع ، الا بشكل معتدل ، كالطبايق في قوله : بهيضى — سمير —
 شرقا — غيبا ، غورا — نجدا ، هزلا — جدا ، البحر — عبد ، تلامون — اسهرتموهن .
 والجناس في قوله : الأسد — الأشدا ، نائل — نائل ، جاعلا — عاجلا ، جدا ، جدا .
 والتقصير في قوله : فدتك الصواهل : قبا وجردا وشم القبائل : شيئا ومسرردا
 أما مقطعة أبي بشر بن الحواري التي مالمها :

أهذمين إنكارى وعرفانسي مسارب الوحش أم داري وأوطانسي

فلا يوجد فيها من البديع الا الطبايق في البيت المذكور .

وكذلك الحال في قصيدة ابن قسيم الحموي التي يمدح فيها عماد الدين زنكي ، ومثلها :

بحزمك أيها الملك العظيـم تذلل لك الصعاب وتستقيم

ان يقل فيها البديع ويمكن حصره في عدد محدود من أمثلة الطبايق والمقابلة والجناس . . .
 وأما قصيدة ابن عنيـن في هزيمة الفرنج على دميـاط التي مالمها :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى اذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا

ومقطعة ابن مـلـوح في هزيمة الحلك لويـس التاسع على دميـاط سنة ٦٤٧ التي مالمها :

قل للفرنسيين اذا جئتـهم مقال صدق من قول نصيب

أجرك الله على ما مضى من قتل عماد يسوع المسيح

فهما قصيدتان عن الصناعة اللفظية ، مع انهما مختلفتان في الاسلوب من حيث القوة واللين
 كما انهما قيلتا في وقتين متباعدين نسبيا .

ومع أن قصيدة شهاب الدين محمود في فتح عكا ، التي مالمها :

الحمد لله زالت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي

هي تقليد لقصيدة أبي تمام ، إلا أنها خلت تقريبا من الصناعة اللفظية ، علما بأن

قصيدة أبي تمام فيها من الصناعة الشيء الكثير .

كل هذا يدل على أن الصناعة اللفظية لم تكن متحركة تحكما كليا في جميع الشعـر

ولذا فلا يجوز تحميل الحكم على شعر الجروب الصليبية كله . . . ومع هذا ، فأنشدها

نجد بعض القصائد تستبد فيها الصناعة ، لا سيما في القصائد التقليدية ، وقد بين

د . محمود إبراهيم ذلك في شعر ابن القيسراني (١) ، ولذلك سنعرض فيما يلي

أمثلة أخرى من نظم شعراء آخرين ، فمن ذلك قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مالمها :

أقوى الضلال وأقفر عرصاته وعلا الهدى وتبلجت سماته

فان كل بيت فيها لا يخلو من البديع ، لان ابن منير عرف عنه ولعه بالزخرفة اللفظية .

وأكثر ما استعمل من أنواع البديع :

المقابلة ومن أمثلتها : أقوى الضلال وأقفر عرصاته . . . البيت ، والبيت الثاني ،

الجناس : وهو كثير ، ومنه : وثباته — وثباته — شداته شداته . . . التجنيس بالاشتقاق

وهو كثير أيضا منه :

- * وأعاد وجه الحق أبيض ناصها
 * حذل القوام في بعد قناصها
 * نبذوا السلاح لضيغم عاداته
 * يمسي قنانيه بنات قيونسه
 * ومضى يوثب تحت إنب همسة
- إصلااته وصلاته وصلاته
 ضرب يوصل في الدالي صمقاته
 فرس الفوارس والقنا غاياتسه
 فوق القوانس والقنا قينانسه
 أمست زوافر غيها زفراته . . . الخ .

اللباق : نار - ذلالت - صبح - ضوق . .
 المبالغة : ومن أمثلتها :

- * فصبو وجه خمر الدالي وضوقسه
 * لم تثبت الأجسام قبل رماحسه
 * في كل يوم تستليل قنانيه
- ندف النفوس تدويرها نشواته
 شجرا أصول شروعه شرانسه
 فوق السماء * وتعتلي درجاته

عن النسل مما جرحته من الشكل

ثم قصيدة ابن سناء الحكيم التي مطلعها :
 هل الكرك التكلي بأولادها انتفت
 ومنها من أنواع البديع ما يلي :

- * يكلفهم غزو الترويع بدارهم
 * إذا كنت من قتلاك تملأ سبلها
 * وكانت بهم تلك البلاد تنجست
 * ولم أر أرضا جادها الغيث قبلها
- ويسهل إلا أنه ليس بالسهل
 فكيف يسير الجيوش فيها بلاسهل
 فتاب دم منهم عن الماء في الغسل
 وتصبح تشكو بعده غلة الصل

- المبالغة : ومنها :
 * عساكر أرواح المساكين شربها
 * جيا دهم تخشى الصغار من القنا
 * وما شرفوا بالماء والريق إذ رأوا
- وليس لها غير الوارس من أكل
 تشفى وتخشى في الدماء من الوحل
 جيوشك لكن بالوارس والرجل

- الحقابلة : ومنها :
 * وصبحت أخرى صبحتك بأهلها
 * أحسوا بطل اللعريف فجاءتهم
- ومستك إذ أمست وهي بلا أصل
 ربيع من النبل المدد كالوهل

هذه نثارة سريعة في مدى وجود البديع في شعر العرب الصليبية ، ولنا أن
 نتساءل : هل أدى البديع إلى تضبيب الصورة أو إطفاء الانفعال ؟
 قد يكون الجواب بالإيجاب بالنسبة إلى بعض القصائد التي سمي قائلوها البديع
 تزيين شعرهم بالزخارف اللفظية كيفما اتفق ، ولكن المتصفح للملحق الشعري ، يجد أن
 البديع لم يكن طاغيا على كل الشعر ولا على أكثره ، وما يقوم دليلا على ما ذهبنا إليه ،
 تلك الرسائل الشعرية التي تبادلها الشعراء :

أسامة بن منقذ وطلائع بن رزيق ، إذ أن الشاعرين لم يحفلا كثيرا بالصنمية ،
ولنضرب على ذلك مثلا واحدا من شعر كل منهما ، فقد كتب طلائع إلى أسامة رسالة
شعرية قال فيها :

قل لابن منقذ السدي	قد حازني الفضل الكسالا
.....
كم قد بعثنا نصوصك الا	شعار مصرعة عجبـــــــــــــــــالا
مثل الحسان النيدنا	هت في محاسنها دلالا
علا بذلت لنا مقـــــــــالا	لا حين لم تهذل فـــــــــالا
مع أننا نوليك صبـــــــــا	را في المودة واحتمـــــــــالا
ونبشاك الاغبـــــــــار ان	أضحت قصارا او طـــــــــالا
سارت سرايا لقـــــــــا	د الشام تمتصف الرماـــــــــالا
تزوجي الى الاعداء جر	د الخيل اتباعا توالـــــــــا
تمضي خفافا للفســـــــــا	ربها وتأتينا ثـــــــــالا
حتى لقد رام الأعـــــــــا	دي من ديارهم ارتحالا ٠٠٠ الخ (١)
فأجابه أسامة بقوله :	
يا أشرف السوزراء أخـــــــــا	لانا وأكرمهم فـــــــــالا
وأعزهم جارا وأـــــــــا	نعمهم عني وأحـــــــــالا
نبهت عبدا طالـــــــــا	نبهته قدر أو حـــــــــالا
وعقبته فأنلتـــــــــا	شرفا ومجدا لن يـــــــــالا
أما السرايا حين تســـــــــر	جع بعد خفتها ثـــــــــالا
ومسيرها في كسل أر	غي تبغني فيها المجـــــــــالا
فكذلك فضلك مثل عـــــــــد	لك في الدنى سار وجـــــــــالا
فاسلم لنا حتى نســـــــــرى	لك في بني الدنيا مشـــــــــالا
واشدد يدك بود نســـــــــو	ر الدين والقبه الرجـــــــــالا
فهو المحامي عن بـــــــــالا	د الشام جمعا أن يـــــــــالا
ومبيد أملاك الفـــــــــسر	نج ، وجمعهم حالا فحالا ٠٠٠ الخ (٢)

١ . على أنه يسترعي الانتباه في شعر هذه الفترة عدة أمور أهمها :
المبالغة في التصوير ، سواء في وصف الجيش الاسدي أم الجيش الفرنجي أو في
وصف القائد ، ولعل ذلك يعود إلى البيئة الدارونية التي نشأ فيها هذا الشاعر
وما يكتنفها من جو انفدالي .

- (١) الروميتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٢
(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٩٤

ب. تركيز الشعراء على إبراز صورة البطل أكثر من إبراز صورة المعركة ، وهذا يرجع إلى طبيعة الشعر الذي يبحث دائما عن شخصية محورية تتمثل في البطل ، فضلا عن أن الشعر يضيق بالتفصيلات الواقعية ، يضاف إلى ذلك ، أن الشاعر المصري رأى أن تمجيد القائد الإسلامي ، والقائد الفرنسي دلالة على ضراوة القتال المنتظر .

ج. انخفاض مستوى الشعر الحربي زمن المماليك . فلو قارنا الانتاج الشعري فسي القرن الاول من الصراع الاسلامي الصليبي ، لوجدناه أرقى مستوى ، وأعز انتاجا ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الصراع في ذلك القرن كان شديدا وحاسما ، بينما شالت كفة الصليبيين في القرن السابع الهجري ، وأصبح موقفهم في النال موقف الدفاع ، فخفضت حدة الصراع في الواقع وفي نفس الشاعر أيضا .

* * *

ومعد هذا العرض السريع ، قد يكون من المفيد التمرس لأراء بعض الدارسين لأدب هذه الفترة ، ويمكن تصنيفهم في ثلاث فئات :

- أ. فئة تتهم أدب الفترة عامة بأنه سطحي وتقييم .
- ب. فئة معجبة به أشد الإعجاب .
- ج. فئة وقفت وقفة اعتدال بين الفئتين المتعارضتين ، وأخذت لها موقفا توفيقيا ، فجاءت أحكامها معتدلة .

فمن يمكن أن يصنفوا في الفئة الاولى كل من د. أحمد الجندى ود. عبد العزيز الأهواني ، ود. زكي المحاسني ، وقد وصف د. أحمد الجندى شعر هذا العصر بأنه "سطحي يكرر نفسه في أفكاره وتعبيراته وصناعاته" فقير في صوره وأخيلته ولمحاته الذهبية" . . . (١) ، ثم أرجع بدء هذا الانحلال إلى أوائل القرن الخامس الهجري ، والتمس أسبابا لذلك ، فوجدها في ولع الشعراء بالمحسنات اللفظية ، نارا لان المدحجين من أصل غير عربي ، مما حدا بالشعراء إلى التلاعب بالالفاظ ، لتعجب أولئك المدحجين (٢) .

أما د. عبد العزيز الأهواني فقد وصف عصر الإيوبيين بالسقم والانحراف ، وقد استند في حكمه هذا على شعر ابن سناء الملك ، ووصفه بأنه عمل عقلي بحث ثم عم حكمه على شعر ابن سناء الملك على شعر العصر الإيوبي كله (٣) .

(١) ديوان عرقله الكلبي ، المقدمة ص : ٥

(٢) ديوان فتیان الشاغوري ، المقدمة ص : ٦

(٣) ابن سناء الملك ومشكلة الحكم والابتكار في الشعر ص ٢٠٢ وانظر ص ٢٠٦

أما د . زكي محاسني فلهي درسي هذا العصر ، وإنما درسي شعر الحرب فـ في
المصريين الاموي والعباسي الي عهد سيف الدولة ، ومع ذلك فقد قال : " فاذا صح وصف
التطور (في شعر الحرب) بأدوار ، فيكون شعر الحرب في العصر الجاهلي في طـ
الدولد والبداوة ، وفي العصر الاموي في طور النحر والتحضّر ، وفي العصر العباسي في
طريق التكامل . . . وفي عصر الحروب الصليبية انحدر شعر الحرب الى درك التقاعس على
الرغم من وفرة الاسباب المصنوية ، لان شعراء العرب في عهد هذه الحروب كانوا في
دور ضعف وانحلال في اللفظ والاسلوب ، وكان أغلبهم صاعب ركة في القول ، وصناعة
تضج بالكلفة . . . " (١) .

ويخشى أن يكون في هذه الأحكام تسميات خارة ، انطلاقا من شواهد انتقائية
ولنبداً بقول د . أحمد الجندی : إن الشعر سادحي يكرر نفسه .

فان الناظر في كتاب الروماتين يصعب عليه أن يحكم بالسادحية على شعر مرتبسط
بأحداث جسام خديرة مرتبها الامة الاسلامية ، وقد صور الشعر هذه الاحداث بمسا
احتوت عليه من صراع طويل بين أميين وحضارتين . ثم ان التكرار الذي يراه الدكتور
أحمد الجندی هو ظاهرة لا بد من وجودها على درجة من الدرجات ، في شعر نظم في
فترة واحدة ، وفي ظل مؤثرات كبيرة واحدة أيضا ، وحتى مع ذلك ، فإنه يصعب اطلاق
هذا الحكم دونما تحفظ على جميع الشعراء الذي نظم في هذه الفترة ، لان التلوغ موجود فيه
مثلا أن قدرا من التماثل والتكرار موجود فيه كذلك .

أما تحديد زمن الضعف بالقرن الذي بدأت فيه الحروب الصليبية ، فهو حكم على
النواحي السياسية في المشرق الاسلامي ، ولا يوجد دائما ارتباط بين الضعف السياسي
وضعف الادب ، وإذا وجد ارتباط بينهما فإنه لا يمكن أن يظهر مباشرة في النصوص
الادبية ، لان الظواهر الادبية لا تولد بين يوم وليلة ، بل هي تحتاج الى زمن كاف لكي
تولد أو لكي تتبدل .

أما تحليل الضعف الادبي بوجود البديع ، فان ظاهرة البديع لم تكن بالظاهرة
الطارئة في القرن الخامس الهجري ، بل هي قد وجدت قبل ذلك ، وأصبحت لافتة
للاظهار بشكل واضح خلال القرن الرابع الهجري .

وأما الحديث عن أعجوبة المدوحين ، فان العبرة في الامر ، هو التمكن من اللغة
العربية ، وليس المشرق ، بدليل أن كلا من ابن الحميد ، والصاحب بن عباد في
القرن الرابع كانا من غير العرب ، ولكن تمكنهما من العربية وتذوقهما لادبها ، جعلاهما
من اعلام الادب العربي في عصرهما ، بل ومن عوامل النهوض بالادب ، بما كانا يقدمانه

(١) زكي مبارك ، شعر الحروب في أدب العرب ص ٣٤٠

من تشجيع ورعاية لادباء عصرنا * *

ولو أننا جارينا د . أحمد البنددي حول كون الممدوحين من أصل غير عربي ، مما دفع الشعراء الى تبسيط شعرهم ، فان تبسيط الشعر لا يكون بالتأنيب اللفظي ، لأن التأنيب اللفظي يعقد المعنى ولا يبسطه ، ومعلوم أن البديع يحتوى الكثير من التأنيب اللفظي ، فكيف يكون اعجاب الممدوحين من أصل غير عربي بشعر معقد ، قد يصعب عليهم فهمه ؟

أما وصف د . عبد العزيز الأخواني الادب في العصر الايوبي بالمقم والانحراف ، فان فيه قسوة . حتى على شعراء ابن سناء الطنك وحده ، لوجود قصائد لهذا الشاعر لا ينطبق عليها الحكم القاسي الشامل الذي أصدره عليه الدكتور الاخواني ، فكيف بالامر ، اذا عم هذا الحكم على جميع شعراء عصره ، ومنهم من لا يسير في شعره على مدرسته ، وبالتالي ، فلا يجوز أن يشجب شعرهم بناء على مقاييس لا تنطبق عليهم ؟

وأما حديث د . زكي المحاسني عن نزول الشعر العربي في هذه الفترة الى درك التقاعس ، فان الرد عليه لا يختلف كثيراً عن الرد على الناقدين السابقين . . .

ولعل من المناسب هنا أن نذكر أقوال بعضهم من الدراسين الآخرين لهذه الفترة :

أ . يرى د . عبد اللطيف حمزة أن الشعر الصليبي يمتاز بالقوة والصدق ، لأنه شعر الحساسة في «عنة الحروب الصليبية» ، ثم إن شعر السائفة الذي يتصل بشخصيات ديني عميق في نفوس الصليبيين (١) .

ب . وصف « جب » هذا الشعر بأنه الشعر الفني للأدب ، وأنه يتميز بالانسياد والعبقرية قدر امتيازه بالبراعة والصدقة أو المهارة الفنية (٢) .

* أنظر عن تشجيع حكام العصر للأدب كتاب : العناية الادبية في عصر الحروب الصليبية من ٢٥ ، وكتاب : المدخل في الادب العربي من ١١٢ ، وأنظر كذلك النجسوم الزاهرة ٥٨ / ٦ - ٥٩

(١) أدب الحروب الصليبية من ١٧٤ وأنظر من ١٩ ، وكتاب الشعر العربي قسسي

العراق من ٢٠٥ وكتاب الادب في مصر والشام من ٧٩٩

(٢) محمد زقلول سلام ، ضياء الدين بن الاثير من ٦٢ عن :

Gibb, Arabic literature p. 82

ج • كما وصف جود الركابي أدب هذا العصر بأنه حافظ على رونقه ، وتماسك فسي
العصر المملوكي بعض الشيء ، ولكنه انحدرا انحدارا واضحا في العهد العثماني (١)
هذا ، وقد بالغ بعض الدارسين في تقرير ضعف الفترة ، فذهبوا إلى حد القول :
ان الشعر في هذا العصر اتصل بالواقع اتصالا ودبت فيه حياة لم تكن تمهد
قبل ذلك في الشعر العربي (٢) •

ولا بد أن نتساءل في الأخير هل تأثر الأدب العربي بالفرنح وأدبهم ؟
الجواب على ذلك بالنفي ، وذلك لأنه قد تبين أن الفرنج كانوا أدنى في مستواهم
العشاري من المسلمين ، ولأن العداء المستحكم بين الطرفين ، أبيلة هذه الفترة ، وقلصة
الاحتكاك الثقافي فيما بينهما ، بالإضافة إلى اختلاف مصادر الأدب العربي وأسس
وركائزه عن مصادر أدب الفرنج وأسس وركائزه ، كل هذه العوامل ، جعلت تأثر الأدب
العربي بأدب الفرنج يكاد لا يلحظ •

أما تأثير الفرنج عامة بسلوكهم وعاداتهم ولغتهم في الأدب العربي ، فهو كذلك
تأثير محدود ، وقد يتجلى بدخول بعض الألفاظ الجديدة في الشعر ، كالقوس ،
والبرنس ، والسير ، وبعض الأسماء كالداوية والفريرة والهنغري *
كما أن بعض الشعراء قد أورد في شعره صورا وألفاظا مأخوذة من حياصة
الصليبيين ، مثل : هيكل ، قونة ، قديس ، قس ، بريارة ، مقدس ، برنس ، قداس
... الخ * *

-
- (١) جود الركابي ، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار ط ١ مط زيد بن
ثابت ، نشر دار الذكر دمشق سنة ١٣٩٤ ص ٧
- (٢) محمود مصطفى ، الأدب العربي في مصر إلى نهاية العصر الأيوبي ٢٧٧
* انظر على سبيل المثال : الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦ - ١٥٩ ، والخريدة
قسم شعراء الشام ٥٦/١
- * * انظر ديوان ابن القيسراني ورقه ٦٢ - ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠

الفصل الثاني

أولا : النشر الأدبي :

شارك النشر الشعر في تقديم صورة الصليبيين ، بما قدمه من أوصاف دقيقة لبعض
المشاهد ، أو سرد لبعض الحوادث ، ويمكن عرض الانحط الأدبية التي شاركت في رسم
صورة الصليبيين على النحو التالي :

١. التواليف الأدبية . ٢. الرسائل . ٣. الخطب . ٤. نصوص الهدن

١. التواليف الأدبية :

عرف عن هذا العصر كثرة التأليف في مختلف ميادين الحياة الإنسانية ، ومنها منها
كتب الأدب أو الكتب التاريخية الأدبية ، وهي تتراوح بين الالتزام بالصورة البيانية المختلفة
والانفكاك عنها . وغير ما يمثل النوع الأول كتاب " الفتح القسي في الفتح القدسي " ^١
للعماد الإصفهاني ، وهو مثقل بالمصنع وأنواع البديع ، ومن غير ما يمثل النوع الثاني كتاب
" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " لابن شداد ، وقد تغلغل فيه صاحبه عن البديع
إلا ما جاء غفو الخاطر ، ثم كتاب " الاعتبار " لأسامة بن منقذ ، وهو يمثل أسلوب المذكرات
الشخصية ، فجاءت لغته ، في مدامها ، عادية ، وربما تنحدر أحيانا إلى العامية ،
وكتاب " رحلة ابن جبير " ، وهو يمثل كتابة الملاحظات العامة التي يشاهدها الرحالة ،
وقد يرجع أحيانا إلى استعمال الصور البيانية ، ولكن هذا ليس هو النمط الكتابي الغالب
عليه .

١. الفتح القسي في الفتح القدسي :

لسنا محنين هنا بتقويم الكتاب إلا من حيث الصياغة الفنية ، فهو كما يبدو من
العنوان ، يستلهم نفعات قس بن ساعدة كائن العرب وخلايئها ، ليعرض تاريخ
الفتوح العظمى زمن صلاح الدين وأهمها فتح القدس ، وهو يقدم مادته بلفظة
مجموعة ، والنظا متقاة ، قد تصل إلى حد التكرار ، أن اضطره الصبح إلى
ذلك .

ولكن قدرته اللغوية سهلت له استعمال ألوان البديع ، فقد يشتق من اللفاظ
الأجنبية مفردات تجانسها ، يقول على سبيل المثال في وصف فرق الفرنج التي
استعدت لمحركة حطين : " ولداوي دوي ، وللاستاري هوي ، والباروني يقدم على
الحوار ، والتركبولي يلقي نفسه على النار ، وقد ثاروا والثار قد وقْدَ ، والجو قد عقد
وقد انصدع زجان الزجاج ، وارتجزعجاج العجاج ، وانفض الفضضاء " .

وأنقض القضاء ، وكادوا يفلون الجمع ، ويجمعون الفل ، ويجلون الحقد ، ويمقدون ما انحل " (١)

ونلاحظ دقة الوصف في أوصافه مع أن كتابه حفل بأنواع البديع ، فالنص السابق محشو بالسجع ، واللباق ، والجناس ، والتجنيس بالاشتقاق اللغوي ، ويمكن أن نجد ذلك في أية صفحة من صفحات الكتاب .

ومن الأمثلة الأخرى للوصف الدقيق ، وصفه للخلاف الذي نشب بين امرأ الفرنج ثم تصافيهن قبيل المعركة ، يقول : " وقد كان بينهم (الفرنج) حينئذ خلصت ضيقت وحليف منتكث ، ووقع نثار بين الانتثار ، ووتود شرار بين الشرار ، ولما استندوا حين عودهم ، سجدوا في إصلاح ذات بينهم ، ودخل الملك على القومى ، ليتقصى له بالود الأخلص ، ورضى عليه بنفسه ، واستبدل وحشتمه بأنسه " (٢)

والذى يتابع نصوص الحداد في الفتح القسي يلاحظ أنها مستقاة من مصادر مختلفة ، فبعضها مأخوذ من البيعة في إنسانها وحيوانها ، كتول الحداد عن المركيس : " وكان المركيس من أكبر وأغنى الكفر ، وأغنى شيئا ، فإنه ، وأغنى سراحينه وأغنى ذئبه ، وأغنى كآبته وأغنى أعوانه ، وأغنى إخوانه ، وأغنى بناته وأغنى حناته ، وأغنى ثعالبه وأغنى عقابه " (٣)

وبعضها مأخوذ من الحرب وما يرتبط بها من شؤون القتال وأدواته ونتائجه ، كتول الحداد : " هذا ، والنجنقات ترميهم ، والمفوقات الموفقات تعميمهم وتصميمهم ، والقتال قائم ، والنزال دائم ، والصخور تفلق ، والصدر تفلستسق ، والاحجار تفلق ، والاحجار تفلق ، والاسوار تحلحل والاداج شاخيسة كالبيون البواكي ، والأبشار دامية من الزهوركات والنواكات النواكي ، وهناك العتل معزول بالشهور ، والرأي مشغول عن التدبير ، والعلم والحلم خالطهما الجهل والفساد ، والجرجي يتقدي بنسم الله ، والنجنقي يخنم بلا إله إلا الله ، والزراق بالنار يذيب القارورة ، ويحرق الساتورة فلم يسمع الا ضجة الحديد من الحديد ، وضجة الحديد من الحديد ، وضجة زحى الحرب ، وقبضة أداة الدامن والحرب ، وصلصلة الزمر ، ولولة الزمر ، وضجة دعاة النصر ، وهينلة رعاة الكفر " (٤)

(١) الفتح القسي ٦٢

(٢) المصدر السابق ٦٥

(٣) المصدر السابق ١٠٢ وانظر ص ٢٤٠

(٤) المصدر السابق ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦

وقد تؤخذ هذه الصور من الحياة الدينية للمسلمين وخصوصهم ، كما يتراءى في النص السابق ، وفي قول الكاتب نفسه : " مات الاسلام للكفر محاربا ، والتوحيد للثعلب مقاتلا ، والهدى للضلال مراقبا ، والايمان للشرك محاربا ، وعيشت دركات النيران ، وعشت درجات الجنان ، وانتظرت لك واستبشر رضوان " (١) وفي قوله : " وهو (الصليب) اذا نصب اقيم ورفع ، سجد له كل نصراني ، وكن وهم يزعمون أنه من الخشب التي يزعمون أنه صلب عليها مبعودهم ، فهم مبعودهم وسجودهم " (٢) .

وثمة مصادر أخرى المصدر البيانية التي استعملها السواد ، تستبين منها ثقافته الواسعة العنصرية ، ولا مجال هنا لاستقصائها . . . إلا أن أي قارئ لهذه النص لا تخفى عليه مقدرة السواد اللغوية ، كما لا تخفى عليه قدرته على استخلاص الصور البيانية من مصادر كثيرة متنوعة ، منها ما هو حسي ، ومنها ما هو ذهني . . . وقد يتأتى عن الافراط في الزخرف البياني عند السواد ، أن تجور السبابة اللغوية على وضوح المعنى وحرارة الانفعال .

ب. النوادر السلطانية :

وهو كتاب عن صلاح الدين كتبه قاضيه ابن شداد مستعينا بمشاهداته ، وما وصله من مصادر غير وساطتهم ، وقد حرص فيها على تحديد الزمان والمكان دون تأنيق زائد ، أو تصيد للالفاظ ، فجاءت كتابته سهلة ، تستقي من الوقائع ، وتعتمد على الحقائق في تحريك المشاعر ، دون افراط في احتمال الصور البيانية .

وباستدانة القارئ ملاحظة ذلك في معظم ما ورد في الكتاب من نقل للأحداث ، فيها هوذا يصف خروج الفرنج إلى التناول المحيطة بسكا وصف دقيقا ، ثم يصف تصدى المسلمين لهم ، فيقول : " فامتدوا على القتل ، وسلبوا المهنين غير ذوي ايمان في أنفسهم ، ولا شاربين من رايهم ، والرجال حولهم كالسور البعني ، يملو بعضهم بعضا ، حتى قاربوا البرك ، ولما رأى المسلمون ذلك ، واقدام العدو عليهم ، تداعت الشجعات ، وتنازلت الكماة السبي الاقران ، وصاح السلطان (قدس الله روحه) بالمسائر الاسلامية : " يسا لاسلام " .

تركب الفا " بأجمعهم وواثق فارسهم راجلهم ، وشابهم شيخهم ، وعملوا حيلة الرجل الواحد على العدو الصائل ، فساد ناكضا على عقيه ، والسيف يحصل

(١) الفتح القسي ص ٧٨

(٢) المصدر السابق ص ٨٤

فيهم ، والسالمهم جريح ، والحاجاب دارج . . . يعثر جريحهم يقتلهم . . . ولا تلوى الجماعة منهم على قبيلهم ، حتى لحق الغيام من سلم منهم ، وانكثوا عن القتال أياها ، وكان قصاراهم أن يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم . . . (١) .

فهذا النص لوحة ناطقة ، تتضح فيها حركة المدو ، وتصدي المسلمين لهم ، مع وصف الحالة النفسية عند الدافين .

كل ذلك بلغة شائقة مأنوسة لا تبعث كثيرا عن الاستعمال اليومي ، وإنما فيها من الحرارة ما يطيه الموقف المثير ، وفيه من الفصاحة ما يتطلبه وصف موقف كهذا . وأما ما جاء فيه من سجع ، فلا إفراط فيه ، وهو متناسك غير متخلخل ، وألفاظه ذات أبعاء مشيرة ، اكتسبت من تواتر الاستعمال في سياقات معينة ، مثل قوله : وصاح السلطان : يا للأسلام " و " كان قصاراهم أن يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم " .

ولكن ، مع حيوية الوصف وحرارته ، فإن الكاتب لم يقدم صورة ذات تسلسل لأحداث الحركة ، شأنه في ذلك شأن الصناد ، وذلك لأن الكاتبين يقدمان صورة الحركة العامة ، بدلا من أن يسيرا مع المعركة خطوة خطوة ، إلى أن يصلوا إلى نتائجها . وقد يتعجل الواحد منهما في الوصف إلى النتيجة كما فعل ابن شداد ، حتى وهو يصف حصار مدينة استمر سنتين كاملتين ، سيطر الفرنج خلالها على مشارف المدينة ، عكا - من البر والبحر معا . في حين أن الآخر - الصناد - يصرح لنا لوحة زخرفية حافلة بالصور الجزئية المستمدة على التزييق اللفظي ، وهو يقدم لنا وصفا لوقعة عكا الأنفة الذكر ، يقول : " وأصبح الفرنج ، يوم الأربعاء العشرين من شعبان ، قد رفعوا الصليان ، وزحف أسودهم في غاب الدخان ، ولارت بهم غيولهم عتيانا على عتيان ، وجزت بالجبال منهم رياح ، وبالموا دون التل كأنهم له وشاع ، وخرجوا على التمهية ، وشفعوا نداء القربى القلبية ، وشفعوا بالتبرية للثمنية ، وتقدموا محترمين ، وعزبوا مصممين ، وثاروا ثورة الشيطان ، وفاروا ثورة الدافسان ، وقدموا الراجل أمام الفرسان ، وزحفوا ، ألبابا ، وحفزوا باللباب ، ودهوا دبيب الليل إلى النهار ، وهبوا هبوب الغيل إلى المضار ، وأجروا سيول السوابق إلى القرار . . . (٢) .

والمدقق في هذا الوصف ، يجد أنه يتكون من قطاع فسيفسائية ، تتعلسق أجزاءها الأولى بوصف لحركة الفرنج العريضة ، وهم مدججون بالسلاح على سوابق الغيل ، وأصواتهم تتردد بالتعريض والاستنصار ، ولكن المشهد

(١) النوادر السلطانية ١٠٢

(٢) الفتح القسي ص ٣٠٨ - ٣٠٩

الأول سرعان ما يندغم في المشهد الثاني ، المتعلق بتقدم الفرنج نحو خصوصهم :
 "وتقدموا معترمين ، وعزموا مصممين . . . " ثم يبدأ المشهد الثالث بالحديث
 عن حركة للجيش الفرنجي سرعان ما تتصاعد ، إلى أن تصل قمة السرعة ، ويصعد
 تنهجر الدماء سيولا في ساحة المعركة ،
 وهذه المشاهد الثلاث تتكون معا صورة المعركة ، بما فيها من حركات وأصوات
 وأدوات قتال .
 ولعل عدم توفيق الشعراء والكتاب في رسم صورة متكاملة للمعركة ، تتسلسل فيها
 المشاهد وتتتابع ، هو عدم وجود الكثير من الوصف الحربي الدقيق في تراثنا
 الأدبي ، وربما كان غياب الأدب كذلك عن مسرح القتال ، في كثير من
 الحالات ، عاملا من عوامل فقدان التسلسل والتتابع والتكامل .

الاعتبار :

وهو كتاب مذكرات ، كتبها أسامة بن منقذ في شيفونغته عن مشاهداته وتجاربته ،
 وأراد بها تقديم العبرة لشيوخه ، فهو - لذلك - أن وصف معركة لم يكتب ،
 برواية أحداثها فقط ، وإنما يذكر ، كذلك ، ما يتفرق وزج الأحداث ، وما
 يمكن استخلاص العبرة منه . يقول في موقعة بيت جبرين التي كان سببها
 اشحات أسامة وحمض فرسانه النار في بيادر الفرنج : " فاجتمع الفرنج - منهم
 الله - من تلك الحصون ، وئي كلها متاربة ، وفيها غيل كثيرة للأفرنج ،
 لحصادة عسقلان وبرامحتها ، وغربوا على أصحابنا ، فبما نبي ناربي يركب ،
 وقنا : قد جاء الأفرنج ، فسرنا إلى أصحابنا ، وقد وصلت أوائل الفرنج ، وشم
 - منهم الله - أكبر الناس احترازا في الحرب ، فصعدوا على رابية ووثقوا عليها
 وصعدنا نحن على رابية مقابلهم ، وبين الرابيتين فضاء . . . لا ينزل منهم ناربي
 خوفا من كمين أو مكيدة ، ولو نزلوا أخذوهم من آخرهم . . . " (١) .

فقد أراد بذلك التذليل على احتراز الفرنج ، بالرغم عن كثرتهم وقلة أعدائهم
 فلم ينزلوا عن الرابية خوفا من كمين أو مكيدة . وقد أورد ملاحظات كثيرة في
 كتابة " الأخبار " عن تأخر إيلهم ، وعدم غيبتهم . . . الخ .

ومن المثير التي يقدمها للقارئ أن القتال ودخول المصارعة لا يقصر الأجمال ،
 ويذكر على ذلك بعض المشاهدات ، منها : أن شابا فرنجيا جاء إلى أسامة
 ليصر فرسان المسلمين ، ويهينه بحسن الهيئة ، إلا أن فيه آثار جراح كثيرة
 وفي وجهه خربة سيف قد تم من مفرقه إلى حكمته ، ومع ذلك ما زال حيا (٢)

(١) الاعتبار ١٢

(٢) المصدر السابق ص ٦٩

أما لغة هذا الكتاب فهي سهلة لا تتجعد عن اللغة المحكية كثيرا ، بل كثيرا ما
 اعكأ على اللغة المحكية في وصفه ، مثل قوله عن سرعة فرسه بأنها : " مثل الطير " (١)
 وقوله على لسان الفرنج الذين سألوا بواب مدينة شيراز " أي اسم هذا البلد " (٢)
 وقوله عن فرنيتي أراد اصطحاب ابنه (ابن أسامة) معه إلى أوروبا بأن كلامه :
 " ما يخرج من رأس عاقل " (٣) .

رحلة ابن جبير :

وهي مذكرات كتبها الرحالة ابن جبير حين تروى بلاد الشام ، فوصف بعض المناطق
 مثل حصن الكرك ، ومانيس ، وكا . . . ووصف عرفة الفرنج بالمسلمين في بعض
 المناطق . . . كما سجل ما شاهده من سلوك الصليبيين ، وعاداتهم في الأفراح
 ومن ذلك قوله عن معاملة أهل عكا من الفرنج للمسلمين : " أن المسلمين يحانون
 أهوالا ومشقات ، منها الذلة والمسكنة الذميمة ، ومنها سماع ما يفتح الأفئدة
 من ذكر من قد من الله ذكره ، وأعلى فخاره ، لا سيما من أراد لهم ، وأسافلهم
 ومنها عدم الديانة والشرك بين المخالطين " (٤) . وعن معاملتهم للأسرى
 المسلمين ، يقول : " ومن النجاش التي يمانونها من أهل بلادهم ، أسرى
 المسلمين ، يرسفون في القيود ، ويتربصون في الخدمة الشاقة بصرف الصبيد ،
 والأسيرات المصلحات كذلك ، في أمواتهم غلاخيل الحديد " (٥) .

وبلاحظ أن لغة الكتاب ترتفع عن لغة أسافة بن مقلد ، فهي بعيدة عن التفسيرات
 المحكية ، وقد يتأخر المؤلف أحيانا في بعض النقول حتى يشيع الزخسرف
 اللفظي والتور البيانية فيما يكتب (٦) .

وبلاحظ الباحث ، أيضا ، أن هذه المذكرات بأنواعها تعد غذى الأدب العربي
 بخادة شائقة وأبواب جديدة ، وقد جاء بها مثقال بالخسرف
 اللفظي ، في حين كان أكثرها بعيدا عن المنة والتكلم ، وهي في مجملها
 سواء منها المثقلة بالزخرف أو الخالية منه . . . تقدم صورة واضحة عن أوضاع
 كانت قائمة في تلك الفترة ، وتستمد هذه الصورة قيمتها من أنها وليست
 المشاهدة لا المصاع . . .

(١) انظر الاخبار على الترتيب من ٤٠ ، ٤٨ ، ١٣٢ ، وأنظر ١٣٦ ، ١٤٨

(٢) رحلة ابن جبير ٢٨٠

(٣) انظر رحلة ابن جبير من ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، الخ

٠٢ - الرسائل -

أدت الحروب المتوالية بين المسلمين والفرنج الى نهضة النشر ، لا سيما نشر الرسائل بما كانت تحمله هذه الرسائل من بشارات بالفتوح أو تهنئة أو طلب نجدة أو أوامر عسكرية . ومن خلال هذه الافراض يمكن للقارئ أن يخرج بمادة خصبة عن الفترة التي ندرسها . وقد يكون من المفيد الوقوف على الرسائل الديوانية والاخوانية لنستشف من خلالها السمات الفنية لهذا النوع من النشر .

الرسائل الديوانية :

من الصعب على الباحث أن يحصر عدد الرسائل الديوانية لان كثيرا منها لم يصلنا ، ولان الكثير مما وصلنا لم يصل كاملا ، بل جاء نتفا ، نجد الكثير منها في كتاب الروضتين ، وفي مغاودة " الفاضل من كلام القاضي الفاضل " ، والذي جاء منها كاملا عدد تسجل موزع بين سبع الاغشي والروضتين ، ونهاية الارب ، ورسائل ابن الاثير . وسنتناول بالتفصيل بعض هذه الرسائل لنقف على سماتها الفنية .

١ . رسالة القاضي الفاضل الى الديوان العزيز ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج ، واعادته الى ما كان عليه من الاسلام ، وهي :

" أدام الله أيام الديوان العزيز النبوي الناصري ، ولا زال مظفر الجدد بكل جاد ، غني التوفيق عن رأى كل رائد ، موقف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر ، والسيف في جفنه راقد ، وارد الجود ، والسحاب على الارض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل ، وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ، ما في حكم القول بسزم لا يضي الا بنيل غوى ، وريش راشد ، ولا زالت غيوث فضله الى الاولياء أنواء الى الموابغ وأنوارا السى المساجد ، وصوت رجه الى الاعداء خيانت الى المراقب وخيالا الى المراقب .

كتب الخادم هذه الخدمة ثلوما صدر عنه ما كان يجري مجرى التبشير بصبح هذا الخدمة ، والسنوات ، لكتاب وصف هذه الخدمة ، فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عبث ثقل ، ومجرى المخاطر في شرحها مأرب ، يسرى للاسرار في اظهارها مسارب ، ولله في اعادة شكره رضا ، وللنعمه الراحنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ، وقد صارت أمور الاسلام الى أحسن مآبرها ، واستتبعت عقائد أهله على بصائرهما ، وتقلص ظل رجاء الكائن الميسوط ، وصدق الله أهله دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط ، وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه ، والثوز معروضا فقد بذلت الانفس في شنه ، وأمر أمر الحق وكان مستضعفا ، وأهل ربه وكان قد عيش حين عفا ، وجاء أمر الله وأنوف أهمل الشرك راغبة ، فأدلى السيف الى الأبطال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين ، واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين ، واستترد

الصلون تراثا كان عنهم آبقا ، وظفروا بقطعة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون بمطيفا على النأي طارقا ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء ظلهم .

« ولما قدم الدين عليها عرف منها سويدا قلبه ، وعنا كفوها الحجر الأسود بيست عصمتها من الكافر بحربه ، وكان القادم لا يسمى سعيه إلا لهذه النظم ، ولا يقاسي تلك البؤس إلا رجاء هذه النعم ، ولا يناجز من استمالة في حربه ، ولا يما تلب بأطراف القنا من تهادي في عتبه ، إلا لتكون الكلمة مجموعة ، والدعوة إلى سامعها مرفوعة ، فتكون كلمة الله هي العاليا ، وليفوز بجوهر الاخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالمنة ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاعتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه من راجلها فأطفاها بالاحتفال والاضطبار ، ومن طلب خطيرا خاطر ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لان يجلي غمرة غامر ، والافاق القصور يلين تحت نيوب الاعساد المحاجم فتعصها ، ويضعف في أيديها مهر القوائم فتقتضها ، هذا إلى كون القصور لا يقضي فرض الله في الجهاد ، ولا يرضى به حق الله في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق ، وه كانوا يعدلون ، وخلفاء الله كانوا في مثل هذا اليوم للميسألون ، لا جرم أنهم أورشوا سرورهم وسريرهم خلفهم الاظهر ونجلهم الاكبر ، وصغيتهم الشريفة ، وظلمتهم المنيفة ، ولوان صحيفة فضلمهم لا عدم سواد العلم ومناضى الصحيفة ، فما غابوا لها حضر ، ولا غصبوا لها نظر ، بل وصل الأجر لما كان به موصولا ، وشاطروه السمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا ، وخلص الهمم إلى المضاجع مسا اطمأنت به جنومها وإلى الصفائح ما عبققت به جيمومها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار بصيرا ، والشرق يهتدي بأنواره ، بل ان أبدى نورا من ذاته هتف به الغرب بأن واره ، فانه نور لا تكتنه أغساق السدف ، وذكر لا تواريه أوراق الصحف .

« وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشذلت قناته شفا ، وطسارت فرقه فرقا ، وفل سيفه فصار عصا ، وصعدت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا ، فكلست حملاته ، وكانت قدرة الله تصرف فيه الحنان بالعيان ، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان ، وهفرت قدمه وكانت الارض لها حليفه ، وغضت عينه وكانت عيون السيف صوف دونها كسيفة ، ونام جفن سيفه ، وكانت يقطاته تريق نطف الكرى من الجفون ، وجذعت أنوف رماحه وطسا لما كانت شامخة بالمنى أو راعقة بالضن ، وأضعت الارض المقدسة الطاعرة وكانت الطامت ، والرب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث ، نبيوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، وطوائفه الصامية ، مجتمعة على تسليم البلاد الحامية وشجعانه المتوافية ، مذعنة ببذل الطامع الوافية ، لا يروق في ماء الحديد لهم نصره ، ولا في فناء الاغنية لهم نصره ، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشاعة إلى أيدي أصحاب الميمنة .

” وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الاولى فأمدّه الله بمداركتة ، وأنجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدنا جبر ، وصرعهم صرعة لا يحيى معها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصير ، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار ، وعن أنصاف محبيل نانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرمح الاكسار ، فنيّلوا بشار من السلاح ونالوه أيضا بشار ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت السراجين ، وكم أنجم رماح تبادلت اللسان حتى صارت كالطاعين ، وكسّم نارسية ركض عليها فارسها السهم الى أجل فاغتلسه ، وفشرت تلك القوس فابها فاذا فوها قد نهضت القرن على بعد الصانعة فأفترسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ، وكان الكفر مفقودا ، والاسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ، وأسر الملك میده أوثق وثاقه ، وأكد وسله بالدين وطائفة : وهو عليب الصليوت ، وقائد أهل الجبروت ، وما دهموا قبل بأمر الإقام بين دعاتهم يسجد لهم باعه ، ويخرضهم وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه ، لاجرم أنهم تهافت على نارهم فراشهم ، وتجمع في ذل ذلكم خشاخشهم ، نيفاتلون تحت ذلك الصليب اسلب قتال وأصدقه ، وبرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد وأوثقه ، ويسيدونه سورا تحفر حوافر الخيل عندقه ...

” ولما لم يبق الا القدس ، وقد اجتمع اليها كل شريد منهم يريد ، واعتصم بمضحتها كل قريب منهم ومعيد ، وظنوا أنها من الله مانحتهم ، وأن كنيتها الى الله شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كباد ، وجمعا كيوم القصاد ، ومزائم قسود تألفت وتآلفت على الموت فنزلت بحرصته ، ونان عليه مورد السيف وأن تموت بشخصته ، فزاول البلد من جانب فاذا أودية ، ولجج ورة فريقة (هكذا) ، وسور قد انصطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسدة من عقد الدار ، فسدل الى جهة أخرى كسان للمطامع عليها مصرح ، وللخيل فيها متولج ، فنزل عليها ، وأحاط بها وقرب منها ، ونبرت خيمته بحيث يفاله السلاح بأبارقه ، وبزاحمه السور باكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وبرز اليها ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقصب بعدها الفتح ، وصدح أهلها فاذا هم لا يبسرون على عبودية الجد عن عتق الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة ، وقصدوا نذارة من مدة ، وانتظارا لنجدة ، فمروهم في لحن القول ، وأجابهم بلسان الدلول ، وقدم المضجيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيبا ، وجبالها ، وأوتر لهم قسيها التي تنرب فلا تقارنها سهامها ، ولا يفارق سهامها نصالها ، فصافحت السور باكتافه ، فاذا سهمها في ثايا شرفاتهاك سواك ، وقدم النصر نسرا من المضجيق يخلد اخلاذه الى الارض ويخلو علوه الى السماء ، فشح مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها ، ورفع مشارعها ، فأغلى السور من السيارة ، والعرب من النذارة ، فأذكن النقاب أن يسفر الحرب النقاب ، وأن يصيد الحجر السى سيرته من التراب ، فتقدم الى الصخر فضبح سرده بأنياب موله ، وعل عنده بخريره

الآخرق الدال على لطافة أنمله ، وأسمع الصخرة الشريفة غنيته واستغاثته ، الى أن كادت ترق لمقبله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلسن تبرج الأرض ، وفتح في السور باب سد من لجأتهم أبواباً ، وأخذ نقب في حجبوه قال عنده الكافر : يا ليتني كنت تراباً ، فحينئذ يشك الكفار من أصحاب الدور ، كما يشك الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الخرو . (١) .

يجدر القول ، قبل الشروع في تحليل هذه الرسالة ، أن القلقشندي صاحب "صبح الاعشى" قد تحدث عن بدايات الرسائل الديوانية ، وحصرها في جملة أساليب ، فوجد أنها تبدأ بذكر الديوان العزيز والدعاء للخليفة (٢) ، وقد تكون البداية في صدر الرسالة ، وقد تكون بعد الآيات التي تستهل بها الرسالة .

وكما هو واضح ، تبدأ هذه الرسالة بالدعاء للديوان العزيز ، ثم تنقل البشيرة بالتوحيات ، وما جرى فيها من أحداث انتهت بتسليم الفرنج ولزدهم . وخلال ذلك يعرض القاضى لأحوال المسلمين قبيل الفتح ومعه ، لتظهر قيمة الفتح والفتح ، ومن هنا ندرك أن هذه الرسالة ، وغيرها من الرسائل الديوانية ، ملتزمة بطرائق معينة .

والرسالة تدور حول موضوع واحد فهو معركة عداوين وفتح القدس ، وقد ضمن القاضى القاضى رسائله عدة أفكار ، هي : الدعاء للديوان ثم شرح حال المسلمين قبل الفتح ومعه ، ثم وصف الأحداث التي أدت الى الفتح ، ووصف خروج الفرنج . . . على أن البارز في الرسائل الديوانية عامة ، ومنها هذه الرسالة ، الميل الى التصوير والتشخيص ، والاكثار من البديع ، والجنوح الى التكرار .

أما مصادر الصور في هذه الرسالة فهي :

١ . دينية :

ومن ذلك قوله : وتاذقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وان كانت صخره كما تشفى بالماء غلظهم ، وقوله : " وكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان النار مفتوداً ، وجعل الله نارا ل نار جهنم وقوداً .

(١) صبح الاعشى ٤٩٦/٦ - ٥٠٢

(٢) المصدر السابق ٤٩٦/٦

٥٢ حربية :

وتتجلى في النص التالي : " . . . فكسرهم كسرة ما يصدعها جبر ، وصروعهم صرعة لا يمحش معها بحشة لله كفر ، وأسر منهم من أسرتهم السلاسل ، وقتل منهم من خنكت به المناصل ، وأجلت المعركة عن صرض من الغيل والصلاح والكفار ، وعن انصاف محيل فانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الكسار ، فنيلوا بثلر مسن السلاح ونالوه أيضا بشار ، فكم أهله تقارضن الضراب بها حتى عادت كالمراجين ، وكم أنجم رماح تبادلت الناحان حتى صارت كالملاعيق . . . النص " . وفي النص صور أخرى يمكن الرجوع اليها .

٥٣ اجتماعية :

مأخوذة من حياة الناس ، وهي صور متعددة كتعدد مظاهر الحياة الاجتماعية ، فمضها ما هو مأخوذ من البشري ومضها ما هو مأخوذ من البيح والشراء ، ومضها ما هو مأخوذ من الماديات الاجتماعية كالسمر واللباس والمصافحة والتأثر . . . ومضها ما هو مأخوذ من الحياة الزراعية .

٥٤ ثقافية :

وتشمل صور التعلم وأدواته كالأقلام والمعبر ، والمعلومات التاريخية والمعلومات الصلحية كالحديث عن الأنواء والكواكب والشفاء والتداوى .

٥٥ بيئية :

مأخوذة من الطبيعة كالظال والسحاب والبعر ، والاسد والغابات والرياض . . . وقد مال الكتاب كثيرا الى التشخيص، ومحت الحياة في الجمادات ، كما فعل القاضي حين صور الصخرة بالقلب الذي حل في جسم الدين ، وهي بذلك تلتقي مع العجر الاسود ثم صورها بالمرأة المجاهدة التي خلصت نفسها من عصمة الكفر ، كما صور الارض المقدسة كلها بالمرأة الطامت زمن النزول الصليبي ، وأما بعد استرجاعها فقد تطهرت منهم ، وكذلك صور القوس بالحيوان الشرس الذي يفخر فاه لينهش عدوه .

على أن جمال التشخيص يتجلى في وصفه لتحصينات القدس ، وما قامت به الجانيق الاسلامية من نقب للأسوار وتحديمها ، فهو يشبه السور المحيط بالقدس بالسوار المحيط بالهد ، وتتغلل هذا السور الابراج المشرفة على المناطق المجاورة ، ثم يذكر نزول صلاح الدين عليها ، وقتاله لها ، وقصفه اياها بالصفينيات وأنواع الأسلحة الخفيفة ، فالسهم تصافح السور ، وتدخل في الشرفات كأنها سواك ، والجانيق تصف الأبراج فتتهزأ بالصوت وتدمرها بالعجارة ، فيرتفع النبار ، وتتناثر العجارة ، ويترأ بعضها من بعض ،

ابن الخلال رئيس الديوان ، فسأله : ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات ؟
فرد عليه القاضي - كما يروى ابن الاثير في كتابه الوشي المرقوم - ليس عندي
شيء سوى أنني أحفظ القرآن ، وكتاب الحماسة ، فقال : في هذا بلاغ ... ثم
أمره بملازمته ... حتى تدرب بين يديه ثم أمره بحل شعر الحماسة من أوله
الى آخره مرتين ... (١) .

وهذا يدل على أن حل الشعر والقرآن والحكم والامثال والحديث أصبح ممن
مستلزمات الكتابة الفنية في العصر الايوبي وما بعده . وفي الرسالة الموردة آنفا
اعتمد القاضي على الاقتباس العرفي والمعنوي ، ومن أمثلة ذلك قوله : " وصدق
الله أهل دينه " ، وقوله : " وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين " (٢)
وقوله : " فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى " (٣) وقوله :
وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا (٤) وجعل الله ضلوك الكفار لنار جهنم
وقودا (٥) وذابوا منها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله شافعتهم (٦)
فقبل منهم البذل من يد وهم صاغرون (٧) وقال الكافر : يا ليتني كنت ترابا (٨)
فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور (٩) ، وجاء
أمر الله وغرهم بالله الشرور (١٠) .

- (١) انظر مجلة الهلال ، العدد التاسع - السنة الحادية والثلاثون ، ايلول سنة ١٩٧٣
مقال د . محمد أحمد خلف الله ، عن القاضي الفاضل ص ٤٢
(٢) اشارة الى الآية : " ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " . الصف ٩
(٣) " وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا " . التوبة ٤٠
(٤) " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهور " . هود ١٠٣
(٥) " وأولئك هم وقود النار " . آل عمران ١٠
(٦) " وذابوا أنفسهم انهم مانعتهم حصونهم من الله " . الحشر ٥٩
(٧) " حتى يذابوا الجزية عن يد وهم صاغرون " . التوبة ٢٩
(٨) " ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا " . النبأ ٤٠
(٩) " قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور " . المتحنة ١٣
(١٠) " حتى جاء أمر الله وغرهم بالله الشرور " . الحديد ٥٧

ومن التأثر بالحديث قوله : وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه ، ومن الحكم قوله : ومن طلب خطيرا فخطره ، ومن رام صفقة رابعة تجاسر ، ومن سمل لان يجلي غيرة غامر .

٥٣ : الطباق :

وهو قليل في هذه الرسالة بالنسبة الى السجع ، ومن أمثله : ثقلن - للمبسط الهوسى - النحى ، الاخرة - الدنيا ، سواد - بياض ، غابوا - حضر ، كسرة - جبر ... الخ .

٥٤ : الجناس :

وهو قليل أيضا ، ومن أمثله : أنوار - المراقب - المراقب - العنان - الصيان ... الخ .

أما الاطناب وتكرار الممانى فهما سمتان عامتان في الرسائل الديوانية التي تحفل انباء الفتوحات ، اذ يعبر الكاتب عن الفكرة في عدة جمل ، ويكرر المعنى في أشكال مختلفة ، ولو نظرنا في رسالة القاضي السابقة لوجدنا فيها هذه السمة بوضوح ، فهو يقول مثلا : وكتاب الخادم هذا ، وقد أظفر الله بالعدو الذى تشطت قناته سفكنا ، وشارت فرقه فرقا ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدمت صماته وكان الاكثر عددا وحصا ، فكلمت حملاته وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالبيان ، عقوبة من الله ليس لمصاحب يد بها يدان ... فالنص كله يدور حول معنى واحد ، وهو ضعف العدو ، وهذا المعنى تكرر من قبل في الفقرات السابقة أيضا ، كما تكرر في الجمل السابقة ، فتكرر رماحه ولبيران فرقه ، وتثلم سيفه ... كلها تعني ضعف العدو .

وهما يتسم به أسلوب هذه الرسالة المبالة ، فقد بالغ القاضي في كل شئ : وهو يرفى البشرى ، وهو يصف الفتح ، وهو يصف اندحار العدو وهزيمته ... ويمكن للقارئ أن يرجع الى الرسالة ليجد الشواهد على هذه المبالة ، ونجترى هنا فقط ببعض حديثه عن البشرى : فانها بدور للاقتلام فيه سبع طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عجب ثويل ، وبشرى للخوادر في شرحها مأرب ، ويسرى للاسرار في اظهارهم صارب ...

والمبالغة في التعبير ما جنح اليه كتاب الدواوين عامة في هذا العصر ، ولعل حرص القاضي الفاضل على تعظيم النصر والمنتصر ، من الحوافز التي دفعت الى هذه المبالة ، ولكنه أفرط ، وافراطه هذا لا يرجع الى تعكم السجع والزخرف اللفظي في كتابته ، فقد كان تمكنه من الحادة اللغوية كفيلا بأن يخرج من قيود البيان السلي قد يتعثر بها من هو أقل منه معرفة باللغة .

أما انفعال القاضي بما يكتب ، فأمر لا ريب فيه ، وهو انفعال يبعثه أولا أنه رجل من الأمة التي ابتليت بالفز والاحتلال ، ثم استطاعت التخلص منهما ، ويؤججه بعد ذلك أن الكاتب لم يكن مجرد رجل عادي من صفوف الناس ، بل كانت له منزلة عند صلاح الدين لا تكاد تداني ، حتى عده السلطان من صناع النصر في القدس ، والاسلوب الذي اعتمدته القاضي في هذه الرسالة ، هو اسلوب شاعري ينطلق فيه خيال الكاتب ، وتتدفق فيه عواطفه ، كما في أي نص شعري .

ب . رسالة الساد الاصفهاني الى الديوان العزيز بغداد بمناسبة فتح طبرية يقول :
 " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " .
 الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن أجرى هذه المنسنة التي ما اشتمل على شبهها كرام الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في الدوايق ، في الايام الامامية الناصرية زادها الله غرا وأوضاحا ووالى البشائر فيها بالفتوح غدا ورواحا ، ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين مذلعة مخلوق ، ونامقة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حصن العقائف ، وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، ومطكها هوى الخارب ومرامي المشارق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتاح ، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأزفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجنده ، وجعل بعد عسر يسرا ، وتد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهون الأمر الذي ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطف الدين بقوله : " ولقد مننا عليك مرة أخرى " : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والاخرى هذه التي عقد فيها من رق الكلبة ، نهو قد أصبح حرا ، فالزمان كهيئته استدار ، والحق بمهجته قد استنار ، والكفر قد رد ما كان عنده من المستحار وغسل ثوب الليل بما فجر النجر من أنهار النهار ، وأتى الله بنيان الكفر من القواعسد ، وشفى غليل صدر المؤمنين برقراق ماء المورديات البوارد ، أنزل ملائكة لم تظهر للمؤمنين والاحياء ، ولم تخف عن القلوب الحائرة ، عزت سيما الاسلام بمسومها ، وترادف نصره بحردنها ، وأخذت القرى وهي ذالمة فترى مفرقها كأن لم تؤو فيها ، فكم أقدم بنينا حيزوم ، وركض فاتبه سحاب عجاج مركوم ، وغرب فاذا ضربه كتاب جراح مرقوم ، ولما فان الحروب انما عقدت سجالا ، وانما جمعت رجالا وانما دعت شفافا وثقالا ، فاما سيوف تقاتل سيونا ، أو زحوف تقاتل زحوا ، فيكون عد العديد بيد مذكرا سيد مؤنثا ويكون السيف في اليد الموحدة يخفي بالضربة الموحدة وفي اليد المثلثة لا يخفي بالضرب مثلنا ، وذلك أنه في فتتين التقتا ، وعدتين لغير مودة اعتنتتا ، وان عذبة النصر ان زويت عن ملائكة الله جحدت كراماتهم ، وان زويت عن البشر فقد عرفت قبل مقاماتهم

فما كان سيف يثبث من جفنه قبل أن ينبهه الصريح ، ولا كان ضرب يطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمع الصيخ ، فكم قرية كأنها هجرة الموت وسها التاريخ ، وكم طمعة تغرلها هضاب الحديد ولها شماريح .

والحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه ، بعد أن كان جديدا حبله ، مبهضا نصره ، مخشرا نصله ، متعسا فضله ، مجتمعنا شمله ، والغادم يشرح من نيا هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ، ما يشرح صدور المؤمنين ، ويضع الجهور لكافة المسلمين ، ويكرر البشري بما أنعم الله به - من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاخر الى يوم الخميس منسلخه - وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار " فسترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " ورايتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت مسن الكفرباكية ، فيوم الخميس الاول فتحت طبرية وفاض ري النصر من بحيرتها ، وقضت على جسرهما الفرنج فقضت نعيمها بحيرتها ، وفي يوم الجمعة والمبت كسر الفرنج الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة ، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمية . وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالامان ، ورفضت بها أعلام الايمان ، وهي أم البلاد واغت رارم ذات العباد ، وقد أصبحت كأن لم تغن بالكفر وكان لم تفتقر من الاسلام . وقد أصدر هذه البطالعة وجليب الصلوات ماسور ، وقلب ملك الكفر الاسير جيشه المكسور مكسور ، والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه الاسلام ، قد صار حديدا مسلما يفرق خدوات الكفر عن الاقدام ، وأنصار السليب وكباره ، وكل من الممبودية عدتسه والدير داره ، قد أحاطت به يد القبضه ، وأخذ رهننا فلا تقبل فيه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، وطبرية قد رفضت أعلام الاسلام عليها ، ونكصت من عكا ملة الكفر على عقيمها وعمرت الى ان شهدت يوم الاسلام وهو خير يوميهما ، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير . وقد غسل عن بلاد الاسلام بدماء الشرك ما كان يتخللها فلا ضرر ولا ضرير ، وقد صارت الهمسج مساجد هم بها من آمن بالله واليوم الآخر ، وصارت المناصر مواضع لخطباء المنابر واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجت لمواق الكافر ، والباء الامامسي الناصري قد أمضى مشكاته على يد الغادم حتى بالدني في الكنائس ، وان عز أول الاسلام بحل تاج فارس ، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس (١)

أول ما يلقت النظر في هذه الرسالة أنها تبدأ بآية قرآنية ، متلوة بالدعاء للديوان المميز والسلطان صلاح الدين ، ثم ينتقل الكاتب الى وصف حالة الاسلام قبل الفتح وحده ، ففتح القدس هو محور الرسالة الذي تدور الاحداث حوله . وقد انتزع الصمد صورة البيانية من العواة الدينية والاجتماعية ومصادر رهسا ، ومن الدليمة واجواء الحرب ، ومن السهل على الناظر في الرسالة أن يجد الشواهد على هذه الصور .

والعماد كالقاضي الناضل ، يعتمد كثيرا على التشخيص ، كما في قوله : " وغسل
 ثوب الليل بما فجر الفجر من أنهار النهار " وأتى الله بنيان الكفر من القواعد
 وفي قوله : " وقد أصدر هذه المذاهب وصليب الصليبيات مأسور " وتلب الكفر الأسير جيشه
 المكسور مكسور ، والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديدا
 مسلما يفرق خطوات الكفر عن الاقدام ٠٠٠ "

وبدأني البديع على هذه الرسالة كما يلقى على رسائل السواد عموما ، وليس
 أخذ القارئ أية فقرة لوجد فيها ألوان البديع ، ومنها السجع والاقتراس اللفظي
 والمعنوي والتضمين ، ومن أمثلة الاقتراس اللفظي قوله : " ولقد كتبنا في الزبور من
 بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١) " وقوله : " ولقد مننا عليك مرة أخرى (٢) "
 وتوله : " فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٣) " ومن الأمثلة على حمل
 الايات القرآنية قول الكاتب : الحمد لله على ما أنجز بهذا الوعد ، على نصرته له هذا
 الدين الخفيف من قبل ومن بعد (٤) وقد فقه على الباطل الزاهق (٥) وحمل
 بعد عشر يسرا (٦) وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا (٧) ما كان الاسلام يستطيع
 عليه صبرا (٨) وأتى بنيان الكفر من القواعد (٩) ، أنزل ملائكة لم تظهر للمؤمنين
 الاخذلة (١٠) ، وأخذت القرى وهي ذالمة فترى مرفيها كأن لم تؤو فيها (١١) ،
 في فئتين القتلا (١٢) ٠٠٠ الخ .

(١)	سورة الانبياء آية ١٠٥	(٢)	سورة طه آية ٣٧
(٣)	سورة الحاقة آية ٦٩		
(٤)	إشارة الى قوله تعالى : " لله الامر من قبل ومن بعد " الروم ٤		
(٥)	= = =		" بل نقدف بالحق على الباطل فيدفعه فاذا هو زاهق "
			الانبياء آية ١٨
(٦)	= = =		" فان من العسر يسرا " الشرح آية ٥
(٧)	= = =		" لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا " الطلاق ٦٥
(٨)	= = =		" قال : إنك لن تستايين معي صبرا " الكهف ٦٧
(٩)	= = =		" قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد "
			سورة النحل آية ٢٦
(١٠)	= = =		" ألن يكذبكم أن يدرككم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين "
			سورة آل عمران آية ١٢٤
(١١)	= = =		" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ذالمة " شود ١٠٢
(١٢)	= = =		" قد كان لكم آية في فئتين القتلا ٠٠٠ " آل عمران ١٢

ومن الأمثلة على حل نصوص الاحاديث النبوية ، قوله : فهو قد أصبح حراً فالزمان كهيئته ، استدار ... ومن ألوان الهدى كذلك ، الدباق ، ويدو في الالفاظ الثالثة : مخلوق - خالق ، الحق - الباطل ، القارب - المشرق ، عسر - يسر - الليل - النهار ، مذكر - مؤنث ، الموحد - المثلث - ضاحكة - باكية ، جديسد جديد (الهالي) ... الخ .

ومنه الجناس ، ويمثل في الكلمات التالية : سيرة - سرية ، جدد - جدد ، استدار - استنار ، بحيرتها - بحيرتها ، نصره - نصره ... (١) .

وأما الاطناب والتكرار ، فأتينا نجد منهما ما وجدناه من قبل عند القاضي الفاضل كقول العماد : الحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا فهو ، بعد أن كان جديدا قبله مهيضاً نصره ، مخضراً نصره ، متسعاً فضله ، مجتمعاً شمله ... فهذه الجمل تؤدي معنى واحداً هو قوة الاسلام بعد الفتح .

ورغم هذا التشابه في السمات الفنية بين النصين إلا أننا نعلم، بعض فسواق في طريقة تناول ، فالعماد قسم الفتح على الأيام ووصف ما جرى في كل يوم ، ثم أن الجمل التي اعتدها خاصة في نقل البشارة ، كانت أقصر من جمل القاضي الفاضل ، وقد يشمر هذا القصر في الجمل بسرعة الحركة ، ثم إن العماد دخل في موضوع البشارة مباشرة ، إذ قدم آيات العهد المرتبطة بالفتح ، بينما أبعدا القاضي الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة العباسي ثم لصالح الدين .

محمد ، فقد نصاه ل : لو سقط اسم كاتب كل من الرسالتين ، هل يمكننا أن نتعرف عليه من خلال السمات الفنية لرسالته ؟ .

أظن الظن أننا لن نستطيع ذلك ، لأن السمات الفنية مشتركة بين الرسالتين إلى حد بعيد ، والواقع أنني حاولت فعلاً ، حين كنت أقرأ بعض الرسائل في كتاب الروضتين ، أن أرتد هذه الرسائل إلى أصحابها فلم أستطع ، لأنني لم أجد المميزات الخاصة التي تضيح حداً فاصلاً بين رسائل أشهر كتاب الدواوين في هذه الفترة : القاضي الفاضل ، والعماد الاصفهاني ، وابن الاثير .

(١) انظر وصف العماد لرسائله بغضابة الفتح ، يقول : وأوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز ، ووشحت ووشحت ، وشعبت وأشعبت ، وأطالت وأطليت ، وأبعدت وأبدعت ، ورضعت وصرعت ، وأبقت وأجانت ، ووافقت وأنست ... الفتح ١٣٣

مفقودنا هذا الي مناقشة آراء الذين ذكروا أن القاضي الفاضل ابتكر الطريقة التي سميت "الفاضلية" باسمه ، وهي التي تستمد على نشر القرآن ، والتشخيص والاختصار من البديع (١) ، فقد تبين أن هذه المميزات الفنية مشتركة عند عدد من الكتاب الذين عوا بالبديع زمن الفاضل وقبله ، مما يدل على أن القاضي لم يبتكر طريقة خاصة في الكتابة ، وإنما كانت شهرته ومشاركته في الأحداث السياسية ، وارتباطه بشخصية صلاح الدين هي التي ساعدت على نسبة هذه الطريقة اليه دون غيره . ومعلوم أن القاضي الفاضل كان كاتباً زمن الدولة الفاطمية ثم زمن الدولة الأيوبية ، وهو الذي كتب العهد لصلاح الدين بالوزارة ، لكنه حتى تلك الفترة لم يكن قد اشتهر بعد ، لأنه لم يكن قد اضطلع بدور سياسي كبير ، وفي الأمر كذلك ، إلى أن تمت الوحدة بين الشام ومصر على يد صلاح الدين ، فتولى تصريف الأمور في مصر في غياب صلاح ، وكان على اتصال دائم به ، واعتمد عليه صلاح الدين كثيراً . . . واستفاد من قلمه ، حتى قال فيه : "مسكاً فتحت البلاد بالمسافر ، وإنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل" (٢) .

ويمكننا القول ، إن رسائل القاضي الفاضل رسائل سياسية فكرية وجدانية تتصل بأعمال صلاح الدين وحياته اتصالاً وثيقاً ، بينما تقتصر رسائل السداد وابن الأثير على مراسلاته الرسمية دون غيرها .

ج . رسالة الملك المنصور قلاوون إلى اليمن مبشراً بفتح "صافيثا" من انشاء محيي الدين بن عبد الظاهر ، يقول الكاتب :

"أعز الله تعالى نصرة المقام العالي ، الدلولي ، السلطان الملكي المظفري الشمسي ، وأشرکه في كل بشرى تشد الرجال لاستماعها ، وتحل الحصى لاستطلاعها وتتهافت التواريخ والسير على استرفاعها ، وتتنافس الاقلام والسيوف على الاتهام بأجناسها وأنواعها ، ولا خلا موقف جهاد من اسمه ، ولا مصرف أجر من قسمه ، ولا غرض هنا من سهمه ، ولا أفق ابتهاج من بزوغ شمس طلوع نجمه ، سطر المسكوك هذه البشرى والسيوف والقلم يستمدان : هذا من دم وهذا من نفس ، ويمضيان هذا في رأس وهذا في طرف ، ويتجاومان : هذا بالصليل ، وهذا بالصرير ، ويتناهما : هذا يستميل وهذا يستمير ، وكل منهما ينافس الآخر على المشافهة بخبر هذا الفتح الذي

(١) انظر الخريدة ٣٥/١ ، غزاة الادب ٢٤٠ ، الروضتين ٢٤٢/١ ، الحروب

الصلبية وأثرها في الادب العربي ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ادب الحروب الصليبية

١٨٥ ، أمير شعراء المشرق ، ابن نباتة المصري ص ٩١

(٢) مرآة الزمان ٤٧٢/٨

سمت اليه هم الملوك الاوائل ، ولا سمت به سيرهم التي بدت أجيادها من حـيـلـه
عواطل ، ولا دار نفسي خلد أن مثله يتبها في العدد الدويلة ، ولا تشكل في ذهن أنه
سيدرك بحول ولا حيلة ، وهو النصر المرتب على حركتنا التي طوى الله لركابنا فيها
المراحل وألقى بدمر عساكرنا من بحر الحديد المالح الى الساحل ، وهجومنا على البلاد
الفرنجية : وهي طرابلس صافيتا وأنطرسوس ومروية والمرقب ، كما يهجم الشهاب
وميلد متنا صدرها كما يصدم الليث ، وسلوكنا منها حيث لم يبق حيث ، وما جرى في
هذه الوجهة من اغارات أحسنت مقلب الأعنة ، ومتلبى السوف وحرق الاسنة ، وما
تبها منها من فتوح صافيتا التي هي أم البلاد ، ومنتجع الخاضر والبانة ، وكوشها
قبضت نفسها في جملة ما يقرى به الضيف ، وثالث : هذا فتوح حضر على هذا الفتوح
لهذا السيف ، وتلذفت في مصح أطراف الامان ، ودالبت شكرا ومنا شكران ، وأحضرت اليها
من أهلها الوقت وهدت السيوف في أعناقهم فتشبهت بها الاغلال ، وأنفت أيمان أهل
الايمن من مصافحتهم لأشهم أصحاب الشمال ، فأطلقهم سيفنا وأقله يمتد الى من هو
أعز منهم طالا ، وأكثر اختفالا ، وأبرز طالا ، وأحر سيوقا قصارا ومطاحا طولا ، واستطار فيها
شرار نار الحرب الموقدة الى غيرها من القلاع ، واستدال الى سواها من الحصون منهم الباع
فلاحصن الا وأفترت ثيبته عن نصر مسهل ، وفتح ممجل وموجل ، الخ (١) .

بدأت هذه الرسالة بالدعاء لمقام العرسل اليه ، كتلك الرسائل السابقة ، ويجد
القارى في هذه ما وجدناه في تلك من سمات فنية ، فالسجع مطرزم به من أول الرسالة الى
آخرها ، والطباق والجناس بشكلان عنصران مهمان من عناصر البيان فيها ، ولكن اعتماد
الكاتب على حل القرآن والشعر أقل في هذه الرسالة مما هو في الرسائلتين السابقتين ،
وقد أكثر الكاتب من استعمال التشخيص ، فبعث الحياة في السيف والقلم ، وأنشأ
مفاضلة بينهما على ما هو معروف في هذا العصر من مناظرات بين الحبيب والقلم ، ومنها
مناظرة طويلة بينهما لجمال الدين بن نباته المصري (٢) .

ومن التشخيص كذلك وصفه لخصن الاكراد بأنه انسان متكبر يحتاج أن ينزل ضربه
بالحسام وقت ما يشاء ، ثم يضره بأنه مقر للصقر ، ومريض للأسود ، يقول : " فمن ذلك
خصن الاكراد الذي تاه بحذافه على الممالك والحصون ، وشمع بأنفه عن أن يمتد الى مثله
يد الحرب الزبون ، وعدا جاذبا بتضيق الشام ، وأخذوا بمخاض بلاد الاسلام ، وشلا في
يد البلاد ، وشجا في صدر المباد ، تنقض من عشه صقر الاعداء الكاسرة ، وترتاع من
سلوتها قلوب الجيوش الطائفة ، وترى بأرياضه آساد تحمي تلك الاجام ، وثقوب من
قسيه سهام تصمي فوقات السهام ، تنطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفي
كرام أموالهم وهم صابرون لا مصابرون ، وله مدن حوله خصن هو كالراحة وشسي

(١) صحح الأعشى ٣٥٤/٧ - ٣٥٥

(٢) انظر المناظرة في كتاب : العرب الصليبية وأثرها في الادب العربي ص ٢٩

كالانامل ، وتكاد بروجته ترى كالمطايا المقطرة وهي منها بمنزلة الزواميسل ... الخ
وفي الرسالة أيضا تشخيص لأدوات الحرب من مجانيق ورماح وسهام يقول : ونصبت
عليها عدة مجانيق حلت في شوارع الجبال ، على رؤوس الأبطال ، فتخيلت
السميرية أن الذي تقوم به هذه ، تلك به لا تقوم ، وأن ما فيها إلا له من الأيدي والروءوس
مقام مفلوم ، ومار يرمي بها كل كمي مختلص ، وأروح منتبس ، وكل ليث غابة يحمصها
وتحميه ، فشكراً لأسود حتى غاباتها تفرس ، إلى أن جثت أسوارها على الركب ، وكانت
سهام مجانيقها تمهل من الصَّجَب فصارت تتمد من العَجَب ، وكانت تطلب فصارت تهرب
من الطلب ... (١) *

هذا نمط من الرسائل الديوانية ، وهناك أنماط أخرى تتميز عن هذا النمط
بسمه أو أكثر من السمات ، نذكر باختلاف الموضوع أو اختلاف الكاتب .

أما اختلاف الكتاب فالمقصود فيه انتقائهم إلى كتاب الدواوين أو عدم انتقائهم
وذلك لأن كتاب الدواوين تجمع بين رسائلهم سمات عامة مشتركة : كالسجع ، والتشخيص
وحل القرآن والشعر ... الخ . في حين أن الكتاب الآخرين قد لا يقيدون أنفسهم
بقيود الزخارف اللفظية ، ولا يعنونها بالبحث عن الالفاظ والمصور .

ومن الأمثلة على ذلك رسالة السلطان الملك المعظم تورانشاه إلى الأمير جمال
الدين موسى بن يغمور نائبه بدمشق يبشره بهزيمة الفرنج عن دمياط . يقول :
" الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وما النصر إلا من عند الله ، ويومئذ يفرج
المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .
يبشر العجل السامي الجمالي ، بل يبشر الاسام كافة بما من الله به على
المسلمين من الذافر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويشهد
الجهاد من البلاد ، والأهل والأولاد ، فنودوا لا تأسوا من روح الله .

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة ... تم الله على الاسام بركاته ...
فتحننا الغزائن ، وبذلنا الأموال ، وفرقنا السالح ، وجمعنا العريان والمطوعة ، واجتمع
خلق لا يحصهم إلا الله تعالى ، فجاءوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بميد سحق
ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل
فأبيناه .

(١) صبح الأعي ٣٥٥/٧ - ٣٥٦ ، وانظر رسالة أخرى زمن الأشرف خليل تحمل
السمات نفسها ، صبح الأعي ٣٦٨/٧ .

ولما كان الليل تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هلمسين ،
فسرنا في آثارهم بالمهين ، وما زال السيف يحل في أديارهم عامة الليل ، ويدخل
بهم الخزي والويل . فلما أصبحنا نهار الاربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من القسى
نفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا خرج ، والتجأ الفرنسيون إلى
البنية ، وطلب الأمان ، فأمناه وأغذناه ، وأكرمناه ، وتسلفنا دمياط بحون الله تعالى
وقوته وجلاله وعظمته . (١) .

فإذا ما قارنا بين هذه الرسالة والرسائل الديوانية السابقة نجد وجه التشابه
اتكأها جميعا على المادة القرآنية إلى حد الاقتباس الحرفي .

فهي تبدأ بجملة آيات من سور مختلفة : " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن " (٢)
" وما النصر إلا من عند الله " (٣) ، " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو
العزیز الرحيم " (٤) ، " وأما بنعمة ربك فحدث " (٥) ، " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (٦)
" ومن لاقتباسات المعنوي قوله : " فتودوا لا تيأسوا من روح الله " (٧) ، وقوله :
" فجاءوا من كل فج عميق " ومن كل مكان بعيد صحيح " (٨) .

ولكن مع هذا التشابه اختلافا واضحا في نواح أخرى بين هذه الرسائل فالسجع
في الرسالة الأخيرة قليل ، ويأتي دونما جهد واللب شديد ، ويمكن حصره في أماكن محدودة :
" ويثي الحباد من البلاد والأهل والأولاد " ، " فجاءوا من كل فج عميق " ومن كل مكان
بعيد صحيح .

-
- (١) نهاية الأرب ج ٢٢ ورقة ١٠١
 - (٢) سورة فاطر آية ٢٥
 - (٣) سورة آل عمران آية ١٢٦ والأنفال آية ١٠
 - (٤) سورة الروم آية ٥
 - (٥) سورة الشعشع آية ١١
 - (٦) سورة النمل آية ٧
 - (٧) إشارة إلى قوله تعالى : " ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا
القوم الكافرون " سورة يوسف آية ٨٧
 - (٨) إشارة إلى قوله تعالى : " وأذن في الناس بالصالحين يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق " سورة الشعشع آية ٢٧

وقصدوا دمياط هارمين ، فصرنا في آثارهم طالبيين ، ولما زال السيف يحمل فسي
أدبارهم عامة الليل ، ويدخل بهم الخزي والويل " ، ، ، ، غير من ألقى نفسه في اللجج
وأما الأسرى فعدت عن البحر ولا خرج

وثمة اختلاف آخر ، وهو ما تتسم به هذه الرسالة من سهولة الألفاظ وساطة
المعاني ، وقلة الصور البيانية ، دون أن ينشأ عن ذلك ضحالة في المعاني . فالرسالة
تعرض ما جرى في دمياط من قتال مع الفرنج ، وتصور الحالة النفسية التي كان عليها
المسلمون ، من ذعر استشعروه في البداية ، ثم من ثقة ، استطاع السلطان أن يعيدها
إلى نفوسهم بعد ذلك ، كما تصور حالة الفرنج النفسية قبل المعركة الحاسمة ومعدتها ،
مع ما رافق هزيمتهم من شعور المسلمين بالتثقي ، والحديث عن المدو بيزرية وسخرية
وكل ذلك في إطار أسطر قليلة .

وإذا يختلف أسلوب النص باختلاف كاتبه ، فإنه يختلف كذلك باختلاف موضوعه .
وقد وضع شهاب الدين محمود نعلما عاما للرسائل ، وطلب من الكتاب التقيد به .
فهو يقول : " ومما يتعين على الكاتب استجماله والمحافظة عليه ، والتمسك به ، إعطاء
كل مقام حقه ، فإذا كتب في أوقات العروب إلى نواب الملك عنه وإلى مقدمي الجيوش
والسرايا ، فليتنوع الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تأويل ولا بسط
يضيغ المقصد ، ويفصل الكلام بعضه عن بعض ، ولا تهويل لأمر العدو وينصف القلوب ،
ولا تهوين لأمر يحصل به الاغترار وإذا كتب عن الملك في أوقات عركات المدو إلى
أهل الثغور يصلحهم بالحركة للقاء العدو ، فليستك القول في وصف العزائم ، وقوة الهمم
وشدة التحية الديين ، وكثرة المساكم والجيوش ، وسرعة الحركة وطبي المراحل
ويبرزه في أتمن كلام وأجله ، وأمكنه وأقره من القوة والبسالة ، وابعده من اللين والرقه
. . . . " (١) ، ولذا ما لاحظناه القلتشندي فيما بعد ، إذ يقول : " وأعلم أن الكتابة
في فتوحات بلاد الكفر ومساقلهم والاستيلاء على بلاد البهاة تكاد تكون على نسق واحد
إلا أن مجال الكاتب في فتوحات بلاد الكفر أوسع ، من حيث عزة الاسلام على الكفر ،
وظهور دينه على سائر الأديان " (٢) .

ومن الموضوعات التي برزت في الرسائل الديوانية التحريض والتوبيخ والرد على
التهديد

ومثال التحريض ما كتبه الشيخ بد الدين حبيب الحلبي إلى أصحاب الثغور
في طرابلس ، عند ظهور الفرنج في بحر تلك المنطقة ، يقول : " المرسوم بالامر العالي
أعلاه الله تعالى ، لا زالت مراسمه النافذة تبلغ أهل المعصاة المحمدية غاية الآمال ،

(١) نهاية الأربع ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، وانظر حسن الثوسل إلى صناعة الترسل ص ١٣٤

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٧٨

وأوامره المطاعة تقتضي بكسر اللوسارية وشين الشوال ، أن تتقدم المسافر الضميرة بالصلوة
الطرابلسية أيد الله تعالى عزائمهم القاهرة ، وأذل بسيفهم الطائفة الكافرة ، بارتداء
منهم الجهاد ، والتحلي بمرارة الصبر على اجتلاء الجلاء ، وأن يجيئوا داعي الدين ،
ويقتلوا أيدي المعتدين ، ويقتلوا سهامهم ويجعلوا التقوى أمامهم ، ويشرعوا رماحهم ،
ويحملوا سلاحهم ، ويومضوا بروق السيوف ، ويرسلوا نبال الحق ، ويهدموا بنيان الكفار ،
ويطعموا أهلة القسي بحدّ الأوتار ، ويهضموا بجانب أهل العناد ، ويقابلوا البحر بميل
بحر من الجياد ، وينظروا أواجه بأموال الفصال ، ويقاتلوا الفرقة الفرنجية أشد
القتال ، ولا يهملوهم بالنهار ولا بالليل ، ويندوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط
الخيال ، وينهروا بحصابيع الرباط في سبيل الله ظلام الدجّة ، وأن يصابروا ويصبروا
فإذا استنفروا فلينفروا ، ويألفوا في العدو والرواح ليلغوا الرعية من الأمن أمانها ،
فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لخدوة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها " .
ويحتمدوا القرب المجيب ، ويجهدوا في كسر أصلاب أهل الصليب ، وينافسوا في أمر
الآخرة ، ويدعوا الدنيا ، ويقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ويشهدوا المواقف ،
ويذلوا التالذ والطارق ، وليبرز الفارس والراجل ، ويظهر الرامح والنابل ، فإن الجهاد
سلوة الله تعالى على ذوى الفساد ، ونقمة القائمة على أهل الشرك والعناد ، وهو من
الفوضى الواجبة ، التي لم تزل سهام أصحابه صائبة ، فواذبوا على فعله ولا تذهبوا عن
مذاهبه وسبله ، وادلبوا أعداء الله برا وحرا ، وقسموا بينهم الثكاث ثقلا وأسررا ،
وفاجئوهم بحروبه الحرب ، وناجئوهم برسائل العزم والضرب ، وغدوا من الكفار
باليمن ، وجدوا في تحصيل الرجز الثمين ، ولازموا النزول بساحل البحر لمنازلة
الطفاة المشركين " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم
غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين " وسابقوا الأعداء ، وبنزوا أصناف الأسنة ، وشمسوا
من حاشى السرازم ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، واتخذوا الخيام مساكن ، واجعلوا
ظهور الخيل لكم مواطن ، وانصبوا الألوية والأعلام ، وادفئوا جمره الشرذمة النافثة
للاسلام ، ولا تخشوا من جمهم الاثل الى الشريق ، وحشدكم الذي نوحا قلوبكم
إن شاء الله تعالى غريق ، ولا تصبأوا بسفنههم البحرية ، فإن سفنكم الخيل المغلوثة
من الرياح ، ولا تغفلوا الى مجاذيفهم الخشبية ، فإن مجاذيفكم السيوف والرماح
فاقلعوا قلوبهم ، وشتتوا جموعهم ، وأذنبوا الجحف والجحف ، وخاطبواهم بالمنسة
السيف ، وأوقدوا في قلوبهم بالتحصين والاحتراز نارا ، وادعوا الله أن لا يذر عيسى
الأرض من الكافرين ديارا ، ونكسوا صلوسهم المنصبوب ، وادروا الى حرب حزنهم
المفلوب ، وارفخوا باليقين شك هذه المحنة ، وتألصوا حتى لا تكون فتنة ، وادعوا
في ذات الله طيب المنام ، وانقلوا الاقدام الى الاقدام ، واكشفوا عنكم أستار الصلال
والملام ، واهدوا بما يحلي كلمة الاسلام والسائم ، فليرفعنكم الله الى منازل المسر
والتميز ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز " (١)

وتبين من الرسالة أنها " مرسوم " بالحركة لمواجهة الفرنج المواصلين بالبحر ،
 - يرضى لاستئصال شأفة الفرنج ، فجاءت قرية الجرس شديدة الوقع وكأنها خطبة قائم
 في بعده قهلا الحركة - وتشارك هذه الرسالة مع الرسائل السابقة في معظم السمات
 الفنية ، وتتميز عنها بشدة الوقع لاختلاف الموضوع ، فالسجع فيها سمة بارزة تتراءى في
 الرسالة جميعها ، وكذلك الجناس والاقتران بنوعيه الحرفي والمعنوي ، ثم التكرار
 والاطناب ، من أجل زيادة التأثير ، وشحن النثر بالانفعالات المحركة .

ومع أن هذه الصفات مشتركة في الرسائل الديوانية ، إلا أن هذه الرسالة تتميز
 بالحرارة الشديدة ، والانفعال القوي ، وقد جاءت عباراتها قصيرة ، وألفاظها قوية
 موجية بالحركة ، واقتباساتها مرتبطة بموضوع القتال والجهاد .

وقريب من هذه الرسالة رسالة شهاب الدين محمود التي يقول فيها :
 " أصدرناها ومنادى النفير قد أعلن : يا خيل الله اركبي ، يا ملائكة الرحمن اصحبني
 ما وفود التأييد والدافر اقربي ، والجزائم قد ركبت على سوابق الرعب الى العدى ، والهمم
 الى عدو الاسلام لو كان في ... ما بينها وبينه من ...
 مدى ... " .

فهذه رسالة الى مقدم سرية كشف ، يطلب فيها أن يكون غفيرا سريعا ، فجاءت
 الرسالة قصيرة في حجمها وفي بختها ، مشيرة في أصواتها وايقاعاتها ...

ومثال التمهين والتفريع رسالة القاضي محي الدين بن عبد الظاهر الى ملك الفرنج
 في طرابلس وانطاكية ، يقول :

" قد علم القومى البعليل ... ألهمة الله رشدة ، وتوزن بالخير تسميته
 وحمل النصيحة بحفظة عهده ، ما كان من قصدنا ارايلش وغزونا له في عتر الدار ، وما
 شاهده بعد رحيلنا من الخراب والمناظر وعدم الأعمار ، وكيف كسبت تلك القوائم من
 على بساط الارض ، ودارت الدوائر على كل دأثر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الاجساد
 على ساحل البحر كالجزائر ، وكيف قلرت الرجال واستخدمت الاولاد وتطلعت الخرائر ،
 وكيف قلعت الاشجار ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد المجانق - ان شاء الله تعالى -
 والمستائر وكيف نهبت لك ولرعتك الاموال والحريم والاولاد والنواشي ، وكيف استغسني
 الفقير وتأهل المارب واستخدم الحريم وركب الطاشي ، هذا وأنت تنظر نظر المنفسي
 من الموت ، واذا سمعت صوتنا قلت فزعا : علي هذا الصوت ، وكيف رحلنا عنك
 ... ما كان ... الا لأجل معدود ، وكيف فارقنا بلادك
 وما بقيت فيها ماشية إلا وهي لدينا ماشية ... سنا جاريسه
 ولا سارية إلا وهي بين أيدي المهاون سارية ، ولا زرع إلا وهو مصوص ، ولا موجود
 إلا وبومك مفقود ، وما منحت تلك المناير التي هي في رؤوس الجبال الشامخة ،
 ولا ... من ... لم يسهلنا الى

مدينتك انطاكية خبر ، وكيف وصلنا اليها وأنت لا تصدق أننا بعد فسنعود على الأثر ،
وها نحن نعلمك بما تم ، ونفهمك بالبلاء الذي عم ، كان رحيلنا عنك من طرابلس يوم
الاربعاء ، ونزولنا انطاكية في شهر رمضان ، وفي حال التزول خرجت عساكرك للمصارزة
وتناصروا فما نصروا ، وأسر من بينهم كند اسطبل ، فسأل في مراجعة أصحابك ، فدخل
الى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك : وان رأيهم في الخير مختلف ، وقولهم فسي
الشر واحد ، فلما رأيناهم قد فات فيهم النوت ، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت ،
رددناهم وقتلنا : نحن الساعة لكم نحاصر ، وهذا هو الاول في الانذار والاخر ، فجمعوا
به متشبهين بفعلك ، ومستتدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك ، ففي بعض ساعة مرشان
العرشان ، ودخل الرهبان الرهبان ، ولان للبلاء القسطلان ، وجاءهم الموت من كل
مكان ، وفتحنا بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ، وقتلنا
كل من اخترته لحفظها والحمامة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعده شيء من الدنيا
فما بقي أحد منا الا وعده شيء منهم ومنها ، فلورأيت خيالك وهي صرعى تحت أرجل
الخيول ، وديارك والنهاية فيها تصول ، والكسابة فيها تجول ، وأموالك وهي توزن بالقنطار ،
وأماك وكل أربع منها تنج فتشترى من مالك ، بدينار ٠٠٠ ولو شاهدت الثيران وهي فسي
تصورك تغرق والقتلى بنار الدنيا قبل الاخرة تحترق ، وقصورك وأحوالها قد حالست
وكنيسة بونصر وكنيسة القسيان وقد زلت كل منها وزالت ، لكنت تقول : يا ليتني كنت
ترابا ، ويا ليتني لم أوث بهذا الخبر كتابا ، ولكانت نفسك تذهب من حشرتك ، ولكنت
تطفي تلك النيران بما عبرتك ، ولورأيت مخانيك وقد أققرت ، ومراكبك وقد أخذت فسي
السويدية بمراكبك ، ولصارت شوانيك من شوانيك ، ولتيقنت أن الإله الذي انطاك
انطاكية منك استرجعها ، والرب الذي اعطاك قلبها منك قلبها ومن الارض اقلعها * (١)

فهذه رسالة يقصد منها القضاء على الروح المضمونة عند المدو ، بما احتوت عليه
من تهكم وتوبيخ ، وتذكير بالهزائم ، وقد اتبع الكاتب في رسالته عدة وسائل
لارشاب المدو ، والقضاء على إرادة القتال عنده ، منها تذكيره بالافعال السابقة السني
قام بها الجيش الاسلامي في الارض التي كان يسيطر عليها الفرنج ، ومنها الاستهزاء به
ومجيشه ، والتمن عليه بالاطلاق سراح الرهبان ، بعد ما ذاقوا الخوف المريع الذي هو
أشد من القتل ، ومنها التشفي بما أصابهم من ويلات ، ويرافق ذلك كله اظهار قوة
المسلمين ، وسيطرتهم على الاعداء في جميع المجالات .

ومع ان هذه الرسالة موجهة الى الفرنج الا انها مستبوعة كالرسائل السابقة ،
بل ان فيها من الجناس ما لم يوجد في بعض الرسائل ، وذلك لان السجع قد أصبح
سمة فنية استحكمت في الادب عامة في هذه الفترة .

ومن السمات الفنية المشتركة الاخرى ، تكرار المعاني وحل الايات القرآنية . . .
على ان الناظر في الرسالة لن تفوته ملاحظة انها كتلة انفصالات متأججة ، يستقر
فيها الاستهزاء بالتمويه والتهمك ، وقد اعتمد الكاتب في اظهار هذه الانفصالات على
الاستشهادات الكثيرة ، في جمل تتراوح بين الطول والقصر حسب طبيعة الانفصال
ففي التثني تداول الجمل مثل قوله : قد علم القوم . . . ما كان من قصدنا
طرابلس وغزونا له في غير الدار ، وما شاهده بعد رحيلنا من اغراب الحماير وهدم
الاعمار ، وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الارض ودارت الدوائر على كل
دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الاجساد على ساحل البحر كالجزائر . . . " ونسي
التمويه والتفريق تقصر الجمل وتشد حتى تصبح كالسياط الشديدة اللاذعة ، ومن ذلك
قوله : وأغرناك وما كان تأخيرك الا لاجل محدود ، وكيف رحلنا عنك رحيل من محمود
وكيف فارقنا بلادك وما بقيت فيها ماشية الا وهي لدينا ماشية ، ولا جارية الا وهي في
ملكنا جارية . . . الخ .

ويمثل الرد على رسائل العدو رسالة بها الدين زهير التي كتبها بناء على طلب
الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ردا على رسالة الملك لويس التاسع ملك فرنسا ،
يقول فيها :
" أما بعد ، فانه وصل كتابك ، وأنت تهديد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ،
فنحن ارباب السيوف ، وما قتل قرن منا الا جددناه ، ولا ينشئ علينا باغ الا دمرناه ،
فلورأت عينك في أعما القصور - حد سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الجيوشون
والسواحل ، وأغربنا منكم ديار الاواغر والاوائل ، لكان لك أن تحضر على أناملنا
بالندم ، ولا بد ان تزل بك القدم ، في يوم أوله لنا وآخره عليك ، فهناك تسوء بك
الذنون ، وسيملم الذين ظلموا أي منقلب ينتقلبون ، فاذا قرأت كتابي هذا تكن منه على
أول سورة النحل " أتى أمر الله فلا تستعجلوه " وكن على آخر سورة ص : " ولتعلمن
نباه بعد حين " ونمود الى قول الله تبارك وتعالى : " وهو أصدق القائلين : " كم من
فئة قليلة ظلت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين " (١)
ويلاحظ أنها رسالة قصيرة ، تحمل قوة التحدي والتهديد ، وقد استلزمت حرارة
الظرف الذي كتبت فيه ان تقل فيها المحسنات نسبيا ، إلا ما كان من سجع واقتباس
بالرغم من قصر الرسالة ، وقد ساعد هذا القصر على اكتناز الحرارة فيها ، كما ساعد على
ذلك طبيعة الموشح ومقتضياته . . .

(١) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٤٧

تختلف الرسائل الاخوانية عن الديوانية باصطحابها بالصيغة الشخصية ، وهي
لذلك تعتمد على التأثير الوجداني على المرسل اليه ، ولا تقتصر على الشؤون العامة
للدولة .

ومن أمثلة الرسائل الاخوانية رسائل القاضي القاضي الناصر الى صلاح الدين حين شدد
الفرنج حصارهم على عكا سنة ٥٨٦ هـ ، ومنها قوله :

وما تجدد للمدو من الشروع في آلات الحصار لمكا ، وما أربف به مسير
النجدتين الفرنجيتين ، الواصلة والبعيدة ، وافتراق الحساكر في هذا الوقت للضرورة
والتماس المسكر الشرقي الدستور للنجس ، وحاجة المولى من الإنفاق الى ما لا يحصى
التدبير ، ويضيق منه الإمكان ، ومطالبة الغني بالزيادة مع الغني والضعيف بأكثر مما يحتاج
اليه ، ونساج فرصة ، واختلاف رأي بين المشاورين من الجماعة ، وجود اللسنة بالاراء ،
وشغل الأيدي بالحمونة ، وانفراد المولى بالتدبير ، واشتراك الناس في الراحة ، وما ابتلى
به المسلمون من مرض أظفروه ليكون عذرا لهم في القعود ، وكتمه المولى على نفسه
لئلا يجلب لأصحابنا ضعف النفوس ، فهذه الأمور وإن كانت شداك ، وزائدات على
الموائد ، فقد ألهم الله مولانا فيها سعة الصدر ، وعسن الصبر ، ليشعره أن صبره
يحققه النصر ، وحسنه يحققها الاجر ، ولو لم ير الله تعالى أن قوة مولانا أكمل القوى
وعزوه عزمه أوثق المعرى ، لما أدركه لأن ينصرمة لا يصرف المملوك غير الله ينصرمة ،
وغير مولانا يياشر النصر ويحضرها ، فليس إلا التجرد للدعاء ، والتجلد للقضاء ، فلا
بد من قدر مفعول ، ودعاء مقبول ، ومن الأمثلة المناومة :

نحن الذين اذا علوا لم يداروا يوم المهراج ، وان علوا لم يذبحوا
معان الله أن يفتح علمنا البلاد ثم يفلتها ، وان يسلم علو يدينا القدس ، ثم ينصره ، ثم معان
الله ان نخلب علي الصبر ، واذا كان ما يقدم الله اليه الممالك قبل المولى لا بد منه ،
وهو لقاء الله ، فإن نلقاه والحجة لنا ، غير من أن نلقاه والحجة علينا ، فسلام
تصلي هذه الفتوح على مولانا فتبهر صبره ، وتماء صدره ، فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وانتم الاعلون ، والله محكم ، وهذا دين ما غلب بكثرة ولا نصر بشروة ، انما اختار الله
تعالى ليه أرباب نيات ، وذوى قلوب محبة وخالات ، فليكن المولى نعم الخليف
لذلك السلف ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، واشتدي أزمة تنفرجسي ،
والخمرات تذهب ثم لا تجي ، والله تعالى يسمع الأذن ما يسر القلب ، ويصرف عن الأساء
وأهله قاشية هذا الكرب ، ونستغفر الله العظيم ، فانه ما ابتلى إلا بذنب " (١) .

لقد عرض القاضي الناضل أسباب ضيق المسلمين ، وترفهم ، وتحكم الفرنج
وتنفذهم ، ولكنه مع ذلك لم ينس الدعوى على رفع الروح المعنوية ، فطلب من السلطان
التوجه الى الله بالدعاء ، والتجلد للقضاء ، ليثوي نفسه ونفوس الجند ، وقد راج

الكاتب ما بين الصوت المتعقل الرصين ، ومقاطعة الضمير المؤمن في محاولة التسرية عن صلاح الدين ، فهو يقول : " اذ كيف يفتح الله علينا البلاد ثم يسلقها ، وان يسلم على يدينا القدس ثم ينصره ؟ .. ثم معاذ الله ان نخلب على النصر ، ثم معاذ الله ان نخلب على الصبر ... "

وقد اتبع القاضي في عرضه اسلوبا موقفا ، فانتقل من الواقع المؤلم المتمثل في نفسي تعداد المصغبات والمثبيلات ، الى غرس الثقة في نفس سيده ، واشاعة الطمأنينة في نفسه : " فهذه الأمور وإن كانت شدايد ، وزائدات على العوائد ، فقد ألهم الله مولانا فيها سعة الصدر ، وحسن الصبر ، ويشعره أن صبره يحقبه النصر وحسبته يحقبها الأجر ، ولو لم ير الله تعالى أن قوة مولانا اكمل القوى ، وعزوة عزمه أوثق الصرى ، لصا أهله لأن ينصرمة ، لا يحرف المملوك غير الله ينصرها ، وغير مولانا يباشر النصر ويحضرها ... " كل ذلك بحيد عن التواكل والحزن واليأس والدعوة الى الاستسلام ، " فلا تعظم هذه الفتوى على قلب مولانا فتبهر صبره ، تملأ صدره ... "

محمد أن عمل على إشاعة الأمل في نفس القائد ، وتقوية عزيمته لتحمل الشدايد صارحه بأن هذه البلوى لم تكن إلا بذنب . وقد أوضح ذلك في رسالة إخوانية أخرى كتبها في المناسبة نفسها - أي خلال حصار عكا - إذ قال : " المملوك ينهي أن الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته ، ولا تفرج الشدايد إلا بالرجوع اليه ، والامثال لأمر شريسته ، والخصاصي في كل مكان بادية ، والمظالم في كل موضع فاشية ، وقد ظلمت الى الله تعالى منها ما لا يتوقع بعدها إلا ما يستعان به ، وقد أجرى الله تعالى على يد مولانا من فتح البيت المقدس ما يكون بمشيئة الله له حجة في رضاه ، ونحوذ بالله ان يكون حجة عليه في غنجه ... ولا يشعر المملوك لتفصيل ما بلغه من ظلمه ... المنكرات في اتباعه ، وشيوع المظالم في قضاياه ... " (١) .

فهو يشخص الداء ، ويهون الهالك ، ويضع العلاج ، الذي هو ازالة المظالم ، واعادة النادر في مراعاة تطبيق الشريعة الاسلامية ، والزام تاييديتها بتطبيقها ، كل ذلك دون أن يعمت النعم والياس في نفس السلطان ، إذ إنه قد أحسن الثاني في كل ما عرضه .

ويلاحظ القارئ أن الرسالة تنطلق من الوجدان ، وتصدر عن نفس منقطة بما تقول ، فلا غرو ان انتمت من الهدى إلا ما جاء عفو الخاطر ، مع أن الهدى قد ارتبط بأسلوب القاضي الناضل الكتابي ارتباطا شديدا خلال هذه الفترة .

والرسالة بعد ذلك تشترك مع الرسائل الأخرى في الاقتباس والتضمين ، ومثاله :
 " فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون " (١) ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة
 حسنة " (٢) ومن التضمين قوله : " استشهدى أزمة تنفجرني " ومن الأمثال المنظومة
 قوله :

نحن الذين اذا علوا لم يبطروا يوم الهياج ، وان علوا لم يضجروا
 أما مادة الرسالة ، فصا درها مأخوذة من التاريخ . . . والقرآن . . . والشمس
 والأمثال . . . وقد عرضت حالة المسلمين النفسية والاجتماعية ، خلال فترة حرجة من
 جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين ، ولهذا فهي ذات قيمة أدبية وتاريخية واجتماعية
 في آن واحد .

ومن الرسائل الأخرى ذات الصبغة الديوانية الاخوانية المشتركة ، رسالة الملك
 الناصر داود إلى العزيز عبد السلام يطلب منه فيها أن يحدث الملك الصالح نجم
 الدين أيوب على قتال الفرنج بعد غزواتهم لمدينة نابلس . يقول الناصر :

" أحسن الله عزاء المجلى السامي العزيز في مصابه بالمسلمين ، وصبرنا
 وإياه على ما ذهمت به حوزة الدين ، وأثاب الذين استشهدوا بما وعد به الشهداء
 من رضوانه ، وعوضهم عن منازلهم بمنازل الأمن من قصور جنانه ، وسامحننا وإياه بمسا
 أعملناه من حماية الدين وحفظ أركانه ، وما اعتمدناه من إغثاله وغد لانه ، ولا حصول
 ولا قوة إلا بالله قول معترف بتقصيره ، عن جهاد أعداء الله وأعداء دينه ، ذاكرًا بحريته
 جهرًا بلسانه وسرا بوقينه ، وذلك بصحبة المسلمين بمدينة نابلس التي قتلت فيها
 المشايخ والشبان ، وسبيت الحلائل والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرًا
 من الأموال والنفال ، وما جمعه المسلمون لازمتهم في العنين الطوال ، فهو يوم
 ضرب فيه الكفر بجرائسه ، وتبخرت فيها بين أنصاره وأتوانه ، وزها على الاسلام برونساق
 زمانه ، وهو اليوم الذي تقابل فيه فأحجم الاسلام ثم تولى ، واقتسما فيه بالسهمان فكان
 سهم الكفر هو السهم المصلا ، فإيا لها من فجيفة أبكت العيون وأبكت الجفون ، وهجمت
 على القلوب من أسماها غودت لو أنها صبقت بالمنون ، فإيا ليتني نبذت قبل سماعها
 مكانا قصيا ، أو ليت ربي لم يجعلني بحباده خفيا ، أو ليتني مت قبل هذا وكنت
 نسيا منسيا :

فلم يقصها ربي لمولى ولا بمل
 لبب أديب طيب الفرع والأصل
 فما بشرت يومًا بأننى ولا فحصل

ألا ليت أمي أتم طول عمرها
 وما ليتها لما قتلتها لميسر
 قتلتها من الألفي شلقن عواقسرا

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .

سورة آل عمران آية ١٣٩

(٢) الآية من سورة الأحزاب آية ٢١

* للمزيد انظر الروافدين ١٦٥ / ٢ - ١٧٣ وصبح الأعشى ٢٣ / ٧ - ٣٤ وصبح الأعشى
 ٥٢٨ / ١

ويا ليتها لما غدت بي حاصلا
ويا ليتني لما ولدت وأصبحت
لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم
أصيت بما اجتت عليه من الحصل
تشدد الي الشدقميات بالرحل
ولم أرك في الاسلام ما فيه من خجل

فيا أيها العزيز الذي كنا نظن أن الاسلام يتزهد بسببه عزا ، وأن رقي عزائه تكون عليه من سحر الكفار حرزا ، تيقن أنه قد عم بالشام النفير ، ووجبت الفرقة على الأحداث الطير ، والشيخ الكبير ، وجاز للخرة أن تبرز للقتال بخير اشارة بحلها ، وللأمة أن تبارز برمحها ونصلها ، ووجب على المجاورين الاسعاد والانجاد ، وتعين عليهم فسي طاعة الله الجهاد ، فيا لسان الشريعة ، أين الجدل فيه والجادد ، وأين مهند لسانك الماضي اذا كنت المهنددة النداد ، أتفقد سيف لسانك في جفنه وقد هجرت سيوف الكفار جفونها ، وأجرت عيون الانام على الاسلام شوهونها الا وان الاسلام بدا غريبا وسيرجج غريبا كما بدا ، وتقاشرت الهمم عن اسعاده حتى لا يرى له مسعدا ، فانا لله قول من عسر عزائه في الاسلام وذويه ، هذل في الدفاع عنه ما تملك يده وتحتويه ، وجبرا في الله على احتمال الاذى وروية جافيه ، والله سبحانه يتلافى الاسلام بتلافيه ، ويحميه بحمايته وحسن نظره فيه ، إنه قريب مجيب (١) .

ابتدئت الرسالة بالتبشير عن الحزن الشديد ، في معرض اعتراف الحاكم بالتصير في الدفاع عن الشيوخ والشبان والنساء والصبيان ، وملك هذا الحزن عليه أقطار نفسه حتى إنه تمنى لو لم يولد . . . ثم استعث العزبين بعد السلام على ان يستثير الناس للجهاد ، بعد أن ابتلي الاسلام بما ابتلي به من عدوان ، وغني عن البيان أن فسي الرسالة من السمات الثنية ما في الرسائل الديوانية من سجع وتكرار واقتباس وتضمين ، وغير ذلك من السمات التي اتسمت بها الرسائل في هذا العصر .

٣ . الخطبة

لم يصلنا من الخطب في عصر العرب الصليبية الا القليل ، مع أن المتوقع أن تروح الخطابة في جو الحروب ، لانها جو مواعز لها ، والجدير بالذكر أنه عندما تم فتح القدس ، اجتمع عدد كبير من الخطباء ، وتمنى كل واحد منهم أن يكون له المبق فسي اللقاء أول خطبة بعد الفتح ، يقول الصمد : وانتدى الفضاء ، وانتدب الخطباء ، وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المصروفون بالنصاعة الموصوفون بالعصافة . . . (١) . وما هذا الفتح - على أهميته - إلا حدث كبير من أحداث أخرى كبيرة

(١) الفوائد الجلية والفرائد الناصرية ورقه ٩٤ - ٩٥ .

(٢) الروشتين ١٠٨ / ٢

شهدتها الأمة خلال هذه الفترة .

ومن أشهر الخطب التي وصلت في هذه الفترة خطبة ابن الزكي في أول صلاة جمعة أقيمت في القدس بعد استعادة المدينة على يد صلاح الدين . وقد ابتدأها بالآيات التي فيها حمد لله ، ثم قال : " الحمد لله منجز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بجهزه ، ومصرف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل الحاقبة للمتقين بفضله ، وأثاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده ، فلا يطاغ ، والذائع على خليفته فلا ينانح ، والأمر بما يشاء ، فلا يراجع ، والحاكم بما يريد ، فلا يدافع ، أعمده على الظفاره وأظفاره وأعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضارها ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض الشرك ، وراعي الإفك الذي أسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى ، وعن به منه الى السموات العلى ، الى سدة الختمى عند جنة النأوى ، إذ يفضى السدرة ما يفضى ، ما زاغ البصر وما طغى " ، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق الى الايمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلحان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أيها الناس ، ابشروا برضوان الله الذي هو الناية القصوى ، والدرجة العليا ، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها الى مقرها من الاسلام ، بعد ابتدائها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وارث يذكر فيها اسمه ، وإمامة الشرك عن دارقه بعد أن امتد عليها رواقه واستشعر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد من فانه بنى عليه ، والتقوى فانه أسس على التقوى من خلفه ، ومن بين يديه ، فهو موطن أبيكم ابراهيم ومسراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تتلون اليها في ابتداء الاسلام ، فهو مقر الانبياء ، ومقر الاولياء ، ومقر الرسل ومهبط الوحي ومنزل تنزل الأمصر والنهي ، وهو في أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه البين ، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي يحدث الله اليه عبده ورسوله ، وكلمته التي ألقاها الى مريم وروحها عيسى الذي شرفه الله برسالته ، وكرمه بنبوته ولم يسزحه عن مرتبة عبوديته ، فقال تعالى " لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله وقال : " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " ، وهو أول القبلتين

وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، لا تمتد الرحال بسد المسجدين الا اليه ، ولا تمتد
الخلاص بحد المولدين إلا عليه ، ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من
سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ، ولا يباريكم في
شرقها مجار ، فلهي لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والوقعات
الهدرية ، والعزومات الصديقية ، والفتوح الحميرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات
الخلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ، والوقعات اليرموكية ، والمغازلات الخيرية ،
والهجمات الخالدية ، فجازاكم الله عن نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) أفضل الجزاء ،
وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تترتم به من مهرباق
الدماء ، وأنايكم الجفة فهي دار السعداء ، فأتدروا رحمكم الله النعمة حق قدرها
وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم
لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتبليت بأنواره وجوه
الذالماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرب عيننا الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم
من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند
الذي تقوم بسيفهم بعد فترة من النبوة أعلام الايمان ، فيوشك أن تكون التهاني به بغير
أهل الخدراء ، أكثر من التهاني به بين أهل النبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره
الله في كتابه ، ونس عليه في خطابه ، فقال تعالى : " سبحان الذي أسرى
بعبيده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى " الذي باركنا حوله . . . أليس
هو البيت الذي عظمه الملوك ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة
المنزلة من إلهكم عز وجل ؟ ، أليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمر على
يوشع لأجله أن تخرب ، وماعد بين خطواتها لمتيسر فتحه ويترقب ؟ أليس هو البيت
الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلا ، وغضب عليهم لأجله
فألقاهم في التيه عقوبة للمصيان ؟ فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قصد منه بنسو
اسرائيل وقد فضله على السالدين ، ووفقكم لما غذل فيه من كان قبلكم من الأمم
الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، وأثامكم بما أمضته كان وقد ، عن سوف وحتى ،
فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لا هميتكم
جند ، وشكركم الملائكة المنزلون على ما أهديتهم الى هذا البيت من طيب التوحيد ، ونشر
التقديس والتحميد ، وما أماتكم عن ذكرهم فيه من أذى الشرك والتثليث ، والاعتقاد
الفاجر الخبيث ، فالآن يستغفر لكم أملاك السموات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات
فاعظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واخبروا بهذه النعمة عندكم ، بتقوى الله التي
من تمسك بها سلم ومن اعتصم بمرورها نجا وعصم ، واعتدوا من اتباع الهوى ،
وبوافقة الردى ، ورجوع الشهري ، والنكول عن الهدى ، وغدوا في انتهاز الفرصة ،
وأزالة ما بقي من الفضة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، ويمموا - جاد الله -
أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وأياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم
الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيفكم الحداد ، وفيقولكم الجهاد ، وجادلكم

في مواطن الجلال ، لا والله ما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم ، واعتدوا عباد الله بحمد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والفتح الجزيل ، وخصكم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيدكم بحبله المتين ، أن تقترفوا كبيرا من مناصبه ، وأن تأتوا عظيما من محاسنهم فتكونوا كالتي نقبت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاوتين ، والجهاد الجهاد فهو أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا نسي حسم الداء ، وقلع شأفة الأعداء ، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله ، واقتلوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد ناءت الأيام بالثارات الإسلامية ، والملة المحمدية ، الله أكبر فتح ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفر ، وأعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتبهوها ، وفرصة فتابزوها ، ومهجة فأنجزوها لها همكم ، وأبرزوها ، وسيروا اليها عزما تكم وجهزوها ، فالأمور بأواخيرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أثاركم الله بهذا العدو المخدول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أشع في قبالة الواحد منهم منكم عشرون ؟ ، وقد قال الله تعالى : " إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائة " ، أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده ، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده (١)

عقد ابن الزكي مقارنة بين حال المسلمين وحال الفرنج المشركين ، ثم قاده ذلك إلى الحديث عن الشلفاء الراشدين والقادة المسلمين ، لما قدموه من نصرة لهذا الدين ثم بين فضائل المسجد الأقصى ، وارتباطه بالدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي ، ونهسى عن المدوان والبدار ، وجتهد على متابعة الفتوح وإزالة الكيان الخريب .

هذه أفكار الخطبة أما بنائها فقد ابتدأت بالحمد والثناء ثم الشهاداتتين ثم الموضوع والخاتمة . . .

وأما مادتها فهي مأخوذة من التاريخ الإسلامي ، مثل إشارته إلى أعمال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد بن الوليد ، والمعارك التي جرت من أجل اعتزاز الإسلام مثل القادسية واليرموك وموقعة خيبر ، ومن التاريخ أيضا قصة الأسراء والمصراع وقصة موسى ودخوله الأرض المقدسة ، وعيسى وموشع عليهم السلام . . . وهي معتمدة على القرآن والحديث . ولهذا كثرت الصور الدينية في الخطبة كثرة لافتة .

وتتميز الخطبة بكثرة الاقتباس الحرفي والمسنوي ، فمن الاقتباس الحرفي ، قوله : " لم يولد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (٢) و " عندنا جنة المأوى ، إذ ينشئ السدرة ما ينشئ ، ما زاغ البصر وما طغى " (٣) و " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله " (٤) و " لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم " (٥) و " سبعتان الذي أسرى

(١) الروضتين ١١٠/٢ - ١١١ (٢) سورة الاخلاص ٣ - ٤

(٣) سورة النجم ١٧ (٤) سورة النساء ١٧٢

(٥) سورة المائدة ٧٢

بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " (١) و " إن يكن
منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين " (٢) و " إن ينصركم الله فلا غالب لكم " وإن
يخذ لكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده " (٣) .

ومن الاقتباس المصنوي " وإن لم يخل أحيانا من اقتباس حرفي جزئي " قوله :
" وأظهر دينه على كل دين " القاهر فوق عباده فلا يمانع والأمر بما يشاء فلا يراجع ،
والحاكم بما يريد فلا يدافع . . . راحض الأفك الذي أسرى به من المسجد الحرام
الى المسجد الأقصى " وعرج به منه الى السموات العلوى . . . وتظهر هذا الهيئت
الذى أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه . . . بيوموا أنفسهم في رضاء . . . وجاعدوا
في الله حق جهاده . . . والله ما النصر إلا من عند الله . . . فتكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة أنكاثا . . . والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعهم الشيطان
فكان من الخاوين .

وأما تضمينه للأحاديث فيظهر في قوله : وهو أولى القبلتين " وثاني المسجدين
وثالث الحرمين " لا تشد الرجال بعد المسجدين إلا إليه . . . الأمور بأواخرها . . .
ومن تضمينه لقول علي ابن أبي طالب : الجهاد الجهاد " فهو أفضل عبادتكم . . .
كما يتضح في هذه الخطبة السجج وأنواع البديع الأخرى . أما السجج
فهو متشبه في الخطبة جميعها " ولقيمة في الأداء " إذ يكسب الخطبة إيقاعا مؤثرا
لا سيما أن الجمل قصيرة " حارة انفعالية " توحى بالحركة " وأما أنواع البديع
الأخرى فمنها الطباق " ومنه : ممزج الاسلام - مذل الشرك " مصرف الأمور -
مديم النعم " باطن سره - ظاهر جهاره " رافع الشك - داحض الشرك . . .
والجناس ومن أمثلته : الشك - الشرك " واستود هذه الضالة (القدس) مسنن
الامة الضالة (الفرنج) " مجار - مجار .

ومن السمات الثنية التكرار والاطناب " إذ إن أفكار الخطبة محسودودة "
ولكنه كررها بمصور مختلفة " ومثال ذلك ما ذكره من نسم الله على الانسان السليم "
فقال : ممزج الاسلام بنصره " ومذل الشرك بقهره . . . ومديم النعم للمتقين بشكره "
ومستدرج الكافرين بحكره " الذي قدر الايام دولا بعدله " وجعل العاقبة للمتقين
بغضله " وأفاء على عباده من ناله " وأظهر دينه على الدين كله . . . السنج .

(١) سورة الأسراء آية ١

(٢) سورة الأنفال آية ٦٥

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٠

فهي صور متعددة لمعنى واحد . . . ومثال آخر تجده في بيان فضائل المسجد
الاقصى والقدس . . .

وأخيرا يحس المرء بحرارة العاطفة وصدقها ، وتدققها ، وهي عاطفة شخصية
جماعية في آن واحد ، تمبر عن شموخ الخطيب ومشاعر المسلمين المحتشدين في
ساحة المسجد الاقصى بعد تسمين عاما من الاحتلال . كما تبهر عن لهفة الناس لرؤية
القدس والمسجد الاقصى ، وعن نشوة النصر والفرح ، ولكل ذلك أطيب الخطيب وكسر
القول . ثم دعا المسلمين الى تجديد تصوهم ومشاعرهم وطاقاتهم فيما يرضي الله ،
ويستكمل الفتح ، وينهي الوجود الغريب في البلاد ، يقول : والجهاد الجهاد ،
فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، أنصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله
يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حسم الداء ، وقطع شاة الاعضاء ،
وطهروا بقية الارض التي اغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر ، واجتثسوا
أصوله . . .

* * *

ومن الخطب التي وعلتنا ، خطبة صلاح الدين في الجند اثناء حصار الفرنج
لمدينة عكا ، يقول : " بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اعلموا
ان هذا عدو الله وعدونا ، قد وطئ أرض الاسلام ، وقد لاحت لواحق النصر عليه ان
شاء الله تعالى ، وقد بقي من هذا الجمع اليسير ، ولا بد من الاعتماد بقلوبهم
والله قد أوجب علينا ذلك ، وأنتم تعلمون ان هذه مساكننا ليس وراءنا نجدة ننزلها
سوى الملك المادل ، وهو واصل ، وهذا العدو ان بقي وطال أمره الى أن ينفثسج
البحر جاءه مدد عظيم ، والرأي كل الرأي عدي ، مناجزته ، فليظهرنا كل منكم بما عنده
في ذلك " (١) .

يتضح من الخطبة أنها قيلت في أرض المعركة ، ولذلك جاء تقصيرة جسيما
بميدة عن التكلف والتصنع والإطالة والتكرار ، فهي تدور حول موضوع واحد هو استشارة
القوم في القتال بناء على الواقع الذي كان ماثلا أمامهم ، وقد حاول أن يقتسمهم بمسا
يرى دونها مهالمة ، وانما بتصوير الخطر ، وبيان واجب الانسان المسلم ازاءه ، وایضاح
ما يقتضيه الموقف العسكري .

كثرت الكتابة في موثيق الهدن ، والمواثيق السياسية ، لا سيما بعد رجحان كفة المسلمين . وقد تقبل الفرنج الهدن ترقيا لوصول نجدات من أوروبا ، وتقبلها المسلمون للتصدي للخطر المخولي القادم من الشرق ، وأول معالجة المشاكل الداخلية ، ولهذا فقد اعتبروها ذات فائدة لهم .

أما النص المتعلق بالهدنة فقد كان كما يلي : القسم على الوفاء بما تضمنته الهدنة ، وطريقة القسم عند الفرنج تكون بأن يحلف مقدمهم بالله ، والصيغ والتسليم والأقنيم الثلاثة والأنجيل . . . ثلاث مرات على كل قسم به ، وطريقة القسم عند المسلمين تكون بأن يحلف السلطان أو نائبه بالله ثلاث مرات (١) .

ثم يحدد المقسم عليه ، وهو موعود الهدنة ، وفيه تفصيلات كثيرة جسدية ، تشمل مدة الهدنة والأماكن الواقعة ضمن الهدنة ، والأشياء المتفق عليها ، لا سيما في معاملة التجار والفلاحين (٢) .

ثم تنتهي بالحقوق التي يلزمها كل لنفسه إن خالف ما جاء في الهدنة . . . وهي لهذا ذات قيمة تاريخية واجتماعية وأدبية وسياسية ، بما تقدمه من معلومات عن الطرفين .

وقد فرضت كثرة التفاصيل على الهدنة ، أن تكون طويلة مفصلة ، ومثال ذلك ، الهدنة بين الدلاغر بيرس وسيت الاستار سنة ٦٦٩ هـ ومنها : -

" استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيرس ، قسيم أمير الدولة ، وولده الملك السعيد ناصر الدين خليل ، وبين المباشر المقسم الجليل أفرز أولد كال مقدم جمع بيت استار سرجوان ، بالبلاد الساحلية ، ومسيحين جميع الأخوة الاستارية ، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات و عشرة أشهر أولها مستهل رمضان سنة تسع وستين وستمئة للهجرة النبوية المحمدية ، الموافق للثامن عشر من نيسان سنة ألف وخمسمائة واثنين وثمانين للأستدر بن فيلهن اليوناني على أن تكون قلعة لد بكاملها ورضها وأعمالها ، وما هو منسوب إليها ومحسوب منها بحدودها المعروفة بها من تقادم الزمان ، وما استقر لها الآن ، وما يتعلق بذلك : من المواضع والمصايد ، والملاحات ، والبساتين ، والمصاير ، والطواحين ، والجزائر : سهلها وجبلها وعادتها ودائرها ، وما يجري بها من أنهار ، وينبع منها من عيون ،

(١) انظر صبح الأعي ٣١٢/١٣ - ٣١٣

(٢) المصدر السابق ٢٨/١٤ - ٦٢

وما هو مبني بها من عمارات ، وما استجد بها من الشراخ وغير ذلك ، وكل ما عمر فمسي
أراضي المناصيفات على دورها وانهارها ، وما يحدود ذلك من نهري بركة الى جهنمة
البحال ، وما استقر لبلده من هذه الجهات الى آخر الايام الناصرية من التمسددود
المعروفة بها والمستقرة لها ، وحصن برغين وما ينسب الى ذلك من البلاد والضواحي
والقرى التي كانت مناصفة - تكون جميع بلده وهذه الجهات خاصا الى آخر الزائيد
للملك الظاهر ، ولا يكون له بيت الاستبار ولا للمرقب فيها حق ولا طالب بوجسه ،
ولا سبب الا حين انقضاء مدة الهدنة وما بعدها الى آخر الرائد ، ولا لاحد من جميع
الفرنجية فيها تعلق ولا طالب بوجه ولا سبب .

وكذلك مهما كان مناصفة ، كقلعة المليقة في بلادها لبيت الاستبار ، يكون ذلك
جميعه للديوان المعمور والخامس الشريف ، ولا يكون للمرقب فيها شيء ولا لبيت
الاستبار .

وكذلك كل ما هو في بلاد الدعوة المباركة جميعها وقلاعها من القرى - لا تكون
فيها مناصفة لبيت الاستبار ولا للمرقب ، ولا حق ، ولا رسم ، ولا شرا ، ولا طالب
في جميع بلاد الدعوة : مصيف المحروسة ، والكهف والمنقة ، والقدموس ،
والخوابي ، والرصافة ، والمليقة ، وكل ما هو في هذه القلاع وفي بلادها من مناصفة
يكون ذلك خاصا للملك الظاهر ، وليس لبيت الاستبار ولا الفرنجية فيه عديس ،
ولا طالب . . . (١) .

ونسب الهدنة طويل جدا يقع في تسع صفحات من القلح الكبير ، لأنهم
تميل الى التفصيل والتحديد الدقيق للمعاني ، شأن النصوص السياسية ، لا سيما
تلك التي يكون الطرف الآخر فيها أعجميا ، وهي من ذلك لا تتكرر فيها المعاني ،
لأن التكرار غير التثصيل . .

وواضح أن لغتها سهلة بعيدة عن السجع وأنواع البديع الأخرى ، فهي تقرر
الحقائق ، وتوصي بتنفيذ المقررات ، دون إثارة أو تعريض أو تصوير فني ، ولذلك فهي
ذات قيمة تاريخية وسياسية واجتماعية قبل أن تكون ذات قيمة فنية .

(١) صبح الأعشى ١٤ / ٤٢ - ٤٤
* للمزيد من الهدن انظر ج ١٤ / ٣٣ وج ١٢ / ٣٦٧ وتشريف الأيام والعصور
ص ٣٤ ، ٩٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٦٨

وقد تصل البساطة في نصوص الهدن الى حد استعمال التعابير المحكيـسة
مثل ما جاء في هذه الهدنة من أن "الدار المستجدة عمارتها بقلعة الرقب برسم
المستر المقدم الكبير" الذي هو عايز تكميل عمارة سقف القبو بالحجارة والكلمـس
لا تكمل (١) .

هذا ، وقد ذكر القلقشندي ثلاثة مذاهب لبداية الهدن : أولها أن تفتح
بلفظ : هذه هدنة أو نحو ذلك (٢) ، وثانيها : أن تفتح بلفظ استقرت الهدنة
بين فلان وفلان (٣) ، وثالثها : أن تفتح بعبارة مبتدأة
بالحمد لله (٤) .

كما بين شروط الهدنة عامة ، من خلال استقراءه لعدد كبير منها في الجـمـع
الرايع عشر من شهر الاغشـى ، فذكر أن يكون عاقدتها الامام أو نائبه العام ، وأن تكون
في مصلحة المسلمين ، وأن لا يكون فيها شرط يأباه الاسلام ، وأما مدتها فهـمـي
تتراوح ما بين أربعة أشهر وعشر سنين (٥) .

-
- (١) صحح الاغشـى ٥٠ / ١٤
(٢) المصدر السابق ٢٩ / ١٤
(٣) المصدر السابق ٣١ / ١٤
(٤) المصدر السابق ٧١ / ١٤
(٥) المصدر السابق ٧ / ١٤ - ٨

ثانيا : موازنة عامة بين الشعر والنثر :

اشترك الشعر والنثر في تسجيل الأحداث خلال فترة الحروب الصليبية ، ولكنهما اختلفا في الطريقة تناول الأحداث من حيث واقعيتهما و طريقة عرضهما ، وتأثيرهما والتفاصيل محبها .

ونعرض فيما يلي نسوجا ثلاثة اشتركت في تسجيل معركة حطين وفتح طبرية ، لنقف على الفروق بينها .

١ . يقول ابن الساعاتي مخاطبا صلاح الدين :

جلت عزماتك الفتح الصينـ	فقد قوت عيون العوـ
رددت أخيدة الاسلام احـ	صدا صرف القناء بها ضمينـ
وعان بك الصليب وكان قدـ	يمر على السوالي أن يهـ
يقاتل كل ذي ملك ريسـ	وأنت فقاتل الأعداء دينـ
عدت في وجنة الايام خسـ	وفي جند الحلا عقدا شمينـ
نبا لله كم سررت قلوبـ	ويا لله كم أبكت عيونـ
وما طبرية الا حسبيـ	ترفع عن أكف اللامسينـ
حصان الذيل لم تقذف بسـ	وسل عنها الليالي والسـ
فصمت ختامها قسرا ومنـ	لصد الليث أن يلج السـ
لقد أندحتنا هم العوالـ	فكان نتائجها الحرب الزـ
هناك ندى أشبل الأرض طـ	سواك ، ومقتل أعيـ
قست حتى رأيت كفة أفلاـ	وغاية كل قاس أن يـ
قضيت فرقة الاسلام منـ	وسدقت الأمانى والدائـ
تهز محاطة القد ، ابتـ	وترضى عنك مكة والـ
فلو أن الجهاد يدائق نداقـ	لنارتك أد غلونا آمينـ
جملت سباح آبلها ظلامـ	وأبدلت الزئير بها أنـ
تخال حماة هوزتها نسـ	يخوشون الحديد مقنـ
لهيبك في جماجمهم غـ	لذيذ ، علم الطير الحـ
تحيل الى الحثقة العوالـ	فهل أمست رماحا أم غـ
يكاد النقع يذهلها فلـ	بروق القاضيات كما هـ
فكم حازت تدود قنـ	قدودا كالقنا لونا ولـ
وغمد كالجادر أنسـ	كفهد نداء أبكارا وعـ
ولما باكرتها منك نمـ	بنان تفصح الشيث الهـ
أعدت بها الليالي وعـ	وقد كانت بها الأيام جـ

أخو سغب ولا ماء مميننا
 طهي تشفى بها الداء المدفينا
 سهاد يفتح العوض الجفوننا
 اليك وألحق الهام المتوننا
 سطاك لكان مكتتها عزينا (١)

فليس بمدام مرعى خصينا
 فلا عدم الشام وساكننا
 سهاد جفوننا في كل فينا
 فالهم بالسواحل فهي صور
 فقلب القدس سرور ولسولا

ب. وكتب الحداد إلى الديوان بذلك الفتح رسالة ، وقد وردت مع الرمائيل
 الديوانية فيرجح اليها (٢) .

ج. وكتب ابن شداد في وصف معركة حطين ما يلي : " وكانت في يوم السبت
 الرابع والعشرين من ربيع الآخر من شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسة ، وذلك
 أن السلطان رأى أن نعمة الله عليه باستقرار قدمه في الملك وتمكين الله إياه
 في البلاد ، وانقياد الناس لطاعته ، ولزومهم قانون خدمته ليس لها شكر سوى
 الاشتغال ببذل الجهد والاجتهاد في إقامة قانون الجهاد ، فسير إلى سائر
 العساكر واستعصرها ، واجتمعوا إليه بعشرا ، في التاريخ المذكور
 وعرضهم ورتبهم ، واندفع قاصدا نحو بلاد العدو المخدول في وسط نهار الجمعة
 سابع عشر من ربيع الآخر ، وكان أبدا يقصد بوقعاته الجمل سيما أوقات صلاة
 الجمعة ، تبركا بدعاء الشباب على الدابر ، فرحبا كانت أقرب إلى الإجابة .

فسار في ذلك الوقت على تشبيه الحرب ، وكان بلنعة أن العدو لما بلغهم أنه قد
 جمع العساكر اجتمعوا بأسرهم في مرج صغيرة بأرض مكة ، فقتلوا نحو المئتين
 منهم ، فسار ونزل من يومه على بحيرة طبرية عند قرية تسمى العنبره ، ورجل
 من هناك ، ونزل غربي طبرية على سطح الجبل بتشبيه الحرب فتنازلا أن الآخر
 إذا بلغهم ذلك قصدوه ، فلم يشتركوا من منزلهم .

وكان نزوله في هذه المنزلة يوم الاربعاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر
 المذكور ، فلما رأى أن لا يتحركون نزل جريدة على طبرية ، وترك الاطلاب بحالها
 قبالة وجهة العدو ، ونازل طبرية ، وزحف عليها فهاجمها ، وأخذ بها في ساعة
 من نهار ، وامدت الأيدي اليها بالنهب والاسر والحريق والقتل واجتمعت
 القلعة وحدها .

(١) الروشتين ٨٤/٢ - ٨٥

(٢) انذار الروشتين ٨٩/٢ وصبح الأعشى ١٢/٦

ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية لم يأخذهم الصبر دون إجابة الحماسة ، فرحلوا من وقتهم وساعتهم ، وقصدوا طبرية للدفع عنها ، فأخبرت الطلائع الإسلامية الامراء بحركة الفرنج ، فسيروا الى السلطان من عرفه ذلك ، فترك على طبرية من يحفظ قلعتها ، ولحق المسكر هو ومن معه ، فالتقى المسكران على سطح جبل طبرية الفرسى فيها ، وذلك في أواخر الخميس الثاني والعشرين .

وحال الليل بين الثنتين فتبايتا على مصاف شاكين في السلاح الى صبيحة جمعة الجمعة . في الثالث والعشرين ، فركب المسكران وتصادما ، وعلمت الجالسية ، وتحركت الاضلاع والتعم القتال ، واشتد الامر ، وذلك بأرض قرية تسمى اللوليا ، وفاق الخناق بالقوم ، وهذا وهم سائرون كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ، وقد أيقنوا بالوئسل والثبور ، وأحست أنفسهم أنهم في غد زوار القبر .

ولم يزل الحرب يلتصم ، والفارس مع قرنه يضاد ، حتى لم يبق الا الدافسر ووثق الهال على من كفر ، فحال بينهما الليل وظلامه ، وجرت في ذلك اليوم من الوثائق الحظيعة ، والامور الجسيمة ، ما لم يحكم عن تقدم ، مات كل فريق في ساحه ، ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أقعده التعب عن النهوض ، وشغلته نصب عن الجهور ففسلا عن الركوب .

حتى كان صباح السبت الذي يورك فيه فطلب كل من الفريقين مقامه ، وعلمت كل طائفة ان الكسورة منهما مدحورة الجنس مدومة النفس ، وتحقق المسلمون أن من هراهم الاردن ، ومن بين أيديهم بلاد القوم ، وأن لا ينجيهم الا الله تعالى .

وكان الله قد قدر نصر الدومنيين ويسره ، وأجراه على وفق ما قدره ، فحطمت الاطاب الإسلامية من الجوانب ، وحمل القلب ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، فالتقى الله الرعب في قلوب الكافرين : " وكان حقا علينا نصر الدومنيين " .

وكان القوم ذكي القسوم والمصهم ، فرأى أمارات الخذلان قد نزلت بأهلهم دينه ، ولم يشغلهم ظن محاسنة جنسه عن نفسه ، فهرب في أوائل الامر قبل اشتداده وأخذ طريقه نحو صور ، وتبعه جماعة من المسلمين ، فتجا وحده ، وأمن الاسلام كيده ، واحتاط أهل الاسلام بأهل الكفر والاطغيان من كل جانب ، وألقوا عليهم المنهات ، وعاملوهم بالصفاح ، وانهمزمت منهم طائفة ، فتبعها ابدال المسلمين ، فلم ينج منهم واحد ، واعتنمت الطائفة الأخرى بقتل يقال له بل عطين ، وهي قرية عنده وعند القبر شبيب عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الانبياء ، فتبايقهم المسلمون على القتل ، وأشعلوا حواليتهم النيران ، وقتلهم المحطس ، وفاق بهم الامر ، حتى كانوا يستسلمون لأنفسهم خوفا من القتل ، فأسر مقدموهم ، وقتل الباقون وأسروا وكان فيمن سلم وأسر من مقدميهم الملك جفرى ، والبرنس أرناط ، وأخو الملك ، والبرنس ، وهو صاحب الشوك ، وابن

الهنفسي ، وابن صاحبة طبرية ، ومقدم الداوية ، وصاحب جبيل ، ومقدم
الاستبار (١) .

* * *

يقدم النص الشعري تصورا عاطفيا شموليا للحادثة دون الدخول في الجزئيات
أو التفاصيل ، وهذا التصور جاء مبتزجا بشعور الفرح عند المسلمين وشعور الشماتة بالفرنج
كما يبدو في الأبيات التالية :

فلو أن الجهاد يطبق نطقا	لنارتك ادخلوها آمين
جعلت صباح أهلها ظامئا	وأبدلت الزفير بها أنين
تغال حماة عورتها نسبا	يخوضون الحديد مقتعين
لبيطك في جماعهم غشا	لذيذ ، علم الدليل الخنين
تميل الى المثقة السوالسي	فهل أمست رماحا أمهنون

ثم يذكر الشاعر ما عازه المسلمون من غنائم ، وكان قد أعلن عن النتيجة في بداية
القصيدة بقوله :

جعلت عزما تات الفتح المبين	فقد تريت عيون المؤمنين
رددت أخيدة الأسانم لسا	غدا صرف القضا بها شمين

وهذا يدل على أن الشاعر لم يلتزم بالتسلسل المتناهي للحادثة ، ولم يذكر
تفاصيل ما حدث فعلا ، وإنما ذكر ما هم شعوره وشعور المسلمين ، بينما تسلسل النشر
في سرد قصة المعركة ، وإن يتعدت الحداد عن المعركة ، فإنه يبدأ بالحديث عن فتح
الهيبة ، وهذا تاريخ الفتح ، ثم يتابع حديثه عن الأحداث المترتبة :

ويورد الهنسي بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر
الى يوم الخميس منسلخه ، وذلك سبع ليال ، وثمانية أيام حصوما ، فترى القوم فيهم
صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وإذا رأيت ثم رأيت البلاد على عروشها خالية ، ورأيتها
الى الاسلام ضاحكة ، كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت طبرية ،
ويوم الجمعة والسبت نزل الفرنج فكسروا الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة ، وأخذ الله
أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة ، وفي يوم الخميس منسلخ الشهر
فتحت عكا

وبالإضافة الى التسلسل التاريخي ، يدخل الكاتب في بعض التفاصيل ضمن
الحادثة ، إذ يذكر ما جرى من حوادث خلال اسبوع : ففي الخميس الأول سقطت طبرية

وفي يومي الجمعة والسبت نوزل الفرنج في حقلين ، وصدها سارت الجيوش الى عكا
وفتحها ، ثم يجمل البلاد المفتوحة ويصحبها فيقول : " والبلاد والمقاتل التي فتحت
هي : هامة ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، معليا ، الفولة
الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كبيرة . . . " ولم نجد مثل هذا التفصيل في الشعر .

ويمكننا ملاحظة هذه التفاصيل ، وهذا التسلسل المنطقي في وصف ابن شداد
فهو يتدرج مع الأحداث زما ومكانا ، وينقل جزئيات دقيقة ، لأن النثر يتحمل ذلك ، لما
يهدف اليه من تقديم الوقائع والعقائق بشكل تقريرى مباشر ، يقول : فسار في ذلك
الوقت على تعبئة العرب ، وكان بلغه أن العدو لما بلغهم أنه قد جمع الحساكر اجتمعوا
بأسرهم في منى صفورية بأرض عكا ، فقصدها نحو المصاف ، معهم ، فسار ونزل من يومه
على هامة ، عند قرية تسمى الصنبرة ، ورحل من هناك . ونزل غربي هامة على سلاج
الجهل بتعبئة الحرب ، منتظرا أن الفرنج ، اذا بلغتهم ذلك قصدوه ، فلم يتحركوا
من منزلهم

فالتصيدة الشعرية لم تلتزم بعرض العقائق ولا ترتيبها ، كما لم تقدم عن مجريات
الأحداث الا النزول اليسير ، ثم أن ذكر النتيجة في بداية القصيدة والعود الى الخديث
عنها مرة أخرى في مكان آخر من القصيدة ، لا يتسق مع التطورات الطبيعية للأحداث
ولا غرابة في ذلك ، لأن الشعر إنما يتصل أولا وقبل كل شيء بالحالة النفسية للشاعر ،
الذي يختار أن يسلط الضوء على مشاهد معينة مفتاة ، دون أن يلزم نفسه
بقيود الواقع .

وكثيرا ما يفقاد الشاعر الى المبالغة ، وهو يعرض مادته الشعرية ، نتيجة تفاعل
قوى مع مادته الشعرية ، وهو تفاعل كثيرا ما يؤدي الى التعميمات غير المنهجية
بضوابط الواقع .

أما النثر ، فعنالها ما يلتزم بعرض العقائق ، كما يلتزم بالتسلسل المنطقي
وقد يشفي كتاب معينون ألوانا خاصة على ما يكتبون ، كما فعل الحماد في رسالته
... وقد تكون هذه الألوان هادئة غير صاخبة ، كما في وصف ابن شداد ، وديهمي
أن العرض الواقعي للعقائق يحتاج الى هدوء عقلي يتمثل في نثر الناصر ، أكثر من
تمثله في شعر الشاعر ، الذي يقيم عادة علاقات غير عادية بين الكلمات ، من أجل الإيحاء
والتأثير ، وكلا الإيحاء والتأثير محتاج الى الصور ، ولذا كانت الصور غصرا بارزا في
الشعر ، في حين أنها تقل عادة في النثر ، الا ما كان منه نثرا فنيا ، يقترب في أسلوبه
والهيئة التي يتصلح بها الشعر كما هي الحال في أكثر نصوص الحماد النثرية فسي
النتج القصي

وقد يكون من المفيد أن نقارن بين الصور التي وردت في النصوص الثلاثة
 آنفة الذكر . فقد صور ابن الساعاتي طبرية بالمرأة السبية التي جاهد صلاح الدين من
 أجل تحريرها . . . ، وصورها بأنها خال جميل في وجنة الايام ، ولذلك فهي تستحق
 الجهد الكبير الذي بذله ، ومثلها بالحدق الثمين في جيد الحلى ، وهذا يغري
 البطل بأن يتحمل المشاق من أجلها ، ومثلها بالمرأة الحصان التي تترفع عن أكساف
 اللامسين ، وتبتعد عن قالة السوء ، ومع هذه الصفات فقد تكن صلاح الدين منها ،
 لأنها بعد أن صدت وتصدت رأت أن صلاح الدين ليس بكنيرة من الرجال ،
 فألنت له ورحبت به . ثم صور الأماكن الإسلامية المقدسة مشاركة في فرحة المدينة
 وفرحة المسلمين ، وصور الفرنج داخل للمدينة وخارجها في حالة حيرة وعجز ،
 إذ هم لا يملكون الشجاعة الكافية للدفاع عنها بل هم نساء يلبسون ما يلبسه رجال
 الحرب . . . كما قدم صوراً للمعركة بها فيها من غار وسهام ، وجثث وداير . . . تتحفر
 لأكل القتلى . . . ثم صور السبايا الفرنجيات ، وصور الارتياح عند المسلمين بعد
 خلاصهم من احتلال طلال أمده .

أما المحاد فقد صور انتصار الاسلام على الكفر الذي رد ما عنده ، كما صور
 جثث القتلى ، والبلاد الخالية . ثم تحدث عن تقدم الجيش الاسلامي في البلاد ،
 وثققت الفرنج أمامه . وفي هذه الصور تسجيل لحواطف الفرح والتشفي بالمحتسبل ،
 وقد جاءت هذه الصور في حوالي ثلاثة وعشرين سطرًا .

وأما ابن شداد فقد عرض حقائق مفصلة ، فابتدأ بحركة الجيش الاسلامي نحو
 طبرية ، وحركة الفرنج في من صفورية ، ثم تقدمهم نحو طبرية بعد استعادة المسلمين
 للمدينة ، ثم وصف بداية المعركة بين الطرفين إلى أن عجز بينهم الليل ، ثم الصودة
 إلى القتال صبيحة اليوم التالي ، ثم تباشير النصر ، إلى أن ضرب أمير أرابكين وتمشتت
 شمل الباقيين ، ووقعوا بين أسير وقتيل . . .

ويلاحظ أن الانفعالات التي يثيرها هذا الوصف ، إنما هي وليدة الوئاع والاحداث ، وليست وليدة الزخرف البهائي أو الصور اللغزية الخيرة .

لما كان من الصعب دراسة جميع النصوص الشعرية والنثرية في فترة الحروب الصليبية لتتبعها ، وكثرتها ، ولطول الفترة التي ترتبها بها هذه النصوص ، فقد اخترت قسمة محددة ، رغبت في أن أدوسها من خلال الأدب ، وتلك هي " صورة الصليبيين في الأدب العربي " .

وقد احتوت الدراسة على إطار تاريخي للحروب الصليبية تبين من خلاله أن هذه الحروب كانت صورة أخرى على نطاق واسع للحروب المسلمين مع بيزنطة في الشرق ومع الأسبان في الغرب ، فضلاً عن كونها تحقيقاً لطماع أوروبية في السيطرة على منطقة ذات أهمية دينية وتاريخية واقتصادية ، ولهذا تتبعت مسيرة الحركة الصليبية من أوروبا إلى الشرق الإسلامي ، وبينت الحوافز التي كانت تدفعهم للتمار والصلابة ، والحوامل التي ساعدتهم على تثبيت أقدامهم في المشرق الإسلامي ، حتى اتحدت مصر والشام تحت قيادة قوية واحدة أنزلت بهم هزيمة ساحقة .

ولدى استقراء المادة الأدبية من شعر ونثر ، ظهرت عدة أنواع من الصراع أهمها : الصراع الديني ، وقد تجلى فيه تصك الطرفين بمعتقداتهم الدينية ، فالفرنج ، اتخذوا الصليب شعاراً لهم ، في حياتهم اليومية والحربية ولكنهم مع هذا الشعار الديني كانوا قساة غلاظاً ، وقد فصل غلاتهم إلى حد الوحشية فلا يرون عهداً ولا ذمة . . . على النقيض من المسلمين الذين أظهرتهم النصيب الأدبية - في معرض المقارنة بينهم وبين الفرنج - بأنهم يحافظون على الشهود ، ويعطون عند القدرة ولا يبالغون في الانتقام .

وفي إطار الصراع الحضاري ، وصف الأدب الفرنج بأنهم متأخرون في علومهم ، وفي طرائق تعاملهم في شؤون القضاء والقانون ، ولكنهم متقدمون في شؤون الحرب ، من اختراع وتطويع أدوات القتال الهجومية والدفاعية . وقد تدم الأدب صورة مفصلة للصراع العسكري ، حين عرض علينا وصفاً دقيقاً للجيش الصليبي من حيث تكوينه ، وأعداداته وأسلحته ، وخطاه الحربية ، كما سلك الأنواء على حصون الفرنج وقلاعهم . وبين الأدباء من خلال الشعر والنثر أن الفرنج إنما كانوا يستمدون مقومات وجودهم من المدد الذي كان يأتيهم من وراء البحار ، ومن فرقة المسلمين وعدم اجتماع كلمتهم .

ومن ناحية أخرى ، قدم الأدب العربي صورة لهؤلاء الطارئين ، خلال الهدن وتوقف القتال ، فصورهم في أوقات السلم يرحلون ويلبسون ، وينرسون الأرض ، ويبتغون ، ويستقبلون القوافل ويقتربون ، تصح بهم الشوارع والأزقة . . . ويعيشون في بلاد الشرق ، حياة تتناقض في طبيعتها كثيراً مع حياة السكان الأصليين .

وقد حرمي الادباء وهم يقدمون صورة بغيضة للمسلمين ، على أن يعرضوا
الاحتكام والقادة بأسرارهم ويستثيروا عواطفهم بكل وسيلة ، لتخليص البلاد من الوجود
المسلم في المشرق الاسلامي .

والدراسة الاستقصائية أو شبه الاستقصائية للنصوص الادبية التي كتبت خلال
هذه الفترة وما وصل إلينا بالفعل ، تكشف عن غزارة في الانتاج الادبي خلال القرن
الاول من النضو الإسلامي ، وربما كان من عوامل هذه الزيادة ، ظهور شخصيات فذة
خلال القرن المذكور ، في ميادين الحرب والسياسة والادارة ورعاية الادب ، أمثال
نور الدين زنكي وصلاح الدين ، ومنهم ابنك . وقد يضاف الى ذلك شدة التحدى
والصراع خلال القرن الاول من الصراع ، ولا يخفى أثر الزخم الادبي القوي المنحدر
من نتائج القرن الرابع الهجري السابق للقرن الذي ابتدأت فيه الحروب الصليبية .

وأما الاداء الفني في نصوص الشعر فقد كان الى حد ما امتدادا لتأثيره
في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين ، فهو يجمع بين التقليد
والاتباع من ناحية ، وبين التجديد في اخراج النثر من ناحية أخرى ، ويظهر ذلك
في شكل القصيدة ومدحونها إذ وجدنا مصالمة القصائد تنهج نهج الشعر القديم في
الاستهلاكية والصور والافكار ، في حين يخرج بعضها عن النهج المعتاد ، وخاصة
في المقدمة وفي البناء المصاني ثوبا زخرفيا بغية اخراجها في قالب دافق جديد .

وقد لوحظ أن البديع سمة فنية بالذات في شعر هذه الفترة ولكنها لم تكن
بالناطقة الطارئة في القرن الخامس الهجري ، إذ هي قد وجدت قبل ذلك ، ولكنها
برزت بروزا قويا في هذه الفترة حتى بلغت حد الافراط عند بعض الشعراء .

وأما الاداء الفني في نصوص النثر ، فقد اتسم كذلك بالسمعة الزخرفية ،
لا سيما في الكتب الادبية المصنفة ، أما الكتب التي تجمع بين الادب والتاريخ
فقد تراوحت حسب اتجاهات المؤلف الادبية بين زخرف ادبي مفرط ، وبين اعتدال
في هذا الزخرف ، قد يصل أحيانا الى حد التغلغل فيه .

هذا ، وقد تورنت رسائل القاضي الفاضل برسائل النقاد الاتصهاني
ورسائل ابن الاثير ، تبين أنه لا يوجد فرق واضح بين رسائل الكتاب الثلاثة ،
مما يجعل الحق يتشكك في قول من رأوا أن للقاضي الفاضل مدرسة أدبية خاصة به
تتميز بسمات فنية معينة .

ولدى الموازنة بين الشعر والنثر العربيين بالوجود الإسلامي في المشرق
الاسلامي ، لوحظ اختلاف متوق في طرائق التعبير عن الموضوع الواحد ،

من حيث كثيثة التناول والجمالجة ، ومن حيث الأسلوب الأدبي كذلك ، فالشعر كلما يلتزم بالتسلسل المتناهي ، وسرد الحقائق المجردة ، وكلما يحتفل بالتفصيل والتفصيل ، وإنما يصف الحركة النفسية للشاعر ، واصداء الأحداث في نفوس أبناء مجتمعاته ، وقد يحد في تصوير ذلك كله إلى الجأفة لأحداث تأثيرات معينة ، واستثارة السواك ، كما يلجأ إلى تلوين الوقائع بلون معين ، تتبين فيه ذات الشاعر .

أما التشرافان يقدم أول ما يقدم الوقائع والأحداث في إطار الحقيقة ، ويصعد إلى التسلسل والتفصيل ، وما كان فيه من إثارة ، إنما يحتد بالدرجة الأولى على مجريات الأحداث نفسها . على أن النجوة بين الشعر والنثر ، قد تشق أحيانا إلى حد كبير ، في نثر المتأدبين الذين تطلق النزعة الفنية على كتاباتهم حتى تتحول في بعض الحالات إلى شعر لا ينتقص إلا الوزن الموسيقي .

وأخيرا أسأل الله أن يكون قد وفقني في تقديم صورة الشاعرين كما رسمتها الأدب العربي ، وأن يبارك لي في جهدي ، وأن يجعله ابتداء مرضاته .

”والحمد لله رب العالمين“

الملاحضات

- اولا : الملحوظات الشفوية
- ثانيا : معاني المصطلحات (مرتبه ثانيا)
- ثالثا : جدول بتحويل السنوات الهجرية الى ميلادية
- رابعا : جداول بأسماء الحكام المسلمين والصليبيين
- خامسا : الخواص

فهرس باسماء الشعراء الذين وردت لهم أشعار في هذا الملحق

الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل	الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل
٤٧٦	ست الفخر ممنية الأشرف	٢٨	٢٩٨	الابيردي ، أبو المنذر	١
٤٨٧	المشاي ، أبو الحسن	٢٩	٤٠٠	أسامة بن منقذ	٠٢
	علي بن محمد		٣٠٣	أمية بن أبي الصلت	٠٣
٢٧٨	سماعة الأعشى	٣٠	٥٠٧	أيدمر المحيوى علم الدين	٠٤
٣٨٦	ابن سعدان الحلبي	٣١	٥٠٨	بدر الدين الضبي	٠٥
٢٩٦	أبو سلامة محمود بن علوى	٣٢	٢٩٤	أبو بشر بن التتاري	٠٦
٤٥٠	ابن سناء الملك	٣٣	٥٠٠	البهاء زهير	٠٧
٤٢٨	السنجاري بهاء الدين	٣٤	٥١٤	البوصيري	٠٨
	أسعد بن يحيى		٤١١	تقي الدين عمر ، الملك المنذر	٠٩
٥٠١	شرف الدين الأنصاري	٣٥	٤٦٤	ابن جبيل الأندلسي	١٠
٥١٠	شمس الدين الفزاري	٣٦	٤٤٢	الجلاني ، التكميل أبو الفضل	١١
٢٦٦	شمس الدين أبو الفضائل	٣٧	٤٧٤	جمال الدين الكتاني الأمير	١٢
٥١٧	شهاب الدين محمود	٣٨	٢٨٩	الجمال الواسطي	١٣
٢٥٧	ابن الصياد	٣٩	٤١٤	الجواني محمد بن أسعد	١٤
٢٥٨	طلائع بن رزيق	٤٠		الحلي	
٣٠٤	ظاهر الحداد	٤١	٢٩٦		
٥١١	ابن عبد المنذر	٤٢	٣٩٠	الجويني	١٥
٢٦٩	عزلة الكلبي	٤٣	٣٠٩	أبو الحسن الذروي	١٦
٢٨٤	ابن عساكر	٤٤	٢٩٩	أبو الحكم الأندلسي	١٧
٢٩١	علي بن عرام	٤٥	٢٩٥	أبن الخياط	١٨
٤١٢	العماد الأصهباني	٤٦	٤٨٩	هشوة بن عبد الله بن نصر	١٩
٣٧٢	فمازة المومني	٤٧	٣٩٢	أبن دنيير	٢٠
٤٨١	أبن غيسميين	٤٨		أبن الدهان (أبن أسعد	٢١
٤٦٦	فتيان الشاغوري	٤٩	٤٨٠	المولي)	
٣٨٢	أبن القراش	٥٠	٤٦٠	راجح الحلي	٢٢
٣٠٦	أبن قسيم الحموي	٥١	٣٨٥	الرشيد النابلسي	٢٣
٣١٠	أبن القيسراني	٥٢	٤٤٤	أبن الزغيلة	٢٤
٤٦٣	الكاتب الحلبي الأمير	٥٣	٤٢٧	أبن المساعاتي	٢٥
	عبد المحسن		٣٩٧	سالم بن سعادة	٢٦
				سبط بن التعاويذي	٢٧

تابع اسماء الشعراء

الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل	الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل
٣٣١	ابن مغير الداريلسي	٦٥	٣٨٧	ابن كاسيون	٥٤
٣٦٧	المهذب بن الزبير	٦٦	٤٨٥	الكامل بن الملك العادل	٥٥
٤٨٦	الناصر د اود	٦٧		الايمسي	
٣٨٨	ابن نبهان المراقبي	٦٨		كمال الدين الشهرزوري	٥٦
٤٣٩	نشو الدولة بن نفاذ	٦٩	٤٩٠	ابن المجاور نجم الدين	٥٧
				يوسف بن العسسين	
٤٧٧	نصر الهيشي الدمشقي	٧٠	٤٩٠	مجد الدين الاريلي	٥٨
٤٧٧	ابن النبيه	٧١	٤٦٥	مجد الدين النفسي	٥٩
٣٧٦	وشيش الاسدي	٧٢	٣٠٢	مجد الحرب الامير	٦٠
٥٢٣	اشعار لم يعرف قائلوها		٤٧٥	ابن محمد المجاور الرئيس	٦١
				ابو يوسف بن يعقوب	
			٤٨٨	ابن مازع	٦٢
			٢٩٧	ابو المعافى بن المهذب	٦٣
			٤٤٩	ابن مهاني	٦٤

له وقد وقف على داره بالمرّة بعد هجوم الفرنسيّين :

مسارب الوحش أهدارى وأوطانهم
عهد الصبا بين أخواني وخلائهم
والقلب في لوعة من وجده عسان
غينا ونيت بحكم الجائر الجانهم
قدما بجيرة نسطان ونعمهم
للمائلين وفي سيف وغصهم
تمني وتأتي وكلّ بينهما نسمان (١)

أفذه بين انكاري وعرفانهم
جهلتها ولقد أبدت ملامحهم
فصحت أسألها والدمع منكم
يا دار مالي أرى الأيام قد حكمت
فلو أجابت لقلت هكذا فليس
وفي مدائن نوسروان معتبر
فأزح لبك فالدنيا ليس بالدول

(١) الخريدة : قسم من بلاد الشام ج ٢ ص ٨٧

وله في البصرة :

هذه مصاح بلدة قد قضى الله عليها كما ترى بالخراب
وقف العبد ووقفه وأبك من كـ
وأعبر أن دخلت يوم الـ
فهي كانت منازل الأحياء (١)

له في الحميرة :

بح عليها كما ترى بالغشـراب
من شين وعيبة وشـباب (١)

أنا من بلدة قضى الله يسـا
قتلوا أهلها وبادوا جـمـا

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١٠١/٦ ، وانظر النجوم الزاهرة ٢٠٠/٥

أبو الحنفى بن المهدي

له يصف الوفاء والافرنج بالشمام :

أعذر بساكن ريعها الممكسين
شهداء بين الطمن والظاعون (١)

ولقد حللت من الشام بقتيسة
ووفت وجاورها السدونا أهلها

(١) الخريدة ، قسم شمراء الشام ، ١٢٩/٢

قال بعد دخول القرنى القدر سنة ٤٩١ :

موجنا دماء بالدوح السواجس
وشر سائح المرء دمع يغيشه
غايها بني الاسائم : ان وراءكم
اتهمومة في ظل امن وبخطرة
واخوانك بالشام يضخى قتيلا
يسومهم الروم الهوان وانتهم
وكمهن دماء قد ابيحت ومن دمى
بحيت السيوف البيض مخيرة التلبسى
وبين اختاروا الحصن والضرب وقفصة
وتلك حروب من كئيب عن غارهما
سللن بايدي المسلمين قواشيبا
يكاد يهن المستحق بطييبه
ارى امي لا يشرعون الى السعدى
ويجتفون النار خوفا من المسعدى
اترضى صناديد الاغارب بسالادى
فليتهم ان لم يذودوا حبيبته
وان زهدوا في الاجراذ حتى الوشى
لئن اذ عنت تلك الخياشيم للبمسرى
دعوناكم والحرب ترون ملحمته
تراقب غيما غارة عريبه
فان انتم لم تفضبوا عند هدمه

فلم يبق منا عرصة للمراجس
اذا الحرب شبت نارنا بالصوارم
وقائع يلحقن الذرى بالناشيس
وعيش كنوار الشيلة ناعس
ظهور المذاكي او بطون القشاعس
تجرون ذيل الخفض غفل الممالس
توارى حياء حسنهما بالمعاصس
وسمر السوالي دمايات اللهبكاس
تظل لها الولدان شيب القسواد
ليسلم يقرع بعد هذا سن نسكاس
ستنشد منهم في الطلى والجماجم
ينادى بأعلى الصوت يا آل فاشم
رماحهم والدين واعني الدعائس
ولا يحسبون السار ضربسمة لازم
وتشفي على ذل كما قالاعاجس
عن الدين ضلوا غيرة بالدمجسار
غياذ اتوه رغبة في السناسيس
فلا عطسوا الا بأجدع راغمس
الينا بالحاظ النمر القشاعس
تخلل عليها الروم عني الالباسيس
رضنا الى أعدائنا بالجرائس (١)

(١) نهاية الارب ٢٢٦/٥ ، والكامل ٢٨٥/١٠

قال يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة أبق بن عبد الرزاق، أحد مقربي أمراء دمشق ويحضره
على الجهاد :

غدك الصواهل قبا وجــــــــــــــــــــردا
ونلت لأسيا فك الهبض قــــــــــــــــــــدا
وقل لمن قام في ذا الزمــــــــــــــــــــان
ألمت أبر البرايــــــــــــــــــــدا
وأضى حكاما وأوفــــــــــــــــــــدا
وأكل إذا غيــــــــــــــــــــدا
إذا التبت الراي كــــــــــــــــــــدا
وانقصر الناس عن غايــــــــــــــــــــدا
ومن ذا يجاريك غــــــــــــــــــــدا
سجيت من لم يــــــــــــــــــــدا
تأمل ما لي به أن تــــــــــــــــــــدا
حققت إذا ما انتــــــــــــــــــــدا
زعم الجيوش لقد اعــــــــــــــــــــدا
وأمن ذكره فسي الشانقــــــــــــــــــــدا
نصار صير هائل الســــــــــــــــــــدا
فلو طبع الفخر سيفــــــــــــــــــــدا
وكم لك من نائل نائــــــــــــــــــــدا
ندى يهتق السبــــــــــــــــــــدا
واني لمجد اليــــــــــــــــــــدا
الأم * وقد زخر المشركــــــــــــــــــــدا
وقد جاش من أراي إفرنجــــــــــــــــــــدا
تراخون من يهتري شــــــــــــــــــــدا
أنوما على مثل هــــــــــــــــــــدا
وكيف تنامون عن أعــــــــــــــــــــدا
وشر الخائن ما أقبلــــــــــــــــــــدا
بنو الشرك لا ينكرون الفــــــــــــــــــــدا
ولا يردعون عن القتل نفســــــــــــــــــــدا
فكم من فتاقبهم أصبحــــــــــــــــــــدا

وشم القبائل شيبــــــــــــــــــــدا
ودانت لأرماحك السمر مــــــــــــــــــــدا
مطامك أن باعيا للثــــــــــــــــــــدا
واندى من المزن كــــــــــــــــــــدا
وأهوى غامــــــــــــــــــــدا
وأورى إذا أظلم الــــــــــــــــــــدا
وان غالب الخطب كــــــــــــــــــــدا
سقت اليها من النار فــــــــــــــــــــدا
ومن ذا يساريك حــــــــــــــــــــدا
والحمد منردا مستــــــــــــــــــــدا
وتأبى مناقبه أن تــــــــــــــــــــدا
بأن يجعل الهام للــــــــــــــــــــدا
أياديك وأصفها أن تــــــــــــــــــــدا
بن شرقا وغربا ونــــــــــــــــــــدا
يزداد نورا إذا ازداد بــــــــــــــــــــدا
ت دون الوري حــــــــــــــــــــدا
رقاب المائر شــــــــــــــــــــدا
ولكنه يترك النــــــــــــــــــــدا
في يطوي على النــــــــــــــــــــدا
يسيل يهال له الســــــــــــــــــــدا
جيوشكمثل جــــــــــــــــــــدا
وتنسون من يجعل الحــــــــــــــــــــدا
وهزلا وقد أصبح الــــــــــــــــــــدا
وترم فأسهر تــــــــــــــــــــدا
لديه الخائن بالفر تــــــــــــــــــــدا
ولا يعرفون من الجــــــــــــــــــــدا
ولا يتركون من الفــــــــــــــــــــدا
تدق من الشوف نــــــــــــــــــــدا

* في الديوان : الى كم وقد زخر المشركون : وهو مكسور

وَأَمْ عَوَاتِقٌ مَا إِنْ عَرَفْنَ
تَكَادُ عَلَيْهِنَّ مِنْ خَيْفَةٍ
فَحَامُوا عَلَى دِينِكُمْ وَالْحَرَامِ
وَسَدُّوا الثُّغُورَ بِحُلُمٍ مِنَ النُّجُورِ
فَلَنْ تَعْمَدُوا فِي انْتِشَارِ الْأُمُورِ
يُظَاهِرُ تَدْبِيرُهُ بِأَسْوَءِ
كَمَلُ زَعِيمِ الْجِيُوشِ الْمَلِكِ
وَعَادَاتُ بَأْسِكُمْ فِي الْقِتَالِ
فَدُونَكُمْ طَفَرًا عَاجِلًا
فَقَدْ أَيْمَنَّا رَوْسَ الْمُشْرِكِينَ
فَلَا يَدَّ مِنْ جَدِّهِمْ أَنْ يَفْسُدَ
فَإِنَّ أَلْبَ رَسُولَانِ فِي مِثْلِهِمَا
فَأَصْبَحَ أَيْقَى مِنَ الْفَرَقْدِ
لِحَاكِمِ أَنْ تَعْمِدُوا مِنَ السَّيْرِ
وَهَذَا ابْنُهُ قَائِمًا فَيَكْنُسُ
بِخَيْلٍ تَنْتَازِلُ غَدَاةَ الْكُفَرِ
وَطَعْنُ أَمْرٍ مِنَ الْمَوْتِ طَعْمُهَا
إِذَا مَا السُّيُوفُ غَدَاةَ الْحَتَمِ
تَرَى كَيْفًا وَقَعًا لَا يَمُوتُ
غَدَاةَ الْبَأْسِ مِنْ جَابِ مِنْ تَرْكُهَا
وَلَمْ يَضَعْ الْقُرُونُ عَنْ مُكْبِهِ
فَمَا يَنْزِعُ الْيَوْمَ عَنْهُ الْحَمْدُ
وَأَيْسَرُ مَا كَابَدَتْهُ النَّفْسُ
بِقِيَّتِهِمْ وَلَا زَلَّتْ فِي الْقِتَالِ
وَلَا بَرَعَ الْحَزَّ لِلْمُسْلِمِ
فَلَمَّا نَرَى بِسَدِّ طَوْلِ الْبَقِيَّةِ
وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي التَّرَاكِ أَنَّ السَّيْذِي

مِنْ حَرًّا وَلَا ذَقْنٍ فِي اللَّيْلِ بِسَرْدِ
تَذُوبٍ وَتَتَلَفُ حُزْنُنَا وَوَجْهًا
مَحَامَاةٍ مِنْ لَا يَرَى الْمَوْتَ فَقْدًا
فَمِنْ حَقِّ شُغْرِ بَكْمٍ أَنْ يَسْتَعْدَا
أَخَا تَدْرَا حَازِمَ الرَّأْيِ جَلَسًا
مُظَاهِرَةَ السَّيْفِ كَفَا وَزَنَسًا
بِعِزِّهِ يَبِيتُ لَهُ الْحَمْدُ بِزَمِ
لَيْسَتْ تَحُولُ عَنِ النَّصْرِ عَهْدًا
لَكُمْ بِإِعْلَالِ سَائِرِ الْأَرْضِ مَهْمًا
فَلَا تَغْلُوبُوا قَطَافًا وَحَصًّا
وَلَا يَدَّ مِنْ رُكْنِهِمْ أَنْ يَهْمًا
مَضَى مَوْشُو أَمْضَى مِنَ السُّيُوفِ حَمْدًا
مِنْ ذِكْرٍ وَأَسْنَى مِنَ الشُّمُورِ مَجْدًا
مَأْتَرُ وَالْمَجْدُ مَا كَانَ أَبْسَدًا
مَقَامُ الْمَفَاخِرِ جَدًّا وَجَبْدًا
طَائِرًا تَحْطُلُنْ غَايَا وَأَسْبَدًا
وَضَرْبُ آخِرٍ مِنَ النَّسَارِ وَتَسْبَدًا
فَبِثُوتِ الْمَضْرِبِ قَطْعًا وَتَسْبَدًا
يَشْطَفُنْ بِرِقَا وَيَقْصِفُنْ رَشْمًا
لَهُ عِزَّةٌ وَحُسْنُ الدَّرَجِ بِسَرْدِ
حَتَّى يَصِيرَ مَعَ الْجَلَمِ بِجَلْمِ
مِنْ رَامٍ أَنْ يَلْبِسَ الْمَرْزُوقِ
مِنْ الْأَمْرِ مَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ بِسَدًا
بَدُورًا تَوَافَقَ فِي الْأَفْقِ سَبْدًا
مِنْ مَنْ يَشْرِكُمْ أَبَدًا مَسْتَعْدًا
أَنْتُمْ مِنْكُمْ عَلِمَى الْمَلِكِ وَتَسْبَدًا
يَتَارَكُهُمْ أَسَدُ النَّسَارِ بِجَسَدًا (١)

وقال يرثي السار (القائد) قول بن الأمير عثمان ، وكان قتل في البقاع سنة ٥٥١ هـ ويمر
به الأمير غضب الدولة :

الخطب أعظم قيمة من أدب

ليس البكاء وان أطول بمقتضى
ثم يذكر مناقبه بأثنين وخمسين بيتاً إلى أن يقول :

لا يطبخ الأعداء يوم سره
الثار مضمون وفي أيمان

وذو ابل شهوى إلى كثر العبدى
قد أن للدهر الضل سبيل
مستدركا غلط الليالي فيك
أفتركم أن الزمان أجركم
هلا ومجد الدين قد عصفت بك
وغداة عسلال التي روتك
لا تأمن حربة عبيد
بقنا لخير ردكم لم تهتف
يا خير من تنحى وأكرم من رجب
إنا وان عظم المصاب فساد

ان الردى في طي ذاك المظلم
بيض كغنا طقة البروق اللامع
توق العطاء إلى صفاء المش
أن يستقيم على الطريق المهيم
منصلاً من جرمها المستفظ
طولا بيخيمكم الوخير المرس
عزماته يا انور صف الزم
بالبهى من ميم الضراب النق
من أن تقيم الحق عند المقدس
وذاي لخير بواركم لم تط
وأبو من نودي وأشرف من دعي
فيه العصى ولا السلسو بطم

ويختتمها بتمزية الأمير غضب الدولة بستة أبيات أخيرة :

■ انظر الخريدة بداية تعم شمراء الشام ٢١٥

(١) ديوان صفحة ٢١٣ - ٢٢٠

قال يجمع الامير حسام الدين تيمورلنك بن ايلغازي ويذكر ظفرو بالفرنج بعد عودة من الشام
سنة ٥٢٤ :

ووالائك ما عادي صاديك المصير
ولا سار الا تحت راياتك النصير
وجعلت الايام ايامه النصير
.....

بمن الطمان الشور والنائل النصير
وهندية خير ، وخطية مصير
وخيل اذا استحضرتها اظلم الفجر
فترحل الاومي من سكنها قفسير
عنز بك الاسلم ، وأنتهن الكسير
فهن ثوان من دماهم حمر... الخ (١)

أطاعك فيما ساء حاسدك - الدهر
ولا استعرت الا بحملاتك الوغسي
فأنت الذي أرضى عن الدهر قريسه
.....

أنا لك ما أعيا سواك من العلمسي
ومخربة شمر ، وطاذية خفسير
نحول اذا استملرتها ذرت الطاسير
مقودة الا تجوس عمنسيرة
هزمت بها جيش الصدو مجاهديدا
ورويت بيض الهند من مهجاتهم

(١) الخريدة بالقسم العراقي ج ٤ ص ١٤٥

قال يمدح الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ويذكر تجريده العساكر إلى الشام لصارمة الفرنج
بعد أن هزم عسكره في الموضع المعروف بالبصصة :

وهي الكئاب من أشياها الظنير
سيفا تفل به الاحداث والنسير
تذب عنه وتحميم تنفق
والسمر تحت ظل النقع تشتج
عن منايرها الاكباد والقصر
في طولهم لاعمار الوري قصير
من الكفاة اذا ما استنجسوا
شبهتها خلجا مدت بها ضمير
فما يثير ظباها أنها بسير
غالصير طالحة والليل منتكبر
كانما الدم راح والظن زهير
قد يكهم السيف وهو الصارم
عقب النجاة ووعد الله منتكبر
بما يسره ساطت لها أخير

هي المزائم من أنصارها القسدر
جردت للدين والاشيا مغمدة
وقمت ان قعد الاملاك كليم
بالبيض يسقط فوق البيض أنجب
بيض اذا خطبت بالفتور السهم
وذبل من رماح الخط مشرعة
يخشى بها فترات الموت أسد شمر
مستلهم اذا شادوا سيوفهم
توم تطول بيض الهند أن رعم
اذا انتدوها وذيل النقع فوقهم
ترتاح أنفسهم نحو الوغى طرس
وان هو نكصوا يوما فلا عجب
العود أحمد والايام ضامنة
ورما ساءت الاقدار ثم جمرت

ومنها :

والخيل تزدى ، ونار الحرب تستنير
في الدنان وأطراف القنا شمر
كمنحة البكر أم من غدنا الشمر
سيان عندك قل القوم أم كشمروا
وهي الشجاعة الا أنها غر (١)

لله بأسك والالباب طائشة
وللمجناح على سم القنا ظلسل
ان يرجع السيف بيدي حده علقسا
أما يهولك ما لاقيت من مسدد
هي الشجاعة الا أنها شمسرى

(١) الخريدة ، قسم شعراء مصر ، القسم الرابع الجزء الاول ص ٢٦٥

قال يمدح الأفضل الجبالي بقصيدة مطلعها :

الحب مذ كان معنى يصحب الأدبها فإن نزلت في مدح غار حبيبها

ومنها :

سارت له سيرة أدنى مناقبها قد عطر الأرض والأفواه والكتبها
تضمت غزوات كلها ضحى الإسكندرية ثم شهن نايح الكثر وانتخبها
أرض المساجد والزهاد عنقه الأ لله ط أسخط الرهبان والصلبها
وللاذان سرور في موطنها تبدي النواقيس منه الوليل والحرسها
شجر خيولك للنصر التي وعدها وثقت السمر منزلاً وأزهد الفشبها
أبشر فعاتات وفد النصر قادتها كالهميم من بعد خصر وافت القربها
واسفك دماً في طلى الأعداء منتظما فلو أشارت له أسياك انكسبها (١)

وقال يمدح الإمام الأدر المنصور بقصيدة أولها :

بكم آل وحي الله يفنض الجسد وبكم يسوق المدح والشكر والحمد

ومنها :

ستأخذ للإسلام ثارته المستعني تنافس للكفر اللعين بها التمسني
كما فصلت في يوم بدر سيرة كسني وفي الشرك من دون التليب لهم ورد
لك الحزبات المناذات إذا أبصررت إلى مقعد لتهنئ البيه والسمرد
وأن خفت راياتك الحمر سيجسست انشرك أبنائها مائة ككة جنسني
وخذلية سمر وبش صسسروارم ومسرودة زحف ومقربة جنسني
وقوم ضاياعهم منهم لانا القسسست رغباته وغي طيب الحياة لهم زمسني
فقد شام منك الشام برقاً سيجسسست على ملك فسطاطين من ميله قسسست
تزلزل ما خلف الفرنجة لبيسسية له فرواسيها تغر وتنسسست
ولله سرفيك حان ظهسسستورة

وقال يمدحه بقصيدة مطلعها :

صلى الاله عليك يا ابن رسول الله وهدي لطاعتك الأورى لسبيل الله
فيك استقر الحق وأتضح الهمسدي وأبان للقتلين وجهه د ليلسني
يا ابن الأئمة من ذواية هاشمسني شرف سط بغروعه وأصولسني

(١) ديوانه ص ٢٤ م ٢٨

(٢) ديوانه ص ١١٧

نطقت به الآيات من انجيله
 يمحوا الفرنجة منه بعض سيوليه
 لا يترك ذاك فان ذا السايه
 منهم يسمنا صياح عويليه
 فالنصر يرحل داءيا برحيليه
 صوت الامم فيه من تهليليه
 شوقا لهذا النصر جن صهيليه
 لرقاب اهل الكفر غرط نحوليه
 بيت العقوف اليهم من غيليه
 الا ود يحته بكف وكيليه
 والبحر مثل البر من اسطوليه
 عد ما اكثرته كان مقيليه
 حتى يكاد يشقها برعيله ... الخ (١)

ومبيد ملك الروم بالنصر السدي
 قد عام منه الشام اعظم يسارقي
 بادريوم مثل بدر ان يكسني
 قد حان حينهم وكاد لقرينه
 لله جيش مثل جيشك معلسم
 لولا الفجيب لكاد يسمع ناصيه
 وأجر الجهاد فكل طرف ما يسبح
 وشم السيوف اذا نكل منه سد
 فليثبت الا فرنج منه لقسور
 ما ما لهم وحريمهم ود ما وشسم
 فالبر مثل البحر من فرسانيه
 جمع بيت الطير فوق رما حسميه
 ضاقت به الكرة التي هو ملو شسميه

قال يمدح صالح الدين محمد بن أيوب السعدي صاحب خمسه :

حداة ه وما يسطو على الأسد الكلب
وقد غلبت عنه الضراغة الخاسر
فحال جناح الجيش وأنكر التلبيس
نجوم عليه بالحنية تنصب (١)

وما جاء كلب الروم الا ليحتسوي
أراد بها أن يملك الشام عسوة
وما ذم فيها الميثر حتى صدقته
غولي وأطراف الرماح كأنهم

وقال يمدح عماد الدين زنكي بقصيدة أولها :

تذل لك الصواب وتمتدح
تبين لك الملكة المرحم
كأن الجحفل الليل البهيم
فكان لخطبه الخطب الجهم
تيقن أن ذلك لا يسير
فأحزن لا يسير ولا يثمر
توقد وهو شيطان رجيم
وأبصر في الحجاج له حرم
وأنت بتطرد أبردنا زعيم
بيوم فيه يكتهل الفطيم
وأنت على صنادقه تقيم
وأنت وما يصاد له مستقيم
فأول ما يشارتها الجسم
ببابة لا تزول ولا تريم
مكانا أبرد تيلقه النجم
وأين من الفزاة ما تميم
ووجدت فليدري الدنيا عدويم
أنيك بسيفك الزمن التميم
بموملك الدنيا عظيم
كما إمدد استغفر الجسم

يعزك أيها الملك العظم
الشر أن كلب الروم لمتم
فجاء يطبق الفلوات خيسلا
وقد نزل الزمان على رضاه
فحين ربه بك في خمسه
وأبصر في المضاغة منك جيشه
كأنه في العجاج شهاب نور
أراد بقاء مهجته فوالس
يوقل أن تجود بها عليهم
أيلتمس الفرنج لديك فوسوا
وكم جرعها غفلة المنايس
ولما أن طلبتهم تمسكتي الس
أقام يطوف الأقسام حينها
فسار وما يصاد له مليم
إذا خدرت سيوفك في نفوس
رايتك ه والجلوك لها از حسام
تقبل من ركابك كل يميم
تود الشمس لو وصلت اليهم
أردت فليس في الدنيا طميم
وما أحييت فينا المدل حسمتي
وصرت الى المالك في زمسان
تزخرف للامهر جنان عسدين

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٣

أمر المهيئت من مليسك
فلا برحت لك الدنيا فمسدا
وإن تأنفي حبل الله تشقى

تخامر غير شقته الهيم
وملكه من حوادثها سلسيم
عند الله أجرك والنعميم (١)

وقال يهنى صالح الدين بالسيد وذكرنا وعنه إياه من الصبيد والإماء سنة ٥٧١ : مملوكا :

أيهما يمدك حسن ظميمة

ويعد مقدمة غزلية يتنمسون :

أَتَمَّتْ أَمْرَاتُ لِي رَعْدًا فَأَخْشَسْنَ
كَمَا رَعْدَ الْمَدَى فِي كُلِّ يَسْمُومٍ
يَبْرُونَ خِيَامَهُ كَالدَّيْفِ يَسْمُومِي
أَبَا دَهْمٍ تَخَوَّفَهُ فَأَسْمُومِي
تَمَلَّكَ حَوْلَهُمْ شَرْتَا وَغَرَسْنَا
أَطَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ نَمَسْمُومِي
أَقَامَ بِأَنْ أَيْوَبُ رِبَا طَسْمُومِي
نَحْبُهُمُ لِلدِّينِ وَالِدِينِ جَبَسْمُومِي
إِذَا اتَّبَعُوا لَهُ عَزْمًا وَرَأْيَسْمُومِي
وَأَنْ نَادَى : نَزَالُ هُ غُلْنِ يِبَا لَمُومِي
رَبَا أَتَصِي ! الْهَلْوَكَ الْمَلَمُومِي
وَالْهَلْ تَمَلَّكْتُمْ مَلُوكَ الْفَانِ جَبَسْمُومِي
لَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ رَكْنٌ شَدِيدُ يَسْمُومِي
حَوْتَ أَتَأْتِي مَصْرَهُمْ حَسْبُونُومِي
غَطَارِفَةُ لَهُمْ مَلِطَانُ عَسْمُومِي

أرى دأوية الكفار خائفة
أبوا نكاح عناقته نسل
لقد عظموا به من غير عظم
ومن أفتادهم عدما حقيق
لقد شهر التجارب منه حم
كف الكفر أن يدلني بمك
نصحت إلى الفرنج الخيل بس
لقد جلب الجوارى بالجوارى
يزيدهم اجتماع الشمل يوم

زيارت خوان يكه لم يزرني
 صلي الله عليه وسلم
 نلو وجعوا اناهم بعد
 منادى لو يبيتهم بها
 نصاروا لاقتنوا تحت
 قبائل يقبلون يغير
 رأت منه النرج صفيق
 روم لا تروى ابد
 ضوا في الحرب عن ضرب
 قتالهم لانهم او لبص
 ولمهر جهنم في الباس
 ظلم قلب لهم ظهروا
 ولو ظلموا لما آؤوا
 فكيف اذا اءروا كل
 يفسر لهم بكارمهم

بمدا یعنی کل
تقارن دینهم او تعلقه ایست
کنایه جینوا به من غیر
پس بعد ملایا وجدوا ویش
وقلب دهره ظهرا لبط
پس نیز کل ذی فکر و ذی
و اد رکهم علی بحر
پس نیز بکل قد
غمران تنوع علمی

(١) الروضتين ج ١ ق ٨٦، والحريدة ٥ قسم شعراء الشام ج ١ ص ٤٧٠-٤٧١
والكامل ٥٦/١٠ والباهر ٥٦

ولا ليت فدى رثاً أغسرت
ودمياط فما ضيا به
بقرب الملأ كن على يه
لغيرت فضل أذ يسر
نكم عزب بأبطل بات يه
ولو ألقاه من بشير
وأموال تلعب بشير
فيحصل منه لأخ وخ
لأولى من ولي حياً به
لأل فهو يه حين يتس
وان بذل الندى فاسح

وقال بحدح نور الدين :

كالريح دلت على القساوة لينفسه
 لله مداوة بأمنه وسكونه
 هذا الذي بالله صبح يقينهم
 والشجر إلى التلى عزينهم
 لا غدره يخشى ولا تلويهم
 أرساز فالنظر الشريرة قوينهم
 أبدا وبتبار السماء بعينهم
 والشرية يحلم أنه لهم عينهم
 والله يكره أن تدمن يدينهم
 أبواب ملك لا يزال يدينهم (٢)

تبدو الشجاعة من طلاقة وجهه
وراء يقلتة أناة بجرب
هذا الذي في الله صغ جهنماده
هذا الذي بخل الزمان بمثلهم
ملك الورى ملك أغر متسوق
إن حلّ فالقربى التأيّد أنيسهم
غادر خادل من أراد عنهماده
والدين يشهد أنه لمهمزه
ما زال يتقسم ان يبدد ملهمهم
لحق الرها بالامر فأنفخت لهمهمهم

قال يصف ما فعله الفرنج الألمان سنة ٤٣ هـ بمشبه

أبوز ما تواتين	بسطي نهر دار
ما في جليق رد ين	وأقوام راوا حقه السعد
عديدا أو يزيد ونس	أنا ما لنا ألف
وبعد من فاسط	فبعضهم من أندلس
وبن صيدا وتبين	ومن عكا ومن ص
ت أقواما مجانين	إذا أبصرتهم أبصر
جل الدال البساتين	ولكن حرقوا فسي
ل أيضا واليهاد ين	وجازوا النج والتس
فطائرهم جراد ين	تخالهم قد ركبوا
بخنازر والأقرايين	وبين خيامهم ضموا
على ساجد خاتون	ورايات وصلبان
لعل الله يكفين	وقلنا إذا رأينا
أعان الملق والدين	مما لهم معين قص
لدى الهيجا شياطين	وثيان تخالهم
ج من عرق	فواوا يثابون الم
تحت التراب مدون	ولكن غادروا إليهم
.....
ونيل نحو تسمين	وبهم باثنا على
من القتل يفرزون	وبائهم الس
(١)	

له من قصيدة هنا بها القاضي كمال الدين بن الشيرزوري عند فتح الرهس :

عاطفت عليها كل أشوس ، ناكس
كالشجر في صدر النهار الآيس
نصرت صحابها بأيمن صاحب
كم ناهض بالحرب غير محسب
بكتائب مخوفة بكتائب
جند النبوة هل لها من غلب
ظنت وجوب السور سورة لا
ضاق القضاء على نجات الم
ان الدروب على الطريق المزعج
ما كان من أطراف لحظ الطالس
دون الفريسة ، فهو عين الوائس (١)

ان السخايج يوم ساءت الرهس
فتح الفتوح مشر بتامس
لله آية وثقة بدرهس
انظره كمال الدين ، كنت لقاحس
وأمدكم جيش الملائك نصرة
جنبوا الدبور وقد تم ربح الصبس
أترى الرضا الورقاء يوم تنفس
لا أين يا أسرى الممالك بعد حمس
هذا الى أرض الفرنج بعد همس
أفخركم واثار رهن دما تكس
واذا رأيت الكليث يجمع نفس

وقال في تهنئة نور الدين بانتصاره على الفرنج يوم أنسب :

وذي الحكارم لا ما قالت الكتس
تشرت فذلها الأشعار والخطس
براحة للمساقي دونها تمس
حتى ابشني قبة أوتادها الشمس
أقضى اتساعا بما ضاقت به الحقس
وثابت القلب والأحشاء تخطس
غواد روية الكبرى لها يجس
أودى بها الصلب وانحطت بها الدلس
قولا لصم القنا في ذكس
من يوبنرا بنيد ، لا ، ولا كس
كم أسلم الجهل فلنا غره الكس
وكان دين الهدى مرضاته الضس
طهارة كل سيف عندها جس
فالخرب تضرم والآجال تحتطس

هذي المزائم لا ما تدعي القضس
وهذا ما لهمم اللاتي متى شطس
صافحتيا بن عماد الدين ذروتس
ما زال جدك يبني كل شامقس
لله عزك ما أمضى ، وهك مس
يا ساهد الطرف والأجفان هاجمس
أعرت سيوفك بالإفرنج راجمس
ضربت كبشهم منها بقاصمس
قل للطفاة وإن صمت مما مقس
ما يوم أنب والأيام دائلمس
أفرم خدعة الامال ظنكمس
غضبت للدين حتى لم يفتك رضس
ظهرت أرض الاغادي من دماهمس
حتى استطار شرار الزند قادهمس

والخيل من تحت قتالها تفر لم
والنقح فوق صقال البيض
والسيف هام على هام
والنيل كالويل هطال وليس
وللنابي ظفر حلو قد اقتسمه
ولادسة عما في صدورهم
خانوا فخان رماح الطعن أيديهم
كذاك من لهوق الله مهجته
كانت سيوفهم أوحى حقوقهم
حتى الطوارق كانت من طوارقهم
أجسادهم في ثياب من دمائهم
أنباء ملحة لو أنها ذكبت
من كان يمزو بلاد الشرك مكتسبها
ذو غرة ما سمع والليل محتك
أفعاله كاسمغي كل خاد شمس
في كل يوم التكري من وقائعهم
من باتت الأسد أمري في سلاسلهم
فملأوا سلب الإبريز قاتلهم
من للشقي بما لاقت فوارسهم
عجبت للسعدة السدراء مقبلة
سدا عليها سوا الماء أرفقهم
ما غارقت عذبات التاج مفرقهم
إذا القناة أمتنت في رأسه نقسها
كنا نعد حين أذلنا ثقتهم
عنت فتوحك بالعدوى ماقلمهم
لم يبق منهم سوى بيسفر بلادهم
فأنهمضوا إلى المسجد الأقصى بذي لجسب
واذن لوجك في تطهير ساحلهم
يا من أعاد ثغور الشام حاكمهم
ما زلت تلحق عاصيتهم بطائفتهم
حللت من عقلها أيدي ماقلمهم
وايمنت أنها تتلو مراكزهم
أجريت من ثغور الأفاق أنفسهم
وما ركزت القنا إلا وملك عيسى
فامجد بما نكته من كل صالحيهم

قوائم خانهم الركز والشهب
كما استقل دشان تحتهم
لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلسب
سوى القسي وأيد فوقها مسحب
كانما الضرب فيما بينهم ضارب
مصادرة ألوب تلك أم قلسب
فأستسلموا وهي لاني ولا غسرب
لاقي المدى والقنا في كنه قصصب
يا رب حائنة منجاتها المطمئنب
ثارت عليهم بها من تحتها النمسب
صلوبة وكان القوم ما سليمسب
فيما مضى نسيث أيامها التمسب
من الملوك فنور الدين محتسب
إلا تنزق عن شمس الضحى المحجسب
ووجه نائب عن وصفه اللقسب
شغل فكل يد يحي فيه مقتضسب
هل ياسر القلب إلا من له التلسب
وهل له غير انطاكية سلسب
وان يساعدها من تحتها قتمسب
برأسه إن إشار القنا عشمسب
انبوه في صعود أصلها صيمسب
الأ وهامته تساج ولا عشمسب
بدا لشعلتها من نحره مسمسب
فما كنتك الذبا ما ليس تحتهمسب
كان تسليم هذا عند ذا جسمسب
كما التوى بعد رأس الحية الذنمسب
يوليك أقصى البنى فالقدس برشمسب
فإنما أنت بحر لبقه لجشمسب
من الذبا عن ثغور زانها الشنمسب
حتى أمتت وأنطاكية ضلمسب
فامتعتت والى ميثاقك الهمسب
وكيف يثبت لاجوق ولا طنمسب
جري الجفون امترافا بارخصمسب
جسر الحديد هنر غيله أشمسب
ياوي إلى جنة الماوي لها عشمسب

ان لا يكن أحد الابدال في فلكك تقوى فلا تتبارى أنك القط
فلو تناسب أخلاك المتطابقين لكان بينكما من غنة نسبية
هذا وهل كان في الاسلام كرممة الا شهدت وعباد الهوى غيبة (١)

وقال عند دخوله نطاكية في رآه :

أشيلة الصليب ودت أنسي ودين الله عندكم صليب
إذا أتيت قبلني حبيب أسر به بوانقي حبيب
وهل بيني وبين السمود فسرق يرى إلا التشجع والنحيب
هيني صورة يحني عليهما أجيب إذا دعيت ولا تجمب
فلم يصح يا طرف من فتنة من الرهبان قوتها أديب
فلو تدعى ناجاه لفتني لأنسى ه والنسب له نسب (٢)

ومن ذلك :

عرجا بالاشرب كي أغضي بأرسي
واسرقا نوم قلبي من جفون الكواكب
واعجبا من غلال لستي بين عين وعاجيب
رب كاس حبابهم من ثغور الجبابيب
اسكرتني فبست ماس شئ على الترابيب (٣)

وقال في مدح نور الدين حين أسر جوسلين سنة ٥٤٥ هـ : المطلع :

أما وخیال زار من احببته لقد هاج من ذكره مالا أفسسه

(١) الروضتين ١٥٦/١/١ + الباهر في الدولة الاتيكية ص ١٢

+ البدايه والنهايه ٢٢٦/١٢ + الكامل ١٤٥/١١

(٢) ديوان : ابن القيسراني ورقة ٦٤

(٣) ديوانه : ورقه ٧٨ والخزينة قسم الشام ١٥٦/١

مكن الحجي ارض الزمان بنفسه
 حتى تبه الاسلام بالخيل ، فاعتندت
 فكهم هبة أو قمن بالكفر تحتهم
 كيم الرها الورقاء والهام يانسج
 وشهباء هاجتها وفي صرخدي
 وعارم يوما بالعزبة فاعتندت
 وعاص على الناصي بارعن خاطب
 يانب لما اكسب الدال وانشني
 غداة هوى شطرين للسيف رأسه
 على حين للخطي فيه عوامس
 وقائح محودة النصر لم تسزل
 يقوم مقام الجيش فيها وعينه
 وحين انتشمة عزة من قرايه
 الى اهدت منها كل بلدة
 ولما نزا بالقطن عجب هوى به
 فأصبح في الحجلين ينكر خطمه
 تماقبة البشري بأخذ حصونه
 تناجي عزاز باسمه مثل باش
 فان يكن الممهود من ثل عرشه
 نقل لملوك الخائفين نصيحته
 وخلوا عن الأفاق فالشرق شرقه
 ولا يستصم بالدرب طاع على القنص
 رهيب فداء العلم عن ذات قسرة
 غفوع الجاني بكاد الذي جني
 امتخذ الاخلاص لله جنسية
 أبوك استرد الشام بالسيف عنوة
 اذا ذب عن أضخاش دنياهم
 رايتا قباح الحق خيرا مخبئة
 وأوضحت ما بين الفريقين سنسة
 وبينت نور الدين ما كان يفتني

الى الآن حتى لان وانقاد صبيته
 وأوتادها جرد الطعان وقبسته
 فما انقضت الا وللذل جنسه
 ملوي برعي الهند واني خبيته
 منهاها وليل الحرب تنقش شهبه
 كواد يثود اذ رفا فيه صقبته
 دم الا فلك حتى انك الفصل خطبه
 بحاسب انطاكية وهو كسبه
 وللرمح حتى توج الرأس قلبه
 يماقبة خنفس الحسام ونصبه
 غربا بها عن موطن السيف غربه
 وتفعل انحال الكتائب كتبه
 مضى وهو نصل والتمالك قربه
 فليس من الأضار مالا يورثه
 على أم رأس البهي والفدر عجه
 بعيد على الرجلين في السحي قربه
 غيا عانيا ضرب البشائر ضره
 فيلمنه لمن الصريح وسربه
 فهذا عود الكثر قد طاع طنبه
 كذا عن طارق الليك يزار غلبه
 بحكم الرذنيات والغرب فرسه
 فان التناهي شجرة النجر دسه
 اذا ضاق من صدر الملك وعيه
 يكر به شوقا الى الخفو ذنبه
 ومن يستصم بالله ، فالله حسبه
 وللهوم بامر طالما غال خطبه
 فانت الذي عن خوزة الدين ذنبه
 فافرجت عن رأي يسرك فمته
 بها عرف المريب من هو ربه
 دليلا بأن الله من أنت خزبه

وقال بكنيسة أشمونيتا وهي للفريرية والنصارى :

حتى ترى التوحيد والتثليث
تستحسن التذكير والتأنيث

ملاء الزجاجة ثم جاء حثوث
قد ردّ أطيّب ما حطت خبيث
ما عند ثغري يفهم الثالوث
فقطعت ليلًا بالجدال مكث
(١)

لو كنت ثالثا بأشمونيتا
لرايت منا أعيننا طماحنا
.....

لما سألت غزالة من ريقه
قلت . سقني من نيك إن رضاب
قال المزاج نسيبة
وبدا يناظرني بها عن دينيه
.....

وقال يحدّث نور الدين زنكي سنة ٥٤٤ ويذكر وقعته بالفرنج يوم السبت :

صرّح جاء بالكرم الصريح
على ما بين غامضة وسريع
صوادع عن قتيل أو جريح
من النقع ، النزالة في مسرع
من الدم عبرة الجفن القريب
أنتج له من القدر المتيقن
يجود بنفسه غير الشحيح
وليبر سوى القشاع من غريم
سوء البدر من بند الجنيح
فكم لسانك من زمن مليح
بحيث تريح من تعب الحريم
فهمك غير نظم المستريح (٢)

ألا للـ مدرك أي در
وعسكرك الذي استولى مسيح
وتستك التي بنت الموالحي
بانب يوم أبرزت الذاكسي
غداة كأننا الساصي احمرارا
وقد وافاك بالابرص حثيف
تقلعت أختهم بالنفس إذا لا
بلايت بهم ضرائعهم فاصموا
وعدت إلى ذرا حلب حميم
فإن خلّيت بشرتك اليليا
رويتك تحكن الهيجا فواقس
فأنت وإن أرحت الخيل وقتس

وقال في الصلح بين نور الدين ومجير الدين صاحب دمشق سنة ٥٤٥ وأثر الوحدة في الانتصار على الفرنج :

وإن شئت علما عدّ من حزنك
نظورا له حدّ وطورا له صف
ترنح من سكر فخلّ القنا تصح
إلى الحزم لو لم يغضب السيف والرمح

لك اللعان حاربت ، فالنصر والفتوح
وهل أنت إلا السيف في كل حال
سقيت الردينيات حتى ردت
وما كان كف المز إلا إسمارة

(١) ديوانه ورقة ٧١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٥

إلى السلم ما تنوي بذاك وما تنحسرو
تيقن من في أياماً أنما لذ به
فلا مهنه يحوى الضائل ولا سفه
فقولا لليل الإفاة قد طلع الصبح
فلا زالت الشكوى ولا اندمل الجسم
فسيق اليك الملك يسمى به النجم
ولو أنه لم يلق بغير ما غرنا الصبح
بهيما ولولا الحسن ما عرف القبح
وارد هذا البدل ما منه قبح
على أنه ما زال في طبعه شبح
ونحن نراه اليوم يثبت ما يمحسرو
وأشهرت الآداب وأطرد المسبح
ودانت لك الدنيا وعز بك السبح
ولا صدر إلا قد جلالة لك النصبح
فمن فاته حمد الوري فاته الرشح
أعبر عما لا يقوم به الشرح (١)

وقد علم الأعداء مذ بت جانحنا
إذا ما دمشق ملكك عنانهم
مضى التثاق الجحشيلين على الهدي
إذا سار نور الدين في الجيش غازيا
ترك قلب الشريك تشكو جراحنا
صبرت فكان الصبر غير مفهومة
كان القنا تجلو لهوجه أموره
بدولتك الخراء أصبح خدهمنا
وكم من قريح القلب لو بسبات واردة
مخايبك هذا الدهر جودا على السورى
وقد كان يحضو رسم كل فضيلة
بنا ابتهج الالباب وانتهج الحصى
ولا ذت بك التقوى وعادت بك السلى
فلا قلب إلا قد تملكته هوسوى
وما الجود في الأماك إلا تجارة
ولم اختصر ما قلت إلا لأنسني

وقال يمدح نور الدين :

إلى أن عده منه محسرو
فأبلى الشوك حتى ليس غسرو
وما لها عن الأموال زهرو
فأهدر قبل ما أنشاه بنسرو
وقد طوي الرواق ومن يمحسرو
لدولته دما لا يمحسرو (٢)

تدارك ملأ العربي ذبنا
وحل ذرى المواصوهي نهبي
ثنى يده عن الدنيا عفافنا
رأى حط الكوس عن الرعايسنا
وطد لها رواق العدل شرعنا
ومات وعند باب العرش منسنا

وقال يمدح نور الدين بعد هزيمته للفرنج بيخوى * ه مملكتها :

أولا ه غلبت النجوم ممدود (٣)

يا ليت أن الممد ممدود

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨٠
(٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٨
(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٦ وانظر الكامل ١٣٤/ ١١ والباهر ٩٢
(*) وهم أبو شامة فظنها بسرى وهي عند ابن الأثير بخوى ه الكامل ١٣٤/ ١١

ثم خرج الى المسجد فقال :

وكيف لا ينشئ على عيشة الناس
فليسكن الناس ظلال المسكن
ونيرات الملك وهاجس الدولة
وعارم الاسلام لا ينشئ
مناقب لم تك موجدة
مناقب نفسي در عيشة
نار المحالي ما لك حاكم
ترتض الاغواما سياقه
وكم له من وقفة يومه
والقوم ابا مرهق صرعه
حتى اذا نادوا الى مثاه
طالب بشار ضفته الطيب
والكر والفر مجال الوغى
وانما الاغرنج من بغيهم
قد حصص الحق فما جاحد
نكل مصوبك مستفتى

محمود ، والسلطان محمود
ان رواق العدل مسدود
وطالع الدولة مسدود
الا وشلو الكفر مقبض
الا ونور الدين موجد
عليه تاج الملك محقق
فهو سليم بن وداود
ان رضاب الفز مسدود
عند ملوك الشرك مشدود
او موتى بالقدر مشدود
قالت لهم هيبته عودوا
فكل ما يضمن مسدود
فطارد طورا ومطرد
"عاد وتعد عاد لها" مسدود
في قلبه بأسك مسدود
وكل شربك مسدود

وقال فيه :

تغي بزمانها البيض الحساد
وتدراك ثارها من كل مسدود
ويشقى حومة الهيجا مسدود
اثلوا ان نار الحرب تخمسو
وجند كالصقور على عقسور
اذا اخفوا كيدتهم اخافوا
ونسرة دولة حاصت عنهم
وان تثل التواشي ما تلتهم
جرت بالنصر اقام العوال مسدود
وطالت ابرو من الاعلاج خصبها
أحطت بهم فكان القتل سببا
ولا يرنى فوق الرمي را
ترجل للسانهم ففرسوه

وتقضي دينها العصور الصساد
فوارس من عزائسها الجسد
يشد بضجعه السبع الشمسداد
ونور الدين في يده الزنساد
اذا انقضوا على الأبطال صسادوا
وان ابدوا عداوتهم أبسادوا
وهل يشقى وأنت لها عساد
بانبا ما يؤنبها سنساد
وليه سوى النجيب لها مسداد
فنادى السيف قد وقع الخصساد
ولا داعي هناك ولا طساد
تومئد والامنان له ومسداد
وليه سوى القناة له جساد

غضيف المقاتلين ولا نعيم
نسر واستوعب الدنيا فتوحنا
وزد ببني الوغى ثوى جيبنا
ولا غي باب فارس غير نكلنا
لأنطاكية يحمي ذراهمنا
وأنقذت الممالك واستجابنا

وفاثرها وليد به سهينا
فأضرب عنانك ولا وهينا
فما عن باب مسلمة نيسينا
بفارسها يضي بها العسنا
وقد دانت لسطوتك البسنا
ملبية لدعوتك السبينا (١)

وقال في جارية حسناء اسمها مارتا تنفني بالدف ، خفيفة الروح في نهاية اللطف ومن أعوانهم
التي تغايظ بها النصارى وتستجبل بها قلوب المسلمين :

علقت بحبل من حبال محمد

فقال فيها بعد البعد عنهم :

ألا يا غزال الثمر هل أنت منحمدي
وما هل لذك اليوم في الدهر ليلسدة
فألقاك فيها هادي الكأس حادي يسنا
ألا حبذا عاري المحاسن عاطسنا
إذا ما الأمانى ما طلتني بوعد هسنا
وعهدى بحارتنا سقى الله عهد هسنا
وفي ذلك الزنار تمثال فضسنة
وقد غلب المصباح فيه على الدجسني
وكننت إذا عفت الزجاجة مسسوردا
فما لي من وجه كقنديل هيكلسنا
لقد أسرني حيث لا أبتغي الفسنا

علقت بحبل من حبال محمد
ثمود ، ولو عادت عقيدا بسنا
وحسبي من ساع بها ومنهمسرد
مكلن بأشواب الدلاحة مرتسنا
ذكرت له وميلا على غير موعسنا
بما عندها من حاجة الهائم السسني
تنقط خديه الميرون بعسجسنا
سناقمري جنح ليل مجسنا
سقتني رضابا في اناء مسسورد
عليه من الصدقين عراب مسسنا
نقل في أسير لا يسر بفتسنا

وقال في فتح الزها سنة ٥٢٩ ومهنا عماد الدين زنكسني :

هو السيف لا يثنىك إلا جسنا
ومن شر هذا النصر فلناخذ الطسنا
سبت قبة السلام فخرا بطولسنا

وهل طوى الاملاك إلا نجسنا
سناها وأنات الميرون اتسنا
ولميك يسو الدين لولا شمسنا

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٦ ، وأنار أعلام النبلاء بتاريخ حلب المشهور ١/٢

(٢) ديوانه : ورقه ٧٤ - ٧٥ والخريد قسم الشام ١/١٠

و زاد قسيم الدولة ابن قسيم
 ليمن بني الايمان ابن ترقست
 وفتح حديث في السماع حديثه
 اراح قلوبا طرن عن وكناتهم
 لقد كان في فتح الرها دلالته
 يرخون مبادد ابن مريم نصيرة
 مدينة اناك منذ خمسين حجة
 ثنوت مدى الابصار حتى لو ان
 بجامحتز الملوك قباد هب
 ثاوسها حر القراع مؤيد
 كان منا لبح الاسنة حول
 فاضرمها نارين حربا وخذ
 فصدت صدور البكر عند افتخا
 نيا ظفرا عم البلاد صلاح
 غداة كان الهام في كل قوس
 لما مطلق الا وشد وثاق
 ولا منبر الا ترنج عوده
 فان يشكل "الابرنز" فيها حيات
 وباتت سرايا القوس تقهر دونها
 الى اين يا اسرى الضلالة بعد هذا
 رويدكم لا مانع من مظفر
 دتريب مهابم الراي لو ان عز
 وقل للملوك الكفر تسلم بعد
 كذا عن طريق الصبح آيتها الدجى
 فلودج الافلاك منه تحصن
 ومن كان املك السماوات جنسه
 والله عزم ما سيحسان ورده

وقال لي جنيسة السوداء ه وني قبة شاهقة للنصارى بانطاكية :

متى عجت يا صاح بالسوداء
 وقلبك حذره عن ان يصاد
 وجوتها هي قناد يلم
 ترى كل مستخف خصمه

عن الله لا استطاع ذيساده
 روايه عزا واطمان مهاده
 شهي الى يوم الصناد مهاده
 عليها غواشي كل صدر فواده
 على غير ما عند السلوك اعتقاده
 ولهم عند القوم غنسه ولاده
 يغل حديد البند عنها حساده
 ترقى اليه شان طرعا سواده
 الى ان ثابدا من يعز قيساده
 بصير بتدوين الالذ لسواده
 سرار ولكن في يديه زنواده
 فما راع الاسورها وانهم سواده
 وشيمت كان السيف حتما شواده
 بين كان قد عم البلاد فسواده
 كدائم بيت بالسيوف خصواده
 ولا مؤش الا رحل صفواده
 ولا مصحف الا اثار مسواده
 والا غفل للنجم كيف سمواده
 كما تتنزي عن حريق حسواده
 لقد ذل قلوبكم وعرز رشواده
 يساند اسباب القضاء غنواده
 روى سد ذي القرنين اسن سواده
 صالكتها ان البلاد بسواده
 نيا طالبا غال الظلام اتسواده
 لاه مست سادا لوقته غنواده
 فاية ارض لم تطاها جيهواده
 وروحة قسطنطينية سواده ()

فصل عن غواد في الانثى
 فان بها للمهوى صبي
 ببهجة نيرانها الموقد
 اذا دنا طرفه أنجب

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ٩٧/ وانظر الخريدة قسم الشام ١٥٣/ وانظر عقد الجمان ج ١ ق ١ ورقة ١٥٥

م تحسبها أنها مضمومة
 يضا حكة أبيه أسود
 ن اذا زرع الليل او جم
 ت اوردته قلت : ما اوردته
 يطرق بين يدي عرس
 ن فهي مجردة من
 م اوردته الحب م
 وهيمات اعجز يوم غم
 من لم يمد اليها يسوده (١)

وذات روادف عند القي
 ودره من الشعر في غاسق
 نيا لي من ذلك الزبرقي
 محل خيال اذا ما رايت
 به كل نشوانة لحظ
 صوارق طاعة في الجف
 فيها أنا ومن في سبيل الفس
 فهل لدم فات من طالس
 وكيف يجازي بقتل النفس

وقال يصدح نور الدين :

لله عزك أي سيف وغ
 ما زفت الحرب السوان
 هل وجه نور الدين غير
 ملك منها بته طليعت
 كم قل كيدهم بصاعقة
 تركت حصونهم سجون
 عصم السواصم فهي ضاحكة
 فاذا سرايا خيلها
 وري القاذح بمثل جند
 يا سائلي عن نهج سورت
 عدل حقيق من تأمل
 وشهامة في اللخالص
 وندي يد ما ضم
 هذا الخيم في ذرا حلس

طبعته مضارته على القه
 الا أنجلت عن مقل بك
 صدح الدجى عن خجلة الب
 ابدا أمام جيو شمس
 شملت قلوبهم عن الفك
 فالقوم قبل الأشر في
 تجلو النابى شخرا على
 نهضت سرايا الخوف وال
 حتى استكان الصخر بال
 هل غير مفرق شاهه الف
 ان يحيى العمرين بالذك
 عقدت عليه تحائم ال
 الأبييت مجاور الب
 وثناؤه ابدا على ظه

قال يصدح عماد الدين زنكي سنة ٥٣٤ هـ ويذكر هزيمة الفرنج قرب حصن يارين :

وهي السوار لا تهني ولا
 عن خيله النصر لا بل
 عالوا فما غمدوا نصلا ولا
 في مازق من مناهير الب

حذار منا واني ينفع الح
 واين ينجو ملوك الشرك
 سلوا سيوفنا كأغناد
 حتى اذا ما عماد الدين

ه وانظر الدر الثمين ورقة ٥١ مخطوط

(١) الخزينة : قسم الشام ١٠٠ / ١
 (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٦

والدوت لا ملجأ من ~~هنا~~ ولا وزر
 طول وان كان في أقطارها قصير
 بيناف والكفر لا عين ولا ~~أشعر~~
 فالقوم ان نثروا ألوى بهم ~~نفسهم~~
 او طاردوا طردوا او حاصروا ~~حصصروا~~
 حتى أتى ملك آراؤه ~~غصصروا~~
 ومن هنالك قيل الصارم الذك ~~كصصروا~~
 كالصبح تطوي من الاعداء ما ~~نصصروا~~
 بحيث كان وان كانوا به ~~نصصروا~~
 كأننا حل في اكنافها ~~عصصروا~~ (١)

ولو اتفق لهم ذرعا ~~صا لكصصروا~~
 وفي الصافقة من دون النجاة ~~لمصصروا~~
 وأصبح الدين لا عينا ولا ~~أشصروا~~
 فلا تخف بعدها الا فرنج قاطبة
 ان قاتلوا قتلوا او حاربوا ~~حربصروا~~
 وطالما استفحل الخطب اليهم ~~بهمصصروا~~
 بالسيف يفتزع اباكرا ~~أنفسهمصصروا~~
 لا فارتق ظل محيي العدل لا ~~محصصروا~~
 ولا انثنى النصر عن انصار ~~دولتصصروا~~
 حتى تعود ثبور الشام ~~ضاحكصصروا~~

وقال في نور الدين عند قدومه الى ~~حصصروا~~ وقد استولى على سنجار وأعمال الرجب ~~صصروا~~
 والفرات سنة ٥٤٤ :

وتمحضت قالا به الاشهر ~~صصروا~~
 وردت وغفر ضميرها ~~المضمصصروا~~
 ان القواني وخيها ~~إنصصروا~~
 حكما لعمري ما عليه ~~غصصروا~~
 بريد ين يهديه الأيم ~~صصروا~~
 الا سما بك قائم ~~وغصصروا~~
 لك من عاك بك ~~كصصروا~~
 نقما فيحلمها القنا ~~الخطصصروا~~
 وأما به بل جحفصل ~~جصصروا~~
 نورية بهم الملوك ~~كبصصروا~~
 دانت لنظم نظامها ~~الاقطصصروا~~
 الا تطت انها ~~سجصصروا~~
 طالت بها الأكال وهي ~~قصصصروا~~
 جري السيول وما مواء ~~قصصصروا~~
 والبحر ما اتصلت به ~~الانهمصصروا~~
 منها لمينك كاعب ~~مصصروا~~
 قبل الربيع شقائق ~~وبهمصصروا~~
 وتود لو ان النجوم ~~نصصروا~~
 عن أفضها فلها به ~~أقصصصروا~~
 ليل البري حفت به ~~الانصصروا~~

هذا الذي ولدت له ~~الأفصصروا~~
 وجرت له خيل النهى في ~~حلبصصروا~~
 وأنت به نذر القواني ~~برهصصروا~~
 حكمت سيفك بالحدك ~~عنصصروا~~
 يا أيها الملك المطيل ~~نجصصروا~~
 يا ابن السيوف وهل فخرت ~~بنصصروا~~
 فارقت دار الملك غير ~~فصصروا~~
 في عسكر يخفي كواكب ~~لهلصصروا~~
 جزار أذيال السج ~~صصروا~~
 تدني لك الشايات ~~أكبرهمصصروا~~
 حتى ملامت الخافقين ~~مهاصصروا~~
 وملك سنجارا وما من ~~بلصصروا~~
 وسطت بالاهوال كفا ~~طالمصصروا~~
 وجرت بأمداد الجياد ~~شعابهمصصروا~~
 وثنى الفرات الى يدك ~~عنانصصروا~~
 وملك رجة مالك فتبر ~~جصصروا~~
 جاءتك في حلال الربيع ~~وحليمصصروا~~
 نثرت عليك هوى القلوب ~~محبصصروا~~
 فأتيت كالشمس المنيرة ~~إن نصصروا~~
 من كان نور الدين ثم ~~أجنصصروا~~

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨ وانظر عند الجمان ج ١ ق ١ ورقه ١١٦

ومن يدعي في قتلك الشراكسة
هي القانتات الحافظات فوجهن
ولو لم يكن في فضلها وكمالهن

إذا لم يكن عند القواني له ذكر
فشاهدنا عدل ورائقها سحر
سوى أنها من يمد عمر الفتى عمر (١)

وقال عند دخوله انطاكية وممره بالمواضع يذكر مواضع استحسنها وهي الشفريات غن ذلك :

كم بالكنايس من مهتلة
من كل ما جدد لصورته
قديسة في جبل عاتقته
غرس الحياء بصره وجنته
وتكلمت عنها الجفون فلـ
وجلّت مدارعها غدا فـ

مثل النهاية يزينها الخف
لو الصقت سجدت لها الصـ
طول وفي زناحها قصـ
ورداً ه جقي اغصانه النـ
حاورتها لاجابك الحـ
فأراك تضفي ليلة قمـ (٢)

وقال يصف انطاكية :

واحرى في الشفور من بلـ
بمقصود كأنها بيـ
هالات طاقاتهم آهـ
سوافر كلما شعرن بنـ
من كل وجه كأن صورته
فهو إذا ما السلو حاربـ
فيا تدولي فيهن دح كـ
وكن مهيبي على ذوي خـ
سرت وخلفت في ديارهـ
ولم ازل اغبط القيم بهـ

يضحك حمنا كأنه فـ
ناطقة في خالها الصـ
يسم في كل هالسفة قمـ
برقمهن البهاء والشـ
بدر ولكن ليلى شـ
كان لتلك الصفات الشـ
وانظر الى الشمس هل لها طـ
ان سالم القلب حارب النـ
قلبا تحنيت أنهبصـ
للقرب حتى غبطت من أمـ روا (٣)

ومن تنبأته قولـ :

على أروانها قصبان بـ
إذا انتصبت فأقطار السـ راري

.....
تصير بقاتنا للحظ حـ
وإن مالت فأفلاك البـ دور

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨٥ - ١٨٧ وانظر الخريدة قسم الشام ١٥٧/١

والكامل ١٥٥/١١ والباهر ١٠٢

(٢) ديوانه : ورقة ٦٢ مخطوط

(٣) ديوانه : ورقة ٦٣ وانظر الخريدة قسم الشام ١٠٠/١

جرت تلك الخصور على الشصصـــــور
فأبرزن الحاسن في الشصصـــــور
منزهة الخدود عن الخصصـــــور
إلا ما في البراقع من خصصـــــور
به إلا على قعر منصصـــــور
غلي شغل بسكتان القصصـــــور (١)

فلو ضلقتها بحلى يديـــــ
منمن من مكن بيوت شصصـــــور
وأمرجن النواظر في وجصصـــــور
ترك الحس غير مرقصصـــــور
فلو خادعت طرفك لم تصصـــــور
فدعني من خازلة البصصـــــور

ومن ذلك في خبارة بجسر الحديد على باب أنطاكية :

فمن يصدني خبارة الجصصـــــور
خبارة بيضاء من نحصصـــــور
تهدي سنا الشمس إلى البصصـــــور
الحالها أغت عن الشصصـــــور
أولى من الزنار بالخصصـــــور
كأسا من الثغر على الثصصـــــور (٢)

إن كان لا بد من السكصصـــــور
خبارة تطلح من نحر صصصـــــور
تمشي فتشفي الراح في راحصصصـــــور
حتى إذا دارت على شربصصصـــــور
ما زرتها إلا وباتت بـــــور
وبت أسقى من خفا يقصصصـــــور

وقال وقد أجاز بمرزاز من خواهي حلب وهي مع الأفرنج :

وجوازي على الطباء الجصصـــــور
ر علينا كالربوب المجصصـــــور
وقدود مثل القنا الشصصـــــور
ربها ذوب سكسر الأشصصـــــور
غير أن الإعجاز في الأعصصـــــور
أر من سرة علي هصصصـــــور
ر منه بواقن المصصصـــــور
بني طرف له قوادم بـــــور
عقدتها تاجا غلصصـــــور
فغر غزوا غانني اليوم قـــــور (٣)

أبن عزي بن روحي بـــــور
والهافير ساحبات المصافـــــور
بميو: كالمرهفات البواصـــــور
وتحور غلصصـــــور
هوجوه لها نهضة حصصصـــــور
كل خصا صصصـــــور
ذات خصر يكاد يفض على القصصـــــور
لا حظني غانني بها على قـــــور
وسيتني لها ذواق صصصـــــور
من مصيني على بنات بني الاصصـــــور

(١) ديوانه : ورقة ٦٦ مخطوط

(٢) ديوانه : ورقة ٧٧

(٣) ديوانه : ورقة ٧٩ وانظر البريدة قسم الشام ١٥٦/١

وقال في كنيسة برسارة وهي للأفرنج خاصة :

بدنيك يا قس برسارة
أجرتني من الصور الناطقة
إذا هن أقبلن وقت الصلاة
وجالت مناطي أوساطهم
واجلسها بقل أردافهم
فلولا التخرج في طريقي
وقمت الحن قد اسمهم
ولم تك فرسانها في العلم
الا خذنا ما استشار الهوى
تري كل فانتقوجهم
تكد التماثيل من حسنهم
فرنجية ساكنة قد هم
إذا قبلت صورة أقبلي
نيا ليتني عندها ديسنة
فأقسم لو أنني استطيت

(٢)

وما بت تتلوه فسي المتسدد
مقي قدن حولك فسي مسدد
قرغي كل لون من الاطللس
وضاقت بها حلل المسدد
فيالي من ذ لك المجلسد
طلعت عليهم في برنسدد
غير بليسد ولا أخسدد
بأشجع مني ولا أفيسدد
بتلك الكنائس من كنسدد
مصري بشخص الضيحي مكنسدد
تفوز بنا طقة الأنفسدد
وزنارها قلقت المجلسد
عليها بنا ظرفسا الأشسدد
تراني ولا رب في ملسدد
مع عولت صورة مخرجسدد (١)

وقال في تولد من تولدي الأفرنج أبصره ب " ياعو " من بلاد الشمال :

وشحنة كالهلال فسي " ياعو "
وال وألبابنا ولا يتسدد
إذا بدا أد غنت لسه حبسدد
يخمس أوتار: عود بيسسدد

عيناه جند له وأشسسدد
ومقطع والقلوب أقطسسدد
وان شدا مكنسده أسسسدد
إيقاعها بالنفسسوس ايقاع (٢)

ولشي الكشسوف :

كم لي بانطاكية من هسسوي
اذ لا أجيل المين إلا عسسوي
منكل بيضا مسيحيمة
تجري ثناياها الحافي عسسوي
فالعين شوف المين مصروفسة
هذا وكم وجهكشسوف الشحسسوي

لا انشني عنسبتغسسوي
جيش من الأقمصار مصفسسوي
ما عندها البدر بموصسسوي
تلحظ طرنا غير مطسسوي
عنما هوما القلب بمصسسوي
بالهيكل الكشسوف بكسسوي (٣)

(١) ديوانه : ورقة ٧٠ (٢) ديوانه : ورقة ٧٩ (٣) ديوانه ورقة ٦٢

وليشبب بأفرنجية يصفها بزرقة المسمين:

لقد غنتني فرجيس
غني ثوبها حسن ناع
وانك غني عيني بما زرقست

[illegible]

وهنا عماد الدين زنكي يفتح الرها سنة ٥٦٩ هـ:

أما أن يزعم الباطل
 إلى م يشيب ملوك الضلال
 فلا تحفلن بصول الذنوب
 كذا ما اثبت قط صم الرما
 هو السيف إلا تكن جامسلا
 وهل يضح الدين الأغمسني
 أبا جعفر ه أشرفت دولسنة
 فاما نصبت لرفع اسمهم
 بل انقاد جامتها الرصصني
 ليمنك ما أفرج النصر عسسه
 فتوح الفتوحاته نظم القسس
 نقل للحقائق : الطريق الطريق
 وجاهد في الله حق الجهم
 بجيش اذا أورد الشمس سور
 اذا شمر الباس عن ما قسسه
 نيل نعمة مثل الشاكس
 تخض عنز لها فمجبسب
 غداة ولا رجع دون اللامسا
 ولا نصل إلا لمبارق
 وقد قلدا السيف تحصينهم
 وهل يضح السور من ظالسع
 شققت اليها بحار الجديس
 وخضتم غمار الردى بالسوردي
 فان يفتح الرما لجسسنة
 فهل علمت علم تلك الديسس
 أرى القمع يامل نوا الرمس

وان ينجز الحدة الحاططة
 ل سيف باعناقها كاسف
 وقد زار الأسعد الباسف
 أو يتشقى القنا الذابف
 لمزته برك الحامف
 يصول انتقاما فيستاصف
 أضاء لها بدرك الكامف
 فإنكما الفعل والناعف
 وأغصب بتانيها الحاصف
 وما ناله الملك المصاف
 ألى أنا بيها الحامف
 فقد دلف القرم البسف
 د محتسب بالحق قاضف
 يروى بما لأسل الناهف
 مضى وهو غي نغمه رافف
 من فضلك ه اغضالها الشامف
 فيا سئد ما وضعت شامف
 نالا وعقره شائف
 دماء الطلى تحت حوابف
 ولكنه الناصر الشسف
 يشايحه القدر النسف
 د ملتظما موحها لها طف
 وعن نغميد فح القاتف
 فصاحلها القدر والساحف
 ر أن القيم بها راحف
 ولا بد أن يضرب الماسف

(۱) دیوانہ : ورقہ ۶۶ • وانظر الخريد تقسم الشام ۹۹/۱

وهل عاقل بعد ها عاقل
لمن فات حشيتسه الخاص
مفاد اصافنا لنا
قضى فمضى الصارم القاصص
ألا ربما نيسها لخاص
كانك في كلهمنا نيسنا
وصدرك من حشيتها آش
وفي يدك الصامت القاش
ففار من يمشيها راجي
كان يناتسبها بسا
فأحمد ها القاطع الواص
وهل يدرك العالم الجاه
فاكرم اصهارك القاض
ومن كشمها لندى خاف
والا غوكبها آف
وحالي من دونها ش
يزيل بها غشك الدائ
وفي كل فج له نائ
ن من كل ما يفرق الدائ
فلا وصفت أنها عا ط

بقوي ساقله جاه
وكيف بيهل هواقي الجهم
برأيك في الحرب أم لفتك اس
وعن حد عزك في المشك
نشرت الفضائل بعد الخمس
وحطت البلاد على نايهم
أتحسوا المالك من حاف
ولم لا تحيط بأفانهم
إذا ما علا الخمس في حوم
يغض على الطرس حمر البيس
مضى ترك الحميد والمهفيس
بسابقة العلم فتال نيس
إذا خطب الأكرمون الثيس
أيز الكفا توتاج المسراق
تأمل مبالغ هذا الكس
أرى القوم تلمع أم لهم
نميل لي على الهدى من قر
فان الضام بعيد المنال
وأنت الزمان وأنت الام
وأنت الحلبي على المكرمات

وقال يمدح نور الدين سنة ٥٤٤ هـ بقصيدة مدالهمسا :

وحسني الشلوخ على فواد
لا وفد عن من الخير العال
واسان بنور الدين صدر الص
ومشقات تمندى بلم
بقوائم يدركن أهنف
فلخير غرته يصين اللاطم
حتى بين المهزوم خلف اله
والبا ركان المكنى بالقاسم
حلل الجنان على جواد الح
الا اتصال يهينه بالقائ
لولا ما أعيت على يد سائ
ففيها العواصم وهي غير عواصم

أبدى السلو خديعة اللاطم
يا أيها المشرى بأخبار اله
اسأل عديتك بالصبابة لمستقي
ومحافظات ترتضى بأجن
وسموات تلعت تدري في الوغ
كل ابن سابقة إذا ابتدر المصدى
يرمي بغارحه أمام طرسه
ينحى الى ملك إذا قسم النصدى
متسرسل بالحزم ساعة تلتقي
ما بين منقطع الرقباب وسيفه
سام الشأم وبها لها من صفقه
ولشمرت عنها الثفور وأصبح

(١) الممدوح : قس الشام ١٨٧١ - ١١١١ وانظر الروضتين ج ١ ص ١٢٦

ودعوت فانقادت بخير شكائهم
 قائم الزمان لها بقاء الخسائهم
 ما عند رأيك من طين وعزائهم
 قلت الصواعق في متون غنائهم
 وهل الأسود القلب غير أعاجهم
 أسخى هناك بنفسه من حائهم
 فالدرج من عرك الشجاع الحسائهم
 كفلت بفل قد يمهم والقسمائهم
 ما في ظهور الخيل غير غنائهم
 في الحرب كيف رأوا لسان الحاكيمهم
 ما سكنت حركاتها بجناهم
 طال البناء على يمينهم الهائمهم
 فكانما هي دعوة في ظالمهم
 من مارد قدغت اليه براجمهم
 أمددت ديمتها بنسودائهم
 أمن الموت ثروة للهمهم
 عد لا كسد لك ارجفوا بالقائهم
 فالدر أنفسه بكن الناطمهم
 تختال بين فضائل ومكسائهم
 لحقت أمة لأنتمت غنائهم
 متسر بلا أسنى ثواب الصائهم
 بدر التمام قلدا يتممهم (١)

تلك التي جمحت على من راضهم
 وإذا سعادتك أحتيت في دولهم
 يا أمين الملوك وهضب أنصار الهدى
 توأنا انتضت السيوف أكفهم
 من كل منصور اليهان بمجملهم
 أو ملخص بقرى الصوارم في الوغى
 حصن بلادك هيبة لا رهيبهم
 وارم الأعداء بالعوادي إنهم
 أهلا بما حملت اليك جهادهم
 واسأل فوارس حاكوك إلى القناهم
 تلك العوامل أي أفعال المسمى
 هيما يطلع في تلك ظالمهم
 كلت همك الملو فحلقت
 قننت بأوطمان النجوم فكملهم
 أنشأت في حلب غمامة رافهم
 ألحقت أهل الفقر فيها بالخسهم
 وأظن ان الناس لما لم يسروا
 فتبين أوصاف السلى مظلومهم
 جاءت في حلل النباهة حاسمهم
 عربية أنسابها لوأنهم
 وتدل غرة كل غطر بحسده
 لا زال وجهها في عقود شمسه

ولم يمدح تاج الدين بوري سنة ٥١٢ :

وطال أعداء مجير الدين مقتسمهم
 نت المهاد فانت الحل والخصمهم
 صادق الحزم في أوساطها الحسهم
 كالليل ، يلتهم الدنيا له ظلمهم
 يومود حاسبه الأعياء والسهمهم
 أواجه بأوامري الأيام تلتهمهم
 مياسة ما يخفي أثرها نسهمهم
 بالنصر ، كل قناة فوقها علمهم
 والله يحصم من بالله يمتهمهم
 وأقبلت أوجه الأقبال تبتهمهم

الحق متهن والسيف متهنهم
 قدت الجياد وحصنت البلاد وأتمهم
 وجئت بالخيل من أنص مراحلمهم
 حتى إذا ما أحاطوا المشركون بنسهم
 وأقبلوا ، لا من الإقبال ، في عسهم
 أجريت بحرا من الماذي متهنهم
 وسمت بندق ، والرحمن يكلهمهم
 وقفت في الجيش والاعلام خافهمهم
 يحوطك الله هونا عن عيونهمهم
 حتى إذا بدت الآراء ضاحكمهمهم

(١) الخريدة ، قسم الشام : ج ١ / ١١٢ - ١١٤ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٩

أُتْبِعَتْ جَنِّ سَرَايَاهُمْ مَضْمُورَةٌ
وَالنَّصْرُ دَانٌ وَخَيْلُ اللَّهِ مَقْبَلُورَةٌ
صَابَ الْخَطَامُ عَلَيْهِمُ وَالْعَتَاهُ مَمْلُورَةٌ
سَرَوْا لِيَنْتَهَبُوا الْأَعْيَارَ فَانْتَهَبُوا
وَأَتْبَعَتْ خَيْلَنَا تَرْدِي بِخَيْلِهِمْ
وَأَدْبَرَ الْمَلِكُ الطَّاعِي يَزْعُورُهُ
وَأَثَرُ دَمَشْقٍ نَظَنُوا أَنَّهَا جَسَدَةٌ
وَأَيَقَنُوا مِنْ غِيَاةِ الصَّبْحِ أَنَّهُمْ
فَنَادَوْا أَكْثَرَ الْقُرْبَانِ وَانْجَلَفُوا
مُسْتَلَمِينَ لَا يَدَى الْمُسْلِمِينَ وَقَسَدُوا
لَا يَحُلُّكَ الْجِسْمُ دَقَسًا عَنْ مَقَاتِلِهِ
وَحَاوَلُوا الْمَسْجِدَ الْأَدْنَى فَمَا عَسَبَتْ

وله في كنيسة القيسان :

يَا غَزَالَ الثَّنُورِ بِالْقَيْسِ بَانِ
أَسْأَلُ السَّانِعَاتِ عَنْكَ نَهْمًا بَارَا
كَيْفَ يَصْفِي إِلَى السَّلَاحِ جَمَاعَتِي
حَبْدًا يَوْمًا كَرْتَنَا الزَّنَانِيَّةَ
وَعَلَى دَوَقِ الْأَسَاقِفِ ظَلَمَتِي
غَسَنَ كَابِتٌ مِنَ الصَّرِيرِ الْمُنْضَبِي
.....
نَارِي مِنْ أَرَانِي الشَّمْسُ شَمْسَانَا

ولفني دير سميان وهو على غرسخين من أُنْدَاكِيَّة :

يَا هَلْ سَحَقَتْ دِيرَ سَمِيانَ
أَبَوقَتْ لِلصَّلَاةِ هَيْكَلُورُهُ
فِي كُلِّ غَسَنٍ تَفَاحَتَا خَجَلُورُ
مِنْ ذَاتِ بَشَرٍ يَلْجُحُ فِي بَشَرِ
يَرْمِي فَيَصْطِي عَنْ غَيْرِ نَادِقِيَّةِ
.....
تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَهِيَ مَسْرُورُهُ
وَانْصَرَفُوا وَالْفَوَادُ أَغْثُورُهُ
يَا حَسَنَ عَيْدِ الصَّلَاحِ لَوْ أَنَّ كَسَا

وَمَا بِهِ لِلْمَيُونِ مِنْ عَمَلَانِ
أَمْ مَنِيَّتْ مِنْ مَنَابِتِ الْبَيْسَانِ
تَلَقَّاكَ مِنْ مَثَلِهَا بَيْسَتَانِ
وَذَاتُ جَانٍ يَبْدُو عَلَى جَمَلَانِ
مَا كُلُّ قَوْسٍ تَرْمِي بِمَرْبِيعَانِ
.....
فِي الْأَفَقِ عَنُوبُورُهُ
مِنْ كُلِّ نَصْرَانِيَّةٍ وَنَصْرَانِ
نَ الدَّهْرِ فِيهِمْ أَعْيَادُ صَلَاحَانِ (٣)

(١) الروميتين : ج ١ ق ١٤١ / (٢) ديوانه : ورقة ٦٧ (٣) ديوانه : ورقة ٧٢

فِيهَا نَجُومٌ إِذَا جَدَّ الْوَقْتُ رَجْمُوا
تَرْجُو الشَّهَادَةَ فِي الْهَيْجَا وَتَغْتَنَّمُوا
عَمَّا دَرَوْا أَيْضًا الْهَيْطَالَةَ الدَّيْمِيَّةَ
قَتَلُوا وَفِيخْتَنَمُوا الْأَمْوَالَ فَانْخَمَمُوا
مَجْنُونَةٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْقَمِيَّةِ
حَرَّ الْأَسْنَةِ وَهُوَ الْبَارِدُ الشَّيْبِيَّةِ
فَفَارَقُوهَا وَفِي أَيْدِيهِمُ الْعَمِيَّةِ
إِنْ لَمْ يَزُولُوا سَرَاعًا زَالَتِ الْخَشْيِيَّةِ
وَحُلِفُوا أَكْبَرَ الصَّلَاحِ وَانْهَزَمُوا
أَغْرَى الْقَنَا بِتَمَادِي مَخْطَفِهِمْ نَهْمِيَّةِ
كَأَنَّهُ حِينَ يَخْشَاهُ الرَّدَى صَنَمِيَّةِ
عَنْ مَسْجِدِ الْقَدَمِ الْأَقْصَى لَهُمْ قَدَمُ (١)

قال يمدح نور الدين :

وما يوم الفرنجة منك فـ
أجاش الأرماء لهم خميس
وأحكم بالحليم لهم حطام
مشوا نعمان دين إلى صليب
تلفهم المنايا في الثنايب
أطاشتهم كبشهم هـ
حللت التاج عن مصلح تاج
أناف على السقاب فكان أشهب
فأشرف وهو عن شرف مـ
تكاثر ما لشوات وهو بشـ
ينيدا من قراع واقـ

وكم سوط بخيلك أقبـ
تركهم بأرض الشام شامـ
هتكت حجابهم والشمس ومـ
بأبيض من حبيك الهند صـ
له سدة الشيوخ صفاء شـ
الا يا ناظر الدنيا بسـ
تبعثها فطالما ثلاثـ
فلا يأوى إلى رأي شمـ
ترقى عن هذه أوزة الأناـ
صالة الله كل د رور شـ
نقد ألقى إلى الامام عـ
تجيش له رواس كالرواسـ

وقال في تمنيته نور الدين بفتح عسازا وغيره سنة ٥٤٥ :

ندك القلوب بالبابـ
كتاب تربي جنود الملـ
إذا أنا أنشئت من قراع الكـ
تيرنن فيها البرنس الثـ
عشيت تحت على إنـ
وقام لأحمد محمود هـ

(١) الروضتين ج ١ ق ١ / ٢٢٩

فتحصر عده شطط الحـ
بعيد النور ملططم المـ
أمر برمه مر الضـ
يبوق عبوة الصم الشـ
وتفجأهم شعوب من الشمـ
نكت في باب دأشمة الذ بـ
كان الدقد من عقد الكـ
وأبهي منه في ظل النقـ
وأعبد وهو غاية الأنـ
شاه منه عن رجح الجـ
يؤوب له إلى يوم الصـ
دور فكان سوطا من عـ
لناغر تقيه أو لنـ
بشمس لا توارى بالحـ
مصون المتن مبتذل الذ بـ
وفي خطواته نزع الثـ
أرته علا بها خمدع السـ
على عز التلق والخـ
ولا يشني إلى أمل شـ
وحلق عن محاضرة التـ
على شوى أبيع من السـ
يطبق في النوايب غير نـ
تمد لها بفتان كالبـ (١)

وساح الملوك بأربابـ
ب منها بتقايح أصلاـ
كمت وقد ها في أـ
وحلته وقـ
نفوس النصارى بغضابـ
يجدع مسوارن أخزابـ

ع أغلب نود بغلابهم
 اكول الفوارس شراهم
 د هاهنا بهاشم أعصابهم
 د بما تمطش من صابهم
 تخرج مقير أوصابهم
 بنيرك ملهش آشوابهم
 زبور الوش بين أحداهم
 غنغد جمة أجاذهم
 وفازت رقاد بأصحابهم
 م من حمير تأخير ركابهم
 بعنك أغبار غلظابهم
 تمج القناسم أن نابهم
 اليك أزمة خرابهم
 بهجر مضيق لأشهابهم
 وأكثر من عد تورابهم
 مفي الامر ايطاء أترابهم
 غنون الليالي لامخرابهم
 م مشرة دنام أوشابهم
 في كاء لرسال نغابهم
 ملافظ السن خطابهم
 متى زنتها بأغابهم
 ب الأسجد ن لأنصابهم
 وهوب الممالك أسابهم
 دمو من المرى غير ديابهم
 ووصف التهانى وأرابهم
 بادابه ثلك آدابهم
 بنات عبيب بأغابهم
 من الله أودت بحسابهم
 ورد عليها ابن خطابهم
 يطير بها غرط أعجابهم
 وقامت أدلة إنجابهم
 أتمت السيادة من بابهم
 عريق ودية محرابهم
 تمطت هواها نا هوى بهم
 ت تخشى عواقي ألهابهم
 ت فالنار في برد أنيابهم (١)

تجلى لها حيدر المص
 دورث أركاسها من أب
 همام اذا اعصبت ثوبه
 مضى وجنى لك حلو الشهم
 وأوصى بها لك من بعد
 وأقسم جذاك ألا يلبس
 صبحت د مشى بمشق الدبي
 وأضلت رأيك قبل الحسن
 ناعذك ما لم تناله يمس
 وانتصرت فضل الزم
 تخوتها الجور فاستدرك
 وفاجات قورس بالشاء
 فط رمح حتى رميت بيضهم
 وعزت عزاز فاذ للتم
 بأشجع من أنفها منك
 د لنت لميطاء أم النج
 وهذراء مذ عثرت ما
 تفرعتها بغري الوش
 وعوج اذا انبضت أغص
 ومحدوديات تلير الخط
 تصوب عقبان ريب المن
 وبا ركعت حول شم الهض
 فالذات بمقتضى بالكت
 بمقتضى السدى والهم
 بحلى المحل بوصف الفت
 وتجز مذاحه أن تحي
 بداء لورد دهر رم
 وأين ابن أوس وأيات
 من اللاء عاد عتيق لم
 فأياحه من حبور ثكن
 لك الفضل انى راسك الجي
 اذا اعتسفت هم الجائر
 أبوا أبوها وأنت ابنهم
 أتول لموة جرة بالخ
 حذار فعند ابتسام الشيم
 ولا تخدعوا باقترار اللي

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨١ وانظر عقد الجمان ج ١ ق ١ ورثه ٢٠٦

وأخذه بحلب سنة ٥٤٧ هـ قسيدة أولهم :

المجد ما ادرت ثراك هضابـــــــــــــــــه
 ملك تكلف دين أحمد كنـــــــــــــــــه
 نال عدل حيث تصرفت أحكامـــــــــــــــــه
 مقبل الموت في نيراتـــــــــــــــــه
 عقد اللواء وسار يقدمه هـــــــــــــــــه
 أسد فرائسه القوارس والظـــــــــــــــــه
 طبع الحديد فكان منه جناـــــــــــــــــه
 وشهد أن كتب الوجوه كأنـــــــــــــــــه
 نشرت بمحمود شريعة أحـــــــــــــــــه
 ما غاب أصلع هاشم فيهمـــــــــــــــــه ولا
 ابنه قيلة قائمون بنصـــــــــــــــــه
 صبحوا صقلية البرنس بحالـــــــــــــــــه
 ما زال يشلب من بغام مـــــــــــــــــه
 ملقى بوجه الأضرحة نزلـــــــــــــــــه
 دون الأرنط سحبت به نبتـــــــــــــــــه
 سلبته درة تاجه يد ضيـــــــــــــــــه
 وأنته تحلب جوحلين جناـــــــــــــــــه
 أسرته لا منعت سراه وعـــــــــــــــــه
 يمشي ليسمع وقائع قيســـــــــــــــــه
 لا تل باعشره ولا كيـــــــــــــــــه
 ضمنت شقاوته سعاده صافـــــــــــــــــه
 ما زال يفدر ثم يفدر قـــــــــــــــــه
 تصر الاداني أن يحلـــــــــــــــــه
 مجر يجر إلى الشنائم قيســـــــــــــــــه

وقال يمد حمويذ كز ظفره بصاحب انطاكيه وأصحابه :

أقوى الضلال وأقترت عرصاتـــــــــــــــــه
 وأنتاش دين محمد محبـــــــــــــــــه
 ردت على الاسلام عصر شباـــــــــــــــــه
 أرسى تواعده ومذ عمـــــــــــــــــه
 وأعاد وجه الحق أبيـــــــــــــــــه ناصـــــــــــــــــه

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٨

وتفتت شعوبه وشبابـــــــــــــــــه
 فأضاع نير مصاب شهابـــــــــــــــــه
 والأمن حيث تصرفت أسرابـــــــــــــــــه
 يرجع ويرهب خوفا وعقابـــــــــــــــــه
 حلت عقود تدهمها أنرابـــــــــــــــــه
 أظفارها السميرة ثقابـــــــــــــــــه
 وسنانها شهاب وشبابـــــــــــــــــه
 أعداؤه تحت الوغى أسيابـــــــــــــــــه
 وأرى الصغابة ما أخذاه صباـــــــــــــــــه
 فاروق باء بخطبه خطابـــــــــــــــــه
 أن أجلبت من قاسط أعزابـــــــــــــــــه
 عرس الشباب من القلوب غربابـــــــــــــــــه
 حتى أتيت من الهدى غلابـــــــــــــــــه
 آراؤه وتزايامت الأبيـــــــــــــــــه
 ونجاهه وقراه وقراـــــــــــــــــه
 لم تنج من بأسه أساـــــــــــــــــه
 هبت نفل إلى القتال شباـــــــــــــــــه
 بالقاع إن رام الورود سراـــــــــــــــــه
 فزينا تقي دما له أندابـــــــــــــــــه
 صدت مني عنه ولا عتابـــــــــــــــــه
 غطى على أعتاته إعتابـــــــــــــــــه
 حتى أتاه بجاني أصحابـــــــــــــــــه
 سالهم مرويا عليه عجاـــــــــــــــــه
 وحتى يزار على الفتور قباـــــــــــــــــه (١)

وقال الندي وتجلجت قسدا تـــــــــــــــــه
 من يد ما علت دما عبراتـــــــــــــــــه
 وتبانه من دونه هـ وثباتـــــــــــــــــه
 سندا وشيد سوره سوراتـــــــــــــــــه
 إصلا تموجالات صلاتـــــــــــــــــه

رُفِست لنور الدين نار عزيمة
 ملك مجالس لهو هشد اتس
 يخرى بحتحة اليراع بناتس
 ويروقه نشر الصدى قان دمس
 غصوبه غمر الطلى وغبوقس
 فتح تعتمت السماء بفخس
 حبست على السلام بهن حجولس
 وانهل نوى الابطحين غمامس
 لله بلجة ليله محضت بس
 حيا القوامه فيه بمد قماصس
 نبذوا السلاح لضمهم عاد اتس
 لجرب عمرة فضباتس
 تحيا لنسيق صفاء اسس
 بين الجبال خواضعا اغناقمس
 نشرنا على حلب عقود بنودس
 روض جناه لها مكر جيس
 مسانددين على الرخال كما انتشس
 لم تنبت الاجام قبل رماحس
 فليحده الاسلام ما جدحت لس
 ومضى صدى ذلك الحيا صوب الحيا
 نصب السرير ومال عنه ومهتس
 ما ضر هذا البدر وهو محلس
 في كل يوم تحتظيل قناتس
 وتظيل ترقم في الشحى آثس
 أين الالى ملاءوا الطروس زخارفس
 غدقوا باغناق السواطل مالس
 لو فسلوا سمطا ببعض فتوحس
 يسمي ثنانيه بنا شقيونس
 بيلتان من دون الملوك تفرهس
 تحدث بهم عن خباياه جماتس
 سكنوا محقة الحماة واسكنس
 لو لاج للناثي غرة فتحس
 أو هب الطهرى طيب نسومس
 صدم الصليب على صلابه عسودس
 وسقى البرنس وقد تبرنس ذلس
 فانقاد في خطم المنية انفس

رجعت لها عن طبعها ظلماتس
 ومشوقة بين الصغوف شذاتس
 ان لد حشحة الكووم لدا اتس
 لا الشفر يعبت في لماه لثاتس
 ندك النفوس تديرها نشواتس
 وهفت على أغصانها غذ باتس
 واختال في أوضاعها جبهاتس
 وسرت الى سكنها نغحاتس
 واليوم ذبح وشيه ساعاتس
 ضرب يصلل في الطلى صغقاتس
 غرس الفوارس والقنا غاياتس
 لله محضمة غزواتس
 وتفيض ماء شوقها نغقاتس
 كالذود نابت عن براعد اتس
 حلل الريح تناسقت زهراتس
 واستوارت حماله حداثس
 شرب أمالت هامه قم واتس
 شجرا أصول فروعه ثمراتس
 شربات غرس هذه مبناتس
 خير الثرى ما كنت أنت نباتس
 لغير ضحك السرى مزاراتس
 ان الكواكب في الذرى ضراتس
 فوق السماء وتحتلى درجاتس
 مجدا والسنة الزمان رواتس
 عن نرف بحر هذه قطراتس
 من جوهر فأتهم فذ اتس
 مشرت بما اغفلوا لهم غلاتس
 غور القوانير والقنا قيناتس
 حركاته وتنيمها يقنااتس
 وسمت به تن قناوهم نباتس
 زحل الرمال من الغشا عزمااتس
 باء بحمل تأو بها اتس
 لا حش من تاريخه حشواتس
 غشقت أيدي سبا غشباتس
 بالروى مقر ما جنت راتس
 يوم الشطيم وأصمرت نوراتس

أصمت زواجر غيهمسا زفرائهمسا
فتبوا طرف العنان شوائهمسا
أغضت وقد كسرت لها لحظاتهمسا
بدم إذا ضحكت لمشماهمسا
نظمت مدار النيزين قنائهمسا
لأراك شاعدا خفضه إخبارهمسا
كلا ، ولا هممت لها هدراتهمسا
نحقت سطاك له فطال صائهمسا
مهيئ نصرك نكست راياتهمسا
مثل الكسرين تقلصت كراتهمسا
نعت المجاج وأسلمته حماهمسا
بالبيضة ينهب ما حواه غفائهمسا
داه المطال ولا تعيش عدائهمسا
ما كان قبل بصيدة يفتانهمسا
متسما ما استشرقت شرفائهمسا
متوزعات بينهن بنائهمسا
فتقاذت بمسقيقها قدائهمسا
أبدا ويكفت في الحضيض شنائهمسا
من شاء فلتسرع إليه هنائهمسا
وتهب أرواح القصيد هباتهمسا (١)

ومذ شاح عدلك فيه اتشمهمسا
ة أمين المثار متمين السمهمسا
وتدان قد شكلمسه ما اختشمهمسا
غفصوا كأن نما ما شمهمسا
عرا ما تشلمب منه الأشمهمسا
وعنوك عنما عم الصفهمسا
مواز ، مؤقن جرد الجسمهمسا
قيام لا بناك ان قمهمسا
وتصلح من طبعه ما فسمهمسا (٢)

ومضى يوجب تحت أنب همهمسا
أمد نبوا كالخريف فجاتهمسا
دون النجوم منمسا ولطالمهمسا
عجلوته تبكي الأصادق تحتهمسا
تمضي القناة برأسه وهو السهمسا
لوانق العيوق يوم رفعتهمسا
ما انقاد قبلك انهمبخرامهمسا
طيان خلف المرح طال زهمسا
لما بدا مسود رأيك فوقهمسا
ورأي سيوفك كالصوالج طاوهمسا
ولي وقد شربت ظباك كمائهمسا
ترك الكنائس والكناس لنا همسا
غلاب أروع لا يبيت عدائهمسا
للوحيش بلقي بالمر يفتانهمسا
اليوم ملكك الفراغ قلاعهمسا
وقدا تحل لك الحائل أسهمسا
أوطأت أطراف السنايك هامهمسا
لا زال هذا الحلك يشمخ شائهمسا
ما أخطأتك يد الزمان فدوهمسا
أنت الذي ينجلي الحياة حياتهمسا

وقال بحدج نور الديسمسن :

أيا نور دين خبا نسمهمسا
رأك الصليب صليب القسمهمسا
شهم فتسلمه ما اقتسمهمسا
زمنهم آمن من صرهمسا
ويوم الصريبة أقبائهمسا
عبيث ما ليكنهم في الصفهمسا
وتقبل أزيئهم في الرهمسا
بتيث ترقع شترق الزمهمسا
تتلف من زغمما التسمهمسا

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦ وأعظم النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١٦/٢

(٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥١

وله فيهِ :

له الارض دار والبرية أعين
ولكنه الحق الذي ليس يحسد
تحل بأجساد الجياد وتمتد
بهاء وحتى في الدجى ليس يرقس
فلا الورود مشود ولا الباب عرس
ورأى شهابي وعزم مؤيد (١)

أيا ملك الدنيا الحلال والسدى
وليست بدعوى لا يقوم دليلها
أخو الفزوات كالمقود تناسقت
لسان بذكر الله يكسونه
وبذل وعدل أعرقا وتألق
مرام سمائي هـ وحزن مسدود

وله فيهِ :

بثوب زندان أو تدل على همد
وشأوت شيبهم البوازل أمردا
أو أسجدوا للكأس جدد مسجدا
هزته موعظة عسرف صبيحدا
أرضهم مشهورا وراع عقلسدا
اللاءهم حبكها فاستصحبدا
فاداموا رضمودى بالسيبدا
والشوش كنت لظاه حين توقيددا
يجشأب من منهج الأصغر مجسددا
وأمال عطفك الوشيع مقسددا
الا أقام المشرकिन وأقسدا
أرضي الهك والمسيح وأحمسددا
وشعاب بأسوطا وشاب وصرخسددا
ماسل فيهم خاكها الا اشمسددا
رجاء فهل كانت سروقك مرتسددا
وأعادها كسر الصور كما بسسددا
سلام من بعد التناقف أعيسدا
نسق بشم هـ وقد رفعت بالأيتمدا (٢)

أبدا تنكب عن ضلال سدا
سدت الكهول من الملوك مرادقسدا
ان شيدوا صرحا أناف فسددا
واذا استهزتهم قلادد صبيسددا
قسدا لشم الشام منك صهسددا
ونعمك الاسلام منك بصسددا
أشقى فكنست شفاه من حسدا
كنت الصباح لليلة لما يجمسددا
لله يوم طاستك به النسددا
نشوان غنتك الدايي مغلولسددا
في مبرك ما قام بأسك دونسددا
ولكم مكر قمت فيه معلسددا
يوم القرية والمخليم وحسددا
لا يعدم الا شراك جذك انسددا
أحمدتهم من بعد ما ماموا المسدا
طلعت نجوم الحق من آفاقسددا
وهوى الصليب وحزبه وتبختر الا
سبق البجلي للخطي فرفسدا

وكتب الى نور الدين من حماه وهو محاصر دمشق قصيدة ينال فيها من صاحبها يقول :

أيا ورضوا وطء النجوم لئسددا
بك الله ترعى ما رماه فتسددا
وكالسل فقد أمسى يحل ويعدسددا
ويبكي بأخرى ذات شتروسددا
لكل يوم ثوب عجز يجسددا
بيوتا على جيرون بالذل تصسددا

أبوك أب لو كان للناس كلمسددا
وما مات حتى سد ثلثة ملكسددا
صدت ابن ذى اللخددين فانحل عقدده
يتلب خلف السجف عينا سخينسددا
ولا غزو قد أبقي أبوه وجسدده
فيها راكبا إماما عرضت فيلسدن

(١) الزمخشري ج ١ ق ١ ص ٥٢

(٢) الزمخشري ج ١ ق ١ ص ٥٢

وأُنشده بحض سنة ٥٤٦ قصيدة فيها :

الدهر أنت ودراك الدنيا ومـ
وأنت لا تقدر طوع يد يدك والا
فت الورى وعقدت ناصية المـ
تال أبائك سهل سليمان يـ
جلى ومدت ضللى لا يرفـ
ليخترم جد نـك ولا أب
شخت طاراك في الفخاخ وأتمـ
وحييت لأسماء وهو مـ
وفات بكرة صاليم صـ
خطتهم فوق الخطيم لوافـ
وربوا على الجولان ملك بجولـ
ولحا عظامهم بحرقته عـ
وشلت بالريح السروح وفوقـ
وعلى عزاز عتوا وتل عروشمـ
وتل يا امر يا شروك ففسـ
أودوا كما أودى بصادي غيـ
ان آلموا عتوا غانك صالـ
وزعتهم فبكل مهبط تلـ
وعصبتهم بحصائب بلء المـ
آثارها محمودة وأثارهـ
ليست من أسك في الكربة مـ
وقصيرة الأجل طول باعـ
منارورة الأسلاب مذ شـ
أشرفها فسل شريعة أحمـ
ولكن بشرت بظلمها في مـ
يجلو سناك ظلامه ويحلـ
في هبة زحم السماء رواقـ
ضربت مخيمها فكان كـ
لي كل يوم من فتوحك صـ
تهدي لسانك كاسه فرغانـ
فترار سيفك للأحابش محبـ
لا تحيد بين هذا القلد أمـ
الورد قر والمصارح رحبـ
والعيش أبلج مشرق القـ
والملك مدود الرواق مـ

في العبد بعد موئل يـ
تباع جندك والأنام عبيـ
بذم الشرى فأين تريـ
في الدست مهد ملكـ
معدوم ما لم يشغ المـ
إن النباهة في الخلف خـ
من لم يسد غارته كيف يـ
فأعتر أعضاب ورق منجـ
نصع الأجنة يومها المشـ
نفس الأرين لو أرين بـ
توعيد ها نسر النضال وثـ
ما زلت تحشر جوه فيـ
زرج نحصده الرماح حصـ
ملك بقيد من عناه مـ
أحب الاسود خشون أسـ
وعقوا كما أسدنوى الفـ
أو آلموا غدارا غانك هـ
خذ به من وازح أخـ
شتى وان خل البسالة عـ
مشهودة وشعارها مـ
يتلى جديد الدهر وهو جد يـ
بوعسامي شامها وقـ
تاه الهدى وتبخر التوحـ
ما جنته بوارق وعـ
تفريد صالى حره التـ
عقدت قناه لواواهك المـ
والأرا ترجف تحته وشـ
أوتاد القصور وأنت عـ
كزج الفناء وطائر غـ
وتسبح زبدة ما شد امزيمـ
ومار نعلك للصعيد صـ
ملقى اليه لرعيها الاقـ
والرغد مذ والضلال مذ يـ
جار غروا لأصائل فـ
فان وضاء المنى مـ

نشر الرفات وأشر الجلمسود
كل المواسم عتدها تميمسد (١)

لي دولة مذ هب نشر ربيعسد
محدودة الآثار محمود يسسد

وله في مدح نور الدين وتهنئته في غزاة حارم :

فعلهم يقلق عزك الأجهسد
فالشهب أطناج لها وعمسد
والفضل ما اعترفت به الحسنسد
دد وانجلي للأثر الاسنسد
أن المهتدود وحها ميسسد
فالبرق نجم والهشيمسد
والنوم الا في حماك سمسد
كيدا فسرط ناقض حصسد
جن الملا وكأنها أطيسسد
فالزجر قيدو الندى قيسسد
فالمعز سهل والهضاب وضسد
بدر بمرجك نيز وقتسد
عزا له فوق السهائمسد
حتى تثقت عوده الموسسد
عده يراعه ولا استمسسد
حمدك عن خطباثها الأتمسد
فلهم الى الدرعي الويسسد
قامت به لطلبكسم لاشهسد
دارفاه ضرب صادق وجسد
شاموا برائد كيدهم أو كسد
حرما بحارم والمصادسد
بيوت تناسب في الحديدسد
من دون ملة أحمد الاسسد
تجني فواكها ضمها بنمسسد
خدمت جحيم الشراك شموسسد
عودا غواتاهم اليهسد
فأقام منهم في النلسسد
وأبوه ذاك العارض الممسسد
نار لها ذاك الشهاب زمسسد

ما فوق شاك في النلى مسسد
شم ضرين على السماء سراسسد
أنت الذي خطبت له حسسد
قام لدليل وسلم الخصم اليلسد
زهرت لدولتك البلاد فروحمسد
أحيا ربيع العدل ميت ربوسسد
فالمعش الا في جنابك ميتسد
وانذا الحدي زرعو النفاق وأحصسد
بالقربات كأن فوق متونهمسد
تدأ ومن حي الكماة صفورسد
سحب اذا سحبت بأرض ذيلسد
يهدى النواظر في دجقة نقصسد
أبستدين محمد يا نسسد
ما زلت تمسكه بيماد القنسد
لم يبق مذ أرهفت عزك دونسد
ان المناير لو تحليق تكلمسد
ولكن حمت ملك الأعادي منسد
ولكنكم في أرضهم من مشمسد
ملكي بأطراف الفرنجة كلكسد
خاموا فلما عاينوا حوض السرد
ورجا البرنس وقد تبرنر سد
ضجت ثمالها خرس جرسسد
وحواعد ضربت بمن روا القنسد
يركزن في حلب ومن أفتانسد
يا من اذا عصفت زعازخ بأسسد
عجبا لقوم حاولوك وحاولسد
ورأوا لواء النصر فوقك خافقسد
نن جنكر أن ينسف السيل الرسسد
أو ان يسيد الشمس كاسفة السنسد

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ٢١٢ - ٢١٥

غداك من عام ومن أقطار
وما المورى أهدأ فتغدى بهم
عدن تساوى تحت أكنافهم
يا نودين الله كم حسادات
وكم حصى للشرك لا يهتدى
يا ملك العصر الذى صبره
وابن الذى طاول أفلاكهم
ساقب تكسر كسرى كسبا
ما عامي أوصافها شاعرا
لله أصل أنت فرع لـ
ما حلب البيضا طم صنتهم
شيدت في محوور أرجائهم
فأصبح الشادي اذا ثوب السد
لا عدم الاسلام من كفسهم
كأنما حاجتهم جنسية
تصرم الشهر الذى كنت فيهم
جهاد ليل في نهار ففهم
أصدق ما يرشقه سامعهم
أبقاك للدينيا وللدن
حتى نرى عيسى من القدرهم

وقال فيه من قيسية

شعرا الثعالب حين زمر مجر
تركوا مهاجرة الرماح لحدا
لربيب حرب لم تزل فعلا
أحد اذا ما عاد من طافهم
يتناذر الأعداء منه سلا
عرفوا بنور الدين وقع وقائهم
أهدأ يظافرك القضاء على السدى
قوضت فانتزع الظهاير طامهم
وعلى الحواصم من دفاطك عاصم

(١)

الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٧

(٢)

الروضتين ١/١/١٦٣

ومن سقى سحيك أوقصه
وهل يوازي عرض جوهه
مطائل الصين وأسد الشورى
دجى وأسفرت له فانه
وهم له غادرته مجر
أفسح من أقطارهم مصدرا
فلم يجد من فوقه مظهره
تقصر عن ادراكها قيصه
الا رأى أوصافها أشعره
ما أطيّب الدجنى وما أظهمه
الأحرام مثل أم القيسرى
لكل باغي عمرة مشعره
اعني له هلال أو كبره
كم فاعل أرهق أو أحصره
أجرت بها راحتته كوتبه
أوقات من قدره أشعره
ان كنت فيه الاصر الاشكره
ما همز من أوصافك المشعره
مخازن في ليلها منسجرا
لينا الى سيفك مستنصرا (١)

مارة البازد هما هما وزميرا
بصلت مخافته القصور تبسورا
المرء يلزم لفظها الذكره
ترى أحد لمتها أغبورا
مل الزمان تنبها وزميرا
وقى بها الاسلام أمنه
تبني فترجع ظافرا منسورا
وتغلت فاشتعل الدياجر نسورا
ينشي الرشيد وينشر المنصورا (٢)

وقال يمدح عيسى عليه السلام :

مهابات يحصم من أردت حذار
ظلمت عليك بهجوسلين ذريمة
وسعادة ما زلت تمرى خلفها
غارثك ما يجنى الوفي وفياؤه
عود أمر على أبارك ظلمته
ما زلت تنصوهو يكثر عاتيه
حتى أتاه لقومه ما جسر
أسرى فاصبح في برائن أسرى

وكتب اليه قصيدة من حمة ودنو محاصر دمشق سنة ٥٤٦ هـ :

أخليفة الله الذي ضمنت لــــه
لا المستطيل بمصر ظل قصوره
يا نور دين اللوا من عــــادة
صغر بحد السيف دار أشاءه
هم شيدوا صرح النفاق وأوقــــدوا
اذكوا بخلق حرها واستشــــمــــرت
شردتهم من خلفهم مستنجــــدا
لا تفتك به بل شق الهدى نفس الذي أد
قلده ما أهدي علي لم حــــب
ما الفش من أنفصرانــــة
اذكبت لنا هذي المزامير لا خــــبــــت
انقاب آراء المعز وخفــــسق را
شمر نقد مدات اليك رقابــــه
أو لست من ملاء البسيطة عد لــــه
حذب الأب البر الكبير ورأفــــة الأ
يا هدية الأسلم من معصــــه
كانوا على صلب الصليب مراد نــــب
آثارهم نجر اذال السرجــــد الأ
جار الخليل ومن بخره هاشــــم
بصرهم علمت وعافه عــــبــــر
يغتر عن ملك الملوك منحتــــل الأ

(٥) الروغثين في ١ ج ١ ص ١٩٠

أني ومن أوهاقك الاقــــدار
لا سئل أنشاها ولا إمــــرار
فيشف وهو النائق المــــدار
وأرته كيف يحين الفــــدار
فأحيل ذاك البر وهو بــــوار
والله يهدم ما بنى الكفــــار
لشود من عثر الفصيل قبــــدار
ما زال يدي ظفوه الاظفــــار (١)

تصديق واسفه سرة المنــــبر
والستال اليه شقة صــــبر
والكوثر ابن الكوثر ابن الكوثــــر
عقلوا جياذك عن بنات الاصفــــر
نارا تخشع بهم غدا في المحشــــر
لفحاتها بين الصفا والمشمــــر
ما ظامر الكفار من لم يكتــــر
رج المضال على أغر مشــــر
فلقد تهكم في الشداغ الخيــــر
لم تفتتن كالفتن من مستنصــــر
ما غار من سنن الملوك النــــبر
يات المزيرو بقطعة المستنصــــر
لا يدرك الفايات غير مشــــر
واجتب بالمعز أنف المنكــــر
م الخفيف باليتيم الأصــــر
يوم من ومن يتول عنها يكفــــر
أنبت بنوته بكل مذكــــر
قص قصن ما د تصوم طمــــر
بلمامك الصدق المتصــــر
اسطاع جهجونه سيف البريــــر
خوايل سعد السمود الاكــــر

عن طاعن الفرمان غير مكسب
 بدر الجحافل والجحافل فسارس لا
 ملك تماوى الناس في أوصافه
 يابها الملك الضادى جوده
 ان القصاد أصبحت ابتكاره
 ان كنتا حيت ابن حمدان لها
 ولانت اكرم من اناس نوهوا
 ذلت لدولتك الرقاب ولا تسزل

وتال يمدح نور الدين ومهنيه يفتح انطرسوس ويحمر سنة ٥٤٦ :

ابدا تباشر وجه غزوك ضاحكنا
 تدني لك الامل البعيد سواهم
 مثل السهام لو ابتنى ذو ارسن
 نبذت علاقتها بحمر واعلمت
 وعدون صافيتا لاج شوارها
 القلب أنت فان تماوى عن همدى
 عرفوا مكانك والظهيره بينهم
 اين الذبال من الفزالة اشركت
 غضبان اقم لا يشيم حصانهم
 غفل السواحم من ادراهم
 لم يبق بين الحولتين وامنهم
 اغلى ديار الشوك من اوثانهم
 ربح القصور على نشائد هامهم
 بشواحب الاليا طرقتو في الظلال
 غادرت انطرسوس كالطرس احمسى
 وهي الرماد لفتنة كانت على الا
 هتحت طارابلسا فاصبح ثغرها
 اتليد ها كانت وقد انطيت
 ان الابلى امنوا وقاعك بعد هسا
 القدر الصا فيمن اطاع ومن عصى
 لا يلهمهم ان قد مننت وشتم
 باكر بركز قنا تنسف اسمهم
 وتريك لامعة لنريك بساحسة الا

(١) الروضتين ١٩٦/١/١

ومقم الاحسان غير مكسب
 ساد في غاب الوشيع السهم
 غدر القتل زمان عجز المكتسب
 في سائر الافاق هل من محسب
 في ظل ملكك غاليات الامه
 فانا الذي غبرت في وجه السهم
 باسم ابن اوس واستخصوا البحري
 ان نغز تفهم او تقاقل نغزهم (١)

ونوعوب بنمويدا منصورا
 صفت ابلتها وكن بسورا
 في الجو مطاها لكن طيسورا
 سحرا بحرق عرقا لا ظفورا
 قد انلعت عفا إليك مشورا
 عضو اهاب به غماد بصورا
 يفرى بياض اديهم اديجورا
 وجهها وطبت البسطة نسورا
 والارض تحمل في الكفور كسورا
 واليورث به السواحم بسورا
 ونرا المصطفين ولا موتورا
 حتى غدا ثالوشين نكسورا
 من بعد ما جعل القصور قيسورا
 م قطا وشهوى في الصباح نشورا
 رسما وحمو دوشها يحمورا
 منام احكم كسره اكسورا
 بنام من عز الثفور ثفسورا
 واسال به سرمد بتهجورا
 غروا وقد ركبو الاغر غسورا
 منهم ودمر ارضهم تدسورا
 شعرا تصلي الكاغرين سمسورا
 والخييل صوركي تزيك صسورا
 قصى مطهرة لها تطمورا

عُثِلُوا مَحَاصِمَهُمْ لَهَا تَسْوِيْرًا
 مَاقُوا الشُّفَارَ عَلَى الْمَهَارِ مَـ
 لَكِ الْمَطْلَ عَلَى السَّهْلِ تَأْتِيْرًا
 قُلُقًا نَجَّتْ مَهْرًا وَنَدِيْرًا
 تَنَدَ الْكَتَابَ مَثَلًا مَرَا وَزِيْرًا
 تَأْتِيْنَهُنَّ فِيْحَكُمُ التَّقْدِيْرًا
 جَاءَتْ لِمَطْوَرٍ السَّمَاحِ نَشِيْرًا
 عِيَا بِهِ ، الْمَوِي ، الدَّ ، غِيْرًا
 يَامُون ، وَالسَّفَاح ، وَالْمَنْصَبِ
 يَمْتَحَنُ تَحْتَ أَوَانِهِ مَنَشِيْرًا (١)

أَوَلَسْتَ بِنَ قَوْمٍ إِذَا هَزُوا الْقَنِيْرًا
 وَإِذَا هُمْ خُطِبُوا الْيَرَاخَ عَزِيْرًا
 أَلْقَى قَعِيمَاهُمُ إِلَيْكَ أَرِيْرًا
 ضَحَكَتْ لَكَ الْآيَامُ وَأَكْتَابَ الْمَنِيْرًا
 لَا مَلِكَ إِلَّا مَلِكُ مُحَمَّدٍ الْمَنِيْرِيْ
 تَحْشَى وَرَاءَ حُدُودِهِ أَحْكَامِيْرًا
 يَقْظَانُ يَنْشُرُ عَدْلَهُ فِي دَوْلَتِيْرَةٍ
 خَلَفَ الْخُلَافَ قَائِمًا عَنْهُمْ بِمَنِيْرًا
 الْبَرِّ ، وَالْمَصْصُومِ ، وَالْمَهْدِيْ ، وَالْمَنِيْرِيْ
 يَشْرُو بِهِ فَعُيُودَهُمْ وَعَهَادَهُمْ

وَلَهُ غِيْرُهُ :

فَزَارَ الْمَنْزِلَ وَالنَّوْمَ الْفَسَادَ
 كَانَ الْأَرْضَ خَائِرَ هَدَا دَوَارَ
 بِحَقِيْرَتِهَا وَفِي يَدِهَا سَمِيْرًا
 فَكَلَّ زَمَانَ سَاكِنِهَا نَهْمَارَ
 وَتَشَرَّقَ مِنْ رَجَاكَ وَأَنْتَ نَسْمَارَ
 مَكْحَلَةٌ وَلِلْبَيْتِ أَفْسَارَ
 وَلِلْمَهْيَوَاتِ طَلِيْ وَأَنْتَ شَمَارَ
 وَضَرْبَ اللَّزْوِ وَرَبِّهِ أَنْتَ شَمَارَ
 وَمَا مِنْ عَادَةٍ الْبَدْرِ الْيَسْمَارَ
 بِهِ مِنْ عَذَابٍ مَهْرَكُمُ شَمَارَ
 لَيْسَ مِنْ بَيْتِنَ كُلِّ وَفِي حُشَارَ
 وَأَضْرَ وَلَقْنَا مَنَاهَا ثَمَارَ
 كَمَا أَجْلَى مِنَ الْكَبِيْرِ الْمَصْمَارَ
 عَفْنُهُ فَلَا جَدِيْرًا وَلَا جَسْمَارَ
 فَابْغُلْ خِيْلَهَا وَلَهُ عَسْمَارَ
 فَاسْئَلِ وَهْمَ وَغَيْْرَ غِيْرَارَ
 جَوَادٌ لَا يَشُقُّ لَهْفِيْرَارَ (٢)

أَيَا سَيِّدَا أَعَزَّ الدِّينَ مَنِيْرُهُ
 مَلَأَتْ جَوَانِحَ الْأَقْطَارِ رَجْفِيْرًا
 عَلَا حُلَى عَلَى الدُّنْيَا فَتِيْرًا
 أَدَاءُ شَمْسٍ عَدْلِكَ فِي دَجَانِيْرًا
 تَحْرُكُ مِنْ مَصَاكٍ وَأَنْتَ مَنِيْرًا
 إِلَّا اللَّهُ وَجْهَكَ وَالْعِيَا مَنِيْرًا
 هَتَكَتْ حِجَابَهَا وَالنَّصْرُ غِيْرَتِيْرًا
 يَطْمَعُ الْقُلُوبَ بِمَا أَنْتَ ظَلِيْرًا
 تَبَادُرُهُ كَانَ الْمَوْتُ غِيْرَتِيْرًا
 أَنْشَأَتْ عَلَى الصَّلِيبِ مَطَا صَلِيْرًا
 بِشَرْفَةِ الْمَنَاكِبِ بِقَرِيْبَتِيْرًا
 جَبِيْنٌ بِأَنْبِائِ الْمَنَاصِيْرِيْ
 وَفِي حَابِ أَهْبَتِهَا فَجِيْرًا
 وَكَمْ فِي فَيْحٍ حَارٍ مِنْ حَرِيْرًا
 وَإِنْ خَاكِيَّةَ اسْتَنْتَ الْيَمِيْرًا
 وَصَبَحَ فِي عَزَازِهَا عَسْمَارَ
 يَشُقُّ بِهَا دَجَا الْفُجَرَاتِ عَسْمَارَ

أسنى المحالكة ما أطلت منارها
 وأحق من ملك البلاد وأهلها
 من خام سام الخافقين وخامهم
 ضربة طبعتم مشاربهم وإن
 آل الرعية وهي تجهل آلهم
 فأرضجتهم وأتبت نبيهم
 ملك أبوه سماها تسما بهم
 نفع السبيل له فأوضح خلفه
 أنشئت يا مسعود قلة أحسن
 إن جنات عدل السنان فوانهم
 فقد أبح المعصم السواصم قد غمست
 وتكفلت لهم أنضيتهم
 كذبت شواطئها وردة مطارها
 كبر حاولت من كفتيها غيرة
 أنى وحاشي سرحتها من لو سمست
 في كل يوم من فتوحك سمورة
 وميليلة تثير المناير ان غدا الم
 هجم تحجلك الملوك وراهبهم
 وعزائم تستويز الأساد عبيهم
 أبدا تقصر طول مشرقهم ذرى
 ففرت أغامية فما نهتهم
 أرشقت رائك فوق رائك تحتهم
 أدركت ثأرك في البغاة وكنت يس
 حاربة الزمن المنير ممالهم
 زار الجزير فقيدت عنائهم
 شاءت دجوتك فوقها ولهم
 أصمت مع الشورى الصبور وأصبححت
 ولهم قرعت بقراتك مثلهم
 حتى إذا اشتعلت أشرق نورهم
 خر الصليب وتد علت شمامهم
 لما وعاهما سمع أنطاكيته
 فاليوها تحت مستند هجيرهم
 علمت بأن مستدوق جرعة أختهم

وجعلت مرشفة الشفارد سارهم
 روعت تكنت عدله أنظارهم
 مننا وزاد هوى فخر نزارهم
 عدته ذروة ناز من أسوارهم
 ونصاف نطقها وتكرمدارهم
 وأساخ جرعتهما وأثبت زارهم
 وأجادها فعلت سميها جارهم
 وهذا له يمن النلى أبشارهم
 من بعد ما شمل البلى أصغارهم
 أو نانات كان الحمام جبارهم
 غذي المزائم أسرها واسارهم
 في صونها أن تسترد غمارهم
 ما أرشقتو فتت أطارهم
 غلب الأسود غلقت أنظارهم
 للفاك بساطته أعال مدارهم
 للدين يحمل سفره أسفارهم
 خطباء تشر فوقها تقصارهم
 بدم الحثار وما اقتفت آثارهم
 نهضت الفرائس إن أحسن أوارهم
 بالمشرفة أو تطيل تصارهم
 كبوار أجنادها الأران يوارهم
 فخطبت من سمعناها أعارهم
 مختار أمه أحمد مختارهم
 ملك المعير فأسترد صارهم
 عصر الفائل وأسلمت أعارهم
 باتت تنافسها النجوم سرارهم
 شمراء تمتلي الفحول شوارهم
 تلما وقلدت الكمامة أزارهم
 عزاً وحاذها سناك سوارهم
 وأستوبلت صلواته تكرارهم
 سرت الوقار وكشفت أمارهم
 من جوهر وغدت تدم جوارهم
 إن زر أطواق القباء وزارهم

وأنصار رأيك أنصاره
وعمر جدك عطاره
ك ه بل طال بالهوى أهله
تسعد إلى الطي أغواره
يا هباء خيلك أبصاره
ة عز نسفطها عاره
أذابت مع الماء أحجاره
بزخف تصور أسواره
شدت خفصت أخباره
عليها قولك أدباره
على ضحقة الدهر أسطاره
وتستسر السر أسفاره
تجير الحيل أسناره
تكاد تحدث أخباره
دجاءه ومشعته أنواره
وصلت فاذ لك جباره
على شق الدهر أزراره (١)

وكان مهاجرها تاهمه
فجددت إسامه سالما
وما يوم إنب الأكتيه
وأياك العز من بعه
ولما هببت ببصرى سكت
وعلى العيون جوار السرا
صد متعمرتها صد م
وفي تل باشر باشرهم
واند الكتم لوانق
وشب التدام حتى طلعت
مشاهد مشهورة نشأت
يلذ الأغاني ترجيم
بنيت لوفد الحنى كسبه
ملك الأراضى مفسرة
نما زلت تدجن حتى محسوت
وعلى فاعزرت مسكنهم
وصنت على من على أحكم

قال يمدح عماد الدين زنكي وبهني مفتاح الرها سنة ٥٣٦ هـ :

أزحت به ما في الجناحين من نيسيل
ليفضل أضافا كثيرا عن الرسيل
تصك قلوب الماشقين بما تسلي
بأنه أمضى منفي الشوز والمجسيل
إذا ردت عنه منكم المال والأوسيل
.....
أناع على أمانه كللك النكسيل
بجمعك بين الذهب والاسر والفتسيل
وتون مصاور الرواية والنقسيل
جزيت جزاء الصديق عن غاتم الرسيل
تبثك أسباب المذلة والشوسيل
يشوب بأقدام الفتى خنكة الكهسيل (٢)

وما يوم كلب الروم إلا أخو السيل
أنا بهش الروم حشر أرسيل
نقاتلته بالله ثم بعزمه
توههم أن الشام دوى ومسيل
نظار وخير المشمين دمسيل
.....
أيا ملكا ألقى على الشوك ككسيل
جمعت إلى فتح الرها سد بابسيل
هو الفتح أنسى كل فتح حديثسيل
فخضت بمنقذ الخواتم بعسيل
تجردت للإمام دون ملوكسيل
أخو الحرب غدت القراع معظمسيل

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٩٣
(٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٣ و ١٠٠

قود الذلول أطاح بعد صيــال
 الفحت فيها الحرب بعد حيــال
 ذعرا يشيب نواصي الاطــال
 غربا سوابقه بنير ثوالــال
 رهبا ٥ به سيف المقلب صالــال
 عيم أشلن النوم غير حــال
 نيسا يناديه أد يد صــال
 اعطيننا أسنا من الزلــال
 والنصر فوقك صبل الأذــال
 سحبت رداء الشد غير صــال
 زهر القاتل بباشر الأتــال
 شرابهم غرائب الأتــال
 زرت خواشيها على رثــال
 في بردتي بدل من الابهــال
 فرض الخليل برده الالهــال
 من خمس عشرة سورة الأنــال
 ومواميت ما ختياز السمــال
 عن عم عم أو عبايل عــال
 يقفوا لواءك كاللوى المنــال
 وله عهديك بكى على الاطــال (١)

أخرمت شقيقة النبال ٥ وقد تــال
 ورمت دار المشركين بصيــال
 وسمرت بين تريب وترابــال
 فوق الضلــال ٥ وقد خطمت زعيمــال
 غربا ما زلت ترنجة من حــال
 ويمنح حارم أخرمت لقراعــال
 وجوا على جسر الحديد حديدــال
 زلزلت أرضهم فوق صواعــال
 في بارق سميت ذيلك تحتــال
 في دولة غراء محمود يــال
 تنسي الفتى بها الفتى ٥ وتحتــال
 ليحت نور الدين نور حدائــال
 ملك تججب في السرير بــال
 تنجيب عن ذي لبدتين شذائــال
 رفع الرواق بروق أنطاكيــال
 بدر لاهن عشرة اقسيم الســال
 فوز المال أخاضه ماء الطــال
 تقسم بين القسامين الصــال
 لا زلت حطال من تنايا جــال
 لك أن تحلل على التواكب واقــال

وأشد نور الدين بحلب سنة ٥٤٧ قصيدة منها :

أدبهم المشربين له رشــال
 له أشبا يوزعها المســال
 قيام ذم ما اترففت فــال
 له من فوق فقسما لقطــال
 ولا عظم ما انتقل الدائــال
 وتلين من شهيد هذا الأنــال
 وأصبح لافراق ولا شــال
 تواء تحت كلكاسه حطــال
 على الاشرار أقروا الحــال
 وما اعتقلوه من خســال
 ذمت وأنت للجللى ذــال

لقد أوطأت دين الله عــال
 دعاك وقد تناوشنا الرزايمــال
 فحمت بنصره والناص فــال
 جذبت بتهيبه من قعر يــال
 وطلت على مناقلهم فــال
 بصرخند والخطير وفي عــال
 ولو لم تترف وتشم لــال
 صبيت على السليب صليــال
 ويوم بالمرجة كان حــال
 لتواء كان ما سلوه ســال
 وهاب وقور ويكثر لــال

(١) الروشدين جاق ١ ص ٣٥٧

كان مطار أنسره ~~شعره~~
 لهم طيفا يروح به ~~شعره~~
 شفت في الثرى منه الرمح ~~شعره~~
 حتى من أن تراج له ~~شعره~~
 فلاحيف يثاني ولا أشت ~~شعره~~
 وأنف ما يبل ~~شعره~~ أوام (١)

خد منهم بأرض مرجح ~~شعره~~
 وأية لينة لم تلبث فيه ~~شعره~~
 بنور الدين أنشر كل ~~شعره~~
 وتاد الحق بند كلال ~~شعره~~
 تألق عد له وذكت ~~شعره~~
 بقاؤه خير ما يرجح ~~شعره~~ راج

وله نيسه :

بردا تبد بيع الطبا محلم ~~شعره~~
 يقطر من قتل عبداه ~~شعره~~
 لم يلق في أقطارنا مسلم ~~شعره~~ (٢)

ملك كما الاسلام من ذب ~~شعره~~
 من أصبح الشام به شام ~~شعره~~
 لو لم يقهضلتا دوني ~~شعره~~

وقال يمدحه ويذكر موافقته :

أمين السجاد مكين ~~شعره~~
 وقد أغلش الظلم فيه ~~شعره~~
 وثقت عرى الدين لما ~~شعره~~
 ومثله نادى ~~شعره~~
 على الذهب من رقتها ~~شعره~~
 دراقا لكنا ردي ~~شعره~~
 من فخر الصليب له ما ~~شعره~~
 قد عتد البركة ~~شعره~~
 لا بقية ~~شعره~~
 أجابا أغصهم ~~شعره~~
 عرام يوشا ~~شعره~~
 مباح الحريم ~~شعره~~
 أبارتهم فليؤفوا ~~شعره~~
 بما خط في اللوح ~~شعره~~
 ومن ديننا راق ~~شعره~~
 وتشفق من بند ~~شعره~~
 فكم منجم تحتها قد ~~شعره~~

غدا الدين بأسط ساي ~~شعره~~
 لذلك لقيت نورا ~~شعره~~
 أشاعت بعد لك آفاق ~~شعره~~
 ولم تزدوا لنصر ~~شعره~~
 وهو سوطا بسطت ~~شعره~~
 وسرتن وصرخ ~~شعره~~
 وقد لقي جيشك في ~~شعره~~
 وفي كدر لانا ~~شعره~~
 مسودة أنها لا ~~شعره~~
 ويوم سرفود ~~شعره~~
 وثوق العزم ~~شعره~~
 وانت بكليهم في ~~شعره~~
 وبارتهم أذنت ~~شعره~~
 بنوها وأحلوا ~~شعره~~
 وأنت خاتم ما ~~شعره~~
 فترغ من بند ~~شعره~~
 سككت المدارس فوق ~~شعره~~

(١) الروضتين ١/١/٢١٠

(٢) الروضتين ج ١ ص ٣٢

بما شدة منها وكانا رخصتم
فأبدا غرير العزير الهشيم
وأنت ابن من عز لما اشتكتم
منارسة عين ندى الشسيم (١)

وعاش الحنفي والشافعي
وان لم تكن هاشمي الاصول
ومن يدعي في الخلا ما ادعيت
واتسمها غاب سيفت مقسمت

وقال ابن خنير يمدح عباد الدين زنكسي :

ردا لنقضك ابراهيم
وزال لبطاشك اقدام
هوانا لما صنع اسلامهم
ايا منى البرايا وايتامهم
ازان المحارب اصنامهم
د والبيضر والسرا آجامهم
نحتي تشامها شامهم
مى شئت ارضهم مهتامهم (٢)

غدثك الماواه وايتامهم
وزلت لميشك اقدامهم
ولو لم تسلم اليك القلم سوب
ايا محيي العدل لما نهمناه
ومستند الدين من امسنة
لث لها تفتيك الاسم
جزرت جزيرتها بالسيرو
وحارت عوارى اكنانهم

وله في نور الدين يذكر وقعة الجولان وغيرها :

الا وفيت الدين لايتنامهم
ارغوا جلد الاوش حكم عامهم
د غاصوكي من اصنامهم
عقرت الادحق من نعامهم
ونزل مشنودا من اعترامهم
قود شقود القوط غي راسهم
صاروا جفامشك في التظامهم
تجهم قمتها الكيف من جهمهم
لشم ايا ايت على اشامهم
نظم الثريا في فضا مصامهم
سوط عذاب صب في ايامهم
لم يصب الرشيد على اشامهم
في تقصير ما اخصد من ابراهيمهم
المشرب مشك تعثر في خطامهم
هن النجوم أو نواصي هامهم
عفوا علم تلمو على خطامهم
أنفذ في المشكن من شكامهم

ما برقت بيشك في غمامهم
محبود الصمود جدا وشمهم
ملك ازال الروم عن عليهاهم
بنان على الجولان امدومهم
والبحون قد برعها اجونهم
وشد في اللند له مليكهم
وفي الرضا صابت له سحابهم
وهب في شاب لمعواصمهم
وكفر لا ثالات في جبينهم
وقائ يرفق تحت وقمهم
فساعة لبيفر اذا عدد همهم
واعجبا لمصب الشرك السمتي
حكمة استوارها في عيهم
مظفر الرايات والشمس رايا اذا
عدت به حد العلاء همهم
جلت له الدنيا على زبرجهم
رأته وسو الليث يمد في ظمهم

(١) الروغتين ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ (٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٨٩

عزت سيوفك ، فالمرآق عراقها
 ان أغدت حل المزاميل حلبها
 شخبت عداك بها ، فلا اشراقها
 سريت فصيحها بها يظلائها
 كالهاء ، الا أن في رشقاتها
 خفت على أيمانك أوزانها
 حتى أحلن الشام ما صرصرت
 ورغبت أدران الجزيرة بحدتها
 شدارا أبرت ، ومثلها أنارتها
 بالخابلات الخاب ، تزار أسده
 أوردتها أجمل أنطاكية
 تلقى المشافر في مرأشف ، كلما
 فندت وقد عز المراج سراجها
 ومضى الضلال القهقري واستأصل الا
 وغدا يظللها الخليل سواجها
 غيبا لدين الله خص جناحها
 فالان رد النور فيه نسورها
 محدود الحمود أقدامها اذا
 القارج الكرب المظالم تضاجمست

والشام غير مدافعات شامها
 أو جردت حرم الكرى احرامها
 بمقازة منها ، ولا اعتامها
 هدأت فمستها بها أحلامها
 نارا حشاشات النفوس ضرامها
 يوم الوقي ، واستثقلتها شامها
 فيه جناد بها وصدح ديامها
 غمرت بها وهدانها واکامها
 وقع الخداوب تكرها أيامها
 والمجفلى الحى اللقاح صيامها
 عنقا وقد شب الصدا اجسامها
 بردت بها الاكباد زاد هيامها
 وتوزعت في كنسها آرامها
 ذان من رجح الاذان صلامها
 عذبا يمر لها المذاب غمامها
 بغيا وأدمى صفحتيه لدامها
 وانجاب من تلك الهنات ظلامها
 خام الكماة وزلزلت أقدامها
 أشداقها وفرى القلوب ضمامها (١)

تتوجته السرا في ترتيبه
 عيان للإسلام لا يخطئه أسسه
 خط على مثل أب طاعت لسه الأ
 تصرف الدنيا على إيتيه
 لو لم يكن دون منى فات الدنيا
 وأما ما كتبه بواض
 وعار كالجبر الجمار وشي
 ودونها لا زلت ترقى فسي حمس
 تلبس بيتا لله وفي يمين
 فأنما الدين رحي قطبت
 أعت بنا الأمال منك كبس
 وأرشدنا بك ثمر نعم

تتوجته السرا في ترتيبه
 عيان للإسلام لا يخطئه أسسه
 خط على مثل أب طاعت لسه الأ
 تصرف الدنيا على إيتيه
 لو لم يكن دون منى فات الدنيا
 وأما ما كتبه بواض
 وعار كالجبر الجمار وشي
 ودونها لا زلت ترقى فسي حمس
 تلبس بيتا لله وفي يمين
 فأنما الدين رحي قطبت
 أعت بنا الأمال منك كبس
 وأرشدنا بك ثمر نعم

وقال يدهج عباد الدين زكريا ويهينه بفتح الر

ينماد الدين أغحت عسيرة السيرة
 واستزادت بقسيم الدولة
 ملك أصهر عينا لم تسب
 لا غلت من كحل النصر فقص
 كل يوم من أيا م
 لو جرى الانصاف في أوصاف
 ما روى الرايون بل أسط
 إذ أنا في الشرك في أكناف
 وقصة طاحت بقلب الروم
 إن حمت مصر فقد قام لهم
 دين الدهر عليها مص
 والرشا لو لم تكن إلا الر
 ولكن من ملك حاول
 هي أغحت النجم إلا أن
 طيت منه بليث قائم
 زارها يزأر في أسد وشم
 صولجو البيض بضم
 يا لها طمة شر أضحك
 برنست رأس برنست ذ

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٠٢

فأمرت الأوامر والخصم زون
 إذا الأيام عند مناهج جيون
 يبين لشائمه ولا يمينين
 إذا عقت مشاربها الأجيون
 وقد شيدت من الشخ الخصم زون
 تنيه له المشاعر والحجج زون
 قوى ملك في الدلي أسمين
 أسير في صفادك أو كنمين
 ويخرج من جوسك جوسمين
 ينام لمنتهاه أو سكمين
 غنوا حتى فزوتهم فتمنن الضمين
 وكهم عبر السليب بهم صليبمين
 وما مضت بدار الشكرك الأمين
 ما من عظام ساجهم عظاممين
 باب في القنا تجرى نجيممين
 وبين جرار صرخد في بن حميمين
 وفين من المريمة في عميمين
 وكهم حرم لحارم قاد رميمين
 وفي شورا قور من صغن شميمين
 وثاق صرن في صغما طميمين
 نمان أب إذا عمن انتما بميمين
 شيلا كان املاك البرايميمين
 قنى وتضاوه في الارض حميمين
 لهذا اليوم تنتخب القوافميمين
 ونحن احذ منه بأن نهنميمين
 سلمت لنا فانا كل صميمين
 تراينا بفقوطك التهانميمين

وملكه عن الاقطار قطمين
 تالاه تخته غرر الميا لميمين
 وانت اتمت للجدوى منميمين
 وعندك مشرب النعمميمين
 تحكم في عطائك كل عميمين
 لقد اعمرت وبين الله عميمين
 وتام بنسره والناس فومميمين
 ربيت ملوكهم ودهم فميمين
 فبرست البرنس لفاع خصميمين
 اذا ما الفصل عن تالاه حميمين
 غنوا حتى فزوتهم فتمنن الضميمين
 وكهم عبر السليب بهم صليبمين
 وما مضت بدار الشكرك الأمين
 ما من عظام ساجهم عظاممين
 باب في القنا تجرى نجيممين
 وبين جرار صرخد في بن حميمين
 وفين من المريمة في عميمين
 وكهم حرم لحارم قاد رميمين
 وفي شورا قور من صغن شميمين
 وثاق صرن في صغما طميمين
 نمان أب إذا عمن انتما بميمين
 شيلا كان املاك البرايميمين
 قنى وتضاوه في الارض حميمين
 لهذا اليوم تنتخب القوافميمين
 ونحن احذ منه بأن نهنميمين
 سلمت لنا فانا كل صميمين
 تراينا بفقوطك التهانميمين

وقال يمدح نور الدين :

عفات مجداك لملك من معنمين
 يا صارما بيمين الله قائممين
 أصبحنا دون ملوك الارض مشممين
 فذاك من حاولت سمالك هضممين
 قل للأعداء : ألا موتوا به كميمين
 ملك تنام عن العشاء دميمين

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٠٥

فلا استرد الذي أعلاكه اللميمين
 وفي أعالي أعادي الله حميمين
 بان شبيه إذا الاملاك أشميمين
 جهن وتصر عن مسالك سميمين
 فالله خبيكروا الله أعطميمين
 تقري وتسهل للمشروع يميمين

فيما ابتلاه وتدني ما توحش به
قدرا وهاوزت الجوزاء تفسد به
واين دما روه ما راينس به
مظلل افق الدينا جناحس به
مطوية بفتحة المسك ريس به
فاغتر مسمه واشتر عناقس به
حديثها تسع الماضي وانس به
من رامها ليس مغزا كمش به
من الملوك لها وقعا غواتس به
وان بيت فوق النجم مس به
عن بد غرير لهم امار عيس به
وعابر الجود لما مع بنس به
للحاكرين ويستغني صفائس به
من لم يتوجها هذا التاج الا هو (١)

ما زال يسطك والايام تخذس به
حتى تماالت عن الشمس مشاعس به
وتد روى النامر اخبار الكرام مشوا
اين الشائف عن فتح انبيس به
على النابر من انبايس به
فتح اعاد على الاسلام بهجتس به
يهدى مستقيم بالمفتكس به
ان الرنما غير عمورية وكسدا
أخت الكواكب غزا ما بنس به
حتى دلفت لها بالسز بهشجس به
مشرا وينو الاسلام في شمس به
يا حيي العدل اذ قامت نواديس به
يا نعمة الله يستغني المريد به
أبقاه للدين والدنيا تحوطهم

وله فسي نور الديسن :

فطالا اعزها انفاقس به
عارضا شيب الدجى ابراقس به
عناق من اعناقها اعناقس به
شانة والبراق بعد عراقس به
قيرينا اخاوة اناقس به
وم لما اظله ارهاقس به
جمله دون نيله اخفاقس به
سات وابتر من لهما عراقس به
شاقه نيله مفصلة عراقس به
ما ونى سعه ولا اصفاقس به
من على الدين كظة اعناقس به
شلف صدر ينشيق عنه شفاقس به
حيكى في النافاء شفاقس به
ل له ركضه ولا انفاقس به
اعيا على الملوك لعناقس به
صلى بالنيارات نفاقس به
ليس الا الى السالي سباقس به
من اسار الصوت الزوام عناقس به

ملك ما اذن بالفتح ارضس به
والوس في الرهاء ارجى اليهس به
بارت جارة اليه فحلثس به
ثله بكر الفتح فالشامضس به
اين كان الملوك عن وجهها الطلس به
مقتنمها ابوه بكلسب السمرس به
شاقا قلبه الى امل عيسس به
قصمت راية المواضي القسيوسس به
وكذا ائت يا ائنه ما عمدا مسس به
وكفى البحر انه ابن محسبس به
لم يمت من سدوت ثلثه يسس به
دهية لم تدع على الارض فلبس به
كلما طن ذكرنا منه في السمس به
وبشهاد عن حوزة الدين لم يسس به
اي هان ادركت يا نور ديسن اللبس به
نطق الحاسدون بالعجز عن ملسس به
غمض ابصارهم لحاق جسس به
حل بصيرا كم اعتقت يوم بصس به

(١) الرواسين ١ / ١ / ٩٩

ضاق منه على الصليب فثاقمه
 لها لها حكت الأسارى رباقمه
 طار ولكن طواه عنه ارتفاقمه
 بان عنه فبان كالنار ما ثاقمه
 ان تافق أدواءهم دواقمه
 مرة ان ضربا سها لا نفاقمه (١)

كم غرام على الصليحة شمسك
 ولكم دابة بهاب واختك
 بسط الذل فوق بسطة باسك
 كان فيها ليل السرير حمى الامك
 وشبهه النبي يوم حنك
 وجي الحرب مخلص الكمين

وتان فيسسه :

مظفر النزم مدود الرواق على
 رد الخنازير كنسا للمدى فجنسك
 وأورد العلم بدا من إياك تسك
 وبست للمشرق أهراقا فدا درجك
 يا بدر مذ أفرقت في الدست شمسك
 أقام أحد من معبودها عامسك
 مخبي شريسته من بعد ما انهدمك
 شابت بواثبه فيها مها بتمسك

وله من أشرك :

أبا الرنايا فانها رشفك
 ملكك نبي السدل القويم الهك
 وكم أنيت خوفنا فأكفك
 لله أقطارنا التي قلبك
 أنبأني انبأ غوارسك
 أهدت لهما البرنس هبوتك
 وجوسلين استعاض نطقك
 ردتهم صغرا من كل ما ملكك
 جوبين بفاستك أوبسك لا رأت
 سرية لو تكون فارصك
 لا زال ظل النشأ عن ملكك
 والله بجازيه من مقيمك
 محوود المستطلي الى فلك الحرك
 اصفاك جردك المتوج بالجمك
 نذر عزوف عن الشنا طهرك
 أنت الذي سلم الانام لك
 وأنت مولى الدلوام قاضك
 والشمر هذا لا تلول أحمره

مسالم الدين يرفقها وبينهم
 نار الضلال ووزتها أثارهم
 فاستن وأثرت بها في صوابهم
 داربدة منه إلا استوطقت فيهم
 غيت الرعية واشغلت مراعيهم
 به اء تقام على البيضاء ساريهم
 واستصدمت بعد انصاف مانيهم
 حتى استقرت على سمنر سوارهم (٢)

أديك نسى عذبا ثنايا شمسك
 فأصعدت ديشها ودنيا شمسك
 متأناء الضروف خوفك اللبسك
 لها مناهل الى عنايا شمسك
 تردد غفوي أولاء أشرافك
 وكم فنا شاتيا فأشجأ شمسك
 فأعطب الذي تحت رندك
 يداه أيدى ما غل مسرا شمسك
 بؤسا وجراد الحيا محيا شمسك
 يورث ما انبثت أشقا شمسك
 ما الضمر كفا له اذا با شمسك
 أعزبا الله مذ تولاه شمسك
 مذ ونيرا له ولايا شمسك
 مذ ونشر لله عزراه شمسك
 نزلها الله يوم سوا شمسك
 يعنى طيار القلى وسرا شمسك
 من كل فنا خسرو وشاه شمسك
 أوه يدل من تواسني وألسك (٣)

(١) الروضتين ١/١/١٢٧ ١٣١٤٤٤ (٢) الروضتين ١/١/٢٣٠ (٣) الروضتين ١/١/٧١

قال يمدح طلائع بن رزيق حين قتل مقدم خيل الفرنج * :

حيث المنيّة كاسها يتما طـــــــ
في القل والنهل القطا القزا طــــ
أشقى وطأين مشابها عطا طــــ
حلل النبين معجاسدا وربا طــــ
وترد شروصان الرماح سيا طــــ
من دينه الأباراف والأوسا طــــ
لما أثار من السجاج عطا طــــ
في الترق شيطان الحروب فشا طــــ (١)

عن سيف دين الله سل أونا طــــ
والشرفية تد حكت في جيشــــ
قد شام طير الفرمه منســــ
هو طبع جشت المدي في الحرب ممن
فجياهه تشكو مزاحمة القنسســــ
هو فارس الامام يحفظ بالثــــ
كم قد أثار من الاسنة أنجمــــ
فتخاله ملكا رمى بشهابــــ

- (١) الخريدة : قسم شعراء معروف (ص ١٤٢)
(*) نسب الابيات أحمد بدوي الى ظافر الحداد (انظر الحياة العقلية ص (١٢)
والصواب لابن الصياد (انظر ديوان ظافر ص ٣٧٥)

قال :

توالت علينا في الكنائس والتبشير
بشارت تهدي للموالي سـ
نفى كبد من حرها النار تلتظـ
جعلنا جبال القدر فيها وتـ
نقد أصبحت أوعارها وحزونها
ولما غدت لا ماء في جنباتها
وجادت بها مسحب الذرع من المبدأ
وأجرت بحاراً منه فوق جبالها
نقد عصا خصب به من رؤوسه
وقد روتها خيلنا قبل هـ
وأخفى صهيل الخيل أصوات أهلها
وأبطل الحرب من كثرة دوشها
وعادوا اليها بالروء ورعى القبيـ
وأنا بنو رزيك ما زال جارنا
ونبتك بالاموال في السلم دائـ

كتب الى أسامة بن منقذ :

يا بني شغلك الذي لا يشـ
يا مقبلاً في الصدر قد شغـ أن يـ
وأرى الدمع ليس يـ حـ

بشارت من شرق البلاد ومن غـ
وتعدت للباغين رعباً على رـ
ونفى كبد أعلى من البارد السـ
عليها عنان الخيل كالنفث السـ
سهولاً نوطاً للفوارز والركـ
صبيها عليها وأبلاً من دم سـ
نحيماً فأغنتها الخداة عن السـ
ولكن بخار ليس تحذب للشـ
بها ولكن خصبت أشر من الجـ
مراراً وكانت قبل أمة المـ
غناقت نواقيص الفروع عن الضـ
بندد الاغادي بالمسومة القـ
وأغناهم كتب الثناء عن الكـ
يحل لدينا بالكرامة والمـ
كما نحن بالاعداء نقتل في الحرب (١)

عن عياني وهو البعيد التـ
فيك القلب حرقه ووجـ
ونجد إن جاد غيثه المـ

ومنها :

قد علمت بأن غيت أيباد يـ
وبنا يدرك المومل ما يـ
نحن كالصحب البوارق هـ والرعيـ
تارة نسمع الحروب على النـ
كره الداء أهله هـ فهو محفـ
إن تجلت عنه الحروب تلـ
رقت أرضه عشية غنى المـ
ونشئت حيطانه فاما التـ
وأرى البرق شامساً ضاحك المـ

(١) ديوانه ص ٥٨

ذكروا أنه تذوب بسما السخَّاب ، فما للصخور أيضا تذوب
 أبدني أصحابها قَدَّرَ اللّٰهُ لَهَا ، فلما رُشَّ كالأنام ذُتْ
 إن طغي ، والذين مثل سبها السخَّاب ، رُشَّها المشطوي وبعثها الضمير
 إن هذا لئن غدت ساحة القبول لمدد ، وما للإسلام فيها نصيب
 نزل الوحي تبل بعت رسول اللّٰهُ فهو المحجوج والمحبجوب
 نزلت وسلة الخازن ، والخمسة عشر ، وبارى الفاتورة فيها الصليب
 لو رآه المسيح لم يرض فمسيح
 أبعد الناس عن عبادة رب النمل ، ان تقوم إليهم مسلة
 لم يأت نفسي على ديار من السكك ، ان أقوت فليس فيها عريم
 ولكم علمنا فأنسته أوطى من وادي من وادي الأهل يوم ، غريم
 فاحتسب ما أصاب قومك مجسد الديم ، واصبر فالعادات غريم
 هكذا الدهر : حكمه الجور والقصد ، وفيه المكروه والمحبجوب
 ان تخصصكم نوابك ما زال ، لستم دون من سواكم تنصوب
 فكذلك القناة ، يكسر يوم الميزان ، لزوم منها عذر ، وتبقى كغريم
 ولستمري إن المناهج فسي الديم ، على الله أجرة محسب
 وجهاد العدو بالفيل والقصد ، قول على كل صام مكتسب
 ولذا الرتبة العالية فسي الامم ، من هذا كبت اذ تشب الحريم
 أنت فيها الشجاع ، طالك في الطم ، ولا غي الشراب يوم ضريم
 واذا ما حرضت فالشاعر المفلح ، غيما ثقوله والخطيب
 واذا ما أشرت فالجزم لا ينم ، كرا أن التدبير ملك صريم
 لك رأي يقتل إن ، في صف السراي ، على حاطي السليب صريم
 فأنهض الآن صرعا ، غيا مشي السكك ما زال يدرك المطالس
 والقي عن رسالة عند شور المسد ، من غي القائنها ما يريم
 قل له دام ملكه ، وعليه ، من لباري الاقبسال بُرد تشي
 أيها العادل الذي همسو اللديم ، من شهاب ، وللجروب صريم
 والذي لم يزل قديما عمن الاسم ، بالانتم منه تُبلى الكسب
 وغدا منه المخرج اذا لاقت ، يوم من الزمان صريم
 إن يرم نرف حقد هم فلا ، ان تناه غي كل تلب تليم
 غيرنا من يقول ما ليس به ، به بفعل ، وغيرك المكتسب
 قد كتبنا اليك ، فأوصي لنا الا ، نبطا عن الكتاب ، ويمسب
 قصدنا أن يكون منا ونكسب ، أجل غي مسيرنا ، ويمسب
 غلدينا من المساكر ما ، في بادناهم الفضاء الرحيم
 وتلينا أن يستعمل علمي الش ، كان النيوث طال صريم
 أو تراشا مثل السروس : تراش ، كله من دم العدى ، ويمسب
 لطين السيف في فلق الصب ، على تمام أهلها تطرير

ولجميع الحشود من كل حصص
ويحول الاله ذاك ه ومسنن غن
سلباً يهمل لهم ونهسوسوب
البري ثانه مثلوسوب (١)

واجاب طلائع أسامة بن مقذبة رداً على قصيدته الطائفة ه وحرشه على الجهاد مالهيا :

هي البدر ه الثريا له قسسط
ومن أجم البوزاء في نحرها سسسط
ومنهيا :

سلطنا بها البيض السيوف فأنح يغسه
سيوف لها في كل درج وجسسية
ذخرنا سطلها للفرنج ه لانهمسا
لهم قسطهم في الحرب منها ه وطلمسا
وقد كاتبوا في السلم ه لكن وابهمسا
سطور شيول لا تنب ديارهمسا
وحرب لها الأرواح زامقة امسا
إذا أرسلت غرنا من النقع غامسسا
كان القنا فيها أنامل حاسسسا
رددنا بها ابن الفئس غنا ه والنمسا
فقلوا لنور الدين : ليس لجائف الم
وحسم أصول الداء أولى لساقسسل
نذج غنك ميلا للفرنج وهدنسسسا
تأمل فكم شرط شرطت عليهم سسسم
وشمر فانا قد أعنا بكل سسسا
ودوئك مجد الدين غرنا ه زهمسا
هدايا نهادي بين حسن وفائسسا
على أنها تشغلان هي ما جلست

هباب الدجى لما بدلمها سسسط
إذا ما اعتلت قد أو اعترضت قسسط
بهم دون أهل الأرض أجد ر أن سسسط
عليهم لدى الهيجا عدل ولا قسسط
بحذرنا ما ينبت الخط لا الخسسط
لها بالواضي والقنا الشكل والنسسط
تعاين والاسوات من دهن لسسسط
أعينا ناسن الرماح لها سسسط
أجد بها في السرة البسج واللقسسط
يثبته في سرجه الشدو الرسسسط
جواسات الا الكي في الطب والبسسسط
لبيب إذا استولى على المدنف السسسسط
بها أبدا يخطي سواهم ه وله سسسط
تديما ه وكم غر به نقش السسسسط
سالت وجهنا الجيوش وله سسسط
اليك الوفاء المحض والكرم البسسسط
وانما ه ذا التاج زان وذا السسسط
(أبيرة قلبي ه ان تدانوا وان سسسطوا) (٢)

وقال قصيدة أرسلها الى أسامة مكتوبة بخط يده :

أيها المقذى أنت علي البص
ليبر غينا تأتيه من سسسط
فلهذا نرى مواصلة الكنسسسط
سب تباط اليك مما يلسسسط

(١) ديوانه ص ٦١ و ٦٥ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٥

(٢) ديوانه ٨٤ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٨

ونناجيا بالمهجات إذ أنشدت بالقائما اليك خلوصا
 وأهم الأورام جهاد الكف
 وأصلهم هذا السرايا فأهجموا
 وأباحت ديارهم فأبست الكف
 وانت انا بزحفنا برء نصور السديس
 وهو الآن في أمان من اللبس
 ما لهذا المهيم مثلك هـ مجد السديس
 كل له : لا عيب داهراى ولا زل
 أنت في حسم داه طاغية الكف
 فأغتمها لجهاد أجرك هـ كسي تلس
 (١)

وأشد قسيدة في وصف جيوشه وعدتها وضاعتها وأرسلها الى الامير اسامة بن مئذ :

قل لأبن مئذ البسدى
 فلذلك تد أضحتى الان
 وترى عند الظم
 كالدره والياقوت ميسر
 لكن يجاور غير ايمان
 ما كان ظني أن يتغير
 كانه ولا يشك
 كم قد بحثنا نحمى
 مثل الحسان الفيسند تا
 بذلت لك المنسوخ
 وسددت عنهم
 ما كان مرادهم
 هل بذلت لنا
 من أننا نوليك
 ونبتك الأخبر
 سارت سرايانا
 تزجي الى الاعلى
 تحضي خفاف
 حتى لقد رام
 وعلى الويرة
 لما نأت
 نهضت اليها
 قد حاز في الفحل الكم
 ام على غضاله
 ينصهم الماء المسر
 مكن البحار ولا
 واحاطا تقب
 من منه لي المحر
 رسائل مفي
 شمار مسرة
 ت في مقامهم
 منحتها منك
 من دن سنا الوص
 يستحق بهم
 لا حين لم
 في الجودة
 أضحت قارا
 نام هـ
 رد الشيل
 ربها هـ
 دى من ديارهم
 لو ينمدا
 بها يمونا
 من صر تحصيل
 (١)

(١) ديوانه ص ١٠٣ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٦١

والبيمار لا مفعلة ويبعد
 غدت كأن لم يسهموا
 في أرضها حباً حباً
 ل ملاءن بالقتل الت
 هذا وفي قل النجوا
 إذ مررتي ليل
 واشتاق عكرنما ليل
 وسرمة ابن فريج الطبع
 في ظل بهما وص
 سارت الى ارض الشليل
 ل ه فلم تدح فيها ش
 فلو أن سور الديسن يج
 مل غلنا فيهم ش
 وسير الأجنس
 باد جه
 را هكي ينزلهم نس
 وبقي ليل
 ه ولأف
 ل رأيست للقرن
 ط
 ترا في معاقبها اعت
 واذا أب
 لا أط
 راحاً للنصيحة وأع
 عدنا بتل
 الم الامور لحكم شالقنا شالمسنى (١)

وكتب بخط يد مقصيدة الى اسامسية :

أيها السائر المجيد الى الشمس
 سلام تبارى ركا به والخيل
 خذ على بلدة بهما دار مجد
 الديسن لا ربح ربحها الم
 وتصرف أخياره وأقبراه
 منس
 سلاط فيه السحاب ي
 قل له : أنت نعم فسر الصديق
 الم يوم ه لكنك الصديق
 الم الجلس
 ما ظننا بأن حاله فسر
 القسي رب ولا البعد
 بالجمال تح
 لا كتاب ه ولا جواب
 ولا ق
 ل به لايتس
 منا خص
 غير أنا نواهل الكتب
 أذ تص
 ر ذلك البر الكريم
 الموص
 ذاكرين الفتح المدي
 فسر الل
 علنا ه فالصديق منه
 لم يزل غلنا لسمنا
 وص
 ولما شاء في الأنا
 فسر
 جاءنا بعد ما ذكرنا
 فسر
 بأتاكم بهن منا
 الر
 أن بعض الاسطول نال
 من
 لا يئله التام
 سار في ثلة ه وما زال
 بال
 وعدى النيات ينهي
 القلي
 وبنايا الاسطول ليعر
 الم
 الى ساحل الشام
 وص
 فحوى من عكسا وانظر
 ط
 عدة لم يحط بها التحسين
 جدي ديوتة بهم كان
 لاف
 رنج تسطو على الوري
 وت
 قيد في وسطهم قد
 م
 يينا ه وجيد
 م
 بسد موى جماعة
 هلك
 ب
 الخريق والمقت
 جدي منحة الإله وتعد
 ي
 أيادي الاله شي
 يط
 دل ه فهو المرجو والمأم
 بلخوا قولنا الى الطبع
 لك الم

قل له : كم تامل الدين في الكفر فما حذر ان ينسب المسلمون
 من المي القدر بواجب في الله في الله فما حذر ان ينسب المسلمون
 واذا ما ابعث صيرك فما حذر ان ينسب المسلمون (١)

وقال إثر مشقة حصلت بين نور الدين محمود بن زنكي وبين قلع أرسلان بن محمود صاحب
الروادت إلى الحرب والتطاحن والتضاغن ، فعندما بلغ شهرها إلى مصر كتب الأبيات هذه إلى
قلع أرسلان ، ينسأه عن ذلك :

ويعلم وجه الراي ، والراي مهم
يؤمن بالله الذي هو أحد
وما أحد مما تنص الله يصلح
بشيئهم ، وكانت وهي صاب وعاقبهم
ونيك من الشحاء نار تنصهم
أما نبي رعاياكم من الناس يصلح
إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم
بأحبالها تنص البناد وتتمهم (٢)

نقول ، ولكن أين من يتقرب
وما كل من قام بالأمور وسامع
وما أخذ في الملك يبقى مثل هذا
أين بعد ما ذاق العدى طعم حركتهم
رجعتم إلى حكم التنافس بينكم
أما عندكم من يتقرب إلى الله وحده
تسالوا ، لعل الله ينصركم
ونفهم نحو الكافرين بخزائنهم

وأرسل إلى أسامة بن مفضل قصيدة فيها :
فكان الصائبيون :

ألا هكذا في الله تحضي الشمس زائم
 وتستنزل الأعداء بن طود عزهم
 وتخرق جيوش الكثر في ثغر دارهم
 ويبقى الكرام الثانيون بنذرهم
 نذرنا سير الجيش في حفر فمصم
 بعثناه بن مصر إلى الشام فأطعمنا
 وناهيت من أرض الجفار الظلم بها
 وصارت هموم الماء كالعين عسى همزة
 فلما دنا به الديار ولا شمس مستي
 يهجر والصفور في قعر وكسره
 إذا ما طوى الرايات وقت صميره
 تباري شيلاً ما تزال كأنهم
 نان طابعت صرا تساوي من سرهم
 هي الدشم ألوانا وعين عجا حمة

وتشفي لدن الشرب الميوق الصمغوار
 رليد سوي سر الرطام سائل
 يمو لا حمالا هو الانوف راض
 وار بنات فيه النفوس الكرائم
 من نصفه شفي انشني وشو غائب
 ملاوز وشد النيش فمهم داء
 بيشيه مشبوب من القيل بنا حبيب
 ان انا الفسكر المتراحم
 عزيزه جسد النلط والسطام
 ويصزي الوي الاعداء والنجم نائم
 عدت عوضا منها الطيور التوائم
 اذا ما هي انشقت نسور تشام
 تواد منها في جويها والقوائم
 فان داليت اعداءها فالاداء

(۱) دیوانہ ص ۲۸۱ والروحین ج ۱ ص ۲۹۶

(۲) دیوانہ ص ۱۲۲، الف کا تال ۳۱۸/۱۱

تصاحبها علما بأن سوف تفتقدني
 كما أن وحش القفر ما زال منهم
 خيول إذا ما فارقت صبر تبتغي
 يسير بها خرطوم في كل مسأرك
 ورفقتعين الزمان وماتت
 مضى ظاهر الاثواب من كل ربيبة
 هنيا له ، يعق البرحيق اذا غيبت
 ولو أننا نكي على فقد هالك
 ولكننا بمننا الاله نفوسنا
 تهون علينا أن تصاب نفوسنا
 واخام ان لاقى هيام وصنوه
 (وبرقية) شاموا السيوف ، فلم تمش
 واناء جند لو توجه جميعهم
 ومع ما اليك بأعمالنا اقتصدوا
 (وسنبر) قد شادوا المصالي بفعلهم
 و (ثعلبة) اخفوا بنا قد تأمسوا
 وان (جذام) لم يزل قطضهم
 جيوشا قد ناهنا اعتزما ونجسوا
 اذا ما اثاروا النقي فالشرعاب
 ولما وطوا أرض الشام تحالفست
 وراجهم جمل الفرنجة بطلست
 غلقوهم زرق الامنية ، وانطسوا
 وما زالت الحرب الموان أشدهم
 يشبههم من لاج جمعهم لسنه
 وخميت أن لم يبق في القيوم غارس
 وطادوا الى مل السيوف فقطست
 غلبت منهم يوم ذاك مشر
 كذا لك ما ينفك تهدي الى السدي
 وتسرى لهم آراونا وجيوشنا
 نقتلهم بالراي طورا ، وتسارة
 وما السازم المحمود الا الذي يسرى
 وقد غرق الكفار منه بقطيرة
 فكيف اذا سالت عليهم سيولنا
 وما نحرنا لاسلام للشركاء
 فقولوا لنور الدين : لا قل حسده
 تجهز الى أرض السدو ، ولا تهسن
 فلما ملها تهدي احتفالا به ه ولا

بها ، ولها في الكافرين مطاعهم
 مدى الدهر أعراش لهم هولا
 عدى ، فلما النصر الميمن مسان
 وما يصحب الضرعان الا الضراغم
 ويحيى ، وان لاقى المنية حاتم
 شهيدا كما تمضي السراة الاكسار
 تحيته في الخلد الحسان النواعس
 لقلت له بنا الدروع المواجه
 ورحنا هوط منا على البيوع نساد
 اذا لم تصبنا في الحياة المائس
 عشية أصوات الرجال هطاس
 ابارقها في ساحة الشام شائس
 لروية جالت عليها المقاسس
 فكلهم يا طعن ، والذوب عالمس
 وليس لهم الا الصوالي دنا
 فما لهم في المشركين بقساد
 قد يمل الخيل الكفر بالشام جساد
 غلاطنا منهم ، وما الحزائس
 وان جردوا الاحياء فالشعر بامس
 غامت جهم عريها والاغا جساد
 تهون على الشجيان منها الحزائس
 عليهم ، فلم ينجم من الكثر نابساد
 اذا ما تلاقى السكرو المتصساد
 بلجة يسر ، ووجهها مقلط مس
 من البشير الاوهو للرجح حاطس
 رؤوس ، وحركت للفرنح غلاص
 ولا قيل : هذا وشده اليوم ما لمس
 وللوحش أعراش لهم وما تمس
 بداهية تبييض منها المقساد
 تدوسهم منا المذاكي المصساد
 مع السزم في أحواله ، ودو حساد
 سحاب انتقام عندنا متراكس
 وجاست لنا تلك البحار المضساد
 ولكننا الايمان للكفر هساد
 ولا حكمت فيه اللباسي النواشساد
 وتظهر فتورا ان مضت منك حساد
 تنزل عليها لاملوك الاهاشساد

فَعِنْدَكَ مِنَ الْطَّافِ رَبِّكَ مَا يَسْتَعِزُّ
أَعَادَكَ حِينَ بَعْدَ أَنْ زَعَمَ السُّورِيُّ
بِقَوْلِكَ أَصَابَ الْأَرْضَ مَا قَدْ أَصَابَهَا
وَحَيْثُ جِئْتَ الْكَفَرُ فِي أَرْضِ شَيْءٍ
وَتَدَّكَ أَنْ تَارِيخَ الشَّامِ وَهَلْ كَيْفَ
نَقَمَ هُوَ شَكَرَ اللَّهُ الْكَرِيمَ مِنْهُمْ
فَنَحْنُ عَلَى مَا قَدْ عَمِدْتَ أَنْ نَرْوِعَهُمْ
وَأَنْتَ أَنْتَ لَيْسَتْ تَغْتَرُ عَنْهُمْ
وَأَمَّا لَنَا أَضْعَافٌ مَا كَانَ سَائِبِهَا
وَنَرْجُو أَنْ نَجْتَاجَ بِأَقْبَهُمْ
عَلَى أَنْتَ نَلْنَا مِنَ الْمَجْدِ مَا يَسْتَعِزُّ
وَلَكِنَّا نَهْيُ الْمُتَوَكِّلَ جَهْدَ نَسْبِهَا
وَنَسْتَمُ بِالْحَمْدِ الْفَعَالِ هُوَ وَأَنْصَبِهَا

وكتب الى اسامة بن مقلب في وصف غزو جيوشه للمغرب

يا سيداً يسجدونك
فقال فيها حين ينجس
أنت الصديق وإن يفسد
يمهنيك أن جيوشنا
سارت إلى الأعداء
فتغير هدى بكثرة
فالويل فيها للفرس
جاءت رؤوسهم تلعب
وبداش قد قسمت
وشالاق كثرت من الأعداء
فأنهض فقد أنيبت
ألم يخور الدين وأعلم
فهو الذي ما زال يخلص
ويبدي جم الكفر باليه
فصاه يشهد نهض
ألم انصرة دينه

(۱) دیوانہ ص ۱۲۵ وانظر الروضین ج ۱ ق ۱ ص ۲۸۹

(٢) ديوانه ص ١٧٢ والوطنين ج ١ ص ٢٩٠

قال حين سمع تأويل مقام بإعلان الخلافة العباسية بمصر قصيدة فيها :

لشبهتك يا مولى الأنام بشـبـارة
عزمت بها هام الأعادي بهـبـارة
بشتت إلى هرق البنادد وفرهـبـارة
نقات مقام السيف والسيف قاطـبـارة
وتدت لها جيشا من الروح دناـبـارة
ملكته به أقتى الدنارب غنـبـارة
أهـبـارة يا مولاي نتحا تتاهـبـارة
أخذت به سراً وقد حال دونـبـارة
وتد دعت فيها البنا برعبـبـارة
لظهورنا من كل شراب ويدعـبـارة
فعدت بحمد الله بأسماء فـبـارة
ولا غرو أن دانت ليومنا بـبـارة
تملكها من قبضة الكثر يومـبـارة

بها سيفك دين الله بالحق، وروى
تقاصر عنها السعوي المقتـبـارة
بدوا من الآراء تحيي وتـبـارة
ونابت نواب الربح والريح يرعـبـارة
إلى كل قلب من عداك يزعمـبـارة
وكادت بمن فيها المشارق ترحـبـارة
إليك به جوار الرقاب توجـبـارة
من القراء ناصري لهن الحق تـبـارة
يسان التقي والمدين منهم ويأـبـارة
أغر غرير بالكاره يشـبـارة
تتبع على كل البلاد وتشـبـارة
وكانت إلى عليائه تتشـبـارة
ومخلصها من عبدة الرضا، يوسف (١)

قال المهذب بن الزبير يمدح طلائع بن رزيق بقصيدة : منها :

مغافة أن يحطمها حبين
يدق بها الكواهل والمتون
وتوصف بالظما ، بحرا معين
نظا من دروع الدار عين
وقد شربت دما الكافرين
حسبت نضالها تلك العيون
صنائع في السفاة المبتدين
وأناقم أقر به عيسونا . . . (١)

وما أضطربت رماح الفرس
وما تندق يوم الروح حمى
عجبت لها تصافح من يد
ويوردها ولا يغدلي بسراي
وهل يغشى لها أبدا غلي
إذا لقيت عيون الروم زرق
وتأفح في العداة له تب
وأرغام به أبكى عيون

وقال فيه أيضا : يصف أسطوله ونسبته على الروم سنة ٥٥٣ :

أن القلوب موافد النسيم
حتى تصير كسر السيل
عن قلوب الماضي من غنى
قدما فصل بين حادى الهيم
فأسند روايتها الى

أعلمت حين تجاوز الحين
يا كاسر الاعنام قم فانهض
فالشام ملكك قد ورثت
فاذا شككت بأنها أو طام
أورمت أن تتلو محاسن ذكرهم

ومنها في وصف الزلزلة :

بقلوب أظلمها من الشفتين
أوتيت من ملك ومن سلك
لسان يسجد شايع البنيين
كالأسد عسرين تسول في خفيين
أن البشار تحل في غيبيين
جرداء مناية من السكبيين
يعصرون تحت كواكب الخرصين
هو في السديد ورطه سويين
بسطاك بعد الحزدار سويين
وشم لك الضيفان بالذيفين
بصوارم سكت من الإجفين
بشبا شراب عادى وطمين

ما زلزلت أرض العدا بل ذاك
وأقول إن عنه ونهم سجدت
والناس أجدر بالسجود إذا غيبت
ولقد بدت إلى الفرنج كتابين
لبسوا الدروع ولم تحل من قبلهم
وتيمموا أرض العدو بقفورة
عشرين يوما في القفار وليمة
حتى إذا قطعوها الجفار بجحف
أغرتهم بحض العدا فجعلت
عملت في تلك العجول قراهم
لما أبوا ما في العفان قريتهم
وثلثت في يوم السرى عروشهم

(١) الخريدة تسم شعرا مصر ج ١ ص ٢٠٥

منه ومن دمهم منا يحسب
في يوم عرسهم من الأقبيبان
مين تجارب بالنجين القانيبي
كشفاث، نثرت على الريحسبان

الجائهم للبحر لما أن جبري
يدع الوري بالياس إذ خضيو الطيبا
ولانت تخشب كل بحر راخبر
حتى ترى دمهم وخضرة باقسه

ونبها في وصف الاسطول :

وكان بحر الروم خلج وجهه
ولقد أتى الاسطول حين غزا بمصبا
أحب الي بها شواني أصحبيت
شيم من بالشران في الوانم
أوترتها عدد الثقلان فقد غمدت
ثابتة بوقرة يسي بيبي
حرب عوان حكمت من السبيدا
واندت رمل ابن القسيم اليه فسيبر
والقال يشهد باسمه أن سوف يشهدو

ونبها في مدح نور الدين يوسف قتله للبربر :

وأراه من بعد الشهيد أبا السهم
وقتل الذي لم زال يفصل في المييدي
قتل البربر ومن عساه أعانيسه
وأرى البرية حين عاد براسه
وتفجروا من زرقه في طرسه
فليهنه أن فاز منه سيمس
قد صاع من أراحه لهما من الامس
والشيل تعلم في القرية أنسه
عجا لجود يديه إذ بيني الحسبلا

وجعانه من أقرب الاخسبان
ما لم يكن ليسد في الأكمسبان
لدا عتا في النبي والشهدوان
مرالني بيدو على السهمسبان
وكان فوق الرمح ثبات ثابسي
أوشى برتبته على كيمسبان
أقراط من البحرسبان
قد خطت يكلها على الترسبان
والميل يهيم ثابت الأركسبان (١)

(١) الخريدة ، قسم شعراء مصر ، ج ١ ص ٢١٠ ، وأندلس الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٢٥

قال يمدح الأمير معين الدين أنر الطفتكى ه وقد وجه يستنجد بالافرنج :

تخاف ضغفي بعد بعد الحوائسب
وذا أفلت تلك الكواكب لسم تسنزل
فما آيب للمهم عسني برائسب
ونادسة ناحت محيرا بأيسب
تنح على عمن ه أنح لثلسب
بواد ه بوادي الخوطين ه ربوكسب
يزيد احتراقي واشتياقي اليكسب
وأهوى عواها من رباض أنيقسب
تظل تنور الاقحوان واكسب
كان لهن البرق في جنابكسب
فتى لم يند حتى تغفر قرنسب
حشيتة من على ظهر سابسب
غدا في المعالي راغبا غير زابسب
ينلن صالحي الدين فرسان جلمسب
غدا تطلع الشام الفرنج بفيلسب
رجال اذا قام الصليب تعلبسب
لها الليل ندر ه والأسنة أنجسب

وقد حجبوا عني قسبي الحواجسب
مؤكدة عني برعسي الكواكسب
ولا رائح للتيشر عني بأيسب
فهيبت الوسواس عني قلب نسب
ومثل حانريكي أس ه مثل ظئسب
ربيعي ه ومن ذاك التراب ترابسب
اذا صلي بي : عرج على الدار صاسب
تتشر عني عنها صروف النوائسب
اذا ما بكتفيم عيسون المسائسب
سيوف معين الدين بين الكتائسب
كان نايه الضرب فرنسب
وحلته دج على غير ديسب
وفيما سواها ه زاعدا غير راغسب
كفرسانه ه ما الاسد مثل الثالسب
منودة ابطاله للمصائسب
رباحي في كل ماشي وراكسب
فما غير ابطال وغير جنائسب (١)

وقال يمدح الأمير محمد الدين أيق بن محمد بن بوري بن طشتكسين :

عرج على نجد لملك طجسب
بدوية الالفاظ دون خباثسب
قد كان يخني لحظها وقوامسب
يا صائلي ه إم د من عني سائسب
من لي بمصول الثنايا عذ بهسب
أبدأ هواي لي مقبم مقسب
ولقد نعمت بوصله في نسب
أزهاره من جوهر ه ونعيمسب
وعلى النصوص من الحماق قينسب

بنسيم ه ويذكرى محدي ه مصسب
خيل تروح الى الطمان وثنتسب
عن كل شطري ه وكل مهمسب
ذاك الحديث عن الشمرال الاغمسب
لذن كشوط البانبة المتسب
روعي فداء ه من مقبم مقسب
ألف الربيع بروعه الضمن النسب
من عنبر ه وثماره من عسب
تفتيك عن شدو الشريفر وسبسب

برد جنته الريح غير محمدا
 حتى تراه أجسادا كالسجود
 أبقا الهطام الماحد بن محمدا
 وعلت مناقبه فوق الفرق
 شمرت تعلت من برون الاسود
 الا انطوى جيش العدو المستعدي
 والخييل مثل السيل عند المشم
 ومن الجياد بكل نهدي
 ومن النجاة بكل نق أسود
 وضا بحد من شربة أسود
 مثل النخيل في النوى ظموا السيد
 في ذا الزمان ، وعنده لم يكسب
 والسيد بن السيد بن السيد
 والعلم ، لا توت عيون الخصم
 فيها الذي شفاك غير غلب
 بسد الكرى شدنية في غد غلب (١)

والهاء في بردى كان حبا بس
 بينا تراه كالسجنجل ساكنسا
 وكأنما أنفاس ريشه تنسا
 ملك تشرفت المنابر بأسمسا
 وعلى الأسرة من أسرة وجهسا
 ما نضرت رايانه يوم الوغسا
 من قاتل الافرنج دينا غسسا
 رد الامان بكل ندب باسسا
 ومن السيوف بكل غضب ابيسا
 حتى لوى الاسلام تحت لوائيسا
 طلق النخيل واضح قتل سسا
 كسب القريض وكان قدما ناقسا
 أمير دين الله ، وابن حما لسا
 كم حاسد لك في الشجاعة والسيدا
 أضحت دمشق بخسب وجهك جنسا
 لا زلت لادامك عضدا ما سبيسا

وقال يدهج الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب :

وأمر من يهاك ولين أصبدا
 وعيناي البداح والمثبدا
 ان ا ما قلت الاشيب سوادا
 تملكت فومها مني القسبدا
 تشقى في غافلها ومثبدا
 وشعر لم يزد إلا السبدا
 ومن يرد السلوق قد تمسبدا
 باب ، ومن جمار في تمسبدا
 فاد سدي أريد ولا سبدا
 اذا ما يوصف بالجمال تمسبدا
 وللاموال لم يبر فتمسبدا
 جواد لم يهيب إلا التمسبدا
 وعند سوا قد ماتت كسبدا

الام الأم فيك وكم أصبدا
 لقد ألف الضنى والمقم جسمسدا
 وها أنا قد وقى صبري ، وشوقسدا
 بقلبي ذات خلخال وقلمسدا
 متهففة كان قد يبا بسبدا
 بوجه لم يزد إلا بياضسدا
 تعجب عبادي من جر جسمسدا
 ولا عجب اذا ما أب جسمسدا
 وقد انساني الشيب الشوانيسدا
 وهل أخشى من الانواء بشمسدا
 فني للدين لم يبر صلاحسدا
 هو المصروف بالمصروف عقسدا
 به الاشعار قد عاشت نفاتسدا

ويا يموي زيدا أو زيدا
فإن الله أعطاه البسمة
وقد جاءكم بغير تمهيد
يصيد المعتدين ولن يصيب
وراء لوائه تلقوا رشدا
من مأمونا كمن صلى فسرادي (١)

يحب الخمسة الأشباح دينها
لكن أعظم نور الدين حصنها
إلى كم ذا التواني في دشمق
عروني بعلها أسد حصنها
إلا يا محشر الاجناد سبيروا
وما كل أمرى صلى مع النسبها

وقال يمدح صلاح الدين الأيوبي و قد وعده بألف دينار إن ملك مصر :

يا ألف مولاي أين الألف دينها
وما تفي بجنة الفردوس بالنسب
من ينفذ ما خلف الطاغى أبو التمسار
عتقا ثقلا كأتد اثري وأطمساري (٢)

قل للمصالح و صيني عند استمباري
أخشى من الأسر إن حاولت أرضكم
فجد بها عاضد يات مبطنة
حبرا كاسيا فكم و قرا كخيالك

وكتب إلى صلاح الدين من قصيدة :

زمانا على الحز الكرم يه
بها و في يدي و قبل الحماة تمسير
سراج و قتل دونه وأسسير
بحر و واني في دمشق فقسير (٣)

إليك صلاح الدين مولاي أشتكسي
تري أبصر الألف التي كنت وأمسدي
وديهات والافرنج بيني وبينكم
ومن عيب الأيام انك ذو غمسيني

- (١) ديوانه صفحة ٣٠ - ٣١ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٦٤ وعقد الجمان ج ١ ق ٢ ورقة ٢
(٢) ديوانه صفحة ٤٩ - ٥٠ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٩ والخريدة قسم شعراء الضميمة
ج ١ / ١٧٨
(٣) ديوانه ٥٠ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٩ والخريدة قسم شعراء الشام ٢٠٨ / ١

قال يمدح شاور بعد ان رتل شيركوه عن بابيبر وواد الفرنج الذين ساعدوا شاور الى ديارهم:

وأنفذت من مصر عدواً بمئة مائة
صدقت جموع الكفر والشام بعد مائة
وقد جودت أجناد مصر عزائمها
تولوا عن الأفرنج قاذع ثقلهم مائة
أقامت دروع الجند تسعين ليلة مائة
وهي من ملحق هناك وطمع مائة

فلما من ظفر فلكت ونسب سباب
 أقمت بها للقوم سوق، سباب
 مضاربها في الصخر غير نوابس سباب
 ودارت رجاها سباب
 شيابا لهم ما بدلتا بثوب سباب
 وبين مصيب غصمه سباب (١)

وقال يحدِّث طلحة بن زريق من قصيدة :

تَبَيَّنَتِ الْاَفْرُخُ الْاَنْكُ اِنْ تَحْمِلُ
وَاَخْفَاكَ اِنْ لَمْ تَحْمِلْهَا الْاَمْنُ مَحْمِلُهَا
وَاَهْدُوا رِجَالَ السَّامِ الْاَلْفِ عَرَبِ
وَذَلِكَ قَالَ صَادِقٌ اَنْ عَزَمَ

دِيَارَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
 فُجَاءَةً بِالْأَسَدِ الْهَرَمِيِّ تَتَقَلَّبُ
 وَمِنْ بَعْدِهِ مَا أَهْدُوا صَبْرًا وَمَقَرَّ
 بِسَيْفِهِ يَأْتِيهِمْ سَوْفَ يُصْلَبُ (١)

وقال يمدح صلاح الدين سنة ٥٦٥ هـ :

مَنْ شَاكَرَ هُوَ اللَّهُ أَكْثَمُ شَاكِرًا
وَالْبُكْرَةُ نَصْرٌ فَقَالَ هُوَ قَدْ أَتَى
جَلْبُوا إِلَى دَهْلُجَةِ حِصَارِهِمْ
وَجَلْبُوا عَنِ الْأَسَاذِمِ لَيْسَ كَرِيمًا
فَالْتَمَسُوا أَعْيَالَهُمْ كُلُّهُمْ
إِنْ لَمْ تَنْظُرِ النَّاسُ قُتِلُوا فَارْغَبُوا

ما كان من نفس بني ايسوب
 حصبي ، فانتم غاية المطلب
 عز القوي وذلنا اهل
 لو لم يهلونا أنت بكم
 عتاقهم من ناز و
 ومن الباب ، فانتم غير ايسوب (٢)

وقال يمدح صانع الدين سنة ٥٦٤ :

ملك صالح الدين ، لا تؤمن
سيرة عدل حسنت عندنا
سائر في الدنيا وأتظاره

أطاب به ، ملك التقى والصديق
ما كان من وجه الليالي القبيحة
ذكرنا عنه يومئذ ورأى

(۱) الروضتين ج ۱ ق ۲ ص ۲۲۷

(٢) النكت المصرية ص ١٧٦

(٣) الروضتين ج ١ ص ٣٣٢ وانظر عقد الجمان ج ١ ص ٣ ورقه ٤٥٢

تتقمها في ذمة البيض والمصم
ومكتماً أجرة الكهانة والزجر
أرجي بها نيل الثوبة والأجر
ولي سنوات منذ ثبتت عن الشخص
مترنة بالنهي منك وبالأمر
ومطابقكم لي بالطائفة والبشعر (١)

وما بقيت في الشرك الا بقيت
ومند تمام الملك آتي منه
ولولا اعتقادي أن مدحا قرينة
لما قلت شعرا بعد اعطاء خاطمي
فأوصي في الايام خيراً ه فإنهم
وجازتي تسهيل إذني عليكم

وقال بعد ذلك الدين أيضاً سنة ٥٦٦ ويذكر غزوه للداروم بتسديدة منها :

تظلمت منه أن يرقوا ويشفقوا
جهاراً ه وطرف الشرك خزيان
يغيث إناء البر منه ويفهم
طرائق من شوك القنا ليرتطم
تأنوا على تحصينها وتأنقوا
بواد ره سور عليهم وخنس
بمر به طيف الخيال فيفسد
خليل ه فأبشروا أنت غاز مؤنس
يطول بها منه اليك التمشيق
تطيب على قلب الهدى حين تنشيق
قريباً ه والا رائد ومطمئن
فما بعد مياب من الشام مشرق (٢)

لعل بني أيوب أن علوا بمص
غزوا مقر دار المشركين بفخر
وزاروا على عسكرين بأرعم
وكانت على ما شاهد الناس قبلكم
وط عصمتهم منك الا معاقب
ليت لهم سورة العرب ط التقبي
وأخريت من أخطأ لهم كل عام
أنفت الى أجرة الجهاد زينة
وديجت للبيت المقدس الوع
تفتت من مطلقك أعلم نفخ
وغزوك هذا سلم نحو فتح
عو البيت ه أن تشتحه ه والله فاعسل

وقال يرثي الدولة الفاطمية بتسديدة أولها :

وبعيدة بعد جلبي الحسن بالخط

رويت يا دهر كفت المجد بالش

ومنها :

لانا المامة أن تصرت في عذ
عليها ه لا على صكين والهم
فيكم قروني ه ولا جرحي بعد
في نسل آل أمير المؤمنين علم
ملكتم بين حكم المهدي والنفس (٣)

يا غاذلي في دنوي ابتاء فاطمة
بالله زر ساحة القصرين وأبك مع
وتل لا تلها ه والله ط التحم
بأذا ترى كانت الإفرنج فاعلم
هل كان في الامر شيء غير قسمة

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤١٢ وانظر الكتب المصرية ٢٦٩ - ٢٧١ والكمال ١١/ ٣٠٠

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤١١ (٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٠

وقال يمدح طلائع بن رزك من قيسية :

ولما تشكى الخوف حيفا على المسمى
نهدت الى الافرنج تزجي كئاساً
قولوا وقد أبقت عليهم نفوسهم
وأتبعتم ركناً على كل سابع
جيات اذا جردتها يوم شارة

وكاد الموى يستلوا عليه
تغل بها أفتاتهم وشمس
مبا سب خالت دونهم ور
اذا الريح كلفت لم يصبه كس
فليس لها غير الوشيق ظم
(١)

وقال يمدح أمير الجيوش شاورا عند رجوعه من حصار بلبيس والافرنج صحبته :

وتداركت بلبيس ملك عواطف
أقسمت لولا حسن رأيك لأغدى الناقص
بلد لو أنهدمت قواعد سموره

بيد المزمعان وأدله شقرا
ومر في بلبيس وهو اذا نه
بيد النصارى لم يعد بنيانها
(٢)

(١) النكت المصرية ص ٣٠٧

(٢) النكت المصرية ص ٣٦٩

قال يمدح صالح الدين عند وصوله إلى دمشق ومكثها سنة ٥٧٠ بتصيد أولها :

فكن لا تصاف هذا النسر مرتبها

قد جاءك السند والتوفيق وأصلحها

ونبها :

لله أنت صالح الدين من أسس
رايت بخلق غيرا لا نظير له
ناداه بأذل اما قلنا عر
أحييتها مثل ما أحييت مصر فمسد
هذا الذي نسر الاسلام فأتضحت
يوم شاوره والايطان قد عزم
أبت لما لم يعم نسر مرة ويسد
يحتدبر الحد يثلى في بكار مسد
يوم دعا طولا لا سكندرية فمسد
والشام او لم يداره أهله اندرسد

أدنى فرسته الأيام أن ونبها
فجئتها عامراً منها الذي عزم
وأزيع الخلق من أولائها فمسد
أحدثت من بدلها ما كان قد فمسد
سبيله ه وأهان الكثر والسلب مسد
حيوشه ه كان فيه البطل اللجج مسد
عالمه ه وفؤاد تطم وجب مسد
زهدا ويستصغر الدنيا اذا ودب مسد
أصارهم مثلاً في الأثر قد فمسد
آثاره وضعت آياته حجب مسد

ونبها :

هو الجواد ولكن لا يقال كبها
وهو المنير ولكن لا يقال طخبها
فأنت أسكندر الدنيا ووارثها

وهو الحسام ولكن لا يقال نبها
وهو الغرام ولكن لا يقال شبها
فأنت ملكه شراسان وديح حلبها (١)

(١) الخريدة قسم الشام ١ / ٢٤١ هـ الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٠٦
وقد الجمان ج ١ ق ١٢ ص ٣ ورقه ٥٧٠

قال يحدج صاحب بصرى بتصيد أولها :

وغزاله لتقيم بيضا

خل الصريم لواصل في آراسه

وندها في الممدج :

بين الظبا والسمر من آجامه
كسر الكماة الشومر من الهاميه
يوم تجلى عنه من أيا ميه
غسل اليه فعل عقد نظاميه
بالبار والسحوات عن ساهيه
سلبت ملكهم لذيد منا ميه
فأصل صدر الرمح صدر شاميه
كفر الفرج عاكفات ظلاميه
من بنانه والكدر تحت لثاميه
ببار ووقوع الطار من أقالميه
وسدا الى العليا قبل غلاميه
فعل يقصر عن فعل مراميه
كنواسل المزان يوم زحاميه
عن غيب ابعره وجود غلاميه
أمل يروض به نفوس كواميه (١)

أمد ولكن من براثن كفسه
لو لم يكن أحد الضراغم لم يكسه
سائل به يوم الظليل فأنسه
ان جاءه بين الفرج منظمه
وغدا يحدث في الحجام كفه
ولمبارض القدر غيم وتحمسه
كم جعل للشرك دم بحر يسه
فينور شمرا الدين قد كسفت من الحسمه
فالليت في سرايه والشمسيت بيته
ماء الناي والمضى في كفسه
حاز الباخر والنهى في مهسه
لأريحية والندى في عدا ميه
وتنهز عظميه المدايح هسه
يخنيك في العام اجديب بجوده
كرم غدا هذا الزمان لكسلى

أنشد الملك الناصر صلاح الدين قصيدة منها :

سِرْتُ فَنَقَى هَذَا الْمَلِكُ مِنْكُمْ
وَيَجْعَلُ بِالْأَوَارِ جَنَابَ قَبِيضِ
فَلَا تَقْبَلْ لَهُمْ هَذَا عَشْتٌ هَ عَشْتٌ
هُمْ حَسَدُوا عَلَيْكَ بِكُمُوسٍ وَادٍ
وَجِيشًا طَدَدَانَهُ عَلَى أَصْبَحِ
بَارِعِنَ مَثَلِ رَعْنِ الْحُلُودِ مَجْمُوعِ
خَيْبِمْ مَوْفِ تَرْجِي الْبَيْضِ عَمْسِ
تَكَرَّ عَلَى الْمَقْصُورِ بِهِ أَسْبُودِ
كَانَ مَثَارُ تَمَلُّلَةٍ عَلَيْهِمْ
فَلَمَّا أَتَدَمُوا لِلطَّعْنِ وَلَسَّوْا
ذَلْفَرْتُ أَبَا الْمَثَرِ بِالْأَعْسَادِ
وَكَانُوا كَالْحَدِيدِ هَ نَحِينِ أَسْلَمِ
أَعَابُوا بِالْمَزِيحِ مَسْتَحِينِ
فَدَاةَ هَزَمْتُمْ فَلَوْوَا وَقَا لَسَّوْا

ومنها :

وَمَا شَكَّتُ شُورَ الْإِسْمَاءِ إِلَّا
فَأَوْجَهَكُمْ كَوَاكِبِمْ هَالِكِ رَارِ
صَنِمْتُمْ بِالْمَوَاسِمِ كُلِّ شَمْسِ
أَلَارْتُمْ عَنْهُ عَادِيَةِ الْأَعْمَادِ
وَعَلِمْتُمْ فَالْعَذَابِ بِكُمْ نَمْسِ
مِشْكِرَ سَمْعِكُمْ عَنْهُ رَجَمِ

تَوَاضَعُ هَ لِلرُّؤُوسِ بِهَا أَنْقَضِ
لَهُمْ عَنِ نَمْرَةِ الدِّينِ أَجْتَنَسِ
وَأَنْ خَضَعُوا لَدَيْكَ وَأَنْ أَنَا بِسَمْسِ
عَنَابِ هَ بِالضَّلَالِ لَهَا ائْتَسِ
صَالِحِ الدِّينِ هَ عَاجِلُهُ الْجَمْسِ
شَقِيقِ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ الرَّعْسِ
أَنْ زَارَتْ ضَرَاغَهُ الْفَضْلِ
عَلَيْهَا الْقَنَا الْخَطِيءِ غَسِ
أَذَا بَالَيْتِ شَمْسِهِمْ غَبَسِ
وَأَلَا أَيْقَنُوا بِالنَّجْمِ غَابَسِ
وَقُلُّ مِنْهُمْ ظَفَرٍ وَنَمْسِ
صَالِحِ الدِّينِ هَ نَارِ حَطَاكَ ذَابَسِ
وَلَوْ وَقَفُوا الْفَدَاةَ لَمَّا أَصَابَسِ
غَنِمْتُمْ الْمَنَادَةَ وَالْإِيْمَسِ

وَمِنْهَا مِنْ مَنَاسِكُمْ رَمْسِ
وَأَيْدِيكُمْ مَشَارِبِهَا الْمَسْمِ
بَذَلْتُ لَا يَغْلُ لَهُ ذَبْسِ
كَمَا طَارَتْ مِنَ الرِّيحِ الذَّبْسِ
وَسَلِمْتُمْ فَا لَمْعِمْ بِكُمْ عَسْمِ
لَهُمْ فَيْكُمْ دَعَا مَسْتَجَسِ (١)

وأنشد في مجلس السلطان صلاح الدين يحرضه على الوحدة والجهاد ضد الأعداء سنة ٥٢١ هـ بقصيدة طويلة أولها :

لَا يَقْدِرُكَ مَا حَلُّوا وَمَا عَقَبُوا
كَمْ يَخْدَعُونَ بِرُوقَا مَا بِهَا مَلَمَسُ
وَالْقَوْمُ قَدْ قَسَدُوا عَمَّا نَهَضْتَ بِسَمْسِ
فَلَا تَبَابَ الْجَبَالِ فَوْقَهُمْ جَمْسِ

(١) الخريدة هـ قسم شعراء الشام ٤٢٦/١

هَمُّ الذَّخَابِ هَ وَأَنْتَ الصَّيْنِمْ الْأَسْمِ
وَيَقْشِفُونَ رَعْدًا مَا بِهَا بِسَمْسِ
مِنَ الْمَدَادِ هَ فَلَا قَامُوا وَلَا تَمْسِ
وَلَا طَرِيقَ الْأَمَانِ نَحْوَهُمْ جَمْسِ

إياك تترقد عنهم مثل ما رقستهم
 من قبل سيفك قد أودى به الصبي
 يشبهها القاتلان : الخوف والتمسك
 حيران فيه ، وفي أرائهم أود
 مثل الرأى لا يقتاده رشيتهم
 أم كيف يسلح أمرا وثو مقسمهم
 أسدا عرائنها الاقدام والمقسمهم
 تغري الروءوس ، ولا دقت ثنائهم
 ومن نحاتك بجمع سوف ينقسمهم
 حزين له منه وجد فوق ما يحسمهم
 وفي حشاه الذي ألقته قسمهم
 أضغى القنا وهو في لياتهم قسمهم
 نابوا غابوا وما نالوا الذي قسمهم
 المريف ناسره والواحد المنقسمهم
 كأنه من تبات في الوش القسمهم
 ولوا وما رجموا ، ذلوا وما أحسمهم
 بظاظر القرن ، والأقران تطسمهم
 غللت ما همدوا ، خللت ما عظمهم
 ضها مدود لها من طامهم قسمهم
 ولو ترى القتل رأيا ما نجا أحسمهم
 وإن أتروا بط أوليت أو حسمهم
 سحبا يحدت عنه الناس النقسمهم
 بزاشر : لجناة الفزع والنقسمهم
 شلح ، وأواجه لما طاش الزقسمهم
 على الكفاة فانه من دم زمسمهم
 شمسى الرطل ولا يحصى له حسمهم
 لم يبق من طائها غور ولا حسمهم
 مبنية من ثناة تحتمها حسمهم
 من الأمنة شهب كلمها رصسمهم
 تكاد تقطر ماء وفي تنقسمهم
 لا يبرق الجوا لا كلما رصسمهم
 في الثائبات وفي أقوالهم حسمهم
 ما أسد بوشة أسد كلما حسمهم
 لا يستثير ، وأما سيفه ضسمهم
 عمرو بن ود ، عبا السبر والسمهم
 إذا عبا المواضي ليمر ينقسمهم

إياك تحفل عنهم مثل ما فكلسمهم
 ماذا الكرى يا صاح الدين عمن أرق
 ولها ن ترمز نار في جوانحهم
 لا يستلين اهتداء فهو مرتسمهم
 صغيب السعي لا يعتاده ظفسمهم
 فكيف يرقع غونا وهو مقسمهم
 لما رآك وقد أقبلت تقدمهم
 ألقى السلاح وما غلت طين قسسمهم
 وراج من بعد ذاك الجمع مقسمهم
 يطوى الخزون فيطويه وينقسمهم
 وفي شباه الذي أغدته فلمسمهم
 وحول غزل لو أنهم قسسمهم
 شائوا فحانوا ، وط شائوا الذي طلسمهم
 لما دعوا أجهت القوم في لسمهم
 حتى إذا ما رآوا في الدوح فسمهم
 سدوا وما عطفوا ، ألوا وما وقسمهم
 فرقتهم فرقا غامضوا فرقسهم
 بدعت ما شربوا ، قطعت ما وسسمهم
 حقت منهم دماء لو تراق حسمهم
 غشت من قتلهم يوم الوش فقسسمهم
 لهم عبيد ، إن لأنوا وإن حسمهم
 ونم أساءوا غاضبت النداء بهسمهم
 أوسست فرعونهم لما طفسسمهم
 حباة البيض ، والبيض الحداد لسمهم
 إذا تالحن من السابحات بسمهم
 عزمهم كالذي الطيار مفتسمهم
 إذا نهضت إلى أرض العبدو بسمهم
 سمو عليه مطاء من عجا حسمهم
 سحاء نفع لشيخان المدو بهسمهم
 وفي دياجيه نار من حوار صسمهم
 نار شهب على أيدي فطار صسمهم
 هم الحوانين في أفنا لهم رصسمهم
 ما جن يحتر جن كلما عزسمهم
 من كل أروع ، أما رجم صسمهم
 في كل يوم جازد لو ألم بسمهم
 شم بالعام سيونا بن عزائمهم

حلوا الجناء والمصالي عابثها شمس
في أنفها شم في جيبها غمس
زفت إليه بلاد كلها خس
وقد تحال منها مسكل خس
وقد عنا لك منها الحصن والبلد (١)

ولا تخف فالعوالي شوكتها شمس
وأخبط بها الجوازي كل شمس
نحن يكن بالجوازي خايطا أبسدا
هل بسد جلق إلا أن ترى حلسا
وقد أتنا كما تشتار طامس

وقال يهني صلاح الدين بفتح حسن بيت الأحرار سنة ٥٧٥ هـ :

وسرت فكنت القمزي المويكسدا
فأفعدت أعداء ولم تغر مقسدا
وكل أرى مشرى بما قد تمسدا
فناداه حرب الله يا ناصر الهمسدا
غارغيت أما أن غضبت ه حمسدا
من الخير ما قد غار غينا وأنجسدا
ففتت بيمين الناس بالأس والنمسدا
إذا أبرقت فيه السوارم أرمسدا
ولم تنق للزيمان شطاميسدا
فأفعدت لما أن نهضت به السمسدا
فلما دجى ليل السجاء توقسدا
فوارسه بالنجم أوردته السمسدا
وشهدته لما غفا فتشهمسدا
تعيد دباء كل ما كان جلمسدا
نواجذ شر الهنزي وقسمسدا (٢)

حللت فكنت الالمعي المسسدا
ونمت بأعياء البالد ناهسدا
تسوت ضرب السيف والطمع بالقنسا
نسرت الهدى لما تخاذل حزمسدا
ففتت أدين أنت حقا صلاحسدا
فيا يوسف الشير الذي في يديسدا
وسلت لدى سلم وسلت لدى وخمسدا
وتدت إلى الأعداء جيشا عرمسدا
نلم نبق للدافيان شطاميسدا
فتأهيك من جيش نهضت بهمسدا
حللت ذبالا في ذوابل سمسدا
وزرت بما لحسن الذي لو تحمسدا
فتبت به سلب السليب ورعتمسدا
هبت إليه هبة يوسفيسدا
ولتريبا قد فتته دن مسدا

وقال يوسف غارته على غزة سنة ٥٧١ هـ وعوده من ذلك النزوبالغزة بقعيدة مظلها :

وتوف برانس على قرية الشمسسدا

وقفت وأنشاء المطي نحى تحلسدا

وضها

نأى عن نواحيها الرضا ودنا السخسدا
ولا أجم إلا الذي ينيك الشمسسدا
من الترك لا روم طغام ولا قبمسدا
عليها أسود بل أسودة رقسدا
ففي كل سق من جماجمهم سقسدا (٣)

فتى مذ غزا بالخييل والرجل غمسدا
رماها بأسد طالهن ترابمسدا
وطاف نواحيها ضحى بكتائبسدا
رماهم بأمثال السراحين شمسدا
وطاحت على تلك الرمال جسممسدا

(١) الحزبة قسم شعراء الشام ٤١٢/١

(٢) الروضتين ١٢/٢

(٣) الحزبة قسم شعراء الشام ٤١٦/١ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٤٦

وقال يونس دمشق ه ويحضره مائة الدين على الزعماء بقيدة طويلة اولها :

لما أنتنت قيتها على كثرانهم

حيث اعطى القدود بيانهم

وسد النزل والوسف يقول في علاج الدين :

غرقت بخار الارض في شيطانهم
 طأ الردي يجري على نيرانهم
 لا ما كسانا القين من أغانهم
 يفتال يوم الروح في عيانهم
 فالورد فتور على ربحانهم
 كالنار لامة بلبل دغانهم
 أمش على الأيسام من عدنانهم
 بكربة كانت ردي أقرانهم
 تروى أطلح الروم عن أيدانهم
 رست فريد العدل في تيجانهم
 لمت بروق النسر في أحضانهم
 واج ما حرة على شيطانهم
 كتب يلوح العز من عنوانهم
 والدوت مشعل على غرسانهم
 رأي الفتى راسا على جيطانهم
 الا ومن نعرهم للسنانهم
 ما دة يوم الروح من أرسانهم
 حتى طواها الشمر طي شانهم
 وثقوت ما قد فات من لمانهم
 لا بل هي السيدان في تسانهم
 والقلب ما نقلته في عدوانهم
 والأشد عائلة على عيانهم
 تلك الحقائق البرد يوم طمانهم
 أشتانهم تنوب عن أشتانهم
 رتباً ه فكان الشمر دون مكانهم
 الأبطا فيدت من أركانهم
 غرت كنائسها على ربحانهم
 شفت ما رفقة من سلجانهم
 قاد قلك الاعدا بعد جرانهم
 ذلت لدولتها ملوك زمانهم
 وضعت لها الأقوان عند قرانها ... (١)

وفتى اذا زحرت بخار نوالهم
 غيت يكر من الطيب بصواعقهم
 بصوارم أجفانها قم السهم
 غنية ذهبة فلجينهم
 محمودة بدم الفوارس من ردهم
 من كل لامة بلبل قمامهم
 تلك السيوف المرفقات بكفهم
 نصب اذا اقترنت كواكب بيهم
 مع فوزة للشرب في يد ما جهم
 ملكه اذا جعلت عراض ملكهم
 واذا جحافلهم أثر من سنانهم
 من كل هباء العديد كأنما الامم
 وكثيرة كم قد كتبت لها الدليلهم
 واذا ذوابله هززن رأيتهم
 من كل جانب بكل كريم منهم
 سدراء لا يثنى حيلاً صدرهم
 واذا سوا هله فزغن حشيتهم
 من كل سلطنة ألم بها اللطمهم
 جرداء تلوح البروق اذا دهممت
 خيل هي السقبان في طيرانهم
 فالشهب ما حملته في أوطانهم
 كم قد شئت أبا المفاخر طافهم
 متواترات للظمان ه فلا كبهم
 ضدت سبائهم بالهم السهمتي
 هم رقت بك فارتقت من السلس
 اتصمت ما بعد من أركان السهمتي
 فأكخر فلو روقت روية بهم
 أو لو بها سبحت قسطنطينهم
 فأنهت إلى فتح السواحل منهم
 وأسلمت الدين وأبت لدولتهم
 فأنهت لها الفجران عند حيالهم

(١) الخريدة تعم سدراء الشام ج ١ ص ٤٠٦ والرونتين ج ١ ص ١٦٤

رأيت المارقين ومن يليهم
 اذا غنت صواهلهم وأيسر
 غراما طابت ناراً فأبست
 فأوسع لمن من عاداك ظلم
 أمتتني النجوم بأرض قيس
 وها قد قمت من قبري لتحيي
 وقد هاجرت إنكاراً لما قيس
 ولي دهر يراقبني فأرسل
 وشمي تحرق الشهاد كبت
 علت في أرجها وحضض حظي

جميعاً من عصي أو مجيب
 لها الخطي أخلاق الطروب
 نهالكمها على جمر المهبوب
 كما وسنت رزق المستحب
 بما فعلوا وأخذ لني كروب
 بقربك مهجة الموت الغريب
 رأيت من المثالب والميسوب
 يلحظ منك الحاظ الرقيب
 وشيبي وصف ذي اللين الخطيب
 يجاذبني بأرومان المنيب (١)

قال يمدح نور الدين سنة ٥٦٤ وكان نور الدين قد أعطى أهل الشام من المطالبة بالخشب :

عوضت مصر بها غيرها من الخشب
لأجره ٤ - وزيت خيرا غير محتسب
فيما يشيب عليه غير مرتقب
غير من الفضة البيضاء والذهب
أصبحت تبتلع من مصر إلى حلب
لما تريد غبار فجأة النسيب
حتى ينال بها العالي من الرتب
عليه فاقصد العالي من القرب
والخزم في السرم والأدراك في الظلم
من النجاسات والأشراك والميل
وفي القيادة تلقى حسن منقلب (١)

لما سمحت لأهل الشام بالخشب
وان بذلت لفتح القدس محتسبا
والأجر في ذلك عند الله مرتقبا
والذكر بالخير بين الناس تكسبا
ولمست تعذر في ترك الجهاد وقبدا
وعاصب الوصل النجاء مبتسبا
فأحزم الناس من قوى عزيتبا
وتد بلغت بحمد الله منزل سبا
فالجد والجدة مقرونان في تسمين
وطهر المسجد الأقصى وحوزتبا
عسا تنظر في الدنيا بحسن ثنبا

(١) الخريدة قسم شعراء الشام ١٧٧/١ ، الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥

قال يمدح السالحي بن رزيق سنة ٥٥٤ بقسيدة مطلبيها :

شج بالشكوى اذا غلب الصبر

ابنكم لو ان نائبة تمسرو

ونفها :

ابادوا وان اجروا الى غاية جـ
ليوث اذا كروا غيوت اذا بـ
وان عرست احدى الدنيا لهم فـ
غان عاربوا ساءوا وان سالوا سـ

من القوم ان ابدوا العادوا ه وان عدوا
بحور اذا اجدوا ه بدور اذا ببـ
اذا قيل هذا صائل الدهر اقدمـ
تطيع الناي والاماني ابرهـ

ويا مسبح النظم ان منما ضـ
صروف الردى عنهم مناشك النـ
ولا دولة الا وانت لها ذـ
ولا نسر الا وانت له يسـ
به انكسر الاسائم وانت خذل النـ (١)

ايا كاشف النظم ان جن فيبـ
حفظت شئور المسلمين ه وصانعت
فلا ديرة الا وانت تقيمـ
ولا يقتر الا وانت له غـ
فهنفت الايام منك بما السـ

قال ابن سعدان يمدح السلطان ويذكر ما فعله على عملائه ويهون عليه أمر كسرتهم
بقصيدة فيها :

تركت من صفات كل نائبة
ناض النجيب عليها وهي
قل للترجيبة الخذلان : رويدك
ترقبونا من الثوار طالع
كانني ينواحيهم يقدّمهم
حسب العدى يا سائح الدين خبيهم
وهل يخاف لسان الفحل طعنهم

بانت تقلّ بوكان من الأسفل
فأبتحت مرثعاً للخيل والإسفل
بالقار أو شخ الشورى من السفلى
شوارق الأبرار تمحو رونق الأسفل
كأنهم من اليهود عريان من النجس
أن يقرنواك بجمع غير مند
مرت على أبعينه لذة التسلى ؟ (١)

قال يندج عز الدين فرخشاه في القاهره سنة ٥٧٦ :

انت الذي جاهدت عن دين المسمى
وأزرت أرض الشرك أطراف القنصل
وبالمن لا غماد خاطبت المسمى
فأمر نصرك ناصر لا يخشى
حتى نعت من خيفة تتسبب لزل
فأجابها فتح أغر معجبل (١)

(١) الخريدة ٦ قسم شعراء مصر ٥٥/١

هنيئاً سلام الدين بالفتح والنسب
 وما حُزرت فيها من غفار ومن عُسُور
 صوت لها بالشرقية والقنينة
 وسات بها حبل الفاخر مناسبا
 ملكت بها من الدين وهو منسوبا
 وقد عرف الإفرنج بأسماء في الوفى
 وظنوا بناء الحصن عونا لملكهم
 فما قبضت منهم يد الغدر قطعت
 في الفتنة الغراء لا زلت قائما
 وأبى في أثنى خراسان ذكرهم
 فلا ترض منهم بعد هذا بذل طاعته
 فسر وأبلى الأرماء التي لو تركتهم
 فيا آل أيوب حوitem بناقبتهم
 ان ائد أرباب الفغار فأنسبهم
 وأنت الذي أصبحت بالباروا لتقتسى

ونيل الأماني النور والفتنة البكر
 وحسن ثنا يتي الى آخر الدهر
 سوا أبي لا ينال على وتسمي
 قد است بها يوم الرغى دأب الكف
 وخضت سواد الليل وهو دم يجر
 وجرهم منه أبر من السيسر
 فاسمع بالشعواء منتهك السمر
 أناطها الا على عتقة الضمير
 بأمالها في الدين في السر والبهير
 وفي كل قلب منه جيع من الذمير
 فما خلقتوا الا على شيمة النسيم
 لأغشت عيون المجد منها على أصمير
 بأخسها تشلو على الأديم الزمير
 ذروا الفيزات النور والناقل الضمير
 وبذل اللهي عالي السنا عزار الذكر (١)

قال يحد السلطان بعد إخضاع ملك الأرمن ابن لاون سنة ٥٧٦ بتسيدة منها :

بأوفى عليك وفقى هـ
ففي المهام لا نشأت القيسان
فأضحى به شبرا عن عيسان
حذاراً من الرافعات اللسان
ت وليس له بسلامك يسندان
وظدر للهدم تلك الجبانيسان
ة يسأل إلتاقبه فهو عيسان
فتوقفا من الأرتقي الميجان (١)

لقد جعل الله ملك السورى
تمش إلى نشأت السيسان
أزرت أبى لاون لاءاه
ودان من الذل لا يرعى
فلا قدم عنده للثيسان
وأخلى اليكم مفاقيسيره
وأرسل بالأسراء الحيسان
رتقت بعزقه والمكرميسان

قال يصف نزول الفرنج على مصر و يمدح شعرا الدين تورانشاه بن أيوب وآل أيوب :

ولما دُعوا من مصر لبوا دعاءنا
فأروى كفاة الروم شدة بطشهم
فلست ترى في عصبة الشرك حاملا
وحسبهم ذاك الطعان الذي غمدت
وظل عميد الروم من حذر السروى
ونكب عن مصر وولى بمكسب
وقد كاد دين الله يخفت نسوره
فحصنتوه بالامتنوا لطبيعتي
فلست ترى الا محارب في وشمسي

على كل نهد لين المنق يحبوب
غهم بين مطلول الدماء ومطلسوب
صليبا ولا علجا لهم غير مسلسوب
بهم حشداً فيهم صدور الانا بيمسب
يوم طريقا بينهم غير ملحسوب
جريم بأنياب النوايب منكسوب
ويرى بتبديل وشيك وتقليسب
وتصعيد آراء كفته وتصويسب
خدوا بيضة الاسلام أو في محارب (١)

وما تخشع الأسود من النبى
صالح الدين أكذب من سجع
تظلل المحجرات لمواضع
وضن الغيث في شهري تم
ولم أر أهله أهل امتداح (١) الخ

فكانوا هؤلاء بالحشد جه
وهم في قولهم إنا نألق
ألا يا سيل مخجل كل
ويا غيث البلاد إذا تش
تركت بني الزمان فلم أسلمهم

وقال يمدح صالح الدين بقصيدة مطلعها :

ورضى ظولك عن دموعي المهي

أعلمت بمدك وقتني بالاج

ومنها :

ما غرق الأعداء مثل تجم
عظم السدو ولا يهاد الموشع
وإذا السيول تدافعت لم تد
نبا لليب شذى لها مش
والمقبلين إذا دعوا في مش
والخارقين بخافة سيات الأدرع
نحو الحسام بكل أسرع أروع
ان التلخيع لديك أقرب مش
من دونهم وأزدهم لم تنس
أبدًا وكم جود حميد الموتس
تبصت بجيوشك فوق غاب مس
رجزان : إما سارق أو مدعي (٢) الخ

جمع الجيوش فشتت حمل عدائهم
لهبته عن نصره خائف باه
بجحافل مثل السيول تدافعت
من خبيث فلكم أرجت لهبها الحميد
المعرضين إذا تعرضوا لمض
والناشرين الهام يبرق بينهم
توم إذا يقف الصريح تبسبادوا
لا ينزول الروم بمد ديارهم
لو أن مثل البشر سبعة أبعسر
كم وثقة لك في الوفي مضمومة
والطير من ثقة بأكل مش
والناس بمدك في الكارم والمسلم

وقال يمدح طلائع بن رزيق سنة ٥٦٥ هـ بقصيدة مطلعها :

ولست تنقم إلا فرط حبيكم

أما كفاه ثلاثي في ثلاثيك

ثم يقول :

يشجب رطل الملا لولا ثلاثيك
خلق قديما ولا خلق يدانك
غلو سعى كان أيضا من مساعيك
ويتبرأ المرء عن بغير غيرك
فيثنون ويبت المال يشكوك

يا كاشف الفجة الكبرى وقد نزلت
برزت سبقا فما دانك في أم
أرت مساعيك سبل المجد بجاهلك
يخافك الملك نأ عنك منزلك
يشكو اليك بنو الآمال فقرهم

(١) ديوانه ص ٥٦ - ٦٦ وانظر الروضتين ١٠/٦١ وضممار الحقائق ٢٤٠

(٢) ديوانه ص ٣١ هـ ضممار الحقائق ٢٤٠

٢٦٤
 يضحى له ثابت الأولاد مدكوك
 بوقرا وثادقي المال منهوك
 مثل الحديد براه الله فتوك
 فان دعوت الى حرب اجابوك
 يرون اكبر غم ان اطاعوك
 راوا طريق فرار قط مسلوكم
 واوطاوا الهام القاع السنا بيكم
 ويشرق الزرد المادي معبوك
 نبح على بخل لولاك ماشيكم
 اسد اتوك بهم اسرى ماليكم
 مطسم حنه ركضا وتحريككم
 ورقة المحال عن مغرور حجبيكم
 سماحة غيكم استثناء ساريكا ١٠٠ الخ (١)

وقال يحتذر عن كسرة نور الدين تحت حصن الأكراد سنة 666 هـ ويبدأ حصنه :

ظبي البواضي وأطراف القنا الذي يسئل
 وكافل له كافي ما تحاوليـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 وما يسيبك ما نالوه من سلكـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 وإنما أخذوا جينا إلى خـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 واستيقظوا وأراد الله غفلتكـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 حتى أتوكم ولا المادي من أـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 قنا لقن وقسي غير موتـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 ما يصدق الليث لا ياب ولا ظفـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 هلا وقد ركب الأسد النمرور وقـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 من كل ضافية السربال ضالـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 وأصبحوا غرقا في أرضهم بـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 وإنما هم أشاعوا حزمهم بـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 بني الأصغر ما نلتهم بمكر كـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 وما رجعت بها مري شاب مـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 سلبتم الجرد ممرأة بلا لـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 هل أخذ الخيل قد أردى غوارـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 أم سالب الرمح مكروزا كسا لـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 جيش أسابتم عين الكمال ومـــــــــــــــــــــــــــــــــه
 لهم بيوم حنين أسوة وهـــــــــــــــــــــــــــــــــه

فوا من لك ما حازوه من نفس
 عز وعزم وبأس غير متخسـ
 بالمثل ، قد توتر الآساد بالحيـ
 اذ لم يكن لهم بالبيـ
 لينفذ القدر المحتوم فـ
 ولا التلبي كـ من مـ
 والخيـ عازمة ترعى من الحـ
 بمل حواليه من عفر وين وعـ
 سلوا التلبي تحت شابات من الإـ
 قد ات بالليل فيها الفـ بالـ
 يجرى أدام الأتقى على مـ
 بجمعهم ولكم من واثق خـ
 والمكر في كل إنسان أخو الفـ
 غير الأراذل والاتباع والسـ
 والممر مركوزة والبيـ في الشـ
 مثال آخذها في الشكل والطـ
 والحرب دائرة من كـ
 يملو من السين الا غير بـ
 غير الانام ومنهم خاتم الرسـ

سيفتضيك بشرب عند أهوليسه
ملك بهيد من الأذن ذو كلنفسه
فالمصر ما أتعبت والشمس ما أنلست
كم قد تجلت بنور الدين من ظلم
وبلدة ما ترى فيها سوى بطمس
قل للمولين كقوا الطرف من جبين
طابتم السهل تبغون الدجاة ولو
أسلمتموه ووليتهم فسلكتهم
بمارعين ولم تنل كنانكم
ولا طرقتهم بول النيل طارقتهم
فقام غدا وقد دلت جفافهم
في مشهد لو ليوت الخيل تشبههم
وحدا الحدين وحده ثبت الجنان وقد
يسود عنهم هويدا غير مكسرت
يزداد قدام اليهم من تيقنهم
ما كان أقربهم من أسر أبعدكم
ثباته في صدور الخيل أنقذك
ما كل حين تصاب الأسد غافلهم
والله عونك فيما أنت مزعمهم
كم قد ملكتم لهم ملكا بلا عوف
وكم سقيت الموالى من طلى طمسك
وأمر من يورد النحر مسروره
حصيد حيلك قد أعثيته زحفهم
لا أنكبتم منكم الاقدار عن غمهم

أبيض كالبيض والأدراج كالحل
بالصدق في القول والإخاء في النصل
والسيف ما غل والأطواد لم تنزل
للظلم وأنجاب الأضلال من ظلم
غزا فأضحت وما فيها سوى ظلم
عند اللقاء وغصوا الطرف من غم
لذتم بملككم لذتم إلى جيمهم
بثبته لو بناها الطود لم ينزل
والسمر لم تنزل والبيض لم تنزل
ولا تحاقت الأسياق في القلهم
فكان من نسه في جفيل زجهم
خزت لاذقائها من شدة الوهم
طارق قلوب على بند من الوجهم
بهم وقد كرتهم غير محتشم
أن التأخر لا يحيى من الاجهم
لو أنهم لم يكونوا منه في شهم
لا تحبوا وثبات الضم الذلهم
ولا يصيب شديد البطر ذو الشلهم
كما أعانك في أيامك الأول
وحزت من بلد منها بلا بسمهم
وكم قريت الموالى من قرا بطهم
وأبدل أكله من لحم منجهم
لو لم يطل عهده بالأسف لم يحلهم
ولا تلت يدك الأيام عن أمهم (١)

(١) الشريدة قسم الشام ٢٨٩/٢ - ٢٩٦ وأنظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٣٧١
ود يوانه من ٢٠ - ٢٧

قال يمدح صلاح الدين بقصيدة طويلة أولها :

والى متى تجني علي وتستعبد

حَتَامَ أرض في هواك وتغش

ومنها :

فأطاح به وهو الخالق المتعبد
ناله أغلق الفضائل تجلس
الجزمات به تراب من بناءه وتغش
في الله ترابي منذ كنت وتغش
أقوى العظام به وتغش يترق
رض القضاء به وأين منك المهر
النصر فيها رائد لا يكسر
من أجمع غير أنه تملك
باسم الخليفة ثم بأسطه يشط
تدبر إذا ذكر السليب غط
علي ولا ناتو، وير يغش
بالسيف من بسواه لا يشط
منهم حرب جريمة لا توهب (١)

ذلت أخلاق الزمان لأهل
وأتمت سوقاً للمدائح برحمتهم
ونهبست لأهلهم نهضة صناديد
وقضبت للدين الحنيف ولم تستزل
غادرت أهل البقي بين مجتمعتهم
أو دنار ضاقت عليهم حجبها إلا
فأصبح بأذن الروم منك بغش
وأرم الكنائس من سطاك بمسار
وأرفع بها للمسلمين مناسرا
وأفزع يحيى على الفلاح مسار
لا تبق زناراً يشد بها غلستهم
وأحمد لحرب المشركين منه بمر
لا تغش إذا ظفرت به جملتهم

وقال يمدح صلاح الدين ويذكر دزيمة النوري سنة ٥٧٠ :

يشبه منها النصر والسيوف
وزرعهم بالسيف مخصص
في نصر دين الله مجرم
في الأسر يبول ومغش
بالنصر في الأعداء مش
بمثلها والفخر مخصص (٢)

فأصبحت بالذو أشادوه
جيشهم بالرعب مفلول
جهاد من لم يبق يوم
ومن تبقاه الردى منهم
فأبشر بنصر عاجل يوم
وأتمت لها عذراء بيت الدليل

(١) مضار الحقائق ر ١٩٢ - ١٩٤

(٢) ديوانه ص ١١١

(٣) حذف من الديوان خمسة أبيات وقد تسمد المحقق ذلك

وقال يدهجه أيضا :

يخلصني الاغادي كل كريم
يزجي لهم سحب الحمام رعوده
فرماتهم بالربض ليل
قال يدهج صالح الدين سنة ٥٧٥ بقعيدة أولهم :

إن كان دينك في الصباية ديني

ثم قال بعد تمام الغزل :

ليت الضنين على المحب بوصال
ملك اذا عقلت يدك بما صال
قاد الجياد معاقلا وان اكتفى
سهرت جفون عداه خيفة ما جسد
لو ان لليث الهزير حطاه لسجد
اشحت دمعتي وقد جلت بجود
لك عفة في قدرة وتواضع
وارتقا بجويل عنك مما روى
وحننت أن تحيي لنا أيامهم

لله ما اشتعلت عليه قبا بهم
من كل تائهة على أترابهم
خود ترون قمر السماء اذا بسدت
غادين ما لمت بروق تغورهم
كان الاغادي ان يصيبك كيدهم
تخفي عداوتها وراء بشاشتهم
دفنت حبايل مكرها فرد دتهم
وعلمت ما أخفوا كان قلوبهم
كمناوكم لك من كمين مسادة
فموت نجوم مسودهم وقضى لهم

يشوى الوجوه حرقها المتضر
زجل الكماة ، صوب عارضها المسد
ليلاه أو يوم عبوس أيوم

فقف الهلي برماتي بيرماتي

لئن السماحة من صالح الدين
علقت بحبل في الحفاظ
بماتل من رأيه وحصل
خلفت صوارمه بشير جفون
يلجأ الى غاب له وعزم
ماوى الداريد وبوئل المسكين
في عزة وشراصة في المسكين
راوون عن أم دخلت وتسلم
بالكرعات فكنت شير ضميم

يوم النوى من لؤلؤ ككنهم
بالحسن غانية عن التمسكين
ما بين سالفين وبين جبين
إلا استمليت بالديع جفونهم

لمو لم تكذك برايتها الأفسون
تشت عن نثار لها مشمشون
تدوي بفيض صدورها المدفون
أغنت اليك بسرها المشزون
في الخيب يظهر من وراء كمين
بالنحر طائر جندك المومنون (١)

(١) ديوانه ص ٤١١ الروضتين ١٠/٦ ومنازل الحقائق ص ٢١

غدا يبرقها شؤمٌ وخسبٌ لأن
 ملكته وملوك الأرض شمسٌ زان
 من أن ينشأ ويلقي وهو حسيبيران
 فالكفر في سنة والنصر يقظسبان
 معبوده دون رب العرش سلبسبان
 يطوى لأجر صالح الدين ديوان (١)

يا قبح أوجه عباد السليب وقسب
 خزنت عند إله العرش سائر مسا
 فالله يقيقك للإسلام تحرسسب
 وهذه سنة أكرم بها سنسب
 يا جامعاً كلمة الإيمان تامعسب
 إذا طوى الله ديوان العباد فمسب

كتب إلى الخلفاء طلائع بن رزيق بعد أن استولى الفرنج على أمواله بعد عودته من مصر
إلى الشام قصيدة أولها :

غربي لامع الصراب ه وهـ هذا المـــــبحر دوني عذب المياه شـــــروب
سرت أستقرن الحول وثـــــبي أرـــــض مري رعين ه وواد قشـــــيب
وسحاب منه تعلمت المـــــت المـــــحب ه وإن لم تشبهه ه كيف تـــــسوب
مؤ حث أناى عن المـــــك الصـــــالح ه والحق ينتهي ويشـــــوب
والى باب ه ما كـــــبي ولا كـــــبي حسن القبول عين يـــــوب
.....

أنا أشكو اليك دهرنا لحا عـــــودى ه وأعراه ه فهو بين سليـــــب
ونطوي رى بهما حـــــاد الدـــــر سوادى ه وكلين صيـــــب
أذهيت تالدى وطار فـــــي الطـــــارى ه فضاء الموروث والمكـــــوب
فهو شطران بين مـــــر ومـــــر

وقال يمدح صلاح الدين بعد صاف عسقلان سنة ٥٧٠ هـ أولها :

نعم يا أطول الملوك يـــــدا
أجراً وذكر من ذلك الشكر فيـــــي الـــــدا
لا تستقل الذى صلت ه فـــــدا
وجئت أرض الهدى ه وأفنيت مـــــن
وما رأينا غزا الفرنج مـــــن الـــــدا
غمر إلى الشام فالملائكة الـــــدا
فهو فقير اليك ه يا مـــــل أن
والله يمدحك فيه عاتبـــــة النـــــدا
نما حباك المورى ه وألهمـــــك الـــــدا

وقال يمدح صلاح الدين ويهجو شاورا :

أقمت عود الدين حين أـــــدا
وجاهدت حزب الكفر حتى رددتـــــهم
أعدت بما قدّمت ملكا مـــــدا
وذكرك في الآفاق يـــــرى كأنـــــه الـــــدا

(١) ديوانه ص ١٦٦

(٢) البرصتين ج ١ ق ٢ ص ٦٠٥ وعقد الجمان ج ١٧ ق ٣ ورقة ٥٦٩

(٣) البرصتين ج ١ ق ٢ ص ٣٩٥

وكتب الى محبين الدين اثر لما لقي الفرنج في أرض بصرى سنة ٥٤٤ هـ قصيدة يقول فيها :

كل يوم فتح مبين ونسيم
صدق التفت إليك أنت مسلمين
أنت سيف الإسلام حقاً فـ
بلك زاد الإسلام حقاً فـ
لم تزل تضر الجهاد مسـ
كل ذخيرة الملوك يغنى وذـ
للدين ملك البهاج هـ وما
عم أهل الشام عد لكـ
وكتب ردا على قصيدة طلائع بن رزك التي يحللها :

أبي الله الا ان يمد يدك لنا الدهر
قصيدة أشار بها عليه نور الدين وهي :
أبي الله الا ان يكون لنا الامير
وتخذ منا الأيام فيما نروم
وتخضع أعناق الملوك لمزنا
بحيث حللنا الأمن من كل حـ
بطاعتنا للتابع طوعنا الأئـ
.....
وما في طوائف المسلمين بها حسـ
بجملنا الجهاد طمنا وأشـ
دما الصدا انتهى من الراج عندنا
نوا علمهم وصل الشبيب ودم عـ
وتبر حشايانا الحروب هـ وتـ
توى الارض مثل الأفتق هـ وهي نجومه
ولم الملوك البيض والسمر كالـ
سوارنا حذر المضارب مـ
نسير الى الأعداء والطير فوقنا
غبار يذوب المتشر من حـ
وجيش اذا لاقى العدو وانفتـ
توى كل شهم في الوغى مثل سـ
هم الامد من بيض السوارم والقـ
يرون لهم في القتل شلداً فكيف بالقـ

ويخذ منا في ملكنا الخز والنص
لتحيا بنا الدنيا هـ ويفخر المصـ
ويشقاد طوعاً في أرتنا الدـ
ويرهبها منا على بعدنا الذكـ
وفي سائر الآفاق من بأسنا ذـ
.....
موانا هـ غما يثنيه عز ولا قـ
ولم يلهمنا عنه السماع ولا الخـ
ووقن الدواضي فيهم الناي والوتـ
زيارتهم ينعطئنا بها السيـ
روح هـ ومنسوب الخيام لنا قـ
وإن حسدتها عزها الأنجم الزمـ
وتعقنا البيض السوارم والسـ
توائمها من جودنا نضرة شـ
لها القوت من أعدائنا هـ ولنا النصـ
والخلف له بالاء ينهجر المسـ
أسود النرى عنت لها الأدم والنـ
نقودا هـ غما يثنيه شوق ولا كـ
لهم في الوغى الناب الحديد والثـ
لقوم قبلهم عند دم عصـ

فطعنهم شزور وشرهم شمس
 غما غد هم يوما لانحاشنا كشم
 وسنا لهم اكرامهم والندى النشم
 وذل لنا من بعد عزة الكشم
 تحفنا بالفرسان والمكر المحشم
 بقاء لمن اشنت عليه الطبا البشم
 وان لم يكن خير لدنهم ولا بشم
 وقد قتلت فرسانه فهم جشم
 الى اليوم فيه من دماهم غشم
 فمن ثوبه يوم المصاد لهم نشم
 ايفشى من الايام نائمة شم
 بطان وكم ظن به يهلك النشم
 ولم يبق مال يستباح ولا شم
 وفي نقل ما قد ناله يحوز الاشم
 كسرناه ابطال يربى ولا شم
 له النذر دين فابه عن النشم
 فلم يذهب بر و لم يحبه بشم
 بانجيله بين الاثم له شم
 بذمة النفس الخمسة والكمشم
 شاد الىنا وربي من دهم شم
 وما الشجر الا ما اوى اليه النشم
 ولم يمتنع من بهله النشم والشم
 وان له من باسنا البؤس والششم
 وفي سمه من وثق اسما غنا شم
 غشطر له تمل وشطار له شم
 ولو طار في اثن السماء بما النشم
 له في دياج ما للميلنا شم
 ويمل بان ان الله في الشجرة الذشم
 فلم يبق منها في مالكهم شم
 بغاتسها : بين وصار بها شم
 ورضاه ذل الصب واستعمل الوشم
 ووقع المذاكي المرعد والبرق والشم
 باد فاذ خوف عليهم ولا شم
 حياها وسنى ملكها لهم الشم
 وملكنا ابتكارها النكة البشم
 وقد عزت عنه الاكامرة النشم

اذا نسبوا كانوا جميعا بشي اب
 يظنون ان الكثر عتيان ابرشم
 لنا منهم اقدامهم وولاهم شم
 بنا ايد الاسالم وازداد عشم
 قتلنا البربره حين سار بجهم شم
 ولم يبق الا من اسرنا وكم شم
 وفي سجننا ابن الفخر غير ملوكم شم
 اسرناه من حصن المدينة رافشم
 رسل عنهم الوادي باقلية انشم
 هم انتشروا فيه لوت رعيانهم شم
 ونحن اسرنا الجوسلين ولم يكن شم
 وكان يظن النمر انا نبينهم شم
 فلما استبحنا ملكه وبسشم
 كحلناه نبخي الاشر في فعلنا شم
 ونحن كسرنا البغدوين وما شم
 لمسه اللعين الحائن الدائن الشم
 وقد شافت الدنيا عليه برجم شم
 افي غدره بالخيال بعد يمينهم شم
 دعت الى نكت اليمين وغشم
 وقد كان لون العين شقي فاصبح شم
 تودهم تودنا حلينا وانا شم
 فلما نطادى غية وضاع شم
 وصرنا اليه حين شارب لنا شم
 نولتي يبارني عارات بها شم
 وشلق لنا فرسانه وسنا شم
 وما تنشني عنه اعنة شم
 الى ان يزور الجوسلين بها شم
 ونرجع اقد را الحظير منهم شم
 كافسا لنا في ارض من حان شم
 اذا استنقلت شم الحصون فعند شم
 وان بلد عز الطوا مراشم
 وانحوى في النسيان وللظشم
 بنا استرجع الله البلاد وامشم
 فتحنا الرها حين استباح عدائشم
 جعلنا طلي الفرسان اعداء بيضم
 ونحن فتحنا تل باشر بعد شم

إلى ما ومصرنا إلى بابنا شهر
ولا كل ساع يستحب له الأ
علمت منه عنا الرجال ولا الج
لكن الرصاص له قط
وفيها لها والساكنين بها
لنا ، وذراعا لأشوق به وك
لنا والنسر يقذه الصي
لنا دقة من دونها الفرج والغش
لنا واستقال الصر وهو لنا
وفي حصن سالتين لمملكة تص
لمنتح ، لو لم يسهل له الق
ومذركات لا يحيط بها الخ
ولم يبق في أقطارنا لهم أش
وأما ذكهم ، فانزاع عنهم بها الق
وتد منهم من قد لها البو
عليها ، وشعر من بعده
كما نالنا من ردها الأجر والشك
فأبهم صرورا بمقبرها لش
تذكر تحاها لا يرضها سقم
وعزمهم سر ، ووقعاتنا جه
روا ، أعاد يهم بأسا غنا نش
هداياهم ، والبتر يرضها الب
.....
تعدونه من فصلكم ، بل كذا الفخر (١)

أنى ساكنوها بالمقاتل طاعة
وما كل ملك قادر ذو صا
وتل عزاز ، يبحته جيوشنا
ولنا إلى بن الرصاص وأن
وأضحت لإطاكية حاتم شج
وحصن كثر لانا وهاب تداني
وفي حصن بأسوطا وقور ذلت الصاب
وفامية وإبارة استنفذ ثم
وحصن بئر فود وأتب
وفي تل غدار ، وفي تل
وما مثل راوندان حصن وأن
وكم مثل هذا من قلاع ومن ق
فلما استعدناها من الكثر ع
رددنا على أهل الشام رابعهم
وجاءتهم من بعد يا م
وبع عليها الددر ، والآخر حاك
فنا لهم من عودها الخبير وال
ونحن وشعنا الكثر من كل
وأصبحت الأفاق من عد لنا
فكيف تسامينا الملوك إلى
وان وعدوا بالنزول نلنا ، غم
سنلقى البدا عنهم ببيض عقا
.....
فقل لملوك الأرض : ما الفخر في الذي

وكتب إلى صلاح الدين سنة ٥٧٦ :

لا زلت يا ملك الإسلام في
تردي الأطاوي وتستغني مما
فأنت إسكندر الدنيا ، بنورك
أعدت للدهر أيام الشباب وق
وجاد فيك ندك المسلمين فم
وسرت سيرة عدل في الأنام ك
نفق ، ينصر على الكفار إنهم

تربتها الصعدان : الشمر والظفر
وعونك الماغيان : السيف والتس
تضائل السلطان : الظلم والض
أطاعها المهرمان : الشيب والك
سحابه المثنيان : الدر والب
قضى به الصادقان : الشنق والم
يؤديهم المهلكان : الصدر والأش

(١) ديوانه ج ٢٠١ - ٢٠٦

إليهم المزعجان : الخوف والحسد
من بأسه المدركان : السر والبتير
وجيشه المخبران : الصين والأتير
لسيفه العاصمان : الحصن والسيور
ما استودع المخبران : الكتب والسير (١)

تأهّم إذ رأوا إقبال ملكهم
وما الفرار بمنجيهم ، وخلفهم
وسوف يصفو غداً منهم بتارمهم
ولو رتقوا في ذرى شهبان أسلمهم
تضي بتغضيله عن تقدّمهم

وتال فيه نصر بن الفضل :

وعيت البلاد بالسيف فاستصعب سب منها مهمل ، وعزّذ ليسيل
وتسعت الترنج بالنزو هياسر
والذين لم يخن بسيفك من شمسو
مثل الخوف بين عينيه جيش
فالزبن عنده جيوش ووجع البحر
وإذا ما غش أقصر بسيفه المضرب
فأبق للمسلمين كهفا ، ولألف
وكتب إليه الملك الصالح :

أيها السائر المجد السبي الشا
م تبارى ركا به والخير
غرد عليه أسامة بقسيده مالمها :

أين سمعي عما يقول الحسد
أنا بالهيم والنوى مشتمول

ونهمها :

يا أمير الجيوش ، يا أعدل الحكيم
أنت نقشي بالحق لسنت وإن
فيمذا قضيت ، يا سيد الحكيم
من يجل الحياة أم من عليه
لا ترعني بالعتب ، فهو على قسط
لي رسوم ، دنيا بواسلة الكتب
سألم في فعله وغيا يفتول
زال بجبال الارضين ، منه تسيل
سألم طراً على أني ملول
من توالي أنعامه تنثيل
مع رسوم التشريف عني دلي
بوانت البر الكرم الوصول •• (٢)

(١) الخريدة تسم هراة الشام ج ١ ص ٥٤٥

(٢) ديوانه ص ١٩١

(٣) ديوانه ص ١٤٠ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٦

يا اشرف الوزراء اغنى اذنا واكرمهم فمنا لا
 واعزهم جساماً وامعهم حساً واجمهم لآلا
 فلذلك قد اضحى الانس م على كارهه عينا لا
 وحس البائد بسيفه عن ان تذل وان تذل لا
 واحل بالافرنج نسبي برؤفي بحر نكس لا
 نبهت عبداً ظالمه نبهته قدرا وحس لا
 وشبهه فانتمس مرقا ومجدا لن ينس لا
 لكن ذلك العتس سل في جوانبه اشتس لا
 امنا لجدد خان عس ه الى صائه ومس لا
 اما السرايسا حنين تمس جن بعد شفتها قس لا
 فلذلك عساد وفود بسا بك مثقلين نشا ومس لا
 وصيرنا في كسب سسل ارض تبتشي منها الممس لا
 فلذلك فذلك مثل عس لاه في الدنى سارا وحس لا
 فاسلم لنا حتى نس لك في بني الدنيا مش لا
 واعدد يدك بسود نس ر الدين والى بما لرجس لا
 فهو الصابي عن بس د الشام جسا ان يس لا
 وصهد املاك الفرنس ح وجسمهم حالا فمس لا
 ملك يتيه الدبر وا يا بدوائه اغتس لا
 جين الخلال الداحس تر غلم يدح منهم شمس لا
 فاذا بدا المنس من راتهنونهم الكمس لا
 ثبقتهم للمسلمين حن وللدنيا بتمس لا (١)

وبعث الى حنين الدين اثر من منبر قصيدة يبين له فيها الدسائس التي يحكوها ساسة دمشق
 اولها :

ولو اوما ربهنا عد لهم ظلمس فليتهم حكوا غينا بما علمس
 ما تر يوما يفكرى ما يربس ولا سمعت به الى ما ساء لهم قيس
 ولا اضعف لهم عهد ولا اذلهم علي وداعهم في صدري القيس
 فليت شعري بم استوجبت هجرهم ملوا غصدهم عن وصلي المس
 حفظت ما شئوا اغضيت حين جنس وقيت ان غدروا واصلت ان عرس
 حربت ما كنت ارجو من وداهمس ما الرزق الا الذي تجري بما تمس
 محاسني ه منذ ملوني باعينهمس قذى ه وذكرى في آذانهم صمس

وسد لو تيل لي ماذا تحب وسدا
هم مجال الكرى من مقلتي ، ومسين
تبدلوا بي ولا أبقي بهم بمسكدا
يا راكبا تطلع البداة همتسدا
بلغ أميرى مخين الدين ما لكسدا
وقل له : أنت خير الترك فقل لك ال
وأنت أعدل من يشكى إليه وليس لي
هل في القضية يا من فضل دولتسدا
ينصين واجب حتي بسد ما شمسدا
.....

لكن هات ما زالوا يستبين
بأفوك بالبنفس يبنون الشنى ، ولهم
والله ما نسحوا لما امتشرتهم
كم حزنوا من مصان في سفارثهم
أين الحية والنفس الأبيسة إذ
هنا أنت حياء أو مهاكسدا
.....

أسلحتنا وسيوف الهند مضمسدا
.....
هنا جئنا ذنوبا لا يكفرهسدا
ألقيتهم في يد الإفرنج مقبسدا
هم الأتادي ، وقال الله شردهسدا
إذا نهضت إلى مجد توءلسدا
وانعرتك من الأيام نائبسدا
.....

ورد على قسيده طلائع التي مطلعها :
ألا هكذا في الله تمضي العزاسدا
قسيده :

لك الفضل من دون الورى والكارم
.....
رمت الحدى بالأسد في أجم القنسا
بمثل أتى الصيل ه ضاق بما القنسا
بيارين شهب القذاف يحلن مثل مسدا
.....

(١)

ديوانك من زينة الدنيا لقلت هسدا
قلبي محل الحفى ه جاروا أو أحترمسدا
حسبي هم أنصفوا في الحكم أو ظلمسدا
والأمير تحجز عما تدرك الهسدا
من نازح الدار ه لكن وده أسدا
حيا والدين والإقدام والكسدا
شكية أنت فيها الخصم والحكمسدا
وعدل سيرته بين الورى علسدا
بما للبيعة والاشلاء والخسدا
.....

حتى استوت عندك الأنوار والذلمسدا
لو أنهم عدواك ه الويل والهمسدا
وكلهم ذو نوى في الراي قهمسدا
وكم سموا بفساد ه ضل سيمسدا
ساموك شطة غسفا طارها يمسدا
من فعل ما أنكرته العرب والحجسدا
.....

ولهم سنان السم سري دم
.....

عذرت ه لماذا جنى الأطفال والمتسدا
رغن عدى يمسخط الرحمن فسلهمسدا
وهم بزعمهم الإخوان والخسدا
تعاذوا ه فاذا شيدته هدمسدا
فكلهم للذى ييكياك مبتسم ٠٠٠ الخ (١)

وتضفي لدى العرب السيوف الصسدا

فمن ستام ه ما نال ذا الفخر حاسدا
.....
على الجرد ه تقاد الردى وسو راغسدا
وضاق على الأعداء منه الممسدا
من الحذف للباغي الرجيم رواجسدا
.....

(١) ديوانه من ١٤٦ ه الروغتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٢ الخريدة قسم شعراء القام ج ١ ص ٥٢٤

به من عواليهم نجوى نواجيسهم
 لها كل يوم من عداونا ولا نسيهم
 رماحهم انقضت عليها التضاعفهم
 سحاب المنايا فوقه متركسهم
 ولدم رمل ، والنهات جماجمهم
 اشائم ، لا يروى بها الدهر شائهم
 وليس لها من لم ينب ملك طاعهم
 فقد جهلت بين الجيوش الطامهم
 وسحر الموالى ، والبلاد مفانهم

على ماله ، وديو المداين الممالهم
 ذئاب الفأر تردى عليها الضراغهم
 صواد الى ورد ، وخوان ، حوائهم
 اليها ، ولم تشعر ، ردى وأدائهم
 سبايا تهادى ، والبلاد صالهم
 وبحفلهم في أرضها متراحهم
 فناجمهم مستسلم أو صالهم
 عن الأرض منهم ، باللة ومظالمهم
 دليل فيه موجة المتلاطمهم
 على الماء طير ملهين قسائمهم
 جرت ، بحيث لم تصل بين الشكائهم
 " سروا بجياد ملهين توائهم
 حمام ، وطير للفرنج أشائمهم
 ودائهم في البرسم بجوائهم
 ولم ينب في ليج من الماء عائهم
 نقاد ، كما قاد السهاري الدزائهم
 رضاه ، بمن لم تمقه اللوائهم
 لنادية الأعداء والكفر حاسمهم
 بنصرنا ، ما دام للميرة تائهم
 لاذ ، سوى أن يضى النزم صائمهم
 ونيتهم ، والله بالسر طالمهم
 هو الصك ، لا طامنته اللطائمهم
 رواة ، وتشدو في الخوضون الحماهم
 على أنه في ساعة التحي حاجم ... (١)

سرايا كوى البحر ، في ليل عشائمهم
 تسير جيوش الطير فوق جيوشهم
 فان خفى الفرسان للطفن في الوغى
 تحت منها فوق غرة عسائمهم
 فللقن سحبت والسيوف بسائمهم
 بواتد منها النوت ، لا النيت يرتجى
 فليح لواج غير غفو ملجمهم
 تنزعت عن أموال من أنت قاتلهم
 فشيء ، أرواح تنقلها الطليهم

يشن أبو الفارات غارات جمائمهم
 وينشها شعت النواصي كأنهم
 تلظ بأرض الشركين كأنهم
 فوج السدى من بأسها ، إننا سمرى
 فدمهم جزر للبيض ، والبيض كالدسمى
 فزوتهم في أرضهم وبلادهم
 فأنيتهم قتال وأمرأ بأسهم
 فلما أبادتهم سيوفك ، وأنجلبت
 فزوتهم في البحر حتى كأنما الأس
 يفرسان بحر ، غوة ، دهم كأنهم
 يسترقها فرسانها بأغصانهم
 اذا دغصونا قلت ، فرسان غسارة
 يسوق أساطيل الفرنج اليهم
 دباؤهم في البحر حذر موائهم
 فليدفع في ليج من الارض مياربهم
 وطاد الأسارى مردلين ، وشفتهم
 وتد شهر الملكان في الله ، طالبي
 بجد ، وهو الحضب الحسام ، وحده
 وقاط ينصر الدين ، والله قائمهم
 وبنا دون أن يفنى الفرنج وتفتح الب
 فيا ملكاً ، قد أحمده الله سعيدهم
 تهن ثناء ، طبع الارض نشيرهم
 تناء به يحدو الحداة ، وينشد ال
 يسير مع الركبان ، أنى تيمموا

وله في صلاح الدين قصيدة منها :

الناسر الملك المؤفي بذمته
ومن إذا جرد البيضة الصوارم فسي
ومن عوى الملك من بعد البطاعة في أن
ورث طائفة الإفرنج يحسب مسسا
ولى وراحتة صفر وتند ملثمت
ينشدون على طائفتهم نفسا
وفي السانطة ، أولا جملهم ، تلفس
وهم أسود الدهر ، لكن أذلهم

ومن ندن كنه يخفي عن الديسم
هيجاء أغدتها في البيضة والقمسم
تزاعه بشبا الهندية الحسم
رجاء من ملك صر كان في الحسم
بعد الطاعة من يأروون نسسم
لولا فح البحر أضفى اللون كالخسم
لمن أراد نزال الأسد في الأجسم
ملك لديه الأسود الغلب كالنسم (١)

وكتب الى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة ابي عبد الله محمد بن سلطان بن علي بن غلند
يحثه على تخليد أخيه من أسر الفرنج ، يقول :

يا ناصر الدين ، يا ابن الأكرمين وممن
تولى البهمل بلا من تكسره
هذا ابن عطف في أسر الفرنج لسه
يدعوه لا بل أنا الداعي نذاك لسه
وأنت أكرم من تثنيه طائفة القرم
ومن تكن أنت حوله وناسمه

يخفي ندن كنه عن وابل الديسم
لا كدر الله ما أولاه من نسسم
عول تجرم ، في الاغزل والظلم
يا خير من علقته كنت نسسم
ويرجوه للجل نذو الرشم
تكيف تسطو عليه كذا مهضم ؟ (٢)

وقال يمدح صلاح الدين بتسيدة مطلبها :

لنفي لشخ شبيمتي وزط نسسي
ومنها :

يا ناصر الاسلام حين تغاد لست
بك قد أعز الله حزب جنسوده
لما رايت الناس قد أغواهم الشي
بتردت سيفك في العدى ولا رغبة
فخرتهم شرب النرايب وأفسسا
وغضبت لله الذي أعلساك فسم
فقتلت من صدق الوفى ، ووشمت ممن
وبذلت أحوال الخزائن بعد مسا
في جنح كل مجاهد ومجا السد
من كل من يرد الحروب بأبي

وتروحي لفتوة وطمس

عنه الملوك ومظهر الأيمسان
وأنزل حزب الكفر والظلمسان
سلطان بالالحاد والسيسان
في الملك بل في طاعة الرحمن
بالسيف ما رفضوا من الصلسمان
للكم غلبة ناعر حسسان
نبتى الفرار بذلة وهسمان
هرمت وراء خواتم الضسمان
وشارز وشنازل الأثسمان
عشب ، ويسدر وهو أحمر قسسان

(٢) ديوانه ١٤٩

(١) الموضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٩٥

قال يمدح بعض ذرية صالح الدين :

عليك من القوم الذين رماهم
ثم نسروا التوحيد نصرا
وهم قهروا غلب الفرنج بيا
وردوا الى البيت المقدس
وهم سئلوا سبل الحبيب وآمنوا
وتدركت فرسانه بحر أيل
وهم رجفوا سرا الى دعوة
وهم شهدوا ركن الخلافة
وهم شرفوا قدر الظاهر بأسماء
وهم وهبوا عز المالكة
فصل عن ظلمات يوم خطين كم
وضف حديث العدل والباسوا

وطائم هذا الدين في كل
بمعز في الآفاق كل موطن
قد انوا لهم بالرغم لا عن
وقد كان في ليل من الشر
بها الركب خوف الكافر المش
يخوضون في بحر من الكيد
بمزم رأى في الخنائم
أطدوه من حق طريقا
وذكر منوط بالرسول
بسم السوالي والشارع المشي
بحر عواد الله في كل
إذا كان عن أيامهم غير

قال يمدح صلاح الدين :

دع مهجة المشتاق من أهوائهم _____
يا لائمي هـ ما أنت من نصحاءهم _____
ومنها :

جاءتك أرض القدس تخطب ناكحهم _____
زفت إليك عروس خدر تجلسهم _____
أي هـ صلاح الدين خذها غسادة _____
كم فاطب لجمالها قسده رده _____
يا كفأها ما العذر عن عذرائهم _____
ما بين أعبدها وبين إمامهم _____
بكرا ملوك الأرض من رقبائهم _____
عن نيلهم ما أن ليس من أكفائهم (١)

قال في فتوحات صلاح الدين :

أترى مناداً ما بعيني أبصرت
وقامة تحت عين الرجز المسند
ومليكهم في القيد مضطود والمسلم
تدبجاً نصر الله والفتح المسند
فتح الشام وظهر القدر المسند
من كان هذا فتحه لمحمد
يا يوسف الصديق أنت لفتحها
ولانت عثمان الشريعة بحمد
ملك غداً الامام من عجب يسر
نشر ونظم طعنه وشراب يسر
حيث الرقاب خواضع حيث السيم
غاراته جفن فان خطبت لسم
اذ لا ترى الا طلي بسايسك
وصوافنا غفار انطلا السرى
تشمي على جثث المدى عرجما ولا

القدر يفتح والفرجة تكسر
بزوا له وزوا لها يتطهر
يرقبل ذاك لهم ملياً يؤسر
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
دوني القباة للأنام البهيم
ماذا يقال له وماذا يذكر
فاروقها عمر الامام الاطهر
ولانت في نصر النبوة حيدر
يغتال والدنيا به تتبختر
فالرجح ينظم والمهند ينتصر
من خراشع حيث الجباه تعفر
فيها السيوف فكل هام منير
تخدي فعلا أو دماء تهير
فيصدّها عنه طلي وسنور
عن يها لكنها تتعسر (١)

قال يمدح نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سنة ٥٦١ بتسيدة مملكتها :

ولا الفراق إلى عيشي بمنسوب

يوم النوى ليدري بعري بمنسوب

ثم يقول :

يا الله ، والنصر وعد غير مكسب
تعودا غريب طام أو عرايب
بلفحها يصبغ الشبان كالشباب
تسلي النفوس بتأثير وتأييد
تترصد التناهي عين بمنسوب
والله يجمعهم من غير تبويب (١)

أخوه وأبنك ه صدقا منها ه اختصاصا
هما حمايان في يوتي وفي وقصري
غدا يشبان في الكفار نار وفكري
بجلاء مصر ونصر البوئين فمستدا
يستتر بمصر يوسف ه وبمسسه
ويلتقي يوسف فيها بأخوتهم

وقال في تهنئة أسد الدين شيركوه ملك مصر سنة ٥٦٤ :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللبيب
يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة مسن
جوى الملوك وبنا حازوا بركضهم
تجل من ملك مصر رتبة مسن
فتحت مصر ه وأرجو أن تعبر بهم
قد أكنت أسد الدين الفريسة مسن
أنت الذي هو فرد من بمالتهم
في خلق ذي الشوك من عدوى سطاك شجى
زارت بني الأصفر البيفر التي لقيت
وإتيا نقد من خلفها أمسك
لقد رغبتنا إلى الرحمن أيديك
شكا إليك بنو الاسلام بقمهم
في كل دار من الافرنج ناد بمسنة
من شر شاور أنفذت العباد فكسهم
هو الذي أطمع الافرنج فسي بلد الا
وإن ذلك عند الله محتسب
أن له الملك المنصور منتصبا

كم راحة جنيت من دوسة التمسب
نادى ه فصرف غير ابن بمنسوب
من المدي في السلى ما حزت بالنبيب
عنها الملوك غطالت مائر الرتب
ميسرا فتح بيت القدر من كشمب
فتح البلاد ه فبادر نعونا وشبب
والدين من عرفه في جحئل لبسب
والقلب في شجن ه والنفوس في شربسب
حمر الضايا بها مرغوة التجمسب
أرى سادتها من أعجب التجمسب
في شكرنا ما به الاسلام منك عسب
فقت غيهم بقم الوالد التجمسب
بما دناهم ه فقد باتوا على تسب
وكم قضيت لحزب الله مسن أرب
سائم حتى سنوا للقدس والمسلمين
في النشر من أفضل الطاعات والقرب
لما دعا الشرك : هذا قد تترسب

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٦٩

إلا لنيل رضا الرحمن بالفضيل
وفي ذويه وقبح النار في الحطيل
نصرت نصر رسول الله بالرحمة
للرشد كل غوي منهم وفي
ثوابه ه نلت عفوا كل مرتكب
تقول : كم نكت لله في النكس
عدلاً ه وكنت لوزر غير مرتكب
عندي فيها يصادف شر منقلب
فالحرز عندي تطع الرأس كالسيف (١)

وما غنيت لدين الله بنقمة
وأنت من وتحتفي الكفر هيبته
وحين مزت إلى الكفار فأنهزموا
يا محيي الأمة الهادي بدعوتك
لما سمعت لوجه الله مرتقب
أعدت نقمة مصر نعمة ه ففدت
أركبت رأس سنان رأس ظالمها
رد الخائن عيسى ه ودع السيف
لا تقطع من ذنب الأفي وترسل

وبعث إلى الخليفة الناصر قسيد يبيشره بالفتوح. أ. سنة ٥٨٢ :

وحيت في جميع الأرض جسر
واستعجب الفتح لما أغلق البسر
مستعلى الناصر من بلواه أحق
فكان فيه لغير الكفر انضمار
أبجازه بيلين القول اسم
لاقينة صنع بالحق ملجأ
لقد تهلل الهدى والشوك منجس
في قمع طاغية الإهراك أسير
سببت الحرام لثانية وإعجب
كأهما لا عمار الخلق محسب (٢)

أبشر بفتح أمير المؤمنين أنسى
ما كان يخطر في بال تصوره
وخام عنهم الملوك الاقدون وقسم
وجاء عسرك والايام قبله
نصر أعاد صلاح الدين رونق
تم الظلم بالظلم في الحرب يطرس
أحيا الهدى وأما لشرك صارم
بفتحته القدر لئلا يلام قد فتح
فني بواقعة البيت المقدس للسر
والصخر والحجر المثلوم جانبهم

وقال يرثي السلطان صلاح الدين بقصيدة عدد أبياتها مائتان واثنان وثلاثون بيتاً أولها :

والدعراء وأتلمت حسنا
مرجوة رغبته ودياناته
هذولة ولرته طاعاته
لله نالصة سفت نيانه
يرى نداءه وتلقى سلواته
وسمت على الفضائل تشرقاته
ذلا ومنها أدركت ثاراته
أطواق أجياد الوري مناته
أجدت لطيف الدهر تدبيراته
بالنصر حتى أغدت صفحاته

شمل الهدى والهلك عمه قاتله
أين الذي لم يزل مشهده
أين الذي كانت له طاعاته
بالله أين الناصر الملك السدي
أين الذي ما زال سلطانا
أين الذي شرف الزمان بفعله
أين الذي ضل القرن لبأسه
أفانل أعان الهدا أساغسه
لم يجدر تدبير الدبيب وكسسه
من في الجهاد صفاحه ما أغسسته

(١) الرويتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٣ وانظر تاريخ ابن الفرات ج ٤ ص ٤٥
وعقد الجمان ج ١ ق ٢ ورقة ٤٢٣ (٢) الرويتين ١٠٢/٢

حتى تفسي الى هذاك بقاتسسه
في ملكه حتى تطيح عصاتسسه
فرضت عليه كالصلاة صلاتسسه
شدت على اعدائه شداتسسه
رجحت وقد نجحت به مساتسسه
من كان بالتوفيق توقيماته الخ (١)

والغرب منتظر طلوكم نحسسه
والشرق يرجو عزب عزلك مايسسه
مغرى بأعداء الجبل كأنسسه
هل للطلوك مضاهيه في موقسسه
وانا الطوك سحوا وقصر سحمسسه
كم جاء بالتوفيق في وقساتسسه

وهنا نور الدين بفتح منبج سنة ٥٦٣ هـ وحرره على فتح القسندس :

فليهن هذا النصر كل مسس
في الملك يفتح كل باب مومس
فانهمض اليها بالجيوش ومومس
ولكن لسواه كالانسس
طابا ه فكيف خوان في امسس
انر المسوم بوجهك المتبلسس
في ضمنها تقويم كل مسس
وعلى دارا بلد ونابلد مسس
ماثورة ه وسلكت اوضح مسسك
جددت منه كل رسم مومسس (٢)

بشرى الممالك فتح قلعة ميسس
اعطيت هذا الخش مفتاحا هسس
واشي يشر بالفتسس
أبشر ه فبيت القد ميسس
ما اعجزتك الشهب في أبراجه مسس
ولقد ر من مسيك أحقر أن يسسرى
لكن تهذب من عصاك سياسسس
فانهد إلى البيت القد مغازسس
قد سرت في الإسلام أحسن مسسيرة
وجدهم ما استقرت من سنق المسدى

وهنا السباد صالح الدين بفتح الموصل وحرره على فتح القسندس :

حلو الجنا وعلى السنا ومساسسه
في ليل ويل قد بجا مياسسس
في قبضة البازي فميسس
أن الذي ييجني عليه ساداتسسه
وغدا يجيد رثاه ماداتسسه
فالناصر الملك الصالح ماسسس
فيهم ه فلاح ه كما رأيت ه فلاتسسه
سكنت بنحردم الفرنجة ماسسس
موت الأبطال ه فقد طس ماسسس
عبد ه ويدراك ليلها أصباسسس
عتران قلب نسوك ماسسس
فالظلم ياد في الجيوش صراسسس
فيها ه غريكم لكم فثاحسس

فالحميد لله الذي أفضا لمسسه
عاد العدو بالمدة من ماسسس
وجنى غايه جهله بوقوعسسه
حمل السلاح إلى القتال ه ومسادرى
أضحى يريد مواصلي مسدوده
ان أعمد الدين الخلاة بختمسسه
قد كان عزلك بالاله مسسس
وكانني بالساجل الاقص ه وقسس
فأغير إلى القوم الفرات ه ليشرىوا المسس
لغتك من أيديهم رهن الرمسسس
وأبغوا لحران الخائن ه فكم بهمس
نجوا البلاد من البلاد بسد لكسس
وأستفتحوا ما كان من مستفلسسس

(١) الروشتين ج ١١٥ / ١١٦ (٢) الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٠

ولذي العلوم الناضجات رجائـــــــــــــــه
نفاعه ، مناعه ، متناحـــــــــــــه
متلعانه ، مقدامه ، جحبناحـــــــــــــه
واذا عدا غي جحفل فوقاـــــــــــــه (١)

أنتم رجال الدهر، بل فرسانه
غناكه، نساكه، ضللاله
وأبو المنظر يوسف ملاحه
وإذا اعتدى في محفل فحيره

قال يمدح نور الدين ويصف الزلزلة سنة ٥٦٥ بقصيدة مطلعها :

ولساري ليل الصباة هــسـاـدي

هل لعانى الهوى من الأسر غسادي

ثم يقول :

جَلَّ رُزْهُ الْفَرْخِ فَأَسْتَبَدَّ لِمَا مَنَعَهُ مِنْهُ بَلْبَسَ الْحَدِيدَ لِيَسْرَعَ لِمَا يَسْرَعُ
فَرَزَ الرِّعْبَ مِنْهُ نِي أَنْفَعَسَ الْكَفَّ
ار بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ
سَطَوَةٌ زَلَزَلَتْ بِمَكَانِهَا الْأَرْ
أَخَذَتْهُمْ بِالْحَقِّ رَجَفَتْ بِمَا سِ
خَفَضَتْ فِي تَلَاعُهَا كُلَّ عَسَال
أَنْشَدَ اللَّهُ حُكْمَهُ فَهُوَ مَسْنُونٌ
آيَةُ أَثَرَتْ ذَوَى الشَّمْسِ بِرَأْسِهَا
وَالْأَعَادِي جَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ التَّدَمُّسِ
أَشْرَكَ فِي الْهَالِكِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
وَلَقَدْ حَارَبُوا الْقَضَاءَ فَأَمَضَ
وَالْأَلَهُ الرُّؤُوفَ فِي الْمَشَامِ عُنْتِ
بَلْبَسَ الْحَدِيدَ لِيَسْرَعَ لِمَا يَسْرَعُ
ار بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ
سَطَوَةٌ زَلَزَلَتْ بِمَكَانِهَا الْأَرْ
أَخَذَتْهُمْ بِالْحَقِّ رَجَفَتْ بِمَا سِ
خَفَضَتْ فِي تَلَاعُهَا كُلَّ عَسَال
أَنْشَدَ اللَّهُ حُكْمَهُ فَهُوَ مَسْنُونٌ
آيَةُ أَثَرَتْ ذَوَى الشَّمْسِ بِرَأْسِهَا
وَالْأَعَادِي جَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ التَّدَمُّسِ
أَشْرَكَ فِي الْهَالِكِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
وَلَقَدْ حَارَبُوا الْقَضَاءَ فَأَمَضَ
وَالْأَلَهُ الرُّؤُوفَ فِي الْمَشَامِ عُنْتِ

وَبَيْنَ قَدْسِيَّاتِهِ تَسْبِيدَةُ عَدَدِ أَيْبَاتِهَا مِائَةً وَأَتْنِازِينَ وَخَمْسُونَ بَيْتًا أُولَٰئِكَ :

[illegible]

نصارى بغداد هم أعريت لمن أهتمسدى
 الحيرة فتح القدس من مغيرت
 أتوا كعبال أبرمت لأسارنا
 وساموا تجارا تشترينا غوالي
 وجروا جيوشا كالسيول على الصوى
 وقالوا ملوك الأرض طول نيادنا
 وقد أقطع الكند العراق موقتنا
 وأقمم أن يسقي يدجلة خيلنا
 فكم واثق خيلان فهفه خصمنا
 أتى الكند من إسبان يحص قمامنا

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٥١

(٢) الروافضين من ٢ إلى ٦٦٨ - ٤٧٠ والشيعة ، بداية قسم شعراء الشام ٤٦ - ٥٠ .

ولا حلل الرايات الا محلا
جبابرة الإفرنج خيرى وشى
ومن ذل ماتت نفسه فتقيدا
كشلة عصفور من الريش جردا
يسرونها الأشجى وتنته
دم الفادر الإبرنصر فاقتيد أرسدا
وعاينه التند الكليك فارعدا
فأد ركه الموت الطاجي مكعدا
كلحمة القل التي تلت المصدى
ويصفي بسقى الدار طائفة المصدى
ذراه وذا فيه شبيب تأيسدا
لأمر صائح الدين في النار مغلدا
وسلم مبعوض المسلمين مجتهدا
سبتهم جيوش ليمر ثوبها من أرتدى (١)

ما مالت بوسلكم وعود شمسدا

ونعمة مستوجب مزيد شمسدا
يخاف بل يخضبها بجود شمسدا
وللملوك عنهما قصود شمسدا
لثم شهور نافع برود شمسدا
ظلال أمن وارف يد يد شمسدا
وغم على رغبهم عبيد شمسدا
لله أضحي للظبا مجود شمسدا
فان هاتاهم غود شمسدا
بفتاحها وسيفه إقليد شمسدا
ملكه ولكن رعبها يبيد شمسدا
من ذلة لو أنهقتيد شمسدا
كانا حبسوها لحدود شمسدا
لمسودة الغضب عنا صعيد شمسدا
عال سناها بك حال جيد شمسدا

فما عقد الرايات الا محلا
ووقعة يوم القل اذا قبضت بسدا
عليهم من البلوى مودق ذل شمسدا
تري المنصر الديوي ياتي سلاحه
فتلقى نصارى جلق في مات شمسدا
ألبر للسلطان صدق نصدرة
وباشره بالقتل وسط جناحه
وضاقت بنصر القصر الأثر مهر شمسدا
وما طرق الاسماع من عهد آدم
أتوا واديا ما زال ينفي شباث شمسدا
به جشت أصحاب ليكة وهي فسي
أرى الله فيه مسجز النصر مخلص شمسدا
وأعدى جنود الرعب يردى تدات شمسدا
ومن عجب خمسون ألف مقاتل شمسدا

وقال يحد نور الدين بتصيدة عظام شمسدا :

لو حفظت يوم النوى عهد شمسدا

ونهبها :

ان الرعايا منه في رعاي شمسدا
لنوبها يسهر بل لأنهم شمسدا
بالدين والملك له قيا شمسدا
ودابه تلم شهور الكشيسر لا
قد أصبح الله لنا بعد شمسدا
غدا ملوك الروم في د رات شمسدا
لما أبت هاتاهم مجود شمسدا
إن غارت سيوفه غود شمسدا
كم مفاقات من حصون عز شمسدا
وقد ودت الإفرنج لو غرت نجست
قهرتها حتى لو شمسدا
أناها رعبك في حصون شمسدا
وإن مصرا لك تمنو بعد شمسدا
والحلة النراء خال باله شمسدا

تصورها ، محفوظة حدودها
 فانت في اطارها داود
 خربت له من الجوارك صيد
 يذيب اكباد الصدى حقود
 وشعبها ، وجودها ، وجود
 بالخرع الاقزة ودود
 فانت يشوب زهد زهد
 في كل عام للرايا عيد
 ودولة سعيدة جدود (١)

مفترة تنورها ، منوع
 وان بغى جاراتها ضلال
 يا ابن تميم الدولة السدي
 دح السدا بفيظها ، فاني
 يا دواقنوتية ان السدي
 ما تمل الدنيا لمن يجهم
 انت الذي يرفنها عن قسرة
 فابن لنا يا ملكا ، بقاوه
 في نسمة جديدة سحود

وانشد اسد الدين شيركوه في سنة ٥٦٢ :

اسد الدين شيركوه بن شيرازي
 والي الخير داهم الاغنيان
 لا اهل الاسلام خير من
 بل بصدق الاكباد والافان
 من المشركين غير بتميز
 لنصر الامام في بفسان
 من الشرك ايما انفسان (٢)

دعت في الملك آراذ انفسان
 يا كريما عن كل شهر بليثان
 وملاذ الاسلام انت ، فسلان
 في نفوس الكفار رعبك قسود
 لم تدع بالثاني ، رومسا واصنام
 انت من نازل الدعين فسي
 وينك الاسلام انقذتهم انفسان

قال يدهج اسد الدين شيركوه سنة ٥٦٢ :

ونلت ما عجزت عن نيله القسود
 ومن له مثل ما اثرته انفسود
 فانت اسكندر في السير ام خسر
 عن القرات يقاضي ورد ما الصسر
 الا حديثك ما بين الوري سمسر
 وزاد غوث الذي جاءت به السمسر
 في هذه السيرة المحموده السمسر
 فقل لنا : اعلي انت ام سمسر
 ونحن فيك رأينا كل ما ذكسمسر
 وصار فيك عيانا ذلك الخبسمسر
 ما قد فعلت ، فكل فيك مفتكمسر
 وصلت ان جبنوا ، بل طلت ان قسسمسر
 وذلك في جنب ما نرجوه محقسمسر

بلشت بالجد ما لا يبلغ البشر
 من يهندي للذي انت اهتديت لسمسر
 اسرت ام بسرائك الارض قد طوسست
 اوردت خيال باقص النيل عادرة
 تناقلت ذكرك الدنيا ، فليس لهسمسر
 فانت من زانت الايام سيرتسمسر
 لو في زمان رسول الله كنت ، انت
 أصبحت بالعدل والاقدام مفسر
 اسكندر ذكروا اخبار حكمسمسر
 ورستم خبرونا عن شجاعتمسمسر
 اخبر ، فان ملوك الارض اذ هلمسمسر
 سهرت اذ رقدوا ، كهجت اذ مكنسمسر
 بمتهم ظنون الذي اذ ركنه عجمسمسر

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٧

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٣

قاضي القضاء بما ترجوه عن كسب
 شكت خيولك إذ مان السرى ، وشكت
 يمتد فتح بلاد كان أسره
 قرنت بالحزم ملك المزم ، فأتى
 ومن يكون بنور الدين مهتدي
 يرى برأيه ما في الملك يرمي
 لقد بذبت فقة الإفرنج فانتصفت
 غرمت في أرض مصر من جصوم
 وسال بحر نجيع في مقام وفسي
 أنهرت منهم دماء بالصعيد جسرى
 رأوا اليك عبور النيل إذ عدوا
 تحت السوارم هام المشركين ، كمن
 أفتت سيفك من لائق ، فإن تركت
 لم ينق إلا الذي عافته من خبيث
 والساكنون القصور القاهرة قسدا
 وهاور شاوروه في تكاد
 كانوا من أرب موتى في جلود
 وإن من شيركوه الشرك منخسزل
 عول على فقة عند اللقاء وفست
 وكيف يخذل جيش أنت بالكسب
 أجاب في اله الحق دعوة مسن

حتما ، ووافقك التوفيق والقدر
 من فلها البشير ، بل من حلها الصبر
 لخير رأيك فتحة عس
 مارت لك عنها أسفر السفى
 في أموه ، كيف لا يتولى له المسر
 فانت منه بحيت المسح والبصر
 منها ، باقدامك ، الهندية البصر
 أشجار خط لها من هامهم شمس
 به الحديد غلام ، والدم الملمس
 منها إلى النيل في واديهم نهم
 نسرا عما عبروا حتى قد اعتبروا
 تحت السوارم يوما شفت الأكس
 قوما فهم نذر من قبلها نفس
 وخش الخاف ، وهو للمحذور مفتل
 نادر القصور عليهم أنهم قهروا
 فكان الكيد لما شانه الحذر
 وحين أمتهم من خوفهم نفس
 والكفر منخدل ، والدين منتصر
 وعد عن تركمان قبله غسدر
 والقائدان له التأيد والناصر
 يطيب بالليل من أنفاسه المحسر (١)

وقال في صالح الدين ، وهي أول كلمة خدته بهما :

وأرادنا بأن يتور تهمور

كيف قلتم بقلتيه تهمور

وبهما :

ن ، فذل اللاجي وعز السبي
 شاركتها قريظة والنضير
 حرة ارتاع أنه مقه
 ذا ارتعاد كأنه مقه
 ومن الأسد كل كلب فسرور
 حيث ما كان للأسود زشير
 فهو بالرب مطلق ما سسرور

لأن بالنيل شاور مثل شرور
 شارك المشركين بشيا ، وقد
 والذي يدعي الإمامة بالقس
 وفدا الملك خائفا من سطاكس
 ومنو المهنري هانوا غفسروا
 إنما كان للكلاب عسروا
 وتليب عند الفرار سايب

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٢

لم يبقوا سوى الأصاغر للسير
 وحقيقا الإسكندرية عنهم
 حاصروها وما الذي بان من ذب
 كحصار الأحزاب طيبة قد
 فاشكر الله حين أولاك نصرا
 ولكم أرجف الأعداء في هـ فقلنا
 ورتبنا كالصيد عودك فاليسر
 عاد من مصر يوسف والسبي
 فأتوب من أياب صالح السعد
 ولكم عودة إلى مصر بالنصر
 فاستردوا حق الإمامة من
 واقتربوا بكرها لها في
 فودوا أن الكبير صفير
 ورعى حرسهم عليهم نصر
 لك عنها وحفظها حصور
 ونبي الهدى بها منصور
 فهو نعم المولى ونعم النصير
 ما لنا نذكرونه ثائث
 م به لأزنام عيد كبير
 قوب بالتهنئات جاء البشر
 ين يوم به توفى النصير
 ر على ذكرنا تدر الحصور
 خان غيبها فإنه مستحور
 فاستردوا حق الإمامة من
 واقتربوا بكرها لها في

وقال في وصف دمشق ومدح صالح الدين :

صالحها :

سوى عدائكم فاعدوا أو فجعوا

أجيران جيرون مالي فجعوا

ومنها :

بحد اعتزام شهاب طرس
 وطعن نخسف منه النصار
 ومن دمه كل قطار عذ يسر
 كأن صقورا عليها صقور
 صحاح الشلى والمهادي كسر
 لمن قلوب الأعداء وكسر
 إذا حاولوا التفتح صيدا وصور
 غما نشر منه إلا نفس
 بطون التشاعم غيبها قيسر
 فتقدم فيها النصور النصار
 إذا ضربت بالذكور الذكور ... الخ (٢)

وكم قد نالمت جنوبي الغرب
 بضرب تحدد منه السوروس
 وشاد رت غاد ركم بالسرا
 بجمرد عليها رجال الهيم
 من الترام عند بابيس
 سبام كفافها النائمات
 وحدهم مثل صيد الصوار
 بجيشك أزعجت جاش المصور
 تركت مصارع للمشركين
 نزاحم فرسانها الضارسات
 وإن تولد بكر الفتور

(١) البروضين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٢ والخريدة بداية قسم شعراء الشام ص ٣٦

(٢) الخريدة هـ بداية قسم شعراء الشام ١٩ - ٢٩

وقال يمدح صالح الدين ويمزجه بمحمد :

أيا يوسف الاحسان والحسن ، خير ممن
 ومن المهدي وجه النجاة برأيـــــــــــــــــه
 حتى حوزة الدين العفيف بحبـــــــــــــــــوزه
 أبوه أبي الأملاء ، وعـــــــــــــــــه
 وظال الطواك شيركوه بطولـــــــــــــــــه
 بنو الأصغر الأفرنج لا تقوا ببيـــــــــــــــــه
 وما أبيه يوم النصر واخضر روضـــــــــــــــــه
 رأى النصر في تقوى الإله ، وكل من
 ولما رأى الدنيا بعين ماذلـــــــــــــــــه
 وقام صالح الدين بالملك كاغـــــــــــــــــه
 ولما صبت مصر الى عصر يوســـــــــــــــــه
 فأجرى بها من راحتيه بجمـــــــــــــــــه
 هزمت جنود المشركين برعبـــــــــــــــــه
 وفترت من حول مصر جنوعـــــــــــــــــه
 وأمنت فيها الرعايا بمدكـــــــــــــــــه
 بحقه دم حطمت دماء كثيـــــــــــــــــه
 وما يرتوي السلام حتى تفادروا
 فسبوا على الإفرنج سوط عذابـــــــــــــــــه
 ولا تمحلوا البيت المقدس ، وأغزـــــــــــــــــه
 تدبون بالدمروفه طيب ذكر كـــــــــــــــــه
 وإن الذي أثرى من المال مقـــــــــــــــــه

حوى الفضل والافضل والنهي والاصـــــــــــــــــه
 تجلى ، وشعر النصر من عزه أفـــــــــــــــــه
 من الخالق الحسنى ومن خلقه الشكـــــــــــــــــه
 بمصروفه عم الوري : البدو والحـــــــــــــــــه
 وما شاركوه في السلا فعوى الفخـــــــــــــــــه
 وسمر عواليه ضايأهـــــــــــــــــه
 بن الخشب حتى أسود بالنقـــــــــــــــــه
 تقوى بتقوى الله لا يعدم النصـــــــــــــــــه
 أغد من الأولى مصيرا الى الاغـــــــــــــــــه
 وكيف ترى شعرا الضعفى تخلف البـــــــــــــــــه
 أعاد اليها الله يوسف والعـــــــــــــــــه
 بهتارا ، فسحنا الوري أغلا عـــــــــــــــــه
 فلم يلبثوا خوفا ولم يكشوا ذـــــــــــــــــه
 بكسر ، وهاد الكسر من أهلها جـــــــــــــــــه
 وأطافتم من سر شاورنا البـــــــــــــــــه
 وهزمتهم بطأديتهم الحدد والشكـــــــــــــــــه
 لكم من دماء الفاديين بها غـــــــــــــــــه
 بأن تقسموا ما بينهم القتل والاصـــــــــــــــــه
 على نقتله فازين ، وانتمعوا البكـــــــــــــــــه
 وما الملك إلا أن تدبوا لكم ذكـــــــــــــــــه
 وإن يغنه في كسب محمداً أنـــــــــــــــــه (١)

وقال في إغاثة الخلافة المماليكية بمـــــــــــــــــه :

وأشمتنا بها شعار بني المـــــــــــــــــه	فأسبشت وجوه النصـــــــــــــــــه
وتركنا الدعي يدعو تـــــــــــــــــه	ودعو بالذل تحت حجر وخصـــــــــــــــــه
وتباهت منابر الديـــــــــــــــــه	بنة لها شمو في أرض مـــــــــــــــــه
ولدينا تناعفت نســـــــــــــــــه	، وجلت من كل عدو وخصـــــــــــــــــه
فأنشدى الدين ثابت الركن فـــــــــــــــــه	، مخطو الحسن ، صون الشـــــــــــــــــه
وأستنارت عزائم الملك المـــــــــــــــــه	دل نور الدين الكريم الاغـــــــــــــــــه
بنو الأصغر التواحم مـــــــــــــــــه	بوجه من المنافقة صفـــــــــــــــــه
عرف الحق أهل مصر ، وكانـــــــــــــــــه	تبله بين منكسر وقـــــــــــــــــه

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٥٤ وعقد البطان ج ١ ق ٢ ورقة ٤٢٩

قتل لداعي النجاشي : حبيبك ه فالله
 هو فتح بكره ودون البرايه
 وحصلنا بالحد ه والاجر والنصر
 ونشرنا اعلامنا السود قهراً
 واستعدنا من ادعياء حقوقنا
 والذي يدعي الامانة بالقسم
 خائنه الدهر في مناه ه ولا يخال
 ما يقام امام الا بحسبك
 خلفاء الهدى سراة بني الصبر
 بهم الدين الناف ه مستقيم
 كشور النجاشي ه كمثل بسدور التميم
 قد بلدنا بالهجر كل مراد
 ليدثرى الرجال بن ملك المصطفى
 ولهذا لم ينقطع صاحب القصص
 دام نصر الهدى بملكه بسني الصبر حتى يترجم يوم الحشر (١)

وقال في تهنئة نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسماعيل يوم عيد الفطر سنة ٥١٩ :

عيدان : فطر وطهر
 كذا لعلك تحبب
 وفتح قريش ونصب
 حقاً هناءاً وأجراً

يا أيظمم الناصر قسماً
 وما عر حين ناصبوا
 ما أفتدنا الا وفساء
 وفلك الدهر غصص
 وحل غيرك الله
 يفتر من كسل شمس
 فروم به وثرت
 حرب توان وثقت
 بنصر الا صغر من خشم
 لم يبق للفر طقس
 وما دجى ليل خطيب

وحل لشبيرك قسماً
 وقائم حين قسروا
 وعادة التمسوم غصص
 المشركين وقهم
 للساميين وتسم
 الى ابتسامة شمس
 في رختهم لك وتسم
 على مرادك بكس
 ية انقاص صف
 لا كان للفر طقس
 الا وزعت شمس

وعلمه بالذي عبيته
اسماء برك جيبه
من حر باسائه
له الملوك وعبيته
به ود سبت وصيته
عز المحل طهر طهر
على الزمان وامر
بمسكنه طاب نشوته
ما طان لك عبيته (١)

اسيحت بالشمز عبيته
اكثر كل يتسليم
في كل قلب حوسود
تدل تلمير طهر
يزهسي سرير وتسمي
وكيف ينحل للطمس
هذا البهور طهر
وذا الافتنان ختسم
رزمت عدرا طويلا

وقال في فتوحات صالح الدين سنة ٥٨٣ هـ :

قدو البصيرة في الأحداث يمتسبر
أين القراضب والمقالة المصنبر
كانهم سد ياجوج اذا استجبروا
وفي القادير ما تسلي به المصنبر
بحافل لم يفت من بدمها بشمبر
تمودوا أهلكا من الطين قد سكب
كمدين أم لقوا رجفا بما كتب
في ساعة زال ذلك الجلاء والقدر
وتو الضنفر أمدى ظنوه الدفبر
كسرب طير عواما القادر الذكبر
ونذره في كثر دينه البطبر
فما حيا وحق وهو يمتسبر
والنجم يخدمه والشمع والقدر
ويخفى وهو في الألفان مقتبر
على صدور علي من قبلنا عسبر
أكتاف لويمة تجلي وذا عصبر
والكفر يطمر والايان يزد دمبر
في فقة الميخي للاسائم ينقصبر
له الرواة بما لم ينه أثمبر
فان تقل : كيف هذا الحادث الخطبر
ملك الفرنج من الاتراك محتجبر
مصدقين بخيل النهر قد أسبروا

في باطن الشيب مالا تدرك الفكر
مالي أرى ملاك الفرنج في قفسبر
والاستبصار إلى الداية التامبر
والنفس مولدة غدا بسيرتمبر
يا وقعة البتل ما أبتيت من عسبر
ويا صفي السبب ما للقوم قد سببر
ويا صريح شبيب ما طهر شمبر
حجوا بمحتلين ملكا كافيا عجبر
أهوى اليهم صالح الدين فترسبر
أعلى عليهم فصاروا وسد كفتبر
وانجز الله السلطان بوصبر
وتأين الملك الإبرش في دمبر
رأى ملكا ملوك الأراش تنمبر
اذا بدا تبهر الأعيان هيئمبر
تقدم البجيل في أغزى الزمان بمبر
أما رأيتم فتوح القادسيه فمبر
والحق يبرر والافيمان فمبر
هذا الملك الذي بشرى النبي بمبر
أنسى ملاحم ذي القرنين واعترفبر
وصنع ذي العرش إبداع بلا سمبر
بيننا مباباه تجلي في دمبر
أزاه زعماء الساحلين ممبر

(١) الروافدين ج ١ في ٢ ص ٥٧٩

يتلوهم صلبوت سيق منكسسا
ونحن في ذا وذا طير صيفتسه
تخرو أساطيلنا مدنا صقليسة
من ذا يقول لعل القد من مفتسج
أبو الحظف ينيوها فخذ سفنسا
يسبي غرنجة من أقطارها ولنسسه
وبعض ابنائه بالقد من منتسب
براية تخرى الأرض الكبيرة فسسي
قالوا أظلت يدحا فيه قلت كمنسا

وحوله كل قسيس له زيسر
يفتح عكا التي مدت بها الشسر
فتدعر الروم والصقلاب والخسر
اليك بل سفر يمقوب له السفسر
من باب عكا الى طرطوس تنتسسر
مع المجوس حروب قدحها مسسر
وبعضهم رومة الكبرى له وطسر
جمع تقول له الاحسسام لا وزر
بدأت فالص للخبوب مذكسر (١)

وقال فيه بعد ان اخذ حصن غراز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز:

اعطاه رب السالين دولسسه
حاز العاد بياسه وجسوده
بجده افنى كنوزا غنسي الموده
مهلك اهل الشرك طرا : رومها
تفاخر الاسلام من سلطانسسه
تهن من فتح عزاز نسسه
واليوم ذلت حلب ، فانهمسا
وحلب تنفي كمشكينهمسا
برزت في نصر المهدي بحجسسه
كم حامل للرمح عاد مهديسسا
ارغى غطوطي من حضيض نقصمسا
والنصر لا بد له من باعسست

عزة اصل الدين في اعزازهمسا
وهو أحق الغلق باختيارهمسا
لوك في الجد على اكتنازهمسا
ارغسها ، افرنجها ، انجازهمسا
تفاخر الفرس بابر اوازهمسا
أوقمت السداة في اعزازهمسا
كانت تنال الص من عزازهمسا
كما انشفت بغداد من فيمازهمسا
وضوح نهج الحق في ابرازهمسا
عجز عجوز الحي عن عكازهمسا
وعد عن نمازها لمازهمسا
كخاجة الخيل الى مهمازهمسا (٢)

وقال يمدح تقي الدين عمر سنة ٥٨٣ بقصيدة تشتمل على مائة وأربعين بيتاً مطلعها :

عفا الله عنكم عن ذوى الشوة ، نفسوا

فقد ثافت منا قلوب وأنفسوا

ومنها :

رددت كراديس الفرنج وكلهم
وبعث وجه الدين يوم لبقيتهم
أناد دم الأنجاس طهر سيقكم
شحوس ظبي تشدو لها الهام سجدا

لدى الأمر في غل الصغار مكردهم
وأبيضكم من أسود القصر أشوسهم
وما يستفاد الطهر لولا التنجسهم
فلله نصر انية تنمجتهم

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٥٩

(١) الروضتين ١١٦/٢

كفيعتم على رغم المعادين كل
وبينكم من كل عاب قس
إذا نسروا التوحيد في
لأقدامه من عصبة الله
شديد على الأعداء ثبت عمر (١)

وكم كفي الاسلام سوءاً بملككم
ولا يفتح البيت المقدس غيركم
لهم كل يوم في جهاد مثلكم
إذا ما تقي الدين حال تساقطت
وما عثر الاشباه سحيقاً

وقال في يوم حطين والقدس :

يا يوم حطين والابطال عابسة
رايت فيه عظيم الكفر محققاً
يا طهر سيف برى رأى البرى فقد
وغاصراني طارذاك الرأس في دمه
ما زال يحطى مذكوماً بفد رتبه
عزى ظباه من الأغاد مهرقبة
من سوغه في دماء القوم منقسمين
أفناهم قتلهم والأمر فانتكسوا

ومنها :

قل للمليك صلاح الدين أكرم من
من بعد فتحك بيت المقدس ليس سوى
أتر على يوم انظر موسى ذا الجيب
وأخل ساحل هذا الشام أجمعه
ولا تدع عنهم نفساً ولا نفساً
نزلت بالقدس غاشقة حجباً ومسي

وبالمجاورة وجه الشمس قد عيسى
مضراً غده والائف قد تمسك
أصاب أعظم من بالشرك قد نجس
كانضدع في الماء قد غطس
والقتل تسميت من بالقد رتد عطس
دما من الشرك رذا هابه وكس
من كل من لم يزل في الكفر منقسم
وبيت كفرهم من خبثهم كنس

يمشي على الأرض أو من يركب الفرسان
صور غار فتحت فأقصد طرابلس
وأبعث إلى ليل انطاكية المسما
من المداة ومن في دينه وكس
فإنهم يأخذون النفه بالانفس
تنصط طرابلساً فأنزل على قدس (٢)

وقال في تهنئة صلاح الدين بفتح القدس وغيره سنة ٥٨٣ : مظلماً :

أطيب بأنفس تدلج بكم نفساً

ومنها :

رايت صلاح الدين أفضل من غدا
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر
سجيتة الحسنى وشيخته الرضى

- (١) الروضتين ٧١/٦
(٢) الروضتين ج ٢ ص ٨٣ ١٠٢

وتستأثر من ذكراكم وحشتي أنساً

وأشرف من أشحنى وأكرم من أمسى
ولمنا نرى إلا أنا مله الخمس
وحلشته الكبرى وعزمه القمص

ينير بما يولي ليا لينا الد ~~مسما~~
 عداك جن الارض في النك لا الانسا
 فانت الذي من دونهم فتح القدس
 فلا عدت اخارتك الطهر والقدر
 فان هبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
 والبستها الدين الذي كتب اللبسا
 فلا بطركا ابقيت فيها ولا قسما
 بان اذان القدس قد يطل القدر
 ملائكة الرحمن اجنادك الخمسا

فيا طيبها منى ويا حسنبا مرسما
 لا جلالهم عن مدن ساحلهم كنسما
 بسيفك التي انشه الرغم والتمسما
 تخدت بها بين الطلى والظبي عرسما
 فمظره بل امره اريد وارجمسما
 فلا تبدلوا عنها وحسوههم حسما
 كانه ته ورعا وعصته ترسمسا
 فانك قد صيرت دينا رهم فلسما
 بما الطلى من صاديات الظبي الخمسا
 خراسان والنهرين والترك والفرسما
 بعزك واملا من دناهم الرمسما
 وقد طردت عنه ذئابهم الطلسمسا

رد ينية ملدا وخطية ملسمسا
 ولم تبق من اجناس كفرهم جنسمسا
 مزاركها للجرد ضرسا ولادهمسا
 اسود تبني من نحور العدى نهمسا
 حدود الرقاد الخشن اخلاقهم الشكسا
 مجيدا بحكم السزم طردك والمكسمسا
 ود ابك في الاحسان ان تطلق المكسمسا
 ونكستهم ان صار منهم نكسمسا
 دمارا كما بقت جبالهم بسمسا
 ولم ترض ارض ان تكون لهم رسمسا
 صلا فزادت من خمودهم تبسمسا

فلا عدت ايامنا منه مشرقسما
 جنودك اهلنا السماء وظنهمسا
 فابعد القد من غيرك في السورى
 ومن تبل فتح القدس كنت مقدسما
 وطهرته من رجسهم بدماهمسا
 نزعنا لبا من الكثر عن قدس ارضهمسا
 وحادت ببيت الله احكام دينهمسا
 وقد شاع في الافاق عنك بشماره
 جرن بالذي تهوى القضاء وظاهسرت

وقد طاب زمانا على طهرهمسا
 وكما وما عكا فقد كان فتحهمسا
 وصيدا ويبروت وتبين كلهمسا
 وياثا وارمونه وتبني وخسهمسا
 وفي نعتلان الكفر ذل بملكهمسا
 وعار بصر عجة يرقبونكهمسا
 تكل على الله الذي لك اعبحهمسا
 ود مر على الباقيين واجت اصلهمسا
 ولا تنزع شرار الشرق غروبهمسا
 وان بلاد الشرق ملحة فخرهمسا
 وسيد الترنج الكرك فأتصد بلادهمسا
 أقامت بشاب الساحلين جنودهمسا

ونهمسا :

محببت على الاردن ردنا من القنسا
 حطمت على حطين قدر ملوكهمسا
 ونعم مبال الخيل حطين لم تكن
 غداة اسود الحرب محتلوا القنسا
 اتوا فكسر الاخلاق خشنا فليفت
 طردتهم في الملقى وكستهمسا
 فكيف مكست المشركين رؤوسهمسا
 كسرتهم ان صبح عزك فيهمسا
 بواقعة رجت بها الارض جيشهمسا
 بطلون ذئاب الارض صارت قبورهمسا
 وطارت على نار المواضي فراهمسا

بقي السبع الامن صليل الطيبي هـ
 اسارى كسفن اليم نطت بها القلبي
 وقد شربت بخسا وقد عرضت نخسا
 لكثرة تها كم كثرة توجب الوكسي
 تندي حسام حاسم ذلك اليبسي
 وما كان لولا غدره دمه يحسسي
 وأظهر سيفاً معدماً رجسه النجسي
 غاشيه راسي رأسه المهن والبرسي
 فصال عليه السيف يلحمه لحسسي
 فزار أمام ارباطها ذ لك الحبسي
 فلا قونسا أبقى لرا مولا قنسي
 ظير الشبا جودا لضرا به حسسي
 وأنت وهبت الشانين به الخسسي (١)

وقد خشمت أصوات أبطالها فـ
 تقاد بدأ ماء الدماء ملوكهم
 سهايا بلاد الله معلومة بهم
 يطاف بها الأسواق لا راغب لهم
 شكا ييسا رأس البرنس الذي به
 حسا دمه ماضي الضرار لفـ
 فلكه ما أهدى يدا فتكت به
 نسفت به رأس البرنس بضـ
 تبون في أوداجه دم بنيسـ
 بحثت أمام أمة النار نحوهم
 ولله نصر النصر جاء لنصلهم
 حكى عنق الداوي صل بضـ
 أيوم وفي تدعو أم يوم ناسـ

وقال يطلع صائح الدين :

سواك لهم السلا لن يرشـ
 من الناس بالبر صدت الكـ
 وكهسرت من مصر نحو المـ
 سرايا انتجعت قد أمهمـ
 ويوم حياة تركت المسـ

فنسال رب السلا أن ترشـ
 وبالحا برني البرصدت الوحـ
 فهتكت للمشركين الدروشـ
 من العرب نحو الأعداى جيوشـ
 كما طيرت بالقالا الريح رشـ (٢)

وقال في تهنئة صالح الدين بالنصر في دما ط سنة ٥٦٥ :

يا يومك الحسن والإحسان يا ملكـ
 حلت من وحل العلياء في شـ
 هتيت صوتك دما ط التي أجمـ
 مصر بيوسها أشحت مشرقـ
 وخين واغى صالح الدين أصلهمـ

بجده ساعداً أعداؤه معبطـ
 ومركز الشمس من أفلاكها الوسمـ
 لها الفرنج فما حلوا ولا رطمـ
 وكل أمر لها بالعدل منضبطـ
 فللمصالح من أيامه نصـ (٣)

(١) الروشتين ج ٢ / ١٠١ ، ٨٣ وأنظر عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورقة ٥٠ - ٥١

(٢) الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٦٤٣

(٣) الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦١ وأنظر عقد الجمان ج ١٢ ق ٣ ورقة ٤٥٨

وقال في صلاح الدين قصيدة طويلة مطلعها :

عفا الله عنكم ، ما لكم أيها الرهــط

قسطنتم ، ومن قلب المحب لكم قسطنط

ومنها :

لتيك دما عين المدو فقد جـــــرى
منعت حتى السلام للنصر مـــــا
وصلت وكم فرجت عنا مـــــة
يعودك عاد الحق واتضح الهـــــدى
وانت أجرت الشام من شوم جـــــاره
أجرت وقد جاروا ودنت وقد عـــــدوا
فلا يحبا الولي بمن ملأ جـــــاهه
كثير تمدد بهم ، تليل غناو هـــــم
عدلت فلا ظلم ، وظلت فلا مـــــدى
.....

فدم ظافرا أيا المظفر بالمـــــدى
بقيت ولا زلت عدك ظيـــــدة
ولو كنت جارا للمصري لم يقـــــل:

على الأرض من أوداجه دمه المـــــط
غداة عوت من دونه الأذوب المـــــط
بسهم الرزايا غي الكرام لها الهـــــط
وهب نسيم النصر وانغن الضـــــط
ولم يكف رهط الكفر حتى بغى رهـــــط
وصلت وقد خاروا ولنت وقد لـــــطوا
هوى ويقوم حشو جيشهم رـــــط
وهم لا أصابوا رشد هم رهـــــط
وقلت فلا مين ، وجدت فلا قحـــــط
.....

حليف قبول لا يكون لها حبـــــط
سعودا ولا تُخبر صمودا ولا هبـــــط
« لمن جيرة سيموا النوال فلم ينـــــوا (١)

وقال في تهنئة نور الدين بفتح قلعة جعبر سنة ٥٦٤ :

اسلم لبكر الفتح ففتح عـــــا
فإن أولى الورى بها مـــــك
إن ضاق أمر غفير همتـــــه
يا محبي المدل بعدد مـــــه
ونور دين الهندى الذى قمع الشـــــم
أنت سليمان في الحقائق وفـــــي
حزت البقا والحياء والكـــــم ال
.....

ودم لملك البلاد منـــــا
غدا بحسب الشداوب مضطـــــا
لكشف ضيق الامور لنـــــا
ورافق الحق بعد ما اتضـــــا
ونور دين الهندى الذى قمع الشـــــم
أنت سليمان في الحقائق وفـــــي
حزت البقا والحياء والكـــــم ال
..... الخ (٢)

وقال يمدح صلاح الدين سنة ٥٧٢ هـ

فديتك من ظالم منـــــف
أبلغ دهرى قندي وقـــــف
ويوسف مصر بغير التقـــــف

وناهيك من باخل مـــــف
قصدت بمصر ذرا يوســـــف
وبذل الصنائع لم يوســـــف

(١) الخريدة قسّم شمرا مصر ج ١ ص ٢٥ - ٣١ وانظر الروغتين ج ١ ق ٢ ص ٦٣٦

(٢) الروغتين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٧

فسر وافتح القدس واسفك بسفحه
وأحمد الى الإستبار البتسسا
وخلص من الكفر تلك البسلا
وما وصى تجرها ينطلسف
زوحذ السقوف على الأسقف
يخلصك الله في الموقسف (١)

وقال يمدح صلاح الدين بقصيدة طويلة مالمهما :

يروتني في الصها مهنهنسها
ومن قدود الحسان أعيفها

ومنها :

كم جحفل بالمرأ ذى لجسب
كالبحر طامي السباب لا عسبة
كتيبة منقش مهندسها
قادرتها للنسور بأكلسبة
منتعفا من رؤوس طاعسبة
وحدث دمياد إذ انحاط بهسها
لاقت غواة الفرنج خيمتها
فر فريرها وأزعجها
يبدل مدارنها المذاب كمسها
تكير صلبانها وتكسها
وليتها سفكها فحاملها
تمسقت ندعوك الداريق فمسها
وحسبها في الحمى تهاقتها
يضي لك الله في قتالها

بالصف منه يشيق صففها
بحوجه للرياح أعفها
الى الردى مشرق مشفها
حيث بأشلائها تنيفها
بياترات الظبي تنصفها
من برجوم البلاد يتدفها
فزاد من عسرة تأسفها
نداء داوينا تلمفها
يردى بهد السقوف أسقفها
من القنا للدماء تنزفها
عاملها والسنان مشرفها
أجدى سوى ملكها تحسفها
بل لسهام الردى تهدفها
عزيمة للجهاد ترففها

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٩١ و انذار مفرج الكروب ٥٧/٢

أبهى ليالي البدور عند شمسها
تواعد الله ليس يثقلها (١) الخ

إن أظلمت سدقة أنزلت له
بشائر الدين في إزالته

وقال يمدح الملك الظاهر غازي :

هم الملوك ذوو بأس ومكرمة
أغناهم التدين عن قول الوري فتحت
جهنم الفرنج إذا لاقى سوابقهم

وله في صالح الديمن :

بالملك الناصر استنصرت
عليه من حقه فسرور
يوسف مصر الذي اليه
أجريت نيلين في تراهم

وهم :

يا مخجل البحر بالأيمن
فقد من القدر من خبث

في عصرنا أوجه الفضائل
شكرا لما جاد من نوائيل
تشهد آمالنا الرواحيل
نيل نجيع ونيل نائيل

قد آن أن تفتح السواحل
أرجاس كثر فتم أراذل (٣)

وقال يمدح نور الدين ويهنته بملك مصر :

بملك مصر أهني مالك الأمم
أضمر بعد لك شمل الملك ملتئم
يا فاعل الخير عن طبع بلا كلف
وواقعا فلم تنر الكفر تحجم
لله ذك نور الدين من ملك
آثار عزك في الاسلام واضحه
بما من العدل والإحسان تنشره
أوردت من خيول النصر عاد
فأقبلت في محاب من ذوابهم

فأسعد وأبشر بنصر الله عن أمم
وعل بعد لك شيء غير ملتئم
وولي الصرف عن مشلق بار
لا لثم نشر شبيب واضح
بالعزم مفتتح بالنصر
وسره لك باد غير مكتسب
تشاف ريك نواف المنكب الأشيب
ثنى الأتة إقداما على اللجم
وقضها بدما الهام مضججهم

(١) الخريدة تسم شعرا مصر ج ١ ص ١٢٠ وانظر الروضتين ج ١ ص ٢ ص ٤٦١

(٢) الروضتين ١٠٧/٢

(٣) الروضتين ج ١ ص ٢ ص ٤٥٦

تكن النار بالإحراق في الشحس
 واه به وتوصل ما للدين من رخس
 يا ه مقتضات أصعب القحس
 والقيد في موضع الأطوار والمحمس
 من العدو بعد الصارم الحس
 من شر شاور في الاسام مضطرس
 للامن والمز والاقبال كالحس
 وعاودت دولة الاحسان والكس
 بها عبيدك املكا ذوي حس
 في البأ ومن عنتره في الجود عن حس
 عدل لحفظ امور الدين ملسمس
 يكشف دلائها لحما على وحس
 جارا لبحر نوال منك ملتطس
 واعلم بموعهم بالذابل الحطس
 على البنسات وثوب الابدل القطس
 في عقد عزين الاسام منتظمس
 بالفضل ه والعدل ه والافعال والنس
 محمود الملك محمود بكل ثس
 كم تقتفي ه والى كم تشتكي ه وكس (١)

تكن الرب في قلب العدو بهس
 سرت لتقطع ما للكفر من سبس
 مستعجلات وعور الطرق في طلب الحس
 وجاعات من الإفريق غلس
 لقد شفت غلة الاسام وانتقمس
 اعانها الله في إطفاء جمس اذى
 واصبحت بك مصر بعد خيفتهمس
 والستة اتقت ه والهدعة انقمس
 ملوكها لك صاروا اعدا ه وغمس
 انبت علك بها قرط يبوب بهس
 لله درك نور الدين من ملسمس
 كانت ولاية مصر قبل عزتهمس
 فالليل ملطم ه جاز على خجسمس
 اغز الفرنج ه فهذا وقت غزومس
 وطهر القدس من رجس الصليب وشس
 غلك مصر وملك الشام قد نظمسمس
 محمود ه الملك النازي ه يومهمس
 بالشكر كل لسان ناطق ايسم
 فاشك مصر وظهر عز سنتهمس

وقال حين علم بوفاة المعاضد الفاطمي سنة ٥٦٧ :

يفتح ذو بدعة بحصر فمس
 يوسفها في الامور محكمسمس
 باح من الشراك كل ما اضطرسمس
 بها ه وتقد السداد منتظمسمس
 حبا ربحا ه والباطل اكتهمسمس
 ومن دعاة الإشرار منتقمسمس
 داجية من غيابة وعمس
 لما اعمات منابر السلامسمس
 بناء حق قد كان منهدمس
 وانتصر الدين بعد ما انتقمسمس
 واغتر نشر الايمان وابتسمسمس
 فليقرح الكفر منه ند صسمس

توفي المعاضد الديني ه فمس
 وعصر غرورها انقضى ه وغمس
 وانطأت حمرة النواة ه وقسمس
 وصار شغل المصالح ملتهمسمس
 لما غدا ملنا شعار بني السمس
 وبات داعي التوحيد منتصسمس
 وظل اهل الضلال في ظلمسمس
 وارترك الباهلون في ظلمسمس
 وعاد بالمستضي مجتهمسمس
 واعتلت الدولة التي اضطمسمس
 واهتز عطاء الاسام من جسمس
 واستبشرت اوجه الهدى غرحسمس

(١) الروضتين ج ١ ق ٦ ص ٤٤٣

عاد عزم الاعداء منتهمك الـ
 تصور أهل القصور أخربهم
 أزعج بعد السكون مساكنهم
 وقال مهنا السلطان صلاح الدين بفتح بعلبك :

بفتح بصرك يفخر الإسلام
 وفتح قلعة بعلبك تهذب
 مكي العسود دما ، وخنر الثغر ، من
 نقي تسني في الصيام ، كأنفسا ،
 من ذا رأى في الصوم عيد سعادة
 أسدى صلاح الدين والدنيا يسعدا
 فتمل فتحك ، واقصد الفتح السعدي
 دم للملا حتى يدوم نظامهم
 وقال يمدح السلطان سنة ٥٦٨ بقصيدة تنيف على مائة بيت منها :

أرى الراية الصفراء يرمى هطافهم
 فتسبى فلساينا وتجيى جزائسرا
 وتغولها الاملاك شرقا ومغربا
 وقال يهنئه بالمافية سنة ٥٨٢ وهو على حصن :

فيا ملكا لم يبق للدين غميره
 فثبوا فريق الشرك في الشام دلائر
 شصت بتكين فمسم المسدي ردى
 اذا صفرت من آل الاشر ما حصة الـ
 فذا المسجد الاتقى وحمك الملبسى
 فما هو إلا أن تهم وقد اتست
 وندت بعد الاسلام فاشدولها دعسا
 فقق جناخيه بأقصى القوى قصسا
 فأنهم يأججون أثروبها ردمسا
 مقدس ضاهت فتح أم القرى قد مسسا
 وعزمتك القصوى ورميتك الصمصسا
 فتون كما فاض الخضم الذي داسسا

- (١) الرونيتين ج ١ ق ٢ ص ٤٩٦ وأنظر البداية والنهاية ١٢ / ٢٦٥
 (٢) الرونيتين ج ١ ق ٢ ص ٦٢١
 (٣) المصدر السابق ١١٦ / ٢

أهدى لهم شلالا إلى الأيمان
نحو العواد ، وأذنوا بهم

وأزارنا الشلالة الشل الذي
ولّى وجوههم سواد وجوههم

ومنها يذكر القادة :

لم تدور غير حمية الفتيان
غزا وطم بهم صاب " طمسان "
وتهبوا الحملات من " عثمان "
بدما أشل الصدر في غسدران
فقت عيون الكفر والكفران
بسهم كل حمية منمسان
ماضي الفرار بهم من الأجران
من جند بصرى بتر كل جمران
عقبان ملحة على عقبسنان
أنصارك الأبدال من مهران
بالفتك والارهاق والإغمان
أهدى إلى أنسان عين الرانسي
أملك مصر لما لكسي بشمدان
نهر النيلي ، ونبت عن حسنان
في ملتقى حرب ، وفي ميسدان
ما تملي إلا بقبضى يمسنان

حملت عليهم من جنودك فقيسة
زخرت بهم أمواج أجل في الوفسي
وتد صوا من حربا " محممد "
وسيف " جرديك " الجرد غودروا
وحين دولتك الذي قد تمسسه
والبارقة أرقتهم فسي الدجسي
أجفانهم نشت الشرار كما انتفسي
بعلوا محسرك بعاك وأبصسروا
وكانما الأكراد فوق جياهمسا
ولطالما مهت على نصر المهمدى
لم يترك الأتراك فيهم غايسسه
من كل رام سبكه بن وهمسه
ولك المعاليك الذين بهم شمسست
هم كالصحابة يوم بصدروا ولمسوا
الحائزون من المباق خدالمسه
من كل مهسودا الهديمن يمينسه

ومنها في تعميمن خضر من الفرنج الملاحين خذ لهم الله تعالى :

ولّى بطاعون بضمير طمسان
متباعدة من ملكة المقدانسي
لسلامة ، واليهون شأن الشانسي
مود ، وسيرتهم أسير عسان

لما رأى الداوي راوسداه
اللب القريري القرار بالمهسه
والهفري مذكمان قر مؤمسلا
باروا نبارونهم بقنائسسه

ومنها وصف ما اعتده نور الدين في ذلك اليوم ، حيث أنفذ سرية إلى بلاد القيسوم
فأعزقت ونهبت ، وكبست أهلها وكبست ، وذلك من طريق مخاضة الاحزان :

منك الخداة طوارق الحدسان
أغلى قواعدا من البنيمنان
فجنى ثمار النصر الجيشسان

أغلوا بلادهم فعل بأهلهمسا
أنهضت ، حين غلت ، إليها عسكرا
وشملت جاشهم بجيشهمسا

فتمجّلوا الأجرار بالنيران
يُشسّون الأوطار والأوطان
مما لقوا بمخاضة الأحزان
والمسلمون تهاديا بتهنئتهم
لكن ٥ وثقت بنصرة الرحمن

حققت له لنفاذ أمره دان
مصر إلى قوس إلى أسوان
ألهالك فرض الخزعن هميذان
لك أوجه الأملأ بالاذعان
ملك ن من عرف ومن عرف
قد عاش في أيامك الصمران
أبد الزمان ببذل طان فان (١)

وتال يمدح الملك المظفر تقي الدين عمر لما أبداه من شجاعة يوم معركة الرملة سنة ٥٧٢ هـ

وأنت لها كأنزعها البطالين
تركبت الشوك مغرعة القاتلين
أوى منه إلى حصن حصين
رأوا آثارها عشرين اليتيمين
عمله أو أن ولي كل دين (٢)

وملأت بالنيران أريج أعلمها
عادوا يحين رأوا خراب بيوتهم
باءوا بأحزان وخاضوا غولهم
وقد استفاد المشركون تمازيسها
لم تلقهم ثقة بقوة شوكتهم
ومنها :

دانت لك الدنيا ٥ فتاتيمها إذا
نمن السراق إلى الشام المسمى ذرى
لم تله عن باقي البلاد وإنمها
أذنت لله المهيمن إذ غسست
أنت الذي دون الملوك وجدته
عمران عدلك للبلاد كأنمها
شدت في الآفاق ذكرا باقيسها

بنو أيوب مثل قريش مجسدا
ويوم الرملة المرحسوب بأسسها
وكنيت لعسكر الإسلام كهففسها
وقد عرف الفرنج سطاك لمسها
وأنت ثبت دون الدين تحمسي

(١) المخرودة ٥ بداية قسم الشام ٥٥٣ هـ والروشتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٩

(٢) الروشتين ج ١ ق ٣ ص ٧٠٣

قال يدهج الملك المنصور صاحب حماة يقصيدة نظمها :

ريم براقة ماري حتى رسم

امن اللواحظ ان يفوق اسم

ومنها :

بسطا في يوم المثار من تهد
جيشا يحكي البحر الخضم عور
ليلاً وأطلعت الأسنّة أنجم
بني المجاج لنجم صارمها سم
بلسانه كم شق من كلم ثم
تضحى نفوس بني الأيغر عوماً (١)

كم بلدة للمشركين بناؤه
وشنت منقطة بساحل بحرهم
أسدلت في الأفاق من دبواتهم
ودحيت أرض طلال الكماة براعهم
وشدا لترقيص الجمالهم صسامهم
سيف هو النهر الذي في سيفهم

قال في فتح يا فاه وذكر الهدنة مع ملك الانجليز قسيدها اولها :

الوقت اضيق من سماح قسيسه
الجند في هذا الزمان ميسرين
بالناصر المهدى والهادى النسي
المستين بركه والواثق المستيق
هدت قوى اركان ملكه استبد
ملك اذا انزل لملكه جناحه
واذا اتوا اسرى الى ابوابه
بولى ه فدا للدين اكرم والهد
عزل الفرنجة ثم ولى جيشه
قد انسفت القويعة من تثليته
مضى بتجريح الرجال لا كسبه
ملك له في الحرب بحر ثقته
وعلياً نزل في الجهاد ففعل
نزه وحلم انسيا ما كان ميسر
يا ايها الملك الذين لطباعه
لله يوم عروبة اذ عرفت
سنت سيوفك في الروم وختانسة
آفاتهم واقت بالشدك منهم
ارما رأى الاعلاج حين دعوتهم
لم تستطع عصيان امرك بل انصبت
فاستدح جارتها وثمن باشتها
ما للسواحل غير بحر حافض
هذا الطراز الاضمر استتحت
أحييت دين محمد وأتقت
وهدت ديوان الجهاد بحاسل
وجهد العزم الذي لا ينشني
غنى الخراج من البسطة كلهما
واتقى على الدنيا بكف زهاده
جاءت جنود اللطالبا ثارها
فانبغى بها وتقاض حقاك موقفا
هم فتية الاثراك كل مدحج
قوم يخوضون المعام شجاعه

موسومة لصفات اغيد اعين
والهزل فيه مع الفوايه مختص
سبل الجهاد ابي المظفر يوسف
مضور والمستظهر البر الوفي
وتجلبت بجهاده في الوقت
لاذوا باكرم من يوم واشهر
وتنوا باعظم من يهول وأرا
حذب على ابناءه مترشرون
اعظم به من سارفا وشهر
وأقام في الانبيل حد الرضا
يروي احدث العوالي المرفع
وله غداة السلام زهد نصيب
فلذا ان يقرأه بسيرة أحسن
عزم ابن مرداس وشلم الاخضر
وسيوقة شلقا رضى وتحسن
ساعاته عن نصرك البتة
ذنت بمهجة كل على اقل
يانا فكم من سريرة وتأس
بلسان سيف في الكريمة دله
مقادة طوطا ولم تشد
وكذاك حتى الاربعين ونيس
بشبا سنان او بشغفة مرش
غزوى بثوب من عاتك مسج
ومترته من بعد طول تكش
من قائل ومشرق من مشرق
وبنا دار الرأي الذي لم يطمس
وأستاذ فرضي بزية وهو
وابسط لرحمتها جناح تحط
وسدور نابيل عن قليل تشتت
ان الاله بما توكله حش
ينفخ الكريمة قوى كل مدحج
لا ينظرون اليه من طرفه

تركوا ديارهم كفاح ~~مفسد~~
لله در المصطفى والمصطفى

ان صبحوا الاعداء في اوطانهم
انتاصفتهم لنصرة دينهم

ومنها :

يا صاح تل لاكتير الكل ~~سب دج~~
القدس ما فيه لمرجك ~~مفسد~~
والمسجد الاتقى فنه تقدر ~~مفسد~~
واستفت نعمك فهي اخيت ناصي ~~مفسد~~
واعجب لرمح بالروءوس ~~مفسد~~
قد قلت لما قيل صلح قد ~~مفسد~~
سلف تولى السيف عقد شروط ~~مفسد~~
ظنوه سلا وهو في ارواحهم ~~مفسد~~

عنك الجنون وخذ مقالة ~~مفسد~~
كاذ ولا نور الاله بمنط ~~مفسد~~
وقد الد بايبر، الالحة تم ~~مفسد~~
واترك متابعة اللجاج المت ~~مفسد~~
واطرب لسيف بالدماء من ~~مفسد~~
هذا حديث مخرف ومفسد ~~مفسد~~
احبب به من مسلم ومسلم ~~مفسد~~
سلم الى اجل لهم متخل ~~مفسد~~ (١)

يا منقذ القدس من أيدي جبابرة
 ناكذوا كذبهم في وصف ربهم
 أما رأيت ابن أيوب استقل يومئذ
 حاج الفرنج وقد خابوا المتكبرين
 لما سبي القديس قالوا : كيف تركنا
 نكم طيعة لهم شق البحار مستعري
 وكم ترحل بينهم فيلق بغضبا
 استعزوا الأهل والعدوى تدرتهم
 هم المرامى الهيب الحرب تترعهم
 سيف أدام فلسطين يرى أممنا
 كم قد أهدوا وكم قد قل جثهم
 وأما أسم سائر الدين يذكرهم

قد اتصوا بذراع الرب تدشهم
 وعدتهم الوعد كما بونا معولهم
 يعيي الزمان وأهليه تشلتهم
 فاستنقروا كل مردوب تلتلهم
 والرب في حفرة منها تثلثهم
 لينصروا القبره والأندار تشذ لهم
 إلى الخواص ألقاه ترحلهم
 واستكثروا العال واليهجا تشلتهم
 وكلما ألجأ عدما تثل تثلثهم
 خلف البختار لقد أجهاه تثلثهم
 من غير ضرب ولا طعن يزيلهم
 جيش العدو فيعيبهم تخيلهم (١)

يا من يمدح صلاح الدين عند فتح القدس بقصيدة منها :

أبا المظفر أنت المجتبي لهدي
فلو رأته وقد حزت المولى عبيد
ولو رأته وأهل القدس في ولده
غداة جزوا النواصي/ تما من
دارت بك الحلة العنقى فحنن علمي
وأنت كاسمك صديق وصاحب
وفي الثلاثة عثمان يؤي
وكم أديت ذوق تربي رقوا شر
يشبه الفتح ما بين البزاة لقسمي
أما رأيت بحالي يوم استقست
أضحى لنشر الهدى في فتح من
واحتفيع الرجب دموا بمش
أكن يا من صنف الدين أذهل
يعني الجوان والفرسان وهو علمي
يا فاتح المسجد الأقصى علي به
أشهر بملك كظهر الشمس بال
حتى يكون لهذا الدين ملك

وله فيه من قصيدة أخرى :

أبو المظفر ماوى كل من
مهما يمل جائر أو غاش
أحيا بما لله صرا فني ناش
كم للفرنج بها وردا ومن
نأشأ الناسر المنصور جذو
ملك تتاد ملك منظام
ففرق المال بها للقلوب
ان اللوك الذين أمتد أمر
كذا السيادة غالا جناد أو علموا

(١) الروشتين ١٠٣/٢

(٢) الروشتين ١٠٣/٢

أخري الزمان على خير بخبر
في قلة التل تقي كنه عبر
أبو عبدة قدى من سر
وأعولوا بالمتباكي شول
عهد الصحابة في استمرار ملك
ألك المظفر سام في عبر
علا طوي على أثار نصر
وكم بعيد رأى الزلفى بهجر
ملك الفرنج أخذا بين
حتى رمت كل ذي ألك بهجر
وبات يطوى الهدى في سد
ناستفتح القدس وحشوا
بوقعة التل واستشراء
بدء النشاط عشا مثل بكر
وقاصر البنية لا يخص بفر
على البسطة فتاح بنشر
تحكي النبوة في أيام فتر

بصلته ونداه يتررب المش
فمن عدل صلاح الدين يمتد
وافتكها من خدو ما بقم
ونارهم حولها تذكو وتشت
وأدبروا بقلوب شهمها
وقال للمال هذا ملك لي
وحسبه فيهم أدراك ما
لم يخنوا المال بل منها
بخل الحليك وجاءت شدة خذل

(٢) الروشتين ١٠٣/٢

فاليوم ساكنها كأمن الدابـــر
وجزائر للسيف أي جزائـــر
أبدًا وكثر ما له من جبابـــر
شم الممالك كابرًا عن كابـــر
وعلاوا من الخلدجان أي بواتـــر
ما ذ لك الادراك فوق ضائر... الخ (١)

أخلى الجسم من النفوس حسامـــه
فمما قل للكفر أي مقاتـــر
صدع يحز على الاغادي شـــه
من معشر ورثوا - وان رغب الســـدى
لبسوا من القدران أي سوابـــخ
وعلى الضائر يقد مون شجاعـــة

وقال يمدح صالح الدين بعد تخريبه حصن بيت الاحزان سنة ٥٧٠ هـ بقصيدة أولها :

وبارغ الاغادي دون مجدك يطـــر
وسيف يندى في طاعة الله يوشـــك
لوقف حق لا يوازيه بوقـــك
رجال كاساد الشرى وهي ترجـــك
وأبيض يندى ولدن مثـــك
الى أن فدت أكبادها السود ترجـــك
وشاد به دين خفيف وبصـــك
نزال لقد غادرتموه صفـــك
تمين لدى أيمانها وهي تحلـــك
ذروا بيت يسقوب فقد جاء يومـــك (٢)

بجدك أعلاف القنا تتصلـــك
شهاب يندى في ظلمة الشك ثابـــك
وقفت على حصن المخاض وانـــك
علم بيد وجه الارض بل حال دونـــك
وجرداء سلهوب ودع مضاعـــك
وما رجيت أعانك السفر ساعـــك
كبا من أعاليه عليب ويصـــك
صليب عباد الصليب ومنزل الـــك
أيمنك أوطان النبين عـــك
نصحتكم والدين في النصـــك وأجـــب

وقال يحز في صالح الدين على فتح حلب هـ من قصيدة :

شم الممالك بعد الزرع والبيـــل
من بعد ما كنّ رهن الشى والخطـــل
سروجها قلل تغني عن القلـــل
سداعى اليه جميع الخلق والمـــل
عالم أطمعها أهباله مبـــل
ما باله ثيبا عبي غير يـــل
حلولة وعلى الافار فليطـــل (٣)

لولا صاعى صالح الدين ما صلحـــت
ولا اغدت أسن المايلاء بفصـــة
فانهمز الى حلب في كل سائـــة
ما فتحتها غير أقليد المالك والـــة
وما عشت نعمة لو كانته فـــة
ظارت وحقك من جاراتها فـــة
فليعلم القدر أن الفتح منتظـــر

وقال يمدح صالح الدين ويهينه بالفتوحات :

لاية حان نذخر النثر والنـــا
وشاع الى أن أصبح الاسل الصـــا
فكم سر قلبا في الانام ركم غـــا
وأطرب ذياك الشريح هـ وما غـــا

أعيا هـ وقد عاينتم الايقال المظـــى
وقد ساغ نغم القدس في كل منـــى
تحل به الاشداد هـ وللنظر واحـــد
حبا مكة الحسنى هـ وثنى بيـــر

(١) ديوانه ج ١ ص ١٧١

(٢) الروتينين ١١/٢ وانظر الكامل ٤٥٧/١١ وديوانه ج ٢ ص ٤٠٩ والبداية والنهاية ٧١٢

(٣) عقد الجمان ج ١٧ ق ١ ورقه ٧ وانظر ديوان ابن الساعاتي ج ٢ ص ٣٨٢ والروتينين ٣/٦

فيشهد أن المسمي من يوسف أسمى
علم بين نسرا ما حواه ولا غمسا
وفي جهة الأيام غادرنا وسنسا
وغير الختام الغضب لا يحمن التمسسا
والسنة الاغداد توسه لنمسسا
فما كان الا ساحذا صادف اليمسسا
فهن يقطعة كانت مساعيك أم حلمسا (١)

فليت فتي الخطاب شاهد فتحهما
وقد أوتي الفتحين : مالا وبلعدة
ففي لهوات الشربة أرسلها تجسسي
وما كان الا الداء أعيسسا دواؤه
وأصبح شرا الدين جذلان باسمسا
سلوا الساحل الخشي من سطواته
تجاوزت ما أعيا الجبال من المسسا

وقال يمدح الملك المحزف فتح الدين أسحق بن صلاح الدين : بقصيدة أولها :

أن حجبت أشتباكم والنامسسا
فأبعثوا لي من النسيم السلامسا
ونسسا :

ما نداه طاق ولا حيسوده الفيمسسا
واهب المرفقات من عشقمسسا
ويرد الخيمسسا فأن لمسسا
كاتبا بالسيوف في جهيمسات المسسا
شاعر ينظم القلوب ولا ينسسا
ويجر الإزاق أو يرفسسا
وإذا غابت السيوف فللمسسا
في الوش والتدبير مسسا
فاذا لم يكن بهال لميسسسا
لا يمسسا المشوق بدر حيسسسا
فئننا كالملك طالب شهيمسسا
حبذا عزله النمسسا وممسسا أحيسسسا
.....

بك فتح الدين المشيمسسا أذل السمسسا
ما شكا جفته الجرسسا الذي كفسسسا
خاف عن حوله أرمسا وأولا المسسا
فألق رقيقك جنة وأسطبمسسا
فلقد كلت النخبى النرب والسممسسا
وأستحال الهجير طاقا ونسسا
.....

(١) الرونتين ١٠٦/٢ ، ديوانه ٣٨٥/١

(٢) ديوانه ١٤٦/١ ، ١٤٦ - ١٤٦

سقيت حيا جفني يا بانيه الحمسى

وشهبا :

غنى أفصحت عنه مغايل مجسده
 يريك ربيما كل وقت جنا بسده
 سلوا السن الاعلام عن فتكاتسه
 حتى القدس من زرق الاعادى بسره
 شكا أهلها داني محول وخيفسه
 حتى ربه ماء النجيع سيوفسه
 فلم يبق في ساحاتها غير مسلمه
 وبنا صانها دارا تحل واخته
 اذا ملء بالبين الحناد براسه
 يضيء بحياءه وللركن هيسه
 وما جلت في المدن الا كخيرها
 حتى الله عهد النيرين عهد
 فلم أر ظلا سابغا غير ظله

وقال في فتح طبرية :

جلت عزماتك الفتح المبين
 رددت أخذة الاسلام لبين
 وهان بك الصليب وكان قد
 يقاتل كل ذى ملك ريس
 غدت في وجنة الايام خيسا
 غيا لله كم سرت قلوبيسا
 وما طبرية الا هيسدي
 حصان الذيل لم تقذف بسو
 فضضت ختامها قسرا ومسنا
 لقد لكحتها صم العوايس
 هناك ندى أهل الارض طسرا
 تست حتى رأت كفوا فلا تست
 قنيت فريضة الاسلام بنه
 تهز صا طاف القدس أبتها جيسا

وان كان ناء أنت صيرته دمسسا

ففي مهده طفلا بهن تكلمسا
 وبأبى نداه أن يكون محرمسا
 وقب المذاكي والموشين المقومسا
 فما تجد الخطي الا تحلمسا
 فاجرى على أعظافها الماء والدمسا
 ففي غيرها لا يستجير التيمسا
 ولولا له لم تبق الفرنجة مسلمسا
 ولكنه عان الحطيم وزمزمسا
 وان كف ثوب الصبح بالنقع عمسسا
 فتلقاه فيها شافرا مثلث مسسا
 اذا لم يحطها طاعنا وشيمسا
 وعيشا لنا بالنفوطتين تصرمسسا
 ولم أر وردا غيرها ينقح الظما الخ (١)

فقد قرت عيون الروم منهنسا
 غدا صرف القضاء بها ضموسا
 يمز على السوالي أن يهونسا
 وأنت تقاتل الاعداء ديشمسسا
 وفي جيد العلا عقدا تحينسا
 وبنا لله كم أبكت عيونيسا
 ترفع عن أكف اللامهميسا
 وحمل عنها الليالي والسنينسا
 يصد الليث أن يبلغ العرينسا
 فكان نتاجها الحرب الزبونسا
 سواك ومقتل أعياء القرونسا
 وغاية كل قاس أن يلينسا
 وصدقت الاماني والظنونسا
 وترضى عنك قلة والحجونسا

(١) ديوانه ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٩

سوا من العبد يد يد ساقها
 جعلت بها أهلها ظالما
 تفلح حياة جوزتها نسبا
 لبيضا في جملتهم غنبا
 تذل إلى الخففة العوا لسي
 يكاد النقع يذهلها فلا
 فكم حازت قدود قناك منهم
 وغيد كالجاد رائس
 ولما باكرتها منك نسبا
 أعدت بها الليالي وذي بيضا
 فليد بناد مرقى خصب
 فاذ عدم الشام وما كنس
 جهاد جفونها في كل في
 فألهم بالسوا حل فهي
 فقلب السور سبور ولما
 أدت على الفرنج وقد ثلاث
 ففي بيسان ذاتوا منك بوا
 لقد جاءتهم الأحداث جمعا
 وخافهم الزمان فلا مس
 لقد جردت عزما ناصري
 فكننت كيوسف الصديق حق
 لقد اتهمت بن دلب الدمال
 وإن تك آخرها وخسب

وأبدلت الزئير بها أنيسا
 يشوضون الحديد بقدينا
 اذ يد علم الطير العنينا
 غفلت أمت رباها أم حونا
 بروق القاضيات لما حدينا
 قدودا كالقنا لونا ولينا
 كغيد نذاك أبارا وعونا
 بنان شفع الفيت الهتوننا
 وقد كانت بها الايام جونا
 أخو شغب ولا ماء مهيونا
 تلي شفي بها الداء الدفينا
 سراد ينج الغض الجفوننا
 اليك والجزء الهام المتوننا
 سطاك لكان مكتبا حزينا
 جموعهم عليك رضى طحونا
 وفي صفد أتوك صفد يننا
 كان صروفها كانت كميننا
 غلست بجهنم زما شونا
 يحدث عن سناه تلور شينا
 له هوى الكواكب ما جد يننا
 وحاول أن يؤمر بالمسلميننا
 فان محمدا ثم الاخر يننا (١)

قال يمدح صالح الدين :

طالت غروب الحمى فيـــــــــــــــــه كما زكت منه الاصلـــــــــــــــــول
 راياته تحكي الاصيلـــــــــــــــــل فرايه الراي الاصيلـــــــــــــــــل
 حيث الخيول على الـــــــــــــــــوعو ركباتها فيها الوعـــــــــــــــــول
 انا وقد قصد الغيبـــــــــــــــــزاة وهتت القرب النصـــــــــــــــــول
 وبكت به أم السليـــــــــــــــــب وشهد ضاربه الصليـــــــــــــــــل
 وبدت له أرض الشـــــــــــــــــا من تهون اذ كانت تهـــــــــــــــــول
 فلم يفتح ثقلـــــــــــــــــا من قبل أن يقع القـــــــــــــــــول
 ويعيد ما فنى الـــــــــــــــــدى بكرا تزك لها الفـــــــــــــــــول
 يا أيها الملك الجليـــــــــــــــــبي الامر والملك الجليـــــــــــــــــل
 كم منـــــــــــــــــة تستطـــــــــــــــــيك سرونـــــــــــــــــة بل تستطـــــــــــــــــيل
 ولكم صفحت عـــــــــــــــــن الخرو روتد تبتكه الفـــــــــــــــــول (١)

وقال يمدحه أيضا سنة ٥٧٦ :

يا صالح الدين يا ملكـــــــــــــــــا من براه الله للأـــــــــــــــــم
 أضحت الشـــــــــــــــــارني تقـــــــــــــــــم وغدا الاسلام في نصـــــــــــــــــم (٢)

(١) الخريدة ، قسم شعرا مصر ١٠٨/١

(٢) الخريدة ، قسم شعرا مصر ١٠٦/١

قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين وسميته بفتح حلب من عطاء الدين زنكي بن مسعود
سنة ٥٧٩ :

بدولة التراك عزت ملكه العرش
وفي زمان ابن أيوب غدت حلب
ولا بن أيوب وانت كل ملك
صغر النصر مضوت بهت
والدهر بالقدر المحتوم يند
ويجتلي الخلق من راياته أبدا
ان السواصم كانت أي عام
ط دار قط عليها دور دائمة
لو راعها الدهر لم يثر بينيت
ولو أتى آمد الابسراج فقتل
جليق النجم في أعلى منازل
تلقى اذا عظمته والبرق أرشيد
كل القلاع تروم السحب في
حتى أتى من مثال النجم
من أو أين الفلك الدوار
أتى اليها يقود البحر ملط
يستأنسهم يولوا أنهم حفظوا
جملتهم من مشربهم اذا قفلوا
فطاف منها يزكن لا يقبل
وحل من حولها الاقنص على غلبك
.....

لو لم تجب يوسف من قبل دعوت
خافت وشاف هوغر الماكون به
ثم استجابت أفلا حين بدت
وأبجوا منه في هم وشبحهم
تفرغوا لنسيم الحين واشتغلوا
أن الدزيرة لم تنظر ما كنه
بناك لم يدبرها مدبر
حتى أظاها صلاح الدين فأصلحت
واستعمل الجند فيها غير كثر

(١) ديوانه في ٩ - ١٤ والبروقتين ٤٢/٢

وبابن أيوب ذلت شيمته الملك
من أرض صر وغازت مصر من حلب
يا المفتح والملك أو بالحرب والمخرب
إلى العزائم بدل على الملك
والأرض بالحق والأفلاك بالشمس
مهيضة النصر من صغرة الشمس
معدومة بتساليها عن الرتب
كل ولا وأصلتها نوبة الشمس
ولو راعها بقوم الأفق لم يثر
خارت ثوائمه عنها ولم يثرب
وطالط غاب عنها وهي لم تفسد
كواكب الدلو في يثر من السحب
إلا السواصم تبنى السحب في
يا طالب النجم قد أوفلت في الحلب
لدير الرأس منه بوضوح الذنب
والبيض كالأبيض والبيضاء كالجسم
عوائد الحرب لاستغنوا عن اليأس
حماة الصبي لا حبالا لخطيب
إلا أسنة أطراف التنا السلب
ودار من برجها الأعلى على قطيب
.....

لساد طابرها كالجوسق الضرب
فالمدن في رهب والقوم في دم
بمنها تليقولا ملك بهت
وهم سكارى بكاء للهو والمخرب
عن النور بلتم الثمر والشمس
يملك فطن أو سائس
إلا يراى خصي أو بعقل
من الفساد كما صحت من الوص
بالجند حتى كان الجند كاللص (١)

وقال يمدح الملك المظفر تقي الدين وكان عازما على المضي الى افتتاح المشرب سنة ٥٨٢ :

قد اجتمعت زهر الكواكب في النجيب
بسعده يشقني عن مياعدة الفرج
وباسطك قبل الحرب تنير باثرب
تشرتها مع بعدنا ملك بالقرب
يطأ من يأوي الى ذاك الحصين
تكشف عنه شمسها ظلة العظمين
فيسهل منها كل مستور جيب
يساعده المريح في حومة الحصين

لنبرك حتى تملك الشرب بالخيل
وما اجتمعت الا لتجد عسكر
وباسطك من قبل الوفي تهزم العدي
ولكن ارادت ان تفوز بحد مسي
وتأوي الى حزب المظفر انت
وتبذل فيه ما اقتضته طابعه
ويجاول لاليدر النير صالكمين
ويستد بالبرحمن في السلم مثل

لك الجحفل الحرار للبيز والقنب
به كل وثاب الى البوت باس
يسكنون عن كعب الشايم في الوفي
ويشغلهم بسبي السود عن الحمى
لهم معجز في الحلق والشرب باحسر
ويذهب بن امياهم قبل سلم
فقدن الاعادي غير مستدرا
وكم ملك بالاناج يعصب رأسه

هنيئا لك الملك الذي انت رئيسه
ويحبه للكفار دامة القبي
وبسطك كفا تشهد المحب انهم
واذناؤا لثلمان للحدود والنبيدي
وتقريب المظلوم من غير حجب
وسيرك فونا سيرة عزيز
وردا فينا من سديا سن
فيا صرتوهي واستطيلي بجاك
ولا غروا ن تاهت بملكك وازد

تعدا غداوطا النصر حتى على البي
ومن ذا يرد الاسد عن طادة الوثيب
غلبهم غير الفوارس من كمين
ويأبهم نهب الثور عن النهم
فأطرح في طعن ولا ضرب في ضرب
ورب سرف قطعت وهي في القمين
بهم وقراطم غير آمنت المسرب
أثرو فحازوا ذاك الصب بالنصب

بهذا لك جهد النفس في طاعة المسرب
تسوق الى السلطان قاصدة المسرب
وتد عدت اندى بناينا من المحسب
من المنهمل الفياض والبوردر النمسب
وان كنت بن نور الجلالة في حجب
فروحت من قلب ورجت من كسب
فاظهرت ذاك الفرض من ذاك النسدب
وتولي له حسبي بملكك من حسب
ولا عنيها ان امرت بك في الشجب (١)

وقال يمدح الملك العزيز عثمان سنة ٥٩٤ حين رد الفرنج الالمانيين عن تبين :

وكان من قبل طريق الشام
فجاء عثمان بها والنميب
وجاءه بالامن بعد الحبيب
بمدار ما الشام لكثير بفسد

الشام للاسلام دار القس
وكان في ظلة ايل دجست
وجاءه بالبر بعد الشنب
فيا امان الكفر لا تأمن

كل مزار في الأعادي مزار
 قوم كأعداد الحصى للحصى مزار
 كادوا يعدون طريق القطم مزار
 طار أداما إليه الشط مزار
 نظام قادتها الجلاء الكبير مزار
 كأنه من مشرب الشمس مزار
 أو يحتاج القلب في البحر طم مزار
 بانوساروا فوقها في تفس مزار
 وأحدثوا كالفل لا كالسم مزار
 دنوا كسول وأحاطوا كنس مزار
 وقبل أن يحضره في استحض مزار
 فحند ما أطلت طاروا ش مزار
 بحر في تشرق فيه البحر مزار
 هل يثبت الليل أمام النهم مزار
 إلا لأن الليل مرغس في الأزار مزار
 عجلت في القوم شقاء الشف مزار
 غابشكروا منه ليالي السم مزار
 لأنه ملك لهم قد أجب مزار
 هام بطير سم هام مزار
 غما شلوا من غور أو ش مزار
 غما حديث القوم إلا سم مزار
 غمار ذو البشر ذات الشمس مزار
 ومنك لم يتدر عليه تس مزار
 بالها سربل من شقائق الأش مزار
 ما فيه لا بل ما عليه فب مزار
 إن فراراً منك ما فيه سم مزار
 وهو لهم قد أحسن الاستم مزار
 بالرب هذا وأهلك الشمس مزار
 مشامراً أهواك تلك الشمس مزار
 أضحى بيم الجبار فيه سم مزار
 إليك شوق وشجاشا أو ك مزار
 ما أنسب المشتاق بالانتظ مزار
 ت ووطاب الألوف النظم مزار
 حل بها لنز وإن حار سم مزار
 وإن أن ترجم فسد ذي الدي مزار

ويا عباد الدين يا من لسمه
 وجئت لتبين ومن حول مسمه
 سدوا عليها الطريق حتى لسمه
 يجوزها الخائف ولكن علسه
 ساق إليها الكفر أمانه المسمه
 من كل من يزار من غير مسمه
 إنما على البراني راكض مسمه
 وطبقوا البحر سفينة مسمه
 وأحوا الشجر وطافوا بمسمه
 واجتمعوا حولهم وحول مسمه
 وكان ذاك الشجر من المسمه
 وكان أشل الكفر في مسمه
 وأنهم زوا للبحر إذ أبص مسمه
 وعذرتهم إذ هربوا واش مسمه
 أنسم ما شدوا إزارا لم مسمه
 لولا سرى القوم يعجل مسمه
 وظلمت أشهر أن تسم مسمه
 وكان للثيت يد عند مسمه
 لولم يسق سيفك ما سم مسمه
 عجوا وطافوا من طريق المسمه
 يستنهم بهمهم من شوق مسمه
 وانقلب بالذل أزياء مسمه
 أفت ذاك الشجر من عقم مسمه
 ومن حصار الكفر شلت مسمه
 وما سمنا قط غتنا بمسمه
 نروا ولا غار عليهم بمسمه
 نراهم الرأي أقتاب الوغم مسمه
 يا ملك تهمم أغص مسمه
 قضيت حق الشام أن زر مسمه
 وذل ملك الكفر فيه فق مسمه
 فارتج إلى مصر فقد شقم مسمه
 وانتارت عودك مشتاق مسمه
 تشتاق ملك البدر والميك والغيم مسمه
 ومن إذا ما حل في موطن مسمه
 والشام قد أوسعتها رجم مسمه

وقال يمدح الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، بتسيدة مطلبها :

على أن طارفي أي ساه وساهـــ

تغزه نرفي بين زاه وزاهـــ

ومنهـــ :

يوم السدى في عسكر بن جنـــــــــــــــــــــــــــــــــ
بيادر للأقربان قبل بداد هـــــــــــــــــــــــــــــــــ
وتسري إلى النصر المبين رماحـــــــــــــــــــــــــ
فحذلقه لا تتقى بسوا بـــــــــــــــــــــــــــــــــ
له الله ما أمناه حد عز مـــــــــــــــــــــــــــــــــ
يظل بوجه ضاحك التشر با ســـــــــــــــــــــــــ
تراه إلى الكهيجـــــــــــــــــــــــــــــــــ أول وارد
تخر الجبال الشم شوق شبول مـــــــــــــــــ
سنا بكمها بين الصريـــــــــــــــــــــــــــــــــ
يزور الاطادي في حصون شوا مـــــــــــــــــ
ملوك عداه ما لها من ساكـــــــــــــــــــــــــ
فكم من قلوب في سدور مبالغـــــــــــــــــ
إذا تغلت أجناده فجدا لـــــــــــــــــــــــــ
بييتها منه بأحقق ثا مـــــــــــــــــــــــــ
يلوذ بفشار الجرائر ما فـــــــــــــــــــــــــ
كريم فلما ينفك مدم مـــــــــــــــــــــــــ

وقد سبقت أخبارة في عساكـــــــــــــــــــــــــ
ولا يدرك الصليـــــــــــــــــــــــــــــــــ من لم يـــــــــــــــــــــــــ
فتعبر من أفسادهم في محابـــــــــــــــــ
وفعائده لا تتقى بالمصـــــــــــــــــــــــــ
وأثبتته بين أختلاف البواتـــــــــــــــــ
ألم نهار كالج الوجه با ســـــــــــــــــــــــــ
وعنها إلى الاوطان آخر مـــــــــــــــــــــــــ
وتندك رجا قبل وقع التوافـــــــــــــــــ
وعشيرة بين الحذيب وحاجـــــــــــــــــ
وينقل منها عن طول دوا مـــــــــــــــــ
وقتلهم ما أن لها من قابـــــــــــــــــ
وأسنة أفواغها من ناســـــــــــــــــــــــــ
مفاني الفواني بل تصور التياـــــــــــــــــ
ويصبح منه عند أكرم آـــــــــــــــــــــــــ
سراير غلاب القادير قـــــــــــــــــــــــــ
حليم فلما ينفك عاذر عا مـــــــــــــــــ (١)

وقال يمدح القاضي القاضى ، بتسيدة مطلبها :

وحاشاك نمن وجهها ضحك الشـــــــــــــــــــــــــ

ألا فانتبه بن ألقها طلع الفجـــــــــــــــــ

ومنهـــ :

أمانوا برى القاضى الندب ففلمـــــــــــــــــ
وما فاته إلا البعوض يجرهـــــــــــــــــــــــــ
ولا فرق لولا اللون بين سلا مـــــــــــــــــ
وخاض بهم في البر بحرا من السردى
وجاز طريقا يردب النسر قطعـــــــــــــــــ
ويطلع فيها السبع والليل بـــــــــــــــــ
تهاب الرياح المهوج مـــــــــــــــــــــــــ

وأعلوا له قدراً غصار لهم قـــــــــــــــــــــــــ
وقد جر منها ما يشيد به الـــــــــــــــــــــــــ
فأراؤه بيض وراياتهم عـــــــــــــــــــــــــ
طارقته سود وأواجه مـــــــــــــــــــــــــ
على أنه نسر الكواكب لا النـــــــــــــــــــــــــ
وفي قلب ذا خرف وفي صدر ذا مـــــــــــــــــ
فما ناله ذل السبأ ولا الأـــــــــــــــــــــــــ

(١) ديوانه ٣٦٧ - ٣٧٠

له سارم يشفي به الدين عسدره
 ينهب ظا لونه بنجيم عسدره
 قد تحسبوا بالكاف جرد نيل عسدره
 ظياه كمثل البقل لونا وانهم عسدره
 حداد عداة للحديد تنس عسدره
 فكان قد الهام من قبل طبع عسدره
 يجرد ها من ينفذ الجور عدل عسدره
 ويحملها من حمل الدين كل عسدره
 هل الداء التلكى بأولادها أنت عسدره
 وكانوا لها كالمقد لكنه عسدره
 أتاهم بمثل الرطل ينقل خيل عسدره
 عساكر أرواح المساكر شرب عسدره
 وما طال دوح الذر منهم تحس عسدره
 إذا ما انحنا للجل حاكوا تسير عسدره
 يكلفهم غزو الفرنج بدار عسدره
 إذا كنت من قتلة تدا سبل عسدره
 جبادهم تخشى العثار من القنا عسدره
 وما خالفك الجرد قدا وانهم عسدره
 وأرجلها لو قطعت لمرت بمس عسدره
 جنى أهل تلك القلعة الشراذ راوا
 غدا يعلها الابرار يلعن عسدره
 يرى النخيل والفرسان ينشون روحه
 وقد رجعت البذخيات أذ رميت
 غباته وما قد مات يفتح ملك عسدره
 وصيحت أخرى صبيحت بأهل عسدره
 فتايل لما نزلت برجع عسدره
 أحسوا بطل للشرع فجاء عسدره
 ولم أراغا جادها الشيت تمل عسدره
 وما شرتوا بالما والريق اذ راوا
 شبيت وتود الحرب باليهز والقنا عسدره
 وما أغمدت عنهم سيوفك أو اتست
 يما نقي في قتالهم عهد عسدره
 أبدت النصارى واليهود بحس عسدره
 وكانت بهم تلك البلاد تنجس عسدره
 ولم يبق الا من سبى الجيش منهم عسدره
 عذاري أماري كبلت بشعور عسدره

ربح جز وعد الشر منه بلا مصل
 فما يتحلى سيفه حلة النقص
 ولكنه قد جرد الكف بالنقص
 لترى السدى رعي الذئب ورق البقل
 من البعد حتى كل غمد يار نقص
 وتخن من سجن الفؤاد بلا سسل
 ويتوى بها من ينفذ القتر باليسفل
 عليه وما يشكو سوى خفة الكسفل
 عن النسل ما جرت من التكمسل
 وأضنى لها جيش ابن أيوب كالشمس
 الى الأفق ما فوق الطريق من الرمس
 وليد لها غير الفوارس من أكسفل
 ولكن ليندوا دارفه منه في جمسفل
 على أنهم الموت أجري من النمسفل
 ويسفل الا أنه ليس بالصمسفل
 فكيف يسير الجيش فيها بلا سمسفل
 قسيف وتخشى في الدماء من الوحسفل
 لتلحق من عاديته وهي في الشكمسل
 عليها لهم والصل يصحى بلا رجسفل
 بنواد ينها كالباسقات من النشمسفل
 بها وهي لا تنك من لعنة البشمسفل
 فيضطر لا متصلا له غلة الششمسفل
 لشين كافر جاها سمسفل رذل
 فتاقتهم تبكي الفروع على الأصمسفل
 ومساء اذ أميت وهي بلا أنمسفل
 أقامت بهم حق الضيافة والنشمسفل
 ربيع من النبل المسد كالأوسمسفل
 وتصبح تشكو بعد غلة المحسفل
 جيوشك لكن بالفوارس والرجمسفل
 عليهم فقد أنحت دماؤهم تنل عسفل
 على الشر والشين المفل والكهسفل
 سلبا بلا حب له طابد الصجسفل
 وما جاء هذا قطافي سالف النقسفل
 غناب دم منهم عن الماء في النمسفل
 وأن كان يسبى الجيش بالمعدق النجسفل
 فبرحها في الساق والمصم المسفل

وأنت بشكر الله في أشغل الشيطان
جمعت به بين الفريضة والنفس
تناديك لأستأنس يا جامع الشيطان
وأب زمان لم تعد غيه بالفضيل
سوى أنت بالريحان والراح والنتيل
من الملك المكني عن القول بالفتيل
مع اليهود بالدينيا وما شو بالمهزول
ويسلم هذا فجاء بالمقد والنقل (١)

وقال يجمع الملاء الناصر صالح الدين ، بانتصاره على الفرنج قرب بانياس ، بقسيدة أولها :
أبي صدها أن يجمع الحسن والحسيني

وبنها :

أنا بني الإسلام في كنف أنفسي
وعوضهم من بعد سقطهم رخصي
وما شاقه صوت العظام إذا شجدا
له النحل يجلي راقتاة بكفسي
أقام بدار الكفر تجوي ليلتي
يشن عليها غارة بعد غسار
فت دخلت من سائليها ديارهم
زبان على تلك المعاهد قد شمس
أصاف وشقي بين عكا وعرضي
أقمت بها التوحيد لله وحبيبي
ولما رأوه أدبروا حين غابهم
ودد وثقوا لكن لاسر رقابهم
ثبت لهم والسيف قد نره الطلسمي
بضرب يذيب الشمس في الأفق حمره
مضى ملكهم في أول الأمر هاربا
عقيق عناق ما نجا من نجابهم
وبال زال أعين الدين والذلي فانتسني
وتد أنفت منه الدواضي لجبنهم
ولم يبق الناقون بعد انهزامهم
وأشقى أسيرا بأدويل وغمهم
أسارى جباري لا يرجون غديسه
وهل زادهم السجن غيظا عليهم

(١) ديوانه ص ٥٥٩ - ٥٧١

وأوسخهم تد لا سيكنهم عد نسي
وبدلهم من بعد شوقهم أنفسي
ويطرب صوت العظام إذا غمسي
تقوم والقوس الشديد له يحسني
وتودى له القتلى وتسمى ليلتي
فقد أصبحت من شين غاراته شني
غلا محفل ينشئ ولا منزل ينسني
ودهر على تلك المقاتل قد أسسني
نظام يرادنا ساعة وهو قد أسسني
وانسيت فيها الرقي والاب والابنسي
أعنت غيل لا نسود ولا تنسني
وشك رؤوسهم أن أن تهمني
وجالدهم والأذن تد حثم القرمسي
ويحرق ما بين القلوب من المغمسي
يحمس تغاه الطعن فيه ولا ينسني
ولا فاز من كان القرار له حبيبي
وترج السوالي قد أصم له الأذنسي
غلم نجت حواءه شكر الجبنسي
ولكنه من بعده ترج السنسي
تروى ملوك كم أبادوا لهم ترنسي
ولا يابلون الدشر نكا ولا أنسي
وقد جعل الأرض الفضا لهم حبيبي

ولكن على نفسيهما أملاً الجفينا
ويوحشه الليل البهيم اذا جفينا
ويطرب لكن ان هذا قبده احفينا
فحنت وأنت مثل ما حن لو انفسنا
بنيت اذا ركننا هدمت لذا ركنفسنا
كمحنى بلا لفظ ولا لفظ بنا عمنفسنا
سوية منه تشكلى اليك والحزنفسنا
والا السحب قد أفلمت عمنفسنا
مهلك من مؤن ومهلك من عمنفسنا
وأنت يغني الزمان ولا تشكلى (١)

بكى الكند واليسكنند لا وحشة لهم
يروحه السبع النير اذا بسكنند
ويشرب لكن ان جرى دمه دمنند
وند ريشا وثت عليه تيسنند
وند أصبح الاسنم واكثر كلمنند
وند أصبحت ط سرت بسر وأهلهم
غدت مثل يعقوب النبي وقد نسنن
وما أنت الا الشمس أطام بعد هذا البلاد
فداوى لحن أبصرتها وتيسنند
فلا زلت تبقى للنبي ود ينسنند

(٣)

وقال يمدح صلاح الدين وبهتة بكسر الفريخ وملك بلاد الشام :

يا ضيل الاسنم ما قد تنسننى
وهو أولى لانه كان اهنسننى
أم نهننىك ان تملك عدنسننى
ان غدت الشام حسنا فحنسننى
ق وانت الذى على الدين نفسنا
ثم أمتقته وقد كان تنسننى
شده وفي عروة البلاك أشمننى
ومحنى فوق الأبنى يسمننى
ل فوانى اليه شوقنا وحنسننى
ت نى بيته أحق بسكنسننى
ل رد الاتران ترنا فحزنسننى
ولكم طينة ولم تر لمنسننى
ه فوادى جاءت اليه ومسننى
ل ما وأما نهننى لم يتانسننى
ل بالخراب والمحج مهنسننى
وتحنى فانه ما تنسننى
ر سنا والبدر يطلع ودنسننى
كنت يا يوسف كيوسف حسنسننى
شعب قد صخفوه أو عار صحنسننى
ما أكلوه غنك وعمنسننى
جعلتها محلات نيك عمنسننى
نا نحن قد غارسا هدى ركنسننى
ك لاقيتهم بلادا ومدنسننى

لست أدري بأي فتح تنسننى
كل فتح يقول أنى أولسننى
أنهننىك ان تملك هامسننى
ند ملك الجنان نصراً نفسنا
ان دين الاسنم من علمى الشلسنا
أنت أحييته وقد كان مهنسننى
فاشكر الله ما صنعت على العمنسننى
لك مدح فوق السماوات ينسننى
شاق جبريل بيته يسمننى
يخرج الساكنون منه ورب البيمنسننى
شهد الناس أنهم شامسنندوا جبريمنسننى
فلكم ضربة ولم تر شرمنسننى
ملك جنده بالانكسرة اللسننى
كم تانى النصر العزيز من الشمنسننى
قد تنسيت حين أحببت وجهمنسننى
ولسمن من حاز فتحا جليمنسننى
تحت في ظلمة الكربنة كاليسمنند
لم تقف قبل في المنسننك الا
تجنى النصر من ظلمك كان العمنسننى
قعدت نعوك الأسمادى فرد اللسننى
جعلوا كالجبال عظمنا واكسنمن
جمعوا كيدهم وجاءواك أركسننا
لم تلاق الجيوش منهم واكسنند

يا وتاجا وظيلسانا ورد نسبي
 أنت بالشر كنت أغنى وأقرب
 تشني ولا المهند طنب
 حين عادت تلك المشجاعة جنب
 مع درويها والمفرار سجن
 هل يطيقوا الهروب عقرى وزمن
 تجميع الليث والنزال الاغص
 فجرت فوقها الخزائن سفن
 رقص الخشوف في فيها وغص
 مستظلا فاجعل لها النار سجن
 من رأى بعد عليه قط أغص
 ر يغني وملكه أيسر يغص
 يتشني في أدنم يتشني
 طودا ويصر الشمرود جنب
 فتصني أو أنه ما تصص
 به يقينا وكان أذنب طنج
 عليه تكلمنا أن أنجب
 حاتم تمن أم يقدم اليوم يغص
 كنت قد منه فبوزنت حن
 وشبار الأطل منهن تجنب
 كل عقق وكل تطار من
 وحويت الأفاق سهلا وجن
 وتوحدت بالذي هو أسنب
 أي لقط يقال أو أي مصنب
 ه سمنا لربنا وأطنب (١)

كل من يجمل الجديد له نسو
 يدعون الغنى من الناس الكسب
 خاتم ذلك الصالح نسو
 واستحالت شقائق الكفر صنب
 أشجع التوم فيهم جاعل السند
 ليحلقوا الهروب شفا وعنب
 وتعيد تهم حاقلة صنب
 وجرت منهم الدماء بحنب
 ضمنت منهم وليمة وحنب
 ظل صبودهم لذيالك أسنب
 جلبوا ربهن فلم يغص عنهم
 وتوى الأسر كل ملك يدنس
 والملك السليم فيهم أسنب
 يحسب النور نقلة وينسب
 كم تمنى اللقاء حنب
 طن طنا وقتت أهدق نسنب
 رق من رحمة له القيد والنسب
 والذين الأبرار أصبح مذنب
 أنت ذكيت فوفيت نسنب
 وشهادت عرائر بالذن نغنب
 لا تفر الشام قبلك التهانسنب
 قد ملكت البلاد شرقا وغربنا
 وفردت بالذي هو أسنب
 وأغدت الوصف في علك حنب
 وبمنا الإله قال أطنب نسو

قال يمدح صالح الدين رحمه الله بالفتوح :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر
بمثل ذا الفتح هـ لا والله ما حكيت
حين به حان هلاك المشركين فيسما
مدوا كما مد فيض البحر ملتطم الام
لقد فتحت عصا ما من ثغورهم
تركت ارضهم من طول ما عسرت
نقضت ما أبرموا هـ أبرمت ما نقضوا
الآن قرت جنوب في مضاجعهم
الآن طابت الى البيت المقدس
يا بهجة القدس اذ أضحت به علم الاس
يا نور مسجده الاقصى وقد رقت
شنان ما بين ناقور يدان بس
الله اكبر صوت نقش ل
يا باللك الارض مهدها فما أحسد
ما أخضر هذا الطراز الساحلي ثمرا
أضحت بنوا الصفر الانكاس موعظ
صاروا حديثا وكانوا قبل حادثة
سلبتهم دولة الدنيا وعيشتهم
هذا الذي سلب الافرنج دولتهم
مراكز ما اختطها الخوف مذ ماسة
ولا أسن أساء البلاد فقمس
يننيك أجمال تولي عن مفلس

فليوف لله أقوام بما تذكروا
في سالف الدهر أخبار ولا سبر
لله طيب المشايخ منه واليك
واج حتى اذا قابلتهم جبروا
لولاك ما هد من أركانه جبر
منهم بالاقوع لا أنش ولا ذكر
عبرت ما هدوا هـ هدمت يا عسروا
ونام من لم يزل حلقاً له المسبر
بيت المحرم أجرا ومستم
للم من بعد طوى وهو منتشر
بعد الصليب بآيات واسرور
وبين ذري ضلقت يضي له الحجر
شم الذرى وتكاد الارض تنفط
سواء من قائم للمهد ينتظ
الا لتدلو به أعلاك الصف
فيها لا عداك الآيات والنبي
على الورى ينقيها البدو والحضر
حتى لقد ضجرت من وفدهم مقبر
وملكهم يا ملوك الارض فاعثروا
عالم ولا ربح أكلوها ولا ذعر
أسهبت والقائل المنطير ينضم
في لفظة البحر سنى تحته الدرر (١)

وقال حين قصد الافرنج القدس سنة ٥٨٧ من جملة قصيدة له :

وجع الفرنجة بل ويل أهمهم أوصا
فكم نثرتهم ضرا اذ انتظروا
كم قد حقيتهم ذلا فلا عجب
ان يحسوا فلا بدع لجهلهم
زاروا نورا ولا تخفي وقاحتم
فحام عن حولة البيت المقدس
هو الشريف وقد ناداك مستصفا
وموت تستنفر الايام هفوتهم

فيهم ليب على الفاضل
وكم نظمتهم طعنا اذ انتظروا
ان عربدوا سفيها فالقوم قد سكب
تسعى الى الاسد في ظلماتها الحمر
اذا أسود انني أبطلهم زاروا
خوف هـ وحاشاك من خوف ولا ضرر
فما على بجده من بعد ما حسد
وتحصد الفئة الاوطاد ما بسدروا (٢)

(١) الروضتين ١/٨٠ عند الجمان ج ١٧ ق ١ ورقه ١٨٠ (٢) الروضتين ١/٩٤

وقال يمدح السادل حين حاصر كوكب سنة ٦٠٦ وخربها بقصيدة أولها :

وظاير الماصيان الدهر والقـــدر

وثق لك السعدان النصر والثفـــر

ومنها :

خطب طرى وطغى حتى شهدت لسه
وشامخان رفيعا الاق يحصر عســـر
في ذروتي مشمخر العز دونهمســـا
أوردت حصنك من تلك الحصون منسى
وكان أهلاهما قد أكدا حافســـا
يا ويحهم أو غرتهم بني شمســـا
ولو صدمت به السد الذي أطادت
أو رام شامخه الأهرام حل بهمســـا
بل لو دعوت النجوم الزهر لا تشدرت
لقد رأى كوكب في نفسه عجيبســـا
أنربت جذوة بأمر في جوانبمســـا
رطوقته مجانيق يلين لهمســـا
هوت عليه بمثل الشهب قاذفســـا
أضحت مخانيق في أعناق هضبتمســـا
بادرتهم برجال لا ينهزمهمســـا
مسودين قراع البوت قد الفســـا
جيش اذا جاذب ظاهي له غرقســـا
لقد بطشتهم بطشا لو انهمســـا
فاستشعروا الذل جلبابا وقادهمســـا

فلان جامحه اذ أسهل الوعـــر
ان يستطيعهما التأميل والنظمســـر
من أن ينالا تنال الانجم الزهســـر
لولاك عز على ورادها المصمســـر
أن ليس ينقض من أمرهما الممســـر
مع اعتزالك واستفوتهم جممســـر
قطراه لاندك منه القطر والزيمســـر
ما ليمرتبقي غواده ولا تسمســـر
اليك من جنبات الافق تبتسمســـر
وكاد كوكبه الدرى ينكسمســـر
أنفاسها في نفوس الشراء تزدغمســـر
قلب الحديد ولا يستعك الحجبســـر
غخده بصعيد الأرض مشمســـر
تقود خيلك صدودا بها الثنمســـر
من رأيك الحزم أو من كفك البسمســـر
أن لا يروهم خوف ولا ذعسمســـر
في جنب تياره الأفهام والفتكســـر
صرف المقادير أو أحداثها غمســـر
قسرا اليك سطر للأسد تنسمســـر (١)

وقال يهني السلطان صلاح الدين بالفتح بقصيدة وأنشدها ياها بدرج عكا ، أولها :

من سفار الدلبى وأعظم فتكســـا

حدثي الثنائيات في القلب أنكســـى

ومنها :

ما لجيش الخلال في بحر ملكك
جاح فيهم داعي البسوار غلالقـــك
فتراهم من التضاؤل كالوهســـا
يعيون بيض يرون بهمســـا
بهم يا همام قد ضاقت الالـــا
رضي فأوسسهم بوارا وهلكســـا

عقد الجمان ج ١٧ ص ٢ ورقه ٢٣٨

ايقنوا بالباءة منك وقبيلك
 وعدتهم بل اوعدتهم نكسوس
 وليبغوا الهند الرقاق وسحر السحر
 فقتل منهم ليمان يسمو
 انجاة وقد طرحت عليهم
 وتوختهم ببغض طبعه

ان يقين الاوفا من قبل شكسا
 كان ينادها غورا وانكسا
 خط آت رؤوسهم دون عكسا
 واسير كجمل لن يثكسا
 كلكتة يهدم الشيا ٥ ويركسا
 كلها يهتك الضرايب هتكسا (١)

بحث الى الخليفة السباسي حين نزل الفرنج . بأرض الطور :

لها الى النصر اصدار وايسر
لا ينقلن حصن الطور بنسداد (١)

قل للخليفة لا زالت عساكره
ان الفرنج بأرض الطور تدنوا

قال يمدح صالح الدين ومهنته بالفتوحات سنة ٥٨٢ هـ :

أطلت على أفقك الزاهر
فاشرف فان رقاب الصبيدي
وكم لك من فتكيسة فيهم
كسرت صليبهم عنسورة
وغيرت آثارهم كلهم
وأضيت جدك في غزوة
وأدبر ملكهم بالشه
جنودك بالربع منسورة
فكلهم غرق ها لسيك
ثارت لدين الهدي في العدي
وقمت بشير اله المصوري
وجاهدت مجتهدا صابرا
تبيت الملوك على فرشهم
وتوثر جاهد عيش الجهم
وتسهر ليلا في سحر
تحت القد من أرضه
وجئت إلى قدسه المرتضى
وأعليت فيه بنار الهدي
لكم ذخرا لله هذا الفتى
وخطك من بعد ناروقسه
مجنكم أليت في النفس
فكم لهم عند ذكر الجوى

سعود من الفلك الدائري
تد السى سيفك الباتري
عكت فتكة الاسد الشبيدي
غلله درك من كاسه
غلب لها الدهر من جابه
فتسما لجدهم العائدي
م وولي كاصهم الدابي
فناجز متى شئت أو صابي
بتيار عسكري الزاخري
فأترك الله من ثائري
فصاك يا ملك الناصري
غلله أجرك من صابي
وترغل في الزرد السابي
د على طيب عيشهم الناصري
سيرضيك في سيفك الماصري
فنادت إلى رشفها الطاصري
فغلبته من يد الكاشري
وأحييت من رسمه الدائري
ج من الزمن الاول الشابي
بها لاصطفاك في الأخصري
من يذكر لكم في الموري
ك أمثلة من مثل سائري (١)

قال حين أمر المعظم عيسى بتخريب القدس * :

مررت على القدس الشريف مسلماً
خفاضت دمي العين مني صباباً
وقد رام علي أن يهني رسومه
فقلت له شلت يمينك شلماً
فلو كان يغدي بالنفوس فديته

على ما تبقى من ريع وأنجس
على ما مضى من عصرنا المتفسد
وشمر عن كفي لثيم مذموم
لمستبرأ أو سائل أو مساك
بنفسي وهذا الظن في كل مسلم (١)

(١) الذيل على الروضتين ص ١١٥ - ١١٦

(٢) ذكر محمد زغلول سالم أنها قيلت بسبب تدبير القتل لها ، وهو غير صحيح ولا يستند إلى رواية علمية (الادب الملوكي ج ٢ / ١١٢)

والعدل والاحسان والمحسنون
 كفعل مولانا صالح السعدين ذي
 اعيث واعجزت ابلح صفاته
 خلعت عليه خلعة الملك السني
 اهدى صالح الدين لاسلام اذ
 رب الملاحم لهو بن من
 من رام من كل الملوك مرا
 من منجر وائل الملوك
 ينفذ الملوك الرعب قبل مسيره
 هو كاسر كسرت وتبين تبين
 فاجيشه ولسزه متشائس
 راياته صفرا ترون وتنشيني
 لم لم تدون شوم الملوك له وقس
 واستنقذ البيت المقدس من غنوة
 كم ما بيع من خيل في رسف
 كم رد من ملك عزيز اسف
 ان الاقاليم التي هي سبب
 والسبعة الافلاك تخدم جيسه
 لم يال معتري الثناء بباله
 تنهل يمانه بجسمه دواه فخه
 كالنيل في مصر وسيد سون وجيسه
 غليمه الفتح الذي حلت بسف
 فتح ثدا نال كل فتح دون
 يا ناصر الاسلام فمزت بمسود
 البحر انت لك السراويل بالمش
 انشاب ملحة يمل بقا نيل الس
 اعرابها شرب السهام وثظف
 والحبر بحر دم تخطت بوج
 والبيد تنشر وهي غير شوا طيب
 والخيل مخرية كان صهيلها
 نشوى تهود من السرور كأن
 فلقد وأدت الشراء يوم لقيت
 وأريتهم لما التقى الجحمان بالبي
 وردت دينا لله بعد قطوب
 وأعدت ما أبداه قبله فات
 حتى جمعت لمحشر الامم بسف

لؤ الحياض لموسر والمحسن
 المجد القداس والحناء الكوت
 فالسهب المنطق مثل القد
 زبدت بها بالطرار الاخضر
 أروى قبيل الكفر ما لم يكف
 الملما تدا في قديم الأع
 تخفق ساعيه ويكب ويمش
 أعلى وأعلى قيمة من سند
 في عسكره أثناء به من عسكر
 ذ لا أعات به وقاسر تيص
 جني الهرقل وعزة الإسكندر
 حمرا صبح نجيع آل الأصفر
 ملك السواحل في ثلاثة أش
 من كل ذي نجس بكل من
 تاج لملك في التراب محف
 يدعى بملاوك ذليل أسف
 دانت لفسرا بسبقتا بحس
 حتى قوى كيوانها والمشترى
 حسنا نعم المشتري والمشترى
 سربانه للخلق خمسة أنهم
 سون ودجلة والفرات الكب
 عن ملكه أبواب غدر الاده
 والشمر تكسف كل جسم نس
 حسن الثما في الصالحين وم
 سعب الدنيا جودا وقاذ جوه
 سفرمان بالمدو الذي لم يح
 وقع الهام وغفلها بالسم
 اذ لير سموى الترى من دف
 والشمر نائمة وان لم تش
 شدو النحيلة في نسب البحر
 صبحت كوء وما من شراب مس
 وغدوت لأمم عين المنش
 ت المقدس بول يوم المحش
 بالمسجد الاقص بوجه مس
 عمرو فانت شريكه في المتج
 من الصخرة المظى وبين المش

الحجر المفضل عند أفضل مشهور
 يلقاه أسود بهنى أنيس مشهور
 يتدأمرن على مقون الضم مشهور
 بشاين وزعت محكم ومن مشهور
 فولفن في علق النجيج الاخ مشهور
 في أثر غريت رنجيم مد مشهور
 والغيل تضرر باللقنا المكش مشهور
 ومن الدماء كأنه لم يشه مشهور
 مسودة رجاؤه ما من عت مشهور
 من كل ذي ناب وساحب مشهور
 قبال ومن بين جنتهم لم يؤ مشهور
 بالسي بالاشن الانخر الح مشهور
 كالنسن ساداً ثقل مشهور
 من كاصب مثل النزال مشهور
 عنهم غرائر كل ليث مشهور
 بين السوارم بالدم المش مشهور
 كانوا من دمهم ره من بح مشهور
 بماء فالتحدرت بأيمن مشهور
 غناهم رغباً كبسط المر مشهور
 هام مضد توشعرا ش مشهور
 زرق، فصوصا من شيفر الجوع مشهور
 صرعوا بها في المبرك المستوع مشهور
 أن الصرار وطيب عرق العجب مشهور
 ينبوعه من حامة أو منج مشهور
 رايانه والسكن من كل مشهور
 حينهم وشرق القلب بالقلب الب مشهور
 د رسوا به وذروا بأوشم مشهور
 صرى السوارم باللياب المش مشهور
 كما به سقت اللقيم اله مشهور
 أوثيته من منجم أو مش مشهور
 يا مؤترا أوزعت شكر المؤ مشهور
 تهجي عليهم من فتوق كن مشهور
 وسواك الفاه طليب المش مشهور
 بين السوارم من نيباب المش مشهور
 بل فهو داخ دعوا لمست مشهور
 قاح فيه بضن ومش مشهور

غلتخرة البيت المتد من كفؤ مشهور
 فكانت الساعين مشهور
 جاءت جيوش المراك يوم لقيتم مشهور
 وكانهم بحر تدافع موج مشهور
 أوردت أباران المطام صدور مشهور
 فمهاك امير غير نجم بقب مشهور
 ولوا وتقبان المنور مشهور
 لا ينظرون سوى حسام مشهور
 رفعت سماء من منابا مشهور
 فالقوم نهب للمباح تنوش مشهور
 فكن الذين من جيشهم المش مشهور
 حتى لقد بيحت عقائل ارهق مشهور
 من كل حور في شيل مشهور
 وأواند مثل الدبور سوا مشهور
 آتت أسود هن تما لب ذ مشهور
 ماتوا بخلتهم وراوى مشهور
 صرى كأنهم تدا ثيل مشهور
 ما قولوا بهجافل بل توت مشهور
 شكت الفياغي ثقل وط مشهور
 فالغيل لا تمحي بها الا مشهور
 نهيت عفا الطير من حد مشهور
 كم أودعت دوية صحراء مشهور
 جعلت لها الثارات في آنا مشهور
 بالسيف رد السيف بخر مشهور
 بخر صواره القنا وقلوب مشهور
 حص الخرافسي والتوادم من مشهور
 حصدوا وكان القدر بذ رم مشهور
 ما ان ترى إلا صاكنهم مشهور
 سقت الحليلة الكرام ملوك مشهور
 ضت الحلوك ولم تنل عشر المش مشهور
 وبذاك آثران الاله علي مشهور
 أرسلت من نخل الحجاج مشهور
 وعجبت عود صايهم تكسر مشهور
 أغلى الاداهم من أسرت وأر مشهور
 وجعلت شرق الارض جعد مشهور
 يرجو شفاء غليله ويوم مشهور

تذّر المبرز في الفصاحة فاع
والألم جارت فكرة المتفكر
كزط وملوء كألقي من
رب العباد إلى سناك الأيتيم
فأحتضنوا ما استظفوا بالمخيم
الأقلامه بسفر ظفر الشص
أوليتهم مسرهم لم ينكسر
ود رأت عنهم قاصحات الأظم
للصالحين ومن سماع مشص
فيهم بصروف ومكر منكسر
وباء أضمحت سطوة المكبر
عات كفتت بخوفه أمن البصر
لله أين يسر يسر وينصر
نشأ امتظم الثريا ينشصر
سور المناصم عاصم لمصر
ان رفته بضمها المتصمر
يصنو لبحر ظاب غير مكسر
في هيكل الدنيا بدت لمصر
يشرب الصليب وخزبه من مظمر
بدو جد متواضع فمكسر
مدت يدا عن مطلب لم يقصر
في الأفق ذي مثل يروح مسر
مأكا سايمانا وجاهد وأظفر
في الملك يبلغ عبر سيدة أنصر
برم فليس يوسرا للموسر
من ذكركم في الدهر ذروة منصر (١)

فت المدائح يا صالح الدين فاع
فيم العفاة يشيمونك في الفسدى
كم خازن لك مثل ألفي حاتم
أفلاذ أكباد العباد طحا بها
واستعظم الاختيار عنك معاشر
ما كل ملك عند ما أوتيت
لا يندم منك المسلمون فكسر يسر
أضت سرهم وسنت خريم
لم تكل سحبا من هنا مهسرتي
ما إن رآك الله إلا آمسرا
متواضعا لله جل جلاله
كم بالندى طان نكت وبالسردى
هل تعجزن عور مليكا ناصرا
حتى لخلنا أنه إن يلتمس
ما سور صور عاصم منه وهسر
فليضحك أبحر درة تاجمه
بحر زقاي طوره يتكسر
فانه لصور فهي أحسن صسورة
لما ملك حصون انطاكية
أردت كل مثلب يتكسر
برزت إلى (نرزية) عزمك السبي
فتناولته بأيدها مسن بساذخ
عن عمر نون يا ابن أيوب وكسر
ثبنوا كالاسباط كن منهم
غازت تداعكم وكل ملوكهم
لا زال ظلكم الضليل ولا شلست

وقال أيضا يمدحه بقصيدة مبالغها :

لحاظ العين لا يابل تنفث السحر

ومنها :

عجودك عم المالحين وخصمهم
أبى لك لهم السرا عدا لك السم
ونم الحصان البكر ركض في الوغى

(١) ديوانه ص ١٤٠ والروضتين ج ٤ ص ٨٤ ١١٨ ١٣٢٤

وغمر اللوى ينسج عريفين والشصرا

ولم نر جودا قبله مذكور
ورشف ثنور البيض ان تملنا لشصرا
حصانا عليه تنفث الفتكة البكر

خيام البعدن بالتمر أن تالف القصص
 وأعدادها ربا نتج دما حصارا
 شواذب قد عوذتها الفتح والنصارا
 وسمر القنا دوحا وغرصاتها زهرا
 فداست غدودا كن بن عزها حصارا
 وظلفت منها بندق عصفتها الكفصارا
 ينرد والاعداء تنظرها شمسار
 ولكن تكفناها بأسياننا تسار
 لديك فكانوا المدي ينظر النصارا
 لتطعنهم شزرا وتضربهم هيسار
 فنادرت سبها ظم ما لم يزل وعصار
 ولا خائف من عذق ولا طالب حنيسار
 إذا ما رأيت أعداءك الصبر الصيسار
 وأنت بأرغم الحام طائفة ذعصار
 وخولك الدنيا وأوزك الشكسار
 تريد به بشرا وتهدي لنا بشري (١)

وحبك تطيب النيام مقود
 وإيرادك الرايات سفرا يسار
 فغليك تغشى الروح شعنا ضوامر
 ترى المحرب روغا والدريج بها أضى
 سنا بكنها عزت بأذ لك المسدي
 وكم قلعة أنكحتها السلام طامسار
 ففنى بها الاسام رائغ صوتيسار
 وما أنكحونا طامعين فئاتهم
 وجاءت جيوش الشرك تطلب ثارهم
 أتوك وأفواه المنايا نواغمهم
 غرمت الثنا في أخذ عيه مجاهدم
 فجيشك ما يشيققظ عن المسدي
 صبور كان الصبر أرى يشوره
 قلوب الالى خلف الفرنجة كلهم
 جزاء المنايا خير جزائهم
 فلا يؤملا فيه نفع ميسار

وقال يمدح الملك موسى بن الملك العادل وكان نازلا على الخور للفرقة :

يجدة وسد كلمه الدهر ما يؤسس
 سندسحي لكم أحشاؤه من نواويس
 تنادى من رامت في القرب مريس
 مذكبة بالشهب نومي الأبا ليس
 نصيد الماوك السيد والاسد الشومس
 به كان كل بالثقت ديس
 تكب على الأذنان ضرباته المومس
 ينفض في مم الحية بنومس
 بلحم الطلي والبغير تجلو الحناديس
 ويركس في قعر المنية مركيس
 تنكست الصايان بالصر تنكيس
 كما أخرست رقائهم النواويس
 أضى الزرد الضافي على الأسد مومس
 هو الميث لولا أن في الميث تصبيس
 ويوسف حسنا وألف موسى تجد مومس

هنيئا لقد أوتيت سؤلك يا مومس
 وجيش ظام حلق الطير فومس
 ورعي سها من قسي ينضمهم مس
 كأن كما تالرك عند نزالهم
 وقد جالت الأكراد بالسر والظمس
 إذا العرب الشمالانوف تنموس
 وليد موسى من عشا غير مس
 وشعبانه الرمح الاسم لعانس
 ويزجي سخايا من سنايك خيلمس
 فبرمي انكبارا بانكدار الى لثمس
 إذا أشرفت للأشرف التيل رايسمس
 وقد نذقت بالصر بيض سيومس
 شالب أطراف الرماح بلنن فمس
 هو البحر لولا البحر فيه مومس
 هو الخضر المشهور نشر وسومس

بجحفله في أمة عبد تحسب
ويحسب في كل المواطن أبلحسب
ولو كان تطبيقا يروح وتجنسب
أو هل أن ألقى لها منه تنفسب
أرى حكمتي أدله صا ر منكوسب
بذ نابي من الطير الذي ليس طاووسب
ومصلي ألوثا فضة نملة الكيمسب
تخذن لها سمر الينا اللدن عرسب
أجل وهم عند النوال ابن ياديسب
بما لمر ورا البيش الرقاق الد بايوسب
ومن ذا يرد المليت بن منه الخيمسب
فبالطور نشر السلام أصبح محروسب
ليب وفيه أشد الضر تأوسب
يردد تسبيحا هناك وتقديسب
إلى التدين أنا لا يزال وتأنيسب (١)

ويحمده عيسى على فتكاتسب
وما زال يرضي اللد سرا وجهسب
إذا قال لم يترك مقال لقائسب
إلى جود ما شكوا من الكرب السبسب
فقد توس في حكم الزمان فأنسبسب
ففيه الذ نابي الرأس والرأس أصبح السبسب
هو الهازم الألاف في الروح وحسب
فما جند مالا أسود خفيسبسب
فكلهم (ابن المرد بيشر) شاعسب
نكم بن ربحي عرب أدار بها سقسبسب
هو الأحمد الحامي الحقيقة قد مسب
على الطور ناجي الله دوس بنصمره
عبارت مخرب أعمار عابدي الصبسب
علا مشغرا في السط بنسب
مظفر دينا الما فدى تدومسب

وقال يندع الملك الأفضل نور الدين علي بقعيدة مطالعها :

وشنرك أم در تضمه السمسب

أريقك أم صهباء في الكاس اسفنسب

ونسبها :

سواشم ومن تحت العتاج لها نمسب
سراخين من فرسانه في العشا شمسب
ولا رشم لما استبحوا لهمسب
جريح ومستول على جنبه الكمسب
فمن بأمه العادون أفناشم المسب (٢)

وصل عنه شهد الشليب وخيلسبسب
حكوا بلة الضان المحرق شملسبسب
فما عطلت بهم عند ذ لك رخمسبسب
فمنهم قنيل أو أسير ونسبسب
فإن بكر العاقون أفناظم الرضسب

وقال يندع شاذي الدين ، ويذكر نزول الفرنج على دماط وهزيمتهم عنها : مطالعها :

فواتك نينا وهي للبحر بأبسب

لا جفائك الرض الجحاج التواتسب

ونسبها :

فكل عظيم عنده متناشمسب
وما غيلها إلا الفنا والقنا بسبسب

تظل طواك الأرض خاضعة لسبسب
جحا فلما سد تزار في الوضسب

(٢) ديوانه ص ٢٥٥

(١) ديوانه ص ١١٢

وتبدو لها في كل قسطنطين
من الطير ظل يتجيب الضمير
وترتجز العرب الكرام البواسل
وجوهرهم في قسطنطين
سروا مشرفيات وشرفوا
رجوم باكباز الاطاري
فليس لها الا الدماء
لهيئة اكبادهم والافاضل
ولو لم تعد لم يبق للضرب
اكانوا كذا مسرا رفته
الى حيث صارت في الميماج
لديه رطاح اشرفت
وايه له من كثرة القوم
أوفى ألوف خيلهم والرواحل
وبينا رفاقا احكمتها
ونبش لاهل الملوك
ومن دونها شد من الموت
فخاب مقام الملك والزم
رائي ينال البرزخ المتنازل
كانهم ذلا نسام
ولا صدر الاغية بالظفر
فليس لهم في سائر الخلق
لتصميمهم رآوه البنا
وقام بما لم تستطع
ونول حتى قيل لم يبق
بحصر فقاوا لم يكن
وفيه لمن والاه جود
له بالدها والشكر لله
ليوسف يخفون النبي
وأحسانه ان ضنت
ولا ملهيوا يقالب ذاب
فقد اديه ان تكلم بأقل ... الخ (١)

يسير بجيش يربط الارض بال
خمين له الرايات ظل وفوقه
تراطن غيما لحجم من كل
دروعهم سحب تلوي
هم الاشد الا ان عيصم
استنهم والليل نقى نجوم
اذا ما اشتكت يوما استنهم
بقي عاينته المشركون تقطعت
ولا غروا ان عاد النرج
وتد علموا لو انهم ثبتوا
وطارت رؤوس منهم وقوا
نقد الفت اعداؤه ان حظه
ولما اتوا دميكا كالبخر
يزيد عن الاحياء والحد
راوا دونها اشد بايديهم
شيوخهم فيها نسور
وداروا بها في البحر من كل
رجا الكلب ملك الزوم ان
فاضحي عذاب الودون
فعادوا على الاعقاب
فلا رآه الاغية بالظفر
اذا الله يوما كان ناصر
وما املوا ان يملقوا
فيا ايها البحر الذي تم
وتارب حتى قيل افنى
وطبق سهل الارض والعز
سحاب على الاعداء
فكل لسان دار في
فيوسف ايوب بمصر
فما نيل مصر جاريا
هو السيف لا تخشى له
حليم سليم بالديانات

وقال يمدح الملك الافضل علي بن صلاح الدين ه بقصيدة مطلعها :

أنا بالفرلان وبالفسـزل
عن عدل العاذل في شـزل

ومطلعها :

وربي الاقبال على التـسـسوات
نألخيل تشتر بالتيـسـسوات
أبري بالماجل بـسـسوات
ومظا التأييد بالـسـسوات
نألشرك مزال بـسـسوات

الى الاقتاب على الـسـسوات
ن وبلاشاه وبلاـسـسوات
نألبحر لديه كالوشـسـسوات
حجن وبأنـسـسوات
والسلم بـسـسوات

وقال يمدح الملك الأبعد مجد الدين صاحب بعلبك بقصيدة مطلعها :

أوضرب البرق بـسـسوات
مؤذنا بالنسر والفتح الـسـسوات

ومطلعها :

كانت الاغرض أصناما وكـسـسوات
وفتاة دونها الشمس علىـسـسوات
دابة بل دومة في هـسـسوات
يمسك الأسقف في تقريـسـسوات
الزم التوحيد في حبـسـسوات
وما استبدى عليها اللـسـسوات
أمال البارئ أن يملكـسـسوات
فهو بالعدل وبالأحسان والجـسـسوات

من حنيف راغ غـسـسوات
خوط بان فوق تل الـسـسوات
بيضة الروم لديها ساجـسـسوات
قلبه غوثا غايه أن يـسـسوات
وترى في الحب رأي المشركـسـسوات
جد السعد في دنيا وديـسـسوات
ثم يحبوني بها ه قولوا أـسـسوات
دنيا بالانصاف في الحكم قـسـسوات

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٦٧

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٨٣

كتب الى الملك الكامل الابيات التالية واتاها اليه بسهم شباب لان الفرنج كانوا يحاصرون
ديار وهو فيها :

يا مالكي ديار شمر دمد مكنست
تفريقك من اركى السلام تميمست
ويقول عن بعد وانك سامست
يا ايها الملك الذي ما ان يسمري
هذا كتاب مؤرخ من حالتي
اشكو اليك عدو سوء اخذ قنيت
فالبرقد منحت اليه طريقست
فخضوعة باد على ابراهيمست
ولو استطاع لام بابل لا شمسدا
ورسوله في ان نجيب دعست
فقد انتصت اذواؤه وتحكمست
وقي له رمق يسمي يركست
فاخر من حياك بسرة تشفي بهست
قاله اعياك الكثير بفضلست
قالسدر في نصر الاله ود ينست
والشمر ناظر اليك محسنست
ولكن تحدث عن القيام بنجست
وهبت قوى القرآن فيه ورغبتست
وعلا صدق الناقور لي ارجاست
هذا وحقك وصفا صورته المست
وكفاك يا ابن الاكرمين بانست
حق رجاء فيك يا من لم يفسب
وان حر يوم البعث فعاد صالحا

رفاته ه كادت تبت اصولست
كالملك طالب ديقه وجيلست
حتى كاتك جاريونز يلمست
بين الملوك شبيههم وعد يلمست
ما ليوم يمكنني لديك اقولست
بجسمه نرسائه وخيولست
والبحر عز لنصره اسطولست
وحينه وكاؤه وعونست
لكنسدت عليه سبيلست
دين الاله وخلقه وزبولست
علاته ونحا عليه نحولست
او يشتفي لدا دطاك عليست
داء لكلك يرتجي تعليلست
ورضاه من هذا الكثير قليلست
ما نساخ عند المسلمين قبولست
ما ان يمل من الدوح قبولست
بفت نهارته وبان ذبولست
صلبانه وثلق به انجيلست
وشفي على منق اوري تمليلست
حقا وبملكه وذا تهميلست
اضعي عليك من الورود تبولست
ابدا لراجي بيوده تأويلست
الله ضاير اجره وكفيلست (ا)

قال في رثاء الفداء سنة ٦١٦ هـ :

أحيني لا تترقي بن العبيرات
 لسل سيول الدمع يخلقني فيهم
 وما قلب أسمر نار وجدك كالمسما
 وما قم مع بالشجر منك لعلسمه
 على المسجد الأقصى الذي جل قدره
 على منزل الأملاك والوحي والهدى
 على سلم الدجراج والصخرة المستي
 على القبلة الأولى التي أتجهت لها
 على خير محبور وأكرم تامسمر
 وما زان فيه للتبيين محبسمد
 عفا المسجد الأقصى المبارك حوله
 عفا بعد ما قد كان للخير موسما
 يوافي إليه كل أشمت قائمست
 خلا من صادة لا يمل قيممما
 خلا من حنين التأبين وحزنهم
 لتبك على الفداء بالبازد بأسرهمما
 لتبك عليها مكة غمها أفتهمما
 لتبك على ما حل بالفداء داييمست
 لقد أشمتوا عكا ونصور بهدمما
 لقد شمتوا عنها جها عفا لهممما
 وقد هددوا بجهد الصانع بهدمما
 وقد أخذوا صوتا وصيحا أشمماره
 أما علمت أبناء أيوب أنهممسم
 وأن اغتنام الفداء زهرة ملكهمسم
 فمن لي بثوان ينحن على الذي
 يرددن بيتا للخرافي قالسمه
 طار من آيات خلقت من نسما

سلي في البكا الأصال بالبكميرات
 توقد ما في القلب من جسميرات
 خبت بأوكار بيت الحسميرات
 يرى ما ألقى من الكرمسميرات
 على موطن الأخبات والسلمسميرات
 على مشهد الابدال والبسميرات
 أنافت بما في الارض من صسميرات
 صادة البرايا في اغتنام جسميرات
 وأشرت ببنية لشير بقسميرات
 يوالون في أرجائه السجسميرات
 رفيع السطاد السالي الشرفسميرات
 وللبر والاحسان والقربسميرات
 لمولاه برء اعم المشكسميرات
 توشع بالآيات والسسميرات
 فمن بين ثوان وبين بكسميرات
 وتعلن بالاعزان والترحمسميرات
 وتشكو الذي لاقت الى عرقسميرات
 وتشرحه في أكرم الحجسميرات
 وما ظالما فادت بها بشمسميرات
 وكل أبتاع نوذن بشتمسميرات
 وقد كان بعدا بانغ الشرفسميرات
 لهم عظم ما والوا من الشسميرات
 بمسحاته عدوا من السسميرات
 وهل ثمر الا من الزشميرات
 شجاني بأصوات لهن شجميرات
 يؤمن فيه خيرة المشسميرات
 ومنزل وحي بقدر الفرميرات * (١)

(١) الروضتين ٢٠٥/٢ وانظر مخزج الكروب ٢٤٦/٤
 نسبه د. عبد اللطيف حمزة الى ابن الجوزي (الادب المصري ص ١٢)

ست الفخر (مثنوية الملك الاشرف)

قالت تدمج الملك الاشرف وتذكر كسرة الفرنج في يوم دماط سنة ٦١٨ :

وجاء الى مصر ليفسد عيسى الأرض
فخزتهم في اليوم بضاً على بصيص

ولما طفى نرعون عكا وتومسسه
أنى نحوهم موسى وفي يده العصا

فقامت مثنوية الملك الكامل وغنت على الصود :

لما قد جرى في وقتنا وتجمسدا
وعسى يتبعنا ينصرون مسمدا (١)

أيا أهل دين الكفر تودوا التمسسروا
أعباد عيسى إن عيسى وتومسسه

(١) مثنوي الكروب ج ٤ / ١٠٥ ، القريزي ج ١ ق ١ ص ٢٠٩

قال يمدح السلطان موسى الاشعري :

للذة النيش والافراج اوتسبات
 امام جيشك اتق سار ارسبات
 تحت فيل التنا اساد بمركبات
 اهلة في سلاء من مشافهات
 تهتز اعظافهم يوم الجسبات
 صفائح هي ان دب النون بهبات
 ان من شمس النحر من لمحات رميد
 جرد كرائم تاتى عن فوارسبات
 مستشرفات باذان موكلبات
 الويل للروم والافرنج من ملبات
 اين النحر لسرب الروم من اسبات
 دماط طور منار الحرب موقبات
 القى العصى تتلفق كل اعمبات
 طاهم بجيشك لا تحفل بكثرتهم
 انت الصباغ غمزق ليل كفرهم
 زلزل بفارتك الشواء دارهم
 احبتهم بهام الراى من خلبات
 غطهر الله ذاك الثغر من قلسبات
 تذكروا يوم صفين وما القيسبات
 قتلا وسبيا واسرا وانت هاب شمبات
 شنتها غارة كالنار محتربات
 للهن تغرد دماط ويرزخهمبات
 شرحت صدر رسول الله وانحسبات
 يوم على الروم ينشى ريحه محبات
 راوا جيوش بني ايوب بقدمبات
 غللمراج كلالهم او سدورهمبات
 تخلق البحر ذاك اليوم من دمبات
 ثفاء لوا ان عيسى نسرة لهمبات
 هذا تحوت به اخياركم ايسبات
 بواذر وهنوا من من صدقهمبات
 تو يا ابا الفتح بالفتح المبين فلم
 عكا وصور الى رؤياك عاطفبات

فانشعروا له بالشر عسبات
 نصل ونصر وآراء ورايسبات
 لها ثبات وفي الهيجا وثبات
 لها الكتاب افعاك وهسبات
 شنت لهم بنات القين قينبات
 صحائف كتبت فيها المنوبات
 كحلنها باللعجاج الاعوجبات
 شبي الاسنة اعناق ريسبات
 لها الى الشر من دماط حاجبات
 لهن النصر والتأييد عسبات
 ضار لهن رماح الخطايببات
 وانت موسى وهذا اليوم موقبات
 ولا تخف يا حياك القوم حيسبات
 فانهم لبثات الطير اقمسبات
 واصير ورابط فلان اعمال نيسبات
 فشيعة النجب النثر الاغلسبات
 وللكاف من بعد اصابسبات
 اصابه وانجلت تلك الشيسبات
 من بعد سيفك عرفا والقيسبات
 لله كم احسنت تلك الاسمبات
 للكفر وهي على الامان ميسبات
 فتح له تلج السبع السمسبات
 بشرة الدين والدنيا غلامسبات
 امطارهن مبيبات تصيبسبات
 ليت له في يوم القمصبات
 والمصارم اعناق ونامسبات
 والمق ترقصه تلك الجمسبات
 نقلت بينهما فرق واشتسبات
 وذا تحيا به في الترب امسبات
 فكيف لو قد اتت منها النهايسبات
 تنسب لخير ابيهن الفتوحسبات
 فانهم فقد امكن من خلسبات

واستخبر الصريح عنها ان تمسيرة
الملك اكبر ان تسمى مزاره
وان يخور على القربان عجله
ما كل من طلب السليلة اذ ركه

اليك فهو سائما وتحييت
تتلى وتنسى من القرآن آيات
جهرها ويشتى آذان او تسميات
ورافقت سعيه فيها سماعات (١)

وقال يمدح الأشرف ويري الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وتمدح ولده الملك العزيز
ثم يمدح الى مدح الأشرف وينتهي به السيد ويحرضه على قتال الفرنج ، بقسيدة مطلعها :

هوته رشاي الطرف والجيسر
ونظمها :

يا قاصد الأشرف أمك عن سؤال غسقي
أفريلقك بالأخسان مفتسدا
العائد الرأي في أعانم عسك
القائد الجيهر كالبحر الخفيف
شوس اذا احتلوا البران خلقت
تج لو لهم في طلائع الفتح غز
وتستخير مواشيتهم فزائم
يا مغلفا بلن كيكافوس حين أتت
في بشفن غزبات الكفر فاق
فأستقبلته من لاسانم شرف
نجا وأسلم للمغرضان أسرت
لو شاء شام * أرمن ما فائمه دم
ورد أسراه بسد السلب في نص
هذا هو اليهود لا قسبان من ليمس

إلى الكارم صب القلب مضمين
عذر المسيء على مطل ترد
فان نشرن فمن نصر وتأيب
أموال صغير سيد أو صناد
أسدا تأيدان أنظار الأساوي
مواقع الطعن من نحر وتور
فما يد عن وريدا غير مسرور
يخزو مهاقل اسانم وتوح
من بتانيه يمسى غير مسرور
تبددت شمله في المجهه الي
غريد القوم رزق النسر والمي
لكن عفا عن أسير القلب ماسرور
ولو أسار لأخيا كل بمقت
واليهود بالنفس أتسى غاية اليهود (٢)

وقال يمدح الملك العادل ويذكر بناءه لقلعة المطور ، بقسيدة مطلعها :

تنقبت بالثور والنتور
ونظمها :

يا ليلقا الوصل استقرى ويسر
الملك العادل من أمسية

وأعبرت لكن بديج

سيرة سلطان الورى مسير
فقد رأى موسى على الطاسور

(١) ديوانه ص ٥٥

(٢) ديوانه ص ٦٢

(*) في الديوان : شاه وينكسر الوزن بذلك

عبرته أحسن تحسيرا
 إذا استدارت شرف المسير
 كالنجم في الرفعة والنسب
 ينظر من عكا إلى عسيرة
 يرتعد الصغر من السيرة
 وأنت بالشر الجاهل
 لا ترتضي لمر الدنانير
 ما بين أمار وما
 ما بين تسيير وتيسير
 ولا ليوم النفع في السير
 ما خط في أوج القادير
 ما خط من أفك الأساطير
 عشق ربيبات القاصير
 سالة تدبير وتدبير
 ما خدع الحرب بثقير
 وقائع غر مشاير
 ما بين مقتول وأسير
 وكان مأوى للشناير
 للمعرف مع كثرة تكرير
 أكرم ما يور ويشكير (١)

إن كان قد ذك قديما فقميد
 كأنما على فسيح سرق
 يزاحم النجم له منكسب
 كأنما أوقفه حارسنا
 فكما لا له بمسار
 بني سايان بأعوانه
 تنافح الأحجار أيولهم
 وانت لك الدنيا وسكانهم
 تجرى القادير بما تشتت
 سجادة ليس لها أخير
 هل يقدر الأعداء أن يمسحوا
 يا ملكا تنسخ أيامه
 أشهره الذب عن الديار
 يؤيد الرايات والرأي
 إن يفتحوا للسلم فاجتنب
 كم لك في يافا وفي البرج
 عشرون ألفا غير أتباعهم
 ظهرت بيت القدس من رجسهم
 يا ذا كرا لله يا ناسيهم
 إلى محل الأجر والشكر

(١) ديوانه ص ١٠ - ١٢ وانظر من الكروب ١١٦/٣ - ١١٧ وتاريخ ابن الفرات
 مجلد ٥ ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥

قال يهني أبناء الحادل الذين اجتمعوا وطردوا الفرنج من دماط سنة ٦١٨ :

هنيئا فان المجد راج	وقد أنجز الرحمن بالنصر
حيانا الى الخلق فتعايدا	مبيننا وانعاما وتزا
تهلل وجه الدهر بمد قلوب	واسيع وجه الشوك بالظلم
ولما طفى البحر الخضمها	طناة وأنصى بالمراكب
أقام لهذا الدين من مل سيف	حقينة حكما مل الحسام
فلم تر الاكل شلو مجس	ثوى منهم أو من تراه
ونادى لسان الكون في الارز	عقيرته في التناقضين
أشهاد عيسى إن عيسى وعز	وموسى جنودها ينصران

محمدا * (١)

(١) الذيل على الموضعين ١٢٩-١٣٠ وأنظر النجوم الزاهرة ٢٤١/٦

وابن كثير البدايه والنهايه ٩٥/١٣

(٢) نسبها القريزي الى هبة الله بن محاسن (السلوك) ج ١ ق ١ ص ٢٠٩

قال يمدح المصطفى عيسى ويذكر يوم دياطه بقصيدة مبالغها :

فتخفف أشتياج الحصى ورخابه

عسى البارق الشامي يهجي سخابه

وبنها :

كثيف الشظا عنه نزال ارتيا به
وبين العدى والموت تهوى عابيه
بجيش من الأعداء غلب رقابيه
وأنكر حد البشر في ترابيه
ونكب إلا كل زك نصابيه
تتأصم حيتانه وذئابه
بزرق أعاديه كوفعت شهابيه
لكن أخي بأمن مني جنابيه
فذل لنا من كل قنطر صابيه
وكم أعيب كان النجيب غصابيه
فلم نرتحل حتى تداعى خرابيه
صبرنا لموالموت يعرق ثابيه
كريم السجايا طافرات ثابيه
سرايا كريم الطبع صاف ليا به
إلى آل أيوب الكرام أنسابيه
وشمت شمل الكثر عنا ضرابيه
طليقا ولولاه لظال اكتسابيه
وفي طاعة اللما لميزا اختسابيه
تداد أفاضيه ويخشى جنابيه
لذا الدين لا طل جزيل أثابه (١)

وبستخير عنا وما من جهال به
وأذكرته أيام دياط بيننا به
وجيشا خلطناه رخاب صوره
وقد شرقت زرق الأستة بالدس به
وعرد الأكل ذمر منا به
تركناهم في البحر والبحر لحم به
ويوط على القيمون ما جت متون به
نثرنا على الوادى رؤوسا أعص به
وربنا ملوك الأرض بالبيض والقنص به
فكم أورد خط الحسام عساذ به
وكم قد نزلنا نثر قوم أعص به
وكم يوم هول ضاق فيه بجالنا به
يسير بنا تحت اللواء ممد به
نجيب كسدر السميرى منجم الس
من القوم وضاح الأستة ما جم به
ففرج غيق القوم عنا طمان به
وأعجب وجه الدين بعد عبوس به
جهاد لوجه الله في نصر دين به
حيث حصى الامام فالدين آمن به
وما بغيتي إلا بقاءك سالما به

وقال يرثي الملك المعظم عيسى بن الحائك المادل سنة ٦٢٤ بقصيدة مبالغها :

أرسلت منهم الحادثات فأقصدا
قد كان في ذات الأله مجسدا
بعد المعظم لا أبالي بالمسرد
يا بو من عيشي طأمر وأنكسدا

يا دهر ويحك ما عدا ما بسدا
أعدت ميغا مرهقا هفرا تبه
فأفعل بجهنم ما تشاء فأنسني
طأخلته يخني وأبقى بعسده

(١) ديوانه ص ١٦ - ٢٦

رسمه ويخرج من شريح الحشيش
كبدًا مفرقة وجفنا أرمسدا

لبيغي على بدر تفيب في شري
أبتيت لي يا دهر بعد نراتسه

ونهما :

لولا دناغك بالسوارم والقنص
وديار مصر لو كنت عزما تسمه
ولا مستا لبيض الحرائر أسهم
ولا شجعت خيل الفرنج منسية
وشتر دوا طفكم من بيعه
أنفذتها من خطبة النصف السنني
أجلت ليل الكفر عنها فانطسمي
ولقد شهدتك يوم قيسار يسميه
والكفر متهم بسور مشرك الابس
فجملت فاليتها كان أسامه
قل لا تطادي أن فقدنا سيمدا
الناصر الملك الذي أشجى
أعلى الملوك محلة وأسد هسم
داغني النزيعة لا يرى في رأيسه
يقط يكاد يريه شاقسب فكسمه

عن حوزة الاسام عاد كما بسدا
عن نصرنا لتكنك فيها النسمدي
فيها السبايا والحوالي أعسمدا
تجتاب ما بين البقيع إلى كسمدي
عبد السليب بها وكانت سمسمدا
كانت أحلتها الحظيذ الأوسدا
وأثرت في عرساتها فجر الهسمدي
والشمرد نسق القتام لهسماردا
راج أحكم بالصفيح وشيمدا
وألتك له بشباب فيها البلمسمدا
يخفي الذمار فقد رزقنا سيمدا
بم القدر في كل الأمور مؤسمدا
رأيا وأشجعهم وأطولهم يسمدا
يوم الكريمة حائرا مسمتردا
في يومه ما سوف ياتيسه غسمدا (١)

وتان يمدح بني أيوب بلسمهم ويدم المعجم بقصيدة مطلسمها :

أرى شائيك شائهما أنجمسماس

ونهما :

ملوا دأبهم شرفا ونجمسمدا
فلولا آل أيوب بن شسمادي
يدافع من مهاهم كل في مسمدر
سمتركوا ضايبا الكفر أرضسمدا
وارغم بأسمهم آثاننا قسموم
أولو عدل يموت الليث منسمسمه
بأحلام موقرة إذا مسمدا
بنوا في ذروة الساياء بيتسمدا
فمن سحر الرطاح لهم عسمسمدا

تجنب بقلتيك له النسمسماس

ودأب مواهم طرب وكسمسماس
لكان لمسمد اليهود أنسمسمدا
له في غيرة الموت أنجمسماس
يدافع وكان محجودا يسمسماس
تم تيبها لفرقتها النطسمسماس
طوى وبجنب مأواه الكنسمسماس
تزعج يذبل وظفا قسمسماس
لمرد هم خواياه أرتجمسماس
ومن بين السجاج لهم اسمسماس (٢)

(١) ديوانه ص ٥٩ - ٦٢

(٢) ديوانه ص ٣٦ - ٣٤

وقال يمدح الملك الأشرف موسى :

ومن حواه من العجيب الموقر
لسلا على درج الخطيب الأشرف
في ثمر دمياط وعز المصنف (١)

تسبا بمن عمت أبا طح تكسمة
لو لم يقم موسى بنصر محمده
لولا ما ذل الشليب وأهله

وقال يمدح الملك الأشرف موسى بن المادل بقصيدة أولها :

رسم ربي فأصاب مني مقتلا

جسل السحاب إلى الصدود توصلا

ومنها :

حال، ولولا لكان محطلا
لم يبق في الدنيا فقيرا مرصلا
ونهبحت للناس الطريق الأمسلا
وأخفت حتى صاحب الذئب الدلسلا
فصلا وكنت بنصره مكفصلا
مصر وأخلل ذكره وتبصلا
أعلاجهما محراب عمرو هيكلصلا
أن يستباح حماه أو أن يخلصلا
وحملت بالسر اللدان الموصلا
وطريقه لخنائه قد أشكصلا
مر المذاق كربه نار المصطلصلا
ونظمت بالسر المقتة الكتلصلا
ويعطيك البهاء الاطصلا (٢)

ملك غدا جيد الزمان بجوده
يا أيها الملك الذي انعامصلا
لقد اتقيت الله حق ثقا تصلا
وعدت حتى لم تجد مثلكصلا
ورفعت للدين الحنيف منصلا
لولاك لا نشمت عرى الإسلام فصلا
وتحكمت فيها الفرنج وغصلا
حاشا لدين أنت فيه بالقصلا
أنت الذي أجليت عن حلب العسلا
كم موقف منك فرجت مضيقصلا
كم يوم هول قد وردت وطعمصلا
ونشرت بالبيض المهندة الظلمصلا
فالله يخرق في بقاءك عسلا

وقال يمدح الكامل ويذكر وقعة الفرنج على ثمر دمياط سنة ٦١٦ :

إذا جهلت آياتنا وأقنا اللد نصلا
من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنصلا
ودينا، وإن كانوا قد اختلفوا لعدنا
جوع كان الموح كان لهم مفسدصلا
ولا مكرن الشمر قد أحكمت وشدصلا
أينا سراط بالحياد وأرقنصلا
بأطرافها حتى استجاروا بنا منصلا
وكيف ينال الليل من عدنا نصلا

صهوات الخيل يوم الوغى عنصلا
غداة لقينا دون دمياط جحفصلا
تد اتفقوا رأيا وعزما وصدصلا
تداعوا بأنصار السليب فاقبلصلا
عليهم من الماذي كل مفاضصلا
وأطمعهم غينا غرور فأرقلصلا
فما برحت حمر الرماح تنوشهمصلا
سقيناهم كأسا نفت عنهم الكسرى

(١) ديوانه ص ١٤ - ١٥

(٢) ديوانه ص ٩ - ١٢ وانظر مفرج الكروب ٢٢٠/٤ وعقد الجمان ج ٨ ق ١ ورقه ٥٨

لقد عبروا عبراً جديلاً ودافعوا
لقوا الموت من زرق الأسنة أحمر
وطبع الاحسان منا سجي
مننا بقاياهم حياة جديس
ولو ملكوا لم ياتلوا في دنا
وقد جربونا قبلها في وقائس
فكم من طيك قد شدنا اسب
أسود وفي لولا تراخ سيوفنا
وكم يوم حرط لقينا هجيرة
فان نسيم الملك في شطفت المشقة
يسير بنا من آن ايوب باجم
كريم الثنا عار من النار با
لحمار ما آيات عيسى شفيع
سرى نحو دينا بكل سبي
فاجلى علي الروم عنها وأفرحت
وطهرها من رجسهم بحسام
طائر نجد خلدتها سيوف
وقد عرفت أسيا غنا ورقابهم

٤٨٤
طويلاً فما أجدي دفاع ولا
فألقوا بأيديهم اليها غا
توارثها عن صيد آياتنا الابن
فما شوا بأعناق مقلدة من
ولو طأ ولكنا ملكتنا غا
تسلم غمر القوم منا بها الطين
وكم من أسير من شفا الامر أ
لما ركبوا قيدا ولا سكنوا
بستر وقرط طابنا له كنس
ينال وخلو الشر من عره ي
أبن عزمه أن يستقر به من
جليل المشيا كامل الحسن والنم
هي الشمس لأدقضى مناء ولا
نجيب يرى ورد الوغي المورد
قلوب رجال حلفت بندا ذا
فما يرى كسب الثنا المشغلا
لها نبأ يغني الزمان ولا
مواتعها غيها فان طادوا

أرسل الملك الكامل إلى أخيه الأشرف موسى يستحثه على سرعة الخروج:

يا محمدني هأن كنت حقا مسعفيا
واحتت قلوبك مرقلا أو موجفيا
واطو البنازن ما استطعت ولا تنسخ
واقرا السلام عليه من بعد لبيسه
واذا وصلت إلى حماة فقد لبيسه
ان تات عندك عن قليل ثاقبسه
أو تبط عن أنجاده غلقبسه أو

فانهم من بغير تلبيت وتوتسيت
بتجشم في سيرة رتبهم
إلا على باب المايك الأشرف
موقوف لقدومه مشهور
عني بحسن توصل وتلطيف
ما بين كل مهند ومقصف
يوم القيامة في عزاج الموقف (١)

كتب الى العزيز بن عبد السلام وقد اغارت الفرنج على نابلس * :

فلم يقضها ربي لولي ولا بمسئل
لييب أديب طيب الفزع والاحسئل
فما بشرت يوما بأشئ ولا فحسئل
أصبت بما أجتنت عليه من العسئل
تشد الي الشد قويات بالرحسئل
ولم أرني الا سائل ما فيه من خل (١)

الا ليت أمي أيم طول عمرهسئل
ويا ليتها لما قضاه لسيسئل
قضاه من اللاتي خلقن عواقسئل
ويا ليتها لما غدت بي هامسئل
ويا ليتني لما ولدت وأصبسئل
لحقت بأسألني فقلت ضجيسئل

-
- (١) الفوائد الجاهية في الفوائد الناصرية ورقة ٩٥ وورقه ١٠٤ - ٢٠٥
(*) ينسبها ابن الوردي للعزيز بن عبد السلام وهو خطأ إذ ان القطعة
للناصر داود كتبها الى العزيز بن عبد السلام (أنظر تاريخ ابن
الوردي ج ٢ ص ١٩٩) .

قال يمدح ابن الناصر صلاح الدين من جملة قصيدة :

ويفوق شجرة هاهنا السهم والفرق ~~سدا~~
() وقد وهب الحصون وأعف ~~سدا~~
والروح كالأسد المهور إذا ~~سدا~~
أو من يقال لقتله عسر ~~سدا~~
فيما ورجل ناصر دين ~~سدا~~
رفع الصليب على ذراه ومج ~~سدا~~
رفع السراة راكبين وسج ~~سدا~~
من كل فج آمنين من ~~سدا~~
دهرا وعز لتوفها أن يقت ~~سدا~~ (١)

ذلك بمواهبه يفتخر ~~سدا~~
ما يوسف ما يقاس ~~سدا~~
أو أن يقال كأنه يوم ~~سدا~~
أو من يشبه جوده بشا ~~سدا~~
بل ما لك الدنيا وبالي ~~سدا~~
وبخل البيت المقدس ~~سدا~~
ومن الملوك السيد يلقا ~~سدا~~
فيه أثر البيت الحرام ~~سدا~~
من يمد ما درست ~~سدا~~

وتال في فتح دياره سنة ٦١٨ يمدح الملك المعظم :

فأطاع نجم النصر بعد ~~سدا~~
سرورا وأوى الدين بعد ~~سدا~~
ثريدا وأغنى بحرنا من نصيبه (٢)

سرى الملك البولي المعظم في الدجى
ورد على السلام بعد كاتبة
تجلى بصيغتها غمها وأغدى بها

(١) الروضتين ١٠٢/٢
(٢) الذيل على الروضتين ١٢٩

قال عندما أسر الملك الناصر أيوب بن الكامل بن المعادل الفرنسيروا عتقله بدار فخر الدين
بن لقمان وتتيده بقتيد من ذهب ووكل به خادما يسمى صبيحا :

قل للفرنسيروا اذا جئتكم	قال صدق من فؤاد صبيح
أجركم اللعلى ما مضى	من قتل عباد يسوع المسيح
قد جئتكم صبرا تبغني أشدكم	تحسب أن الزمريا طبل ريسم
فساتك الحين الى أدهم	ضاق بمن ناظره الفرس
رحمت وأصحابك أودعهم	بتبع أعمالك بطن الضرب
خمسون الفا لا يرى منهم	الا قتيل أو أسير جريس
فردك الله الى بطنهم	لعل عيسى منك يستريح
إن كان بآبكم بذا رافيعهم	غرب غيب تد أنى من نصيح
فأخذوه كاهنا أنسهم	أشجع من شوق لكم أو سطيح
وقل لهم أن اضمروا سمود	لاخذ تارا أو لقصد صبيح
دار ابن لقمان على عهدكم	والقيد باق والطواشي صبيح (١)

وقال حين استرد الملك الناصر داود القدس الشريف ثانية من الاغرنج :

المسجد الاقصى له عباد	سارت ه غصارت عثا سائرا
اذا عدا للكفر مستوطن	أن يبعث الله له ناصر
فناصر طهره أولا	وناصر طهره آشعرا (٢)

(١) ديوانه ١٨١ وأنظر المختصر في تاريخ البشر ١٨٢/٣ والالهام ١٢٥/١

(٢) ديوانه ١٨٢ والروشتين ٢٠٦/٦

قال يحدح الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله المهراني، ويذكر وقفته مع الفرنج على يافا، ويذكر
له أن قوما قد ساء بهم قربه منه ، وذلك سنة ٦٠٨ : مطلعها :

راج يخشى في عبه الرقباء
ويغيب الدمع حتى لقد أصبح
ومسر الشرام والبرحاء
بين الاحباب منه عزاء (١)

مقدمة غزلية بكاء على فراق الأحبة ورحلة في طلب المحبوب ، عدد أبياتها (٦٣) بيتها
ثم يقبل :

وإذا ما سألت يافا أجابني
شهدت تلك بوقفا صمقت
بلسان غادرته فأغمضت
وقد كان أن يهد البني
فاختلعت النفوس حتى لقد غمضت
درت ذرما بهجوعهم أشمضت
ظلمت في مسراك تحل على السمر
من الموت صخرة صمضت
فرغمت الفداة للدين فيهم
بطوال المتفيمات لمضت
وأنت الصلاة في ذلك السمر
ب وقد كانت الصلوة كسرت
وتلوت القرآن فيها فليل السمر (٢)
وم حتى تغيلوه غمضت
وجعلت الصلوة فيهم وقد كان صرقة غمضت

وقال يحدح الملك الكامل بن النادل ، ويذكر نزول الفرنج على ديار
وتقاعد الملوك عن النجدة ، وقد كان أتصل بخدمة سنة ٦١٤ مطلعها :

لهم حب قلبي إن نادوا وإن صعدوا
وإن قروا الوصال دونهم البسود (٦)
ومقدمة غزلية استخرقت أربعة عشر بيتا يتشعر إلى المدح فيقول :

وركب تداعوا للسرى ثمت أنسرو
فقلت لهم والليل ملق جرانسرو
تفوا حيث أنوار الهدى كالمسرو
ونار الوغى والمشركون لها وقمسرو
فشم تروى الامداد مسفر وجههم
سرورا ونجم الحق في أنفه يمسرو
فلولا سمي المصطفى ووليهم
ومنى الدين ، بل كادت قوى الحق تنهد

(١) ديوانه : ورقة ٦٠

(٢) ديوانه : ورقة ٦

ولا حملت ذاك المظلمة الهمجية
ورايته من بعد ما قد كبا الزنينة
يرى على قصاد مثل ما يثمن
تأمل فيها عند ما الفخر والمجد
وأخلاق داود ومن أخذ المصيبة
عن الملك أصحى حشو أجفانه المصيبة
فجود هم في بحر إسمائهم
على حسن ما يأتي الحق لها الخليفة
شدت بها المدين فوق الذي شددوا
سمت بهم الامانة والحبيب المصيبة
وشيجا ولم تطيع صوارمها المصيبة
عن الملك أو سدوا من الامر ما شددوا
تصدت فيه للمدين حين ما صددوا
مقى عاشرها ، فالهوت دونهم ورد
على جيد دماط كما انتظم الحق
عشاء حشايا ملوها الخيط والمصيبة
بجنب النبي المصطفى ذلك اللطيف
منار الهدى حقا ولا سعد الهمجية
من الناس لولا سيف عزك والحمد
اليه رجاء ان سنفصلي المصيبة
سوانك عسى يرى لنا ذلك القصص
لديك وعيشي ناعم عندكم رغبتهم
يتم بها بين الورى عند المصيبة
غدوتك فضلا حال عن جزره المصيبة
يد الدهر يرويه لرونقة الضميمة
وها مصر لكن التضييب لكم عبيد
مليكا ومن ذا يحتاج له رخصته

فما صافحت بين الصفاح ككشيمه
ورى زبد ذا الدين الخفيف برأيسه
وجده أثواب الحنى فأنشئ النفسنى
تجملن فيه أربع نبويات
جلال سليمان ، وبهجة يوسف
إذا منعت أجفان ملك رقاد هيسا
وان وهبوا الصافي طريقا وتاليسدا
فلو جاز في الدنيا خلود لخاليسدا
خصائص أبيية عاد ليمسدة
فروع زكت في الكرمات وانيسدا
فلولا هم لم يثبت الحق للوغيسدا
نقل لملوك الخافقين اليكيسدا
ملك الورى : أين الملوك عن السدى
أيطمع أقوام بنسبة عيشة
الام المتحدى والفرنج بجمهم
فوالله ثم الله خلفه صنادق
لما طاب سكنى طيبة ولقد نبسدا
وانسم لولا طود بأسك ما عسدا
ولا قايضى نصره الحق قائسدا
ايا ملكا أجهدت نفسي بسعيهم
تصدت لا لورى على النار كلهم
أو وصل ان أبنى بقية مد تسمسدا
ولمت أرجي غير خد ملك السمسدا
تركنت بلادى وأرتحلت أريدكم
فخذ واستمع بدخا تعد لسمسدا
فها انا يا ملك الملوك وانسم
فبذا يرحى بعد ان جاء نحوكم

وقال فيه (الكامل) عقيب الهزيمة عن دماط ، واختلاف الحساكر ، ووصول المصظم وغيرها
يحث الاجناد والامراء على القتال :

فقد جناهكم عيسى وهذا معصدا
على دين من قد أشركوا وتمسدا
فان تنجدوه من لظى النار تنجدوا

أتبعوا عبود الدين لله تسمسدا
فريق الهدى والله يظهر دينه
فله الطاف عليكم خفيصة

بها الفصال فالافراج فيها تجدد
 تجمع للاسلام عيسى واحمد
 ارى كبدى شرقا اليه توقفت
 وكل نبي بالذي قلت يشهد
 هذا الدين للرحمن في نصره
 لهم في الهدى فرح زكي ويختبر
 متى تتكوهما ان للنار تخصص
 لدى الناس الا ذابل ومنه
 دم النالون الشرك والمواد
 ينيلونها اليوم او يومئذ
 ليقى في نار الجحيم ينال
 ويرقد في جفن الردى وهو ارم
 وكالنهيت بهي صبه وهو
 والمجد فيها كل وقت مجدد
 والسند والاسلم سيف مستعد
 بكف طوال الدهر يسطر ويرقد
 جد اول تجرى والسديف المعرشد
 احاديث جود عشق وتوسل
 وينني ولم يبق رداه التوسل
 ليشرى بذلك الشكر والحمد
 آية مهرور وحلف موكب
 كما بدأ الدين المختف معتمد
 وقد غاله قطب من الكثر اسود
 فاذ هلمنيزمان منكسود
 به فهو سيف في الرزايا مجسد
 اليمسى بهي بنحاهم مقتصد
 فيهم صرف فضلي شيشي ويحمد (١)

ارى الآية الكبرى من النصر قد جرى
 وما يبيد المبركين بانفسه
 عسى اللعان يأتي يومى فانفسى
 ليظهر ان الحق حق محمدي
 فلا تجزعوا من جادات جافاد
 فبينوا الدين الكفر غارات
 وعصوا لهم نار الجهاد فانكسر
 هذا الدين ما ارمى قواعد حقه
 فحزكم حزب الالوان
 هل الدين ملهوس بهل وعشقة
 وهل فمن نار القتال اخو حجبى
 ادليعوا ملكا يستمرى الحمد بالهدى
 لم عزوات الدبر ان دم بالهدى
 له دوحتهجوا بها عاد لينة
 فلحق منه غير ركن وملجأ
 اذا جئت تلقى السطاح مجسد
 وانقرى الساقى اذا لم
 لقد سطرت من يسره ونوال
 فيفني ولم يبق عطاياه دوعسد
 ومن وهب الاموال او قتل المسددى
 وكان عليه ان يمحور مدى السلسل
 اقام عود الدين حقا معسد
 فاشرق بدر الحق في افق الهمسددى
 نزلت وحاجاتي بباب محسد
 وقد كان طني اننى اقطع المسددى
 تجاوزت اقربا علي اعسدد
 فلم يك لي في الله ذا عناي
 ثم يختصها بشكوى الزمان وطلب الرعاية بخيمة ابهات

وقال في المعظم ، وقد اجتمع هو وأخوه الملك الأشرف ، وجمعا الحساكر من البلاد كلها
لنصرة الكامل وتخليص دمياط من الفرنج ، فمبجل الله لهم اقتتاحها ، وكسر المشركين .
يقول :

الله أكبر ، هذا النصر والظفر
قد كان أنظر فيه نفسه النظم
بما لسانه قواستعلى بك الخط
من بارح سائح الطير الذي زججوا
أغصانه وهو لا ظل ولا شمس
نظم الحديين ولا نشر فيبتكر
لهيت من بعد مذنب غيشتف
ملك الطيور وقد سارت بك السير
واستبشرت مكة والمجبر والمتجسر
من بعده إذ سرت في ذكره السمر
ورفعت صعب الحاني فهي تبشير
والشرك قد حل في الأز والأز
يكاد منه فواد الدهر ينفظ
عن فخرها وهو طول الدهر يفتش
فالشرك منخذلوا الحق منتصر
زرق الأسنه فهي الانجم الزهر
لكنها بظلم النقع تستمر
بنصره ، وضليب الشرك منضم
كسر مدى الدهر منكم ليسر
ذ رعا ، فالتلديه بل له جسر
وفي السماء قشاة اللوا القس
رو وسهم منك نار الحرب تستمر
وبين سمر القنا ، والجوت مستكر
وللسيوف الحلى والهام والقصر
وما دروا أنه غير به الشمر
وقد رأوا غارة هانت لها الشمر
بأن سيك لا يبق ولا يمس
ويل طويل وقد وافاهم الشمر
من يوم يواسك حصرا ليسر
غيرها لخوفك ، إن قالوا وإن ذكر
إن قيل عودا نعد بالسيف نفق

ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر
قد صبح الخبر ملك الموم خبير
أكد بت ظن الاعادي بالذي كملت
فالت ظنونهم في الفصال وابتدر كست
أعدت عود الهدي غضا وقد يمس
هذا هو الفتح فتح لا يقوم
فتح ميم وفي من كل موقت
يا يوم دمياط قد راحت مسودة
تملأ الدين والدنيا به فرح
لم تخش يشرب تحريبا لغاد حصة
أنقلت خرو الإداني وهي مامت
اليسر أدل الهدي من نصرة حلال
في يوم ذي رهي لا وصف يدرك
يوم تدن له الايام إذا خرس
في حالة جمع الدين في قسرون
قد عاد صيتهم ليلا تضي بمس
والضمير طالعة فيه وغار مسة
والدين قد تليت آياته فرح
يا دين عيسى ، بعيسى قد خذلت وذا
واغاك في جحفل ضائق الغضا بمس
أنى بجيشي وفي ، في الارض عسكره
فالبحر من تحتهم آذ يد وعلسى
وزعتهم بين بيض الهند صلت
فللرمح قلوب منكم أبعد
أنوا السبور الى دمياط تحصنهم
راموا بحيث أطلتهم الامر سلمهم
لهدلبوا السلام الى بعد عامهم
أفحق لروحية الكبرى بما شهروا
إن لم يكن حوصروا فيها فأنهم
يمشون همسا وإبطا حديثهم
نباهم الرعب عن عود فطقت

ما يوم بدر بأعلى ضد أو أحسن
لا يوم أحسن منه نظرا وسننه
جنيت فيه روفوس القوميا نسنة
فلتشكرتك بنو العباس بسدهم
الاستبهم عزقه سنه د نرهم
كم آية لك يا عيسى ومجزة
أنت الحليك الذي لو عيب في ماله
أحييت ميت الحلى والكلمات بسنة
مناقب حسنت أخبارها وزهنت
يا مدد الفضل والاحسان هاهنا
الله يعلم أني في انتظار كسنة
يكفيك مني أدنى ما أشير بسنة
خذها فان حببها لو يروم لهيها
ولا تصح لاستماع بدها أبسدها

ولا خنينه وان عدوا وان شهم
سمر القنا وميوت الهند تشت
لكن ذوت بدها الاخصان والشهم
لا بل قرين توذي الشكر بل
من بسده ما قد طورا ما كان قد
يقول هزمهم فيها وان كشم
ما عابه الناس الا انشهم
أوليت أد لا يوازي بسده المظهم
حتى لقد صار مخرجورا بها المظهم
ومن ورائي بديها كلنا صهم
قد صغى الضربين أودى بي الضهم
إن ليس من عاد في الاكثار والمهم
وزنا لمحاضره في تكسره الخصهم
ما كل يختلف الزانه زهم (١)

وقال أيضا بدهه وبعاتبه وكان جماعة قد تكلموا فيه عنده فأتوا ذلك (فيه) ويذكر فيها

ان السرين الذي يحمله الأسده
سراد في الجند مشروب على كسنة
رس من الملك بعبور وأفنيه
يا حسن ولقد روح الله قد كسنة
هو الحمام المرحى صوب غارهم
غضب الحزيمة ما في الوشم
يعين حوزهم الشرب فاشهم
ما حل ارضا ولم يشهد الى بسده
صاغ وفيه على أعدائه كسده
يا زاج القلب ان السيف طالهم
هذا هو الأسد الرامي براثهم
التي على أنق الدنيا كاذ كسده
الله أكبر جاء الحق يقدهم
يا أيها الملك المرسى بمرهم

دار الملك وفيها الفيضة الرهم
لا لاوه في عراض العز مقبهم
بها الحلى والمدي والبالهم
بها السيادة واستطلى له المهم
والحارم المنفض والفارس المهم
شواير الحزم بالاراء نهم
في حين لا تحبب يشهم
الا تحم روضا ذ لك البهم
والخيث منه يكون الماء والزهم
على القلوب فكما بالذ في تهم
عليه من رعب ما ذيه البهم
بالقرب في شهميان والبهم
نصر الملك فلا وان ولا جهم
طوله المشقة لماهم

والدين مهتضم والملك مضطرب
ماء الحية في مئنته مطسب
كانه حية في مئنتها رُسب
والمجد في الروح موجود ومثقب
أضحت بها الموت في حوائثه يثقب
بالنصر فهو لها تحت الوغى صلب
والبيضة ضاحكة والموت محتشب
أسافهم للحايا أنها تفسب
رزق مغزس من القلب والكبب
بن القلوب ما إن لم يفسب
وان صبرك لا تحصي له المسب
ثم يظنون رعبا أنها رصب (١)

كم موقد لك ليس الله ناسب
جلوت وجهها على فيه بذى شطسب
يهرق في وجهه فرند تجلبسب
فكان مجدك موجودا لبالسب
أججت للكفر من كثيفك ملحسب
نشرت راياتك الصفر التي وسمسب
لاقيتهم ووجوه الخيل غابسب
في فتية من نتائج الحرب قد غمسب
حيثهم بينات الحط يفرهمسب
من كل أسر تستقي النون بسب
وقد ثيقن أن لا صبر يسعدهمسب
خانوا بأناسهم بها ألم يفسب

ثم يفتنهم بحدده ويطلب منه أن يمينه على نواصب الدهر (٢) وفي ذلك في ثلاثة عشر بيتا (٣)

وقال في الأشرف موسى بن المادل عند منصرفه من الجزيرة والشام إلى الديار المصرية لنصيرة
الكامل ، ويذكر له وقائع بالفرنج والروم : مطلقها :

أرايت ما صنعت لحاظ القيسب
ما بين منصرج اللوى ففسرود (٣)

وتبدأ بحقيقة غريبة عدد أبياتها (٦٣) بيتا ثم يمدحه بالكرم وحسن السيرة بعشرة أبيات
ثم يقسول :

من بعد طول تشرد ونفسب
وصف البليغ بشبابمة وتصبب
منهم يحزم في الأمور رشيب
طاب المأثر عدد بشرر عديب
فأعده من عندك لعل وهيبب
شربوا بكاء النصر والتأييبب
ما بين مقتول إلى مصفب
أو نشر رايات وثقى بنسب
منه ، ويدرك شأو كل شهيبب

وطريدة الأساقم أنت أمد تمسب
أيام صاغيتنا يقصر دونهبب
بددت جميع الكفر وظو مؤسب
ونصحت راف عجز الأساقم بأرعبب
شاروا من الأساقم شهدا قتبب
وسقيتهم كما مر اللحية بنسب
والروم راموا نصرة فجمعتهمسب
أغناك بأساك عن تراخ تيببب
علموا بأنك كالدجسي لا مهسبب

(٣) ديوانه : ورقة ١٨

(١) ديوانه : ورقة ١٦ - ١٧

(٢) ديوانه : ورقة ١٨

اسكنت أكثرهم بطون لخم
 فأعدت ممدوما إلى موجه
 كفرا عن الإيمان والتوحيد
 علمت عن التكييف والتحديد
 موسى لإغرائه ببهرجن
 متلاطم أدبه بحد يحد
 وصعد بالنصر والتأييد
 يرضيه بين إقاعة ونهم
 رصفت وقد وضعت نظام عقود
 عليها ركوعي دأما وسجود
 قد كان في قلل السلاسل
 عن مائة مديما بصفيح
 فالمستويل لذلك غير حبيب
 لا ظل زكسي ولا مسدود
 من أن أراني ليس يورق
 جاءني بالتعظيم والتعجب
 تنظف بين ترم ونشيد
 دبرت بنادي جرول وأبجد
 بحدائها بزل المطايا القمود
 في مغرب في بأسوال الجود
 لرشي محب أو لكبت حسمود (١)

فاستسلموا عوا لأمراء بعد
 وفتحت ما افتتحوا بعزم قاهر
 وأتيت إذ دماط بدل ربح
 تلقى جيوش المشركين بعزم
 غرغون كثرهم طغى فأتاهم
 جاشت غواربه بدور مزبد
 موسى وعيسى أرسلوا لخم
 فالله يشكر دنكم المسمى السدي
 يا أيها الملك الذي اختلقت
 يا كعبة إن كان تقبل حجتي
 ما بال مثالي خال من بعد
 أيجوز لي خوض الشفم وأنشيني
 أن كان قل النيل يحد ربح
 كانت تمنى الشفم تلك جهد
 والاشرف المصور أشرف
 خذ واستمع مني نظام غريب
 حليت بهجتي في سجن فحم
 واثن تأخر عسرها غدا المس
 عذبت على الأفواه حتى أطرب
 للذ أنت غريبة وشجيب
 كفل الإله له بطول بقائه

وقال فيه أيضا بعد فتح دماط وعزيمة الفرنج :

فلتبذك الخزة القمصاء والظفر
 جرى به قبل تكوين الوري التمس
 قد وثقت لك في تيميره النسر
 واستبشرت بالذي خدته البش
 من دونه والتنا الشطي مشتج
 جود يعيل لديه أو دم هدر
 منك الجماع بالهندي والقصر
 قد رام إحرازه دهر غما قمر
 وسيرت لك في تيسيرها المسير

نضر من الله وأثنا به الخبير
 فتح تربا وماله قد شصت بسير
 هذا الرجاء الذي كنا نوءط
 قد صحت لله شكرا إذ صصت بسير
 أحرزته وظهرت الهند جائل
 فما نخل الدهر من يومئذ ندر
 لله بأسك يوم الروح إذ شقيبت
 فتحت فتحا عظيم الخطب كم طرب
 راج اغتياحكم بين الوري مشير

والله عونك والأملك والقدر
 فقصرت عن مداك الضمير والقدر
 كل الوري وتنامي البدو والضمير
 فالحق منتصر والشرك مندثر
 وجه البسطة كادت منه تنشط
 يوم الكفاح وفي أعمارهم تنشط
 ورود همبارتواؤه ماله صبر
 زرق الاستغنى أطرافها زهر
 غادرته وله من هامهم شمر
 هذا القضاء فلا يكتفي ولا ينسدر
 دجت ووجهك في ظلماتها تمسدر

بحر بامرك مهما شئت يا تمسدر
 عمرو رأى مثله يوما ولا غم
 أو يوم تغلب إن قالوا وإن فخبروا
 بك الشريعة إن غيرت بك الشهر (١)

لهضت للدين بالهندي منصلتها
 أبدت في ظلمات الدهر نور هدى
 أتيت دهاطاً إذ أعيت رياضتهم
 فكنت إذ زرتهم محتاج مقفلم
 صدقهم خير لو صدقت بسهم
 من بعد ما كان في آمالهم طمسول
 أوردت أنفسهم حوض الردى ففسدا
 أنزلت أفئدة منهم ريسا في ردى
 ما أنبت الخط طول الدهر من أسل
 لما أتيتهم قالوا بأجمعهم
 عاد النهار لهم ليلاً بقسطهم

جاء ورايك يا موسى فمهمهم
 يوم غدا دونه يوم الكلاب فمهمهم
 كلاً ولا يوم ذات الدوم يشبههم
 حفظت لك بني السبا ووافيظت

ثم بدحه بتسعة عشر بيتاً ويختتمها بشكره ، يقول :

شكرا تنشر منه للورى حصر
 لشيره في العلى ناب ولا غم
 عن شرح حالي فاستغنى واختصم

كم قد شكرتك في الدنيا لدى ملوك
 وقلت إن ذكروا موسى فليس يسمي
 وحسن رأيك تمنيني بـ وادره

وقال في الملك الناصر قلع أرسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي
 ويذكره أنه كان كاتباً لأبيه وأهلمو بحرضه على قتال الفرنج ونصرة الاسلام والجهاد، مطلقها :

صل مغرماً ليدري صني ثوك للسندل (٢)

بما يجفنيك من غنى ومن كعسل

تهدا بمقد مثزلية عدد أبياتها ستة عشر بيتاً ، ثم ينتقل الى مدح قلع أرسلان فيقول :

وجيش يهش يريك النام في رجيسل
 أمضى من البيض والخطبة الذهبيل

ملك له عز مقدّل الزمان لهيسل
 موبد الرأي إلا أن هفتيسل

(١) ديوانه : ٢١ - ٢٣

(٢) ديوانه : ٢٣

إِنَّ نَمَّةَ قَاتِلِ آوَى إِلَى جَبَلٍ
 يَوْمَ الْوَعْدِ بَطْنِ الْهِنْدِيَةِ الْقَصْبِ
 إِلَّا لَتَجْعَلَ رِزْقَ مَنْهَاوِ أَجْبَلِ
 فِي الْجُودِ عَاقِفَةً مِنْهُ عَلَى هَبْلِ
 رَوَّيَتْ مِنْهَا الْوَرَى بِالْعَلِّ وَالنَّهْمِ
 وَهَاطَلُ الْفَيْثِ حِينَا غَيْرَ مَقْصَلِ
 فِي جَحْفَلِ شَرْقٍ بِالْخَيْلِ ذِي زَجَلِ
 قَالَ الرَّدَى لِلْعَدَى مَوْتُوا عَلَى عَجَلِ
 ضَمُّهُ الدَّ سَبْعَةَ مَرَّةً غَيْرَ مَحْتَفَلِ
 بِالْحَزْمِ مَلْتَحَفٍ بِالْحَزْمِ مَشْتَمَلِ
 بِهَا وَلَمْ يَعْدُوا قَوْلًا بِأَلَا عَصَلِ
 بِمَا تَوَهَّمَهُ فِي أَوْضَحِ السَّبَبِ
 وَشَدَّتْهَا دَوْلَةٌ تَسْمُو عَلَى السَّبَبِ
 وَأَبْنِ الْمُلُوكِ وَنَجَلِ الدَّ سَبَابِ
 لَا تُتَقَسُّ بِمَنْوَفِ الْبُكْرِ وَالْحَيْمِ
 مَوْفُورَةٌ وَنَوَالٍ غَيْرَ مَنُفَلِ
 وَأَسْرَبُ الْمَارِفِ بَيْنَ الشَّيْلِ وَالْمَشْبَلِ
 مَوْغَرُ الْحَدَثِ فِي الْأَفْرَاجِ وَالْبَسْبَلِ
 وَمَنْ عَلُومٍ وَلَا أَرْضٍ مِنَ الْهَمِ
 يَسْلِي مَحَلِّي وَيَدْنِي مَسْرَعًا الْمَسْبَلِ
 مَنْ كَانَ أَضْحَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ مَكْلَسَلِ
 عَيْنِي وَبِجْوَكَ أَسْمَى جَدًّا مَحْتَمَلِ
 وَاعْتَضَتْ بِالْجَهْمِ مَنْ نَزَرَ مِنَ الْوَشْبَلِ
 وَلَا تَكُنْ عَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي شَنْبَلِ
 وَتَسْنِ رَأْيَكَ لَا يَوْمِي مِنَ الزَّلْبَلِ
 لِلْمُشْرِفَةِ وَالْقَوَائِمِ وَالْقَبْلِ
 كَانَا الشَّصْرَ مِنْكَ الدَّهْرُ فِي الْحَمَلِ (١)

طوفان راحته بالهجوم لا أحسد
 كلا ولا عاصم من بأسه أبسد
 ما أعمل الفكر في يومئ نسد
 كأننا من قريش جاهليتنا
 أكذايت غنا السحاب الجون من نسد
 جود يحم البرايا منك مقسد
 فأنهض إلى نصر دين الله في جسد
 جيش يجهش بأبدال إذا بسرد
 من كل أغلب في غرينسة شمسد
 وكل مدبر للصبر مؤتمسد
 أبناء حرب غدوا فيها ونشأ شمسد
 غالمه جارك والأغلاك دائسد
 قد مدت كل ملوك الأرض قاطبسد
 يا أيها الملك الميكون طائفسد
 سمعا لشكواي من دهر حواد شمسد
 ما زلت تند بني أيوب في نحسد
 أرض رياض الندى من غيض نعمسد
 وعشت في عزة قصصا عند شمسد
 أرض الفضلى وما حسنت مسم
 وكان لي الملك المنصور أعظم مسم
 غنائني الدهر في حالي وأعد مسم
 فكنت لي عونا عن كل من نال مسم
 قصدت بابك والآمال تلعب بمسم
 فأسلك مسالك أهليكم الكرام مسم
 فان جودك يكفي كل حاد شمسد
 قد صاح كفيك رب السرد من قمسد
 وان بابك يولي قاصدك علمسد

الدين وهي من أشعاره في الصب

وقال في الملك العزيز عثمان بن الطك الناصر صاحب
 وكان قد اجتمع به في التاشرة سنة ٥٥٩ هـ مطلعها

لا تلت من مشوم صب ولا كائسا (٢)

ان كان أحمر قلبي منك سلوانسا

(١) ديوانه : ٢٤ - ٢٦

(٢) ديوانه : ٢٨

وبيش على القتل من الطير حائس
 أجابتكم صيدا وياغا وحسار
 وكم قست اذ ذاك منها النساء
 وما نثمت فيه الرقى والعزائم (١)

وما زالت في جيشين : جيش مقاتل
 ولو مثلت أرض الفرنج شهادة
 فكم خلست فيها لدى الحرب أنفس
 وكم من صريع من مخافة بأسكم

شبهتكم بالمدح بالكرم ويطلب منه أن يتخذه كائبا لسه (في البيت ١) •

قال يدهج السلطان الكامل محمد بن السادل ، ويذكر انتزاعه من ديوانه من الفرنج :

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر
وردت على اعقابها ملة الكفر

ونبها :

وما فرحت من ربذا الفتح وحده
ولو لم يقم بالله حث قيا
وأقسم لولا همة كالمليحة
فمن مبلغ هذا البيهاء لك
نقل لرسول الله أن سميت
هو الكامل الولي الذي أن ذكرته
به أرتجعت ديوانه من العبد
ورد على المحراب منها صلاته
وأقسم أن ذاق بنو الأصغر الكسر
عجبت لبحر جاء فيه شين
ألا انها من فصلة كبرى
ثلاثة أعوام أقمت وأشهر
صبرت إلى أن أنزل الله نصره
وأيلة غزو للعدو كأنهم
فيا ليلة تدرك الله تدرك
مددت سبيل البر والبحر عنهم
أما طيل ليست في أما طير من
وجيش كمثل الليل هو لا
وكن جنود لم يكن قوا
وبانت جنود الله فوق ضوا
فما زلت حتى أيد الله حزبه
فرويت منهم ظاني البيه
وجاء ملوك الروم نحوكم
أنوا ملكا فوق السماك
فمن عليهم بالامان تكرم
كفى الله ديوانه المخافة
وما طاب ماء النيل الا لانه
فله يوم الفتح يوم دخولهم
لقد فاق أيام الزمان بأسره

لقد فرحت بفداده أكثر من
لما سلمت دار السلام من الذ
لخانت رجال بالقيام وبال
وشرب تنبيهه إلى صاحب القبر
حصى بيضة لاسالم من نوب الد
فيا طرب الدنيا ويا غن المص
وطهرها بالسيف والملاقطه
وكم بات مشتاقا إلى الشفق والوتر
فلا حلت الا بأغلامه الصف
ألسنا نراه عندنا ملك الف
سيطلب منها غزو حليفك واليس
تجاءد فيهم لا يزيد ولا
لذلك قد أخذت طاقبة الصبر
بكثرة من أردته ليلة النحر
ولا غرو أن سويتها ليلة القدر
بساخرة دهم وسابحة غم
بكن غراب رابع أفتاء من صق
وأن زانه ما فيه من أنجم ز
لأن زهير لا ولا ليني بس
بأغصانها تنفي السراة عن الفجر
وأعرب وجه الأبرار جذلان بالنصر
وأشبهت منهم طاروي الذئب والنمر
تجرر أذيال المهانة والصف
فمن جوده ذاك السحاب الذي يسري
على الرغم من بين الصوارم والسم
لمن قبلة الامان من موضع البحر
يحل محل الرقيق في ذلك الثغر
وقد طارت الاعلام معها على وكبر
وأنى حديثا عن حنين وعن بدر (١)

(١) ديوانه في ١١١ هـ وانظر شرح الكروب ١٠٢/٤

قال يمدح الملك المنصور (صاحب حماة) ويصف ما يخافه في الصيد ، بقصيدة مطلعها :

أكملت كل المناقب يا خير ما روراك

ونهبها :

أدت بالسيف عاتقها والسيف أكرم صاحبها
حتى قهرت الأعين بشامنا غير حائسها
فألقوم بين قتيص وبين عان وشمسها (١)

وقال يمدح الملك الخافر صاحب حماة ويهنيه بالظفر على الأفرنج :

بجهدك فقت أملك البهائم فأذن عن حاضرهم وساد
وبأبيض الأقواس مخلصات لودك ، وأخلصت زرق الأعين
علوتهم بهبوط من عسل أعاد أبيهم سهل القين
وحببتهم سيوفك حين صامت فألجمهم جدالك في الجبين
عرضت لهم بخيل عودتهم بقبح الطرد عن حسن الطين
رعاء الله ، يا مخروء ، ليث وسحر ندى يفيض ، ويدرن
أعد للبرق عصاها ، فنيح حمايله على القمر الشمين
ليغداك بالأكارم بن بني زمان رائح ، برضاك ، غمين
غبا لنقص يضافي من ثمار وبالبرق يصادي من تحمين
اليد زفتها بكرا تحلست بدر من صفاتك ، مستفاد (٢)

وقال فيه أيشها :

أبشر بما شئت من نصير وتأييد غنتك يروي حديث الباء
وأنت ليك وفي تدني من البهائم في تحرك كل طويذ الباج
ملك إذا من الأملك في قنص قصيده غلب آل الأصغر الصبي
وان سجنهم ذوات الحسن مال بسبه فقطح الطلي عن وصال الخرد النيد
وان تاذلوا بشرب الراح قال دما بني الحروب ولا بنت المناقب
كم عزة لك لا تنفك عن ظمير غالبك منك ليجد منك مسود

ديوانه ١٢٨

(٢)

(١) ديوانه ص ٦٥ - ٦٨

وكم سخطي أعريت غنما الصربية مسرور
كانوا الجلال يد في بأمنوني جلمسند
كنائب حكمت في كل ملكمستند
فكم جبان غنمه بأمنوني لبمسند
أما الفرنج فقد أشهدت نارهم
من بعد ما جاد أملاك الخوايف عمن
رجا بنو الاحد الكفار عودهم
نباكروا في كثيف الحشد في لججيب
مستشعرون سحب نق من هذا الممسة
فما جندت الى سلم على غيبهم
أقبلتهم رجب صدر ليد يجر جسميه
وسابحا سلعت بالنصر عزهم
وسد غضب عليهم منه ساعدهم
ورعيتهم بشيخ على جهمهم
لنودوا بين مجرمي ومثبهم
ان خبروا عنك بالأس الفظيع لهم
ساروا قذافي ان راموا القذافي للقميص
لما تدح غزوهم في بقر دارهم
وأسلم لك الملك بقصورا عليهم ولا

٥٠٢
مقول أبطالك الشرا الما جلمسند
فوق الجلاميد ترض بالجلالهم
حتى لقد خلقتا كتبا بتأليهم
وكم عذاب كسسته ثوب رعدهم
ولم تزل ذات أشرام وتوتهم
حفظ البلاد وألقوا بالقاليم
بالغوز عن رب أخلاهم وتوتهم
تبيد في ساحتهم ساحة البيهم
وثقة ذات أشراف وترعيتهم
ولا تدمت بأرهاب وتهديهم
شيث المصان وقلبا غيرهم
ما سار في الحرب أقدا ما بتهم
كنشة الصور كل عندنا سمرور
بهر رجب وطن كالأشادهم
بيكي على نالهم مشهم ومقتهم
قام النيران بتصديق الأسانيم
واطلع البعير في حديق الوفي السمرور
سلكوا الى الزود من نوم وتثيهم
زان الوري تحت نال منك مسرور (١)

وقال يحد الملك الصاغر الثاني (تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب خطه) وبنييه
سيد النجر بقيدة أولها :

أرقت لدايك الداكية ، ان سمرور
ومهمسا :

وأولاه ما ساءت عيني بالكنسور

وكم عاد من كسر الفرنج مسلمهم
ثقتهم شهم البطان يحسده
ندى لك يا محمود كل مد صهم

سوى ثلم غضب أو وشيع تكسمر
بوان ريرظام ، اذا ما تنسمرور
بغير السجاي ، يحسب المرء منكرا (٢)

(١) مقي الكروب ٣٠٢/٤ ، وانظر عقد الجمان ج ١٨ ق ٢ ورده ١١٢
ديوانه ١٥٦-١٥٨
(٢) ديوانه ١٩٥

وقال يمدح الملك المظفر الثاني وبهتته بتقدم من غزاة بقصيدة أولها :

ملكا على كل الملوك مظفــرا
عز السرائم أن يفوز وينصــرا
أرباض شرشنة القديمة والقصــري
عرشت لدايف أبي غوارس ما ســري
جيش كثرت به العديد الأكثــرا
أن المحتوف تحيد عن غــسرا
غسنا بها مات الفوارس مــسرا
مجدد " وكل الصيد في جوف القــرا
ومشيت مصاما ، وصلت غــسرا
حقنت دما كياته أن تهــسرا
ولقيته فردا فظنك عسكــسرا
ولو أنه في الحرب أسرح مدــسرا
سنتي رأيك ، فيها له ما أبــسرا
فأصاب منك الخضر والامكــسرا
والأقربين ، وسحقها أن تشكــسرا
كلت من القريات الضمــسرا
لوهق بحرا من نجين أحــسرا
بارت ، ورب نغمة لا تشــسرا
باد هواك ، صبرت ، أو لم تصبــسرا
ولام إلا من يراك كما أرى الخ (١)

وفرت يدك ، ودمت يا شير الســوري
وقدمت أغنى قادم شملت لــسرا
من بعد ما جاشت جيوش الروم غــسي
وتأهبت بفوارس لو أنــسرا
أخذك عن فتكات جيشك غيــسرا
غررت حتى ظن أنك موقــسرا
ومززت من أعلاف ربحك بينــسرا
يوم تضمن كل يوم قبا لــسرا
صادقهم بلودا ، ورعتهم ســسرا
وذا مليك الروم منك لهدنــسرا
تأملت عسكره قتلك وأحــسرا
ورأى في سلم فأقبل مقبــسرا
ما زال يسمي عنك أبرأ هائــسرا
أخجلته علما وعزما طــسرا
وفضلت مذكور المناج في العــسرا
همم بهتت ، فكلفتك عظامــسرا
تختار منها كل بحر ما يــسرا
لولا غرامك بالحروب وخوشــسرا
فصل الوفي ، أو عد عنها ، أنــسرا
وأراك أمتج ذال الانام وليس في الاقــسرا

وقال يمدح الملك المنصور الاول بقصيدة مطلعها :

ان زاد لوفي لائي ، أو نقصــا ؟

أيوم قلبي من هواك تخلصــا

وينــا :

يا بى الملا لكاته أن تنكــصا
رعب يصد عن الفرار القومــصا
واذا بدا لشهار حقاك حصــصا
طعنا كذوبا سابه فتلــصا
كلب ، اذا زارت ليوثك بصــصا

رعت القرنى بجحفل متعاقــصا
لم تفرهم الا وأكل رائــصا
فاذا بدوت لليل باطله صــصا
تخزوه بند وعيده ، نــصا
حتى اذا وانك فركا نــصا

(١) ديوانه ص ٢١٧ - ٢١٩

دم للملا ء يا خير من نحر الرجاء
واستجلبها بكرا نتيجة ليلسية
أحكمت بهذا نسجها ونظامها

٥٠٤
سار له وعلى عاذة نضجها
تومي بناظم سمطها كل الرصصا
ونسيبها وينديحها والمخلصا (١)

وقال يمدح الملك النجد بهرام شاه ء ويهنته بكسر الفرج بقصيدة مطلتها :

أهلا بأقبال معدي بعد اعراض
وبرجسي بها من بعد امراض
ومنها :

تجاهل الناس في مصر وجارتهم
حتى غزا الكفر " دماطلا " بطلاغية
نكاد يقتضي على الامام جاهلهم
فاسر ابن مصر الدين عزمتهم
بكل ضرب رباط الجاش مشتت
وكن أجرد وخطير تصرفهم
وكن اسير عمال يسول من الم
وكن عفراء مرنان مفسدة
فسلوا شرد بها طبالا عسوس
أجلاه من عباها بأس ذى لبس
أعاد للدين طغيان العدو بس
شكرا لدهر ثلاثاني بأوتهم
قد كان ينحني داورا ويمسهم

تدر القروم ء فلم تخف بأخفاضي
أمد ظهر الهدى منها بانقراض
ما ليس يطامع ء في أبطاله ء قماضي
من بعد أحكام تدبير وأحصا
بكل غضب مضى في الوغى ماضي
يسار ليت الى الهيجا ركساضي
أذى بحر دم للحقد رجساضي
نيز السروق ء اذا ثارت لانساضي
وظالما شرد عوا عنه بأعصا
في السلم والحرب رفاع ونفصا
وعاد ء والله عن أفعالهم راضي
من الداف وأغنى بعد أنفصا
فاليوم قد نلت منه كل أغراض (٢)

وقال يمدح المظفر الثاني بقصيدة تأولها :

صحبته هواكم في أمان من المسندل
ومن هنا :

ورعت ملوك المشركين بسلموة
فأكرمهم فيه زاحفت آمسدا
وقد مزلت محب الحاج صواعقا
وصايرتها يوما أند بليسية
الى أن عباك النصر حد مهند
غرويت من أوداجهم يابن القسري
وعدت ء وقد حزت الفخار بفلسية

مقدمهم سمام البوت عالا على نهمل
فكل الورى عما تحملت من كسمل
من الصغر مزجاة يويل من النبيل
تكايد فيها ما يمر لما يحلبي
تكفل قدما فتح ما شئت من فضيل
وأوضحت من أسانهم غامر المسيل
ترغب في الهيجا من ظنها تملبي

قرينة ملك غير منقطع الحبس
سوى نجلك المنصور قدس من نجل
غبورا من غرغ و بوركت من أصل (١)

فيا قاطع الاقران ، دامت لك الصلوات
فانت جواد لا يشق غيبه
تبارك من أنشاء شهباء في الصلوات

وقال يمدح سيف الدين بن أبي علي الامدي بقصيدة طويلة أولها :

أرت من دمي الجارى ، ولا غزلي

أسمت : ط خده القاني من الخجل

ومنها :

بجد مستترم بالحزم مشتمس
وعاد فيه النحي فالتقى كالنفس
رغلت من أجره والشكر في حلس
الله أكبر لولا أنت لم يحس
منهم سليما من الهام والنياس
في قبضة اليتيم والتاتم والنياس
ربها وتامن والالباب في وناس
ولا شريت نحو الملك بالبدل ... (٢)

أط الفرغ فقد مزلت شلم
وجعل شاب منهم طغلم فرقت
نكم كشت فخا من مكايدهم
وكم أحلت الى دنون اباءهم
وكم شهباء به لم تبق من أحسن
نقاد وأسرا وعدنا رد سائلهم
يعز جيوشك واليهجاء جائشهم
أنت الفتى لم يرضه النبي عن رشم

وقال يمدح الملك الامجد بهرام شاه بقصيدة مملوكة :

ينهدي اليه من السلوان من لاسيا

هون ذو البر من سقي به لاسيا

ومنها :

شرو أنشهم من قين أن ساسيا
بجحت يمس الاقام عند لاسيا
عن النماظم أجازلا وأقام لاسيا
بين السنايك والاقلام أقسام لاسيا
سيل الدماء ولا أقدام طام لاسيا
غلق القلوب وعنه الهام الهام لاسيا
على رؤوس القنا عزا وأكرام لاسيا
في السلم بدرا وفي الهيجاء غرق لاسيا
هدى فأتينا طلم وأقام لاسيا
قدام حرزا لاهل الدهر طام لاسيا
عناه بالعام من هنا به السام (٣)

ورب أمة شرك حين أمهم
وجعل جذل الاقام عند لاسيا
سأ غلوا فاطقتهم قواشهم
كانا قست للشم شامهم
لللسنايك منها ما تباثهم
كان ما جهلت من عرض طاعتهم
فأعده ذل صخر فرفعتهم
صباية وجمال صوراه لاسيا
أباد أعدنا سداوا وكان لاسيا
ما دام النام دام النام في دعة
وحى العام نساها وأبلغ ماسين

(١) ديوانه من ٢٦٦

(٢) ديوانه من ٣٦٦ - ٤٠٣

(٣) ديوانه من ٤٢٩

وقال يمدح الملك المنظر الثاني بقصيدة أولها : —————

لن المنازل ؟ من لي من عينها —————
غيد شئت عباة بشينها —————
ونمها :

ومالك أنزلت صيد ملوكهم —————
وحماة لو لم يصر ظالب وصلهم —————
واقدر دلفت لفتح آمد بسد —————
زاحتها معيا كأنك ذيفهم —————
عجز الملوك عن القرار بوهدهم —————
أمكننت منها ثم عدت مشرفهم —————
نصرت ودان له الزمان وأتلسهم

بالقهر عن صهوات حصن حصونهم —————
سارت اليك ربوعها بقطينهم —————
راع الورق ما شاد من تحصينهم —————
قصد الفزالة آخذا بقرونهم —————
وعلوت مستويا على عربيتهم —————
مفنى حماة فزدت في تكمينهم —————
بسطى متلفوها ابن ناصر دينها (١)

وقال يمدح سيف الدين بن أبي علي بقصيدة أولها : —————

غزال والاسود له رايهم —————
و —————
ونمها :

مضى تشز القرنى تبدد بنهم —————
حدوتهم بحد السيف لمهمهم —————
وتكث عليك يا ابن أبي علمهم —————
وجودك عم كل النامر لكمهم —————
وان كان الذي أهديت نسهمهم —————

وان واغوا رد دتهم شرايمهم —————
أتوك باكبد الابن البلا يسهمهم —————
تنائي بالهدايا والسمايمهم —————
لي العراج منه والصفايمهم —————
فان مداعبي أسنى الهدايا (٢)

(١) ديوانه ص ٤٦٧

(٢) ديوانه ص ٥٧٣

قال يمدح السلطان الملك الكامل ه ويذكر أيام دمياط ه وقصد الفرنج لها ه وظفروه بهم ه :

كم مئة لابي العالي الكامل السلطان في غنى الهدى لا تنجس
أيام قال الشراك بنيا للمهمسدى
وأنى بطانة البسيطة كنيسة
بيته إذا سمحت يداه بقسمة
كالسيف إلا أنه لا ينتهي
وانى بك الاسانم وعداء موقنسا
حتى اذا التقيا طلعت عليهم حسا
غردت منفس الشراك ودنو مرسى
حكمت بأمنك فيهم فكلت
دمياط لي ولك الغداة الموعسدى
والله ربك هناك ما شيسدى
جف الدياه بها وذاب الجلسدى
والليل إلا أنه يتوقسدى
أن سوف تهزم جسمهم وتبسدى
بالنصر تشقى من تشاء وتبسدى
شزيا ه ودين الموصو مؤيسدى
ومجدن ومشرى وممشسدى (١)

قال في فتح طرابلس يمدح الملك المنصور قلاوون :

أدركت بالجد أنصى غاية الطلب
أبا المظفر لا زالت مظفــــــــــــــــرة
فأله جارك أنى حرت من لمــــــــــــــــك
للمهول مرتكب للحق منتــــــــــــــــر
بالسيد الملك المنصور شمس عالا
أحرزت ما فات قدما من طرأ بــــــــــــــــس
أتمت نفسك في ذات الإله بهــــــــــــــــسا
فتح يديه على كل الفتــــــــــــــــو بــــــــــــــــس
فكم لها في حيان الكفر من حقــــــــــــــــب
أغنت على الذل أحيانا وما بــــــــــــــــرزت
حتى إذا ما رأت كفا لخطبــــــــــــــــتها
أصدقتها كل تبت القلب ترعد مــــــــــــــــن
أساد مبركة هـ ففان قتلــــــــــــــــة
من كل قطر أحاطوا بمدقــــــــــــــــين بهــــــــــــــــسا
لو كنت شامدا هم والشمس ظالــــــــــــــــة
خلت الأئمة شهباً لحن في غــــــــــــــــسق
قل للملوك التي أعيتهم غــــــــــــــــسقا
تهدي الحرايين من شم المتصون الــــــــــــــــى
ظادرتها بونا جيتي نصــــــــــــــــب لــــــــــــــــس
فأصبحت ذات اصحاب وكم جنيــــــــــــــــت
أجريت فيها بهاراً من لجنيــــــــــــــــم
لم تطلق الشمس فيها بعد ذاك عــــــــــــــــلى
.....
أذقتهم بعد عز قد لــــــــــــــــس
يا رافعا علم الدين الحنيف ومــــــــــــــــن
تدملت ما أعجزت عهد الملوك بــــــــــــــــسا
غاية السيف كم من آية نســــــــــــــــت
جراك ربك عن كل ما لــــــــــــــــس

ونلت بالجد أعلى منتهى الرتب
ملك الميوش على الأعداء بالرعــــــــــــــــب
وناصر لك من ناء وقــــــــــــــــس
للفرور محتسب للأجر مكتســــــــــــــــب
سالم وأنهد دين الشرك والمــــــــــــــــك
جمع الملوك ذوي الإرعاب والرعــــــــــــــــب
غيا لها راحة وافق من التــــــــــــــــس
عصر غدا منتشي الأعطاف من طــــــــــــــــرب
موت ولم تنح تطليقا على حقــــــــــــــــب
بالموجه طالبة بعدا من الحجــــــــــــــــب
دعت فليبتها في جحفل لجــــــــــــــــب
أقداه أسد الأجام من رعــــــــــــــــب
غرسان ملحة للبوت لم تهــــــــــــــــب
كما أعيد على الأحداث بالمــــــــــــــــب
من شقة النقي يوم الزحف في نقــــــــــــــــب
والمشرفيات برقاً شيم في سحــــــــــــــــب
عدا وكل إايها الدهر ذو أرب
من بات يشطبها بالسم والقــــــــــــــــب
ورفع أبراجها مخفــــــــــــــــت بــــــــــــــــس
على مرادك من جار لها جنــــــــــــــــب
فكل سابعة سبعا إلى الــــــــــــــــس
غير الشدرا من القتل ولم تــــــــــــــــس
.....

وبعد أمن كوووم الخوف والوصــــــــــــــــب
أصاب بالفضض دين الرجعر والصلــــــــــــــــب
أدركت من فتحها الميوش عن كــــــــــــــــب
وظلعة الشمس كم أغنت من الشــــــــــــــــب
وكف عنك كف الخلق في الشــــــــــــــــوب (١)

وقال يطح الأشراف خليل بن قنبرون :

بلغت في الملك أقصى غاية الأسـ
وعزت وسمي السلي بالجد مجتهدا
ونلت بالحوال دون الناس منفسدا
فطان بدولتك الميرون طاهر مـ
فكم بلغت مراداً بت تأمل مـ
وكم فتحت حصونا طال ما رجعت
أنت الذي لم تدع الكفر من بـ
حررت من عكة الفراء ما عـ
عيلة المدن أمست من صـ
كم قد دعيتها ملوك الأرض راغبـ
صدت عن السيد لا تلوى فلم تـ
حتى أمرت فأصحت وبني طـ
ما زال غيرك فيها طامعا وعـ
فتح تظاول عن شر يحول بـ
تصدتها فأصبحت بعد ما غـ
في جفيل كجيب كالليد انـ
عزم المهابة من وقرون أكـ
تغالبه جواد القيد تشـ
لا تنظر السين منهم إن كـ
صدقت بها بجيوش لو صدقت بـ
فأصبحت بعد عز الملك خـ
أصبت خرابا واضحي أهلها رـ
فصلبت بزلتها عنها وتـ
وصحوا آثارها منها وقد خـ
يا لأشرف السيد السلطان زـ
تدبير ذي علم في عز منتـ
راحت وقد صلبت أرواحهم لـ
هتكت ما شيدوا غرقت ما جـ
وعند ما أصبحت تفرا بأذن مـ
رحلت عنها ولكن كم أتمت بـ
لا زلت ذا رتب في الجد ما يـ

وَفَتَّ شَأْوَ ملوك الأعراس الأول
وجزت ظاياتها (جهر أكلى مهـ
ما لم تنله ملوك الأرض بالحـ
فأنها غرة في أوجه السـ
بمنزلة المباتر العاري من الفـ
لأيا من عنها الملوك الصيد في خـ
ياوى إليه ولا للدين من أمـ
عنه الملوك بعزم غير منتـ
وصونها من ليالي الدهر في عـ
وعطفها عنهم بالتيه في شـ
وهم منها إلى وعد ولم تصـ
بعد الأباء لا مر منك متـ
يديك قد كان هذا الفتح فـ
وصفا وعن نظم شعر محصد طـ
في أدلها من أسود النيل بالنـ
تبدو لرائيه من قضبي ومن أسـ
وطبق الأرض من سهل ومن جـ
للأبرار في الروح أسادا على قـ
لا مات حرسهم يوما سوى القـ
عمر الجبال أزالها ولم تـ
من ذك الملك طول الدهر في سـ
وسطرت بها يد الأيام في المـ
ألف للطرف من حلي ومن خـ
أشهى إلى النفس من روض الربى المـ
التلبيات وأبشع التوحيد بالـ
وعمر مقبل في رأي مكتهـ
الهندى أبوالهم من حملة النـ
نقمت ما أبروه غير محتفـ
من السواحل بعد الأهل في عـ
من خوف بأساء جيمها غير مـ
وسودد بنواحي الشهب مقـ (١)

قال في فتح عكسا :

يا أشراف الدنيا تهت فأنسى
أشبهت متصم الخلاف المفسسة
فأزيت عكا ما بتدوريسسة
قابلت بلك جيوشه بسوا بسسة
ولأنت من شيعي وليل لم تسكر
كم رقتها بسوا ليل اليكسسه
وأعدتها للمسلمين ولم يكسسه
واثن صانع الدين بكرأ نالهسسا
بالجمعة الشراء كان صبا حهسسا
لم تمل خندتها وقد دار وابسسسه
وعدت ومن غيرها بما أوليتهاسسا

فتح سواك بمثله لم يحلبسسه
فالروم منك ديارهم لم تحبسسه
ذات الفوارس بها الزمان الاقسسه
غرت عليها الريح لم يتقسسه
تردى الكماة بأشهب يرباد حسسه
فصدقتها بيباخو يوم أيسسه
منهم ترى التطهير إلا باليسسه
فالكر في التجريب غير الايسسه
وجه الزمان بمثله لم يرقبسسه
طعننا بخير شطى القنا المتحطسسه
خبرا يقتر المجدد أوتسسه * (١)

(١) جواهر السلوك ورقة ٤٨
(*) نسبها محمود سليم الى ابن الصانع (عصر سائطين المطالك ٥٧/٨)

قال في فتح حصن الرقب زين المنصور قلاوون :

كم لاه فتح غير هذا خبيث
يا فاتح الحصن الذي فتحه
حسن عظيم القدر في سيرة
إذا بدا والقيم من حول
ولن تلي للحين أبراجه
أنشبت حرا فيه كم رامه
مذ رحت منه تشطي صهوة
أخذت حق الدين من بعده
وذات خطوك لها وثبة
قد سقتها غابا وآساد
كم نصب الإعداء من هول
وكم لها قالوا وقد ركبت
كانت الأعداء أمست له
وكم نقوب فيه صيرته
أبكارها ما أغتصها
فأهنا بفخر منه قد حزنه
وليس حين بعده ما نرجح
وأعلم بأن السعد قد قتل ذا

وقال في فتح حصن عكار سنة ٦٦٩ هـ :

يا نليك الأرض بشي
إن عكار يقين

وقال في انتصار المنصور قلاوون على الفرنج والتتار والأرمن سنة ٦٨١ :

أله أعطاك ولا زيد وعم
هذا القام الذي لو لم تحل به
.....
يا عزبة ما رأي الراؤون مشبهها
لما بيني وبينها في تجاميره
واستجمع الحبل والتفور وانفجروا

(١) تشرى الأيام والمنصور من ٨٦

(٢) تاريخ ابن الوردي ٦٠٧/١ وانظر المختصر في تاريخ البشر ص ٦/٢

فاسترع فتح الأرض واستوعب
يأتي به شكره من يشرب
ابن من قبله لم يكن
تقوى نبيهم لا في غير
يقال هذا بؤكب الكوكب
قبله سلطان فلم تنش
لم يبت حصن ثم لم يجهز
ضمت سنون وهو لم يطالب
عليمة المسرى إلى المسرى
تدخلها في بيتك البذ
راوه منها رشي لم تنص
أي حصن به لم يجهز
مطابت الأمل والأوطى
صا لكا تأتته بالمال
الا انشنت كالحابل المقرب
أخبار من تايها تايها
في الأبعد الثاني وفي الأثرب
وقال نذر الله بالهوى

ك فقد نلت
هو عكا وزين

هذا السقاء وهذا الفتح والنصر
لم يبت والله لا شام ولا نصير
.....
ورقعة صار في الدنيا لها ذكر
ولن يد لملأ ألقنا جس
مع الفرنج وبين أريد به الكفر

لأرواحهم فكان البعث والنشور
وأمدت الحرب حتى أذن النصارى
والزورى تسجد لا عيب ولا كبر
والسهل من أروء من القتل به وقبر
والسر ناهيك ياما تفعل السمير
للسيف والرمح هذا الفطر والنحر (١)

فيما كتب في جواب البشارة عن المولى السلطان الملك الأشرف (بفتح حصن المرقب)

يما : من قرب الى مشرق
الفتح غيرك لم يسبق
من بعد هذا أى شيء بقى
لمثل هذا اليوم لم تغلب
في باب عكا بكم يلتقى (٢)

نقطة المماليقي لا تنفصل
فأبشروا منه بصفحة مقصود (٣)

يا قبر من فجست به الانس
قد الكدى وتأثر الإسم
ما أصبحت بمصر تشقى
.....
قد يا رسول وما عليك
تنقأ لهم عند الكرى الأحم
ترديهم من رعبه الأوسم (٤)

وبه الله قد أقر السيوف
أي نصر من رنا قد جزى

في انتصاركم أعزوا القرون

جاءت ثمانون ألفا من بحوثهم
وأنى النصارى في يوم الخميس
والسيف يركب والأعظم رافعة
والخيل لا تغد في الأعلى جثث
والبيض تغد في الأجفان من مهب
عجا في رجب عيدان من عجب

يا ملك الأرض الذى جيت
دعشت بالحصن العظيم السدى
حصن بما اتقار قالوا تسرى
وقال كل منهم ليتنى
فأهنا به فتحا فكم لئلا

وقال في طرد الفرنج من عكا سنة ٦٩٠ :

يا بني الأعفوتد حل بك
نزل الأشرف في سالككم
وقال يرثي الظاهر بيبرس من قصيدة :

تقرا ، عليك تحية وسلمكم
الظاهر السلطان من بمسا بسلم
قبر الذى لو أنعتته قلوبنا
.....
هذا الذى قال الملوك لرعبكم
هذا الذى هزم القطار فأعجبكم
هذا الذى قبر القرنى فكلكم

وقال يمدح الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ :

أى يوم بنصره قد حبينكم
يوم جزنا ببلاد سيوفكم
ونهمكم :

كم أذلوا القرون نهبا وأسرا

- (١) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقة ٦٧٧
(٢) تشريف الأيام والمصور ص ٨٢
(٣) تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٤
(٤) تاريخ ابن الفرات مجلد ٧ ص ١٤٣

كافريها وسلموا المسلمين
صار حصنا للمسلمين حصين
ر خير الملوك دنيا ودين
بالسطى منه أخذوا الظالمين
خائبا خائبا لمينا مهين
قد تولوا من بأسه هارين
أي يوم لشره قد عيين
هاربا لا يكذب الناقلين (١)

فتحوا المدن والحصون وكفوا
بسطى سيد الملوك ومن تـ
ركن دين الله بغير الظلم
أسد الله في الوجود أتاها
وتولى ليفون منه حسيرا
وكذاك التارخونا ورعبا
آه لو أنهم أتاوا فقا لـ
أنذروا بالجوش أيضا فولـ

يقول في الرد على النصارى واليهود :

خبرونا أهل الكتابين من أي
ما أتى بالعقيدتين كتساب
والدعوى ما لم تقيموا عليها
ليت شسرى ذكر الثلاثة وألوا
كيف وحدتم إلهاً نفسى القوا
إله مركباً ما سمعنا
ألقوا منهم نصيب من الملوك
أم هم جعلوا بها شرككة الأبطال
أنراهم لحاجق واضطرار
أم جميع على الحجار لقد جعل
أم أردتم بها الصفات فليسم
أم هو ابن إله ما شارككم
قتلته اليهود فيما زعمتم
إن قولاً أن القسوة على اللبس

من أتاكم فتليكم والبسدا
واعقاد لا ترضيه ادعوا
بينات أبناؤها ادعوا
عند نفس يوحى عدكم أم نساء
حيد عنه الآباء والأبنساء
يا إله لذاته أجسموا
كتمها تميز الأنبياء
أم هم جعلوا بها شرككة الأبطال
خلطوها وما بنى الخلط
خطر يجمعهم مشي
ت ثلاث بوعفه وثمن
في معاني النبوة الانبياء
ولا مؤانكهم بلحيهم

(١)

ويذكر أقوال اليهود وقيلها يصفها لاسلامية :

وأخو الضلالة قال عيسى ربه
ويقول خالقه أبوه وإنسيه
أبته هذه الصورات جاءت كتبه
فأعق منها ما استقام طلوعه
عجبا لهم ما بأهلوه ولم أبست
ولقد تحدث بالبيان لقوم

ونبيته فأخو الضلال مذ بشد
رب وإنسان ألا فتعجبوا
أم حرقوا منها الصواب وروا
فكانها بين النجوم المفسر
أخبار نيران الذين تروا
واليهم يشرى البيان ويمنسب (٢)

واتفق أن الشيخ شرف الدين البوصيري رأى في ضامه قيل أن يخرج الأشرف إلى عكا فأتاه بنته
ينشد :

قد أخذ المسلمون عكا
وحاق سلطاننا إليهم
وأقسم الترك منذ سمارت

وأشبعوا الكافرين صكا
خيلا تدك البغال دكا
لا تركوا للفرنج ملكا (٣)

(٣) ديوانه ص ٢٣١

(١) ديوانه ص ١٥
(٢) ديوانه ص ٤٦

وقال يمدح أئمة عز الدين والى القاهرة ويمزيه في سيف الدين :

عين لهم بقيت فيها ولا أفسر
إدراك أيسره الألفهام والفتن
مات الفتن بداء الخوف والفتن
فيها تنكح من الخوف والفتن
عن أن يجرد فيها الصارم الذكور (١)

فظهر الأرض من أهل الفساد فلا
ودبر الملك تدبيراً يقتصر
وحين طارت إلى الأعداء سمته
فطربا لي بأعداء قلوبهم
وكل أرض ذكرناه بها غيبته

وقال في مدح الملك المنصور قاثون بمناسبة بناءه البارستان المنصوري الكبير سنة ٦٨٤ هـ :

وغرهم بالمسلمين غمور
وإن كثرت فيها البنون نمرور
عن العدو في أرض العدو دجور
من الترك جيم لا يفتد غمير
ورجل لهم مثل الجراد طمور
بهاقته برد السحاب تكسور
ونبله وكل بالنداب مطمير
أنا لها تلك البروج قسودور
لهم ذلك الحصن الحصين حسمير
نقى عنه نوم المقتلين صفسمير
من الخيل سور والصوارم سمور
والأ إلى ضرب الرقاب مسمير
عدو إليهم بالردى وتكسمير
أمانا ولباب الحياة بقسمير
رأى مستميرا غيها وسسمير
تنظير به من حيث جاء طيسمور
غذاك لأعتاد السيوف مشسمير
لمصر وتحت الفارسين شمسمير
إذا غصت منهم لغزة شمسمير
وتحفظ منهم أخوة وتمسمير
ورثت نخور ماءه وسحسمور
به من علون كالصجول جكمور
فتحميها صورا وطهسمير
وط راعها من قبل ذاك شمسمور
ملك يسير النصر حيث يسمير

لقد جهلت داوية الكفر بأسسمه
فأزبوركو من أخوة إن أمسم
يظنون خيل المسلمين يفتد سمسم
أما زلزلت بالساديات وجاء سمسم
أتوا بطيرات من الجرد مسسميرت
فلم يرتبوا من صبح هالمان مرتبسم
وصب عليهم عارض من حسمسمارة
وساموه كثفا من نقوب كاشسمسم
غذاقوا به من التصار غاصسمسموا
يصيحون أعلى السور خوفا كشمسمين
وماذا يرد السور عنهم وخلفسمه
وليس لهم إلا إلى الأسر ملجمسم
غلبا أحصوا بأمر أغلب همسمسمية
دعوة وشمل النصر منهم كمسميرت
أغارهم أفرنيس تلك وسيلسمسمية
غدى نفسه بالحل والال وانتسميني
فلا تذكرها ما كان بالامر منهمسم
فلو شاء سلطان البسطة ماتهمسم
تبرهم مصر دأطا بقدمهمسم
تسهمهم عند القبول بشاعسمسمية
ولو شاء بد النيل سيل دماهمسم
بصيد كصيد النحريا حسن ما يسمري
فولوا وسوء الظن يلوى وجوههمسم
وقد تفرقت منهم حصون أواسمسم
غلبه سلطان البسطة إنسمسمه

(١) ديوانه ص ٨٨

قال في فتح عكسا سنة ٦٩٠ هـ

الحمد لله زالت دولة المسلمين
هذا الذي كانت الأمان لو طلبت
ما بعد عكا ، وقد هُتكت قواعد عكا
عقيلة ذهبت أيدي الغزاة بها
لم يبق من بعدها للتغراة خربت
كانت خيلها أمانا لنا فترى
أم الخروب فكلم قد أنشأت فتننا
سوران : بر وبحر حول ساحتهنا
نصف بصفاء هـ حولها أكسس
مثل النائم تهدي من صواعقهنا
كانما كل بين حوله فليس
غنا جأثها جنود الله يقدم
ليت أبي أن يرد الوجه عن أمم
كم رامها ورامها قبله فليس
لم يلهم ملكه هـ بل في أوائل
لم تزل شمه إلا التي فتنست
فأصبحت وهي في بحر من مائل
جيش من التزير فزاع الحرب عند
تسبوا فلم يترى ثباتهم
أتوا حماها فلم تدفع وقد وثبوا
يا يوم عكا ، لقد أنشئت ما سبقست
لم يبلغ النطق حد الشكر فيك هـ فمما
كانت تمنى بك الأيام عن أمم
أغشيت بها عيسى إذ أهدتهم
وأطلع الله جيش النصر فأنشئت
وأعزب المصطفى الهادي البشير على
فقر عينا بهذا الفتح هـ وأبتهجست
وسار في الأرض سير الريح سمعت
وخاضت البيض في بحر الدماء ومما
وقاه زرق القنا في زرق أعينهم
توتدت وهي تروي في نحورهم
أجرت إلى البحر بحرا من دماهم

وعز بالترك دين المصطفى المريمي
روياه في النوم لا شحيت من التائب
في البحر للشرك عند البر من أرب
دورا وهدت عليها كفا مختصبا
في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب
أن التفكير فيها أعجب العجب
شهاب الوليد بها هولا ولم تشعب
دارا هـ وأدناها أنى من القطب
من الرماح هـ وأبراج من اليلسب
بالنيل أضفاف ما تهدي من المسح
من المجانيث يرمي الأرض بالشعب
فبيان لله هـ لا للملك والنشعب
يدعون رب الأوزى هـ سبحانه هـ يباب
جيم الجيوش فلم يظفر هـ ولم يضرب
نال الذي لم ينله الناس في العقب
للمجز عنها ملوك النجم والسير
ما بين مضطرب نار واضطرب
عار هـ وراحتهم شرب من الوصب
في ذلك الآن برجا غير منقلب
عنها مهانيد شيئا ولم تشعب
به الفتوح هـ وما قد خط في الكتب
عسى يقوم به ذو السمر والخطب
والحمد لله هـ ما صدناك عن كنسب
لله أي رضي في ذلك الضرب
طازع الفخ بين السمر والضرب
ما أسلك الأشرف السلطان من قمر
بنصره الذبابة الذراء في الحجرب
فالبر في كبر والبحر في مسرب
أبدت من البيض إلا سائر مضرب
كانها شطن تهوي إلى قلسب
يزاد ما الري في الأشراق واللهيب
فرا كالأراج هـ إذ غرقاه كالصرب

وذاب من حرها عنهم حد يد
 تحكمت فسدت غيهم قواهم
 كم أبرزت بطلا كالطود قد بطلست
 كأنه وسمان الرمح يطلبهم
 بشراك يا ملك الدنيا لقد شرقت
 ما بعد عكا وقد لانت عريكتهم
 فأنهض إلى الأرض فالديا بأجمعها
 كم قد دعت وهي في أسر الخدي زما
 ليبتها يا صلاح الدين معتقدا
 أسكت فيها كما سالت دماؤهم
 أدركت ثار صلاح الدين إذ غضبت
 وجفتها بجيوش كالسيول على
 وخطتها بالمجانيق التي وقفت
 مرفوعة نصبوا أضيافها فقتلت
 ورختها بنقوب ذلت شممها
 وبعد صبحتها بالزحف فاضطربت
 وغيت البيض في الاعناق فأرتقصت
 وخلقت بالدم الأسوار فابتهجست
 وأبرزت كل خود كاعب شربت
 بانت وقد جاورتنا ناشرا وغسدت
 ظنوا بروج البيوت الشتم تعقلهم
 فأحرزتهم ولكن للسيوف كسست
 ورجالت النار في أرجائها وعلست
 أبيضت أبا لهب تلاء البروج وقست
 وأثلت البحر منهم من يفتبر مستسن
 وثبت النعمة الخطى وقد كملست
 اختان في أن كلا منهما جفست
 لما رأت أختها بالأمس قد خرسست
 فالله أعطاك ملك البر وابتعدت
 من كان مهادا عكا وصور محسنا
 علا بك الملك حتى أن قبست
 فلا برحت عزيز النصر منهم حسنا

٥١٨
 فقيدتهم به ذعرا يد الرهب
 قتلاهم وعفت لحاويها عن السلب
 حواسه فغدا كالمنزل الخسب
 بن هوى وراءه كوكب الذنب
 بك الملاك واستخلت على الرتب
 لديك شيء تاذقه على تمسب
 مدت إليك نواصيها بلا نصيب
 سيد الملوك فلم تسمع ولم تحسب
 بأن ظن صلاح الدين لم يحسب
 من قبل أجوارها بحرا من الذهب
 منه لسر طواه الله في اللبس
 أمثالها ه بين آجام من القبس
 أمام أسوارها في جحفل لجسب
 للجزم والكسر منها كل منتصب
 منها ه وأبدت حياتها بلا نقسب
 رعا وأهوت بخديها إلى السرب
 أبراجها لعبا منها مع اللبس
 طيبا ولولا دماء القوم لم تطسب
 لها الروء ويوفد رقت بلا طسرب
 طوع الهوى في يدي جيرانها الجنب
 فاستعقلتهم ولم تطلت ولم تهكسب
 لا يلتجئ أحد منهم إلى هسرب
 فأطاعت ما يصدرهم الدين من كسرب
 كانت بتخليتها حمالة العطسب
 يلقاه من قومه بالويل والحسرب
 بغت صور بلا حصر ولا نصسرب
 صلبة الكفر ه لا اختان في النسب
 كان الخراب لها أعدى من الجسرب
 لك السادة ملك البحر فارتقسب
 فالصين أدنى إلى كفيه من حلسب
 على الثريا غدت مدودة الطسب
 بكل فتح قريب المنع مرتقسب (١)

(١) جواهر السلوك ورقة ٥٩ - ٦٢ هـ ابن كثير البداية والنهاية ١٢ / ٣٧٣
 درة الاسلاك ج ١ ورقة ١٥٤ هـ تاريخ ابن الفرات ١١٢ / ٨ - ١١٨

وقال في فتح حصن الدرقب من قصيدة :

واقعد ذكرك والحياة كريمة
والبيتر من خللو السهام كأنهم
والحصن من شفق الحديد كأنه
ساحل السماء فمن تطاول نحووه
والمنجنيت كأنه من رميه
والبوت يلعب بالنفوس وخطا طسرى

وقال في فتح عكا وما معها من الحصون أولها :

الشرك أجلي وأنجلي ظلماته
والنصر أوت بالفرنح رياحه
ومنها :

والبوت يرقب تحت حصن الدرقب
يرق تألق في غمام صبي
عذراء ترفل في رداء كذ
للمسح مسترقا رماه بكوكبه
حيث استدارت مركب في لولبه
يلهو بخبرة ذلك المستنذب (١)

والدين ترّ وأشرقت قسطا
من بعد ما فتكت بهم نساته

تبلى الدهور ولا تلين قنات
فزلزل أرضهم صد بانث
بالقتل أسراب الطباء ظبا
اذ خالقت بدماهم صفحا
عن حصنهم ونفتهم أبيان
تغني طائرهم ندبهم طلسات
قد عبرت عن حزنه عبرات
بمراكب صفت بها شافا
قد قيدت بسكوسه حركات
تربو علي أعوانه ساطعات
والدري يتبعه الردى تبينات
كانت بشير الوهم تدرك ذات
ومضت تبيل بسنقه لفتات
للفراق تردت حمرات
من حيث لم يتوهموا مطا
جملت برغمهم أنا أشتات (٢)

طعن العدو بأن عكا محقق
فربوهم بالزحف وهو العدمية الأولى
وتحكمها السيف الصقيل فأحمررت
ونمى إلى صور الحديد ببحرهم
فهيئت عزيزة من بها وتشرق
يسرت إلى صيدا البهور ورثهم
أسلوا بنارهم وكان نحوهم
وأثوا على البترون وهو مدمر
فجروهم أسرى وهل ينجوا
بأش على بيروت يومه اللي
أرداهم بأضروا من غلم
ويحصن عظيم النوى كملت ومسا
وكذاك أنظرهم أشد ما الممعدن
وجبيل ولي أهلها كرتا وك
فضب الاله لدينه فأتهم
وتنوتوا أيدي سبا وسباؤهم

(١) درة الاسلاك ورقه ١٢٥

(٢) جواهر السلوك ورقه ٦٦ ودرة الاسلاك في دولة الأتراك ورقه ١٥٨

الله أكبر هـ هذا النهر والظفر
هذا الذي كانت الأمل إن طمحت
فانهض هوس وأملك الدنيا فقد نعلت
كم رام قبلك هذا الحصن من ملكت
وكيف تمنحه الأيام ممالك
عز العدى هذا حلم تحته هـ
لها هـ وإن أشبهت لطف النسيم
أوردتها المرقب السالي وليس هـ
كانه هـ وكان الدهر يكف هـ
يختال كالغداة المذراء قد نظم
لها الهلال سوار والسها شمس
تلو الرياح اليه كي تحيط به
ويوم المرقب يهفو نحوه ليس هـ
وليس يروى بقاء السحب مصف هـ
فما جاته جنود الله يقدم هـ
وأشربت حوله نارا لها لهيب
والجاة سهام الج هـ
وأطرت العجانيق التي نشأت
كانها وبها نيق الفرنج هـ
وكم كنا المصن ما يلقي فما أكثر شمت
وللقوب دبيت في فناء هـ
أضحى به مثل صب لا تبين هـ
قد زال هـ تجلى تواء عن تواضع هـ
وساخ وانكشفت أقباءه وسم هـ
فبال يهوى اليهم كل ليت وغنى هـ
وقد تقلد من إشراف ملك هـ
رفعت أعلاه أعلا مودة هـ
تبدو بها غرر اللغات نال هـ
إن لم يوف الورى بالشكر ما فتح هـ

وقال في فتح طرابلس :

علينا لن أولاك نسجت الشكر
ومالك الاخلاص في عالم الدعاء

هذا هو الفتح لا ما تزعم السير
الى الكواكب ترجوه وتنظير
شوقا منا برنا وأرتاحت السير
فطال عنه وما في باعه قصير
كانت لدولك الفراء تدخير
لا شقر البرق من تحجيلها غدير
معنى المواصف لا تبقي ولا تسذر
ماء الهجرة في أرجائها نهير
وهي تمثله في طيها الفكير
منه مكان الدالي الانجم الزهير
والقلب قلب وصود الدجى طير
خبرا هـ وتدنو بها في ضمها خبير
أدنى ربه ويأتي وهو محتذر
اليه من غيبالا وهو مضحكر
من بأسك المذران : المخوف والخذر
من السيوف ومن نيل الوش شير
فاغثاله القاتلان : الحضر والحضر
ولم يكن قبلها يهني به المطير
فراش الأسد في أظفارها الطير
يا قلبها هـ أريد أنت أم حجير
تثير سقما ولا يبدو له أنيسير
نار الهوى هـ وتلوي في الاشياء تستعير
وغير أعلاه نحو الأرض يبتعير
لديك من مشروبات النصر ما مستعير
له من البيض ناب والقنا ظفير
به على أنجم الجوزاء يفتخير
إن لا يزال بها الامام ينتصير
من كل ناحية في وجهها قمير
يداك فالله والاملاك قد شكروا (١)

لأنك لا تملك يا سوغه ذخير
الى من له في أمر نصرتك النصير

مراد وفي التأييد يوم الوغى سر
 جهاد الصلا ما توالى به الدهر
 أقتل غنايا أن شندتها البحر
 كنحروا أنت السيف لاج له نحر
 تملكته الا منعة بكسر
 فمن أجل ذا للسيف في نظمها نحر
 أبي الله إلا أن يكون لك الفخر
 وكم راج من عسروها راعيا حصر
 وظاب ولم يحرز له ظفرا ظفر
 تديد وقد أرى على بحرها البحر
 وأقتله البحر الذي جره مصر
 عليها لها في سلم أبراجها وشر
 اليهم كما ينقض في حلق نسر
 لناظرها يوما وفي قلبها صخر
 فلابج يستعصي عليه ولا قصير
 اذا ما تشقت في ضمير الثرى سر
 ولم يبك من دون البنايا لها مسر
 فللسيف سطر والقيود لها شطر (١)

ولله في أعلاه ملكك في السور
 الا هكذا يا وارت الملك غليك
 نهضت الى عليا طرابلس السور
 وقد ضمها كالطوف الابقيسة
 منعة بكر وهل في جميع مسر
 وكانت بدار السلم تعرف قبلها
 ولما غدت لا فخر مثل افتتاحها
 فكم مر من دهر وط مسر ادى
 وكم ليت غاب راجيا في جيوشه
 ففاجأتها بالجيش كالنور فانشبت
 وظلت لدى بحرین انكادها لها
 كاني المجانيق التي اوترت فحسب
 تحلق في جو السماء وترتمس
 وايسر بعسنا النيران ان بسندت
 لها شرور كالقصر نربي به المسد
 ومن تحتها تلك الثوب كانهم
 غزلتها بالركن فانهد ركنها
 تمسكتهم شاربين غير شربهم

وقال يديع الاشراف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة اولها :

فمن ركبنا هـ إن رأنا وكيه شمس
 هو الشوك واستولى الهندى وانجلى الشر
 جاز الفتح من لاله طلعتها اليسر
 كتاب غير تحتها البيض والمصر
 بروق هـ وانت البدر والثلج البحر
 شديت تأييد يقدّمها الدهر
 ساء بدت ترى كواكبها الزهر
 من الرب أو جيش تقدّمه النسر
 من الخوف أسياف تجرد أو حصر
 ولا شجب الا لأرواحهم قهر

وإن عظام الا الى غيرها حصر
 كما لاج قبل الشمس في الافق الفجر
 صواره انبارة والقنا الزهر

لك الراية السرا يقدّمها النسر
 اذا خلقت في الارض هدت بنود طمس
 وان نشرت مثل الاسفل في وضرس
 وان يمت زرق الهندى سار تحتها
 كان مثار النقى ليل هـ وخلقها
 لها كل يوم هـ أين سار لواؤها
 وغتم بدا في اتر فتح هـ كأنها
 فان رمت حصنا سابقها كئاس
 ففي كل قطر للمدى وحصونهم
 غلا حصن الا وهو حصن لا فخر

وما قلعة الروم التي حزت فتحها
 طليعة ما يأتي من النشيد
 ففجتها بالهيجر كالروض به جسة

(١) درة الاساطير ورقه ١٤٥ والنجوم الزاهرة ٢٢٢/٧ - ٢٢٤

لدى خنصر أو تحت مظلة شخص
سحاب ردي لم يخل من قطره قط
رواعد سخط ويلها النار والصخر
.....

وباحت بها أغفقه وانتهك السر
رجاءهم لو لم يشب قصدهم مكسر
فتوحه غيما قد مضى كله قيسر
تحصل منها الفتح
وإن غيب البصير من ذاك والنسر
تظلمه والأصار أجمها مفسر
ويزني على طاضي النصور بك الممر (١)

أدأوا بها سورا فأضحت كخاتمم
وأرخوا اليها من أكف بحارهم
كان المجانيق التي فمن حولها
.....

وشبت بها النيران حتى تفرقت
فأخذوا بذيل الأسفونك فلكم تجيب
فأعزتها يا أسيف قهرا وهكدا
فيا أشرف الأملاك فزت بشمسزوة
وبشارك أركبت المسيح وأحمسدا
نسر حيث ما تنقار فالأرض كلهمسا
وكم وأبق للندنيا ليحيا بك الهندي

وقال يرثي الملك المنصور بقصيدة أولها :

في نصرة الاسلام حكم يقتضي
ليب الرقاد الى الجهاد وأوجسنا
في هل بعد ذلك تالفنا
ذهبوا كما حكمت سواربه جفنا
من جاغر قد داس خدنا عثرنا
فشدنا على نهر المجرة مشرفنا
يوم الإباء مسلما سنسلمنا
ملك سواء اذا تنبه أو غفنا
وندى وجدد رسم مكره غفنا
وأطان ملتجئا وسامع مفرغنا
ما اقرضا في طاعة أو أسلفنا
بأجل ما كان فيه وأشرنا (١)

ملك مضى لسبيله وسبيلنا
الملك المنصور أكرم من جفنا
سل يوم جده عن الألوف وقد سطنا
وانظر تجد تسعين ألفا منهننا
وغدوا وطاء للورى فلكم تنسنا
والحرقب السالي الذي ساق السما
وافى اليه بخرقة جاءت بسنا
وكذا ظرابله التي لم يرجعنا
ولكم أباد عدو وكم أبدى بسنا
وأقال معتذرا وأغنى راجسنا
بلوبي له عازت يداه وتد منسنا
فتلقت الأملاك كقدم روضنا

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٣٢٣ غوات الوثائق ١٥٥/ ١

(٢) درة الاسلاك ١ ورقة ١٥٠

سبح بمحض الحليمين أسد الدين :

في يوم يغيرا ونالوا منية الظفر
أبا المظفر بالصمصامة الذكبر
على المظفر نفوس الممشر الأشر
قوام الكفر في ذل وفي صفر (١)

إن كان آل الفرنج أدركوا فلحسنا
ففي المظفر شككت الكفر مضاعفا
نالوا بيننا نهابا وانتهبت لنا
واستقودوا الخيل عريا وأعتدت لنا

وسمع نائم قولا يقول قبل فتوحات صلاح الدين الكبرى :

للدن بعد إياسه أن ينصبرا
يطوى الطراز له ويقتل قيصرا (٢)

ملك الصياصي والنجاصي ناصر
وسيفتح البيت المقدس بعد ماسا

وقال آخر بعد هزيمة لويس التاسع عن دمياط :

له من المسلمين شاكبر
بقوده نحونا الشاكبر
أمة عيسى من الذخائبر
مصدرة بالبنون آخبر
ورابع الشرف فهو شامبر
فأشلفت ظنة الأمة سادر
تمشيت من خوفه النواظبر
قد عرفت فهم البصائبر
على شمه كاشن وساحبر
من أرض دمياط غايبر
والسيف ماض والجيش حاضبر
لمثلها ، انه لقسم سادر
من بعد كسر الصليب جابر
من كل علي وكل كاغبر (٣)

تدب للفرنسيين إن كسلا
لأنه محسن اليمن سلا
ساق إلى مصر ما اتنسأه
وأورد المجمع بحر حبيب
أركبهم أدهما شمسلا
ورام بابا هم أممورا
وأذبل القوم دول حبيب
لم تنم أبنارهم ولكن
ولم يقد وقت فيلسوف
فان بعد طالبا لشمسار
فذل البحر نمر فسموه
أعاده الله عن قريش
بجيت لم يبق للنصير
ويستريح السيم فمسم

وقال بعضهم في أخذ عكا :

وزند أوار النار في وسطهم سار
مجوسية الأبرار تمجد للنار (٤)

مرت بعكا بعد تعليق سورهم سار
وتأينتها بعد القنصر قد غسدت

(١) الروضتين ٥٨/١ ، عقد الجطان ج ١٢ ق ١ ورقة ١٩٩

(٢) الروضتين ١٠٤/١

(٣) فوات الوفیات ١٥٧/١

(٤) تاريخ ابن الفرات ١١٥/٨ وجواهر السلوك ٤٨

- (*) **اتابك :** وتكتب أطابك ، أيضا ومعناها : الاب الامير ، وأول من لقب بذلك عماد الدين زنكي صاحب الموصل . (صبح الاعشى ١١/١٦٧)
- (*) **ايبك :** لفظة تركية معناها الامير القمر ، (آى : القمر ، بك الامير) (أحمد العبادى ، قيام دولة السالك الاولى ١٠٩)
- (*) **البركوس :** جمعها : براكيس : نوع من السفن التي كانت تستعمل في الدروب بين الشرق والغرب في مياه البحر الابيض المتوسط في الحصور الوسطى وهي أصغر حجما من البطسة ، وحمولة البركوس الواحد حوالي خمسة وعشرين رجلا وهي مأخوذة عن الايطاليين Barcoro (ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشيال ص ١٤٤)
- (*) **الباشورة :** جمعها بواشير : الدائط الظاهري من الحصن يخفي وراءه الجنود عند القتال (ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشيال ص ١٥٣)
- (*) **البطسة : أو البطسة ،** ويقال أحيانا بطشة أو بطشة ، وقد تحرف الى بسطة وسطسة والجمع بطس ويطسات ، ويطشات وطرش ، مأخوذة عن الإسبانية ومعناها السفينة الكبيرة ، تستخدم أصلا للحرب ، وقد تستخدم لنقل التجاره ، تتسع في العادة الى ما بين ٣٠٠ - ٧٠٠ مقاتل (ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشيال ص ٤٨)
- (*) **البيزنسة :** جمعها البيزن ، وهي الخوذة من الحديد تلبس على الرأس لوقايتها (الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٣)
- (*) **تركبلي :** لفظة يونانية معناها سلالة الترك (مخرج الكروب نشر الشيال ج ٢ ص ١٤٨)
- (*) **الجرج :** مأخوذة عن الفارسية ، والجمع جرج ، وهو نوع من القوس الرامي الذي ترمى عنه الشباب أو النفط ، وهناك أربعة أنواع للقوس الرامي السدي يشبه المنجنيق ، وهي قوس الزباد ، والقوس المتقاد ، والجرج ، وهو يصنع من القرن ، وقوس الرجل ويقال للذي يرمي عن قومه السدي أو النفط (الجرجي) (النوادر السلطانية ص ٤٢ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٣٦)
- (*) **الجريدة :** الفرقة من الصماكر الخيالة لا راجل فيها ، وخرج الجند جريدة أي مسرعين من غير أثقال (الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٧٢)
- (*) **الجاليش :** في الاصل معناها الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر ، ثم أطلق اللفظ على مقدمة القلب في الجيوش أو على الطليع (النوادر السلطانية ٦٢)
- (*) **الجنائب :** في الاصل الخيول التي كانت تسير وراء السلطان أو الامير في الحروب استعدادا لاحتفال العاجية (الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٤٥)

(*) الاحداث : جماعات مسلحة من أهل المدن ، عظم شأنهم في بلاد الشام ، وخاصة في دمشق وحلب ، وأصبحوا ذوي الكلمة الأولى في الدفاع عن دمشق في عهد آل طشتكين ، كما أصبح لهم سنوول يدعى رئيس الاحداث أو رئيس البلد ، يقرأ اختياره حاكم المدينة (عماد الدين خليل - عماد الدين زنكي ص ١٢٨)

(*) الحماله : الجمع : حملات ، وهي نوع من السفن المخصصة لنقل مؤونة البعثات وأزواده ، والصناع ، والخدم الملحقين بالجيش والاسطول ، كما تستعمل في نقل الخيول (النوادر السلطانية ١٤٠)

(*) الحركة : الجمع الحركات - لفظ فارسي ، وهي نوع من الخيام تتكون من قطع من الخشب معقود بينهما على شكل قبة ، وتستخدمها قطع من اللب - (النوادر السلطانية ١٤٠)

(*) دبابه : جاء في اللسان : الدبابه : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ، ويقرونها من الحصن لينقبوه ، وتقيهم ما يرمون به من فوقهم سميت بذلك لأنها تدفع فتدب ، ومن حديث عمر ، قال : كيف تصنعون بالحصون ، قالوا : تتخذ دبابات يدخل فيها الرجال ، وبناء فسي وصفها ، بأنها آلة سائرة تتخذ من الخشب الشخين المتلزز ، وتختلف باللبود والجلود المنقعة في الدخ لدفع النار ، وتركب على عجل مستدير وتحرك وتحرك فتجبر ، وربما جعلت برجاً من الخشب ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر (النوادر السلطانية ص ٤٢)

(*) الديوس : آلة من حديد ذات أضلاع (عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ص ٢٠٥)

(*) الرباط : في الأصل مكان تجمع السجاء من المتطوعين لقتال العدو على الحدود صار في أيام الأيوبيين مكاناً يتفق فيه للعبادة (الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٢)

(*) الزراق : والجمع زراقون - وهو الذي يرمي النفط من الزرقات ، وهي أنبوب خاصة يزرى بها النفط ، وتنبعث منها نار النفط بأرصاد ودخان شديد فحرق السفن (النوادر السلطانية ١١٨)

(*) الزنبورك : الجمع زنبوركات - قد تعني نوعاً من القسي التي ترمى منها السهام ، وقد تعني نوعاً من السهام ذاتها ، ويكون في سمك الأبرام ، وفي طول الذراع ، وله أربعة أوجه ، وطرفه من الحديد ، وهو مريش ليكون في انطلاقه أكثر ثباتاً وحشماً سقط فإنه موكد الاصابة ، وقد يخترق الزنبورك أحياناً - في رمية واحدة - جسمي رجلين اثنين وقف أحدهما خلف الآخر ، وأخترق في الوقت نفسه درع الجندي ومدرسه ، ثم نفذ بعد ذلك واستقر في الأرض ، وقد يصيب أحجار الاسوار ... (النوادر السلطانية ص ١٤٨ - ١٤٩)

- (*) الستائر : من أهم المعدات عند المسلمين في الحصور الوسطى ، تتخذ من الجلود واللبود المبلولة بالخل ، لوقاية الحصون والقلاع من قسدها ، النفط (مفرج الكرب ٢/٣٠٢)
- (*) الأسطول : وقد يرسم في المراجع العربية أسطول أو سطول - والجمع أساطيل - كلمة يونانية الأصل ، وتطلق في المراجع العربية على السفن الحربية أو السفينة الواحدة ، ويقال للجندي الذي يعمل في الأسطول (أسطولي) . (النوادر السلطانية ص ٨٤)
- (*) الشحنة : الأصل فيها تطلق على مجموعة الخيل التي تحفظ البلد ، ولكنها أُلحقت على رئاسة الشرطة أو الأمير المشت على حراسيتها ، ويقال الشحنة والجمع على شحن ، وشحاني . (النوادر السلطانية ص ٧٣)
- (*) الشيني : أو الشاني أو الشينية أو الشونه . والجمع شواني - السفينة الحربية الكبيرة ، وهي أهم القطع الكبيرة التي كان يتكون منها الأسطول فسي الدولة الإسلامية ، وتتسع لمائة وخمسين جندياً بأسلحتهم ، وقيل أنها تسير بمائة وأربعين مجداً . (النوادر السلطانية ص ٤٨)
- (*) الطريدة : ويقال الطراد أو الطردة أو التطريدة . والجمع طرائد ، وهي سفينة يرسم حمل الخيل ، وأكثرها يحمل فيها أربعون فارساً (النوادر السلطانية ص ٤٨)
- (*) الملوات : والطاقيات جمع ملاقة ، وهي يطلق على نوعين من السلاح : الأول : نوع من التروس بحمله الجندي لحماية نفسه أثناء القتال الثاني : آلة عربية مكونة من جملة من الألواح الخشبية تستخدم كتراميل يخفي الجنود الرماح والصخور خلفها (النوادر السلطانية ص ١٢٨)
- (*) الدلب : لفظ كردي معناه الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال ، ويطلق كذلك على قائد المائة أو السبعين ، وكان أول ما استعمل اللفظ بعصر والنام أيام صانع الدين (النوادر السلطانية ص ٢٤ ، ٦٢ جب اصلاح الدين الايوبي ص ١٦١)
- (*) الكبش : آلة حرب متصلة بالدبابة لها رأس ضخم وقرنان ، تدفعها الجنود نحو الاسوار لتهدمها ، والجمع كباش ، وكبوش وأكبش (الروضتين ج ١ ص ٢)
- (*) الكوسبات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يندى بأحدها على الآخر بإتباع مخصوص ، ومن يتولى ذلك يسمى الكوسبي ، وكانت تسمى أيضاً بالطبلخانة (النوادر السلطانية ص ٢٠)
- (*) القنطاريات : نوع من الرماح وهي لفظ من أصل يوناني ، سميت هكذا لأنها تصنع من الخشب الذي يحمل هذا الاسم باليونانية (مفرج الكرب ١/١٨٣)

- (*) القومـة : تعريب حرفي للفظة اللاتينية (Comes) أى الأمير ، ومعناها
الأصلي في اللاتينية (الرفيى) لأنه كان في بداية الأمر يرافق الملك في
حروبه وتنقلاته ، وتعريبها ، كند ، كد ، وتجمع على كندـــــــــــــــود
(النوادر السلطانية ٧٧ والباهر ص. ٤١)
- (*) اللآمة : الدرع ، وقيل السلاح ، وقيل الدرع الحصينة ، سميت لآمة لأحكامها
وجودة حلقاتها ، وقيل السلاح كله ، ولآمة الحرب : أداته وجمعها
لآم ولوهم (النوادر السلطانية ص. ٨٨)
- (*) المنجنيق : بفتح الميم وكسرهما - أو المنجنوق ، والجمع منجانيق ، ومنجانيق
ومنجنقات ، لفظ أعجمي معرب ، وهو آلة الحصار في الحصور الوسطى
يقوم مقام المدفع الدالي ، وإن كانت قدائفه من الحجارة ، وصفممه
الفلقشندى بأنه : آلة من خشب له دفتان قائمتان ، بينهما سرج طويل
رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجمل كفة المنجنيق التي يجعل فيها
الحجر ، يجذب حتى ترتفع أساقفه على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه
الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا إلا أهلكه .
(صحيح الأعشى ٤٤ / ٢) (النوادر السلطانية ٢٦)
- (*) النيل أو السهام : واحدته نشابة ، والنشابة والنشابة قوم يرمون بالنشاب ، وشترط فيها
أن تكون صحيحة الاعتدال والاستدارة والقتل والثقل والخفة ، وأمسها
طلوله وقصره فحسب مقادير الرامي (النوادر السلطانية ٦٣)
- (*) النعجـاه : بالهاء ، خنجر مقوس يشبه السيف القصير ، وهو معرب اللفظ الفارسي
(نيمجه) ، ويقال أيضا : نمجا ، ونمجه ، ونمشا ، ونمشـــــــــــــــــــــــــــــــــه
(النوادر السلطانية ص. ٧٩)
- (*) الوطـاش : لفظ معرب عن التركية ومعناه الخيمة ، أو مجموعة الخيام ، أو المعسكر
أو الخرفة (النوادر السلطانية ١٢٩)
- (*) اليزك : لفظ فارسي معناه طلائع الجيش . (الروضتين ج ١ ق ١ ص. ١٤٢) ، النوادر
السلطانية ص. ١٠)
- (*) اليلـسب : القوس ، أو الدرع من الجلود أو جلود يخرز بعضها إلى بعض لتلبس
على الرؤوس خاصة (الروضتين ج ١ ق ١ ص. ١٥٣)

ثالثا : جدول بتحويل السنوات المجرية الى ميلادية ٥٢٩

السنة المجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٤٥٠	٢٨	٢	١٠٥٨
٤٥١	١٧	٢	١٠٥٩
٤٥٢	٦	٢	١٠٦٠
٤٥٣	٢٦	١	١٠٦١
٤٥٤	١٥	١	١٠٦٢
٤٥٥	٤	١	١٠٦٣
٤٥٦	٢٥	١٢	١٠٦٣
٤٥٧	١٣	١٢	١٠٦٤
٤٥٨	٣	١٢	١٠٦٥
٤٥٩	٢٢	١١	١٠٦٦
٤٦٠	١١	١١	١٠٦٧
٤٦١	٣١	١٠	١٠٦٨
٤٦٢	٢٠	١٠	١٠٦٩
٤٦٣	٩	١٠	١٠٧٠
٤٦٤	٢٩	٩	١٠٧١
٤٦٥	١٧	٩	١٠٧٢
٤٦٦	٦	٩	١٠٧٣
٤٦٧	٢٧	٨	١٠٧٤
٤٦٨	١٦	٨	١٠٧٥
٤٦٩	٥	٨	١٠٧٦
٤٧٠	٢٥	٧	١٠٧٧
٤٧١	١٤	٧	١٠٧٨
٤٧٢	٣	٧	١٠٧٩
٤٧٣	٢٢	٦	١٠٨٠
٤٧٤	١١	٦	١٠٨١
٤٧٥	١	٦	١٠٨٢
٤٧٦	٢١	٥	١٠٨٣
٤٧٧	١٠	٥	١٠٨٤
٤٧٨	٢٩	٤	١٠٨٥
٤٧٩	١٨	٤	١٠٨٦
٤٨٠	٨	٤	١٠٨٧
٤٨١	٢٧	٣	١٠٨٨
٤٨٢	١٦	٣	١٠٨٩

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٤٨٣	٦	٣	١٠٩٠
٤٨٤	٢٣	٢	١٠٩١
٤٨٥	١٢	٢	١٠٩٢
٤٨٦	١	٢	١٠٩٣
٤٨٧	٢١	١	١٠٩٤
٤٨٨	١١	١	١٠٩٥
٤٨٩	٣١	١٢	١٠٩٥
٤٩٠	٢١	١٢	١٠٩٦
٤٩١	٩	١٢	١٠٩٧
٤٩٢	٢٨	١١	١٠٩٨
٤٩٣	١٧	١١	١٠٩٩
٤٩٤	٦	١١	١١٠٠
٤٩٥	٢٦	١٠	١١٠١
٤٩٦	١٥	١٠	١١٠٢
٤٩٧	٥	١٠	١١٠٣
٤٩٨	٢٣	٩	١١٠٤
٤٩٩	١٢	٩	١١٠٥
٥٠٠	٢	٩	١١٠٦
٥٠١	٢٢	٨	١١٠٧
٥٠٢	١١	٨	١١٠٨
٥٠٣	٣١	٧	١١٠٩
٥٠٤	٢٠	٧	١١١٠
٥٠٥	١٠	٧	١١١١
٥٠٦	٢٨	٦	١١١٢
٥٠٧	١٨	٦	١١١٣
٥٠٨	٧	٦	١١١٤
٥٠٩	٢٧	٥	١١١٥
٥١٠	١٦	٥	١١١٦
٥١١	٥	٥	١١١٧
٥١٢	٢٤	٤	١١١٨
٥١٣	١٣	٤	١١١٩
٥١٤	٢	٤	١١٢٠
٥١٥	٢٢	٣	١١٢١
٥١٦	١٢	٣	١١٢٢
٥١٧	١	٢	١١٢٣

السنة المجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٥١٨	١٩	٢	١١٢٤
٥١٩	٧	٢	١١٢٥
٥٢٠	٢٧	١	١١٢٦
٥٢١	١٧	١	١١٢٧
٥٢٢	٦	١	١١٢٨
٥٢٣	٢٥	١٢	١١٢٨
٥٢٤	١٥	١٢	١١٢٩
٥٢٥	٤	١٢	١١٣٠
٥٢٦	٢٣	١١	١١٣١
٥٢٧	١٢	١١	١١٣٢
٥٢٨	١	١١	١١٣٣
٥٢٩	٢٢	١٠	١١٣٤
٥٣٠	١١	١٠	١١٣٥
٥٣١	٢٩	٩	١١٣٦
٥٣٢	١٩	٩	١١٣٧
٥٣٣	٨	٩	١١٣٨
٥٣٤	٢٨	٨	١١٣٩
٥٣٥	١٧	٨	١١٤٠
٥٣٦	٦	٨	١١٤١
٥٣٧	٢٧	٧	١١٤٢
٥٣٨	١٦	٧	١١٤٣
٥٣٩	٤	٧	١١٤٤
٥٤٠	٢٤	٦	١١٤٥
٥٤١	١٣	٦	١١٤٦
٥٤٢	٢	٦	١١٤٧
٥٤٣	٢٢	٥	١١٤٨
٥٤٤	١١	٥	١١٤٩
٥٤٥	٣٠	٤	١١٥٠
٥٤٦	٢٠	٤	١١٥١
٥٤٧	٨	٤	١١٥٢
٥٤٨	٢٩	٣	١١٥٣
٥٤٩	١٨	٣	١١٥٤
٥٥٠	٧	٣	١١٥٥
٥٥١	٢٥	٢	١١٥٦
٥٥٢	١٣	٢	١١٥٧

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٥٥٣	٢	٢	١١٥٨
٥٥٤	٢٣	١	١١٥٩
٥٥٥	١٢	١	١١٦٠
٥٥٦	٣١	١٢	١١٦٠
٥٥٧	٢١	١٢	١١٦١
٥٥٨	١٠	١٢	١١٦٢
٥٥٩	٣٠	١١	١١٦٣
٥٦٠	١٨	١١	١١٦٤
٥٦١	٧	١١	١١٦٥
٥٦٢	٢٨	١٠	١١٦٦
٥٦٣	١٧	١٠	١١٦٧
٥٦٤	٥	١٠	١١٦٨
٥٦٥	٢٥	٩	١١٦٩
٥٦٦	١٤	٩	١١٧٠
٥٦٧	٤	٩	١١٧١
٥٦٨	٢٣	٨	١١٧٢
٥٦٩	١٢	٨	١١٧٣
٥٧٠	٢	٨	١١٧٤
٥٧١	٢٢	٧	١١٧٥
٥٧٢	١٠	٧	١١٧٦
٥٧٣	٣٠	٦	١١٧٧
٥٧٤	١٩	٦	١١٧٨
٥٧٥	٨	٦	١١٧٩
٥٧٦	٢٨	٥	١١٨٠
٥٧٧	١٧	٥	١١٨١
٥٧٨	٧	٥	١١٨٢
٥٧٩	٢٦	٤	١١٨٣
٥٨٠	١٤	٤	١١٨٤
٥٨١	٤	٤	١١٨٥
٥٨٢	٢٤	٣	١١٨٦
٥٨٣	١٣	٣	١١٨٧
٥٨٤	٢	٣	١١٨٨
٥٨٥	١٩	٢	١١٨٩
٥٨٦	٨	٢	١١٩٠
٥٨٧	٢٩	١	١١٩١

من السنة الميلادية	شهر	تبدأ يوم	السنة المجرية
١١٩٢	١	١٨	٥٨٨
١١٩٣	١	٧	٥٨٩
١١٩٣	١٢	٢٧	٥٩٠
١١٩٤	١٢	١٦	٥٩١
١١٩٥	١٢	٦	٥٩٢
١١٩٦	١١	٢٤	٥٩٣
١١٩٧	١١	١٣	٥٩٤
١١٩٨	١١	٣	٥٩٥
١١٩٩	١٠	٢٣	٥٩٦
١٢٠٠	١٠	١٢	٥٩٧
١٢٠١	١٠	١	٥٩٨
١٢٠٢	٩	٢٠	٥٩٩
١٢٠٣	٩	١٠	٦٠٠
١٢٠٤	٨	٢٩	٦٠١
١٢٠٥	٨	١٨	٦٠٢
١٢٠٦	٨	٨	٦٠٣
١٢٠٧	٧	٢٨	٦٠٤
١٢٠٨	٧	١٦	٦٠٥
١٢٠٩	٧	٦	٦٠٦
١٢١٠	٦	٢٥	٦٠٧
١٢١١	٦	١٥	٦٠٨
١٢١٢	٦	٣	٦٠٩
١٢١٣	٥	٢٣	٦١٠
١٢١٤	٥	١٣	٦١١
١٢١٥	٥	٢	٦١٢
١٢١٦	٤	٢٠	٦١٣
١٢١٧	٤	١٠	٦١٤
١٢١٨	٣	٣٠	٦١٥
١٢١٩	٣	١٩	٦١٦
١٢٢٠	٣	٨	٦١٧
١٢٢١	٢	٢٥	٦١٨
١٢٢٢	٢	١٥	٦١٩
١٢٢٣	٢	٤	٦٢٠
١٢٢٤	١	٢٤	٦٢١
١٢٢٥	١	١٣	٦٢٢

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
١٢٢٣	٢	١	١٢٢٦
١٢٢٤	٢٢	١٢	١٢٢٦
١٢٢٥	١٢	١٢	١٢٢٧
١٢٢٦	٣٠	١١	١٢٢٨
١٢٢٧	٢٠	١١	١٢٢٩
١٢٢٨	٩	١١	١٢٣٠
١٢٢٩	٢٩	١٠	١٢٣١
١٢٣٠	١٨	١٠	١٢٣٢
١٢٣١	٧	١٠	١٢٣٣
١٢٣٢	٢٦	٩	١٢٣٤
١٢٣٣	١٦	٩	١٢٣٥
١٢٣٤	٤	٩	١٢٣٦
١٢٣٥	٢٤	٨	١٢٣٧
١٢٣٦	١٤	٨	١٢٣٨
١٢٣٧	٣	٨	١٢٣٩
١٢٣٨	٢٣	٧	١٢٤٠
١٢٣٩	١٢	٧	١٢٤١
١٢٤٠	١	٧	١٢٤٢
١٢٤١	٢١	٦	١٢٤٣
١٢٤٢	٩	٦	١٢٤٤
١٢٤٣	٢٩	٥	١٢٤٥
١٢٤٤	١٩	٥	١٢٤٦
١٢٤٥	٨	٥	١٢٤٧
١٢٤٦	٢٦	٤	١٢٤٨
١٢٤٧	١٦	٤	١٢٤٩
١٢٤٨	٥	٤	١٢٥٠
١٢٤٩	٢٦	٣	١٢٥١
١٢٥٠	١٤	٣	١٢٥٢
١٢٥١	٣	٣	١٢٥٣
١٢٥٢	٢١	٢	١٢٥٤
١٢٥٣	١٠	٢	١٢٥٥
١٢٥٤	٣٠	١	١٢٥٦
١٢٥٥	١٩	١	١٢٥٧
١٢٥٦	٨	١	١٢٥٨
١٢٥٧	٢٩	١٢	١٢٥٨

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
١٥٨	١٨	١٢	١٢٥٩
١٥٩	٦	١٢	١٢٦٠
١٦٠	٢٦	١١	١٢٦١
١٦١	١٥	١١	١٢٦٢
١٦٢	٤	١١	١٢٦٣
١٦٣	٢٤	١٠	١٢٦٤
١٦٤	١٣	١٠	١٢٦٥
١٦٥	٢	١٠	١٢٦٦
١٦٦	٢٢	٩	١٢٦٧
١٦٧	١٠	٩	١٢٦٨
١٦٨	٣١	٨	١٢٦٩
١٦٩	٢٠	٨	١٢٧٠
١٧٠	٩	٨	١٢٧١
١٧١	٢٩	٧	١٢٧٢
١٧٢	١٨	٧	١٢٧٣
١٧٣	٧	٧	١٢٧٤
١٧٤	٢٧	٦	١٢٧٥
١٧٥	١٥	٦	١٢٧٦
١٧٦	٤	٦	١٢٧٧
١٧٧	٢٥	٥	١٢٧٨
١٧٨	١٤	٥	١٢٧٩
١٧٩	٣	٤	١٢٨٠
١٨٠	٢٢	٤	١٢٨١
١٨١	١١	٤	١٢٨٢
١٨٢	١	٤	١٢٨٣
١٨٣	٢٠	٣	١٢٨٤
١٨٤	٩	٣	١٢٨٥
١٨٥	٢٧	٢	١٢٨٦
١٨٦	١٦	٢	١٢٨٧
١٨٧	٦	٢	١٢٨٨
١٨٨	٢٥	١	١٢٨٩
١٨٩	١٤	١	١٢٩٠
١٩٠	٤	١	١٢٩١

١- السلاجقة

(أ) سلاطين السلاجقة العظام

١١٠٤ - ١٠٩٤	بركيارق بن ملكشاه	١٠٦٣ - ١٠٣٧	طغرل بك
١١١٨ - ١١٠٤	محمد بن ملكشاه	١٠٧٢ - ١٠٦٣	ألب أرسلان
١١٥٧ - ١٠٩٦	أحمد سنجر بن ملكشاه	١٠٩٢ - ١٠٧٢	ملكشاه بن ألب أرسلان
		١٠٩٤ - ١٠٩٢	محمود بن ملكشاه

(ب) سلاجقة العظام - راق

١١٥٩ - ١١٥٣	محمد بن محمود	١١٣١ - ١١١٨	محمود بن محمد بن ملكشاه
١١٦١ - ١١٥٩	سليمان شاه بن محمد	١١٣١	أود بن محمود
١١٧٧ - ١١٦١	أرسلان شاه بن طغرل	١١٣٣ - ١١٣٢	طغرل الأول بن محمد
١١٩٤ - ١١٧٧	طغرل الثاني بن أرسلان شاه	١١٥٢ - ١١٣٣	محمود بن محمد
		١١٥٢	ملكشاه بن محمود

(ج) سلاجقة الشام

١١١٤ - ١١١٣ (بحلب)	ألب أرسلان بن رضوان (بحلب)	١٠٩٤	تتشر بن ألب أرسلان
١١١٧ - ١١١٤ (بحلب)	سلطان شاه بن رضوان (بحلب)	١١١٣ - ١٠٩٥	رضوان بن تتشر (بحلب)
		١١٠٣ - ١٠٩٤	دقاني بن تتشر (بدمشق)

(د) سلاجقة الروم بأسماء الصغرى

١٢١٠ - ١٢٠٤	كيخسرو الأول (مرة ثانية)	١٠٨٦ - ١٠٨١	سليمان بن قتلмыш
١٢١٦ - ١٢١٠	كيكاوس الأول بن كيوخسرو الأول	١١٠٧ - ١٠٩٢	قلج أرسلان الأول
١٢٣٦ - ١٢١٦	كيقباد الأول بن كيوخسرو الأول	١١١٦ - ١١٠٧	ملكشاه الأول بن قلج أرسلان
١٢٤٥ - ١٢٣٦	كيخسرو الثاني بن كيقباد الأول	١١٥٦ - ١١١٦	مسعود الأول بن قلج أرسلان
١٢٥٧ - ١٢٤٥	كيكاوس الثاني بن كيوخسرو الثاني	١١٨٨ - ١١٥٦	قلج أرسلان الثاني
١٢٦٧ - ١٢٥٧	قلج أرسلان الرابع بن كيوخسرو الثاني	١١٩٢ - ١١٨٨	ملكشاه الثاني
١٢٨٣ - ١٢٦٧	كيخسرو الثالث بن قلج أرسلان الرابع	١٢٠٠ - ١١٩٢	كيخسرو الأول
١٢٩٦ - ١٢٨٣	مسعود الثاني بن كيكاف الثالث	١٢٠٣ - ١٢٠٠	سليمان شاه الثاني بن قلج أرسلان
١٣٠٠ - ١٢٩٦	كيقباد الثالث	١٢٠٤ - ١٢٠٣	قلج أرسلان الثالث بن سليمان شاه

(٢) بنو ارتق

(أ) الارتقه في حصن كيفا ثم في آمد

١١٨٥ - ١١٧٤	١١٠٤ - ١١٠١ محمد بن قرا أرسلان	سقمان الاول بن ارتق
١٢٠٠ - ١١٨٥	١١٠٨ - ١١٠٤ سقمان الثاني بن محمد	ابراهم بن سقمان
١٢٢٢ - ١٢٠٠	١١٤٨ - ١١٠٨ محمود بن محمد	داود بن سقمان
١٢٣١ - ١٢٢٢	١١٧٤ - ١١٤٨ مودود بن محمود	قرا أرسلان بن داود

(ب) الارتقه في مارد بستان

١٢٠٠ - ١١٨٤	١١٢٢ - ١١٠٨ بولق أرسلان بن ايلغازي الثاني	ايلغازي الاول بن ارتق
١٢٣١ - ١٢٠٠	١١٥٢ - ١١٢٢ ارتق أرسلان بن ايلغازي الثاني	تمرتاش بن ايلغازي
١٢٥٩ - ١٢٢٢	١١٧٦ - ١١٥٢ غازي الاول بن ارتق أرسلان	ألبی بن تمرتاش
١٢٥٩ - ١٢٣١	١١٨٤ - ١١٧٦ قرا أرسلان بن غازي الاول	ايلغازي الثاني بن ألبی

(٣) بنو زنكسي

(أ) أتابكة الموصل

١٢١٠ - ١١٩٣	١١٤٦ - ١١٢٧ نور الدين أرسلان شاه الاول بن مسعود	عماد الدين زنكي بن آقسنقر
١٢١٨ - ١٢١٠	١١٤٩ - ١١٤٦ عز الدين مسعود الثاني بن أرسلان شاه	سيف الدين غازي الاول بن زنكي
١٢١٨ - ١٢١٠	١١٢٠ - ١١٤٩ نور الدين أرسلان شاه الثاني بن مسعود الثاني	قطب الدين مودود بن زنكي
١٢١٢ - ١٢١٠	١١٧٦ - ١١٢٠ ناصر الدين محمود بن عز الدين بن مسعود الثاني	سيف الدين غازي الثاني بن مودود
١٢٣٢ - ١٢١٢	١١٩٣ - ١١٧٦ عز الدين مسعود الاول بن مودود	عز الدين مسعود الاول بن مودود
١٢٥٩ - ١٢٣٢	بد الدين لؤلؤ وابن مكرم الدين اسماعيل	

(ب) أتابكة الشام

١١٨١ - ١١٧٤	١١٢٤ - ١١٤٦	الصادق نور الدين محمود بن زنكسي
١١٨٢ - ١١٨١	١١٧٤ - ١١٥٤	في حلب بن زنكسي
		في دمشق

(٤) بنو ايوب

(أ) الايوبون في مصر

١٢٢٨ - ١٢١٨	الكامل (الاول) محمد	١١٧٤ - ١١٩٣	الناصر صلاح الدين يوسف
١١٤٠ - ١١٣٨	الصادق (الثاني) ابوبكر	١١٩٨ - ١١٩٣	الحزب عماد
١٢٤١ - ١٢٤٠	الصالح ايسوب	١١٩٩ - ١١٩٨	المنصور محمد
١٢٥٠ - ١٢٩٠	المعظم توران شاه	١٢١٨ - ١١٩٩	الصادق (الاول) لحمد

(ب) الايوبون في دمشق

١١٢٨	الكامل الاول محمد	١١٩٣ - ١١٩٦	الافضل نور الدين علي
١١٣٦ - ١١٣٨	الصادق الثاني ابوبكر	١١٩٦	الصادق (الاول) احمد
١١٣٩	الصالح نجم الدين ايوب (المره الاولى)	١١١٨ - ١٢٢٧	المعظم عيسى
١٢٤٥ - ١١٢٩	الصالح اسماعيل (المره الثاني)	١٢١٧ - ١٢١٩	الناصر دود
١٢٤٦ - ١٢٤٥	الصالح نجم الدين ايوب (المره الثانيه)	١١١٩ - ١١٣٧	الاشرف موسى
١٢٥٠ - ١١٤٦	المعظم توران شاه (صاحب مصر)	١١٣٧ - ١١٣٧	الصالح اسماعيل (المره الاولى)

(ج) الايوبون في حلب

١١٣٦ - ١١١٦	السيزر محمد	١١٨٦ - ١١٨٣	الصادق الاول احمد
١١٤٠ - ١١٣٦	الناصر (الثاني) يوسف	١١١٦ - ١١٨٦	الناصر غازي الاول

(د) الايوبون في حمص

١٢٤٦ - ١١٤٠	المنصور ابراهيم	١١٨٦ - ١١٧٨	القاهر محمد بن شيركوه
١٢٤٦ - ١٢٤٣	الاشرف موسى الثاني	١١٨٦ - ١١٤٠	الناصر شيركوه الثاني

(هـ) الايوبون في حماه

١٢٤٤ - ١٢٢٩	المظفر الثاني محمود	١١٧٨ - ١١٩١	المظفر الاول عمر
١٢٤٤ - ١٢٨٤	المنصور الثاني محمد	١١٩١ - ١٢١٠	المنصور الاول محمد
		١٢١٩ - ١٢٢٠	الناصر فلاح ارسلان

١٢٢٠ - ١٢١٠	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب	١١٨٥	الاشرف الاول موسى
١٢٤٤ - ١٢٢١	الحادل سيف الدين أبو بكر	١١٩٤ - ١١٩٩	المظفر شهاب الدين غازي
١٢٦٠ - ١٢٤٤	الواحد نجم الدين أيوب	١١٩٩ - ١٢١٠	الكامل الثاني ناصر الدين محمد

(٥) سلاطين المماليك في مصر

(أ) دولة المماليك البحريه			
١٢٥٠	السعيد ناصر الدين محمد بن بركة	١٢٧٧	شجرة الدر
١٢٥٠	خان		المعز عز الدين أيك
١٢٥٧	الحادل بدر الدين سلامش	١٢٧٩	المنصور نور الدين علي بن أيك
١٢٥٩	المنصور سيف الدين قلاوون	١٢٨٩	المظفر سيف الدين قطز
١٢٦٠ (الاول)	الاشرف صلاح الدين خليل	١٢١٠	الظاهر ركن الدين بيبرس (الاول)

(٦) ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية

١١٩٧ - ١١٩٢	جودفري دي بوايون (وصي على الدولة)	١١٠٠ - ١١٠٠	هنري دي شامبني
١٢٠٥ - ١١٩٧	يلدوين الاول (اول ملك متوج)	١١١٨ - ١١٠٠	عموري الثاني
١٢١٠ - ١٢٠٥	يلدوين الثاني	١١٣١ - ١١١٨	ماري (ابنة كونراد تحت الوصاية)
١٢٢٤ - ١٢١٠	فولك الانجوي	١١٤٤ - ١١٣١	حنادي برين
١٢٤٠ - ١٢٢٤	يلدوين الثالث	١١٦٢ - ١١٤٤	الامبراطور فردريك الثاني
١٢٥٤ - ١٢٤٠	عموري الاول	١١٧٣ - ١١٦٢	كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك اسمي)
١٢٦٨ - ١٢٥٤	يلدوين الرابع	١١٨٥ - ١١٧٣	كونرادين (ملك اسمي)
١٢٨٤ - ١٢٦٩	يلدوين الخامس	١١٨٦ - ١١٨٥	هيو الثالث ملك قبرس (الثاني)
١٢٨٥ - ١٢٨٤	جاي لوزجنان	١١٩٢ - ١١٨٦	حناء الاول ملك بيت المقدس
١٢٨٦ - ١٢٨٦	كونراد دي مونتفرا	١١٩٢	هنري الثالث ملك قبرس (الثاني)

(٧) امراء أنطاكية النورمندان

١٢٠١ - ١١٦٣	يوهيموند الاول	١١٠٤ - ١٠٩٨	يوهيموند الثالث
١٢١٦ - ١٢٠١	تفكرد	١١١٢ - ١١٠٤	يوهيموند الرابع
١٢١٩ - ١٢١٦	روجردى مالبينو	١١١٩ - ١١١٢	ريموند رويان
١٢٢٢ - ١٢١٩	يوهيموند الثاني	١١٣٠ - ١١٢٦	يوهيموند الرابع (مرة ثانية)
١٢٥١ - ١٢٣٤	ريموند دي بواتيه	١١٤٩ - ١١٣٦	يوهيموند الخامس
١٢٦٨ - ١٢٥١	ريجنالد دي شامبون (أرناط)	١١٦٠ - ١١٥٣	يوهيموند السادس

١١٨٢-١١٥٢	ريموند الثالث	١١٠٥-١١٠٢	ريموند الاول (المنجيل)
١٢١٣-١١٨٧	بوهيموند الرابع (+ أنطاكية)	١١٠٨-١١٠٥	وليم جوردان
١٢٥١-١٢٣٣	بوهيموند الخامس (+ أنطاكية)	١١١٣-١١٠٨	برتراند
١٢٧٥-١٢٥١	بوهيموند السادس (+ أنطاكية)	١١٣٧-١١١٣	يونز
١٢٨٧-١٢٧٥	بوهيموند السابع	١١٥٢-١١٣٧	ريموند الثاني

(٩) أمراء أرمينية الصغرى

١١٧٥-١١٧٠	ملح	١٠٦٠ +	رومان الاول
١١٨٧-١١٧٥	رومان الثالث	١١٠٠ +	قسطنطين الاول
١٢١١-١١٨٧	ليون الثاني	١١٢٩-١١٠٠	ثيودور الاول
	(تزوجت ايزابيل ابنة ليون الثاني عن ثيودور ميريون)	١١٣٦-١١٢٩	ليون الاول
	الذى أصبح ملكا على أرمينية الصغرى)	١١٦٧-١١٤٤	ثيودور الثاني
		١١٧٠ +	رومان الثاني (تحت الوصاية)

(١٠) ملوك أرمينية الصغرى

		١٢٦٩-١٢٢٩	هيثوم الاول
		١٢٨٩-١٢٧٠	ليون الثالث
		١٢٩٣-١٢٨٩	ثيودور الثاني
		١٢٩٤-١٢٩٣	ثيودور الثالث
		١٢٦٦-١٢٩٤	ثيودور الثاني (مرة أخرى)
		١٢٩٨-١٢٩٧	سبياد
		١٢٩٩-١٢٩٨	قسطنطين الاول

(١١) أباطرة الدولة البيزنطية

١٢٠٤-١٢٠٣	اسحق الثاني + الكسبروس الرابع	١١١٨-١٠٨١	الكسبروس الاول كومنين
١٢٠٤	الكسبروس الخامس	١١٤٣-١١١٨	حنا الثاني كومنين
١٢٢٢-١٢٠٤	تيودور الاول لا سكارس	١١٨٠-١١٤٣	مانويل الاول كومنين
١٢٠٤-١٢٢٢	حنا الثالث دوقاس	١١٨٣-١١٨٠	الكسبروس الثاني كومنين
١٢٤٨-١٢٠٤	تيودور الثاني لا سكارس	١١٨٥-١١٨٣	اندرونيك الاول كومنين
١٢١١-١٢٤٨	حنا الرابع لا سكارس	١١٩٥-١١٨٥	اسحق الثاني أنجيلوس
١٢٢٢-١٢٥٩	ميخائيل الثامن باليولوجس	١٢٠٣-١١٩٥	الكسبروس الثالث أنجيلوس

المخطوطات :

١. الحكيم الأجد الحسن بن الناصر داود بن عيسى بن نجم الدين أيوب
النوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، مخطوط رقم ٢٢٩٢ أدب ، دار
الكتب المصرية ، القاهرة
٢. ابن الجزري ، محمد بن ابراهيم الجزري ، جواهر السلوك في الخلفاء
 والملوك ، مخطوط رقم ٤٧٥٧٥ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٣. ابن حبيب ، الحسن بن عمر بن حبيب أبو محمد بدر الدين ،
درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ميكروفيلم رقم ٥٣٩ ، الجامعة
الأردنية ، عمان
٤. ابن دنيير ، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن علي اللخمي القابوسي ،
ديوانه ، مخطوط رقم ٨٧٤٤ ، المكتبة الخاضعية ، دمشق
٥. الميني ، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين
الميني ، عقد الجمان من تاريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ١٥٨٤ ،
تاريخ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٦. ابن قاضي شبيبة ، بدر الدين أبو الفضل محمود بن أبي بكر
الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم من مخطوطة دار الكتب
المصرية رقمها ١٢٢٧ تاريخ
٧. ابن القيسراني ، محمد بن نصر بن صغير ، ديوانه ، مخطوط رقم
١٤٨٤ أدب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٨. ابن نباتة ، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ، الجذرائي الفارسي
المصري جمال الدين بن نباتة ، الفاضل من كاتم القاضي الفاضل ،
مخطوط رقم ٢٨٨٢ أدب دار الكتب المصرية ، القاهرة
٩. النويري أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الدائم الترشي الترمسي البكري ،
نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط رقم ٥٤٩ ، منار فاعسة ،
دار الكتب المصرية ، القاهرة

على الآلة الكاتبة :

١٠. عبد الحفيظ محمد علي ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ،
رسالة ماجستير ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥

١١. هادي نهر ، محاركة نور الدين في شعر الحروب الصليبية ، رسالة
ماجستير ، جامعة القاهرة رقم ٩٠٧ ، القاهرة

الكتب المطبوعة :

١٢. ابن الاثير ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
الجزري أبو الفتح شهاب الدين ، رسائل ابن الاثير ، تأنيس المقدسي ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٥٩
١٣. ابن الاثير ، نصر الله بن محمد ، المثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر ، القاهرة ، سنة ١٩٢٩
١٤. ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم بن محمد
بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الكامل في التاريخ ، ط دار صادر
ودار بيروت ، ١٩٦٦
١٥. ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسين ، التاريخ الباهر في الدولة
الأتاكية ، بالدوحة ، تحقيق عبد القادر أحمد باليصات ، دار الكتب
الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢
١٦. أحمد أحمد بدوي ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر
والشام ، ط مكتبة النهضة مصر ، مصر ، سنة ١٩٥٤
١٧. أحمد أحمد بدوي ، صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابتهم ،
دار القلم ، مصر ، سنة ١٩٦٠
١٨. أحمد أحمد بدوي ، تأمين بني أيوب النظام عيسى ، مكتبة
الأنجلو مصرية ، مصر ، سنة ١٩٥٣
١٩. أحمد بيلي المصري ، حياة صلاح الدين ، ط السعادة ، مصر ، سنة
١٩٦٢
٢٠. أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي ، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ،
سنة ١٩٥٥
٢١. أحمد عبد المجيد الدومي ، صلاح الدين الأيوبي ، ط ٢ ، المكتبة
العصرية ، بيروت ، صيدا ، سنة ؟
٢٢. أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩

- ٠٣٦ جب ، السير حاطتون جب ، صلاح الدين : دراسات في التاريخ الاسلامي ، حررها يوسف أنيس ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، سنة ١٩٧٣
- ٠٣٧ جب ، السير حاطتون جب ، المدخل في الادب العربي ، ترجمة كاظم سعد الدين ، العراق ، سنة ١٩٦٩
- ٠٣٨ جوانفيل ، القديس لويس حياته وعملاته على مصر والشام ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف ، ط ١ ، مصر ، سنة ١٩٦٨
- ٠٣٩ ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الثاني الاندلسي الشاطبي البلسعي ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، دار بيروت ، سنة ١٣٨٤ / ١٩٦٤
- ٠٤٠ جودت الركابي ، الادب العربي من الانحلال الى الازدهار ، ط ١ ، مطبعة زيد بن ثابت ، نشر دار الفكر ، دمشق ، سنة ١٣٩٤ / ١٩٧٤
- ٠٤١ حامد ظيم ، النهضة الاسلامية في مصر العروب الصليبية ، مكتبة الشباب القاهرة ، سنة ١٩٧١
- ٠٤٢ حسن حبشي ، العروب الصليبية الاولى ، القاهرة ، سنة ١٩٤٧
- ٠٤٣ حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢
- ٠٤٤ حسين عدوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٧٠
- ٠٤٥ الحسيني ، صدر الدين ابو الحسن علي بن السيد الامام ابو الفوارس نادر بن علي الحسيني ، اخبار الدولة المملوكية ، ت محمد اقبال ، لاهور ، سنة ١٩٦٣
- ٤٦ الحنبلي ، ابن السكيت ابو الفلاح عبد الحفيظ بن احمد بن محمد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتبة التجارية ، بيروت ،
- ٤٧ الحنبلي ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العلوي المقدسي ، الانساب الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجليل بيروت ، سنة ١٩٧٢
- ٠٤٨ ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان ، وفيات الاعيان ، ت احسان مجاسي ، دار الثقافة ، بيروت

- ٥٤٩ ابن الخياط ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن محمد بن
التغلبلي ، ديوان ابن الخياط ، ت. شغليل مردم بك ، مطبعة المجمع
العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٨ / ١٣٧٧
- ٥٥٠ ابن الدهان ، أبو الفرج الموصلي ، ديوان ابن الدهان ، ت. عبد الله
الجبوري ط ١ ، مطبعة المعارف ، بغداد سنة ١٩٦٨ / ١٣٨٨
- ٥٥١ ابن دقاق ، إبراهيم بن محمد ، الانتصار لواسطة عقد الاخصار ،
مطبعة بولاق سنة ١٨٩٣ / ١٣١٠
- ٥٥٢ رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ،
دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٠
- ٥٥٣ رفيع التميمي ، الحروب الصليبية ، مطبعة اللواء ، القدس ، سنة
١٩٤٥
- ٥٥٤ الزركلي ، خير الدين الزركلي ، كتاب الاعلام ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩
- ٥٥٥ زكي مبارك ، النشر الفني في القرن الرابع الهجري ط ٢ ، مطبعة
السعادة ، مصر ، سنة ١٩٥٧
- ٥٥٦ زكي المحاسني ، شعر العرب في أدب العرب ط ٢ ، دار المعارف ،
مصر ، سنة ١٩٧٠
- ٥٥٧ زكي النقاش ، الصلوات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب
والفرنج ، خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،
سنة ١٩٥٨
- ٥٥٨ ابن الماعني ، علي بن أنجب ، الجامع المختصر ، نشر مصافي جواد
مطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، سنة ١٩٣٤ / ١٣٥٣
- ٥٥٩ ابن الساعاتي ، أبو الحسن علي بن رستم بن هردوز ، ديوان
الساعاتي ، ت. أنيس المقدسي ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ،
سنة ١٩٣٨ والجزء الثاني سنة ١٩٣٩
- ٥٦٠ سبط بن التداويدي محمد بن عبد الله ، ديوان سبط بن التداويدي ،
ت. د. س. ، مرجليوت ، مطبعة المقتطف ، مصر ، سنة ١٩٠٣
- ٥٦١ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة دائرة المعارف
العثمانية ، هيدر أباد ، سنة ١٩٥١
- ٥٦٢ ستيفن رسيمن ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله السيد الباز العريني ،
دار الثمانية ، بيروت ، سنة ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩

- ٠٦٣ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥
- ٠٦٤ سعيد عاشور ، حفارة ونظام أورمانا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٦
- ٠٦٥ ابن سناء الملك ، حياة الدين بن جعفر ، ديوان ابن سناء الملك ، ت محمد عبد الحق ، ط ١ ، دائرة المعارف العثمانية ، عيد أبساد الدكة ، الهند ، سنة ١٣٧٧ / ١٩٥٨
- ٠٦٦ سيد قلاب ، النقد الأدبي ، بيروت
- ٠٦٧ سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الغروب الصليبية ، دار الامانة ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٣٩١ / ١٩٧٢
- ٠٦٨ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبوبكر ، حسن الحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ط ١ ، ادارة الودان ، مصر ، سنة ١٣٩٩
- ٠٦٩ شاعر أحمد أبوبدر ، الغروب الصليبية والاسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية اللبنانية ، بيروت ، سنة ١٩٧٧
- ٠٧٠ ابن شاعر الكتبي ، محمد بن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٩٥١
- ٠٧١ أبو شامة القدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل القدسي ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحيية ، ت محمد حلمي أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٦
- ٠٧٢ أبو شامة القدسي ، كتاب الروضتين ، مطبعة دار الجيل ، ط ٢ ، بيروت ، سنة ١٩٧٤
- ٠٧٣ أبو شامة القدسي ، كتاب الذيل على الروضتين ، مطبعة دار الجيل ، ط ٢ ، بيروت ، سنة ١٩٧٤
- ٠٧٤ ابن شاهين الظاهري ، غوث الدين خليل ، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الدارق والممالك ، ت بولس راويش ، مطبعة الجمهورية بباريس ، ١٨٩٤
- ٠٧٥ ابن شاهنشاه الايوبي ، محمد بن تقي الدين عمر ، مضار الحقائق وسر الخلائق ، ت حسن جبري ، دار الهناء ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨

- ٠٧٦ ابن شداد ، النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ، تجمعال الدين الشيبان ، مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٦٤
- ٠٧٧ شرف الدين الانصاري ، ديوانه ، تديره موسى باشا ، مطبعة الهاشمية دمشق ، سنة ١٩٦٧/١٣٨٧
- ٠٧٨ شهاب الدين محمود بن سلطان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي ، حسن التوصل الى صناعة الترسيل ، مطبعة أمين أفندي ، مصر ، ١٣٦٥
- ٠٧٩ شوقي شريف ، الفن ومذاهبه ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩
- ٠٨٠ صلاح الدين الدمشقي ، ولاية دمشق ، في العهد السلجوقي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، سنة ١٩٧٥
- ٠٨١ ابن بابايا ، محمد بن علي بن بابايا المصري ، بابن الطبايع ، الدفري في الآداب السلطانية والدول الاسلمية ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، سنة ١٩٦٦/١٣٨٦
- ٠٨٢ الملايخ بن رزيق ، ديوانه ، جميع محمد نادي الأثيني ، مطبعة النحطان ، الدفري الاشرف ، العراق ، سنة ١٩٦٤/١٣٨٢
- ٠٨٣ ظافر البعداد ، ديوانه ، ت حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٩
- ٠٨٤ عارف المعارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٥١
- ٠٨٥ ابن الظاهر ، عبد الله بن عبد الظاهر بن نطوان الجذاهي محيى الدين ، الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم ، ت أحمد بدوى ، مطبعة الرسالة ، مصر ، سنة ١٩٥٩
- ٠٨٦ ابن عبد الظاهر ، تشرىف الايام والمنصور في سيرة الملك المنصور ، عن مراد كامل ، وزارة الثقافة ، مصر ، سنة ١٩٦١
- ٠٨٧ عبد العزيز الانواني ، ابن سناء الملك ومشكلة المعقم والابتكار في الشعر ، مكتبة الانجلومصرية ، سنة ١٩٦٢
- ٠٨٨ عبد القادر اليوسفي ، عاتبات بين الشر والفر ، بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ، مطبوعات المكتبة المصرية ، صيدا ، سنة ١٩٦٩
- ٠٨٩ عبد الكريم توفيق السجود ، الشعر العربي في العراق ، من سقون السابغة حتى سقون بغداد ، وزارة الاعلام ، بغداد ، سنة ١٩٧٦
- ٠٩٠ عبد اللطيف حمزة ، أدب العرب الصليبية ، مطبعة الاقتصاد ، نشر دار الفكر العربي ، مصر ، سنة ١٩٩٩

٩١. عبد اللطيف حنظل ، الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية ، مكتبة النهضة المصرية .
٩٢. عبد المنعم هاجد ، الناصر صلاح الدين يوسف ، مكتبة الانجلو مصرية ، مصر ، ١٩٥٦ .
٩٣. ابن العبري ، عمر يوسف بن توما النحلي ، تاريخ مستشرقين السندون ، وقف علي ، مطبعة أنطون صالحي ، الطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٥٨ .
٩٤. ابن المديني ، عمر بن أحمد ، زبدة الخطب من تاريخ حلب ، بتسليمي الدخان ، الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٥٤ ، ١٩٦٨ .
٩٥. عرتقا الكلي ، ديوانه ، ت. أحمد النندي ، مطبعة دار العيشان ، دمشق ، سنة ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .
٩٦. علم الدين أيدمر المكي ، ديوانه ، ت. أحمد نسيم ، دار النشر المصرية ، القاهرة ، سنة ١٣٥٠ / ١٩٣١ .
٩٧. الصالح الأسفهانى ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن خالد بن منصور بن شبة الله ، تاريخ دولة آل ملجوى ، القاهرة ، سنة ١٣١٩ .
٩٨. الصالح الأسفهانى ، زبدة القصر وزبدة الخضر ، قسم شراء الشام ، ت. مكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، ج ١ / ١٩٥٥ ، ج ٢ / ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ / ٣ .
٩٩. الصالح الأسفهانى ، الزبدة قسم شراء مصر ، ت. أحمد أمين وشوقي شيف وإحسان بهار ، لجنة الترجمة والتأليف ، والنشر القاهرة ، ١٩٥١ .
١٠٠. الصالح الأسفهانى ، الزبدة القسم العراقى ، محمد بيك مست الاثرى ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، سنة ١٩٦٤ .
١٠١. الصالح الأسفهانى ، الفتح التسي في الفتح القدسي ، ت. منصور محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ .
١٠٢. عمارة البيضى ، النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية ، ت. رتويج درنبرج ، مطبعة مرسو في مدينة شالون ، سنة ١٨٩٧ .
١٠٣. عمر كمال توفيق ، مقدمة المدون العلي ، جامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٦ .
١٠٤. عمر موسى باشا : الأدب في بلاد الشام عبور الزنكيين والايوبيين والمماليك ، دار الفكر الحديثة ، دمشق ، سنة ١٩٧٢ .
١٠٥. عمر موسى باشا : أمير راء المشرق ، ابن نياته المصري ، دار المعارف القاهرة ، سنة ١٩٦٣ .

١٠٦. ابن عيين ، ديوانه ، ت خليل مردم بك ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ،
 ١٠٧. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقل عادل زعتر ط ٣ ، دار احياء
 الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٦
 ١٠٨. الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي ، تاريخ الفارقي ،
 ت بدوي عبد اللطيف عوض ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،
 القاهرة ، سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٩
 ١٠٩. فاروق جرار ، محمد بن نصر القيسراني ، حياته وشعره ، المطابع
 التعاونية ، عمان ، سنة ١٩٧٤
 ١١٠. فتيان الشافري ، ديوانه ، ت أحمد الجندى ، مطبوعات مجمع اللغة
 العربية ، دمشق ، سنة ١٩٦٧
 ١١١. أبو الفداء ، اسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة
 الحسينية ، مصر
 ١١٢. ابن الفرات ، محمد حسين عبد الرحيم ، تاريخ ابن الفرات ، ت حسن
 الشماح ، مطبعة بغداد ، البصرة ، سنة ١٣٨٦ / ١٩٦٧
 ١١٣. ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج ٧ مج ٨ ، ت سنانين زريق ونجلاء عزالدين
 ط الاميركانية ، بيروت ، سنة ١٩٣٩ / ١٩٤٢
 ١١٤. فيشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ت لمحمد مصافي زباد
 والباز الحريني ط ٥ ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٩
 ١١٥. القرآن الكريم .
 ١١٦. القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ،
 دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٠ / ١٩٦٠
 ١١٧. ابن القلانسي ، أبو يسى حمزة ، ذيل تاريخ دمشق ، ط الأبياء
 اليسوعيين ، بيروت ، سنة ١٩٠٨
 ١١٨. القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح الاعشى ، مطبوعة عن المطبعة
 الأميرية ، القاهرة
 ١١٩. ابن كثير ، أبو النداء اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، مطبعة
 السادة ، مصر ، سنة ١٢٤٨
 ١٢٠. مجهول ، أعمال الفرنجة وعجاج بيت المقدس ، تحقيق حسن حبشي ،
 دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨

- ١٢١ • محمد زاهد الطهاغي الحلبي ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ،
مطبعة العلمية ، حلب ، سنة ١٣٤٢ / ١٩٢٤
- ١٢٢ • محمد زفلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر
سنة ١٩٦٨
- ١٢٣ • محمد زفلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر
سنة ١٩٧٠
- ١٢٤ • محمد زفلول سلام ، نبياء الدين بن الاثير ، دار المعارف ، مصر
- ١٢٥ • محمد زفلول سلام ، تاريخ النقد العربي من ق ٥ - ١٠ ، دار المعارف
مصر ، ؟
- ١٢٦ • محمد سيد كيلاوي ، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي فسي
مصر والشام ، دار الكتاب العربي ، مصر ، سنة ١٩٤٩
- ١٢٧ • محمد كامل حسين ، في أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي
مصر ، سنة ١٩٥٠
- ١٢٨ • محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ،
دار الكتاب العربي ، مصر ، سنة ١٩٥٧
- ١٢٩ • محمود ابراهيم ، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن التيمرانسي ،
الكتب الاسلامي ، ومكتبة الاقصى ، دمشق ، عمان ، سنة ١٩٧١
- ١٣٠ • محمود رزق سليم ، مصر سلاطين المماليك ونتجه الحلبي والادبسي ،
مطبعة الاداب ، مصر ، سنة ١٩٦٥
- ١٣١ • محمود صدائقي ، الأدب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية
العصر الايوبي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٧
- ١٣٢ • ابن هارون ، الصاحب جمال الدين ، ديوانه ، ١ ، مطبعة الجوائب
قسطنطينية ، سنة ١٢٩٨ هـ
- ١٣٣ • المقرئ ، أحمد بن محمد المقرئ ، نفع الديب ، احسان عباس ، دار
صادر بيروت ، سنة ١٣٩٨ / ١٩٦٨
- ١٣٤ • المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي ، السلوك لمصرفة دول الملو ،
ت محمد صدائقي زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤
- ١٣٥ • المقرئ ، التواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ١ ، بولاق ، مصر
سنة ١٢٧٠ هـ

١٣٦. مكسيموس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، المدونة
حرب الصليب ، ترجمة مكسيموس ، مالموم ، دار دير الرهبان الفرنسيان
القدس ، سنة ١٨٦٥
١٣٧. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرنجي المصري ،
لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٩٥٦
١٣٨. ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف ، أخبار مصر ، تصميم حسني
ناسين ، مطبعة المصنف الفرنسي ، القاهرة ، سنة ١٩١٩
١٣٩. المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ،
سنة ١٩٧٤
١٤٠. ناصر خسرو علوي ، سفرنامه ، ترجمة وتعليق يحيى الخشاب ، ط ١ ،
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥
١٤١. ابن النبيه ، علي بن محمد ، ديوانه ، المطبعة العلمية ، القاهرة ، ١٣١٣ هـ
١٤٢. النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، المؤسسة المصرية الخاصة ،
دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٢٥ - ١٩٥٥
١٤٣. النويري ، محمد بن قاسم الاسكندري ، الإلهام بالأعظم فيما جمعت به
الاحكام والامور العقلية في وقعة الاسكندرية ، اتين كويب وعزيز عايبة
مراجعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ، سنة ١٢٦٨
١٤٤. ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مشن الكمبروب
في أخبار بني ايوب ، جمال الدين الشيال ، الأميريسسة
١٩٥٣/١ ، ١٩٥٧/٢ ، ١٩٦٠/٣
١٤٥. ابن واصل ، فخر الكروب ، حسين محمد ربيع وسعيد شمسور ،
مراجعة الكتب ، سنة ١٩٧٢
١٤٦. ابن الوردي ، ابو حفص زين الدين عمر ، تاريخ ابن الوردي ، المطبعة
الوشية ، القاهرة ، سنة ١٢٨٥ / ١٨٦٨
١٤٧. الياقضي ، عبد الله بن سلامة بن علي بن سليمان ، مرآة الجنسيمان
وعبرة اليقظان ، مراجعة المعارف النظامية ، حيدر اباد والدكة ، ١٣٣٨
١٤٨. ياقسوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، معجم
البلدان ، بيروت ، سنة ١٩٥٥

١ - ٩

المقدمة

الباب الاول

توثيق تاريخية

(١١ - ٥١)

١١ - ٢١

الفصل الاول : الشرق الاسلامي قبيل الغزو الصليبي

٢٢ - ٢٤

الفصل الثاني : الغزو الارمني قبل الغزو الصليبي

٢٥ - ٥١

الفصل الثالث : الصراع ميدانهم وزمانهم

الباب الثاني

(٥٣ - ١٩٨)

٥٣ - ١٦٤

الفصل الاول : الفكرة الاسلامية الى الصراع

٥٣ - ٧٠

القسم الاول : صراع بين عقيدتين

٧١ - ٩٠

القسم الثاني : صراع بين عقارتين

٩١ - ١٥٠

القسم الثالث : الصراع العسكري

٩١

اول : الجيش الصليبي

١٠٥

ثانيا : الاسلحة والمعدات العسكرية

١١١

ثالثا : التعصبات

١١٩

رابعا : التخطيط العسكري

١٢٣

خامسا : الحرب النفسية

١٢٥

سادسا : الممارك البرية والبحرية

١٥١ - ١٦٤

القسم الرابع : الخطر الصليبي

١٥٢

أولا : على الارض الاسلامية

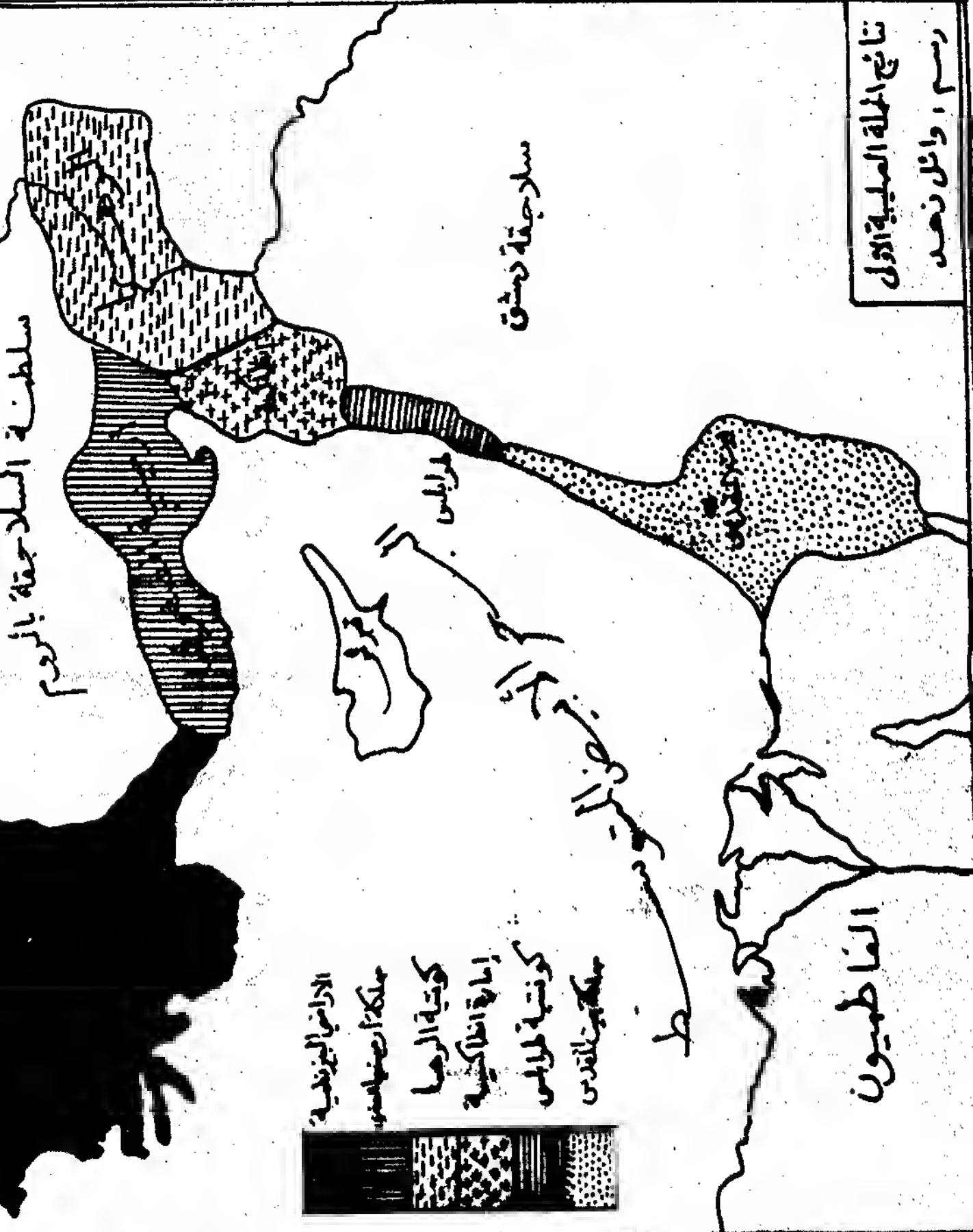
١٥٨

ثانيا : على المسلمين

١٦٠

ثالثا : على الاسلام والتراث الاسلامي

رسم : وائل زاهد
تأنيج الحملة المليبية الأولى



- الأراضي البيزنطية
- مملكة أرمينيا
- كوتية الروما
- إمارة أنطاكية
- كوتية طرابلس
- مملكة بيت المقدس

نتائج حملة الصليبية الثالثة



امبراطورية صليبية

بقايا الدولة الصليبية

سلطنة السلاجقة بالروم

مملكة أرمينيا الصغرى

مملكة أنطاكية

مملكة طرابلس

مملكة بيت المقدس

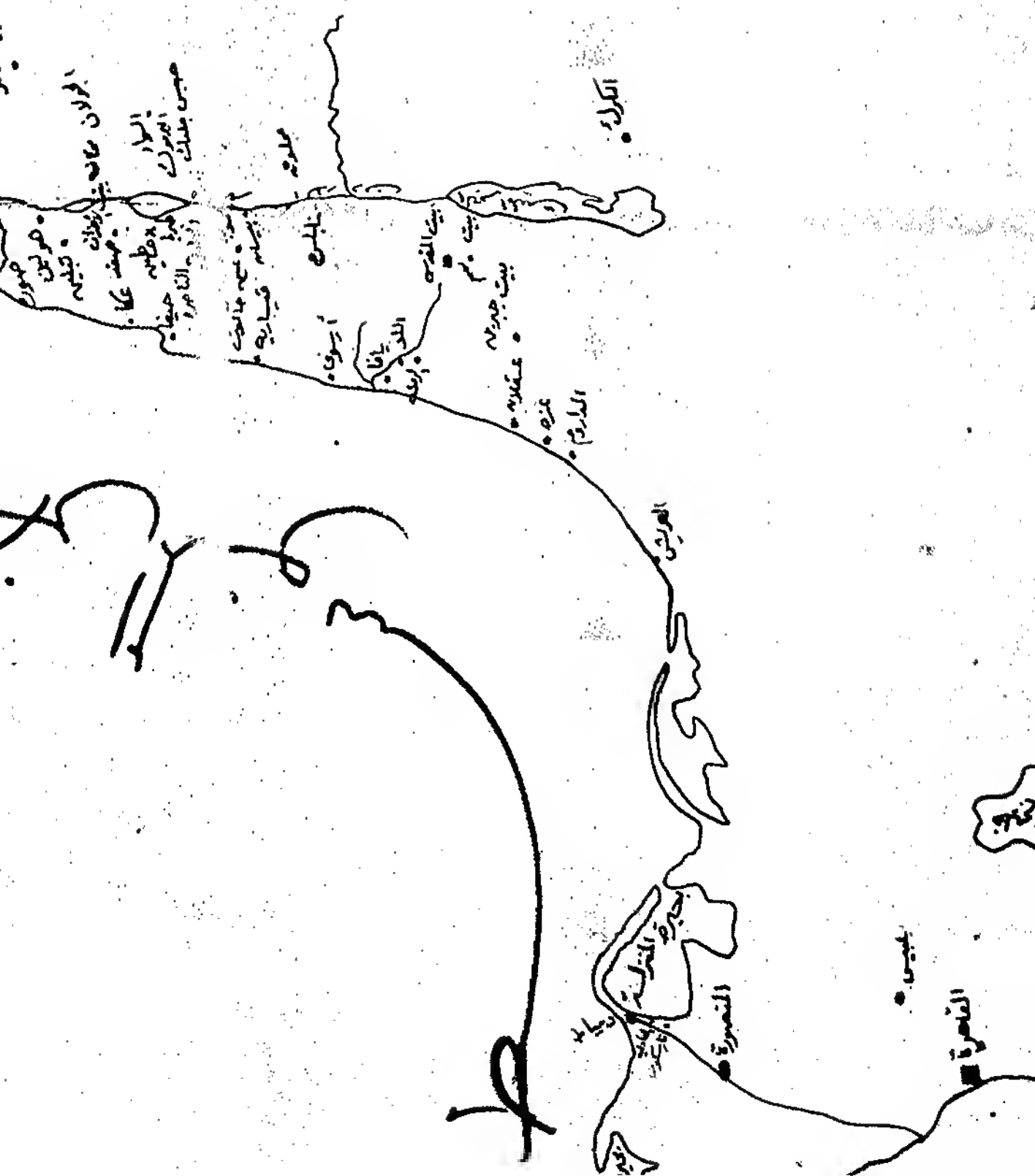
الامبراطورية البيزنطية

البحر الأبيض المتوسط

الامبراطورية
البيزنطية
وجهة الروم
مملكة أرمينية الصغرى



الأماكن التي توضحها للغزول السليمي في
مكة وبلاد الشام



وقال أسير على لسان القدس وأرسلها إلى صانع الدين :

يا أيها الملك الســـــــمذي	لمعالم الصلحان نكســـــــب
جاءت إليك ظلامـــــــة	تسمى من البيت المقدس
كل المجاهد طمـــــــسرت	وأنا على شرفي منجـــــــس (١)

ونحكي أن فقيراً بات بالقدس فسمع قائلاً يقول في الليل :

إن يكن بالشام قل نصـــــــيرى	وتهدمت ثم دام هلوكـــــــي
فلقد أصبح البداة خرابـــــــي	سمة العار في حياة الملوك (٢)

وكتب على أبواب كنيسة في عكا بعد طرد الفرنج عنها سنة ٦٩٠ :

أدبى الكنائس أن يكن عبثت بكـــــــم	أيدي الحوادث أو تغير حـــــــال
فلطال ما وجدت على أبوابكـــــــم	شم الأنوف ججاجاً أبطلـــــــال
صبرا على هذا المصاب فإنيـــــــم	يوم بيوم والمحروب سجال (٣)

وقال بعض شمراء المشرق في صلاح الدين :

الله أكبر جاء القدس باريـــــــم	ورام أسهم دين الله راميـــــــم
فكم لمصر على الأضار من شـــــــرف	بيوسفين وهل أرض تدانيـــــــم
فباين يعقوب هزت جيدها طرـــــــم	وبأبن أيوب هزت عطفها تيـــــــم
قل للملوك تخلي عن ما لكهـــــــم	نقد أتى آخذ الدنيا ومطـــــــم
وقال بعض شمراء دمشق سنة ٦٥٧ :-	واستجد الإسلام بعد دحوضـــــــم
هلك الكفر في الشام جيمـــــــم	وع سيف الإسلام عند نهوضـــــــم
بالملك المظفر الملك الـــــــم	فاعتزنا بسمره وببيضـــــــم (٤)
ملك جاشا بمزم وحـــــــم	

-
- (١) الانص الجليل ٣١٨ وزبدة كشف الممالك ص ٢٠
 - (٢) نهايتا لارب ج ٢٧ ورقه ٣٩
 - (٣) جواهر السلوك ورقه ٤٨ • درة الاسلاك ورقه ١٦١
 - (٤) مرآة الجنان ج ٣ / ٤٦٥
 - (٥) النجوم الزاهرة ٧٧ / ٧

المجالات :

• ١٤٩ . مجلة الهلال ح ٩ ، السنة العادية والثلاثون ، سنة ١٩٧٣

• ١٥٠ . مجلة المعرفة ح ١٥٥ ، كانون ثاني ، سنة ١٩٧٥

الكتب الأجنبية :

Matimud Ibrahim, Martial poetry under the . ١٥١

Hamdanide of Aleppo . ph. D. , 1965.

Stanley Lane-poole, A History of Egypt in the . ١٥٢

Middle Ages, Frank Cass and Co. L.T.D. , 1968.

The Encyclopediu of Islam, Leiden-London, 1936. . ١٥٣

١٦٥ - ١٩٨

الفصل الثاني : أضواء على حياة الصليبيين

أولا : الحياة الاجتماعية ١٦٥

ثانيا : الحياة الاقتصادية ١٨٧

الحيد : الحياة السياسية ١٩٣

الباب الثالث

التقويم الفني

(١٩٩ - ٢٩٢)

٢٠٠ - ٢٤٤

الفصل الاول : الشمس

٢٤٥ - ٢٨٢

الفصل الثاني : الشمس

٢٨٤ - ٢٨٩

موازنة بين

٢٩٠ - ٢٩٢

الغائمة

الملاحق

٢٩٤ - ٥٢٤

أولا : الملحق الشمسي

٥٢٥ - ٥٢٨

ثانيا : المصالحات

٥٢٩ - ٥٣٥

ثالثا : جدول تحويل السنوات الهجرية الى ميلادية

٥٣٦ - ٥٤٠

رابعا : جداول بأسماء الحكام المسلمين والصليبيين

٥٤١ - ٥٤٤

خامسا : الخرائط

٥٤٥ - ٥٥٥

المصادر المراجع

٥٥٦ - ٥٥٨

المحتويات

The study I have chosen: "Crusaders' picture in Arabic Literature" is justified on the basis that a more comprehensive study would be a difficult task, due to the fact that the poetry and prose written during the Crusades involve a wide range of variety.

This study contains three chapters. The first is the historical framework which deals with the conditions of the Islamic East in Iraq, Syria and Egypt before the Crusades. A special section about the European status before the war is added to clarify the motives behind the war. Then a survey of the wars from beginning to end follows.

The second chapter is about the forms of struggle between Muslims and invaders. The most important aspect of this struggle was basically religious. This struggle was mainly characterised by the ruthless treatment Muslims received by Christian Europeans.

In the course of cultural struggle Europeans are to be shown backward in their sciences, administration and law, but progressive in war affairs such as in matters relevant to inventing and developing means of fighting, attacking and defence.

Literature has presented a detailed picture of the military struggle, displaying an accurate description of the Crusades army: regarding its construction, supplies, weapons and plans; and it shed light on the Europeans' castles and forts. Literature has also shown that Europeans got their needs for living from overseas supplies.

On the other hand, Arabic literature presented a picture of those invaders during armistices and war breaks describing them as playing, cultivating the land gathering the crops, trading and leading different life altogether, presenting this picture of the crusaders.

The writers intended to arouse the feelings of the rulers against the invaders hoping that they would succeed in putting an end to their presence. Research into the literary texts of this period reveals productive literary achievement.

This phenomena was promoted by some eminent characters in the fields of war, politics, administration and literature such as Hour id-deen Zinki, and Saladin and some of his sons, who faced the challenge with courage and strong conviction.

The third chapter is about technical performance in poetic texts, which was to some degree an extension of its equivalent at the end of the fourth and the beginning of the fifth Hegiran centuries. It combines tradition and innovation. This appears in the form and the content of the poems. Some poems were drawn upon old poetry as seen from the beginning of the poem and their decorative pictures. Meanwhile, some of them were produced in a new method especially in introducing and overdecorating their diction.

It has been noticed that metaphors formed a popular aspect in the poetry of that era, but that was not a new

phenomenon in the 5th Hegiran century. The phenomenon existed before that time, particularly during that period when it reached the excess.

As for prose texts, they were also characterized by the decorative aspect especially in literature in the books that combined history and literature, decorative style, however, varied between excess and moderation.

The letters of AL-Qadi AL-Fadil were compared with those of Al-Imad AL-Azfihani and Ibn-AL-Athir, and it was found out that there were no differences between them.

This finding makes one suspect the view of those who said that Al-Qadi had a special literary school characterized by certain techniques.

When prose and poetry relevant to the crusaders' existence in the Islamic East were compared, a difference in the way of expressing the same subject was noticed, regarding the handling, the treatment and the literary style. As for poetry, it seldom committed itself to logical sequence for it recorded plain truth and analysis of details. It described the psychological movement of the poet and his social environment. In portraying this, poetry might use exaggeration to emit certain effects, and to arouse the emotions. It also colours the events in a way that reflects the poet's identity.

As for prose, it presents the factual incidents and uses sequences and details- Whatever motivation there is in prose it depends on the events themselves. However, the

gap between prose and poetry was sometimes so narrow that prose is changed, in some cases, into poetry which lacks musical.

The three chapters are followed by five appendices. The first contains poems related to the crusades; the second an explanation of some war idioms; the third a table transforming.

Hegiran years to Christian years; the Fourth, the names of Muslim and Crusaders' leaders; the fifth, maps showing places of battles. Some of the maps show the districts occupied by crusaders in the first ninety years of the war, and how their property began to decrease year by year, until, at last, the four empires ended.